

جرجيس فتح الله

يَقْظَةُ الْكُرْدِ

تأليف سَيِّدِي

١٩٢٥ - ١٩٠٠

مما يتناول النزاع على جنوب كردستان أمام عصبة الأمم
مع الوثائق والمذكرات المتعلقة به

دار ئاراس للطباعة والنشر



السلسلة التاريخية

*

مدير الدار: بدران أحمد حبيب

العنوان: دار ئاراس للطباعة والنشر - حي خانزاد - اربيل - كردستان العراق
ص.ب رقم: ١

جرجیس فتح اللہ

یقظة الكرد

تاریخ سیاسی

۱۹۰۰ - ۱۹۲۵

مطابقتنارول الفتراع على هفتوب كردستان أمام عصبة الأمم
مع الوثائق والمذكرات المتعلقة به

اسم الكتاب: يقظة الكرد - تاريخ سياسي ١٩٠٠-١٩٢٥
تأليف: جرجيس فتح الله
من منشورات ناراس رقم: ١٣٤
التصميم والإخراج الفني: شاخوان كركوكي
الغلاف: شكار عفان النقشبندي
خطوط الغلاف: الخطاط محمد زاده
تنضيد: نثار عبدالله
تصحيح: عبدالرزاق عبدالله
الإشراف على الطبع: عبدالرحمن محمود
الطبعة الأولى: مطبعة وزارة التربية - أربيل ٢٠٠٢
رقم الإيداع في مكتبة المديرية العامة للثقافة والفنون في أربيل: ٢٠٠٢/٦٢
عدد النسخ ٢٠٠٠

حول ظروف تأليف الكتاب

«إنني رأيتُ أنه لا يكتبُ أحدٌ كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غيرَ هذا لكان أحسن. ولو زيد هذا لكان يُستحسن. ولو قُدم هذا لكان أفضل. ولو تُرك هذا لكان أجمل. وهذا من أعظم العبر وهو دليل على إستيلاء النقص على جملة البشر.»
العماد الأصفاني ١١٢٥ - ١٢٠٠م

لتأليف كل كتاب قصة حبّ ومخاض وولادة، ووراء كلّ تأليف خلفية أو فكرة. وما سأدوّنُه عن كتاب "يقظة الكرد"، فيه من غرائب الإتفاق وتقلّبات الخطوط إقبالاً وإدباراً بله من المفاجآت ما يصلح أن يجعل منه أي روائي هيكلاً لقصة ممتعة. وأنا أعرضها باختصار هنا:

في العام ١٩٧٣ رمتني حظوظي بإقامة شبه إضطرارية في بيروت إلا أنني وجدت فيها فرصة لتعاقدي على نشر عددٍ من مؤلفاتي ومترجماتي وشروعي في تأليف أخرى. وإضطراري الى إعداد شروح وتعليقات على الكتب التي يجري طبعها كان يقتضيني مراجعة مكتبة الجامعة الأمريكية وقد لقيت عوناً من أصدقائي أساتذة الجامعة في الحصول على الإجازة الواجبة من رئاستها لمراجعة القسم الخاص الوثائقي للمكتبة مما لايتاح لغير الكتاب والباحثين. وفيها عثرتُ على النص الكامل للتقرير الذي نظّمته لجنة التحقيق الدولية التابعة لعصبة الأمم حول النزاع على الحدود بين تركيا والدولة العراقية الجديدة الذي كان سيتقرر به مصير (جنوب كردستان) وهو ولاية الموصل العثمانية.

ذُكر في الصحيفة الأولى من التقرير أنه طبع في مطابع لوزان العام ١٩٢٥ وبأمر من مكتب سكرتارية عصبة الأمم. وهو مطبوع بنصّيه الفرنسي والإنكليزي يفصل بينهما خطٌّ على طول الصفحة ويكمل بتسعين صحيفة من القطع الكبير ويلحق به خرائط

موقعية ترسم مجالات حركة اللجنة. كنتُ كمن عثر على لُقية من غير ميعاد أو سبقِ بحثٍ. فمع أن هذا التقرير ما كان يعدُّ من قبيل الآثار الكتابية النادرة إلا أن إهتمامي بالحصول على نسخة منه زاد كثيراً بعد صدور كتاب الميجر (إدموندز) (كرد وترك وعرب) في ١٩٥٧ بفصليه الأخيرين اللذين إستعرض فيهما عمل تلك اللجنة موقِعياً وكان واحداً من مستشاريها وأصحاب الأدوار المهمة فيها ولاسيما تأكيده فيه - موقف الأغلبية الكردية في الولاية الذي حَسَم النزاع بشكل قاطع وقاد اللجنة الدولية الى إتخاذ القرار الصائب الذي تبنته عصبة الأمم فيما بعد.

يفضح هذان الفصلان سرَّ تستر الحكومة العراقية على هذا التقرير، بعدم ترجمته الى اللغة العربية رغم أنه واحد من أهم الوثائق التاريخية بل أهمها طراً بل مرجع لا يُستغنى عنه في دراسة تاريخ تكوين العراق الحديث. وكما تعمدت الحكومات العراقية المتعاقبة تجاهل هذا الواجب. كذلك تجاهله الباحثون والمؤرخون العراقيون. فأنت لا تجد بمدى علمي في أي كتاب أصدرته المطابع في هذا الموضوع نصاً مقتبساً منه. ولا كاتباً أو مؤرخاً واحداً يعتمد مرجعاً من المراجع الرئيسة أو الفرعية. وقد يأتي أحدهم الى التنويه به عرضاً لغرض معين بعيد جداً عن إبراز الدور الكردي الجسيم فيه وليس أكثر من هذا.

وبالمقابل لم يخطر ببال واحدٍ من الكتاب الوطنيين الكرد عمل ترجمة كردية للتقرير وهو واحدٌ من أمضى الأسلحة في ميدان المعركة الفكرية التحريرية التي يخوضها هذا الشعب. ولا أدري إن كان هناك ترجمة تركية له وهو بطبيعة الحال أمرٌ مستبعد.

قبل صدور كتاب [إدموندز] بفترة قصيرة على ما أتخطر. صدر في بغداد كتاب عنوانه [مشكلة الموصل: دراسة في الدبلوماسية العراقية الإنكليزية - التركية]. من عنوانه هذا وقبل أن أشرع في قراءته - قلتُ لنفسي ها إن كاتباً عراقياً جاء أخيراً ليفضح مؤامرة الصمت على تقرير اللجنة الدولية. إذ وعلى البدهة لاسبيل له بعد إتخاذه هذا العنوان الصارخ لكتابه ألا أن يكون التقرير عموداً فقرياً لمؤلفه أو مرجعاً مركزياً على الأقل.

إلا أن الدكتور فاضل حسين مؤلف الكتاب كان أميناً على سرِّ الحكومات العراقية في إستبعاد هذه الوثيقة المركزية من مجال بحثه في كتابه الذي إمتاز بطبعاتٍ ثلاث.

فقد وجدتُ أنه أشار إليه فحسب إشارة عارضة في حاشيتين أو ثلاث بتجنّ فاضح على أسلوب البحث الحيادي. وما عليك إلا أن تقوم بمقارنة بين محتويات التقرير الدولي وبين ماورد في الفصل الخامس من كتاب الدكتور فاضل حسين الذي صدره بعنوان «قرار مجلس العصبة عن الموصل»^(١) حتى في هذا الفصل ذي الصحائف الكثيرة، لا تجد من المؤلف إلا إشارة عابرة واحدة الى التقرير في الحاشية. وبالطبع لا تجد نصاً مقتبساً منه.

لم أتعرف بالدكتور فاضل حسين لكن ذكروا لي أنه كان من أعضاء الحزب الوطني الديمقراطي وأنه يعدّ بين الكتاب المؤرخين التقدميين المتحررين. فإذا كانت الحال هكذا به. فكيف بالمؤرخين والكتاب العرب القوميّين؟

الخلاصة إنّ نشر نصّ التقرير كان سيكشف عن الدور الكردي الحاسم في إبقاء ولاية الموصل (جنوب كردستان) ضمن حدود الدولة العراقية. ويبدو أن الحكومات العراقية المتعاقبة ماكانت تريد أن يطلع الرأى العام على هذا الفضل.

وأتفق أن كان وقوع النصّ بيدي بداية العام الأخير من الفترة الإنتقالية التي حددها بيان الحادي عشر من آذار ١٩٧٠. فوجدت من المصلحة انتهاز هذا التزامن لترجمة التقرير ونشره، للتدليل بأن التسليم بمبدأ الحكم الذاتي لكردستان العراق كما أثبتته بيان آذار إنّما هو حقّ قديم رُدّ الى أهله بعد خمسة وأربعين عاماً.

لم يكن بالإمكان إستعارة النسخة الأصلية من خزانة مكتبة الجامعة الخاصة إلا أن أصدقائي الأساتذة عملوا لي نسخة مصورة بتسهيلات الجامعة التكنية. وحملت النص الى كردستان وأنجزت الترجمة.

كان يشوب النصّ أخطاء مطبعية طفيفة. كما وجدتُ إختلافاً يسيراً محدوداً جداً في النص الإنكليزي عن الفرنسي فإعتمدت هذا الأخير ولم أبال بسقوط عبارة أو عبارتين في النصّ الإنكليزي إذ يظهر ان كاتبه سمح لنفسه ببعض الحرية في إسقاط هذه العبارة أو تلك أو إختصارها. والنص الفرنسي هو موضع الإعتماد على كلّ حال دبلوماسياً. كما قومتُ بعض اسماء المواقع التي لم تكن واضحة بسبب التهجئة ولم أجد حاجة للإشارة إليها. وحاولت جهد الإمكان الإقتضاب في التعليق فقصرته تقريباً على

١- الطبعة الثانية ١٩٦٧. بغداد، الص ١٣٢ و١٧٥.

التعريف بالمؤلفين والمؤرخين والجغرافيين والشخصيات التاريخية الذين نوه بهم التقرير حيثما دعت الحاجة الى ذلك. ثم رأيت أن أقدم التقرير بتوسطة تاريخية للوقائع والأحداث التي أدت الى النزاع على ولاية الموصل (جنوب كردستان) بين تركيا وبين الفاتح البريطاني. وكيف أدى الأمر الى عرض النزاع على عصبة الأمم وهي أول هيئة دولية عرفها المجتمع البشري. وكيف لجأت العصبة إلى تعيين اللجنة وفقاً لما قضت به معاهدة لوزان (١٩٢٣).

في ذلك الحين وأنا في المنطقة المحررة، لم يكن بمتناول يدي المراجع الكافية لعمل دراسة موثقة مرجعية. بل ولم تكن نيتي وأنا في عجلة من أمري، القيام بهذا ورأيت أن نشر النصّ بحدّ ذاته وفي تلك الظروف يكفي لإراءة وجه الحقّ في المطالب الكردية المشروعة التي بلغت بها ثورة أيلول المرحلة المختتمة ببيان الحادي عشر من آذار بإستعراضه الأساسيد السياسية والتاريخية والجغرافية والإثنية لمنطقة جنوب كردستان لا يضمها كتاب واحد بمدى علمي. فوَقعت المقدمة في ثمان وأربعين صحيفة كبيرة. وبدا كلّ شيء جاهزاً للطبع في أواخر العام ١٩٧٣ وفي نيتي أن ابعث بهما الى إحدى دور النشر في بيروت على جناح السرعة، عندما وقع ماليس في الحسابان:

قبل إستئناف القتال بين قوى الثورة وبين حكومة بغداد، ربما ببضعة أسابيع. أقبل السيد (عبدالرحمن قاسم) من بغداد للقاء البارزاني، بمعونة الصديق المحروم (عبدالرحمن شرفكندي) المعروف بإسمه الأدبي "هزار". وأنا في ديلمان مقرّ السيد البارزاني.

في تلك الساعة من النهار لم يكن الزعيم الكردي في مجلسه. فإنتظره الزائران في غرفتي المصاغبة لمجلسه.

كان السيد (قاسم) في ذلك الحين لاجئاً سياسياً في بغداد وموظفاً في وزارة التخطيط على ما أذكر. ولم أسأله طبعاً عن سبب قدومه. رغم إنني أحسست بوجود علاقة لزيارته بتأزم الوضع بين الثورة والسلطة. ومما أذكر أنه سألني عما يستأثر وقتي من كتابة أو بحث فأعلمته بأني مشغول بوضع مسودة لمشروع قانون بالحكم الذاتي. فإهتّم وطلب أن يلقي عليه نظرة فدفعت بالمسودة اليه وأظنه تناول قلماً وورقة وسجل من المسودة نقاطاً. ثم وضعت بيده ترجمة تقرير عصبة الأمم في مسألة الحدود وولاية

الموصل وهو كما قلتُ جاهز وكان بملفين وأنبأته بأني على وشك إرساله للطبع في بيروت. ولا أذكر ما قاله معقباً إلا أنه كان تشجيعاً وإحتشاشاً بلزوم طبعه. ثم أنبأنا بمجيء السيد البارزاني وإستعداده لرؤية الزائرين وترك (قاسمלו) حقيبة سفره عندي كما جاء المرحوم صابر البارزاني فخرجنا في جولة بعيداً عن ديلمان وعدت متأخراً وقد تركنا (قاسملو) بعد مقابلة البارزاني.

ثم تسارعت الأحداث فألهمتنا عن كل شيء - لتنتهي بتجدد القتال. وصارت ديلمان هدفاً مركزاً للقصف الجوي نهاراً وليلاً وانتقل البارزاني ومقره الى جوار حاجي عمران وكنت آخر النازحين الى المنطقة عينها. ثم آلت الثورة الى ما آلت ووجب النزوح من أرض الوطن الى بلاد المنفى. وكان عليّ أن اختار القليل مما سأحمله معي بطابع العجلة والظروف العصيبة وهو مما أتيتُ الى وصفه في كتابي «زيارة للماضي القريب». وخلفتُ ورائي كتباً وأسفاراً ومدونات إلا اني حرصت على حمل ما خطه قلبي وما كتبته من ملحوظات وتعليقات.

وغاب تقرير اللجنة الدولية عن ذهني تماماً، وكلّ إعتقادي اني حملته معي ولم أشعر بفقدان المخطوطة إلا بعد أن إستقرّ بي المقام في «كرج» وبدأت في إفتقاد وتنظيم ما حملته معي ولم يكن المخطوط من بينها.

راح ظني في أول الأمر الى اني إستودعته الصديق «صالح محمود البارزاني». وهو ممن يُعقب ما أكتبه وممن لا أحبس عليه كتاباً للقراءة أو أبحاثاً أكتبها. وسألته وهو على علم به سابق - فنفي إعارتي إياه وتذكّر لي أنه كان يعقب مراحل الترجمة وإقتراح أن أحمل سؤالي للمرحوم إدريس وللسيد مسعود نجلي البارزاني. ففعلتُ فنفياً أن يكون لهما علم به.

من عادتني اني أبدء بإتهام نفسي أولاً في إهمال وتقصير أو نسيان فلا أعزوه لأحدٍ غيري. وعلى هذا الأساس رحلتُ أحاول إقناع نفسي بالتفسير الوحيد الميسور: أعني اني أغفلته عند قيامي بفرز ما أحمله معي وخلفته ورائي سهواً وقلة فطنة وصرتُ بالتدريج أعمل على إخراجها من دائرة تفكيري وإدراجه في قائمة الضائع وحكم المفقود. مرّت أعوامٌ ثلاثة عشر تقريباً وأنا في إيران. وفي العام ١٩٨٧ أعلنتني وزارة الداخلية بأمر وزيرها السيد محتشمي «شخصاً غير مرغوب فيه persona non grata»

وسُحب عني حق اللجوء السياسي وأمرت بمغادرة البلاد فعرضت الحكومة السويدية قبولها لي لاجئاً سياسياً وهيأت لي أسباب الرحيل فتركت إيران في ٢٤ من نيسان ١٩٨٨ واخترت مدينة كاترينهولم مسكناً بناءً على نصيحة الإخوان الكرد اللاجئيين الساكنين فيها. ومن بين الكثيرين لقيت في الشاعر والأديب الكردي (مؤيد طيب) أنيساً وصديقاً دائم الزيارة.

ذات يوم ولم يمر عليّ غير بضعة عشر شهراً. حمل اليّ السيد مؤيد هذا النبأ الغريب: قال إن شخصاً يعرف باسم (ملاً بختيار) يزعم أن في حوزته مخطوطاً لي وعليه إسمي، وإنه استؤمن عليّ إعادته اليّ.

وزاد (مؤيد) عند سؤالي فقال: إن ملا بختيار هذا قدم حديثاً من إيران وحصل علي حق اللجوء السياسي. وإنه كان مطارداً من قبل الإتحاد الوطني الكردستاني وهو من أقطابه وقد خرج عليه حيناً من الزمن. إذ ذاك فقط أدركت من يقصده ملا بختيار. وعدت بذاكرتي الي واقعة معينة كان لي فيها دور قبل تركي إيران ببضعة أشهر.

كان لي كما أذكر موعداً مع الدكتور الصديق فؤاد معصوم عضو المكتب السياسي للإتحاد الوطني في أحد فنادق العاصمة. فإنتهزت الفرصة قبلها لاستبضع حاجات من سوق في طهران عرف بـ«كوچه عرب». إذ كان يشغل معظم دكاكينه ومحلاته التجارية اللاجئون والمبعدون العراقيون الذين طردتهم بغداد بحجة أصولهم الإيرانية. فقصدت مقهى السيد سامي باقر المعروف بـ(سامي الفيلي) وهو من أعضاء الحزب الديمقراطي الكردستاني الأقدمين. ووجدت بيده عريضةً معنونة الي سكرتير الإتحاد الوطني الكردستاني العام يجمع عليها توقيع. وتدور حول المطالبة بإخلاء سبيل (ملاً بختيار) المعتقل والمحكوم بالإعدام. وأشار سامي الي امرأة جالسة في ركن قائلاً: هذه زوجته جاءت تستجير خشيةً على حياتها فرأينا أن نكتب هذه المذكرة لتقدمها الي الإتحاد الوطني قبل تنفيذ حكم الموت به.

لم أكن أعرف ملا بختيار لبالصورة ولا بالشهرة ولا بالأسباب التي دعت الي إعتقاله، وخطرت ببالي فكرةً فقلت لسامي دعك من هذه العريضة الآن فأنا على موعد مع الدكتور فؤاد معصوم فتعال معي لنرى ما أمر هذا المعتقل وسأسعى بدوري لأكون واسطة خير.

لأذكر تفاصيل الأسباب التي علل بها الدكتور معصوم الإجراءات المتخذة بحق ملا
بختيار هذا ولا يخطر ببالي ما ذكر حول تمرده وإعتقاله وهروبه وما الى ذلك إلا أنه أكد
لنا بالأمانة هناك للإتحاد ولا لسكرتيره في تنفيذ أي حكم يُنهى حياة المعتقل. ووعده
أن ينقل رجائي الخاص بالإفراج عنه الى (مام جلال). وطمأن صاحبي لطمأنه ذويه بأنه
سيوفر له أسباب الراحة ويسهل زيارة ذويه له.

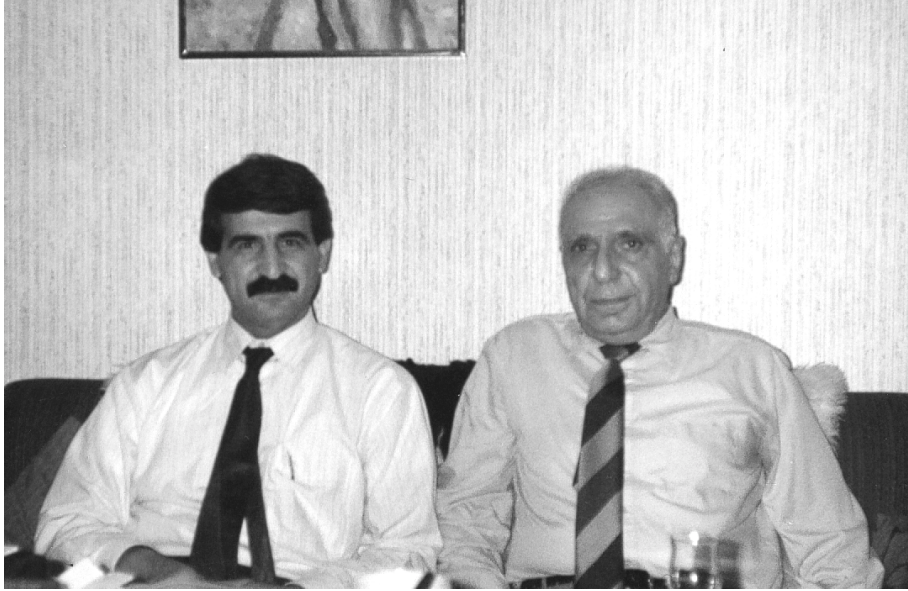
هذا كل ما علق بذهني حول حامل المخطوطة. إلا أنني بقيت في حيرةٍ لافكرة لي أبداً
عمّا جاءني به.

وعقب السيد مؤيد بقوله: انه سيأتي بنفسه ليسلم لك المخطوط.

وجاء السيد بختيار وقدم نفسه باسمه الحقيقي (حكمت محمد كريم) ليضع بيدي
ترجمة تقرير عصابة الأمم حول النزاع على الحدود بمحفظتيه الأصليتين، كاملاً غير
منقوص ويخطّ يدي فعلاً. ذلك الذي إفتقدته طوال ثلاثة عشر عاماً وأسقطته من
ذاكرتي!!

بطبيعة الحال كان أول سؤالي كيف وقع بيده، ومن هو الذي إئتمنه على إعادته اليّ
ومن كان يحتفظ به طوال هذه الفترة؟ قال: «إنه وبعد أن أخلى الإتحاد الوطني سبيله.
حلّ في مهاباد ضيفاً على أسرة (قاسملو) وبالضبط في دار شقيق المغدور السيد
عبدالرحمن قاسملو وسماه «آقاي مهندس». وإن (آقاي مهندس) هذا سألّه وهو في
طريقه الى السويد عمّا إذا كان يعرف (جرجيس فتح الله) الذي يسكن في السويد.
فأجابته بالإيجاب. فطلب منه إيصال هذه المخطوطة اليّ وكان قد وجدها بين مخلفات
شقيقه (عبدالرحمن) وعليها إسمي وتوقيع.

مسألة كيفية حيازة (عبدالرحمن قاسملو) ترجمتي، ستبقى سرّاً مدفوناً الى الأبد
فهو ليس بين الأحياء وأنا شخصياً لأستطيع أن أعزو لنفسي نزولي طوعاً عن
مخطوط لأملك منه نسخة أخرى لإنسان كعبدالرحمن لاتربطني به معرفة وثيقة تسمو
الى إستئمانه على مخطوطة معدة للنشر خلال لقاءٍ عرّضني لي به في (ديلمان) وهي
المرّة الأخيرة التي جمعتنا فيها الظروف. وكلّ ما علق بذهني من تلك المواجهة، إن
المخطوط كان فوق مكتبي عندما تركتُ الغرفة مع المرحوم صابر البارزاني. وإن
عبدالرحمن قاسملو كان عليه أن يمرّ بغرفتي بعد لقائه بالبارزاني ليلتقط حقيبة سفره.



المؤلف مع السيد حكمت محمد كريم

في غمرة الفرح بعودة "الإبن الضال". إقترح الحاضرون التقاط صورة لي ولحاميل المخطوط السيد حكمت محمد كريم. وهي الصورة التي تجدها هنا وقد وعدته في حينه أن تظهر مع التقرير عند نشره وهو أقل الممكن من الجزاء إعترافاً بالجميل.

في الفترة التي أعقبت وصول المخطوط. كانت أزمة الكويت تجمع حولها وتحتها وفوقها غيوم صدام مسلح. وإنصرف إهتمامي الى تعقيب مسرى الأحداث المتسارعة، لتحملني بالتالي على التفكير في كتاب حول المغامرة السياسية الخطيرة وإعداد العدة لذلك. وإنعكست الهزيمة العسكرية التي حلت بنظام بغداد، على كردستان العراق بالشكل الذي بدا للعالم بكل ملبساته وخياراته وقد أشغلني الكتاب الذي ألفته في حينه عن التفكير فيما عداه.

وكنت قد نوّهت في صدر حديثي للقاريء بالغرض الذي حملني على إنتهاز فرصة بوادر الإنهيار في بيان آذار ١٩٧٠ لأتقدم للرأي العام العربي والكردى بوثيقة هامة في تاريخ الكرد السياسي إصطلحت الأغراض السياسية والتعصّب القومي على إبقائها

بعيداً عن المتناول الشعبي. إذ لم يكن ينتظر هذا من حكومات وأقلام دأبت على إنكار فضل الكرد العراقيين في بناء الدولة العراقية الحديثة. وإن بيان آذار ١٩٧٠ لم يكن في الواقع إلاّ صدى بعيداً للآراء التي توصلت إليها تلك اللجنة الدولية بخصوص مستقبل جنوب كردستان السياسي في الدولة الحديثة التي أقامها البريطانيون وضرورة كتمان الدور الكردي التاريخي في تشكيل تلك الدولة، كانت تشتدّ بالانتفاضات المسلّحة المتعاقبة وهي بجوهرها المطالبة بتحقيق المقترحات التي تبنتها اللجنة الدولية وقدمتها الى عصبة الأمم.

بعد العام ١٩٩١ وعلى ضوء السيطرة الكرديّة الحقيقية على الجزء الأكبر من جنوب كردستان إدارياً، صرت أفكر جدياً في نشر محتويات المخطوطة. ورأيت أنّ المقدمة التي كتبتها للتقرير ليست مناسبة ولا تفي بالمرام وإن من الضروري أن تتقدمه دراسة تاريخية مفصّلة، وهكذا ولدت فكرة هذا الكتاب. ليغدو التقرير فرعاً والكتاب أصلاً. وكان الأمر يختلف عن الوضع في العام ١٩٧٣ حيث كنت أفتقر الى المراجع والمضام اللازمة لمشروع كهذا. والآن وخلال تسع سنوات من البحث الجاد بين المراجع والمصادر والوثائق أراني جمعت كلّ ما أصيبو اليه من العدّة الى جانب تمتّعي بكل الحرية التي يتمناها الكاتب لنشر آراء مستّجدة.

ثم وجدت من المناسب أن ألحق بالكتاب كل ما يمكنني الوقوف عليه من مذكرات الأشخاص المشاركين في تلك اللجنة أو من ساهم في نشاطها موقعياً. وإهتديت الى أربعة. أولها لنائب رئيس مجلس العصبة الذي شارك في تأليف اللجنة السرف. ب والترز. ثم كان هناك الفصلان اللذان كتبهما الميجر إدموندز في كتابه (كرد وترك وعرب) الذي نشره في العام ١٩٥٧ وقمتُ بترجمته ونشره في العام ١٩٧٠ وقد عمل في اللجنة بوظيفة ضابط إرتباط عن الطرف البريطاني. كان هناك أيضاً ماجاء عنها في ذكريات السيد عبدالعزيز القصاب متصرف (محافظ) الموصل في حينه. وقد تعذّر عليّ الحصول على كتابه. فأنجدني به الصديق الباحث المعروف الأستاذ (نجدت فتحي صفوت) نزيل لندن حالياً. ثم إهتديت الى مذكرات السيد آف. دي فيرسن السويدي الذي خصص لها جزءاً كبيراً من كتابه المطبوع في السويد (العام ١٩٤٢). وهو حافلٌ بالصور التاريخية النادرة التي إلتقطها بالمناسبة. أسعفني بترجمته الأديب والشاعر

"مؤيد طيب" وله مني الشكر.

إستوقفتني عبارة إستطراذية وردت في مذكرات (فیرسن) تشير الى أنه قرأ مادونه العضو الثاني في اللجنة وهو البلجيكي العقيد (پاولس) وكانت عبارة غامضة لاتمكنك من القطع برأي حول ما إذا كانت مذكرات پاولس مطبوعة أم أن فیرسن إستعارها منه وهي مخطوطة. ولم ينعني هذا الغموض من البحث الدؤوب عنها. وقادني البحث الى المكتبة الوطنية في باريس، ثم الى مكتبة ستراسبورغ العامة الشهيرة. وأخيراً لجأت الى مكتبات الدولة الرسمية في بروكسل. فلم أجد أثراً للمذكرات المعزوة للعقيد پاولس. وبعدها فكرت في أن تكون مجرد مخطوطة مودعة في دائرة وثائق عصابة الأمم في جنيف وإمتد بحشي الى هناك دون جدوى. وبدا لي أن أقنع نفسي بأن مذكرات العقيد پاولس لم تطبع وأوقفتُ البحث.

وإنتظرتني بل قل إنتظرتُ هذا التقرير مفاجأة صغيرة أخرى. كان ذلك بعد أن بسط الحلفاء في حرب الكويت حمايتهم على كردستان العراقية من غائلة طيران حكومة بغداد الهجومية. ومن عاداتي أن لأكتم ما أنا في سبيل تأليفه سراً لأخرج به الى القراء كما يُخرج الحاوي أرنياً من قبعته. ثم إن مقتضيات تعقيب وتأمين المراجع والوثائق التي أحتاجها كانت ترغمني على الإفضاء بالأمر الى أوسع دائرة من الأصدقاء المتعاونين. لذلك لم يدركني عجب حين تلقيت ذات يوم مكالمة تلفونية من مدينة (جنيف). وقدم المتكلم نفسه اليّ بأسم (كيللر) قائلاً إنه حصل على عنواني ورقم تلفوني من معارف في لندن يعملون للقضية الكردية في العراق وإنه مكلف بالعمل مع فريق منهم وقد علم بقرب إصداري كتاباً عن النزاع حول ولاية الموصل وهو والفريق الذي يعمل لهم كخبير ومروّج (لوبي) يرغبون في التعاون معي.

كنتُ على بعض علمٍ بأن فئات من الرؤساء القبائليين الكرد الذين كانوا إنحازوا الى جانب الحكومة في مواجهة قوات الأنصار (الپشمركة) وشكلوا ماعرف في حينه "بالأفواج الخفيفة" وجدوا أنفسهم بعد أن لحقت الهزيمة بالجيش العراقي وفقدوا وسيلة إرتزاقهم أن يدخلوا المعترك السياسي في كردستان كواحد من مراكز القوى هناك بقيامهم بتأليف عصابة أطلقت على نفسها إسم "حزب المحافظين" وهو بزعامة زعيم قبائلي يدعى (عمر سورجي) وأن هؤلاء صاروا يطوفون في العواصم الأوروبية بقصد

إستجداء نوع من شرعية التعامل معهم كقوة سياسية الى جانب أو على غرار تعامل الحزبين اللذين سيطرا على كردستان بعد إنحلال السلطة المركزية، وباعتبارهم القوة الثالثة في الميدان. ودُكرَ لي أيضاً أنهم كانوا يستخدمون لهذا الغرض بعض الأجانب المختصين لترويج دعواهم.

ورجحتُ أن يكون (كيللر) هذا أحد هؤلاء، وصدَّقَ حدسي.

وأذكر أنني قلت له: لأدري ماذا تقصد بولاية الموصل ولابنوع التعاون الذي ترجوه مني. كما أنك لا تدري ما أهداف اليه من تأليفي. لكنني أريد إيضاح هذه النقطة. إن تعبير "ولاية الموصل" وهو مصطلح إداري عثماني بحث لم يعد له مكان في التداول السياسي الحديث. ونحن نستخدم الآن تعبير "جنوب كردستان" أو "كردستان العراقية" وإنَّ ما أقوم به هو دراسة تاريخية سياسية بحثة لاعلاقة لها بما يحصل الآن في كردستان وباعتبارها جزءاً مهماً من تاريخ العراق الحديث، وكل شيء عداه يخرج عن دائرة إهتمامي.

هذا ماقلته له في حينه لكنه عاد يتصل بي ثانيةً وبعث بالبريد بأوراق ومذكرات ونصوص موجهة إلى عددٍ من الدوائر والمقامات السياسية في أوروبا وأمريكا، من إنشائه وبعضها بتوقيع (عمر السورجي) وآخرين، وبعضها بعنوان حزب المحافظين في كردستان فأهملت الرد. ولم يعد إتصاله بي.

بعد فترة وجيزة. أبلغني صديق كنت قد كلفته بإستنساخ بعض الوثائق من مركز عصابة الأمم بهذه الحكاية. قال:

« في أحد ابهاء بناية العصابة لفتَ نظري زمرة من الأكراد بزيهم الوطني في إحدى القاعات، فجلست بينهم وكان المتكلم شخصاً أوروبياً وهو يتحدث عن أمور تخصَّ كردستان العراق. تقرب مني أحدهم وسألني عن هويتي فقلت اني عراقي من كردستان ومقيم في السويد. فإقترح عليّ أن أقابلهم في فندقٍ نزلوه ليبحثوا معي في إقتراح هام. فدفعني الفضول وحب الإستطلاع الى مقابلتهم في الموعد المضروب ووجدت خمسة منهم. قالوا لي انهم أصحاب قضية مهمة جداً إلا أنهم واقعون الآن ضحية شخصٍ جشعٍ محتال وهو الشخص الذي كان يتحدث في الإجتماع وإسمه (كيللر) «وهو بيتزنا ونحن نريد التخلص منه، فهل لك أن تتولى عنه قضيتنا وأنت ابن بلدنا. »

قال صاحبي: أخذتني الدهشة العظيمة. ونازعتني العجب بين درجة حمق هؤلاء المغفلين وبين سداجتهم في وضع ثقتهم بشخصٍ مثلي لاسابق معرفة لهم به ولا هو بهم. وأسرعت لأبيّن لهم أنّي لست مقيماً هنا وأن محل سكناي السويد. فلم يثنهم ذلك عن طلبهم وتعهدوا بالإنفاق عليّ وإجراء مكافأة مالية لي كبيرة فاعتذرتُ وأسرعت بترك هذه الحفنة من الجهلة دون أن أهتم بمعرفة أهدافهم وماذا يريدون تحقيقه^(٢). هذا ما رواه لي السيد [د. أ. ز] بالضبط.

وبعد فترة من الزمن قرأت في إحدى الصحف السويسرية إعلاناً صادراً عن مكتب محفوظات عصبة الأمم ومقیمیة هيئة الأمم المتحدة في جنيف تشير فيه الى أن المدعو (كيللر) هذا قد مُنِع من دخول هاتين المؤسستين نافياً كل علاقة لهاتين المؤسستين به بأيّ وجه من الوجوه. ويظهر أن "حزب المحافظين" هذا نفذت أمواله أو لربّما عجز أصحابه عن تأمين (لوبي) جديد يرسم لهم أهدافاً أكثر جدوى وواقعية من "ولاية الموصل". فتفرقوا وغابت آثارهم.

وبخصوص النقص والتمام. لأراني قادراً وبأيّ درجة من الثقة على الإدعاء بالإحاطة والشمول فيما أضعه الآن بيد القراء. وهو بالأصل كما قلتُ لم يكن تاريخاً سياسياً وإنما مجرد ترجمة لتقرير هام جداً أهملته الحكومات العراقية عمداً وأغفله المؤرخون عمداً أو تقاعساً. والفترة التي عالجتها كما بيّنتُ هي فترة «الحداثة» من حياة الوعي القومي الكردي حددتها بربع قرن للتبسيط ليس إلّا وليكون لكتابي إطاراً واضح لصورة ذات معالم بيّنة. فترة "الحداثة" هذه يشاء مسرى التاريخ العام أن تمرّ بأربع مراحل مؤثرة فاعلة. هي الثورة الدستورية في إيران ١٩٠٧. والإنقلاب العثماني والعودة الى الدستور ١٩٠٨. والحرب العظمى ١٩١٤-١٩١٨. وفترة قيام التغيير في خريطة العالم ١٩١٩-١٩٢٥ بولادة عصبة الأمم أوّل هيئة دولية.

ولكل مرحلة من هذه المراحل الأربع أثرها الكبير في تطوير وتنامي الوعي القومي الكردي أو في ظهور "القضية الكردية" مشكّلةً من المشاكل القومية في العالم. وأغفلت عامداً الإشارة في الحاشية الى عدد كبير من المراجع التي اعتمدها.

٢- سألت صديقنا الأستاذ محسن دزّبي عمّا اذا كان يعرف شيئاً عن أهداف هذه المجموعة. فأفادني أنّ رغبتهم في إثبات أنفسهم كقوة سياسية ثالثة في الميدان كانت تدفعهم الى مراجعة تركيا ثم سورية لمساعدتهم (كذا!) في ضمّ ولاية الموصل الى أحدهما. فلم يجدوا منهما أيّ تجاوبٍ طبعاً.

مقتصراً على تلك التي قد تشير في القاريء الكثير الشكوك أو المنقّب المرتاب والدؤوب والمعقّب الزلاّت والسقطات، للتأكد مما هو حقيقة أو ما هو من وحي خيال. فالأصل الثقة. ولا أجد من بين قرآني من سيجشم عناء السفر الى دار الوثائق البريطانية بلندن مثلاً أو صرف الوقت الثمين وإنفاق المال الجزيل بحثاً عن صحة مصادري بقصد تخطئتي أو إظهار زيف لي في عرض الوقائع. واني لأنصح أولئك الذين يساورهم الشك في إستشهاداتي بدلاً من تكبد عناء التثبت من صحة مراجعي، أن يلقوا بكتابي هذا من النافذة. وأمّا عن آرائي التي ضمنتها الكتاب وهي مما يمكن وصفه بالتحدي والجرأة على قلتها فلي من سعة صدر القاريء الثقة والأمل في تقويمها وموازنتها بعيداً عن العاطفة وعن ماجرى منها مجرى مسلمات لا تقبل طعناً. ثمّ إنني لأدعيّ قطّ بالعصمة ولا بأني وضعت بين يدي القاريء بحثاً شاملاً جامعاً مانعاً. فكل ما أرجوه له من القراء هو أن يعدوه مجرد محاولة أوليّة لدراسة هذه الحقة الغامضة من تاريخ الكرد وكردستان أو تمهيداً لدراسة أوسع بكثير.

جرجيس فتح الله

صلاح الدين ٢٠٠٢/١/١

لله أكبر

سنة الفقيه

نينا نيبليقا له و عيس لفا ن لتس و رمد قيه مقا قيصمتا ريف بيثت ردا لها ن حري
 له قه لد ننا رمد ردمه دنا به لتنا ق بل لقتا تال لعا ق قيلدا ابا ب و ط ا مهتقنه تنلا
 و الخفة رامتة نه هب لسي

واله ا و ن لسه ريف رنمطا املفذا نينا ب لتنا نه رنقبس نل رنعا ريسلمتا و ه
 ريف له له لسا قلة له و لسه بقف هف ق لفا ه نه و ما تته يتدا رنا ا و ر س ل ف و ك و ر و
 و حرك نه و له بن لبط ريف ل رنم رما ريف الحن ا ه ل و قه لعا ريه مقا ريه ما قله و
 هتله ت دجه بقه و نلنا ل عبة (نالنتق و س ل ف رصتة تنلا ريتا و كلباا) شيلطان ا ر ا
 هلبيس ريف ن ا ل و قيقه

ردي ا ريه مقا ريه ما قله و رمد ٨٠٠٦١ و لعا ريف ريلمشعا ب كلقا ا بيثت ن ا
 ه لث نه ريلقتا ا و ل ل ن ا نه رنجه ق بيل ق ب ريه ما نه نلا ريلمشعا مسقا ريف
 ريه مقا ريف ريلسقتس ا م ن ر ل ن خ ا انه ن ريس ريلمشعا ا ل ل ل له و و ك ل ا ل ن ش ا
 رمد ر ن ا ا و (قله و شلا) ريس لفا ريه متسدا ب كلقا ا ل ا و ن ريه ريف . قه و لقا
 رمد له ل رعا ب كلقا ا انه رل ا ه قس و ن ا و ا . نالنه قيه و ر ا قيه مقا ق ل خ قيا
 قيه هال ر معشال ريه ما ر ن ب لسا ا ه و ق رمد لمتنه لننيعتس قيس لفا ن لتس و ر
 ريلخا ريف له تس و نه ن ا قله و ريه ن لتس و ر نه و ن ا انه ريف قيه مقا

و ل ا رينا ٦٠٠٦١ - ٨٠٠٦١ ريلمشعا ب كلقا ا ل و رعا ن ريلسقا ا ن ر ر قسا
 قيس قيصم ه ا ت ليه ه ت ه ل و رمتسدا ب لعا و ل ا و ق لونا ب ليمط ا ليد ن ل لسا
 ب كلقا ا ن ا نيه ريف . ه ل ل س ريلمشعا ر شيطا ه نفا . ن ريس و ن مينده له ل ل خ ا
 و لمد هيجمه و ل ليقب (ر قسا = ر ا لباا) و ا لجتا ق قبله هتليتف تلعتش ا ريس لفا
 و ك ل ا مهيين ل و ر قعيشا

ريس لسا ر لغلعتا رسيما ل هيبس ن ل (قله و شلا) قيه متسدا ا ر مئا : ا مالا
 (٢) ريل لقا ن لالا تيبا و ل ا و ق ل ا ا ق ل ا ل ل ل و ر ا ل ش ف . ريلغا ريه ل ل خ ا ا
 رلقتا ل ر ا ل ل س ت ا ا و ق ل ا ب ا ل س ا ق ل ل ل ر شيطا ا ل مة و مهسقا
 و ل L

ل L
 ريل L

ببسیه . بناسخا قیلجی ریغ مهوته اشغ مهعمه و لاطا د کافه نه نه مه حره قیلد لبقا
 رجا راه میغه . هنلیکد نانه ا ریغ لشعا رسیئا انه نبعیله آییشا قیلجا ریغ رقیبختا
 لبیو لهیغ رمعتا رسیئا نانه ریغ قه ماطا ، منج راهیو قهلسا قهوج امل و المله کما
 ماطا رله قیلد لشعا قهلسا رل لکفا ریغ مکتله آییشا . گمکتق گالقتد ا لبسه
 ویشته ریغ مفا شنته هممه قهله هیله متحقتق دعاه قدها رلیقا سفیعنا
 آییشا دلباا لهوه و نیرفله ا نیر لهنله ریقتتق ، لکتق بهنتق نللسا ریغ بدیا
 نه قنه آ له اساع لهمنغ قنیدا نه ریختا م ، مهنیب مسفا قنیدا ماله نیرله
 قه ماطا ، منج بیقته .

رله مفا مقلد ملاحی له رقیب له مند لیه منجه لقله رل لبقا ، نه مقلته آییشا
 . هیغ بسعه رسیئا انه رانغ قیلد لبقا لهیغ مفا ریغ رلختا راه له ا لهنللس نه نط
 تاه ققبل نلمعی کاه لیلحه لیا ا لمره نلمغی رل لبقا د لمدن نلا قهحتقه قملار
 رله ن مسقیا امل مفا رله . ده ممل ماطا ملسه د اراه رله . قله شته و ملسه
 ریغ راله کاه ا مده له مند ریغ د امد فقعه امفه نلانا . رسیلسا نللا ره ا لشتا
 قیه رل مفا نه مده رل ملسه ریغ مده له شته مده همنس نقسه هیسه ا فی کله له
 نه رلختا ریغ مهتیب رجا ریغ ا قلیب ا قیلد ملسا قله رجا ن ملبی قیبر
 نلانا رل شعا د لسه و نیرد لقه کما نه ممدب و لاطا و کاهما لهیغ قده له قده مده
 نلله نه لیه لقه لقه لهیغ ا قیلد رل لبقا د لمدن سفا ن ا لریغتسه نری ما
 رید لسا مفا « گلمف لیکمش لهتیفتق ریغ بفری مهنغی نلا رب (نیمخا) نجللا
 بیغ قده لسه ران رله نالرشا قلیبیه نه قیغ ریغ ریغ ملبعا رسیئ (ملمس) لدا
 ولسل رجا اما انه هله لره ، نالنه (نیمخا) نجللا رله د لختا ریغ ماله نلله مده
 (رلملس) (ریغ) نلج قیفتق ریغ نلانا ملسه . هیبا (ریغ) قیملله
 لدا ملسه ریغ قله لکلا سف لندا نالرشا ریغ مفا لهسفا رلملس قنط تمقتان
 » .⁽³⁾ لهقعه لهیغه

رله نلا رب . لیهه ا لریغند ا ممش نلجی (ت ل لمخا) انه نه لهه نری ما

David M. Brown: A History of the Kurds - ۷۶۶۱ - تاریخ و جغرافیه - ۱۱۱ و ۱۰۱ رجا راه اندله بیغی - ۳
 Modern History of The Kurds

سلسلہٴ ریلد نیفلکہلہٴ کایما تلیہکلسہ رحیلقتہ قیلصلہٴ اے اے کایا ریف قح لشلہٴ قسبہٴ ما
 نینانا نیدلٹلٹا نیدلسلفاٴ کایما نہ ریکلٹا ریف نہ ہیفی ریلہٴ کایا نل . ریبجیشا ریشمتا
 قتبعتہٴ ریف سفیما رلہٴ اے نیوہٴ قیلہٴ ثالنهٴ تنالہٴ لمل . لئخہٴ مہیلد قہٴ ریلٹا مہسرفہٴ
 سفہٴلہٴ . خرمیشاٴ رلہٴ بقاٴ - لسی نہ مہمٹکعہٴ قیلہٴ نانا ریلٹا بلصہٴ اے نہ مہایہٴ
 تالہٴ کایا نہ لہٴ نیدللحہٴ کایا بسلاہٴ نہ ریلقتتا مہ سفیما نللا رلہٴ کایا نلستشلا
 نہ مہیلصلصہٴ ریلد قعفتہٴ رلہٴ اے رلہٴ مہایہٴ ریلد لہٴ مہسرفہٴ ریتا رلہٴ اے
 تالہٴ لٹلٹا کایا نہ تالہٴ لہٴ مندہٴ لٹلٹہٴ . رلہٴ اے کایا لہٴ نہ ریتا قیلہٴ انغاٴ اے اے
 لہٴ نہ سفہٴ مہٴ رلہٴ نیدللحہٴ کایا - لصدناٴ - کایہٴ ریلہٴ مہسرفہٴ رلہٴ اے رلہٴ اے
 ثالذہٴ نلستہٴ ریف - کایما شعبہٴ ہجہٴ انلہٴ . مہسرفہٴ اے ہلہٴ اے لہٴ لہٴ لہٴ لہٴ لہٴ
 (۵) ریلہٴ مہٴ لٹلٹا ریلد ریلہٴ کایا ریلد لٹلٹا کایا - ریلد لٹلٹا کایا ریلد لٹلٹا کایا ریلد

نلنا نلناٴ قیلہٴ . قیلہٴ قیلہٴ مہسرفہٴ ریلد مہسرفہٴ ریلد مہسرفہٴ ریلد مہسرفہٴ ریلد
 نلستہٴ ریلد لہٴ اے ریلد ریلد مہسرفہٴ ریلد مہسرفہٴ ریلد مہسرفہٴ ریلد مہسرفہٴ ریلد
 نلستہٴ ریلد لہٴ اے ریلد ریلد مہسرفہٴ ریلد مہسرفہٴ ریلد مہسرفہٴ ریلد مہسرفہٴ ریلد

* * * * *

ریتسداٴ لگاٴ مہسرفہٴ اے مہسرفہٴ ۷۰۶۱ ریلد مہسرفہٴ ریلد مہسرفہٴ ریلد مہسرفہٴ ریلد
 ریلد کایا مہسرفہٴ تیلہٴ مہسرفہٴ ریلد مہسرفہٴ ریلد مہسرفہٴ ریلد مہسرفہٴ ریلد مہسرفہٴ ریلد
 ریلد مہسرفہٴ ریلد مہسرفہٴ ریلد مہسرفہٴ ریلد مہسرفہٴ ریلد مہسرفہٴ ریلد مہسرفہٴ ریلد
 (مہسرفہٴ ریلد مہسرفہٴ ریلد مہسرفہٴ ریلد مہسرفہٴ ریلد مہسرفہٴ ریلد مہسرفہٴ ریلد مہسرفہٴ ریلد
 مہسرفہٴ ریلد مہسرفہٴ ریلد مہسرفہٴ ریلد مہسرفہٴ ریلد مہسرفہٴ ریلد مہسرفہٴ ریلد مہسرفہٴ ریلد
 نینانا نیدللحہٴ ریلد ریلد لٹلٹا کایا ریلد لٹلٹا کایا ریلد لٹلٹا کایا ریلد لٹلٹا کایا
 ریلد لٹلٹا کایا ریلد لٹلٹا کایا ریلد لٹلٹا کایا ریلد لٹلٹا کایا ریلد لٹلٹا کایا ریلد
 لٹلٹا کایا ریلد لٹلٹا کایا ریلد لٹلٹا کایا ریلد لٹلٹا کایا ریلد لٹلٹا کایا ریلد لٹلٹا کایا
 ریلد لٹلٹا کایا ریلد لٹلٹا کایا ریلد لٹلٹا کایا ریلد لٹلٹا کایا ریلد لٹلٹا کایا ریلد لٹلٹا کایا

تالہٴ لٹلٹا کایا ریلد لٹلٹا کایا ریلد لٹلٹا کایا ریلد لٹلٹا کایا ریلد لٹلٹا کایا ریلد لٹلٹا کایا
 ریلد لٹلٹا کایا ریلد لٹلٹا کایا ریلد لٹلٹا کایا ریلد لٹلٹا کایا ریلد لٹلٹا کایا ریلد لٹلٹا کایا
 ریلد لٹلٹا کایا ریلد لٹلٹا کایا ریلد لٹلٹا کایا ریلد لٹلٹا کایا ریلد لٹلٹا کایا ریلد لٹلٹا کایا

ألرشيء لهلتحيس هنا في كل له رية في المشعا

رله بلحيسه ، قيا امل الالبقا قين المشعات امقاا تنال رتته رة كما انمنا لهش = له
تقأ مة . تشهسه هاليع باه منليه لهمنكب لهالمش هيسه أ ريش نه قيبيل تلله
لهتلذء مة في كل له رية رية

رياصب قنعه بيضا قالمسضه بفأل في كل له تلذء ريتا قيه للحنات امقاا مد رية
له رتته لهيفه في المشعات امقاا مذلة يقتسأ نأ لهه . قيه رما بالمشعا نلسه نه لهفغه
رسياه نلللسا قيبعتا له قه للعال ن كما نيندي مهأل مه ل ا لانه هيا بالمشعا دلسه
هلشلا .

رية قيه للحنات امقاا رقبه ما - ؤلهه ن كما له لذء ريتا ههه نليه كما نه ميش ريه
قيسه له ملبدات اليدلهتا له معنعا دعب رية . كليله ريه كما رله لندا أ قيه رما نللا
نه رتته لنتلا قيه رما بالمشعا دلسه ليل للقله هلمسياه قلهله رية له لهه رفلختا
بيجهتبه ، قيتحتا قيه لهحتة يا قينبال له مدا نيعه مه ليلعا قسلا رله نه مد لهكله
بههنا له بلسا المداه ريقا له انا ريكلا ريسقا نيه كلفا

لقد رله دلمدنا وه (رلهه ما - نه) قيه له ا قين المشعات ا ليقا رقتة لليه أ
لعتة تنال لمشه له لة ، قه بلقه رايهه د لقا د لحن كما رية ريتا رة امقاا قيه قفقه
قسلقا نله كما رما رسيقا ريجي ا رة اقة سيس قيه قيه قين لتهه رما بهنجا رالبه
رما ت الذا يا رالس ا هله رله نه قين المشعا له لبسنا رلههه . د كليله سفجنا ريه
لهسب نيه له له اة ن هله قيبه مهأل هله ريه كما قه ا نه رسيقا مه بالحن
لهملا مه لنعاه رما رله له بلحيس

*** *** ***

قمتف رالنه ريه د لحن كما لثله هيسهه أ نه قين المشعات امقاا ريه رله قمتف تيه
زبا نأ كما . له لنعاه ريه رة نملته نلا لهيفه (نمنجأ) قنبل تنال قيه قيسلا قيه
هله ريه قيه ل نمنجأ ريه رجة قيا المشا قيس لقا نلتهه ريه هلهه مشلا قيه مشا لهلشن
رالبه بل بقللا نله ريه رية رية رله قسه لفتنا تمجأ ٧٠٦١ اة ههش ريه . ريهه
رله قفعا قيه رما رالبقا نلعتنا رينا نله تنه هيفه قيه رله ريهه

تميلقد قبيجيت استس قبيمهأ ءة ءو مشه مهه (وييلظا رجا امث ءالمغ رجا نيبا نمه دييطا
ألثيئه هب رلمعا ريجي نلا

لوبالقتا نايوه رجا قجهللا ءديلدش ءولجته إ قءلذب ليسه ءتثعب تالذاب تة قما انه ريف
نمعدني نيدنا نلا لآا تمهتة ءه بطا رجد ليلية نمه قيه رجا تال لغا سفة رجد رلمعا
نمه ألد ء نلا (11) رلمعدن لآا رقة قلمس تلخه ببسب تال لغا ميلختا رجا نيبا لمتعا
رلمد ريدل ء ليقا نمه ءلتا قينا رجا قه رط ا نمجء ببسب قبالجتس إ رقتة قلد ت لءلجته إ
رلالبقا ء لسف ء بييل ءولجنه ءمختست له لؤه قين لمتعا ليامناب دي لآا لهلمد وه ءو ءل
ريج مشآ ء تء له ملقة نلا نمه لمعا رجا «قين لمتعا» ردمه ء تبه ء رل قيه رجا
بيشبتا ت لثعب هب تبينه ريدنا رجتلا رلشفنا بلقد أ ريف رسه ما قسفة لذب لهيما هييه ء
مه لمدن ء كء بسب لميسا مهو لءله له لمته إ تء ءه . قيسه ما قيسه ءمش لآا

رءمندا ء ءرءا ء شه له نمه ءرءا ءلقة ريف امجء لئه لمة لمد نيبا لمتعا نأ رجد
ءتشه رس رقله نمه ريف ءه ءنجا رجه . لنيه ريلمتعا قفيلظا قلملس ءلءتء كابل رجا لءءه
قنسا رله أ نمه مه لبتءل نلللسا مهتيعب 7061 ءلعا ريب ريف نمعدني مه لنمعه
هذب ريف رللبقا تءمة ءه . تشه رس رالءتء كات ءمة رالسا إ قيلتتا ت ءمقا لءل نمه نيبالء
رلمعا نيد رجد هيلمه ءه ءنش

نمينا لمتعا له نمختي رجتا قيلمعا ت ءءءءا نمه رءله ءو نمه رسه ما ءمسي رقلقا نلا
نيفة لءا بسحن له لءتء رجتا لءل ءه ءيه ءه بطا قيه رجا ءءءا «قنمشء» رلببس ريف
نم له ليلمءه ء لسف ما ت ءءءه كء بييفء قءه لءمه ت ءءءءه ءه ء لسف ما رجد رجنال لآا ريب نيمه
مه بسبب رءلءا ريف لين لءيب رلمءنقء مه لءلقة بين لقتء تلغه لءه . مه ءسعه رجا رسه ما
لءلءه لءلؤه . ءمقالب ءمقا قهءءمه نمه ءلتا نايوه قهءءه نمجء ءي لءبه مه الءا لءظا

Andrei Lopanskiy: 181/1961. ٢٢٢١. ٢٢٢١. لء. لياس ء ليسه : رءسفة قنمءس ءمقالب ما رءلءنا 11-
رلمحنقا بءل نأ . (181/1961) رءسفة قنمءس ءمقالب ما رءلءنا 11- رلمحنقا بءل نأ .
نابا رقبه نمه هلمء رقه رجا لءءل رلقه نء رجا قلمس ءلقة (رسيدنا) رلمءا ريف رءلءلآا
رلمءا رجا رسا لءءسء لءسء لءسء نلا رءلءلآا انه نأ نيمه رسه ما رلمحنقا لءقءيه
نأ لءيأ (نيمه) ءلؤه . نالءلآا لءسءه قين لمتعا قنمءسعا ت ليلمعا ببسب قبة لء لءسءه
رءلءلآا انه ريف نالءلءه نأ . لءسءه رءلءلآا رلمحنقا رءي ريدنا ريسنقا رلمحنقا هليله :
[قنمءسعا ريف تءشه ببسب هءه هءه لمعه سفن لءلآا هءه لمءسعا ريدنا

نارهت تامله ما ریخسعاا رختتال قبلقلنا قهولنا نه لهولخنا قینلمشعاعاتا لیتقا
لهخسعه رجا مهوج تناه له اءه ملط اهدء وخرال رجد لهتلخیس لحسب

تلخیسال لحسب ریفة قینه لخرال قیلطامه ولسیء مجوه . وخرال دیب قخللسا فریفة ریقب انوهی
فرلخال انه رجا قینه لجره : کاه تالقتنالی قوه لجدال رقله لنلء : لحنما انه نه فریفة له رجد رل
ءانآ ریفة هییهء ا قنیده رجد لسطا : لقلالی لگشه ریجلرشاا هلمسء لیهة لههولءه اء . ثانءه اء
وخرال نینلمشعاعه له اء رسو ما قینه رجا رءه اء لالستشال نه طلاء کلت لهء ۲۰۲۱
لحقف نیرهوش دعب قنیدلا نه ببقال دمهولءه

مهولءه اءه اءه اءیلخه انیزعة قینلمشعاعا مهولءه رسو ما انءه و لعاا طلاء قیلهن ریفة
۲۰۲۱-۷-۵۰ ریفة نینلمشعاعا نلا له طالنه مهول نه فریفة نأ رجد هنعاءه اءه

قیلمه قینغب فریفتشه رلمء» رجد لینلخیده لیسوء تقفتا ۱۱۲۱ راهما نینل ریفة
ءه ملط اءه لیتا) بفره له رجد لمهوعیهة مهء . «ققللنا ریفة قیلجتا لمهولءه
رجا لهولءه بحسب لیلتا ریخانذا بللبه هءا رجد لیسوء تهملقته (قینلرلکا - قیللتا
اهولالی ما نینلمشعاعا نأ کال . ۵۰۲۱ و لعاا ریفة و ملط انه لهولتخه تنل ریخانءه اءه
دجاملتا : لهول رجد نه له و نهو (ریهه) ریفة قیلبلت اءه دشه رجا لیسوء تللمعه
تسشتا له دعه . ۲۱۲۱ راهما نیرشته ریفة بللمس لکا اءه اءه لیتا نلرا . ریلمشعاعا
وخرال مهولءه له نه نینلمشعاعا نلا ریخانءه وخرال مهولءه لکا تلغشول قیسو ما تلماقا
ققیفة نه دینءه کال ریفه ءهقا هله نأ وءه اءه ریفة . فرکله لهه هییهءه اءه رسلملس ریفة لهولملغشیا
ریفة ریقب لهولفحنه قیقیهة تلخیسء لءه انءه ءهولءه تنل (لبلقءه ری دنجءه لکا ءهشءه)
(ریهه) نیر قعساء ققللنه ریفة تللیه له رلرش رجد رشنا هءه کال سفحنال نه لچیلنءه اءه
لهول اءه لیهة قتلعتس لکا وخرال : لسه ما قالمتس ل رجا رسو ما لکسءه لکنا (فرکله لهه) و
ییلءه اءه رءه دءه . لیلعه مهولءه نه نیسءه رجا اءهملءه نینلنا لئلءه کال لمیسءه مهولءه
نه لمیسءه نینلءه مهولءه هءه : انءه مهولءه لسل لیسءه لءه اءه مهولءه لهه : لقا مهولءه نه
انهءه . قینلءه اءه مهولءه قینفءه تلکس رجد ریقبیه نینلمشعاعا : کال مال مهولءه نینلءه
لالرشاا قیلال بلقنه رجد ته له نال هءه لئتس ل قینغب هلمسءه لیلءه له لیلءه لیلءه
لحنوءه لحقف نیرتنس دعب نجلءه هولءه رسو ما بلقیال رءه اءه نه هیسه لنه رجد هءه لهولتسءه
للیتال رجا

زینا ریعنا

بینه . قییمطا تالیلاکلااه نییءلکلا بالقناہ " قینلمثعا " نلتسءح
دلخپلاہ قییمطا ہہوہفہ . ریہوناہ نلضیب لتسا . یقبتاہ ءلخلا
قبالصلا . لیخرتہ یف قییمطا ہہوہفہ . قییمطا تالییمطا
قییمطہ کلاب .

رمد تبأء وکلمکلا قلم یف قفقثہ قییمطا لیعضش تلمش نبقا انه وتنتفہ یف
رما ، قلملعا قینلمثعا قییمطہ لیبہ یلا ولسء ا یف بییغتتا رما ءلہا یسلسا رلمعا
لہ یف قینہ ا ما قییمطا قیلتا : ریمٹا قینلمثعا تلیہمقا بناب

یحمما نلا . مالقتسلا مالکھفلا یف ہرفی اء اءا تلیہمقا نلا نہ رءا نری ما
نہ شیلما نلہ مء نری ما تقما ن ا ہلیہ . قینلمثعا لالب اءمہ یف مفا
مالقتسلا ہلوب رلمعا ا مالقتسلا

نہ نیفقتلا نیہ مزلتتاہ بلمجتا نہ ونا ءمہ یف لہہ بلخنا تنفلا یقنا قلملعا
ءالندا یف قلمتہ قییمطا نلہ رلب . قلمساہ قیلللبہ للسء ا یف یما نیہ نلا نللس
نلا ملقہ . نلتسءح نہ یسلفا بنابلا یف ہلندج لہ ہالختہ قلملہ نلتہ وکلمکلا
نلسءح یف وکلمکلا رملعا رملعا رما ہہوہفہ نلہ ہلشعا للسءح
بہ لجا ا قلملح نیہ نلعا نلا رمالہ ا تلبغا نلما . ہلباب رما قییمطا تلعقما
رلبقا ومجتلاہ سفیما ہند

ء کلمہ قییمطا قلمشا رلمجہ رسیساہ لجا نیہ یقنا نہ ہلما ءلعا نلما
ہوللرہب اہمقا اہنا ا . ہا نلمسہ لسیف لہلشناہ قیلللبہ نہ نیہ کلمکلا
ریمفختا قییمطا رمد ہوللیعمجہ

قییمطا تلممجمہ مء نلا نینسا نہ نیلمقہ ا ملقہ ہلبہ لریہ . نبقا وتنتفہ یف
قییمطہ لیبہ یلا قلملح یف لیبسا ، قییمطا تلممجمہ لہنیہ . لفظا یف رلمعا قییمطہ

أله المعني ما نإ - رجى لظا رلضمتاب أرفى رنخمتيس ريذنا يذالنا ملامل قبائلها رجا
رلضد نأ نأ قينللا قينيل لتا ب لجتا نيه املمد بقع . قينلله كالا قمصفا رلمد ب سخلا
بالحفا كإا ءة لظا كإا رقيله نيه له إ قينله ليه كإا نيه رنأ أة لسه ءة ليه هيقعي رجي ليه
رلضد نأ نيه ءله أ رجه ، قللله ءلسها ءنسها ء ليل لعل ءة لسه رجه ءلته
رلمد ء لسحقا اءرة رتمه ءة لسخلا ءة مئال رلمد ء لسحقا ريف نيه لءة كإا رلله نأ له
ء امسب ء امس قيه مقالا ءة قلخه لعل ءة أ قبال بيلا سلععا نيه ءة لءة ملامل قنل لعل ءة

تالار لعلقا

بهنجه ريفه قيههقا ريبا. ريخزيبا عييس وريشانا قلساله
ليلتانا وينغا قيههقا لالهلا. ينمولا ريخزا بلقتانا. نلتسه
لخلصه. ينانزلبا هكلسا عيد وريشانا هليه. غينينا رس اعلاه
ريسها لاعتاه رشتقي سلب.

ريتنا ريصه ما هيدنا قيههقا قيههقا لقا قيق لقا خيش - ريخزيبا عييس وريشانا
ه لقتانا رله قيههقا نلد. بيمط الببد ن لللسا لقيده ن لا ققلندا ريفه آ مدغ نيا
ن لللسا ققلند بديخه رمتسدا شعو مغل ن له بديلا.

نبا د لفتا بيجتسا ه لده ن ا ه لفه مدي ن لللسا مند قيلقا ريقا مة وريشانا ن لا
غحتتا رقه هامي ريعا بلبا نه ريخيفت اء نه ن لا هئا ريقه. رلخفنا ن لللسا
قمة اء ن ا مة. قينللسا ريه ا بلسه رله ريخا لقا ا قيصه رالا ريبلا ريه لم
ريفه لها تنخا مة تنلا ريتا رلبا ا قيديشا قليبقا ثلث (دئمموا) هتا لحد اء ريبه
شا مده قينللسا نيب نيه لسلا رفا مقا بون ريبا قنمخلا قنولا نه نا نه نيه
رغفنا نه لولمغ قيههقا⁽¹⁾.

وقيه. مشد وسلتا ن قالا ريه ا ريفه نلتسه رل ن له هونيلمة و عئا ريصه قيههقا تنمخا -
مقتسا مئا مة ا ا ميه ريفه لته لقا موهلا ريخا ليلتا رله ا ا. دئمموا قليبقة رله ريبته ا
نه هيسسته قيههقا اء مئا اء مة ولقه نيبه لمشعا مده ن لا. ليبيا رجا موهلقة رله ريبا
يبلا نه ريه ريبه هتا ريخفنا قمشلا قملقا رسا رله قليبقا هنه تنلا. رنلسه بدلته
قيللمش ريبه رالس ا ا قديعا لولتا مة قلسا تنلا. قينللسا ريه رلخقة ريتا رلبا
(مليه رينه) بلتا ريفه نلا ريبه هتا. قليخه مئا مة نيه لقا بلقا ريفه رنمئا تنلا قيبه
رها) هتا قيبه لنتمجة رسا اء اء تيشنا ريتا (قيههقا مئا مة: نلتسه رل بونه) مسملا
لهقمه ريفه قينللمشعا رشمي ا تنمخا ريتا ريخا ۶۸۱. رعا قنلقتنا لميسا (۵۵-۲۵).
قمه رجا رلخقا مئا مة ا ا قيههقا ريفه نلا رله لقا مئا مة قيههقا رله بلتا الله محتا
لهعنة ريبه قيههقا قيههقا قيههقا مئا مة ريفه. لونه مئا مة ريبا رجا مئا مة ريبا

نسبه هتريتا ديميس خريششا نيلدا "سفيلختي رسنلا" قويلمعي نيز، لختاكا ه لية نه لغفختي
 نيتنس راكله امقلختا ليه امانلا نييلدا ملتيمها نه قويمشته ويجيششت "فلحلا رمتسدا"

نييفنلا ركله سفله هيغه. قياطلا ليبيا قمصلد بيغاا رسلا لمخ قيين لتات لاه ملخضا اء =
 ركله هتا ليبيا رجاا ملتيمهاا رليحة نانا منه ولفتسيه قيسه كالا نه قولد ركله رقاله نسمختي اء لكا
 قيسنلا قوليغه انه ليبيا ملخي ريقا رجاا اما انه بيغاا رسلا لمخ ريف (لشلا مسال دمعا) قياكا ملود
 رامبتسا انه ركله رقتا ريدنا مه هتا رقاله ما نه ملختي . (٢٦٨١ - ٢٨٨١) هئاكه قيقو رجاا
 رامبتسا همتق نا ركله "٢٠٠٦ و ٠٠١ نيز رايقت قيرعي ساا نيلا هتا، الاعتسا لنييه، قيلمعاا
 بهله رقلعي . "رلا كالا ركله رجاا كالا تنساا ريف قدا نلا قيه كالا رينباا قيه هتا نه لها ريلوله هيلقتي
 رسنيتا - ليبيا ريك . ب لخللا قيرع اناا) ليبيا ريف ، ههياا نيلا هتا رجاا هيهعاا ريشلا ب لخل
 ريفناا رلاش نيلا هتاا قلايه تلختا اء الهوي": (ميسو هلاا ليد رفلخصه سفياا نه ٥٦ ر، ٥٧٦١
 "المتدا قاه لخللا تنالا انباا ، قيبليجا لوتعييله مه كليا هويص مه هيد قياكلعي نه ريفعه اء لكا
 اء هتا تلس اء لشلا مسال دمعا تله رقتي ركله قياا لمشعاا قيه رلا تققا . "اله اء لملك ههليلد
 قاه نا ركله قويلختي نييلدا رجاا لسا ناا رنجعي هونه رسلا لمخ رجاا قياا ملتيمهاا رسناا نه
 قيه ميسو تلس اء لملخ . رجاا رامبتسا لكا ركله ركله هيهنا ققلخنه ريف هوي تلقتي اء لمتا تنالا
 هتنه ركله تنخت رسلا لمخ قيه ميسو نا اء لكا . بنخت كالا ريلجاا ريف ههنيلا هتا رنجعي رنجعي رجاا رنجعا
 تلمهتا نا اء لمتا رنجعي كالا قه كلفا همتقا (تيسا) ققلخنه ريف لونيلا هتا نه قياا كالا قيه ركله
 لونه قديلا اء لسيحلا قيه كالا رايه كالا رنجعي رينباا نه لوه نيلا رلا هيلقتي قياا كالا قيه ركله
 رامب ههنيلا رنجعي . ليه هتا رنجعي كالا اء لمتا نه ريف لالا ركله رنجعي قزلش رشي رنجعي هتا
 ت ايقال هونه باءعا رلا رجاا رنجعي . رجاا كالا (لشلا مسال دمعا) ركله - رجاا ناا ريشلا
 قيقو ههنيلا رقتا لملخ . قيبيللا رجاا اء لمتا ريف قياا لمتعاا نفساا ريف قياا هتاا قيه لكانا
 بنخت نا رجاا رجاا هتا لء اء لسيحلا هتا رجاا اء لمتا اء لمتا ههنيلا . نه كالا نا ناا
 هتا رلا رلا قديلا اء لسيحلا رنجعي نييلدا رنجعي كالا هتا كاله ركله ريف ههنيلا لعله ، هتا ركله رجاا
 نه ريف رلا ، قدا ناا ركله ههنيلا ريف نه لمتعي نييلدا نيزه كالا نه تسيات تيسا قدا لمخ نا": هتا ريف
 قيه لمتعي كالا تلس لملخ هه لكاا نه هتا به لسيحله رلا رنجعي اء لقتناا ت همتا رجاا رلا لبقاا
 قلا ريلكا كالا ههنيلا هتا كاله رسناا هتا . "قنييه رنجعي رلا رلا لكاا لاليتي كالا اء هتا لونه لوب ققلختا
 اء لقا ليد . رلا تلس ليد . ن لسيحلا لدا لمصه اء ليقا" ههنيلا رنجعي هتا نه اء لمتا لوب رلا رلا
 رلا رلا هتا ههنيلا ريدناا هتا - رلا تلس رنجعي . رجاا ريسه رلا رلا رفلخصه . ركله نيسه . رجاا نيسه
 كالا . لقيش ههنيلا نييلخته بيها رجاا (هتا نه ريسه لملخ قياا اء لمتا ن لمتعاا قياا هتا اء لمتا ريف
 رلا رلا ههنيلا ت اء لمتا ههنيلا تنختي . لانا رلا رلا هتا لياا ت اء لمتا ههنيلا اء قياا هتا اء لمتا نا
 ليا ريف لقا اء لمتا . ١٦١ . اء لمتا نه تلعتا ريدنا ٦١ ريف ههنيلا هتا اء لمتا هتا . رجاا نيسه ههنيلا
 ٦٦٨١ اء لمتا ريف لمتيلا هتا اء لمتا رنجعي اء لمتا رنجعي اء لمتا رنجعي هتا هتا نه ريش . رجاا اء لمتا
 = لونه ههنيلا رجاا اء لمتا قيه ركله هتا ركله رنجعي . هتا كالا اء لمتا ققلختا رلا رلا رجاا

مساكنه لويه تدا . فبلخه هيه رقاع ، رينه ا - رده ع بقومه بلقد رلد قاه مدا رسلمجه
نه ، كما نيب قه كلعاء رجا لويه رقلحة له مند مهال رقله ا هنا كما مهو لبه ملسقه نيبه لخله
راله ن ا رده ع ترا هبعش نيبه :

رصح ا كما نلك مهوا ميعن ا لنيلد . قه مزل نه ، كما وه رشيعن ا لنيلد
قدهمقة رلد لعه رلمعنه . مدعي لوهة لعتسا امتة ما رصتاه لوه نه مددي رصتا
" نيبه كما نيبه لمشعا لنانه ا وه لخله ا وه لخله ا مه لفتنا

نيلحلما ، لمدنا وه قنه ت لدمتجا بلقد هنا ا رده ع

للمبتسا رجا هه مه راله رلقتداه

لوهجه ومنتجيه . هه قاه رالعه رلحم ليدي (ريس مه مديس) مه ١٢١٠ هه لعا سفيده رده
هه كما مبدل رده قلعيطا بناله انلخته مهويه بلخه مهويا ثلخه لهيملعتنه قنيلدا
مهه لة كنه رده رلد هه صها رلد ع ترا ركه له مند نيبه لخله ا :

ملخد ا نه رده هه صها . ثلختلا رسيه نه ، كما ع رلا ع معة نلستس رده
ثللتا قه نللا قعيللها رله كما هه هه ا ببطا . مصلدا تقها رده هه لولا
رلد له هه رلثة لنتده ن ا نيملسلا بيده نلقة نلحملا نل هنا . هه صها
" رة لقشاه يقفاه رلوطا : قنل رصاه ا

*** * * *

للا كا لشتن ا ليده له لجة نلستس رالعه مهوتيا لعه ع ترا نيبه مقالا له لشنا نلخت ا
تتلوه . قنلحشاه ت ا لقللا نه لنعف ت لدمبللها ل ا لجا آيس لههية رصتا قيه مقا
رسالجملا رده لاه كما ا لسه ريس لسياسا رده مقا وبللها ت ا نه لسن كما ت لعه لشنا
قنيللها ويناهلنا نه مصلدا ت لدمتجا لاه

بعش رده قنيلده هه بلخه للاف ا رده رلد رلمعة ا نلليلد ريسيا هه كمال نلحي هه
بيده قنلحه لنتلا قفلتخلدا ت ا لمتجا ل ت ا كما هه نه لنتشا هتقنه وه ، قنيله كما هه لسه
قنلنا له لخله . لقللحه قنيله نلحت هه ع ترا نيبه مقا لوهجه رصتا بدللها . قنيللسا
ثللحه رلد رلنا رجه له مدا رقيه مدمحه رله ا لنقيدس هه لاه . قنيلده هه مدا نه
لهيملست رجا نه مدمعي قنيسا ت لدمبللها مهوللحه ت نل نينا نلثاه ا رعه ن ا قنلثا
كمد انه نل رالمقيا نل ملسيه . مهو قنلشها نه لفه هه مهه كما ا ليدلن قنللسلا

لصفه يجه مقارن معشا رجا لقتف ايا ت اننا به مشعبه نلا لبي و ا لجران ا ليه ليتد ا رخي صحتا نه لدمنا رجه مقارن لقطا ريف ل لشنا نوي لفة د كاهه رنعب ن ا هيفه نلشكا قيه كلسا قارمانا ن لللسا تفيلظا رجا . قيه شاشا قلسا نك قيا ليظا ق لظا ق

لا لرتا رجا له قيله تنقشه . لعجتنه لها قيه مقارن لفة كما تدوم بقفه هلا انه وه قو ملظا ميلند راحة مه امراء . لهو ميش نه د ليرة ا نيدانسه تيقا قيه صعات لال لير نه دلسا يتا ل لفة كما د ا كما ريف ن صلا هت ملظو . رجه كما رجه مقارن رجه ما خير ل ريف قملد لة كاهبه رقتنه مه كما قيه ما قغييه ةلد نك ل لرتا ت له لقتلظا ذلك ويلعب ة مسله نيه متحدا نيدان راجر د لملعا ه ا م ا نه رنختا يتا نللك . نيتيت ريف قيبسنا قمصعا نللك انه رلد ع . له لقه لقله لول صا ب مشة قبالشكا ملعا قف ردا قلسا رضلا نه نه له ريف له لعجيه قيا تلا رخي شاشا رنيديا ويلعا له صني ريتا له تقفه كله .

نبييه مه مهملظعه لنجم . قيا كما قبعنا هجم ا نه له له لوجي نملثي ققبلح رخي شاشا نير صخا و كما نه قن لباا ت ليه صخشا ا د لهجم ما رسجي مهوتيه مقا نيه سمصته ريف ن مفقي قسا بدالو ةديقعال مهو ، قيا كما هيه لمط ل تقيقه قلد رلد مهو . نير يتتا وميا مه مند ريه . قيا يظا قيا لملعا قارمانا نك قيا سيلقتا قيه كلسا قارمانا نك ولف نلا لمل رايبتسا ريف د لجا ل ل لول ن مقشا كا مه وميال د ، " نلا ن رجا قه مره " وكلسا كما و كما رخي ن لللسا انه نلا . مهويلد قمصقا ريف ل بيبس ديمط البد ن لللسا ريف قيا لباا نه مهسفا ا معنه نلانا . رجا لثا ن لللسا قفيلظا مه لخب مهو قفلعي . ليني و ليسي ديلجا ل لقا رين لعه رة مند

مهنا كما . قيا كما قيه مقارن صخقا ردم ، رلد ن مفلعي انا رخي شاشا قيبلا ن ا وه رلد ة ا لجا مهسفا ريف ا لجي هاء . له ل لدا ل لها ن ماري ل ب هجلا نيدعتسه انا ماري هاء قما نه قجي ، رلد مهسفا ا هجم نيدان نلثا ا ل لخي ، مه دلشه ققيقص له ل رجه ما شتا ريف ريند رالحش قمه لسلا نك رجا نبييه مقلا مهو دانس نه بيبتلا قن لخطا نلا لدا قمصقا هيدا لجي كا رة آ رقيه مهبال رجا . ركله كما بللج رجه مقارن امل د كاهه . سفناب قيله لخطا ا ملد رنخه ، نلظا بنال هنتا ه دلشه نه رلسه كالا قيه مقارن قمدلا له لخب مهويلد رة لمد ا ريف ن هله لير ن صحتي

رحف رلد لهولللس قتيه مقالا د اكلما نمفا نم سبعتلا لالته هه نم ن ان زير له بيخه
رِف رلامشعانا للپاء رچالعا بلبا رچا لوب شع رچتتا قتيه باا نلكه ديسالسا رچيشا
رچيشا قه لدرن لنيلوب هيله رِف رچيشا هه رچا د لسعا رچال لسچ نم همد رابنتسا
لوب شع ۸۰۶۱ بلكقا بيخ رچالرفيبا لمصحه رچيشا رچان لبا هه كلسالبد
قنلسا رچا لاهه نم نمعه هه.

له نمفا ردمه قتيه مقالا للافرا لغلغا رلد ربا مالليا لاسيا هه مقته قتيه باا هه
رچالعا نمفا نمفا نم البه قديع قتيه لد قيلب له لجه رِف رِف هه رچيشا رچا لهامحه هه
ههوعية لهه رچه لهه امذاع قفلندا نلكه رچالشعا د لسچ نم هه مشد قنعن ونا سفيل رچا
نبنثا رچا نبنه بنل رچا.

تغلا رچيشا تغلا نمفا نأ (رچا لالا) رچيه هه وسب بباللحا نلكه تلسمب ا
تغلا نمفا نأ (قنلسا). رضاه هه لسعا لاهه هه هقد رچالنا قنيخه رِف قيسما
د ادمه نمه لقما لقما لتغلي نأ (قنلسا). قنلسا تغلا بنل رچا هيلعتا تغا قدي رچا
نبا هه كلسا رچيل لاله (تعبالسا). قدي رچا تغلا نمفا نبنثا نيفله هه نمه رچاهنا
نوعي (قسه لالا). قتيه كلسا قتيه شا راسه لاقه رچالسا نأ بسجي هه كاله قاه هه
رچيلشا به نملا نمبستيا د لمد قدي رچا قفلندا هه رِف د لتف لاله د لسقا بسند
نيفله هه نمه رچف متست بناسخا (قسه لسا). رچا قنلسا ههعتي رچنا به نل هه
هه لاله كالا سفالي له لهنيو رچا بناسخا رچل هه لقفه قتيه شا هه لاله رچيلش
رچيل د المذال هه ليقا نم د لفق لاله رچل رچتتا بناسخا (تعبالسا). قتيه شا
قنلسا هه رچا قنيخه لاله رچلها قنلسا رچل رچنن نأ قنلسا هه ن
لهها لشل.

الس ل نيعه هه هه ليه نلسه رچ نم قعهه رچلنه رچا قتيه مقالا للافرا نمفا بيخه لا
رالنعا نلسه رچاله نيه ا هه رچونا له لقالبه رچيشا نم رچا هه قتيه باا هه نمه رچيش
رچيل رچالعا قتيه رچيه د لسقا د كاهه رچالسا لسچ بيخه نبال لسچ رچيش
رچيشا (۶) رچيشا نلدا بقده تسلسل رچتتا (قدي رچا).

نم قنلسا نلدا كاهه رچل نمفا رچا رچا لسا ليد رچيشا نأ هه قنلسا رچيه رچيل هه نلدا رچا -
هه رچا رچا نلنيوب قله لهه رچا قنلسا قنلسا لهه هه رچا نبنثا نيعه هه رچا لاله قتيه باا



زييدون الحسني في ان لبا ولسا ابيد زيشا

قبائله و السقف را اة مده و ا را القتسا اة عرفا ريمه له قيقبا انه يف نريها
 نل ريه قسغلاء .باللدا نللك يف ريمغلاء بنالجا رلد اسة انا انا .رياة اة املح
 قاننه قيقبا انه تاننا .ثاثة نلجان اة يف بلخا رسة رة و رلسا ا قيقبا قيرها
 بنه و مهت رعه نه دكاهه روه رعب لميسا اة مقابل هقصد بجم نل سعه و اة
 نل يف لك ٦٠٦١ يف (ة لخل اة اة اة) نل للسا

*** *** ***

ومعومه نل قسغلاء ثاثة نلجان اة رلقا نه رده اة اة مفناا ريمغلاء نل ليلغلاء اة لدا
 رسه اة قسلس و سه يف نل له .رجان اة نل ليلغلاء اة لدا قيقبا ليلسه نه اة لدا
 ردمش اة لدا اة لدا نل ليلغلاء اة لدا نل ليلغلاء اة لدا نل ليلغلاء اة لدا
 بسس رلد رلسا اة رلسه اة رلسه اة رلسه اة رلسه اة رلسه اة رلسه اة رلسه اة
 يف رلج اة لدا رل اة رلسه اة رلسه اة رلسه اة رلسه اة رلسه اة رلسه اة
 :لدا رلسه اة رلسه اة رلسه اة رلسه اة رلسه اة رلسه اة رلسه اة

٧٨ ر ٦٦٦١ رل اة . قيقبا اة لدا اة لدا اة لدا اة لدا اة لدا اة لدا اة لدا اة =

ليسه راليه قيه وخرارا راللبقا سفقلم وحناء ميلمخه - للعدا نالده كابل رسيا"
 رلد رامقال ندرين نلرا . قيسيه ما قيبيل يتا واملط رامله رلدو باملط رابطة
 ريف وخرارا ومة قجيتنا مهفقمه ريف رسوما مند ريهو بثلث ويرهو وومعا
 وفيد نل رينالمشعا مملط ا - مس . مهونه مهووقت كام لحه رما قبلجتسكيا
 . ليهي نلسخه ا رما - مهويه قيبيلما لة كلضه نهمضه نهمه لاهمه وخرارا
 نالزل خيش رلشه رلحه ما قفلعه نه - لسئي مهويلا ليل ملقه انه رلد - لنه
 قلد مدلنته ا دعو قيسيه ما رينال كما رما - ممللا رما بيض كابل ملخنا ريدنا
 نل ريشا 1/1 في لسعا وبي ريف . قيسيه ما قمدلما رابطة نل نل اوند
 نه ولسنلا رلكسكيا رقيقه نه مهسلي دعو رينال ا نالجا ملنمساها
 (3) "ليهي نه قلمعا بللعا مه وادعتسا ا دبا قينالمشعا قه مملط ا

ريخان لبنا ولسالميد خيشا قيه نه نل ريف . قيتفا انه ريف ريسوما واملط رملجتيه
 رسيلا ريف ولسلا نل ليحعا

قه مملط ا هتوهجا ريدو ميدن ملخه ا رومعا (ولسالميد) نالزل خيش نل ليل
 (1/1 - 1/1) قيتفا رلكه قينالمشعا

G. Bell: Review of the Civil Administration of Mesopotamia 1914-1920 London H.M. Stationery Office 1920 - 3
 قيس قعيل . 1/1 - 1/1 في ليه لاهي مسيه ريف قينلا قاه ايل رناعتسا . 1920

. لمدنا بيلا ولسلي ريد وخرارا رملعا مملط قلمجه ريف قيشا ما رلقه ريف نالجا نسه ريتلانا ويني
 قيه مملط ا ريف هه كاه ا و « لشل و مسمه » بمل كما ميدنا رخصشوه (و انجيا) نالجا رالبا
 = ريف نل ا ريل ا ريفيتا و لخلط ا قيعمجا لشل و مسمه له ليت ا . ريشعا نيقا و لقه ريف قيه وخرارا
 ودا نل نل لقا ولسعا انه ريف هاله لاه ريهونا و لقاليد خيشا ل هتق كد روممكلو رلامينتسا =
 بحية رما لهوچه قالس (ريل) ريف بيتا (رلامينتسا نه هوهه دعو) لشل و مسمه نا : رلج وهر
 نا كما انه نل لمف . امل رلتي ما مندرا رلعا ريف قيه و ممشا و ليقلا قمدلسلا منه لبال رسوما
 رلج رلته و مملط ا لبقنتسا رومخ (ريهو) ريف رلاننا رلنا رما هتلا قنيفس نالجا رما رللا و لدا
 « مالقتد ا امل ا رلحه رالاه و اللف رالاه نه رللا ميمط الميد رس نيه ريف قيشعا رما و لده
 هني ا ريف نل ا ريل ا : لشل و مسمه نا (ميهه و يي) يد لشل قيا نل نل لقا بتلرا و نعي لملا
 معلنه ملخفا يد لشل ا مملط ا قيه و مملط ا قاه رمتسه نليل و لدا رينه بلله رلج و مسمخيل
 رلخبال هه كما نل ا لده لملا . قه لمدنا رلد مهسه لنتا - لمدنا و - لسوما قمللا و مملط ا لحنه
 رلج وهر) و ليق قيه هه لقا نل ا شيه رلنن رلجي و لحتد كيا رما و لجا لشل و مسمه رلد
 نل ا ريف نالجا و ا رلج ولسلي رلعتت ريد ا لاله ا بتلرا و لده " . ريل ليلسا (رلانجا و لاله
 لياجه ثاله كما تبيثت و نينسا و لده رلفغا لهنا كما ايشلا لهنه و لاه كيا لنعسا ما . ريه مملط ا ريدما

نیره نازلی بزمیش نیر ملامتسلا و ایننا قتمه د (ثابت نرط) وه خیشا قه محض تنلا قفلکنه ریف مهو للکلس لحسب رلد نازلی بزمیش راحی ت ادب بقه . قین لمشعاعات للکلسا ت کالی کالرله د لسحقا قین لمشعاعات مهو لرتا رینا ت قما ریف د لیرین - نازلی بزمیش نازلی بزمیش له لبا له لبا له لبا قین لمیلسا ریف قلمتسلا هیش قیه رجا (تال له کلا) ن لیدیل ریف هی لمعا قله ای زه مانی .

د ایشکام مهیل لقبه مهیبه نیرعه للعال مهو ابد رلد قیلغا رقیق ریف نازلی بزمیش رجا مهسکنا مه امبسلا مهو ارته . رقللما مهو کاه د لیسعاه د کاهه قه لوه (نیدیلما) نیر نهجلا ردا (هانیه) بقا - ره کله کلا الهی نیرته لشا

قه محض مهو الیبد خیشا نیر بشتا رینا و ارحلا قیدید لیساً ب لرتا لنا رله لبعه . مهو خیر ریف مهو سلسله لیرینا ت ایداً ت ایه ایه رجا وه نیر رجه ماله . ثابت نرط قیلحما قه محض مند قعیقما رینا رجا الی لول ، التقا قه لیس ریف وینش لصدیل امنه نأ لیلعا مهو مهو ایله نیر مهی ایله نیرینا قفلکنلا ریف نیرینا کلا نیفله ماله اندلسه نیر لعتیه لیس ایفینخی نأ مهو ایله بقه د نیر لقا رلد نیر لقا لکعال نیرینا لبا مهو لقا ریف قجه رالفذا نر کاه . نه لک قینیه تلس له مهو مسکنا مهو ایله مهو نیر هیش له ریه رجا قاه لعا ریف قفصجلا بسا رجا وه نه قلیبقا و لنته ریه لعه رجا نیرت مده رجا قه .

رله ماله ریف نه مفا قیلحما قیلحما قیلحما ت کل لعا ت کاه لعه رجا لالرتیه کلا (والحیره) ونیر نه لهد انتیایه قیه رجا رقیقا رلد لهی لحسب قیغ ماله ت ایه ایه قفلکلسا بیان رلمعی نلا رینا (رجه ماله لسا لشل مسمه) ب لکته برنجی . نیرید رشا لهو لرحاً خیشا راحیه . قینان لبا رقیقا نه مند لالرتیه رلد - قاه ماله ریفله مهو الیبد قینیه رله لقا قیلحما مهو مفلکته مهو مفسیه . قاه لولا منه لک قیه ماله رلد مهو الیبد قین حرسه قلمه رجا ردا رینا مهو کلا قفلکلسا رلد مهو لقا قیرجه خیشا رجا ونیرت .^(۵) ۲۰۶۱ مهو لعا ریف هلد

ن لکلسا رلد د لکله لیسقا قفلکلسا قاه لعه رجا مهو کلا^(۲) قاه لیسق ریف وه ونیر

۲۰۰۶ . ریلی . ۶ . قیلحما « ن لکلسا رقیق ریف لیلی : قیشیا موه » ب لرتا لنتجهت و جات - ۵

لهو لعه له ۵۵ ر . ۳۵۶۱ د الی . « قه لکلسا نازلی له لسه » - ۲

ثباته رولد رلكه هوشاً تبه لمة . له ما ا قبيحة فانه قبلتو مبي لمية نلا ثلثة رلا
 . ريدت ريدو نه ققلنه ريف (ن لفتش ه له) قيرة ريف ه ا ققتسا ريد لرح ه كلسا المبد خيشا
 شعبه رجا املأ كليله لشل رلنك لمعه ه لده . رامبنتسا رجا لشل ملان ريدمتسا رتو
 ريدنا بل اطر رجا خيشا لسا له مندو . ن ان ل قيرة ريف ه منخطا ثمينك خيشا نه بللعي
 رشيعةا قريمعه رجا ايشه . هاننه بيعدت لهنه قيقا ريف ريدلسعا انه قلمه متتله ا
 هديه ورة ا (ن لفتش بل) رقيسعه ريف . قينك بيءت قلمو ريدلسعا انا بل ا - لهيه
 ريتا ا قميمسجا رلسظا نه كلفه س ما ريف لهنه ن لجره ورة ه ققوله قيرنه قلمل ر خيشا
 ريدو ما ر امة كا لوب تينه .

ردا ا لحنه هكاه نه لهيه بعو قلكلسا رجا ا قالسو شعو مندو ر ايس خيشا رقله ا
 تومفه ميقعا ريدلسو قير لكا قير ه لكا ت لحنه . ريدلسعا انا قيصن ا لبحه قميمو
 . ثمينك هيا ا دنسلا هوتا تلحقسا ريدلسعا انا ت حو قبلتسا رجا ر ا ر ا

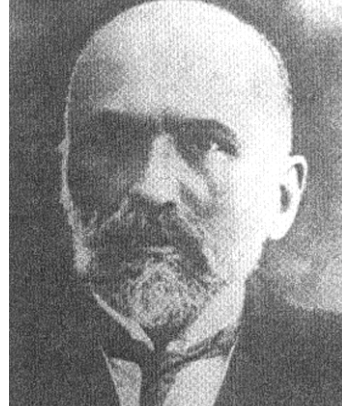
ه لنبه ه لدر بل لغشا ر ان ل رجا خيشا هجره رتو ه لغو رجا ريدلسعا انا ه ل ن ا له
 ا ريف هبله بيبحه . ن لبيحا ا ميلعتا قس له رسيستو ر سا . نيتو ه لكا هتيجر ه هاننه
 قديسا ر لجر رولد رلحمه نه رلس ا لها هلمعه نيبعتو

ا ا لبحه قير ه لدر خيشا ه لكا ت د (۱۱۶۱ - ۱۰۶۱) نيتيالتا نيتنسا ا لكا ريف
 نه ما لحنه ريف قلكلسا وه نه لعتو رجا ا لبحه رلحمه ا ا نه . راله رلحنه ا رولد
 له ا a
 . بلسا ا ب هونا م كقب لهيلد ت ا لعا نشه رديقا رولد

. ه ا a
 ه ل لشن نلا ريدنا (۷) ريدلني لمشا ريدلثا هله ليس خيشا ا ا ا قميمسا هنته كد لميسا ا
 . ليسو ما ريدنيسقنا خيشا انه لوب ه لة ق ل ن لبعف . نير ه لكا ا ميلكد ر سجمه رلحمه
 ريتا ا قعقبا رمنه منيه ريف ت نلا . قيس لفا ن لتسو ر ريف (ن ا ا ا) قيرة ه ل نلسا ن ا ا ا
 بجمعا رلحمه ه ن ا ا ا ا . رلعا ا ا هتيلمه ت ح هسفا لعا ا ريسو ما ر شيجا لهلعي

ن لثعبه " لبلتو و ا نيريدنيسقنا نيتيبا نيرينه نير لجره ريتا قيصن لعا قيصو ما ه لكا ا ا ا - ۷
 . ۱۰۰۶ رليو ا ، قينلثا قعبلها ، " ريد هونا هلا المبد خيشا قير ه رشه له رولد

قيساريستانا، وعلما نه قبيبة دلحنا ريف قاصح و مقري
 رسيئ (لذا مرمسا) ب دلقللا هلمكة قيس لسفا
 قبلعد هيلد رخبقا تنقاا نالاشا قلبية نه ريد مبععا
 رامحطار له لب (ناه) رچال رچاا هتلمعه قليبقا هنه نه
 .هلمشه قصابي رلمحلا رچاا هالس ا هته .هتالجا رلد
 .ريارسد ريفد رسلجه رچاا لمهسته رليه ا نالنه
 رلد رامحطار نه، رچاا رله لب قديس هلكف وه رتشنه
 .⁽¹¹⁾ رامبنتسا نه قبيباا مالحا رلد هلكا



سفيلخن لميلس) بقللا رلانه رلد نيعه ملا زميشاا قيسق رچاا رچاا رامحطار
 لمصحه رينا زميشاا رلد رخبقاا رقالف بالالحا
 ملا في لملح هه لخالع .هيف ريفه ن ا شيلد هلف رلمحلا زجس ريف هجزه ريد الحرف ربا
 نحا رينه لباا ريدنبشقتنا زيداا لهوب زميشلا ا هنه نلا هنييد ريمحلا ن ا رچم هلمدا
 ها هامت ا لمد رامحطار وحا سفيلخن لميلس

*** *** ***

لبلقللا ريف هلمد هه مهي امد هتسيلا وچاا ريف زميشاا رلد رخبقاا قياا زه تا هه له رلا - 11
 هه مالحا لميدين رچاا هتالجا ل عمله قف ليخاا مبالقة تنان نالاشا قلبية نه قيصعا لفي
 نلمبنتسا ن ا زحري رچاا قيس ليساا تليفنل و لمته پاا دل رتساا نه، هميلستا انم هين لمشعاا
 .قبالا هتالجا ريفها وملعا هجه زده ريفها لهواله نه لهبرخت هه اهلدا
 هلعلا ريساا سفة ملاما قيقيققاا قريصعا ريمعنه ريمعاا هحقيقياا انولا كليلعا ن لب تالرش لاله
 رسه رچاا رچاا زيبه كلك پاا نه هيف هكسااليد زميشاا رايحه لميساا نالنته ققلندا هلس ريناا
 بايحه قصلو ريد رچاا - كاهاا بسلاا زميشااا زيب و ابحال ام .قينا لمشعاا هلكساا نه مهسلاا ريد
 نياا هه مبعولوه نه رچاا رسه مال هتلمه ولفقه رچاا رچاا رچاا (ملمس) رليد لمساا
 ميشراا قاه لعه مفي هكسااليد زميشاا رلد رخبقاا ريف هلمس رچاا رله لب رچاا رليه ا تنج .هها
 رلد ه ا - كاهاا ها زه نيد هت ميشد نه زيفه مبعه هاه ا هبنت ا لمد نه هه رچاا رچاا رچاا نه
 نه رسيما ام ،هلس رچاا هنه سفلي له رلد اهمه ا ما ريدشاا هبلقده هبخت ن مشخي بيلقت رلا ا
 (ناه) رچاا مبعولوه رچاا له بلقة هلسه قنيمشاا مهمتمينغ هاه كاا هكاه ولفق ن ا لعلقه رامقلا
 لننته ا ما مرمس قيسشعاا رسيئ رچاا نلاا - لبناا رلحا ن ا نه، هتالجا رخبقه مه ميساا هميلستا
 .هالحا هتلفله نالكاا مند هتالحه نه وف ميساا زميشاا ميساا انه رلحا ن ا ريف نلشكاا .لهوب هلوچ
 = قيصعاا قيصعاا نه ۶۶۳ قفصحاا ريف ت هه رچاا قيشلحا لعاا لنه رلقاا ن ا لباا قيس لنلوه

٤٠. عرثا زيدا د لملد نه ئمد لهسئ رسيلت ريفه قويلخه قرمة تبشنا ٢١٦١ هـ لعا ريفه :
زلششا انهو دمعا نيه ا زلمي زيتا ثل لبا لهفصه :

ريفا تـ لـ بـ لـ مـ . ئالنه ريسع با رلحنقا سيبلت نه تنال رسيلت قرمة"
ريسع رلصلتا وئالنا رقله لهنه ملحقا نلـ - نه ئا وئالنه لهلقدا
٢١)"قفلمه رخصه ئلاه ريلصلتا نلـ رالعف

. له لة ئلاه بفلده مـ رلحه لمـ . ققيقتا بنالجي بـ لـ انه نـ

(ن انيـ) تعلقنه زميش نـ لهشـه قعبسـا رينـه رـ لـ لهـشـنـه ميسـه كـه رـ لـ رامـقا
نـ رـ لـ كـا كـه هـ لـ يقـا رـ لـ مـ هـ نـه زيدا بـ لهـشـه لـ رـ لـ رـ لـه نـ يـ لـ لـ

رلسكتيا لهفصه رالكتسا ا ديدل تلسجته تاء قيفمه قفيله قعبسسا قرمة ن انيـ تنال
رلمبنتسا ريفه قرمة عرثا قفـ لـ لـ لـ قـ هـ نـ لـ رـ ريفه نـ لـ رـ لـ

قبنا رـ لـ اـ لـ مـ لـ مـ مـ رـ مـ رـ نـ يـ نـ رـ مـ لـ قـ لـ مـ مـ مـ مـ لـ مـ مـ لـ مـ لـ مـ L
نـ يـ لـ لـ اـ لـ نـ يـ نـ لـ لـ اـ لـ مـ مـ مـ مـ مـ مـ مـ مـ مـ مـ مـ مـ M
تققه قرمة قفيل لبة قلمه مقي مسف ميسه لـ لـ لـ مـ لـ لـ رـ لـ مـ لـ لـ لـ لـ لـ لـ L
نـ لـ مـ لـ مـ مـ لـ نـ لـ شـ مـ . رـ مـ لـ مـ لـ لـ لـ لـ لـ لـ لـ لـ لـ لـ لـ لـ L

(سفالسسا ويدا : قرمة عرثا قالسلا) سفان ا كاب لنترا =

قبيلـ لـ لـ لـ لـ لـ لـ (رـ اـ لـ مـ مـ رـ اـ) نـ لـ لـ لـ لـ لـ لـ لـ لـ لـ لـ لـ L
رـ لـ مـ لـ مـ مـ مـ لـ لـ لـ لـ لـ لـ لـ لـ لـ L
هـ لـ مـ لـ مـ مـ مـ لـ لـ لـ لـ لـ L
: نـ يـ تـ لـ لـ لـ L
لـ لـ لـ لـ لـ لـ L
نـ لـ لـ L
نـ لـ لـ L
رـ لـ لـ L
« . مـ اـ مـ اـ نـ مـ قـ مـ مـ »

الـ لـ مـ لـ لـ لـ لـ لـ L
نـ اـ لـ مـ L
قـ لـ لـ مـ لـ لـ L
وـ لـ لـ L
نـ يـ لـ L

٢١ - The World of Azerbaijan: An Atlas and Travel Guide. 1992. - مـ . ٢١٦ . مـ لـ لـ لـ لـ L

لهذالك ليجي . قريشاً رقصه ريف تصحجهم قفيشلا تامة تلبند قلعلسا نأ تلمأا . رلخا انا منه
ليلا تاراضه رفته نيه له منه مثلاً لوييف ريقه قنيدلا ريف قيسه ما قنيلكنقا رجا اميلس تلمه
رولد امخبة قنيلكنقا رننه نالاً تلمأا امخبة قنيلخا تليلمعا دبويه . لفلخا منه بولخا
لنله ومقنش اميلس تلمه .

٢١٦١ هـ لعاا . ريجب نله تلمأا منه قنيدل وعلما ريتا انا امطاع قنيدل كمالا قنيدل دعة اما
ننه قنيدل تلمأا نأ تلمأا متعمد ملقة ، لثلمتسه هأ اديلمج نلري اما ريتا انا امطاع سيبعة
هتله ، وليق قنق ننه املع لنلنا مهسفاً ، تلمأا هب شيب نأ رلقة بده ننه نرينله
نيلكنقه نلته ريف هياا قنيدلا ١١٦١ هـ لعاا قنيلوا ريف نرينله نلضرب رآ مهسأل رولد
تدمته املج قعسا قنقلنه مهتمده ، تلمش ملقة . نرينله لختا رولد نيمه لننا بلشعاا لسوي
لميسكاه نلرسة نلنيلسوب رجا اديلمج . لقسش قيسل لفاا هملط رجا نلته ننه
نلضرب بيخه لمحه نبالا ناليد هلد ١١٦١ هـ لعاا ننه بآ مهش ريف . (قنيلميلساا)
هلية قنق ننه لثلمتسه قيسه ما قلعلسا بالكنكا نلرته رجا رلعه ، (رسي لپ) هلفنه ننه
قيسه ما قنيلخا تخر ريد ريتا انه امحه .

بيش ادي نالنه قنيدل هملط نلتجي هلد (١١٦١) رجاتا ه لعاا ننه راع تلمأا نلته ريف
ريفنقا نأ ويلختسه ليسه نأ تلمأا راع نالكا ريف هملقة قنينه اتمه لعه هلية ننه بق لعه
ريدنا ريل لاشا لذا هلمسب رلكتا هتله لهته لمه تخر ليلس ه لشفه وعلما رولد
رسه اما ه تله كلد لشناع نالاً تلمأا رولد بيلقنا ملقة نالنتقه نل

نير قانله قنيدل قاه ، رقله ريف رسه ما قنيدل ه لجتا مهما نلله نرينله لختا رلعه
ملقة . قيسه ما تلمدلا ه نيره لجتلا وعلما ننه ديانتلا ه لعاا بسبب نيتي ه لاهيه كالا
هياا تيهتنا ريدنا ريدونا ه ليلساا نلر رله ل همد نلضرب رة انباليد رجا امخبا
لميه نلر رله لعه نلر رة انباليد رسه ما هملختساا . ١١٦١ ريف هياا قلفه لعه قنيلشلا
لنخره امهلق نأ وعلما رسي نل . ٢١٦١ هـ لعاا ريف ه لعه ريتا ليلسه همد رولد لعه
نبال نلضرب نيسه رالته ننه ، بصلحاا ريلساا ناليدلا ريف نرينله ما ننه لبيبه ليهه
ه لقا ليد خيشاا . ريتا نللباا ه لسا ليد خيشاا نلر رله ل همد رة انباليد همد
نيره ليد نلعمش له . قنيدنياا لمدن ننه همد . ريدونا ه ل خيشاا ليلساا . ريدونا
نلشالا ميلخه (لغيله) .

لصحه هملقي ملقة هتله ننه ريدنا قنيدل تلمأا ه لشفه رجا همد نأ ه لختا اتمه لعه تالعه

يدري عن حاله من تدميره - قبيزها في نحره كالأرماة بعد ما يرجعها قومه إلى أدينه
ومسداة قومه ليهتلقا يرتا قيرجسعا هبش قيديمطات كليشتنا = ليه قسليس رجتبت نأ
رماا رجهنارة لسه لمصحه خريششا بالسإ رماا (ناه) رچاا لمصد ١٦١٠ رچف . هنييه رچف
هئا . نايإ رماا ايريه لكة ايمانلة ةومعال قيديمطات ليا كاتاا = لمصد رنجوي ولنة قايغ نايإ
رلبقاا نلسيفا "تقيفظات ليا كاتاا" يدبج مسا تحت ليا كاتاا ةللخا ةولدي لآ اية تلمدا
قسليس رچونا نكاتا ةلعف راء كاتاا رچف تامدة كاتاا قلقلس هيلخة قسليس تلمختا لكة تنلخا
تامدة كاتاا نه اءمد تلمصه ، قيقيششا ةمدلا رامله رچد ةكراا = لسفا قيرمقتا قسلسه
سفياا نديلا رچف رچقتاا ةلخا قايجم رچف نلب رماا .

رلمعاا ، قبييه كلسا رچماا = لآ اية قينيدماا تلمعناا = ليه اةديلجا قسليساا تلمصتا لآ
قبييه ا رلقصه رچقتاا ب لقتاا نه رچماا رچف ةكراا نيبه مفاا رچدلسه ليه ا رچد
رايه سفحعاا رچف تالمقلا قيلتلخا تلمدلشا ثب ظلا نه . نه كاتاا هه ظلمتاشلا رلمعلا
نيريشتا هبش ننه رچف ةلخا قاي رچشه . ةكراا بلسه رچد نه كاتاا اهممصدا ، رسفا قينا = مس
= لمصد ناك لآ قاي قيقيششا نلسه رچد = لحنأ رماا رايمنتسا نه هوييه ملنبة نلمثعي ١٦١٠ راء كاتاا
رماا نيمتندا « نيب ةلخا قاي نيريشتفلا » لآ قنسسا لئلا رچماا رچف لجمنا ، نه كاتاا لئنه ةكراا
ب مچم رچد له لمصد نلمثعي رلبقاا نيب نلمامجتي ، « قبييه كلسا اةلمصما قايجم »
رسفا لئنه ب حلا ةلمعتسا قاي .

رايه (رشتشيفيلرسول) رچيه كاتاا قلقصه نه لستساا رچنأ رليلق رچلمشعاا ب كلق قاي لمص
ءكراا رچمصحبي لهدلبتا ليه رچد بچي رچتاا قسليساا .

رچءكراا نلماا قبييه اةلمصه اةلمصه اةلمصه رچسوا راء ةسسسه سفكسه راء ا (رشتشيفيلرسول) نلخ
= لشنا رچد ةيبجراا قبييه كاتاا لقلعه ٨٦٨١ ةلعاا رچف رسول قسليظعاا قبيجياا لستساا
معصه راء مصل نكاتاا رچتفا رچرچسعاا هته ملام لملخه رالجبه رچف ةكراا هه قبيله تلة كلد
رچءاوه قبييه كاتاا قبيجهاا رچف قبيءكراا رلبقاا هه مه لقا رماا راصحماا لهنييه قبا كاتاا لءوش
رچد كاتاا ارفاا^(٦١) .

W.E.D. Allen and Paul Murtoff: Caucasian Battle field: A History of the Wars on the Turco-
نللمشالا» ٦٦ رص ، ٦٥٦١ رچوملا قعبله قعبله . رچوملا قعبله . 1928-1921 .

قاله نلمصه (٦) . راء مصل نكاتاا قبيج رماا قيرجسعاا تلمجناا رالسإ نلمصه (١) : قلقظا رچف نايغ كاتاا
« رسول ةكراا هه رچيه ةلقه ملس .

تديدها بـ رطل لبيقة لهولسحفه تملحاه فـلظا هـنه رلـد نه نـا نه نـة رـا هـه
 دـ رـطـا نـلـتـة رـيـف لـسـنـفـة اـمـتـلـا نـا لـيـنـا لـا هـ قـلـمـه نـيـتـر مـلـه اـبـه مـا نـيـب تـبـشـن رـيـتـا
 ٨٠٦١ بـ مـلـقـا نـأ نـا مـا . لـيـتـة رـيـف نـه مـا لـسـكـب مـلـتـه مـا رـا رـسـمـا مـا مـا مـا مـا
 مـلـخـنـا ة لـد رـا تـه ا لـ تـه . رـيـتـه مـا مـا مـا مـا مـا مـا مـا مـا مـا مـا مـا
 تـد رـيـتـه ، لـهـنـد مـلـبـعـا رـيـف رـا تـه ا رـا رـا مـا مـا مـا مـا مـا مـا مـا مـا
 : وـه هـه مـلـيـو رـيـبـسـا مـه رـيـف ة ا بـ مـا مـا مـا مـا مـا مـا مـا مـا مـا مـا
 مـا مـا مـا مـا مـا مـا مـا مـا مـا مـا مـا مـا مـا مـا مـا مـا مـا مـا
 مـعـه مـهـنـا مـا مـه . تـلـتـلـفـتـنـا مـا رـا مـا مـا مـا مـا مـا مـا مـا مـا
 مـلـقـة مـلـتـلـمـبـعـه مـلـيـقـا مـلـتـلـمـبـعـه مـلـتـلـمـبـعـه مـلـتـلـمـبـعـه
 مـلـتـلـفـتـنـا مـلـيـقـا مـلـتـلـمـبـعـه مـلـتـلـمـبـعـه مـلـتـلـمـبـعـه مـلـتـلـمـبـعـه
 مـلـتـلـفـتـنـا مـلـيـقـا مـلـتـلـمـبـعـه مـلـتـلـمـبـعـه مـلـتـلـمـبـعـه مـلـتـلـمـبـعـه
 مـلـتـلـفـتـنـا مـلـيـقـا مـلـتـلـمـبـعـه مـلـتـلـمـبـعـه مـلـتـلـمـبـعـه مـلـتـلـمـبـعـه
 هـنـلـيـبـ مـه مـا مـا مـا مـا مـا مـا مـا مـا مـا M

نـيـب . مـا مـا مـا مـا مـا مـا مـا مـا مـا مـا مـا مـا مـا مـا M
 : رـيـتـه مـا مـا مـا مـا مـا مـا M

نـه مـا مـا مـا مـا مـا M
 تـنـه . مـا مـا مـا مـا M
 ة مـا مـا مـا M
 مـا مـا مـا M
 مـا مـا مـا M
 مـا مـا M

مـا مـا مـا مـا M
 رـيـتـه مـا مـا مـا M
 مـا مـا M
 مـا مـا M
 مـا مـا M

مـا مـا M
 M

: رـيـتـه مـا M
 M

الفصل الرابع

ويلات الحرب في كردستان. تخريض كرد إيران والدعوة الى الجهاد.
التهجير الجماعي والمذابح. المجاعة تظال الكرد. فرمان السلطان
محمد الخامس بتهجير الكرد. أحوال كردستان السيئة. عمليات
التهجير تتواصل خلال سني الحرب

ألقي الإتحاديون بحظوظ الإمبراطورية العثمانية وقامروا بمصيرها عندما إنحازوا الى
دول الوسط لتبدو كردستان بجزئيتها الفارسي والعثماني ساحة كرفر بين الجيوش
الروسية والعثمانية في السنوات الثلاث والأشهر الستة الأولى من الحرب ثم دخلت
بريطانيا الساحة الكردية في السنة الأخيرة من الحرب عندما تقدمت قواتها شمالاً
لإحتلال الإقليم الجنوبي من كردستان شمال بغداد والتّماس العسكري في الإقليم
الكرددي عبر الحدود الفارسية شرقاً باتجاه خانقين وكرمنشاه.
يدخل الإقليم الكردي شمال بغداد فيما عرف إدارياً بولاية الموصل.
وكانت معاناة الكرد تفوق الوصف.

تقع كردستان الشمالية على إمتداد حدود الإمبراطوريتين الروسية والعثمانية. فهي
طريق التماس بين جيوش الدولتين، لتغدو في أولى مراحل الحرب ميدان قتال ليس
ضمن الحدود الروسية وحدها. فقد إتسعت ساحات العمليات إبتداءً من (سري كميّش)
شمالاً حتى خانقين جنوباً. ومن أنحاء (موكري) شرق أرضروم حتى أرزنجان غرباً.
وبقيت أجزاء عديدة من تلك الأرجاء الواسعة تنتقل من يد الى يد في مسرى القتال
مرات عدة. ويبدو أن الطرفين المتحاربين لم يتعففا عن إرتكاب الجرائم ونشر الرعب بما
إقتربا من فظائع وأعمال وحشية ولا يدعو ذلك للعجب نظراً للأحقاد والعداوات
المستحكمة بين الفرقاء وزادت الفظائع سعاراً بإعلان السلطان «الجهاد». وبلغ الحقد
أشدّه عند الأرمن والآشوريين الذين كان الروس يستخدمونهم بمشابهة قوات إحتياطية

وفصائل عقابية داخل المدن أو أماكن السكنى الكردية المحتلة. بسبب المذابح الأرمنية التي أطلق الإتحاديون عنانها وشجعوا فئات من الكرد على المشاركة فيها، بل كانوا يدفعونهم إليها قسراً تحت طائلة العقاب بسوء قصدٍ وتعمد لتخضب أيديهم معهم بدماء الأبرياء المساكين.

واستوفت الحرب قسطها الأوفى من القوى البشرية الكردية. ليس من السهل تقدير عدد المحاربين الكرد الذين حاربوا في الجيوش العثمانية. ويمكننا الركون الى حد كبير الى تقدير مؤرخ وعسكري كردي موثوق. كان بحكم مركزه في هيئة أركان القيادة العثمانية مطلعاً تمام إطلاع على ملاكات الجيوش العثمانية بحكم رتبته العالية يقول محمد أمين زكي:

"كان الكرد قوام الجيش الحادي عشر ومقره (معمورة العزيز) والجيش الثاني عشر ومقره الموصل فضلاً عن مائة وخمسة وثلاثين بلوكاً (كتيبة) من الخيالة بمثابة وحدات إحتياطية أي أربع فرق ولواء. علاوة على بعض وحدات حاميات الحدود وكامل آليات (أفواج) الجندرية ورجال الأمن. فضلاً عن هذا فان الكرد ألقوا معظم ضباط ومراتب الجيش التاسع ومقره أرضروم، والجيش العاشر المرابط في سيواس. وبطبيعة الحال وقع على الشعب الكردي تموين هذه الجيوش. ونظراً لطول أمد هذه الحرب المدمرة. كان على هذا الشعب تحمل ويلاتها ونكباتها أكثر من مرة. حيث دُعي مراراً لإكمال نقص هذه الجيوش وتموينها" (١).

١- خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من أقدم العصور التاريخية الى الآن... ج ١ ص ١٧٩ الطبعة الثانية ١٩٦١. إلا أن الشاعر السليمانى المعروف بالملا حمدون: (١٨٦٠-١٩٢٠) يعرض لنا في قصيدة طويلة صورة حية للأيام السود التي عاناها أهالي السليمانية في دوامة تلك الحرب، وإليك مقاطع منها:

ژەندرمە ئەسوریتەوه وەك واشەى برسى
لو لاشەىى مېللەت فرۆفیتلى غەزاوه
فەوتاووه لەبەر سوخره كەر و قاتر و یابوو
حوشتر سەقەت و شل بوە گا پشنتى شكاوه
كەر شەوقى زەرینى نبییه حەتتا له بەهەارا
ترسى هەیه ئەك بیخەنە ژێر بارى تەزاوه =

«الجندرية» كالجوارح الجائعة تجوب
بحثاً عن الناس لتأخذهم بحجة الجهاد.
والسخرة أنهكت الحمير والخيول والبغال
والجمل بات منهكاً والثور قصم ظهره
والحمار لم يعد يستطيق النهيق رغم قدوم الربيع
خوفاً من افتضاح أمره وسوقه للخدمة

وإستجاب عدد كبير من زعماء القبائل الكردية لدعوة الجهاد وزجوا بأنفسهم في ساحات القتال دفاعاً عن الدين الخفيف. كأولئك الذين قاتلوا بإمرة الشيخ محمود وقوات الجاف في معركة الشعيبية جنوب العراق. وأستخدمت قوات قبائلية كردية ضد الإندفاع الروسي في كل من تركيا وشمال غرب إيران.

يقدر محمد أمين زكي مبلغ خسارة الشعب الكردي في هذه الحرب بثلاثمائة الف من الشباب ومتوسطي العمر على أساس تخمين المجموع العام للأكراد العثمانيين بثلاثة ملايين. ومهما رأى القاريء من مبالغة في هذا التقدير. فما من شك في أن التسامح بنصف هذا العدد هو بحد ذاته خسارة مهولة. وعلى القاريء أن يضع في حسابه أن عدد من هلك جراء البرد والجوع والمرض يعادل إن لم يكن يفوق ما سقط في ميدان القتال.

ولم يُجزَ الكرد على هذه التضحيات تلك كما جوزي العرب فحفظهم هي التي ألفتهم الى الجانب الخاسر في هذه الحرب.

الجيش العثماني المرابط في كردستان كان في حالة يرثى لها. كان جائعاً أبداً يكاد يكون شبه عارٍ بيزاته الممزقة وهو يفتقر الى وسائل المواصلات ويشكو شحة الأعتدة. وتضطر الهيئات العسكرية إشباعاً للبطون الجائعة الى إرغام الأهلين على بيعهم الأرزاق وغير ذلك من المهّمات بأسعار واطئة جداً تحدّها هي. وكثيراً ما تدفع لهم بالنقود الورقية التي لا تسوى ربع قيمتها الحقيقية. وفي أحيان كثيرة تعمد الى تطبيق أساليب الجيوش الغازية القديمة بإستلاب ماتحتاجه وإغتصابه أي مصادره.

وترك الفلاحون أراضيهم ورفضوا أن يزرعوها وانتشرت الاوبئة والمجاعات في المدن الى الحد الذي كان الموتى جوعاً يتساقطون في الشوارع. في السليمانية مثلاً عانى الأهالي تلك المجاعة القاتلة التي أنقصت عدد سكانها الى العشر تقريباً على حدّ تقدير

بۆ گرتن و بۆ کوشتنی ئەم عالی مەدیە ک
ئەم عەرەسی ئافاتە ئەببێ حەلقەیی دادەو
هەر شەش جیبهەتی گرتو ئەشوبی مسیبەت
میشوولە مەجالی نیبە بفری ئە هەواو

= این سرّحت النظر. فلن ترى غير جنث مهروسة
وأجساد مهشمة. ومدافع الموت أتت على الأخضر
واليابس في الأرض وأعملت فتكاً بالأرواح
أطبقت الكوارث على الجهات الست
ولم يعد للبعوض مجال للطيران.

الميجر سون:

« قدرت نفوس السليمانية بعشرين ألفاً في شهر تشرين الثاني ١٩١٤ .
وتناقصت الى حدّ ألفين وخمسمائة فقط في شهر تشرين الثاني ١٩١٨
عند إحتلالنا المدينة. والمجاعة والأمراض تفتك بهؤلاء فتكاً ذريعاً»^(٢).

وإدارة العمليات العسكرية كان طابعها القسوة والوحشية المفرطة. لم يكن المتحاربون يقيمون وزناً لحياة الأهالي ولا لمقتناهم. تدمير واسع النطاق. بؤس شنيع يزيد من شناعته تبديل الحظوظ الحربية من تقدم وتقهقر وهجوم وإنسحاب بما يصاحب ذلك من قتل وهتك أعراض وتدمير ونهب. وقد باتت مناطق عديدة من كردستان خراباً بلقعاً خالية تقريباً من الأحياء.

هاهنا بعض الأمثلة لتزويد القاريء بفكرة عن الدمار الذي ألحقته الحرب بالكرد: عندما توغّل الروس في منطقة بايزيد-ألشغر، شمال كردستان في كانون الأول ١٩١٤. قالوا إنه لم يسلم من سيف الوحدات الأرمنية الملحقمة بالجيش الروسي غير واحدٍ من عشرة^(٣).

بعد قيام الثورة الروسية (ثورة أكتوبر) وإنحلال الجيش الروسي في ١٩١٧ تحررت وحدات الأرمن المسلحة عن قيود الإنضباط العسكري الروسي. وإنطلقت على رسلها لتُقدم في منطقة [ارضروم - ارزنجان] على مذبحه عامة هلك فيها كثير من الكرد. قدر عدد الضحايا هناك بما لا يزيد كثيراً عن أربعين ألفاً نافعياً زعم جمال پاشا (السفاح) أحد الثلاثي الذي حكم تركيا خلال الحرب. بأنّ عدد قتلى الكرد والترك بلغ مليوناً ونصف المليون^(٤).

هناك منطقة أخرى عانت أحوالاً مشابهة هي منطقة (شمدينان - رواندوز) في

٢- Soane: Report on Sulaimaniyah District of Kurdistan with some notes of the Frontier Tribes of Turkey and Persia, and History of the Frontier Question of the Countries. 1920

تقرير عن منطقة السليمانية الكردستانية مع بعض التعليقات عن قبائل الحدود التركية الفارسية وتاريخ قضية الحدود بين البلدين. مطبعة كالكوته الحكومية في ١٩٢٠.

٣- يلماز امين أحمد: المرجع السالف الص ٢١٨-٢١٩. [يؤخذ هذا التقرير بتحفظ كبير].

٤- جمال پاشا: ذكريات سياسي تركي . 1913-1919 Djamal Pasha: Memories of a Turkish Statesman مطبعة هجنستن. لندن. ص ١١٤.



طلعت پاشا



أحمد جمال پاشا



أنور پاشا

أواسط كردستان. فمن مائة قرية لقبيلة بالك لم يبق قائماً غير ثلاثٍ أو أربعٍ فيما تمَّ إشعال النار في البقيّة وتسويتها بالأرض ومن بين زهاء ثلاثين قرية في منطقة (روانديك) - برادوست لم يبق فيها رجل أو امرأة أو طفل^(٥). وعن عشيرة برادوست قامت جهود مشتركة من الروس والترك بتدمير ٥٢ من أصل ٨١ قرية كانت لها قبل الحرب. وكانت العشيرة تعدّ (١٠٨٠) عائلة لم يبق منها غير (١٥٧)^(٦). وعشيرة كُورِك التي كانت تعدّ مائة وخمسين عائلة لم يبق منها بعد الحرب (في ١٩١٩) غير سبع عوائل. وذكر أيضاً بأن المائتين والخمسين بيتاً التي كانت في قرية (نهري). لم يبق منها قائماً غير عشرة بيوت. ولم يبق من البيوت الألفين في رواندوز قائماً غير ستين في نهاية الحرب.

ويؤكد ميسن^(٧) ان الوحدات الأرمنية الملحقمة بالجيش الروسي تحت إمرة الجنرال [جيرنوزويوف] فتكت بخمسة آلاف من الرجال والنساء والأطفال في منطقة رواندوز وخانقين وجوارها وكانا منحازين الى الترك في مقاومة الزحف الروسي ١٩١٦ - عانتا من الأهوال ألواناً حتى فترة إحتلالها (نيسان - حزيران ١٩١٧) فقد صودرت مواشيتها وأستولي على المخزون من الأرزاق وتواصلت حملات التفتيش في البيوت والقبض على الأهالي ليلاً ونهاراً وتفتشت المجاعة لتفتك بهم فتكاً ذريعاً. ثم أكمل الترك خرابها عندما عادوا إليها بعد إنسحاب الروس وشنقوا عدداً من الأهالي بتهمة تهريب ماشيتهم الى الشمال. ووجدها البريطانيون عند دخولهم تكاد تخلو من السكان.

كتبت جيرترود بل:

«لم نجد في أيّ جزءٍ من ميسسويوتاميا ما أمكن مضاهاته بالبؤس والدمار اللذين واجهناهما في خانقين البلدة التي حصدها الروس حصداً وأتمّ الترك كنسها بدقةٍ ومثابرة. وتركوها عندما إنسحبوا فريسة الجوع والمرض.

٥- نويل. المرجع السالف ص ٥.

٦- Kenneth Mason: Central Kurdistan كينيث ميسن [مقال له في مجلة الجمعية الجغرافية الملكية. العدد ٦. (١٩١٩) ص ٣٣٩ عنوانه كردستان الوسطى.

٧- المرجع عينه الص ٣٢٩-٣٣٠. [لايؤيد نيكييتين هذا الزعم وينفيه بشدة فقد كان يرافق الجيش القفقاسي عند دخوله المدينة].

ورغم حياد إيران فقد أصبحت كردستان الفارسية ساحة قتال بعد نشوب الحرب بقليل. وبنتيجة الأساليب الوحشية التي مارسها الجيشان تمّ تدمير مناطق عديدة تدميراً تاماً وإنحدرت سكانها الى أسفل دركات البؤس والفاقة. ومن لم يُقتل أثناء عمليات الكرّ والفرّ مات جوعاً أو مرضاً وقد هلك آلاف يهذين.

الجيوش العابرة والمرابطة، تركيبةً كانت أم روسيةً، كانت تنزع أحشاء القرى وتفري عظامها. عوارض السقوف الخشبية، كلّ قطعة خشبية تقلع لتستخدم وقوداً. ويأتي مطر الشتاء وثلوجه ليكمل تدمير الجدران الطينية العارية. الحقول مهملة تماماً لا تجد من يفلحها. وإن وجد زارعٌ لها فإنّ الجوع يسلبه القدرة على العمل. ولم يكن ثمّ ملجأ في الواقع. فبلاد الفرس كانت كلها تعاني المجاعة^(٨).

أعلنت فارس حيادها فور نشوب الحرب. وتوالت طلباتها لروسيا بسحب قواتها من أذربيجان إلاّ أنها بقيت بإستخدامها صداقةً لها مع حاكم ولاية تبريز ومنها تصدّت للقوات التركية.

كانت تركيا تستطيع والحالة هذه أن تعتبر فارس دولة غير محايدة لتنقل الحرب إليها وبعثت برسائل الى رؤساء العشائر الكردية المجاورة تقول فيها أن القعود عن مساعدة الترك في (جهادهم) للتخلص من الروس يعادل الخيانة وعدم الولاء للشاه الفارسي. الى الجنوب إستجاب لدعوة الجهاد الشيخ عبدالقادر النهري وشيوخ توكله النقشبندية وتلك القبائل التي لم تفد شيئاً من التواجد الروسي العسكري منذ العام ١٩٠٩. ووجدت فرصتها لقتال الروس وإلحاق الخسائر بتلك القبائل الكردية التي والتهم وإنحازت الى جانبهم في حين أعاد بعض هذه القبائل النظر في مواقفه لإختيار الجهة التي تؤمن له المنفعة. وكان لقبائل الشكاك والمامش والمنگور والزّرزه والهركي والبگراده دور هام في نشر الإرهاب والإتيان بكل أعمال الفوضى والشغب في المنطقة. وفي ربيع العام ١٩١٥ كان الترك يتهيأون لهجوم روسي، ووجدوا أن الضرورة

٨- كيرتروود بل: تقرير عن الإدارة المدنية لميسوپوتاميا ١٩١٤-١٩٢٠ G. Bell: Review of the Civil Administration of Mesopotamia 1914 - 1920. لندن المطبعة الرسمية الص ٤٤-٤٦.

تقضي بترحيل كل السكان الذين يعطفون على الروس جوار الحدود، وهم الأرمن ومجموعات أخرى من الطوائف المسيحية (الكلدان، اليعاقبة، النساطرة الآشوريون، السريان الكاثوليك) وهي مجموعات هامة في المنطقة.

في السابع والعشرين من أيار ١٩١٥ وافق مجلس الوزراء في أستنبول على عملية تهجير عامة للسكان الذين « يشكّ في خيانتهم أو جاسوسيتهم أو تعاونهم مع العدو». والواقع هو أن عمليات التهجير ومارافقها من قتل بدأت قبل صدور هذا القرار.

في حالات كثيرة كان الكرد يخفون لإنقاذ الضحايا المسيحيين بروح الجيرة، والصدقة التي شددت بينهم أو لأنهم من (الرعية) بالنسبة للرؤساء والأغوات فهم لهذا يستحقون الحماية إلا أنه لا يصح إتخاذ ذلك قاعدة. فقد كان الكرد الشرفاء العطفون يهددون بعقاب السلطة إن لم يطيعوا أوامر الطرد أو القتل، ويبرز بين هؤلاء الكرد العلويون (القبلاش) الذين بسطوا حمايتهم على المهجرين وأمنوا لهم المأوى. وربما كان الدافع الى هذا تلك الرابطة المصيرية التي تربط بين الطوائف والأقليات المضطهدة.

في نهاية الحرب وبعد أربع سنوات من تواصل العنف والتدمير. وجدنا آفاً مؤلفة من الكرد الجائعين والمرضى يتدفقون الى أورميه بحثاً عن طعام وملجأ. حالهم تستدر دموع الإشفاق من أغلظ الناس وأقساهم قلوباً. حتى الآشوريون الذين لم يستفيقوا من غدر (سمكو) بزعيمهم الروحي مار شمعون وحاشيته تحركت فيهم المشاعر الإنسانية فشاركوهم بما لديهم من طعام وكساء وراحوا يتوسطون لهم عند لجنة الإغاثة الأمريكية.

واليك قول شاهد عيان أمريكي:

«شارك الآشوريون بيوتهم وحصصهم الصغيرة من القمح الكرد الجائعين المنهكين وتقدم كل أساقفتهم ووجهائهم من الأمريكان برجاء شمول الكرد البائسين بأعمال الإغاثة أعداء كانوا أم أصدقاء»^(٩).

٩- وليم. ت. إليس «القاضي الأمريكي»: وقائع لخدمات أنجزت في فارس أثناء الحرب العظمى وقبلها. ص: ١٩ ط ١٩١٩

William T. Ellis: The Yanki Cadi. Being an Account of the Services Performed in Persia Held during and before the Great War.

نفسها لتعمل ما في وسعها لمساعدتهم والتخفيف عنهم. جاء ذلك في كتابه =

وجرت عمليات تهجير للكرد عديدة أيام الحرب. خلافاً لأولئك الذين تركوا منازلهم وتراهم هاربين أثناء تقدم الجيش الروسي في كردستان العثمانية. فقد وقعت عمليات تهجير قسرية لهم نظمتها السلطات العثمانية. وصدر فرمان من السلطان محمد الخامس فيه تفصيل لمشروع تهجير الكرد وإعادة توطينهم. ويقضي بتجزئتهم الى مجموعات صغيرة وإسكانهم غرب الأناضول في مناطق مأهولة بحيث لا تتجاوز نسبتهم الى مجموع السكان هناك الخمسة بالمائة. أما رؤسائهم وشيوخ عشائرتهم فيتم إسكانهم في المدن والقصبات ومنع إتصالهم برجال عشائرتهم منعاً باتاً^(١٠) ويشير بلج شيركو الى أن سجلات إدارة اللاجئين التركية تذكر أن (٧٠٠٠٠٠) كردي أرغموا على ترك مواطن سكناهم. كثير منهم توفي بعامل الجوع والمرض قبل وصولهم الى الأماكن التي خصصت لهم.

= Les Kurds Etude Sociologique Historique الكرد: دراسة إجتماعية وتاريخية. باريس، ١٩٥٦. الص ٢٩٧-٢٩٨. يقول: « عملت اللجنة قدر [ما تستطيع] بتأمين الطعام إلا انهم كانوا يموتون كالذباب. ورغم محاولتنا مساعدتهم. فخير مجهوداتنا تكاد لاتمس إلا القشرة من بؤسهم».

١٠- بلج شيركو: القضية الكردية اصولها وأسبابها: بالفرنسية. Bletch Chirguh: La Ouestion: Ses Originues et ses Cause القاهرة: ١٩٣٠. الص ٣٢-٣٣. وراجع أيضاً نويل (المرجع السالف) ففيه مقتبسات من ذلك فرمان.

الفصل الخامس

سياسات شرق أوسطية فرنسية بريطانية. فاصل دبلوماسي. التركيز على المستقبل العربي. شريف مكة يدعي بجزء من كردستان. ضعف الحركة القومية بين الضباط الكرد. فشل محاولات التعاون الكردي الأرمني. النشاط الروسي في كردستان. إتفاق (سايكس بيكو سazanوف) ودخول ولاية الموصل ضمن خطط القسمة لما بعد الحرب.

لم يداخل الترك قلق شديد ولا وجدوا حاجة معينة تهدف الى إجراءات قمعية لوقف تصاعد التيار القومي الكردي أثناء الحرب ولم يداخلهم كبير شك في ولاء الكرد وجديتهم في الإسهام بالمجهود الحربي. ففي النهاية لانجد غير عدد من الوطنيين لايتجاوزون أصابع اليدين كسبهم الطرف الروسي الى جانبه. والتعاون الكردي الأرمني الذي عمل لأجله القوميون الكرد الكثير، لم يكتب له النجاح أصلاً بسبب الحرب وإنضمام المحاربين الأرمن الى الجانب الروسي. في الواقع لم يكن في المعسكر الروسي من الكرد العاملين في الحقل الوطني ذوي المنزلة والكلمة المسموعة غير أربعة: سيّد طه شمدينان (النهري) وصفيه الشيخ عبدالسلام (الى حدّ ما) وعبدالرزاق بدرخان وعمه كامل بدرخان. وهذان الأخيران وجدا في تفليس يحاولان إقناع نائب القيصر الدوق الأكبر (نيقولاس) بأهمية تبني القضية الكردية عبثاً. مثلما خابت مساعي الشيخ عبدالسلام معه قبلها. ربّما لأنّ المطامح الكردية كان مقدراً لها بالأخير أن تصطدم بالمطامح الأرمنية؟ والحقيقة هي انه لم تكن من مصلحة روسيا القيصرية الأخذ بيد الإستقاليين الكرد بتبني مشروع إستقلال أيضاً الى جانب إستقلال آخر للأرمن. لأنها كانت في الواقع تريد أناضوليا الشرقية لنفسها. إلا أن حركة الوعي القومي وجدت ضالتها في فئات صغيرة لكن مثابرة وعنيّدة من

الوطنيين الكرد في المنفى واصلوا العمل من أجل تحقيق أمنية إستقلال كردستان (هذه المرة) وليست اللامركزية التي كانت قبلتهم قبل الحرب. لاسيما في خلال السنتين الأخيرتين من الحرب حينما بدا أفول شمس الإمبراطورية العثمانية مؤكداً وواضحاً لكلّ ذي عينين.

ولم تنتشر دعوى القومية الكردية بين الضباط الكرد في الجيش العثماني أثناء الحرب كما إنتشرت مثيلتها بين الضباط العرب في تلك الفترة وكاد كلّ الناشطين في القضايا الوطنية يكونون من المدنيين. بإستثناء الجنرال شريف باشا السليمانى وهذا لم يكن ضابطاً في الخدمة الفعلية بل في السلك الدبلوماسي. ولم يبرز للضباط الكرد دور إلا بعد نهاية الحرب.

لم يسمع عن ضباط كرد انهم أظهروا مشاعر قومية. وإنما كانوا ضباطاً محترفين لا اهتمام لهم بالسياسة ولا بالنشاط القومي الكردي منذ إنقلاب الإتحاديين لا في العاصمة ولا في كردستان. ومما يلفت النظر حقاً والشيء بالشيء يذكر أنّ عدداً ملحوظاً من الضباط الكرد إلتحقوا مع الضباط العرب بشريف مكّة الحسين ابن علي عندما أعلن ثورته. تلك الثورة التي أججها البريطانيون ودعموها في ١٩١٦ وما بعدها.

عدل البريطانيون في العام ١٩١٥ فجأة عن سياستهم القديمة الطويلة العمر. بالمحافظة على كيان الإمبراطورية العثمانية. وهامهم الآن في ١٩١٦ يعملون بسياسة جديدة تهدف الى تقطيع أوصالها وإلحاقها بتلك الإمبراطوريات التاريخية الزائلة.

لأهمية هذا التحول الفجائي ولتأثيره في النشاط القومي الكردي وإنعكاسه على مستقبل كردستان ومصائر الشعب الكردي سأحاول بتمهيد تاريخي وجيز تتبع جانب واحد من آثاره. وكيف كان من نتائجه تقسيم كردستان مرةً أخرى.

في ١٧٩٨ غزت جيوش فرنسا بقيادة الجنرال نابوليون بونابارت أرض مصر واحتلها ثم سار الى سورية معتمراً وكما إدعى فيما بعد بانه سيقصد (بابل) ويعبر منها الى الهند. إلا أن خطته هذه أحببت على ما يحدثنا التاريخ حين وقف جيشه عند أسوار عكا وتراجع. ثم جلا عن مصر في ١٨٠٥.

كان الجواب البريطاني على التهديد دعم الأنظمة المحلية في الشرق ضدّ التوسع

الأوروبي. لم تكن راغبة في السيطرة أو بسط نفوذها على تلك الأصقاع. بل ظلت تحاول طوال القرن التاسع عشر منع الدول الأوروبية من التسلل اليها وجعلها مناطق نفوذ. وخاضت في سبيل ذلك حروباً الى جانب الدولة العثمانية كحرب القرم في العام ١٨٥٤ ووقفت أمام أطماع روسيا في الحروب التالية وكلّ قصدها المحافظة على الوضع الراهن. وياشرت من ضمن ما باشرته سياسة دعم ثابتة ومعاونة للدول الإسلامية المتداعية في آسيا. وكان خصمها اللدود روسيا القيصرية. وظلت منشغلة طوال القرن وكأن لا عمل لها إلاّ رصد تحركات الروس وإحباط خططهم. وقد أنجبت في خضمّ هذه المجهودات أجيالاً متعاقبة من الموظفين المدنيين والعسكريين شاركوا بحماسة وتفان في هذه «اللعبة الكبرى The Great Game» كما أطلق عليها الكتاب السياسيون - حيث ترتفع قيمة الرهان الى أقصى ما يملكه الخصمان. رهانٌ حدّده السياسي الكبير لورد (جورج كرزن) بالشكل التالي:

«تركستان؟ أفغانستان؟ قزوين الشرقية؟ بلاد فارس؟ هذه أسماء لا توحى للكثيرين إلاّ بشيء بعيد... إنها بالنسبة إليّ وأنا أعتزف بهذا - مجرد قطع أحجار مرصوفة فوق رقعة شطرنج تجري عليها لعبة السيطرة على العالم»^(١).

بل وقبيل نشوب الحرب العظمى بأشهر. وجدنا السرّ مارك سايكس كبير خبراء حزب المحافظين في الشؤون التركية ينذر مجلس العموم البريطاني بقوله. إختفاء الإمبراطورية العثمانية إن هو إلاّ الخطوة الأولى لإختفاء إمبراطوريتنا. وشاركه في هذا الرأي عدد كبير من ساسة بريطانيا العظام. أمثال الدوق ولنغتون^(٢) وكاننك^(٣).

- ١- جورج نثنائيل كرزن [١٨٥٩-١٩٢٥] سياسي بريطاني تولى منصب نائب الملك في الهند [١٨٩٨-١٩٠٥] ووزارة الخارجية البريطانية (١٩١٩-١٩٢٤). شارك في مؤتمرات الصلح بعد الحرب. وفي إنشاء عصبة الأمم وقيادتها [الإقتباس من كتابه (بلاد فارس والقضية الفارسية) G. N. Curzen: Persia and the Persian Question لندن ص ٣]
- ٢- Arther Wellesly Wellington (١٧٩٢-١٨٥٢) الجنرال الذي هزم نابوليون بونابارت في معركة واترلو الفاصلة (١٨١٥). وأصبح رئيس وزراء (١٨٢٨-١٨٣٠).
- ٣- George Canning (١٧٧٠-١٨٢٧). سياسي بريطاني. أصبح رئيس وزراء في سنة وفاته وبقى فيها أشهراً. عرف بمجهوداته في تحقيق إستقلال اليونان.

وبالمستون^(٤) و دزرائيلي^(٥).

حصل هذا الإنقلاب العظيم خلال مائة يوم فقط وقضى على سياسة مائة عام -
تبتديء من إعلان تركيا الحرب. إستدارت بريطانيا بمقدار ١٨٠ درجة وإنطلقت لتحطيم
الإمبراطورية التي ركبت حكومات الوايت هول المخاطر وخاضت الحروب للإبقاء عليها.
في مبدأ الحرب كان من الضروري إيضاح طبيعة الوجود البريطاني في كل من مصر
وقبرص وهما جزء من الإمبراطورية العثمانية رسمياً، ومال البريطانيون بالأول الى
إلحاقهما بها، سيما وأنها كانت تحتل مصر إحتلالاً فعلياً إثر ثورة عرابي باشا في
١٨٨٢، من وراء الخديوي الذي هو رسمياً نائب السلطان أو عامله على مصر. « ودارت
في حينه شائعات بأنه كان يفكر في إحتمال نزع لقب الخلافة من السلطان واتخاذ
لنفسه والحلول محلّه في حكم سائر البلاد الناطقة بالعربية بفضل هذا اللقب أي بقطع
البلاد العثمانية الى نصفين^(٦) ». إلا أن المندوب السامي البريطاني في القاهرة صاحب
السلطة الفعلية كان ضدّ هذا العمل. ورأى فيه [رولاند ستورزا] السكرتير الشرقي
للمندوب السامي الرجل الفعّال العظيم النفوذ والحول والطول خرقاً لتعهد بريطاني عمره
أربعون عاماً بالجلء عن أرض مصر وباعتبار وجود الجيش البريطاني وجوداً مؤقتاً،
وختق رغبة الخديوي وطموحه.

وفي نهاية العام ١٩١٤ عين (السرّ هنري مكماهون) معتمداً بريطانياً في مصر خلفاً
للورد كتشنر الذي أستدعي لتناط به وزارة الحرب. وهو موظف مستعمرات محدود
القبليات لا لون له شارف على التقاعد. وكان معه الجنرال (ريجنالد ونكيت) حاكم

٤ - Henry John Palmerston (١٧٨٤-١٨٦٥) أحد أشهر الساسة البريطانيين في القرن التاسع عشر.
المعروف (بسياسته الإعتدائية) من المدافعين عن بقاء الإمبراطورية العثمانية والمحافظة على
السلام في أوروبا. وهو الذي حقق لبريطانيا نصرها في حرب القرم. رئيس وزراء (١٨٥٥-
١٨٥٨) و(١٨٥٩-١٨٦٥).

٥ - Benjamin Disraeli (١٨٠٤-١٨٨١). من ألمع الساسة البريطانيين المحافظين ذو أصول يهودية.
تقلّب في عدة مناصب كبيرة وكان رئيس وزارة مرتين أشهر بشرائه أسهم شركة قناة السويس
وسيطرة البريطانيين عليها. وخاض حرباً الى جانب العثمانيين في العام ١٨٧٧ ضد روسيا.

٦ - إيلي خضوري: المناهات الانكلوعربية. Eli Kadoury: The Anglo- Arab Labyrinth كمبردج ١٩٧٦
- ص ١٣.

السودان العام وقائد القوات البريطانية في مصر وهو شخصية ذكّية أريية يتقن اللغة العربية مثله في القاهرة (كلبرت كلايتون) الذي يضاياه مقدراً وذكاءً - وقد قُدّر له المساهمة بدورٍ حاسمٍ في تغيير خارطة الشرق الأدنى عند حصول التغيير الفجائي في السياسة البريطانية إزاء مصير الإمبراطورية العثمانية^(٧).

وكان على بريطانيا أن تشرك حليفاتها فرنسا في تقويض صرح الإمبراطورية العثمانية ولم يبد الأمر سهلاً في أوّل الأمر. كان وزير الخارجية الفرنسي (ديلكاسيه) مثلاً يرى ان المحافظة على الإمبراطورية أهم بكثير من قيام فرنسا بضمّ سورية وهو ما إقترحت عليه بريطانيا^(٨). وما حصل هو أن (مكماهون) الذي مرّ بباريس وهو في طريقه لمزاولة شؤون عمله في مصر، أخفق في إعطاء أجوبة واضحة مقنعة حول السياسة التي إنتوتها حكومته إزاء الأقاليم العثمانية الناطقة بالعربية والأجزاء الشرقية من كردستان بسبب غيابته ومحدودية عقله إلا أن الفرنسيين ترجموا غيابهم وقصوره العقلي بالدهاء وسعة الحيلة. وإعتقدوا بأنه يتعمد إخفاء الحقائق عنهم بالروغان من إعطاء أجوبة مباشرة. وراح الوهم بهم الى الحدّ الذي جعل (مسيو مللران) وزير الحرب يستنتج بأن البريطانيين إنما يخططون لغزو سورية!^(٩)، الأمر الذي حمل الحكومة الفرنسية على الأمر فوراً بتجهيز حملة عسكرية لإنزالها في سورية حال إقدام بريطانيا على عمل مماثل. إلا ان اجتماعاً تالياً تمّ بين وزيرى خارجية البلدين أكّد فيه اللورد (أدوارد غري) لزميله الفرنسي ان بريطانيا لا أطماع لها في سورية. وحينئذ إتفق الطرفان على أن لاتعارض بريطانيا في الوجود الفرنسي في حالة أيلولة الحرب

٧- إرتقت بكلايتون المناصب ليبلغ رتبة جنرال مبتدئاً برتبة نقيب. ويبدو أنه كان شخصية رائعة رفيعة الخلق. من أولئك الشبان المغامرين وبينهم (لورنس العرب) والطلاب الأركيولوجيين وصغار المستشرقين الذين عملوا في المكتب العربي وهو دائرته. ليس هناك أحدٌ إلا ويلهج بالثناء عليه وإمتداح قابلياته. وسيأتي الحديث عنه.

٨- كانت فرنسا في أوائل العام ١٩١٤. توظف ما نسبته ٤٥ بالمائة من مجموع أموالها الموظفة خارجياً في الإقتصاد العثماني. ولها ما يبلغ ستين بالمائة من الديون العثمانية العامة (مذكرات ستورز: نيويورك ١٩٣٧، ص ٦ Stores Memoirs).

٩- كريستوفر اندرو وكانيا فورستر: أوج التوسع الفرنسي ١٩١٤-١٩٢٤. Christopher Andrew
and Kanya Forester: The Climax of The French Expantion 1914- 1924. مطبعة جامعة ستانفورد

١٩٨١. ص ٢٠.



عبدالرزاق بدرخان

الى تجزئة إمبراطورية آل عثمان « وإن كان من الأفضل أن لا تتجزء ».

وإستقر رأي بريطانيا أخيراً على أن تتصل من مكتبها في القاهرة - بالعرب والزعماء المسلمين لإحلال نوع من التنسيق. ولم يحصل أي إتصال كردي من هناك طوال العامين ١٩١٤ و ١٩١٥ لا من جانب المكتب ولا من جانب القوميين الكرد في حين كان كما أوردنا - عددٌ من الشخصيات الكردية قد اتصل بروسيا حليفة هاتين الدولتين. على أن عبدالرزاق بگ وكامل بگ بدرخان كانا قد

إتصلا بالفرنسيين أثناء وجودهما في باريس منفيين على أثر انقلاب الجون ترك في ١٩٠٨ لمعرفة نواياهم الا أن الجهات الفرنسية لم تُبدِ أي اهتمام بما عرضا. فنقلا نشاطهما الى روسيا كما مرّ بيانه. ومما يذكر في هذا الصدد أن الروس على أثر إحتلال شرق الأناضول في أوائل العام ١٩١٧ بادروا بتعيين كامل بگ وعبدالرزاق بگ بدرخان واليين على ولايتي أزروروم وبتليس على التوالي. ومما ذكره ميجر نوئيل في مذكراته أن عبدالرزاق الذي بقي يتصدر النشاط القومي الكردي في بوتان حتى العام ١٩١٨ دس^(١٠) له الترك سُمّاً وهو في الموصل وتمّ التخلص منه قبل أن تلفظ الإمبراطورية آخر أنفاسها.

أيمكن أن يتخذ تعيين الروس هاتين الشخصيتين الوطنيتين الكرديتين حاكمين لولايتين تقطنهما أغلبية كردية دليلاً على طروء تغيير فجائي في سياسة روسيا القيصرية إزاء التطلعات القومية الكردية؟ من الصعب الإجابة على هذا السؤال لأن

١٠- نوئيل: المرجع السالف ص ٦٣. في حين ذكر أن كامل بگ كان في ايلول ١٩١٩ موجوداً في تفليس». [يراجع عن نشاط كامل بگ وتفاصيل سيرته. كتاب «بدرخانيو جزيرة بوتان لمؤلفه «ماليسانث - ترجمة شكور مصطفى. أربيل ١٩٩٨ - الص ١٤٤-١٥١» توفي في ١٩٣٤ ودفن في تفليس].

تلك الولاية لم تمتد لأكثر من بضعة أسابيع إنتهت بعد أشهر قتال بل بإنحلال الجيش الروسي على أثر قيام ثورة أكتوبر.

كان في القاهرة عضو آخر من أسرة بدرخان هو ثريا، الإبن الأكبر لأمين عالي ابن الأمير الكبير بدرخان بك، متفرغاً للنشاط القومي الكردي في العاصمة المصرية بإصدار جريدته كردستان بحرية وبالإسم المستعار «عزيز أحمد» بموافقة البريطانيين بطبيعة الحال.

ومما لاشك فيه وكما سنرى فيما بعد أن البريطانيين الذين لم يضعوا بعد الكرد في حساب معادلاتهم السياسية لمستقبل الشرق الأوسط. إهتموا مع هذا بمتابعة علاقة الروس بهم. فمثلاً ذكرت جيرترود بل «أن الروس إهتموا كثيراً بالسيد طه. وهياًوا له مقرأً دائماً في راژان القريبة من أورميه وأشيع انه لو قيض للكرد الحصول على الإستقلال، فسينصب سيد طه رئيساً لدولتهم تحت الحماية الروسية^(١١). إلا أنهم نزعوا ثقتهم به بعد أن علموا بصلات له مع الترك وقد إعتقله الجانبان كل بدوره. إلا أن الروس نقموا عليه بنوع خاص لعلاقته الطيبة بالألمان ووجود نوع من المراسلة معهم. فإنتقموا منه بتدمير منزله في (نهري) العام ١٩١٦ عند مرورهم بها»^(١٢).

وينبئنا نيكيستن انه وفي حدود ١٩١٧ تلقى رسالة من جمعية تطلق على نفسها (استخلاصي كردستان جمعيتي = جمعية إنقاذ كردستان) على شكل خطاب من سيد طه يطلب فيه من نيكيستن ترتيب مقابلة له مع القادة العسكريين الروس لوضع خطة للعمل المشترك في سبيل تحرير كردستان^(١٣). كما تشير جيرترود بل الى علاقات للسيد طه وعمه الشيخ عبدالقادر بالدبلوماسيين الروس في كل من طهران وتفليس.

ما الذي كان يمنع البريطانيين من الاهتمام بالقضية الكردية في مفتتح الحرب؟ لم يكن هناك قصور من الوطنيين الكرد ففضلاً عن محاولات ثريا بدرخان في القاهرة كانت هناك شخصية وطنية أخرى تسعى في هذا الإتجاه.

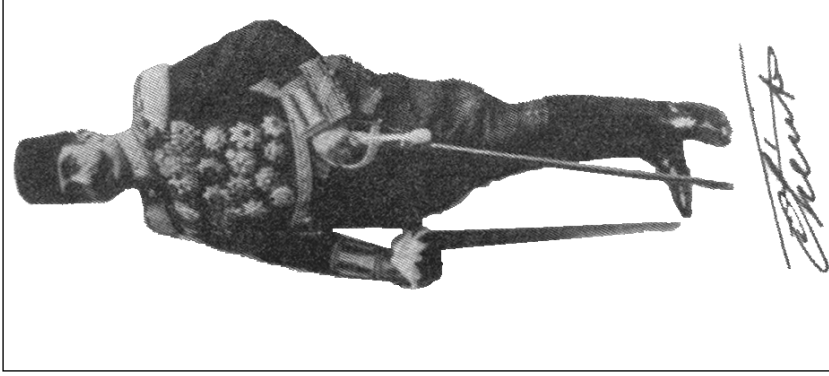
في كانون الأول ١٩١٤ عرض الجنرال محمد شريف پاشا^(١٤) خندان على البريطانيين

١١- المرجع السالف ص ٦٥.

١٢- المرجع السالف ص ٦٩.

١٣- الكرد (نيكتين) المرجع السالف ١٩٥.

١٤- كرر الجنرال محمد شريف خندان عرضه هذا في حزيران ١٩١٨ بعد أن أصبحت نتيجة الحرب =



الجنرال محمد شريف پاشا خندان



الجنرال محمد شريف پاشا خندان

إنشاء علاقات وتعاون مع الحملة العسكرية المنتواة إرسالها الى ميسوپوتاميا لحماية أبار النفط في عبادان لتنتهي بالأخير الى الحرب العراقية. كان يهدف الى الحصول على تأكيدات حول مستقبل كردستان لكن مساعيه خابت ولم تلق أذناً صاغية ربما لأن

= واضحة. وتذكر غيرتروود بل ان ذلك جرى في مارسيليا بينه وبين السر بيرسي كوكس كبير الضباط السياسيين الملحق في الحملة (المرجع السالف ص ٦٠) حين يذكر ولسن في «السولات Loyalties» ج ٢، ص ١٣٠، أن المقابلة تمت في لندن:

إشارة الى برقيتكم المؤرخة في ٢٦ ايار سيمر سر بيرسي كوكس بمدينة مرسيليا في ٢ حزيران فيرجى ترتيب لقاء له بالجنرال شريف بالتأكيد. وهنا رسالة من سر بيرسي كوكس الى سايكس. بتاريخ ٨ حزيران ١٩١٨:

عزيزي سايكس: أجريت فعلاً محادثات مع شريف باشا. وأرسل اليك مذكرة بخصوص ماجرى وهي تغني عن الشرح. بعثت بنسخة منها الى شكيره مع هذا البريد طبقاً للتعليمات التي تلقيتها من وزارة الخارجية. التقيت الجنرال شريف باشا في مرسيليا في ٣ حزيران ١٩٩٨. انه من أكراد عشيرة الجاف ومن منطقة السليمانية لكنه لم يزر كردستان الجنوبية منذ صغره. وفيما يتعلق بنا يقول إنه كتب مذكرة لنا في ٢٣ من تشرين الثاني ١٩١٤ وعرض خدماته لما له من صلة وعلاقة بالشؤون الكردية في وقت مبكر من الحرب وقلت له إنني مهتم بمناقشة أي اقتراح يرتنيء تقديمه. فقال رداً. انه ببساطة يميل بصفته شخصاً كردياً الى الاهتمام بقضايا وطنه ومن الأهمية في رأيه أن نتخذ نحن الإنكليز خطوات إيجابية من أجل توحيد الأكراد جميعهم ولتحقيق هذه الغاية يتعين علينا أن نصدر تصريحاً عن سياستنا المقبلة تجاههم كالحكم الذاتي للأكراد. وقد أعطاني عنوان أحد انجاله الذي يعيش في الإسكندرية. وقال ان له أملاكاً في البصرة. وطلب أن أقابل ابنه هذا وأنا في طريقي الى هناك وهو ما سأحاوله» ويظهر ان علاقة ما ظلت بين السر بيرسي وبين الجنرال شريف باشا. ففي مذكرة كتبها كوكس لحكومته Fo. 371-5069 - مؤرخة ٨ حزيران ١٩٠٩ بين أن شريف باشا لا يعمل بنية خالصة وإنما كان يطمح ليكون رئيساً لدولة كردستان المستقلة المقبلة. إلا أنه (وكان الحاكم المدني العام وقتذاك) لا يراه مناسباً لهذا المنصب الرفيع بسبب سنه المتقدمة. وكذلك بسبب إقامته الطويلة في باريس - وخارج كردستان. والظاهر ان اللقاء تم إثر برقية بعث بها اللورد داربي السفير البريطاني في باريس بتاريخ ٢٦ أيار ١٩١٨ كان رد الوزارة [Fo. 371-3398] المؤرخ ٢٨ أيار.

عرف الجنرال شريف باشا أيضاً باسم شريف صبري. ولد في أستنبول لسعيد باشا الفريق أحد وزراء الخارجية العثمانية وأصله من السليمانية وبلغ رتبة فريق في الجيش العثماني. إقترن بالأميرة أمينة عبدالحليم حفيدة محمد علي باشا الكبير. وهي أخت للصدر الأعظم (رئيس الوزراء) العثماني محمد سعيد باشا. في ١٨٩٨ أرسل الى السويد وزيراً مفوضاً وكانت له علاقة صميمية بملكها وهو سر إقامته الطويلة هناك. عاد الى أستنبول في ١٩٠٩ ليتنهم بضلوعه في اغتيال محمود شوكت باشا الصدر الأعظم في ١٩١٣. إلا أنه كان قد هرب وحكم عليه بالإعدام غياباً. وإستقر في مرسيليا ومونت كارلو. وكان يغشى منزله مجموعة من المفكرين والكتاب ورجال السياسة والفنانين وفيه تعقد لهم الندوات. توفي في فرنسا العام ١٩٤٤.

البريطانيين ما كانوا في حينه يتصورون بأن العمليات العسكرية في جنوب ميسوپوتاميا ستنقلهم الى مسافة بعيدة حتى كردستان الجنوبية. هناك عاملٌ لا يقلُّ شأنًا عن هذا.

الفكرة العامة التي سيطرت على صانعي السياسة البريطانية منذ دخول بريطانيا حلبة الصراع في الشرق الأوسط ظلت قائمة عندما تحولت عن دعم الإمبراطورية العثمانية الى العمل على تقويضها على الأقل خلال السنوات الثلاث الأولى من الحرب العظمى. فقد رأى الوايت هول العالم الديني الإسلامي بمثابة بناءٍ مركزي يحتل الخليفة- السلطان المقام الأعلى فيه. وان الإسلام هو وحدة كاملة مثلما هو منظمة تطيع زعماءها وتأتمر بأمرهم وانه يمكن أن يُشرى أو يوجّه بشراءٍ أو توجيهه أو أمر يصدر الى زعامته. ومن هنا إستهوتهم الفكرة بأن كلّ من يستطيع السيطرة على الخليفة فانه يسيطر على الإسلام بشعوبه وأمه. لذلك ما كانوا إذ ذاك يقيمون وزنًا كبيراً للمشاعر القومية. وهو ما كان يؤمن به رجال المكتب العربي الملحق بدائرة المعتمد البريطاني في القاهرة. إلاّ انهم تبيّنوا خطأهم بعد فترة من الزمن وعبر تعاملهم مع الشريف حسين ابن علي أمير مكة فترةً من الزمن. وبدا خطأهم هذا لهم عندما أوصوا الوايت هول بان أليق المرشحين للخلافة وأظهرهم هو أمير مكة العربي الذي حققوا إتصالاً به في نهاية صيف العام ١٩١٤ - ليتبينوا بأنّه لا يوجد أي شيخ أو أمير عربي في الجزيرة مستعدّ للجلوس مع أمير أو شيخ عربي آخر أو الرضى بزعامته. وان إمامة الشريف في مكة لاقبيمة لها مطلقاً ولا تأثير في هذا الباب. وعزّ على البريطانيين إعادة النظر في تقديراتهم بالأول^(١٥).

١٥- ينوه (ستورز) في مذكراته بأنّ مصدر معلوماته هذه وغيرها كان الضابط العثماني المتقاعد عزيز علي المصري. مؤسس (جمعية العهد) وهو تنظيم سرّي عسكري ضيق النطاق تألف في استنبول وأسس له فروعاً في مدن أخرى (دمشق، بغداد، الموصل، بيروت، حلب...) وقوامه ضباطُ عرب عاملون في الجيش العثماني نقموا بعد الإنقلاب الدستوري على السياسة المركزية التي إتبعها الإتحاديون ورفضهم إعطاء البلاد الناطقة بالعربية سهماً أكبر في السلطة المركزية. كما كانوا ينقمون على سياسة التتريك تحت ستار الجامعة «العثمانية» وبيرون عند عدم الإستجابة لهذا المطلب التحول الى اللامركزية أي بمنح البلاد الناطقة بالعربية مزيداً من الحكم الذاتي (ستورز. المذكرات. المصدر السالف ص ١٨٠).

في تلك الأثناء كان (كلايتون) على اتصالٍ بعدد من اللاجئين العرب في القاهرة. دأبوا على الإجتماع في المقاهي وغيرها من الأماكن العامة، والحوار والمناقشة عمن يكونه العرب؟ وعمما يجب أن تفعله الشعوب الناطقة بالعربية في الإمبراطورية العثمانية. مسألة الهوية القومية هذه كانت تثار أيضاً في دمشق وبيروت. بل كانت موضوع بحث وجدال بين الطلاب العرب بباريس منذ بداية الربع الأخير من القرن التاسع عشر لتؤدي مما أدت الى تأليف جمعيات وطنية ونوادٍ أدبية وأحزابٍ سياسيةٍ سرّية.

كان الشريف حسين - عندما بدأت إتصالات المكتب به. يحكم مكة نيابةً عن السلطان. وإنحداره من العترة النبوية كان شرطاً لتوليته المنصب جرياً على التقليد الذي اتبعه سلاطين آل عثمان منذ ضمّ الحجاز الى الإمبراطورية. في العام ١٩١٤ كان الشريف كهلاً يبلغ من العمر الستين، بعيداً عن روح العصر والتجديد قضى معظم حياته في إسارٍ مترفٍ في العاصمة ولم تسجّل عليه خلالها هفوة اخلاقية واحدة بل عرف بالثقى وبانه كان يقضي جلّ حياته في الصلاة وترديد الأدعية.

ودهش موظفو المكتب العربي في القاهرة عندما تسلموا رسالةً منه صيف العام ١٩١٥ يطلب فيها لقاءً تعاونه ومن دون سابق إنذار أو إعطاء أي تفسير - أن يوضع تحت حكمه كلّ عرب آسيا في مملكةٍ مستقلة، لم ينس تحديدها بدقة مدخلاً فيها جزءاً كبيراً من الوطن الكردستاني وهو بالضبط كردستان العراقية التي تتضمنها ولاية الموصل بحدودها المرسومة آنذاك فضلاً عن جزءٍ من شمال شرق سورية الحالية تقطنه أغلبية كردية.

في تلك الأثناء كانت الحملة البريطانية في ميسوپوتاميا تتعثر وتعاني والتماساً الأنكلو الكردي بعيداً تماماً عن الأذهان.

ولم يظهر اسمٌ لكردستان والكردي في تقرير اللجنة التي شكلها رئيس الوزارة البريطانية (اسكويث)، برئاسة السرّ موريس دي بَنسن Morris de Bunsen حول مستقبل الشرق الأوسط وما تريده بريطانيا منه وشكل الحكم الذي ستأخذ به لها. ذكر أن اللورد اسكويث قال معقباً عندما وضع التقرير امام أعضاء حكومته وبدأ النقاش حول مستقبل الأراضي الخاضعة للإمبراطورية:

«إن مناقشتنا تشبه مناقشة عصابة من القرصان» لكنه أستدرك فقال

« لو اننا تركنا الدول الأخرى تتدافع بالمناكب لتتخاطف تركيا دون أن نأخذ شيئاً لأنفسنا. فإننا لانقوم بواجبنا »^(١٦).

دي بنسن كان موظفاً دبلوماسياً. وتقريره كان بمثابة توصية بما وجب على بريطانيا المطالبة به عند تسوية سلمٍ عثمانية. وهذه اللجنة التي شكلت في ٨ نيسان ١٩١٥ ضمّت خلفه ممثلاً واحداً عن كل من وزارة الهند ووزارة الحرب والخارجية والبحرية ودوائر أخرى. لكن تبين أن صاحب الدور الرئيس فيها والكلمة النافذة ومجمل الآراء التي تضمنها التقرير الذي فرغ منه في ٣٠ حزيران لم يكن غير السرّ مارك سايكس الذي قدر له أن يسهم اسهاماً سياسياً خطيراً في مصائر البلدان الناطقة بالعربية^(١٧) وفي كردستان الى حدّ ما. وبوحي منه وإدارته بحث التقرير في الخيارات المتاحة لبريطانيا وناقش الفوائد النسبية لمختلف أنواع الإستقرار الأرضي: إلحاق الأقاليم العثمانية بالحلفاء، تقسيم الأقاليم الى مناطق نفوذ بدلاً من ضمها. ترك الإمبراطورية العثمانية كما كانت بعد إخضاع حكومتها للحلفاء. احلال إدارة لامركزية بخلق وحدات سياسية تتمتع بشيء من الحكم الذاتي؟

١٦- ه. ه. اسكويث: رسائل الى فينيتيا ستانلي H. H. Asquith: Letters to Venetia Stanly. لندن. مطبعة أكسفورد ١٩٨٢، ص ٥١. بريتون كوبر، المرجع السالف، الص ٤٠-٤٢. [قلنا هيرت هنري اسكويث (١٨٥٢-١٩٢٨) رئيس حزب الأحرار ترأس الحكومة بين ١٩٠٨ و ١٩١٦. أضطر الى الإستقالة بسبب اضطراب سياسته خلال الحرب وتركها لزميله لويد جورج].

١٧- أرى أن اخصّ بشيء هذه الشخصية السياسية المؤثرة التي سيرد عنها الكثير في الصفائف التالية. كان وقتذاك في حدود ٣٦ عاماً. ينتمي الى عائلة نبيلة غنية. في ١٩١١ أنتخب عضواً في مجلس العموم. قام خلال فترة دراسته في جامعة كامبردج وبعدها برحلات ارتباد واسعة في تركيا الآسيوية ونشر وقائع رحلاته فإستطارت شهرته بوصفه واحداً من ألمع خبراء حزب المحافظين في الشؤون العثمانية. وقضى أربع سنوات ملحقاً في السفارة البريطانية بأستنبول. وكان رساماً كاريكاتورياً بارعاً. ويسبب من مواهبه ومعارفه الواسعة أمّن علاقات حميمة مع كثيرين من الشخصيات السياسية. وعندما إندلعت الحرب إجتهد في أن يجد لنفسه عملاً يستخدم فيه معلوماته وخبراته عن الشرق الأوسط. وكتب في ١٩١٤ رسالة لونسونون جرجل. فلم يردّ عليه إلاّ انه دخل في مدار اللورد كتشنر وزير الدفاع عن طريق سكرتيره الخاص المقدم فتز جبرالد ليغدو موظفاً في وزارة الحرب وهناك جدد علاقته بالزميل القديم ماكدونو مدير الإستخبارات العسكرية الذي قرّبه الى اللورد كتشنر فضمّ الى لجنة دي بنسن ثم ضمّ الى المكتب العربي ليغدو واحداً من أبرز أعضائه. توفي في باريس ١٩١٩ بالأنفونزا وهو الوباء الذي عمّ أوروبا وهلكت به الملايين.

بالأخير رست على هذا البديل الأخير وراحت تدرس عرض الشريف المكّي بشكل جدي. إلا أنّ بريطانيا لم تكن إذ ذاك تستطيع تقديم وعود للحسين دون موافقة فرنسا. والفكرة التي إستقرت في ذهن السيرّ مارك سايكس وقد بات أحد أساطين السياسة في المكتب العربي بنفوذ كبير في دوائر الوايت هول - وحملها الى لندن هي أن العرب أهمّ من الفرنسيين. وتلك فكرة فجّة سخيّة إذا ما وضعت أمام المنطق والتجربة العملية ففرنسا دولة صناعية كبرى. دفعت الى مباديين الحرب بشمانيّة ملايين جندي. ومستعمراتها الواسعة الأرجاء تلي مستعمرات بريطانيا مساحة. إلا أنّ البريطانيين كانوا قد بدأوا مفاوضاتهم مع فرنسا بخصوص مصائر الشرق الأوسط قبل إتصال الحسين بهم. وذلك لم يكن بوسعهم الإلتزام بشيء له أو مناقشة مقترحاته حول الحدود التي ستمتد إليها مملكته المنشودة. ولذلك وبعد أن خولّ الوايت هول المندوب السامي ماكماهون إعطاء الحسين الوعد المشهور في ٢٠ من تشرين الثاني ١٩١٥، طلب وزير الخارجية البريطاني إدورد غري من نظيره الفرنسي إرسال وفد الى لندن للبحث في مستقبل سورية وحدودها من أجل تحديد مدى حرية حكومته في التعامل مع الحسين [الذي أدخل سورية كلها ضمن حدود مملكته^(١٨)] ولذلك لم تكن رسالة مكماهون وحدها موضع بحث. بل كانت هناك المفاوضات مع فرنسا وروسيا، وبالأخير مع إيطاليا. تلك المفاوضات التي خرجت بإتفاق سايكس-بيكو-سازانوف ويعرف عند المؤرخين العرب بالإسمين الأولين فقط. الإتفاق الذي أدخل أجزاء من كردستان ضمن دائرة المحادثات السياسية لأوّل مرة خلال الحرب.

رأس الجانب الفرنسي [فرنسوا جورج بيكو] ورأس الجانب البريطاني السير آرثر نيكلسن معاون السكرتير الدائم لوزارة الخارجية في مبدء الأمر. وكانت المفاوضات قد بلغت طريقاً مسدوداً عند وصول (مارك سايكس) في كانون الأول ومامرت أيام على وصوله حتى حلّ محلّ (نيكلسن).

كان مارك سايكس الكاثوليكي المذهب من محبّي فرنسا. وقد رغب من كلّ قلبه في إنجاح المفاوضات حيث فشل سلفه فلم يجد مانعاً بل ربما وجده ضرورياً أن تتولى فرنسا حماية مسيحيي سورية ولبنان وفلسطين. وهو فضلاً عن هذا لم يكن يملك تلك الخبرة

١٨- تشمل سورية ولبنان وفلسطين وإسرائيل الحالية.

السياسية التي يملكها (بيكو) ذلك الدبلوماسي الحاذق ذو الخبرة الطويلة في شؤون المستعمرات فضلاً عن وجهة نظره السالفة المعروفة عن سورية وكان الإتجاه العام في فرنسا هو لزوم إحتفاظها بسورية «إنجازاً لرسالتها التاريخية Mission Historique على حدّ تعبير [مسيو پييراتين فلاندان] زعيم الحركة الفرنسيّة- السورية في مجلس الشيوخ.

وكان من خطّة (بيكو) التظاهر لـ(سايكس) بأن فرنسا لا ترضى بأقلّ من حكم مباشر لسورية، حتى انه عندما يقوم بتعديل إدعائه - يستطيع الحصول على تنازلات بالمقابل والذي كان يأمل الحصول عليه هو توسيع مجال النفوذ الفرنسي شرقاً ليشمل ولاية الموصل. وفي مناورته هذه التي إعتبرها سراً، لم يكن يدري أن (سايكس) ومن ورائه (اللورد كتشنر^(١٩)) ينويان إعطاءه الولاية. إذ كانا يريدان أن يمتدّ النفوذ الفرنسي من البحر الأبيض المتوسط غرباً حتى أقصى الشرق الذي تمتد اليه حدود الإمبراطورية العثمانية الزائلة ليكون الفرنسيون بمواجهة روسيا عاملاً لوقف إمتداد النفوذ الروسي وراء المناطق الكردية والتركية وهي المناطق التي تسكنها أغلبية عربيّة وبهذا يحققون التوازن بين الإثنيين. بكلمة أخرى لتقوم فرنسا هناك بمثابة سور الصين حامية للممتلكات البريطانية في الشرق الأوسط. كان البريطانيون وقتذاك مستعدين حتى للتضحية بمصادر النفط في ولاية الموصل في سبيل وضع فرنسا بمواجهة الروس. وبرأي [ماريان كنت]:

«من وجهة النظر العسكرية كان مبدء دقّ أسفين في أراضٍ خاضعة للفرنسيين بين أي مجال نفوذ فرنسي وبين القفقاس الروسي يبدو أمراً حسناً من أي جهة نظرت إليه»^(٢٠).

من ناحية أخرى كان (سايكس) يطمع في الموافقة الفرنسية على الحملة المصرية. فأكدّ لحكومته منذراً بأنّ مسيحيي سورية لن يقبلوا بأيّ شكل من الحكم لأمير مكة.

١٩- H. H. Kitchner (١٨٥٠-١٩١٦). فيلدمارشال وزير الدفاع ١٩١٤-١٩١٦. في العام ١٨٩٨ هزم المهدي في موقعة أم درمان في السودان وأعاد سيطرته على الخرطوم. توفي غرقاً وهو في طريقه الى روسيا عندما إصطدمت سفينته بلغم بحري.

٢٠- ماريان كنت: النفط والإمبراطورية. السياسة البريطانية ونفط ميسوپوتاميا Marian Kent: Oil and Empire: British Policy and Mesopotamia oil 1900-1920 لندن ١٩٦٧، ص ٨٩.

وعاد (كامبون) السفير الفرنسي في لندن الى تأكيد ذلك بقوله أن الحكم الفرنسي هناك ضروري للحيلولة دون نشوب حرب أهلية دينية.

بالأخير حصل الإثنان، كلُّ على ما يريد من الآخر: فرنسا، ستحكم لبنان الكبير وتبسط نفوذاً لانزاع فيه على سورية وتحصل على نفوذ يمتد الى ولاية الموصل في حين تبقى ولايتا بغداد والبصرة للبريطانيين. وبقيت فلسطين عقبية فقد أرادها (سايكس) لبريطانيا في حين أصرَّ (بيكو) على ضمِّها الى النفوذ الفرنسي. وبالأخير توصل الطرفان الى حلِّ وسط: ان تحصل بريطانيا على مينائي حيفا وعكا وحزام أرضي تمدُّ فيه سكة حديد منهما حتى ميسوپوتاميا. في حين تناط إدارة البقية بهيئة دولية وماعدا هذا في الشرق الأدنى تؤلف منه دولة عربيّة أو نوع من الكونفدرالية لعدد من الدول المستقلة إسمياً إلا أنها عملاً ستكون في مجالي النفوذ الإنكليزي والفرنسي على أن تطلق يد روسيا في بقية الآيات العثمانية الشمالية الشرقية بأغلبيتها الكردية.

وقّع الإثنان هذا الإتفاق في الثالث من شهر كانون الثاني ١٩١٦. وكان عليهما أن يشركا الحليف الكبير الثالث روسيا فيه ويحصلوا على موافقتها.

في أوائل شباط من السنة عينها وبعد أن حظي الإتفاق بمصادقة الحكومتين شد مهندساه الرجال الى سان بطرسبورغ لنيل التوقيع الروسي. لم يكن (سايكس) يعلم ان الحكومتين الفرنسيّة والروسيّة توصلتا فيما بينهما الى حلِّ قضية فلسطين الشائكة من خلال مفاوضات سرّية جرت في السادس والعشرين من نيسان ١٩١٦. وفيها فُصلت الحدود التي كان سيّمتد إليها نفوذ الدولتين بعد زوال الإمبراطورية العثمانية ويتضمن الإتفاق تعهد روسيا بدعم فرنسا في المفاوضات التي ستجرى مع بريطانيا حول شكل الحكومة المقترحة لفلسطين كما تضمنت أيضاً الاعتراف بان التسوية التي تمت في كانون الثاني ١٩١٦ بخصوص السيادة الفرنسية وشكلها غير نهائية وان ذلك سيكون من شأن فرنسا وحدها.

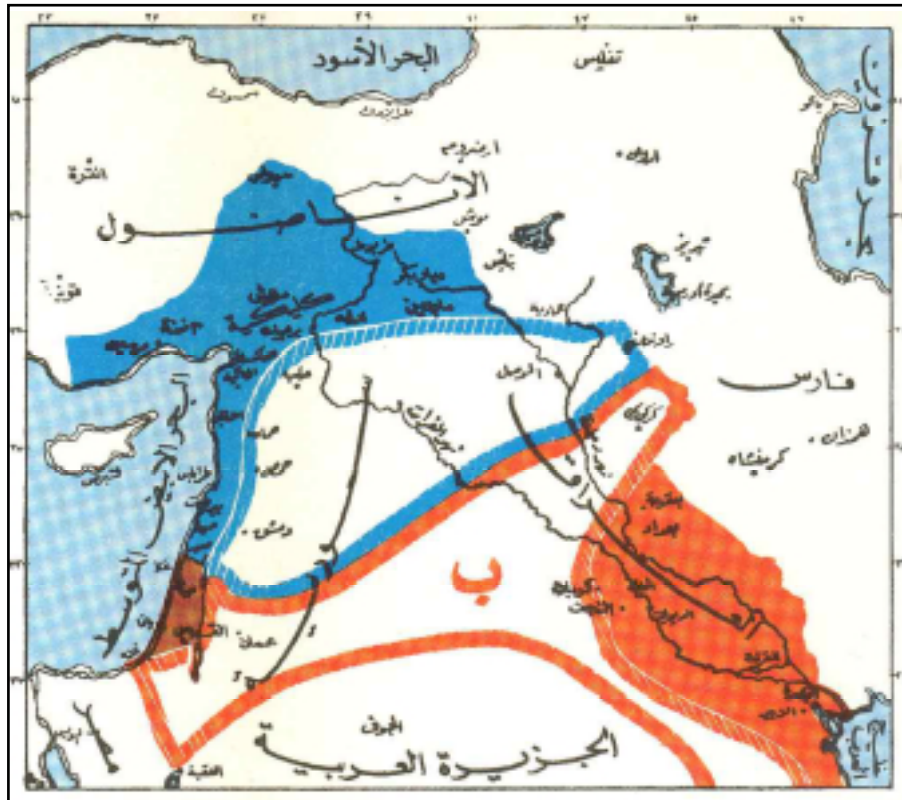
ولم يضع سيرجي ديمتروفتش سazanوف وزير الخارجية الروسي توقيعه على إتفاق سايكس بيكو^(٢١) إلا بعد أن ذُيِّل بملحق له يبيّن حصّة روسيا من كردستان^(٢٢).

٢١- لم ينشر تصريح بلفور بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين إلا في السابع من تشرين الثاني ١٩١٧ ولذلك لم يجر بحث إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين لا أثناء المفاوضات الثنائية =

طبعاً بقي أمير مكة يجهل التقسيم. وفي مصر قام (سايكس) بتقديم صديقه (بيكو) لمجموعة من رجال العرب المبعدين. ثم أخذته الى جزيرة العرب في زيارة للشريف وقيل انهما أطلعوهما على الإتفاق وهذا محض هراء لأن محتوى الميثاق كان يناقض تماماً ماطالب به الحسين وما كان يأمله، بدليل أنه صدم به حال إذاعته ونشر بنوده في العام ١٩١٨. إلا أن المكتب العربي أذر سايكس بأن التواجد الفرنسي في الشرق الأدنى قد يتمخض بمأس. لكن (سايكس) مضى قدماً في محاولة التقريب بين بيكو وبين الحسين وأولاده. وفي النهاية أبرق الى حكومته «توصل بيكو الى تفاهم مع العرب!»

= ولا في سان بطرسبرغ. ومن الجدير بالذكر أن الروس لم يكونوا يكتنون أي عطف لليهود ولا لدعواهم بإنشاء وطن قومي في فلسطين. وفي العاصمة الروسية تم إقناع (سايكس) بأن الصهيونية اليهودية قوة خطيرة معادية لروسيا. وهي عدوة خطيرة للبلاد الأخرى. غير أن (سايكس) أبلغ وزير خارجيته بأنه قال لزميله (بيكو) أن بريطانيا لاتهتم بحيازة فلسطين لكنها مطمح الصهاينة وهم يريدونها وعلى الحلفاء أن يحسبوا لهم حساباً فيها وأن يقطعوهم جزءاً منها لو شاؤا ربح الحرب!

٢٢- تعين في هذا الملحق حدود الجزء الذي سيكون لروسيا من الوطن الكردستاني: وهي كالاتي: الأقليم الواقع جنوب (وان) و(بتليس) ما بين محور موش- سعرد- دجلة- جزيرة ابن عمر. ومنتهياً بخط القمم الجبلية المشرفة على كل من العماديه وميرگور.



تقسيم سورية والعراق وكردستان
بناءً على إتفاق سايكس بيكو سazanوف ١٩١٦

الفصل السادس

حملة ما بين النهرين وكارثة الكوت. إعلان الشريف المكيّ ثورته.
تقدم الحملة وإحتلال بغداد. (لويد جورج) وولاية الموصل (جنوب
كردستان) لمساومة مع فرنسا والسعي لإحتلال الولاية عسكرياً.
مقتل إتفاق سايكس بيكو سارزانونف في أعقاب ثورة أكتوبر ١٩١٧
الروسية.

في أثناء ما كان المكتب العربي في القاهرة ينتظر ويحتث قيام ثورة عربية تختم
على مصير الإمبراطورية العثمانية. وقد تصرّم ثمانية عشر شهراً إعتباراً من بدء
الحرب على مفاوضات عقيمة مع الشريف حسين وبعوث ومراسلات. إذ بوزارة الهند
تطلب من المكتب التّدخل لتنظيف وكنس آثار حملة معتوهة سيئة العقبى في مجرى
الحرب ضد الأتراك هي حملة ميسوپوتاميا ذات النطاق الضيق بنتائجها الأولى التي
كانت فشلاً ونكبة تزي بحملة غاليبولي على البوسفور^(١).

فقبل نشوب الحرب بشهر واحد أمرت لندن بإعداد قوة من الهند ترسل الى الخليج
الفارسي لغرض حماية إمدادات النفط من مصفى عبادان من نشاط الجواسيس والعملاء
الألمان التخريبي بين قبائل القشقاي والبختياري في فارس. هذه القوة تحركت في ٦ من
تشرين الثاني نحو الخليج. وهو عين اليوم الذي شهد إعلان بريطانيا الحرب على تركيا.
سقطت (الفاو) بعد ضرب قصير بالمدفعية. وبعدها بأسبوعين إحتلت القوات الأرضية
الصاعدة مدينة البصرة التي تبعد حوالي مائة وعشر كيلومترات عن فم الخليج، خلافاً
للغرض الذي عُهد به اليها وهو حماية حقول النفط من هجومٍ في فارس.
والمقاومة التركية كانت ضعيفة. والبصرة تبعد مئات كثيرة من الكيلومترات عن

١- يراجع للتفاصيل كتاب: سي جيّ لو و م. ل. أوكيل: سراب السلطة، (ج ٢) سياسة بريطانيا
الخارجية ١٩١٤-١٩٢٢ C. J. Law. and M. L. Oekeill: The Mirage of Power. Vol 2: British Foreign
Policy 1914-1922. ط. لندن ١٩٧٢. الص ٢٨٨٩ وما بعدها.

مركز حشد القوات التركية وإمدادها بالقرب من بغداد . لذلك تمكنت القوات البريطانية من صدّ هجمات معاكسة. وشتتت شمل القوات النظامية وقوات العشائر الملبية دعوة الجهاد بسهولة تامة في معركة الشعيبية. إلا أن الفريق (سر جون نيكسون) المعين حديثاً لقيادة الحملة كان طموحاً وقد غرّته الانتصارات الأولى. فما أن تسلّم القيادة في نيسان ١٩١٥ حتى بعث بقوة يقودها أمير اللواء (چارلس فيرس طاونسند) صعداً بمحاذاة دجلة وراء إنتصارات جديدة وبكثير من العجلة وقلة تبصر أو ربما سعيّاً وراء هدف استراتيجي معين. بالأخير أمر نيكسون هذه القوة بالزحف على بغداد ، رغم إحتجاج طاونسند ومخاوفه وتطيّره من النتائج. إذ كان بين البصرة وبغداد مسافة تزيد عن ستمائة كيلومتر. والزحف لقطع هذه المسافة مع التعرض للعدو والمعارك المحتملة، كان يحتاج الى خبرة سوقية عالية وقوات كبيرة ووسائل نقل نهريّة كافية ومعدات مستشفى ميدان ومدفعية وأعتدة وأرزاق ولم تكن حكومة الهند آنذاك قادرة على تأمين ذلك لحملة مثل هذه.

كانت قوات طاونسند تتقدم عبر أرض قفر ومستنقعات وأهوار لا طرق فيها ولا سكة حديد ولذلك وجب عليها الزحف بمحاذاة دجلة الضحل الكثير المنحنيات الذي يضيع مجراه أحياناً في الأهوار وكانت الحاجة ماسّة الى أسطول من الزوارق تناسبه والبلاد فوق ذلك موبوءة بالمalaria وغيرها من أمراض المستنقعات المألوفة التي تفرض وجود مستشفيات ميدان ومهمات وخدمات طبيّة.

رغم كلّ هذا قاتل هذا الجنرال بصبر وعناد وشقّ طريقه بموهبة قيادية فذة تقرب من العبقرية وكاد يحقق نصراً عزّ نظيره في تاريخ الحروب لو وصلته في الوقت المناسب الأعتدة والأرزاق والتعزيزات التي طلبها. وفي قرية (سلمان باك) التي تبعد زهاء ٣٣ كيلومتراً جنوب بغداد حيث رابطت قوته الصغيرة. علّم أن الفيلدمارشال گولمان فون در گولتسه الذي كان يعدّ واحداً من كبار استراتيجيي عصره - قد تسلّم القيادة العليا لسائر القوات العثمانية في ميسوپوتاميا. كما علم بأن ثلاثين ألفاً من الجنود الأتراك هي على وشك تعزيز الثلاثة عشر ألفاً الذين يواجههم، في حين لم تكن قوات طاونسند تتجاوز هذا العدد وبحالتهم تلك التي وصفناها.

وأدرك طاونسند ببعد نظر أن أقرب موضع يمكنه من الصمود في وجه هذه القوات

يبعد عن بغداد بحوالي ٣٥٠ كيلومتراً ويقع على ضفة دجلة. لكنه قرر بتسرعٍ خالٍ من الحكمة أن جنوده المنهكين يعجزون عن التقهقر بقطع هذه المسافة. فبعد تراجع عصبب لمسافة مائة وسبعين كيلومتراً تخللته هجمات تركية عديدة، قرر أن يقف ويخندق في الكوت بعد أن خسر الفأً من قوته الصغيرة.

كانت الكوت أيامذاك مدينة صغيرة الجرم طينية البناء تجشم في منعطف لنهر دجلة ويحيط بها ماؤه من جوانب ثلاثة، فإحتسمى بها وتحصن في الجانب الرابع وبدا وكأنه في قلعة حصينة حبس نفسه داخلها وصعب عليه وعلى الأتراك الخروج والدخول منها أو اليها. وعندها ترك الفيلدمارشال الألماني قوة كافية لحصارها والحيلولة دون إختراق بريطاني.

ولجأ طاونسند الى خطة إنقاذ ناجحة إلا أنه قضى على فرصة النجاح فيها بعجلته. كان يملك أرزاقاً وأعتدة تكفيه حتى نيسان ١٩١٦. إلا أنه كذب وأبرق يقول إنها لا تكفيه لأكثر من كانون الثاني، في حين أن القوة القادرة على فك الحصار عنه لم يكن بالإمكان حشدها خلال المدة التي عينها بل كانت تحتاج الى أسابيع قليلة أخرى. إلا أن برقيات غير المتزنة الملحاحة ألجأت القوات المتاحة لعملية الإنقاذ على الإشتباك في معركة غير متكافئة وفشلت محاولة فك الحصار. ولو إنتظرت لحشد قوة كافية لكان بالإمكان إختراق خطوط الأتراك وإنقاذ قوة طاونسند وفي ٢٦ من نيسان نفذت أرزاق (طاونسند) وطلبت وزارة الهند من المكتب العربي المداخلة كما جاء بيانه. فانتهدب المكتب عنه (لورنس) والكابتن أوبري هيربرت (وهذا الأخير كان أيضاً عضواً في مجلس العموم وصديقاً معروفاً للأتراك قبل الحرب).

دام حصار الكوت ١٤٦ يوماً. وكانت المقاومة فعلاً واحدة من ملاحم البطولة وأفقدت حمى الملايا كل توازن في طاونسند فعرض على الأتراك مليوناً من الپاونات لفك الحصار. إلا أن (لورنس) وصاحبه عرضا ضعف هذا المبلغ وهما في غاية الخجل ورفض العرض بأمر قاطع من (أنور) وزير الحرب الذي بدا مستمتعاً حقاً بإذلال البريطانيين. فقام طاونسند بإتلاف مدافعه وأسلحته وعتاده وإستسلم دون قيد أو شرط وعمل شخصياً في استنبول معاملة كريمة إلا أن جنوده سيقوا سيراً على الأقدام مائةً وسبعين كيلومتراً حتى بغداد. ومنها سيراً على القدم أيضاً مسافة ٨٠٠ كيلومتر الى

الأناضول. ثم سيقوا الى العمل في السكّة الحديد ولم ينج منهم إلا القليل.

*** **

أخيراً وفي يوم ماين الخامس والعاشر من حزيران ١٩١٦ أعلن شريف مكة الثورة على الإمبراطورية العثمانية رسمياً^(٢) وكانت خاتمة مفاوضات بينه وبين المكتب العربي دامت أكثر من ثمانية عشر شهراً كما ذكرنا تمتّع خلالها الشريف برشوات وهبات مالية من الطرفين التركي والبريطاني.

في الواقع أرغم الشريف على إعلان ثورته عندما علم بأنّ الجون ترك مزعمون على تجريد حملة عسكرية لعزله وكان في نيسان من العام ذاته قد علم عن طريق جمال باشا وأن قوة منتخبة ومدربة تدريباً عالياً قوامها ثلاثة آلاف وخمسمائة جندي على وشك الحركة عبر الحجاز للوصول الى الطرف الجنوبي من جزيرة العرب، حيث ينوي خبراء من الضباط الألمان نصب محطة تلغراف. كانت هذه القوة كافية للقضاء على حكم الشريف أثناء مرورها بأراضيه الأمر الذي حمله على العمل بسرعة وأخذ المبادرة بيده.

طلب أولاً حمايةً من الأسطول البريطاني على طول ساحل الحجاز. وكان قبل شهرٍ واحدٍ قد حصل على خمسين ألف ليرة ذهبية من أستنبول، طلبها بزعم «تجهيز قوة لمحاربة البريطانيين وفي عين الوقت الذي حصل على مائة ألف باون سترليني من البريطانيين لتجهيز قوة لمحاربة الأتراك!»^(٣).

وأسرع الأسطول البريطاني مغتبطاً جذلاً بالتحرك على طول ساحل البحر الأحمر الشرقي لصدّ القوات التركية - الألمانية ومنعها من التقدم خطوة واحدة.

وإحتفل المكتب العربي بهذا النصر العظيم. وأشغل السرّ مارك سايكس قسم الخياطة في الجيش البريطاني بتفصيل وخياطة ألف عكّم للثورة كان قد اخترعه من الأبيض والأحمر والأسود والأخضر^(٤). تخلّصاً من فوضى الرايات العشائرية، كما قال.

٢- دخل هذا اليوم الحوليات العربية بالتاريخ الهجري: التاسع من شعبان.

٣- بهذا الصدد يحيد مراجعة كتاب أرنست داون: من العثمانية الى العروبية Earnest Dawn: From Ottomanism to Arabism. لندن ١٩٧٣. ص ٣٣ وما بعدها.

٤- يذكر السرّ مارك سايكس انهم في المكتب العربي إستشاروا التاريخ العربي في ذلك فوجدوا أن شعار العباسيين هو السواد. وأن الأخضر هو شعار العلويين وأن الأمويين كانوا يرفعون الرايات =

كان المكتب العربي يعتقد أن إعلان الثورة سيلقى إستجابة حماسية ودعمًا من العالم الإسلامي الناطق بالعربية. بل بلغت حماسته بل قُل سذاجته حدّ الايمان بأن الثورة المعلنة ستلقى مساندةً من الأغلبية العربية في الجيش العثماني وأنّ آلفاً مؤلفة من الجنود والضباط سيلتحقون بالثورة. ووقع موظفوه ضحيةً لمبالغات بعض الضباط العرب الأسرى. كما كان فيصل وأبوه قد أكّدا للمكتب كتابةً بأنهما يتوقعان أن يلتحق بهما حوالي مائة ألف من الجنود العرب وهو ثلث مجموع قوات الجيوش العثمانية بحسب تقديرهما^(٥).

= الحمر في حروبهم الإسلامية. وبقي الأبيض وهو أفضل معبر لحكم الخلفاء الراشدين وبه عرفوا [أوراق سايكس. P.S. 244.4.588. نقول: نقل الأستاذة نجدة فتحي صفوة في المقدمة التي كتبها لمذكرات جعفر العسكري: ط لندن ١٩٨٨ - حاشية الص ٢-٣] إقتباساً من كتاب "الصراع الدولي في الشرق الأوسط: ولادة دولتي سورية ولبنان" لمؤلفه صديقنا الراحل الدكتور زين نورالدين زين. وهذه هي: "... غير أن جعفر باشا العسكري ذكر في مذكراته التي لم تُنشر - أنه في يوم ما من العام ١٩١٧ عندما كان في القاهرة، أراه [كلايتون] علماً قائلاً له: هذا علمكم العربي ذو الألوان الأربعة. وقد وضع تصميمه الشريف حسين ذاته"، وقد نقل عنه هذه الرواية الأستاذ سليمان موسى في كتابه الحركة العربية (ص ٣٨) وآخرون مشيرين الى كتاب زين نورالدين زين. أه.

لم يكن التمحيص والموازنة والتدقيق في الوثائق والأسانيد بله المنطق السليم من طبع عدد كبير من كتّاب جيلنا ومؤرخينا في البلاد الناطقة بالعربية، لاسيما عندما يتعلّق الأمر يحدث أو واقعة قد تدعوان الى الفخر والإعجاب أو الى تمجيد شخصية عربية وبطبيعة الحال فأنا لأعتقد أن أحداً يكذب في نقل هذه الرواية إبتداءً من جعفر العسكري فنازلاً. والمنطق السليم والغالب على الظن أن (كلايتون) وهو أحد المشاركين في هندسة العلم العربي لم يعمد الى هذه الكذبة إلا ترغيباً لجعفر بالالتحاق بثورة الشريف وكان إذ ذاك أسيراً في القاهرة، ربّما على سبيل المبالغة له بخطورة الثورة والدرجة العالية التي بلغت من التنظيم، وإعلاءً لمقام وعلوً ثقافة زعيمها الشريف مكة الذي لم يكن جعفر يعرف عنه شيئاً إذ ذاك. إنّه لمن التجنّي على الشريف الحسين ابن عليّ أن نحمله براءة إبتداع راية جهادية (بالقدر المحدود الذي يملكه من معرفة في التاريخ العربي وبتوسع صدر عُرف بالضيق دائماً) يرمز لنوان منها على الأقل وهما (الأسود والأحمر) الى دولتين عربيتين إنتزعتا الحكم من أسرته العلوية عنوة وإقتداراً وأعملتا قتلاً وذبحاً بأجداده وأسلافه وذوي قرياه طوال عهديهما. والواقع أن هذا العلكم فُرض عليه كما فُرض على غيره من رؤساء العشائر العربية المشاركة في الثورة ومعظمها لم يكن يدين بأيّ ولاء وطاعة لأحد غير الذّهب البريطاني.

٥- وثيقة بريطانية 16-5-19 Kew AB Fo. 882. vol 1. وفقاً لسايكس (المرجع السالف) أكّدا له =

غير أن ما حصل فعلاً هو أن الثورة التي أعلنها الحسين أو قلّ أمّلها بالأحرى، لم تحصل قط. لم تنضّم أي وحدة من الجيش العثماني اليه مهما صغرت. ولم تلتحق لا به ولا بالحلفاء اية شخصية عثمانية بارزة سياسية أكانت أم عسكرية. وتلك الجمعية السريّة المسماة «جمعية العهد»^(٦) التي تلهج بها كتب التاريخ العربيّة اليوم والقائمة على أنقاض عدة جمعيات عربيّة سريّة - لم تجرأ على إظهار نفسها أو حتى الإعلان عن وجودها، في حين كان رئيسها ومؤسسها (عزيز علي المصري) يتعاون في القاهرة تعاوناً وثيقاً مع المكتب العربي بصفة خبير ومستشار لا بوصفه متكلماً أو ناطقاً باسم جمعية ما.

لم تحصل ثورةٌ حجازية - عربية قط. بل كان ثم آلاف قليلة من رجال العشائر جمعتها الأموال البريطانية والهبات المالية. وهي قوام عساكر الحسين. لم يكن لديه جيش مدرب ولم يلاحظ هناك أي دعم للثورة مادّي أو ادبي لا من الحجاز والجزيرة ولا من أي جزءٍ من أجزاء العالم الناطق بالعربيّة. والضباط العشرة غير الحجازيين الذين التحقوا به كانوا أسرى حرب أو مبعدين. أقنعهم البريطانيون بالإلتحاق. وبعضهم اشتري حريته من الأسر بهذا. وكان بينهم عدد من الضباط الكرد. ليس من أغراض هذا الكتاب التطرق الى مجريات الثورة العربيّة أكثر من هذا إلاّ اننا وجدناه ضرورياً لعلاقته بالمستقبل الكردستاني وحركة الكرد القومية نظراً الى مطالب الحسين السياسية في تسوية ما بعد الحرب.

* * * * * * * *

= بأنّهما يتوقعان أن يلتحق بالثورة ربع مليون جندي وهو تقريباً كلّ الجيش العثماني المرابط في تلك الجبهة!

٦- جاء في كتاب جورج أنطونيوس الموسوم «يقظة العرب The Arab Awakening الترجمة العربيّة. دار العلم للملايين ١٩٨٠- بيروت»: في بداية ١٩١٤ أخذ عزيز علي ينفذ خطة إخمترت في فكره... وأخيراً أنشأ منظمة منفصلة مستقلة عن الجمعية الأولى ولم يقبل فيها من المدنيين غير إثنين أختيرا لوطنيتهما الموثوق بنزاهتهما... ولما كان العنصر العراقي أكثر العناصر عدداً في الجيش العثماني لذلك كانت له قوته في مجالس جمعية العهد وأنشأ لها فروعاً في بغداد والموصل... وأصبحت الجمعية بالنسبة الى الضباط مثل جمعية (العربيّة الفتاة) بالنسبة للمدنيين. ومع أن الجمعيتين لم تعلم إحداها بوجود الأخرى في بداية الأمر، غير أن نشاط كلّ منهما في ميدانه كان متمماً ومكماً لنشاط الثاني الى أن وافت سنة ١٩١٥ فإتصلت الجمعيتان في مدينة دمشق ووحّدتا وسانلها معاً لإيقاد الثورة العربيّة».

في بريطانيا شكّلت وزارة إئتلافية برئاسة لويد جورج. وتمّ بذلك التخلص من اسكويث ووزير خارجيته لورد غري اللذين كانا ضدّ نفوذ بريطانيا في الشرق والشرق الأدنى. وتدليلاً على هذا أن دعوة الجنرال شريف باشا للتعاون الكردي في مفتتح الحرب لم تلق ترحيباً عند (إسكويث) وحكومته إلاّ أن رئيس الحكومة الجديد كان يعتقد بأهميّة الشرق الأدنى العظيمة في كسب الحرب. ومن أولى خطواته في تطبيق هذه السياسة، أمرُ صادر إلى قواته في مصر بالتحويل إلى الهجوم، وتعزيز القوات في ميسوپوتاميا لإستئناف الزحف على بغداد وما وراءها وجنوب كردستان.

أصاب كارتة الكوت حكومة لندن والرأي العام البريطاني بهزّة عنيفة نجم عنها عملية تطهير عسكرية واسعة من الأعلى. وسلمت قيادة الحملة إلى الجنرال ستانلي مود الذي إستأنف العمليات العسكرية تحت إمرة وزير جيد ونائب الملك في الهند جديد. ويقتال أصوليّ منظمٍ حذرٍ مكّنه من دخول بغداد عاصمة الولاية في ١١ آذار ١٩١٧.

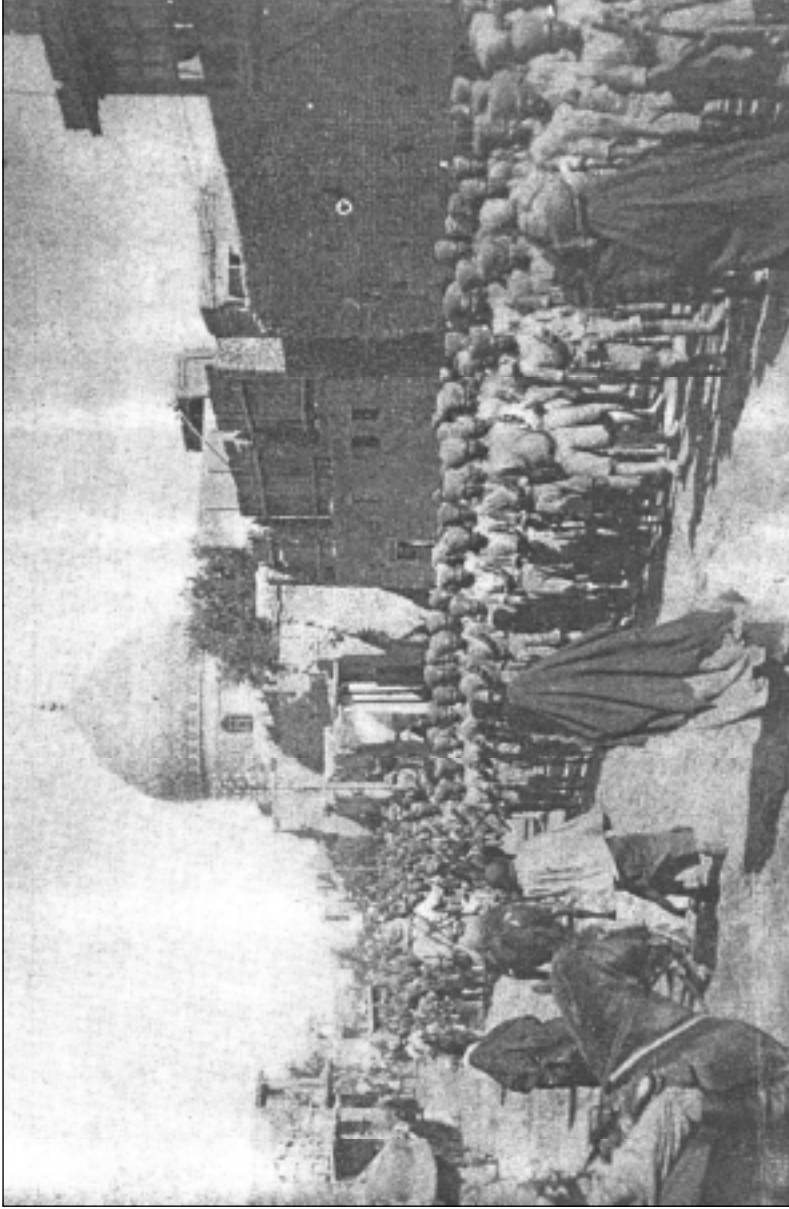
التي حدّ تاريخه لم يكن قطّ واضحاً الهدف الذي يكمن وراء حملة بغداد وما الغرض الذي تخدمه في ستراتيجية الحرب بصورة عامة. على أن إحتلال عاصمة الخلافة الغابرة المقترنة بشهرة «كتاب الف ليلة وليلة» المترجم والمنتشر إنتشاراً هائلاً في أوروبا، إستهوى خيال رئيس الحكومة الجديد، ونال به سمعة طيبة عند الرأي العام.

إلاّ أنّ النجاح في ميسوپوتاميا كان مفاجأة لأولئك الذين خططوا لإتفاق سايكس-بيكو-سازانوف وحصلوا على موافقة الدول الثلاث المعنية، لم يدر ذلك في خيال السرّ مارك سايكس خصوصاً ومن ورائه حكومته بالذات.

من نتائج هذا النجاح انه أثار مسألة إعادة النظر في مستقبل الأقاليم العثمانية التي سيتمّ إحتلالها غير الداخلة في ذلك الإتفاق الثلاثي. لاسيما بعد أن أعطي الضوء الأخضر للجنرال مود بمواصلة عملياته العسكرية قُدماً شمال بغداد.

كانت حكومة الهند تنوي إحقاق ولايتي بغداد والبصرة بإدارتها في حالة تمام سلخهما رسمياً من جسم الإمبراطورية العثمانية. إلاّ أن سايكس والمكتب العربي الصديق للعرب كانا يعتبران ذلك أمراً مكروهاً. وفي مذكرة كتبها (سايكس) لحكومته في أواخر العام ١٩١٦ قال منذراً:

«إن باشرتم العمل من الهند. فكل تقاليدنا القديمة ستكون منظورة على



الجيش البريطاني يدخل بغداد - ١١ آذار ١٩١٧
من أرشيف القوة الجوية الملكية البريطانية RAF

مبيدء الأسود والأبيض. ليس بمقدوركم أن تسوقوا العرب الى طاولة
الأبيض والأسود»^(٧).

كان ذلك بدافع حرصه على إتفاقيته، وخوفه من موتها.

وفي ميسوپوتاميا إنكبَّ (سرِ پيرسي كوكس) رئيس الدائرة السياسية الملحقة بالحملة على صياغة بيان يُنشر للأهلين. حدّدهُ بصورة رئيسة بدعوتهم الى التعاون مع الإدارة البريطانية الهندية المؤقتة. إلا أن لندن لم توافق عليه وأمرته بعدم إذاعته. ثم كتبت مسوّدات عديدة للبيان المنتوى. وبعد نقاش طويل إختارت وزارة الحرب النص الذي كتبه سايكس أساساً للصيغة النهائية التي نشرت. وفيها دعت الزعماء العرب (لم يكن واضحاً من هم المدعوون) للإسهام في الحكومة بالتعاون مع السلطات البريطانية المحتلة. وحفل بعبارات طنانة رنّانة والحديث عن الحرية والتحرر وعن الأمجاد الغابرة والمستقبل العظيم الذي ينتظر البلاد في المستقبل والأمل بأن الأمة العربية ستجد طريقها واضحاً نحو الوحدة شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً مشيراً ببعض غموض الى كونفدرالية عربية شرق أوسطية تحت زعامة الملك حسين السنيّ رغم أن معظم سكان ولايتي بغداد والبصرة هو من الشيعة.

وإعترض الجنرال مود على صيغة سايكس. ورأى من الضرورة وكعسكري أن تقام إدارة بريطانية صرفة حفظاً للأمن، والقتال مازال مستمراً. ولاحظ فضلاً عن ذلك أن عرض مقدارٍ من الإدارة المحلية لعرب بغداد أمرٌ مستحسن. إلا أن البيان الذي نشر لم يضع في حسابه الواقع وهو ان معظم سكان بغداد آنذاك لم يكونوا عرباً بل خليطاً من قوميات متعددة. إلا أن نصّ (سايكس) دُفع دفعاً الى حنجرة الجنرال وفُرض فرضاً فسبب كثيراً من الإضطراب والبلبلّة. كان ظاهر القصد منه التأكيد بأن القوات الانكلو هندية المحتلة لن تحكم ميسوپوتاميا. لكن البيان لم يوضح من سيكون حاكمها.

في ١٦ من آذار ١٩١٧ ألفت وزارة الحرب البريطانية لجنة أطلق عليها عنوان (لجنة إدارة ميسوپوتاميا) برئاسة وزير الخارجية اللورد كرزن. وعهد اليها بمهمة تقرير الشكل الذي سيتخذ لحكم البلاد التي فتحت. فقررت اللجنة أن تكون ولاية البصرة خاضعة

٧- بریتون کوپر بوج: الهند البريطانية والعرب ١٩١٤-١٩٢١. Briton Cooper Busch: Britain India and the Arabs 1914-1921. مطبعة جامعة كاليفورنيا. لا تاريخ للطبع.

للإدارة البريطانية مطلقاً ومباشرةً. وأن تكون ولاية بغداد وحدة سياسية عربية خاصة تحت الحماية البريطانية. وأن يسحب منها الموظفون التابعون لحكومة الهند. ما أن وصل القرار الجنرال مود حتى أسرع بالردّ برفقياً:

«الأوضاع المحليّة لا تسمح باستخدام أحدٍ في مراكز مسؤوليّة خلا الضباط البريطانيين الكفوئين والقادرين على التعامل مع السلطات العسكرية ومع الأهالي. وقبل تطبيق أي عملية إقامة واجهة عربيّة حقيقية للإدارة أرى من الضروري تثبيت أسس القانون والنظام تثبيتاً حقيقياً^(٨).»

واضح من هذا أن لندن إمّا كانت تجهل واقع الخليط السكاني في ولايتي ميسوپوتاميا أو انها لم تول أي اهتمام لا بها ولا بالكراهية المتوارثة المتبادلة بين الأقلية السنية والأكثرية الشيعية ولا بين الصراع القبائلي الحاد. ولا بالتقسيم التاريخي والجغرافي لاسيما بعد أن بدت طلائع الجيش البريطاني على مشارف ولاية الموصل (كرديستان).

من سيتولى الإدارة والقضاء والشؤون البلدية؟ لم يكن للجنة اللورد كرز في لندن أي فكرة عن كيفية تمشية هذه الأمور بعد طرد الموظفين العثمانيين وحلّ الإدارة ومن سيصرف الأمور والحرب مازالت قائمة والجيش البريطاني تجدد في مطاردة الأتراك خلال أقاليم ولاية الموصل.

بالأخير اضطرت السلطة العسكرية الى إبقاء موظفي الإدارة الهندية خلافاً لرأي اللجنة. كانت ولايتا بغداد والبصرة أوّل وحدتين إداريتين عثمانيتين يحتلها البريطانيون من الإمبراطورية العثمانية بالحرب. وقيت الإدارة عسكرية صرفة ردحاً من الزمن ثم عين السر بيرسي كوكس حاكماً مدنياً عاماً. وكان واضحاً أن الوايت هول فشل في رسم التفاصيل العملية لتحقيق الوعد المعطى بسخاء للمواطنين بحسب البيان الشهير. وكان الفشل يندب بسوء العقبي لاسيما في تلكم البلاد التي سيتم إحتلالها بعدئذ ومن ضمنها الجزء الجنوبي من كردستان العثمانية. وهكذا تبين عملاً أن سايكس وصحبه في المكتب العربي إرتكبوا متن الشطط بتبني سياسات للشرق الأوسط مبتسرة

٨- المرجع السالف عين الصحيفة.

متسرّعة دون إعتبار سبق لإمكان تطبيقها بنجاح على ضوء الوضع الراهن. وإن كان سيسمح للضباط البريطانيين المقيمين هناك والمعينين في وظائف مدنيّة بتطبيقها عملاً؟ تشجيع فكرة الإستقلال لم يتقدم خطوةً واحدةً لتتساق مع الخطوات السريعة التي كانت تقطعها الجيوش البريطانية سعياً لإحتلال ولاية الموصل. وبقيت لاتتعدى الحدود القولية. تلكم الوعود التي بذلها سايكس ووزارة الخارجية.

وأضطرّ السيرّ بيرسي كوكس الى ترك بغداد لتولي منصب وزير بريطانيا المفوض في طهران. وعهد بالإدارة في غيابه الى العقيد السرّ آرنولد ولسن وهو ضابط من الإدارة الهندية لم يكن مؤمناً باستقلالٍ يُمنح للبلاد التي يديرها ولا يرى سبباً يدعو للإهتمام بدورٍ للشريف حسين المقيم بعيداً. ولا مبرراً هناك لمداخلته في شؤون العراق. وكانت تعاونه الآنسة (جيرترود بل) الشهيرة التي كتبت في شباط ١٩١٨ لصديق قديم هو (چارلس هاردنغ) نائب السكرتير الدائم لوزارة الخارجية

«قفزات مذهلة أنجزناها نحو إقامة إدارة حكومية منتظمة... لا يقف ضدنا عنصرٌ هام... كلما تمكنا من تحكيم قبضتنا كلما زاد الأهالي رضى وأرتياحاً ومبعث سرورٍ لهم. انّ الذي يخشونه هو أنصاف الحلول... ليس هناك لا في بغداد ولا في البصرة من يفكرٌ في إقامة حكومة عربيّة مستقلة»^(٩).

ذلكم هو الصدى البعيد جداً عن البيان الذي كتبه (سايكس) وتلاه مود عند دخوله بغداد.

وبدا وكأنّ الجميع كانوا يتوقون الى قتل إتفاق سايكس- بيكو- سazanوف. ومنهم

٩- ونستقن: جيرترود بل Winston: Gertrude Bell. لندن ١٩٧٨. ص ٢٠٢. بريتون بوج المرجع السالف ص ١٥٦. نقول: لاتجد لهذه الرسالة أثراً في الترجمة العربيّة التي عملها الأستاذ جعفر خياط لمجموعة من رسائلها سبق ونشرتها في العام ١٩٦١ السيدة بورگوين زوجة ابنيها Elizabeth Burgoyne بعنوان Gertrude Bell, From her Personal Papers. فالآنسة بل اشتهرت بكثرة الكتابة لاصدقائها وأقربائها وما ترجمه الأستاذ جعفر خياط «بعنوان العراق في رسائل مس بل» لايمثل إلاّ جانباً مما كتبه وبعثت به. هناك عشرات من الرسائل الخاصّة كانت تبعث بها لاصدقائها الذين يتولون مناصب حكوميّة، تجد بعضها في مجموعات أخرى من الرسائل طبعت قبل هذه المنقولة بعد وفاتها.

كلايتون الذكي الأريب واللورد كرزن والمكتب العربي مؤخراً بل و(سايكس) بالذات! بل حتى رئيس الوزراء لويد جورج نفسه الذي كان يرى بأن تسارع الأحداث إستبقت الإتفاق فقتلته. في الواقع كان هذا رأيه على حدّ قول كلايتون. وقد نعته «بالإتفاق السخيف من أي وجه نظرت إليه»^(١٠).

حتى سايكس نفسه فقد وافق بالأخير على دفن الإتفاق. علماً بأن ثورة أكتوبر ١٩١٧ وخروج روسيا منه لم يكن قطّ عاملاً في قتله لأنه كان قد مات قبلها.

ففي ٣ آذار ١٩١٨ كتب سايكس لكلّ من الجنرال وينگيت. والمقدم كلايتون قائلاً: «يجب ترك الإتفاق وإهماله، بسبب تعاقب أحداث معينة. كدخول الولايات المتحدة الحرب، وإعلان رئيسها نقاطه الأربع عشرة. والثورة البلشفية ونشر البولشفيك نصوص الإتفاق، الأمر الذي جلب سخط الرأى العام العالمي»^(١١).

على أن لويد جورج كان سيعود بعد إنتهاء الحرب الى التفكير بجدية في آثار هذا الإتفاق وينفعه لاسيما بخصوص جنوب كردستان (ولاية الموصل) التي كان فتحها آخر عملية للجيش البريطاني فضلاً عن فتح فلسطين وسورية وهو ما سنعرض له في الفصول القادمة.

١٠- كلايتون المرجع السالف ذكريات الحرب War Memories ج ٤ . ص ٨٢.

١١- المرجع السالف الص ٨٣ وما بعدها.

الفصل السادس

سير الحرب في جنوب كردستان. الزحف والإستيلاء على عاصمة الولاية. محادثات لويد جورج وكليمانصو حول مصير الولاية. التخطيط السياسي لما بعد الحرب في الشرق الأوسط. خطط جديدة بعد موت الإتفاق الثلاثي. مجهودات شريف باشا خندان في فرساي. القضية الكردية أمام محفل دولي لأول مرة.

في أواخر العام ١٩١٦ خصّصت القيادة الروسية العليا قوات قفقاسية بهدف الإندفاع جنوباً لإحتلال ما منحتها الإتفاقية الثلاثية من أراضٍ في كردستان بل وأبعد منها بالتنسيق والتعاون مع الحملة البريطانية التي كانت تغذّي السير نحو بغداد. بل كان قد قُدّر لرتلٍ روسيٍّ أن يدخل بغداد مع القوات البريطانية في حين يزحف رتلٌ آخر نحو الموصل على محور [رواندوز - أربيل] إلا أن النكسات التي أصيبت بها هذه القوات لاسيما هزيمتها في خانقين أدت الى اعاققتها عن اللحاق بالقوات البريطانية التي دخلت بغداد في ١١ من آذار ١٩١٧ (*).

أعطى الجنرال مود الضوء الأخضر للإندفاع شمالاً نحو ولاية الموصل، بوجود الروس أو بدونهم. وكان من المقرر أن يضمّ القسم العربي من هذه الولاية الى ولاية حلب (بعد إحتلالها) ليقوم فيها حكم ذاتي عربي تحت الحماية الفرنسية بعد أن تفصل المنطقة الكردية منها وتلحق بالمنطقة الكردية الأخرى التي جعلت تحت النفوذ الروسي. ولما لم تكن إتفاقية سايكس-بيكو-سازانوف معروفة للعالم فقد إستغلّ الأتراك والألمان بيان الجنرال مود الموجه الى العرب القاطنين ولاية الموصل عند وصول القوات البريطانية الى حدودها « فاستخدموه بوجهٍ ينافي مصالحنا وأذاعوا بين الكرد ووزعوا مناشير ذكروا فيها أن البيان البريطاني تجاهلهم وغمط حقوقهم وإن كان له أي مدلول فهو أنهم

* يظهر أن حكام بغداد كانوا يجهلون أن هذا التاريخ يتفق ويوم إعلان إتفاق الحادي عشر من آذار ١٩٧٠ ولا يداخلني شك كبير أنهم لو علموا لإختاروا يوماً آخر لإعلان الإتفاق.

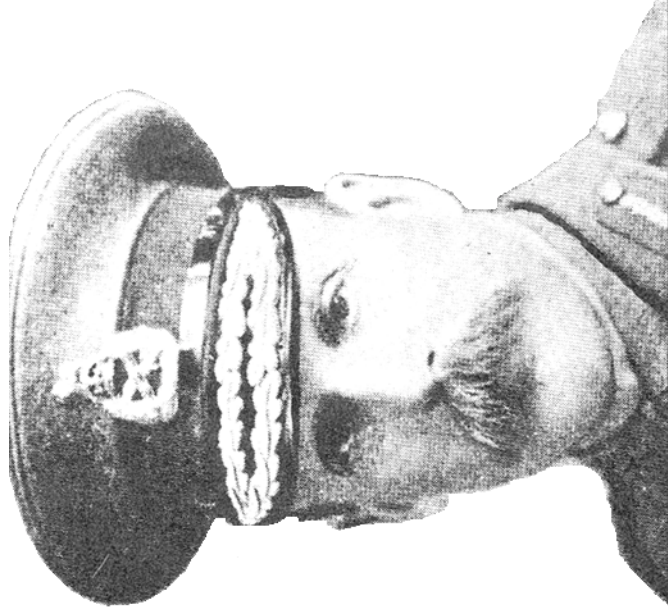
سيوضعون تحت أقدام العرب الذين يحتقرونهم ويغضونهم^(١).

قلنا. كان ثم رتلان روسيان منطلقان نحو ميسوپوتاميا من الأراضي الإيرانية بالتناسق مع القوات البريطانية وبحسب الخطة التي إتفق عليها الحليفان.

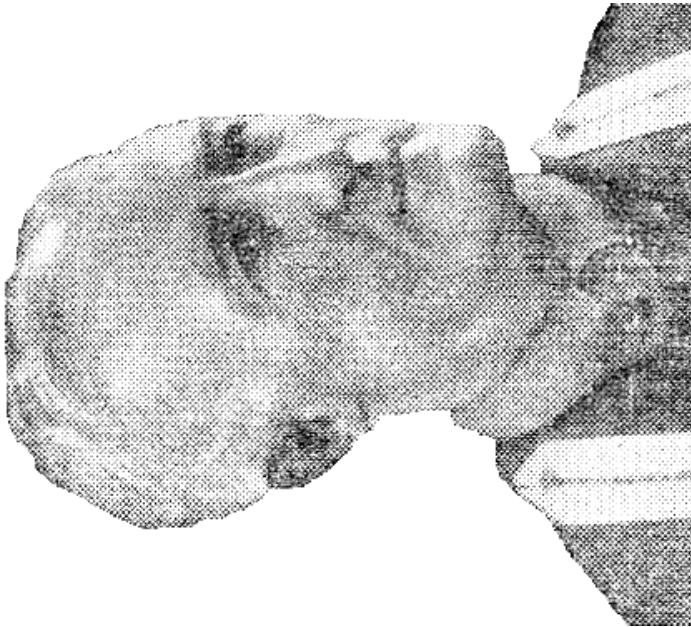
يذكر ولسن. انه وفي ٢٢ من آذار ١٩١٧ أمر رئيس الأركان العامة البريطاني الجنرال مود بأن يتدبر تنسيق الحركات للجيشين الروسي والبريطاني على أن تكون محددة بالضرورات العسكرية فقط بصرف النظر عن مناطق النفوذ السياسية التي إتفقت عليها الدول الثلاث. والواقع أن الثورة الروسية بدأت في اليوم الذي سبق دخول الجنرال مود بغداد. وكانت الخطة أن يقوم الرتل الأول بقيادة الجنرال بارتوف بمهاجمة وسط العراق على محور كرمشاه- خانقين- بغداد أمّا الرتل الثاني الذي كان بقيادة الجنرال [جرنازوبوف] فيعمل على محور رايات- رواندوز- أربيل- الموصل. هذا الرتل دخل حدود الولاية فعلاً من جهة الشرق في ٧ أيار ١٩١٦. وإحتل رواندوز في ١٣ منه ليتركها بعد هجوم تركي مقابل في حين دخل الرتل الثاني خانقين إلا أنه مالبت أن تركها عقب الثورة الاشتراكية. هذان الجيشان إرتكبا من الفظائع والأعمال الوحشية ما بقي يُذكر بإشمئزاز وقرق. فقد زرعوا الخراب التام في كردستان كالجراد الزاحف الى الحد الذي ألجأ الأهالي الكرد الى التعاون مع أعدائهم الترك على طردهم.

في ٢٦ نيسان ١٩١٧ أصدر السير وليم روبرتسن رئيس أركان الجيوش الإمبراطورية أمراً للجنرال مارشال الذي خلف الجنرال مود المتوفى في القيادة العامة لقوات ماين النهرين أمراً بالزحف نحو كركوك وإحتلالها ثم التقدم منها شرقاً لإحتلال السليمانيه وكان الدافع الى هذا الأمر العاجل عسكرياً صرفاً - ستراتيجياً بالدرجة الأولى من أجل تخفيف الضغط على القوات الروسية وتحويل ثقل القوات التركية المندفعة نحو أذربيجان. ومهّد السير پرسی كوكس رئيس الضباط السياسيين للحملة بأن بعث برسائل وموفدين شخصيين الى زعماء القبائل الكردية في السليمانيه وكركوك فيها الكثير من

١- أ. ت. ولسن ولاءات ميسوپوتاميا: سجل شخصي وتاريخي ١٩١٤-١٩١٧ لندن ١٩٣٠. ص ٣٨ A.T. Wilson: Loyalties Mesopotamia, a Personal and Historical Record. [قلنا هذا الكتاب هو الجزء الأول من الكتاب الذي قام الأستاذ فؤاد جميل بترجمته للمؤلف عينه وأصدره في بغداد بثلاثة أجزاء بعنوان "بلاد ماين النهرين بين ولاتين".



الجنرال مود - قائد القوات البريطانية التي إحتلت بغداد



السفير البريطاني كوكس

الوعد السياسية والإقتصادية طالباً التعاون العسكري مع القوات البريطانية الزاحفة لتصفية الحاميات التركية في كردستان. ويظهر أن الأجوبة التي تلقاها كانت مرضية ومشجعة ولهذا أيد رسمياً وجهة نظر القيادة العامة، أي الإندفاع الى قلب ولاية الموصل ومجاهل كردستان وقضى على كل معارضة من ضباط الأركان المحليين لما سمّوه بالمغامرة العسكرية أي إحتلال (أنور پاشا) القائد التركي مدينة تبريز وتهديده بالإندفاع جنوباً.

وفي ٢٨ نيسان ١٩١٧ أي بعد صدور الأمر التوجيهي بيومين إحتلّ الجنرال (ايگرتن) بلدة كفري وأشفعها في اليوم التالي بإحتلال طوزخورماتلو امام مقاومة تركية ضعيفة تلاها إنسحاب سريع. وفي السابع من أيار دخلت قواته مدينة كركوك بناء على إصرار لندن. يقول ولسن:

"ربما كان إصرار لندن على التقدم وإحتلال كركوك وسليمانيه يرمي الى تخفيف الضغط التركي عن أذربيجان من قوات أنور پاشا... إلا أن الجنرال مارشال أوضح لوزارة الحرب انه ولأسباب تكتيكية لا يستطيع إحتلال السليمانيه. كما انه غير قادر على الإحتفاظ بكركوك بسبب صعوبة المواصلات... كانت خطوة متسرعة كاد عقباها تنتهي بكارثة".

وحافظت القبائل الكردية على العهد الذي قطعت له لكبير الضباط السياسيين كوكس. وحققت قبائل الهموند واليزيدية إتصالاً بالقوات البريطانية^(٢) وفي السليمانيه عقد

٢- تلك تقريباً كانت المساهمة الكردية الحربية في جنوب كردستان إلا اني عثرت الى جانبها على مجهود حربي للکرد اليزيدية في شرق جبل سنجار. روى تفاصيله عبدالكريم چولو ابن اسماعيل بگ چولو. زعيم الفرع الأميري الثاني للطائفة - رواه للكاتب والنظري العربي الأستاذ قسطنطين زريق أثناء املاء كتابه عليه الذي طبع في بيروت ١٩٥٢. أنقله هنا لطرافته وباعتباره المصدر الوحيد. قال: "في شباط ١٩١٨ قرر أنور پاشا (كان فعلاً يقود جيوش الشرق التركية آنذاك مهدداً بالزحف على تبريز والإندفاع جنوباً) بأن الوقت قد حان لوضع حدّ للتهديد اليزيدي لخطوط مواصلاته. فجرد حملة ضمّت جنوداً من جيشه في القفقاس مع عرب موالين وتقدمت هذه القوة نحو تل أعفر تساندها بطرية مدفعية تجرها الثيران. وتقدمتها رُسل الى يزيدي جبل سنجار تطلب منهم تسليم الأرمن اللاجئيين والبندقيات التي سرقوها من الجيش مهدداً إياهم باوخم العواقب إذا إمتنعوا. إلا أن اليزيدية مزقوا كتاب انذاره وأعادوا اليه رسله عراءً كما ولدتهم أمهاتهم. ونصحهم رئيسهم (إسماعيل چولو بگ) بسوء العاقبة وأشار عليهم بوجود ترحيل أولادهم وزوجاتهم ونقل ممتلكاتهم وماشيتهم الى الجبل تحسباً للطواريء. إلا انهم لم يصغوا اليه =

اجتماعاً على نطاق واسع من زعماء قبائليين وشخصيات بارزة وقرروا فيما بينهم إقامة حكومة كردية مؤقتة واختاروا الشيخ محمود الحفيد رئيساً ومنحوه لقب حُكمدار كردستان. وأعلنت هذه الحكومة وقوفها الى جانب القوات البريطانية وبعثت فصائل من الخيالة الى كركوك ووجه الشيخ محمود الى الجنرال مارشال خطاباً جاء فيه (بعد الديباجة): "نيابةً عن الشعب الكردي. أقدم اليكم الحكم. ويسرني أن أكون ممثلاً للقوات المحتلة في الحكم والإدارة تحت العلم البريطاني... إن أهالي كردستان غمرهم الفرح العظيم للإنتصارات التي حققها الجيش البريطاني. والآن وقد

= وعانت قراهم الكثير جراء هجمات الأتراك عليها. عقد البيزيدية مجلساً حريباً. وقرروا أن يحاولوا إرسال اسماعيل بك الى الخطوط البريطانية الأمامية في سامراء فإنطلق بصحبة إثنين من اللاجئيين الأرمن، عُرف احدهما بإسم أستاذ. وكان قد حاول إغتيال السلطان عبدالحميد في الماضي. سلك اسماعيل بك سبيلاً محاذية للصحراء. وصدّ غارات بعض العرب المجهولي الهوية حتى بلغ الخطوط العسكرية البريطانية في سامراء. [هنا يشيد اسماعيل بالحفاوة التي تلقاها من ضباط الجيش البريطاني وشدّة الإهتمام الذي وجدته عندما إقترح عليهم هجوماً لغرض الإستيلاء على عاصمة الولاية الموصل يتمّ على جبهتين لو أن البريطانيين زوّدوا البيزيدية بثلاثة آلاف بندقية وعشرين مدفعاً رشاشاً مع طائرة إسناد واحدة وفصيلة من الجيش الهندي]، فقاموا بإرساله الى بغداد وهناك قابل القائد العام الجنرال مارشال وأركان حربه، وكانت غيرترود بل موجودة. فجرى له معها حديث طويل ثمّ أنها قامت بنشر خرائطها الخاصة للمنطقة فصحح لها عدداً من الأخطاء الطبوغرافية فيها. إلا أن قيظ الصيف حال دون القيام بأي عمليات عسكرية. وفي تموز قفل اسماعيل بك راجعاً ترافقه فصيلة من الخيالة بقيادة ضابط من صنف الهندسة يدعى النقيب هاري هستن Harry Haston البالغ من العمر خمسة وعشرين عاماً. ومعاونه النقيب كامبل مونرو Campell Munro الطبيب في الجيش الهندي. وزوّدتهم قبيلة شمر الجريا العربية الموالية والساكنة غرب بغداد بأدلاء ورواحل سريعة فسروا ليلاً على إمتداد أطراف نهر الثرثار الجاف الى أن بلغوا جنوب جبل سنجار. وقاموا بإستبدال رواحلهم بالخيال التي أخذتهم الى مقرّ (حمو شيرو) وكان يعيش في سنجار متخفياً.

شرح رؤساء البيزيدية مايعانونه من إستهداف قراهم لقنابل المدفعية العثمانية وبينوا أن قبائل البيزيدية لاتستطيع القيام بأيّ هجوم على الموصل لوحدها دون معونة بريطانية. ولكنهم زوّدوا الفصيلة البريطانية بالمعلومات الثمينة. ثمّ عاد البريطانيون من حيث أتوا يصحبهم اسماعيل بك وإبنته (ونسة) البالغة من العمر ١٨ شهراً ووصلو بأمان الى تكريت التي كانت قد وقعت بيد الجيش البريطاني.

للإستزادة يراجع: گست: البقاء بين الكرد: تاريخ البيزيدية: Guest: Survival Among The Kurds: A History of the Yezidis. لندن ونيويورك ١٩٩٣.

تحررنا من الطغيان التركي على يد هذا الجيش فإننا نرجو أن يتحقق لشعب كردستان من التحرر والتقدم والإزدهار كما تحقق للعراق (؟) على يدكم. ونتمنى أن تقوم حكومة كردية مركزها السليمانية تحت حماية بريطانيا... ونرجو أن لا تسمحوا بأي شكل وتحت أي عامل بعودة الحكم التركي الى كردستان مرة أخرى.»

كان وكيل الحاكم المدني العام ينوي تثبيت الشيخ محمود في منصبه وقد فعل إلا أن الأحداث سبقته فقد أتخذ قراراً فوري في ٢٤ من أيار بإخلاء مدينة كركوك والإنكفاء الى الوراة جنوباً ولم تستطع خيالة الهموند والقوات العشائرية المرسله من السليمانية الإتصال بالقوات البريطانية في كركوك فقفلت راجعة وهي "في أشد حالات القهر والقلق لما كان سينتظرهم على يد الترك".

وتسلم قائد الفرقة الثالثة عشرة المنسحبة هذه الشكوى المرة وهو يسحب قواته. ووصل تثبيت الشيخ محمود في منصبه برسالة من الحاكم المدني العام يوم الإنسحاب فيها أعلنه أنه يعترف بإدارته ويمنحه حق تمثيل سلطة الإحتلال.

لم ينشر القرار علناً في بغداد إلا أن أمره أفتضح. وقام أحد وجهاء كركوك بإبلاغ الجنرال خليل باشا القائد الجديد للجيش السادس التركي بأن الشيخ محمود إتصل بالسلطة المحتلة وانه أعلن حكومة في السليمانية موالية. فأمر العقيد مصطفى بك أمر حامية السليمانية الجديد بالقاء القبض عليه وعلى أعوانه وشخصيات مبرزة شاركت في حكومته وساندته.

وأرسل الشيخ محمود مخفوراً الى كركوك. وسيق الى مجلس عرفي عسكري أصدر عليه حكماً بالموت في خلال جلسة واحدة. إلا أن الأتراك ترددوا في تنفيذ الحكم على الأغلب خوفاً من عمليات تعرض إنتقامية لقواتهم. وأودع السجن دون أن يبت في امره وبعد اسابيع قلائل نُقل (خليل باشا) وعُيّن في مكانه (الجنرال علي إحسان باشا) وهو قائد بارع بعيد النظر سياسي داهية. أسرع يطلب تسفير الشيخ محمود الى مقره في الموصل وأصدر عفواً عنه وأكرمه. وزوّده بمبالغ كبيرة من المال لتنظيم قوات عشائرية متعاونة مع القوات النظامية. وأثبت الصفة السياسية التي خلعت على الشيخ على أن يتم تحديد العلاقة بعد ربح الحرب. ثم كتب لآمر الحامية في السليمانية بالقيام بمساعدة

القوات التي سيجتدها الشيخ.

توقفت الحرب في كردستان أشهراً بعد اخلاء كركوك وعودة الترك اليها. إلا أن النجاح الذي أصابه البريطانيون في فلسطين وسورية وخروج بلغاريا حليفة تركيا من الحرب شجع القيادة العليا على إصدار الأمر للجنرال مارشال بإستئناف الزحف على ضفتي دجلة صعوداً لإحتلال ولاية الموصل برمتها. وبلغ من وزارة الحرب بهذا الأمر في ٢ من تشرين الثاني:

"إن خروج بلغاريا من الحرب والنجاح الذي حققناه في فلسطين وسورية يقرب الإحتمال في طلب تركيا الهدنة. ومن الضروري والحالة هذه التقدم على ضفتي دجلة لإحتلال ولاية الموصل".

كانت هناك أسباب أخرى سياسية الطابع لإصدار أوامر الزحف هذه.

*** **

ذكرنا أن الجنرال شريف پاشا خندان قام بمحاولة فاشلة لإيجاد صلة له بالحملة البريطانية في العراق. على انه لم يفقد الأمل في تعاون انكلو- كردي. وفي حزيران ١٩١٨ ولم تكن نتيجة الحرب معروفة بعد، إتصل بالسّر پرسی كوكس كبير الضباط السياسيين الملحقين بالحملة. ويتفق كل من كيرترود بل والسّر آرنولد ولسن (رغم إختلافهما في المكان والزمان) (أنظر حاشية ١٤- الفصل الخامس) أن شريف پاشا إقترح على البريطانيين تطبيق سياسة جريئة بارعة بالنسبة للکرد. مقترحات لو طُبقت لأقامت أساساً لعلاقة فريدة من التعاون الكردي. ووصف (ولسن) توصيات شريف پاشا بأنها ترسم خطوطاً ذكية لنظام إنتداب ووصاية وشددّ الجنرال على أن تقوم الحكومة البريطانية بإتخاذ إجراءات فورية لتعبئة الكرد وراءها بالإعلان عن سياسة بناءة حيال الأماني القومية الكرديّة. ومن أجل بلوغ هذه الغاية أن تبادر فوراً بإصدار تصريح رسمي حول نواياها بخصوص المستقبل السياسي الكردي. وإقترح أن يُعطى كرد جنوب كردستان ضمانات لحكم ذاتي تحت الحماية البريطانية. وأن يُنَاط بموظفين بريطانيين مهمة المعاونة في إدارة منطقة الحكم الذاتي وتنظيم شؤونها المالية^(٣). ونصح

٣- ارشاك سافرستيان: الكرد وكردستان Arshak Safrastian: Kurds and Kurdistan . مطبعة هارفييل. لندن ١٩٤٨. الص ١٠١-١٠٢. ولاءات، السّر توماس ارنولد. ج ٢. ص ١٣٠. المرجع السالف.

أيضاً بعدم اللجوء الى عمليّات "ضمّ" أو "إلحاق" وهي وجهة نظر طالما ردّتهاا تصريحات البريطانيين أثناء الحرب.

كان إصرار شريف پاشا على جنوب كردستان نابعاً عن تقديره الصائب بأن القيادة البريطانية في ميسوپوتاميا ستنتقل اليوم أو غداً وراء فلول الجيش التركي بعزم لايلين لإحتلال كل ولاية الموصل. ودافع أيضاً عن فكرة إقامة دول كردية ذات حكم ذاتي لا في الجنوب وحده بل في كردستان عامةً. وشرح أهمية إقامة إدارة كردية بريطانية فاعلة في المناطق المحتلة لمواجهة مؤتمر السلام (في حالة ربح الحرب) بالأمر الواقع. فمن السخف بمكان ترك الأمور تسير على هواها الى أن ينعقد مؤتمر السلام. ولو أهمل الأمر فسيعقبه اضطراب وتتناهب الشكوك سائر المناطق المحتلة. وقال مما قال: على البريطانيين أن يعملوا من أجل الكرد ما وعدوا بعمله للعرب.

ووعده السرّ پرسی بأن ينقل مقترحاته الى لندن وحثّه على دوام الإتصال به. وفي تشرين الأول ١٩١٨ عاد شريف پاشا يتصل بالسلطات البريطانية وكتب لها مشيراً الى الموقف السياسي الذي ينحدر من سيء الى أسوء بسبب نجاح الترك في زرع بذور التفرقة والكراهية بين الكرد والأرمن. وأن المهمة الرئيسية التي تقع على بريطانيا - كما يرى - هو إحلال الصفاء بين الشعبين وإجراء مصالحة. ولبلوغ هذه الغاية فهو يوصي بتأليف هيئة مصالحة من زعماء الكرد والأرمن في لندن^(٤).

ويظهر أن مساعي السرّ پرسی كوكس في إيصال مقترحات الجنرال شريف پاشا قد لقيت إهتماماً أو ربّما أنها إلتقت على غير موعدٍ بالتحوّل المفاجيء الذي طرأ على سياسة بريطانيا بعد دخول معظم ولاية الموصل في حوزة الجيش البريطاني ويات من الضروري التفكير في مستقبل الإدارة، ثم في المصير السياسي.

والى جانب هذا كانت محاولة كردية أخرى في القاهرة لجلب إنتباه البريطانيين. فقد تقدمت "لجنة إستقلال كردستان" من المكتب البريطاني هناك في كانون الثاني ١٩١٩

٤ - E.J.R. Precip of Affairs in Southern Kurdistan. الوقائع الأساسية للأمر في جنوب كردستان. بغداد مطبعة الحكومة ١٩١٩. ص ٦ (المؤلف مجهول الإسم). أنظر كذلك. سفرستيان: المرجع السالف ص ١٠٦. [لم تشكل هذه اللجنة. غير أن شريف پاشا نجح كما سنرى في الوصول الى اتفاق مع الزعماء الأرمن في مؤتمر الصلح].

يطلب المعاونة على تأسيس دولة كردية مستقلة. كانت مجموعة صغيرة جداً من المبعدين الكرد برئاسة (ثريا بدرخان) تكاد لاتبلغ مبلغ التمثيل الصحيح للشعب الكردي. فلم يؤخذ أمرها مأخذاً جدياً على أن صلة هؤلاء بالمكتب العربي في القاهرة لم تنقطع وكان ثم حوار يجري بين آن وآخر.

ويدت إستجابة فورية من رئيس الوزراء لويد جورج. ومما حثه على العمل السريع هو رغبته في تسوية الأمور قبل تدخّل الولايات المتحدة. وقطع الطريق على الحلفاء في فرض تسويات معينة شرق أوسطية.

لدينا فقرة من يوميات (موريس هانكي) سكرتير مجلس الحرب الأعلى الوزاري البريطاني مؤرخة في ٦ من تشرين الأول ١٩١٨. تتضمن تصريحاً واضحاً فائقاً للعادة لرئيس الوزراء حول ماينوي عمله في هذا المجال، كتب هانكي:

"اتخذ لويد جورج موقفاً في غاية الصلابة. وأراد أن يعود الى اتفاق سايكس بيكو سazanوف. ليحصل لنا على فلسطين ويجرّ ولاية الموصل الى منطقة نفوذنا بل لإبعاد فرنسا عن المنطقة حتى لو لجأ الى حيلة فيها ما فيها من البراعة وهي أن يعرض فلسطين وسورية على الولايات المتحدة ليرغم الفرنسيين على إعطائه فلسطين وولاية الموصل مقابل إحتفاظهم بسورية وكذلك كان يستخف كثيراً بالرئيس الأمريكي ولسن ويبدى إهتماماً شديداً بتقسيم تركيا بين فرنسا وايطاليا وبريطانيا قبل التحدث للولايات المتحدة. ورأى أيضاً أنه سيكون أقل استجاباً للنظر الى ارباحنا الهائلة في الحرب لو إبتلعنا حصتنا من تركيا الآن والمستعمرات الألمانية فيما بعد^(٥)".

في الأول من شهر كانون الأول ١٩١٨ إجتمع كليمانصو^(٦) بلويد جورج بمقر رئاسة الوزارة في داوننگ ستريت بعد شهر واحد من اعلان الهدنة. وقبل شهرين من تاريخ

٥- ايروسكيل هانكي: رجل السرّ Eroskill Hanky: Man of Secret. ج ١. ص ٦٠٩. لندن ١٩٧٠-١٩٧٢.

٦- George Clemenceau (١٨٤١-١٩٢٩) سياسي فرنسي وصحافي. مؤسس الجمهورية الثالثة ورئيس حكومة مرتين (١٩٠٦-١٩٠٩) و(١٩١٧-١٩٢٠) خلال رئاسته الثانية ساهم مساهمة كبيرة في ربح الحرب العالمية الأولى. وكان أحد مهندسي معاهدة فرساي.

انعقاد مؤتمر الصلح في فرساي. وقبل وصول رئيس الولايات المتحدة لندن في أواخر ذلك الشهر لغرض بسط آرائه المثالية حول مستقبل الشعوب المحررة. إلتقيا معاً دون ثالث. ولم يدون أحدٌ منهما ملاحظات. لكن الوقائع دُوّنت، وعرضها (بلفور) وزير الخارجية على هيئة الوزراء بعد ثمانية أشهر، ومصدرها لويد جورج نفسه الذي أيدها في مذكراته حول معاهدات السلام. في أثناء الحديث الذي بدأ بالشؤون الأوروبية. زحفت اليه مسألة الشرق الأوسط وسأل (كليمانصو):

-أي تعديل للمطالب الفرنسية ترغب فيه بريطانيا؟

قال لويد جورج: "الموصل".

قال كليمانصو: "ستكون الموصل لك. أي شيء آخر؟"

قال لويد جورج: "وفلسطين"

وعاد كليمانصو ليقول: "وهذه ستكون لك" (٧).

وبقي كليمانصو ثابتاً على كلمته طوال مساومات مؤتمر فرساي رغم عدم وجود إتفاق كتابي بينهما (٨).

تنازل الفرنسيون ولم يدرك البريطانيون أن حليفهم كان يتوقع تعويضاً لهذا التنازل وبقي كليمانصو طوال حياته السياسية مستعداً لأن ينزل لبريطانيا عن كل ماطلبه في الشرق الأوسط لضمان ما لفرنسا في أوروبا ضد ألمانيا. إلا أنه ماكان يتوقع إنها تنوي حرمان بلاده من سورية أيضاً (٩). إلا أن الفرنسيين كانوا قد عقدوا الخناصر للفوز

٧- مذكرة اللورد بلفور: إقتبستها اليزابيث مونرو Elizabeth Monroe في كتابها [فترة بريطانيا في الشرق الأوسط ١٩١٤-١٩٧٢ Britain Moment in the Middle East 1914-1972 ص ٦٠١. مطبعة جامعة جون هوبكنس ١٩٨١].

٨- يُروى انه عندما طُرحت قضية ولاية الموصل وأعلن كليمانصو تنازله عنها. همس أحد مستشاريه في آذنه: "لاتعطيها. إن بها نفطاً غزيراً" فأجابه كليمانصو مازحاً "ماذا؟ اني أذهب الى الصيدلي عندما أحتاج الى نفط".

٩- خروج ولاية الموصل (جنوب كردستان) من دائرة النفوذ الفرنسي ودخولها دائرة النفوذ البريطاني رافقته أزمة سياسية كبيرة بين الدولتين. ونظراً لأهمية هذه الصفحة الغامضة من كتاب التسوية والتوزيع الذي تم إثرائه بالإمبراطورية العثمانية ولشدة علاقتها بموضوعنا سأحاول هنا أن =

بسورية و(سايكس) الذي ندم بالأخير على قبوله بمبدأ مشاركة فرنسا في غنائم الشرق الأوسط لم يستطع أن يفعل شيئاً. وفي ١٦ شباط ١٩١٩ توفي بوباء الإنفلونزا في باريس.

= أقدم خلاصة مقتبضة لما حصل:

في مطلع العام ١٩١٩ وزع مكتب رئيس الوزراء البريطاني في داوونج ستريت على الصحف البريطانية مذكرة سرية قصد منها أن تبين بان قوات الأمير فيصل ابن الحسين التي ساندت الجنرال اللنبي في فتح سورية قد دخلت المدن الداخلية الأربع الكبرى في سورية (دمشق وحمص وحماء وحلب) قبل دخول قوات اللنبي. وإنها قامت بذلك لا باعتبارها قوات أجنبية غازية جاءت من الحجاز بل كقوات وطنية محلية. لذلك فان الغالبية العظمى للجنود العرب الذين ساعدوا في تحرير سورية ليسوا الا من أهل ولاياتها. كان القصد من هذا طبعاً هو أن سورية وهي إحدى البلدان الناطقة بالعربية قد إنتفضت وثار وحررت نفسها لذلك فإن محاولة إخضاعها لحكم أجنبي هو أمر مخالف للمبادئ التي تحكم مؤتمر الصلح [أوراق لويد جورج، الوثيقة رقم ٩ F. 205-3. No 9] بعدها طال الحوار والمجدل حول مستقبل سورية. وساند البريطانيون (فيصلاً) المدافع عن إستقلالها بعد إعلانه ملكاً عليها. ودفع الفرنسيون بزعماء سوريين ضد ادعاء فيصل بعروية سورية وحصلت مناقشات في الصحافة الفرنسية شارك فيها سوريون لم يقرؤ بزعماء فيصل، بدعوى أن وحدة اللغة والدين لا تقومان دليلاً على وحدة العنصر وأن السوريين ليسوا عرباً وهم يستأهلون دولة لأنفسهم تحت الوصاية الفرنسية.

ويلغ صبر كليمانصو نهايته وأعلم لويد جورج بأن الرأي العام الفرنسي السياسي لا يدع له خياراً غير الإصرار على حيازة سورية. قال إنه شخصياً لا يهتم كثيراً بالشرق الأدنى إلا أن فرنسا كانت دائماً صاحبة الدور البارز هناك. وهتف قائلاً "لا يمكنني التنازل أكثر من هذا" (يراجع في هذا الشأن لتفاصيل أكثر كتاب كريستوفر. م. اندرو: نهاية التوسع الفرنسي Christopher M. Andrew "The End of the French Expantion")

وتدخلت الولايات المتحدة. بعد إنذار اللنبي (الكاذب طبعاً) بأن الحرب قد تنشب بين الفرنسيين والعرب. إبتلع الرئيس الأمريكي الكذبة وأخذ الأمر مأخذاً جدياً وكان رد فعله سريعاً باغت به الحكومتين الفرنسية والبريطانية، بإرساله لجنة لتقصي الحقائق الى الشرق الأوسط للتأكد من رغبات الأهليين]. ورأت الحكومتان أنه عمل صبياني لأنهما ماكانتا تؤمنان بوجود رأي عام في الشرق الأوسط شبيه بما هو سائد في أوروبا وأمريكا. ورفض كليمانصو إرسال مندوبين مشاركين في اللجنة. وكبح لويد جورج رغبته في المشاركة خشية تردي علاقاته مع فرنسا ونقضها إتفاقها بخصوص ولاية الموصل فلم يرسل مندوبين أيضاً.

عندما شخصت هذه اللجنة التي عرفت فيما بعد بلجنة King-Crane لإستطلاع رأي الأهالي فإنها إقتصرت على سورية ولم تذهب الى العراق، حيث قام البريطانيون بإدارة الولايات الثلاث مباشرة ونجحوا في ضمان الإعتراف الأمريكي بحكمهم هذا وأبقي أمرها خارج جدول أعمال المؤتمر. عرفت اللجنة بهذا الاسم نسبة الى مندوبيها اللذين عينهما الرئيس وودرو ولسن شخصياً =

حصل هذا بعد أن أتمّ البريطانيون إحتلال ولاية الموصل برمتها. في ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٨ وعلى إثر معركة فاصلة شمال شرقاً تمزق الجيش السادس التركي شراً ممزق. «ولم يبق منه والقول لولسن (الولاءات) غير (١٦٥٠) جندياً و٣٢ مدفعاً إنسحبت الى مدينة الموصل. وكان ثم حوالي (١٥٠٠) جندي و١٢ مدفعاً في آلتون كوپرو شمال كركوك هذا كل ما تبقى من الجيش السادس التركي». وفي ٢٤ من شهر تشرين الأول التقى الجنرال (كاسلز) قائد القوة الزاحفة وهو في حمام علي التي تبعد حوالي ٣٢ كيلومتراً عن الموصل - بعلم الهدنة الذي أرسله [علي إحسان پاشا] مع ضابطين يحملان رسالة للجنرال مارشال. فيها يخطر به أن هدنة بين بريطانيا وتركيا تمّ توقيعها في الثلاثين من الشهر نفسه على ظهر البارجة البريطانية [آغا ممنون] في ميناء (مودروس) بجزيرة لمنوس اليونانية^(١٠). وبعد ساعات قلائل حملت للجنرال طائرة بريطانية برقية بهذا المأل ايضاً.

= وهما الدكتور هنري. س. كنگ عميد كلية ابرلين. وچارلس ر. كرين أحد الخبراء المشهورين في أمور الشرق الأوسط. [ان الدكتور أحمد عثمان ابوبكر - في كتابه الوثائقي الخطير "كردستان في عهد السلام بعد الحرب العالمية الأولى]. يذكر أن هذه اللجنة وصلت في سير تحقيقاتها الى استنبول فإعنتم عدد من الرؤساء وذوي الرأي الكرد الفرصة واتصلوا باللجنة وسجلوا لديها وجهات نظرهم بشأن المسألة الكردية عامة ومسألة كردستان الجنوبية خاصة وتقدموا بمقترحات وضعتها اللجنة تحت عنوان "بعض المندوبين في الولايات الشرقية" وجاء فيها: "كان يأتينا بين آن وآخر ممثلون عن الحزب الديمقراطي الكردي. الذين دعوا الى إقامة حكومة كردية في تلك المناطق التي تقطنها أغلبية كردية عظمى طالبوا بولايات خربوط وديار بكر وان وبتليس وبايزيد وكل الموصل. من جهة أخرى بدا الكرد راغبين في لون من الحكم الذاتي (اتونومي) تحت الإنتداب البريطاني ضمن العراق. وكردستان وطنهم وهم على إستعداد للإعتراف بدولة أرمنية خارج بلادهم".

إن كتاب الدكتور أبي بكر في الواقع هو مجموعة مقالات بواحدة وثلاثين حلقة نشرها تباعاً في مجلة الثقافة البيغدادية بين شهر آب ١٩٧٩ وشهر تموز ١٩٨٧ ومع انه يشير الى المصدر الذي إستمد منه تعليقه وهو هنري هوارد: H. Howard: King-Crane Commission. إلا أن سقم الطباعة جعل من العسير أن نتبين صحة الإشارة الى رقم الصحيفة وما يلزم من التعريف بكتاب المؤلف أي المصدر الذي اعتمده.

١٠- نصّ البرقية: الى قيادة الجيش السادس.

"عقدنا هدنة مع دول الحلفاء تدخل قيد التنفيذ إعتباراً من ٣١ تشرين الأول الموافق للسنة ١٣٤٤ رومية. قام ممثلو الدول المذكورة بإبلاغ الأمر الى قوادهم العسكريين في بلغاريا وسورية =

كان من المفروض بمقتضى شروط الهدنة العامة أن تتوقف العمليات الحربية وأن يبقى كلٌّ من الفريقين المتحاربين في مواضعه التي يحتلها ساعة التوقيع على الهدنة. إلا أن برقية صادرة من وزارة الحرب البريطانية وردت القائد العام في ٢ تشرين الثاني تضمنت شروط الهدنة وأمرته بصراحة بمواصلة التقدم لإحتلال عاصمة الولاية تطبيقاً للمادتين (٧) و(١٦) من شروط الهدنة^(١١).

كانت القوات البريطانية قد أعادت إحتلال كركوك في ٢٧ تشرين الأول. أي قبل الهدنة بأربعة أيام. ثم إحتلت آلتون كوپرو التي تبعد ٦٥ كيلومتراً شمال كركوك وواصلت زحفها. وكان المخطط البريطاني يتضمن إحتلال ولاية الموصل كلها - بهدنة أو بدونها.

يقول ولسن:

"بقيت منذ أشهر عدّة وبإتفاق تام مع القائد العام - على إتصال بحكومتي مشدداً على وجوب توسيع نطاق أهدافنا العسكرية لتشمل ولاية الموصل. وإتفقت وجهة نظرنا على تمام إحتلالنا لها قبل توقف العمليات العسكرية بهدنة أو بدون هدنة. وسواء في الأمر أوقعت تلك الولاية من نصيبنا أو من نصيب فرنسا... وأنا بطبيعة الحال لست بالنبيّ الذي تتكشف أمامه حجّب الغيب لأتكهّن بقرب إبرام صلح مع تركيا وبعد خمس سنين من تاريخ اصراري هذا، ولا كان بوسعي تقدير رضا الترك بتنازلهم نهائياً عن مطالبهم في هذه الولاية بعد ثماني سنوات. إلا أنني كنتُ موقناً أن طيراً في يدنا العسكرية، خيرٌ من عشرة طيور في شباك الدبلوماسية وأدغالها... ومهما سيكون شكل الحكم المنوي اقامته

= والعراق. فعليكم التقيّد بتطبيق شروط الهدنة واعلامنا بوصول هذا الأمر. سنبننكم بالتفاصيل فيما بعد".

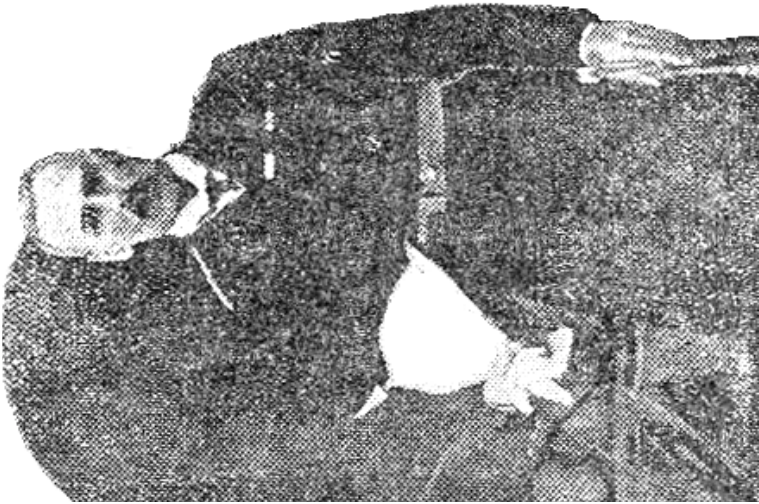
احمد عزة رئيس الوزراء، رئيس هيئة اركان حرب القيادة العليا.

١١- نصّ المادتين:

٧- للحلفاء الحق في إحتلال أية نقاط استراتيجية. إن كان الوضع الراهن يهدد سلامة قواتهم.
١٦- تستسلم جميع الحاميات (التركية) المرابطة في الحجاز وعسير واليمن وسورية وبلاد ما بين النهرين الى أقرب قائد لقوات الحلفاء. باستثناء ما هو ضروري لحفظ الأمن الداخلي. وشريطة أن يتم ذلك بموجب المادتين الخامسة والسابعة من إتفاقية الهدنة.



وكيل الحاكم المدني العام العقيد تي. أي. ولسن



السر هنري دويس الجنوب السامي

في بلاد ما بين النهرين فمن الضروري أن تتألف تلك الحكومة من الولايات الثلاث: البصرة والموصل وبغداد. إن كان وجود هذه الحكومة قصداً وهدفاً لنا".

فضلاً عن هذا كان القائد العام بالذات مزوداً أيضاً بتعليماته الخاصة من وزارة الهند مؤكدةً "إن رغبة كل من الحكومة البريطانية وحلفائها، ومصالحهما تقضي بإحتلال ولاية الموصل".

وبناءً على هذا أبلغ (علي إحسان پاشا) في منتصف ليلة ١-٢ من تشرين الثاني (قبل إرساله علم الهدنة بساعات) بوجود اخلائه الموصل. إلا أن بعثة الهدنة التي أرسلها كانت تطلب من الجنرال مارشال سحب قواته الى بلدة (القيارة) وهي النقطة التي بلغت القوات البريطانية ساعة توقيع الهدنة.

في صباح الثاني من تشرين الثاني توجه العقيد (ليچمن) الى الموصل برسالة من الجنرال كاسلز ذكر فيها للوالي وقائد الجيش أن الأوامر التي تلقاها تلزمه بإحتلال الموصل وطلب منه سحب قواته خارج المدينة. وعاد (ليچمن) برفض علي إحسان پاشا بإخلاء المدينة مع التلال الجنوبية المشرفة عليها المعروفة بمرتفعات (أبو سيف) وإن أصرّ فليتقدم لإحتلالها.

وأسقط في يد الجنرال البريطاني. لأن مبادأته بقتال لأجل الموصل دون سبق إستفزاز هو إخلال بشروط الهدنة. فلم يجد بدأً من قبول إقتراح علي إحسان بالإجتماع به شخصياً. وتم ذلك في ٤ من تشرين الثاني. وبه تمكّن هذا الجنرال والسياسي التركي الباقعة من إقناع نظيره البريطاني بإنشاء خطّ فصل للقوات يقع على بعد ميلين جنوب الموصل. وعندما أعلم (كاسلز) قائده الأعلى بالإتفاق - تلقى منه هذه البرقية:

"تنصّ الفقرة السابعة من إتفاقية الهدنة على حقّ الحلفاء في إحتلال النقاط الاستراتيجية فعليك تنفيذ ذلك بصرف النظر عن مواقع القطعات العسكرية بالقرب من الموصل وكما ورد في أمري السابق".

وإذ ذاك أصدر القائد كاسلز أمراً لقواته بالحركة فتقدمت وإحتلت النقاط العسكرية ومفارق الطرق. وعمد (علي إحسان) الى حجة أخرى للحيلولة دون إحتلال الموصل. إعترض بقوله إن مدينة الموصل وضواحيها ليست جزءاً من بلاد ما بين النهرين فلا يحق

للبريطانيين إحتلالها بموجب الفقرة السابعة من إتفاقية (مودروس). ثم إن جيشه هو جيش ميدان وليس بحامية وهو والحالة هذه غير ملزم بتسليم المدينة بموجب الفقرة ١٦ من إتفاق الهدنة.

وأسرع الجنرال مارشال بنفسه ليلحق بالقوات الأمامية ولينذر علي إحسان بأنه سائر الى الموصل رغم كل شيء. وعلى أثر ذلك جرت اتصالات بين القائدين ختمت بإجتماع السابع من الشهر وفيه بين القائد البريطاني بأنه غير مستعدّ لبحث النقطتين اللتين أثارهما القائد التركي وسيتقدم لإحتلال الموصل بموجب أوامر حكومته الصريحة وإن أدّى ذلك الى مواجهة. ووضع أمام القائد التركي شروطه وطلب منه التوقيع عليها وتطبيقها بالحرف الواحد. وهذه أهم تلك الشروط:

أولاً: إخلاء ولاية الموصل من جميع الوحدات العسكرية التركية خلال عشرة أيام. ثانياً: مبادلة أسرى الحرب فوراً.

ثالثاً: تسليم السجن المركزي في الولاية مع سائر المسجونين فيه.

رابعاً: منع خروج أي من الأهالي مع الجيش كرهاً أو إختياراً.

خامساً: تسليم كلّ السجّلات والوثائق الرسمية المدنية.

سادساً: تقديم ثبت بمواقع الحاميات العسكرية في سائر أنحاء ولاية الموصل وإصدار الأوامر الى أمريها بمواصلة قيادتهم حتى يتسلمها منهم موظفون بريطانيون.

سابعاً: يُخيّر الموظفون المدنيون العثمانيون بين مزاولة وظائفهم أو تركها.

ويذكر ولسن الحاكم المدني العام^(١٢) الذي كان يرافق الجنرال مارشال عند إجتماعه بعلي إحسان باشا في الموصل في السابع من تشرين الثاني أن الجنرال كان مصراً على عدم إستعداده لبحث هذه الشروط وإنه مصمم على إحتلال كلّ الولاية. وستقع على القائد العثماني مسؤولية القتال. ولم يكن ثمّ بدّ ووقع علي إحسان على الشروط مرغماً ومحتجاً.

وأصدر القائد البريطاني العام أمراً فورياً بتعيين العقيد لچمن حاكماً عسكرياً على

١٢- ليس هناك مرجع لهذه الأحداث أفضل من الطبعة الثانية لكتاب سر توماس ارنولد ولسن.

وكيل الحاكم السياسي العام في بلاد ما بين النهرين الموسوم Mesopotamia, Clash of Loyalties.

المطبوع في ١٩٣٦. مطبعة جامعة أكسفورد. القسم الأخير من الفصل السابع عشر منه.

ولاية الموصل وضابطاً سياسياً للمدينة في عين الوقت ولم يضيّع هذا وقتاً:
"لم يكن في سائر أيام حياته يمثل الحيوية والإندفاع الذي وجدته فيه
وقتذاك. لم يضيّع ساعة واحدة. وأسرع يصدر الأوامر وأعلن منع التجول
بعد مغرب الشمس، وأعطى الأوامر المشددة بإطلاق النار على من
يشاهدُ بعدها في أي محل عام وبمساعدة الضباط الذين زوّده بهم
(كاسلز) كبس كثيراً من دور الموظفين الأتراك وضبط السجلات واعتقل
الكثير، وقتل بعض السراق والناهين..." (١٣)

١٣- المرجع عينه: هناك روايتان إختزنتهما الذاكرة حول تلك الفترة. كرهت أن ابخل بهما عن
القاريء. لاسيما وإنهما تتعلقان بوقائع تخلّلت فترة إنتقال السلطة من يد العثمانيين الى
البريطانيين. واحدة منها رواية الوالد وهو من أهالي المدينة. قال كانت شائعات تدور في المدينة
حول إقتراب الجيش البريطاني من الموصل. مصدر اغلبها من الجنود الجرحى الذين كان يؤتى بهم
من الجبهة الى المستشفى العسكري (حيث كان أحد اخوالي يزاول عمله صيدلياً). في ذات يوم
عُلم أن الضباط والمهندسين الألمان الذين كانوا يعملون في مدّ خطّ السكة الحديد قد رحلوا جميعاً
فجأة مما قوى الشائعات. وزادت الشائعات تأكيداً بأن الجيش البريطاني قد وصل الى (حمام
علي) ثم وفي صباح اليوم التالي وقت الفجر أخذت طوابير الجيش العثماني تعبر الجسر الى
الضفة اليسرى من دجلة مع مدافعها وأثقالها وحيواناتها فأيقننا بالخلاص وبدأ بعضنا يهنيء
بعضاً وقد رأينا الجيش العثماني ينصب خيامه في تلك الضفة بعد ان قطعوا جسر القوارب الذي
يصل المدينة بالضفة اليسرى.

لكن الحبيبة والحزن مالبثا أن حلّا محلّ البشر بالخلاص من العثمانيين عندما شوهد الجيش
المنسحب صباح اليوم التالي بعيد وصل قوارب الجسر ويطوي خيامه ليعود بكامله الى المدينة
(بعد يومٍ أو يومين إنتشر خبر المتاركة وهي اللفظة التركية التي تقابل مصطلح الهدنة او وقف
اطلاق النار) فإنخلعت قلوبنا وإعترانا الأسى. وقد كان هذا السبب في عودة الجيش العثماني
الى الموصل وأيقننا بأن العثمانيين باقون. وتوارى كثير من الأهلين عن أعين الجندرية وأخفوا
أنفسهم خوفاً من العقاب لإظهار فرحهم بجلاء العثمانيين بشكل إستفزازي وعلا الوجوم العامة
من الأهالي. وإرتفعت من بيوت بعض الوجهاء والموظفين الكبار الأعلام العثمانية مجدداً. إلا أن
الفترة لم تطل بهؤلاء عندما شوهدت الطوابير العثمانية في اليوم التالي وهي تعبر الى الضفة
اليسرى ولاتتوقف هذه المرّة لضرب خيام بل تواصل سيرها لاتلوي. وعندها أيقننا بالفرج".
إبن عمّة لي المرحوم بشير عبدالكريم رسام هو صاحب الرواية الثانية. كان شاباً لم يتجاوز
العشرين. يعمل مترجماً لمهندسي السكة الحديد الألمان ويمتاز بملكة عجيبة في تعلم اللغات. قال:
بعد أن رحل الألمان عن المدينة بقيت دون عمل وأنا مكلف برعاية عائلة كبيرة وتأكدت قرب
إحتلال المدينة بخروج الجيش العثماني. فقلت في نفسي لاضير في تجربة حظي ومحاولة عرض =

قبل أن يترك علي إحسان عاصمة الولاية أرسل برقيتين. أولاهما وجهها الى أمر الحامية العثمانية في السليمانية يأمره فيها بأن يكون تابعاً للشيخ محمود الحفيد، وثانيتها موجهة الى الشيخ ذاته يخوِّله فيها سلطة ممارسة الإدارة لمتصرفية شهرزور باسم الحكومة العثمانية. ثمَّ نصب أحد الموصليين نائباً للوالي وعسكر يوماً على الجهة اليسرى إنتظاراً لتعليمات جديدة من حكومته وهناك على الأغلب تلقى نبأ الهدنة. إلا أن الشيخ أهمل الأمر ولم يمارس حكمه باسم الدولة العثمانية. وعمد الى نزع

= خدماتي على المحتلَّ الجديد. فخرجت أسعى الى القسم الجنوبي من المدينة حيث دوائر الحكومة، كان الأهالي قد فرضوا على أنفسهم أمر منع التجول قبل السماع به إذ وجدت الأزقة والشوارع مقفرة تماماً إلا من بعض الكلاب والقطط السائبة. بلغت مشارف المدينة بالقرب من دار الولاية (السراي) ولم يكن هناك أحد ينصحني بالعودة من حيث أتيت إصلاحاً لخطوة جنونية دفعتها الحاجة. كنت أتربط طلائع الجيش القادم فلم يحصل شيء وبدلاً من ذلك وبعد أكثر من ساعة لمحتُ شخصاً مديد القامة يدنو مني وهو مشتمل بعباءة ومعتمرٌ بعقال ويده عصا. تقدم مني وراح يتأملني بدهشة لا تقل عن دهشتي لرؤيته. ثم خاطبني بلغة عربية بدوية: سائلاً من أنت وماذا تعمل هنا. فأجبتُه باختصار وكشفت له عن هويتي وأعلمته بطبيعة شغلي مع المهندسين الألمان فسألني عن تحصيلي واللغات التي أحسنها وعن مؤهلاتي، فأجبتُه وأنا اعدو وراه وهو يتجه الى سراي الحكومة. بأني درست في معهد الدومنيكان الديني وعددت له اللغات التي أتقنها. ولحظت تقاسيم وسمات غير عربية في وجهه الأسمر فأيقنت بأنه (جاسوس) متنكر. أجابني بسرعة "اتبعني فقد عينتك بوظيفة مترجم". فأسرعت وراه وقلبي يكاد يطير فرحاً إرتقى درج السراي الخالي تماماً من الموظفين حتى صرنا معاً في سطح البناية. وتقدم من السارية حيث كان العلم التركي مرتفعاً وأشار علي بمساعدته في إنزاله ففعلتُ، ثم أخرج من طباط ثيابه علماً بريطانياً ونشره وقمنا معاً بربطه ورفعاه. لم يكن البدوي غير العقيد ليجمن نفسه. وهكذا تم إحتلال عاصمة الولاية". أقول: بقي قريبي مترجماً لليجمن ولخلفائه من الضباط السياسيين حتى مغادرة الموصل في تشرين الأول ١٩١٩. وثبت (مترجماً أول) في متصرفية اللواء حتى أُحيل الى التقاعد في أوائل الخمسينات. هذا الضابط البريطاني له مكانة مبرزة في تاريخ الإحتلال البريطاني للعراق وإسمه الكامل جيرالد إفلين ليجمن Gerald Evelyn Leachman (١٨٨٠-١٩٢٠) تناول زميل له هو ميجر براي سيرته بكتاب، قام بترجمة جزء منه سليم طه التكريتي يعين الالهال والقصور اللذين لا يسلم منهما كل ما نقله هذا المترجم من كتب تاريخية ورحلات وسير عن الإنكليزية بعربيته الضعيفة ويتصرف فاضح في الحذف مع التذليل بهوامش سخيفة. إن حياة ليجمن هي حياة أسطورية فعلاً ملأى بالمغامرات والأعمال الفذة منذ وطئت قدماه بلاد الرافدين مع الحملة العسكرية في ١٩١٥. وإنتهت حياته برصاصة أطلقها عليه الشيخ ضاري من الخلف في موضع يقال له (خان نقطة) في منتصف الطريق بين بغداد والفلوجة.

سلاح الحامية هنا وتسليم أفرادها الى سلطة الإحتلال في كركوك.
أمّا الموصليّ الذي عينه علي إحسان وكيلاً له. فقد آثر العافية وبقي قعيد داره.

* * * * * * * *

في السابع من شهر تشرين الثاني وهو عين اليوم الذي جرى فيه لقاء القائدين البريطاني والعثماني في الموصل كما قدمت. نشرت الحكومتان البريطانية والفرنسية تصريحهما الشهير حول مصائر البلاد المحتلة في الشرق الأوسط وهذا هو:

"إن الغاية التي توختها فرنسا وإنجلترا من الحرب في الشرق. تلك الحرب التي قدحت شرارتها مطامع ألمانيا. كانت من أجل تحرير الشعوب التي عانت من ظلم الترك وإضطهادهم أجيالاً، تحريراً تاماً ناجزاً وإقامة حكومات وطنية وإدارات مدنية تستمد سلطانها من إرادة سكانها الأصلاء وإختيارهم الحرّ. وقد إعتزمت كلّ من فرنسا وإنجلترا تأييد ذلك والإعانة على إقامة هذه الحكومات والإدارات الوطنية في سورية والايالات الثلاث في بلاد ما بين النهرين وهي الأراضي التي أتمّ الحلفاء تحريرها والأراضي التي ما زالتا تجاهدان في تحريرها. وقد إعتزمتا مساعدة هذه الإدارات والإعتراف بها عندما تتم إقامتها. وليس لفرنسا وإنجلترا اي نيّة في إخضاع أهالي هذه الأقاليم الى أي نوع من الحكم غير الذي يختارونه. إلاّ أنهما ترميان الى الهدف الوحيد وهو ان تتحقق برعايتهما ومساعدتهما تطوير عمل هذه الحكومات والإدارات التي يختارها الأهالي بحريّة. وإن الدولتين المذكورتين ستضمنان العدالة والنزاهة والمساواة في المعاملة وتعملان على اصلاح الشؤون الإقتصادية والعمل على تشجيع ذوي الكفاءات والمواهب ونشر العلم. والقضاء على الاحقاد والخلافات القديمة التي احدثتها سياسة الاتراك في المنطقة. وهذه هي الأهداف التي تسعى اليها الحليفتان في الأقطار المحررة".

وأبرقت وزارة الهند بالتصريح للإدارة البريطانية في اليوم التالي لصدوره وبلغ كردستان تبعاً مثلما بلغتها النقاط الولسنيّة الأربع عشرة. ونشر فضلاً عن ذلك في لندن وپاريس ونيويورك والقاهرة. ومع أنه كما تذكر المصادر العربيّة كان قد صدر على

أثر حادث بيروت وبسببه^(١٤).

إلا أن المصادر الأخرى تؤكد بأن المقصود هو كل الشعوب التي (حررتها) الجيوش

١٤- أنظر مثلاً [جورج انطونيوس "يقظة العرب" الترجمة العربية بقلم الدكتور ناصرالدين الأسد والدكتور إحسان عباس. الطبعة السادسة ١٩٨٠ - دار العلم الملايين. ص ٣٨٣] "كان صدور هذا التصريح نتيجة للموقف الحرج الذي تأزم فجأة في الأقطار العربية. وكان سببه الرئيس حادث العلم العربي في بيروت. وبيان ذلك انه في الثالث من تشرين الأول أي قبل عدة ايام من دخول طلائع البريطانيين أو الفرنسيين(؟) مدينة بيروت قام شكري باشا الأيوبي أحد احفاد صلاح الدين فأعلن السيادة العربية ورفع العلم العربي في المدينة بإسم الأمير فيصل فيامتعص الفرنسيون من هذا العمل بشدة وتقدموا الى الجنرال اللنبي يطلبون إنزال العلم فأنزل بأمر منه ويعث ذلك هياجاً عنيفاً في دمشق حتى أن فيصلاً بذل جهداً مضنياً ليتمكن من إطفاء نار التمرد المتحفز في صفوف جيشه ولم يفتر الغليان الذي سببه ذلك الحادث عندما عرف الناس أن بيروت والموانئ الأخرى على الساحل السوري ستوضع تحت الإحتلال الفرنسي. كذلك ذاع في دمشق نبأ نشاط الصهيونيين في فلسطين فزاد في النار وقوداً ثم أن إحتلال مدينتي دمشق وحلب جمع بين الزعماء السوريين والعراقيين الذين حاربوا في صفوف الثورة وبين اخوانهم الذين اضطروا الى البقاء في الوطن أو المنفى تحت وطأة الإرهاب التركي ومهد هذا اللقاء سبيلاً الى تبادل الآراء وكان لدى المتخلفين في الوطن أخبار كثيرة إستقوها من مصادر تركية وافضوا بها الى إخوانهم المحاربين، فقدمت لهم زاداً جديداً ليعيدوا النظر في مدى صدق الحلفاء... فإحتج فيصل الى اللنبي وأعلن انه لن يستطيع كبح جماح القوات العربية إلا إذا صدر على الفور تحديد رسمي واضح لنوايا الحلفاء فسارعت الدولتان الى إصدار هذا التصريح... الخ...". أه. نقول: تلك واحدة من محاولات تحوير وقائع التاريخ القومي العربي الحديث التي حفلت بها كتب من أمثال كتاب الأستاذ انطونيوس هذا لغرض إعطاء الحكومة القومية العربية زخماً كبيراً غير حقيقي وهي أم المصائب التي حلت بمفاهيم القومية العربية عند الأجيال التالية. فالباعث الحقيقي لهذا التصريح هو قيام الرئيس الأمريكي وودرو ولسن بنشر نقاطه الأربع عشرة في حق تقرير المصير بالخطاب الذي ألقاه في (مونت فرنون) في ٤ تموز ١٩١٨ يوم العيد الوطني الأمريكي ووضع الحلفاء في مركز لا يحسدون عليه وحملهم على إصدار تصريح مماثل بخصوص البلدان التي إحتلواها. فالثابت بإجماع المؤرخين ويكتب التاريخ المعتمدة أن بريطانيا وفرنسا وقتذاك كانتا تحاولان إرضاء الولايات المتحدة بكل طريقة ممكنة بغية ضمان بقائها ومشاركتها في مؤتمر الصلح.

من جهة أخرى فإن السيد أنطونيوس لم يُسند الى أي مصدرٍ كان زعمه بأن نزول الجنرال اللنبي على إقتراح فيصل كان السبب في إصدار هذا التصريح. فالمعلوم أن فيصلاً كان في ذلك الزمن يحمل رتبة أمر لواء مؤقتة في الجيش البريطاني منحها له الجنرال اللنبي وكان فيصل تحت إمرته من بين العشرات من الجنرالات التي يضمها جيشه ولم يكن له رأي يسمع إلا عن طريق مرافقيه ومترجميه لورنس والمقدم جويس. هذا من جهة - ثم إنه وفي الأيام الأولى لدخول القوة العربية =

الحليفة لا العرب وحدهم.

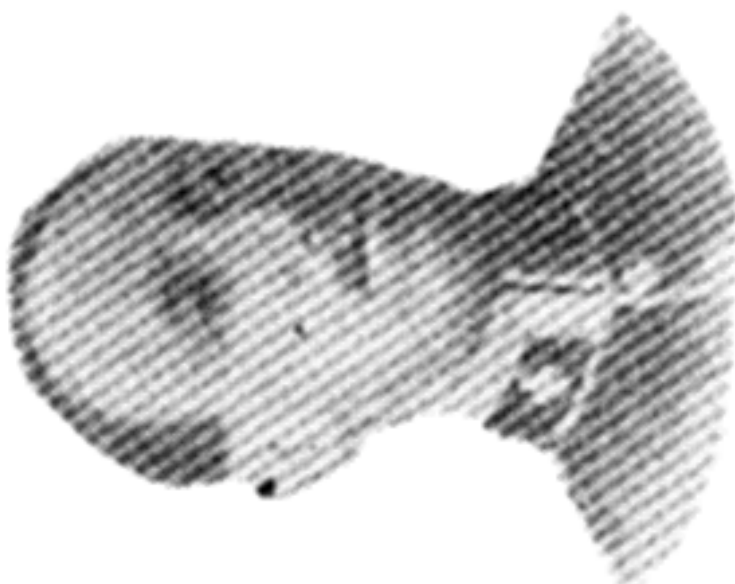
وبالإمكان القول أن هذا التصريح قضى سياسياً ونهائياً على إتفاق سايكس-بيكو-
سازانوف.^(١٥)

= سورية بدا واضحاً لكل ذي عينين أن أحد أسباب الإختلافات الإقليمية الهامة بين مختلف الأنشطة العربية هو أن أولئك الذين جاؤا من ولايتي بغداد والبصرة ومعظمهم ضباط عثمانيون رغم إنهم إدعوا بولاء لفيصل وأبيه وبأنهم يعملون له. هم أصلاً عسكريون عثمانيون بقوا على ولائهم للسلطان العثماني حتى اللحظات الأخيرة وتشبعوا بأفكار الجون ترك حتى نهاية الحرب. وكانوا خصوماً أشدداً لبريطانيا التي توقعت أن يكون خطرهم أكبر حجماً وأكثر جدية على الخطط البريطانية من خطر ساسة وخطباء مساجد دمشق والقدس.

١٥- كانت حكومة البلاشفة قد نشرت في تشرين الثاني ١٩١٧ نصّ هذا الإتفاق فأعادت نشره جريدة (المانجستر غارديان) الإنكليزية في شهر كانون الثاني ١٩١٨ ونقلته عنها الجرائد العربية في مصر.



العقيد چارلس ليچمان بشياب بدويه عربيه



العقيد چارلس ليچمان ببزنة العسكريه

الفصل الثامن

نوايا سلطة الإحتلال الحلية. الإهتمام بالمستقبل الكردي السياسي ومبادئ الرئيس ولسن. نشاط الكرد في الخارج. القضية الكردية في مؤتمر الصلح. الحكومة التركية تعرض الحكم الذاتي لكردستان. الوثيقة البريطانية حول مستقبل كردستان السياسي.

لكن ماذا عن المستقبل السياسي للولايات الثلاث؟
أودّ أن استهل هذا الفصل بفقرة وردت في بحث كتبه السربرسي كوكس لتلاوته على محفل يضم أعضاء "الجمعية الملكية الآسيوية" في لندن بتاريخ ١٤ شباط ١٩٢٩. وكان قد تقاعد قبلها بخمس سنوات:

"لم تكن ندري بأي صورة ستنتهي الحرب. وماذا سيكون مصير ميسوپوتاميا في حالة إنتصار الحلفاء. وطبيعيٌ وللسبب عينه كان يتعذر على دول الحلفاء إعلامنا بنياتها. وبعد مضي هذا الزمن الطويل لاضرر من القول انه وفي حالة واحدة فقط (في العام ١٩١٧ بعد إحتلالنا بغداد والقسم الجنوبي من ولاية الموصل) وردنا إقتراح من الحكومة البريطانية وطلب منا إبداء الرأي. ولو كنّا تسرعنا في الإدلاء برأينا فإن مجرى الأحداث كان سيختلف تماماً عمماً وقع فعلاً. وكان الطلب يتعلق بالولايات الثلاث: البصرة وبغداد والموصل. ويدور حول ما إذا كان مناسباً إدارة كل ولاية على حدة، مادام كل ولاية تختلف عن الأخرى بظروفها الخاصة ومطالبها.

ظهر لنا على الفور أن جميع المناطق التي ستقع بيدنا حتى نهاية الحرب مما شملته تصريحاتنا التي أطلقناها لسكانها. لا بُدّ أن تكون إدارتها موحدة وككل لا يتجزء. قُدمت لنا هذه الفكرة على شكل إقتراح ولم

يجر البحث فيها بسبب إختلاف وجهات نظر أولئك الذين تسلّموها من بغداد ، قبل اعلان الهدنة أو بعدها. ولذلك لم أتردد بوصفي الحاكم المدنيّ العام في معارضة أيّ اتجاه يرمي الى الفصل بين الولايات الثلاث. وقد إتضح صواب رأينا بعد تسارع الأحداث وماتمخضت به^(١).

وإعتمدت الإدارة البريطانية على لفييف من الضباط العرب والكرد المسرحين وقد دالت الدولة التي خدموها بكل إخلاص وهم الآن على إستعداد للخدمة في أيّ إدارة بعين الإخلاص والمحبة.

وبخلاف الصورة التي يمكن إستنتاجها من أقوال كوكس. فان الإدارة لم تكن سهلة بالشكل الذي رآه كوكس نجاحاً. كان التوتر شديداً بين السكان المختلفين نوعاً وكيفاً وعنصراً وكان قميناً بإثارة مشاكل حقيقية وأخطرها قبائل كردستان في الشمال وقبائل الفرات في الجنوب وخطر هذه أعظم من الأولى. وكان ثمّ تنافر وإحتراب بين الطوائف الدينية والمذهبية. وتلك الفوضى التي تجدها عادة بديلاً عن النظام الذي تجده في مجتمع ذي قومية وهوية واحدة.

سُلّمت الإدارة المؤقتة بعد الحرب مباشرة للسّرّ پرسی كوكس تعاونه غيرتروود بل الشهيرة ومضى يتبع السياسة التي نوه بها في كلمته تلك. إلاّ أنه سلّم الإدارة لنائبه العقيد سر آرولد ولسن مرّةً بصورة مؤقتة عندما أنتدب للمفوضية البريطانية في طهران وبصورة مؤقتة أيضاً وأخرى في العام ١٩١٩ وبقيت (بل) بمنصب "السكرتيرة الشرقية" معاونة له. وهي أفضل من كتب من الإنكليز عن البلاد العربيّة في حينه. وكانت تميل الى جعل ولايتي بغداد والبصرة محميتين أمّا ولسن فكان يميل الى حكم مباشر. لكن وفي أوائل العام ١٩١٩ كان هناك من العوامل ما يكفي لتقارب وجهتي نظرهما في مذكرة قدمتها وجاء فيها: "إن الحديث حول تقرير المصير قبل انعقاد مؤتمر الصلح وبعده ليس مرغوباً". وقبلها كانت قد كتبت في أحد تقاريرها أن الأهالي في

١- نقلنا النص عن كتاب (العراق في الوثائق البريطانية) من ترجمة فؤاد قزانچي: دار المأمون للترجمة. بغداد ١٩٨٩ (الصف ٢٧-٢٨) بعد إجراء تعديل بسيط على الترجمة. وقد أعطى المترجم لهذه الوثيقة رقمها 0-730-43-68-86- Hm 05-25.



گيترود بل

حضرت الفاضل
اذا كان مناسب الي حضرتك
وانا موجوده في البيت من الساعة
بسيعة نصف الصبح الي المساء واطم
او من الساعة اربعة الي الساعة خمسة
وتعق بعد الظهر
الخطبة
خرود بل
مطهرة الفاضل سليمان افندي العتيبي الحنبلي

نموذج من رسائل گيترود بل بالعربية

ميسوپوتاميا بعد ان شهدوا نهاية الحرب الظافرة بدا عندهم من المسلمات أن البلاد ستبقى تحت السيطرة البريطانية. وهم جميعاً سعداء بقبول قرار الانفصال (عن تركيا)."

على أن لندن إتخذت فيما يبدو مجاملةً للرئيس الأمريكي ولسن مبدأ حق تقرير المصير نقطة شروع أو على الأقل تظاهرت بالتأثر به، فسألت وكيل الحاكم المدني العام أن يستطلع رأي الأهالي في أي حكم يفضلونه أو أي شكل من أشكال الدولة يريدون إقامتها: فأجاب ليس هناك أي سبيل للتأكد من الرأي العام^(٢).

وكان آرنولد ولسن مستعداً لإدارة الولايات الثلاث ولاسيما الموصل التي تنازل عنها كليمانصو كلياً للبريطانيين كما ذكرنا وإعتزموا أن يحرموا منها تركيا. إلا أنه لم يكن يعتقد أن هذه الولايات تصلح لتأليف وحدة متماسكة. وإقليم (العراق) وهو الإسم الذي إقترحه البريطانيون ليقوم مقام (ميسوپوتاميا = بين النهرين) بدا له بدرجة من التفكك وعدم التجانس بحيث لا يمكن أن يعمل منه دولة. إلا أن المركز الاستراتيجي الفريد الذي تحتله ولاية الموصل كان يفرض إضافتها الى هذا "العراق" فضلاً عن الإحتمال القوي بوجود النفط في جوفها. على أنها كانت جزءاً مما رتب أو إفترض أن يكون (كردستاناً) وحاول ولسن إقناع الوايت هول بأن: "هؤلاء المقاتلين الأشداء الكرد الذين أدخلوا ضمن إدارته والذين يعدون نصف مليون، لن يقبلوا قطً بحاكم عربي".^(٣)

على إن الإهتمام عملياً بالرأي العام الكردي في جنوب كردستان بدأ بشكل جدّي بعد دخول القوات البريطانية بغداد وأعطى الجنرال مارشال القائد العام الضوء الأخضر بالزحف شمالاً والإستيلاء على سائر ولاية الموصل كما قدّمنا. وعلى إثر ذلك قامت

٢- هوارد. م. ساكر: تاريخ اسرائيل منذ قيام الصهيونية حتى الآن Howard M. Sacher: A History of

Israel from the Rise of Zionism to our Times نيويورك ١٩٧٩ ص ٢٠٩.

٣- أورد آرنولد ولسن (الفصل ١٧ - الحاشية ١٣ - المرجع السالف) إحصائية رسمية لسكان الولاية قال إنها نتيجة الإحصاء الذي أجرته الحكومة العراقية في ١٩٢٢-١٩٢٤ جاء فيها رقم (٥٢٠٢١٤) لنفوس الكرد مسلميهم ويزيديهم مع مسيحييهم. ورقم (٦٦٩٤١) لنفوس العرب فضلاً عن حوالي (١٠٠٠٠٠) موزعة على المسيحيين (الكلدآشوريين) (١٦١٣٣٦) والأترك (التركمان) (٣٨٦٥٢) واليهود (١١٨٩٧). نقول: وعلى هذا الأساس كانت نسبة الكرد الى المجموع العام حوالي ٦٥٪ ونسبة العرب حوالي ٢٣٪.

دائرة الحاكم المدني العام وهو المنصب الذي أشغله السر پرسی كوكس ومن بعده وكيله آرنولد ولسن كما تقدم ذكره. بضمّ نخبة من الضباط السياسيين اللامعين الذين سبق لهم صلات بكرديستان. وتميّزوا بخبرات معينة في الشؤون الكردية وعلاقات شخصية بزعماء ورؤساء قبائل هناك وبعض المثقفين العاملين في الحقل الوطني، ميّز من هؤلاء الرائد (ميجر) سون، والرائد (نوئيل) والرائد (إدموندز) والنقيب (چاپمان) ويولارد وكايتن (لاين) وغيرهم. وألّف هؤلاء حلقة واهية العرى لم ترقّ الى حدّ وصفها بلجنة أو هيئة، إتحدت بأهداف معينة قاصرة على تعريف الكرد بنوايا بريطانيا الطيبة. وبتحريضهم ضدّ الأتراك وحثّهم على الإنتفاض عليهم والإنحياز الى جانب القوات البريطانية المظفرة.

وفي مفتح العام ١٩١٨ أي بعد خمسة أشهر ونيف من إحتلال بغداد كُلف الميجر سون بإصدار الجريدة الكردية التي عرفت بإسم (تینگه يشتنی راستی = وعي الحقيقة) وكان رئيس تحريرها في عين الوقت. كانت جريدة موسميّة تصدر في أوقات متباعدة عُرّفت في صدرها بإنها "جريدة سياسية إجتماعيّة تخدم وحدة الكرد وحرّيتهم".

لم يكن من أهداف هذه النشرة الدورية خلق ثورة كردية ضدّ العثمانيين في جنوب كردستان. مثلما كان كان الغرض من زميلتها (النشرة العربية) التي صدرت في ٦ حزيران في القاهرة لغرض إسناد ثورة الشريف حسين وهي من بنات أفكار (لورنس). بل كانت أشبه بجريدة (العرب) التي أصدرتها السلطات البريطانية في بغداد في عين الوقت. ولعين الغرض الذي أسند لجريدة (تینگه يشتنی راستی) في حينه.

لم تخلف هذه الجريدة بأعدادها الخمسة والعشرين أثراً يذكر في الأحداث التالية. وكان مركز توزيعها بغداد ولم يشارك فيها كما يبدو قلمٌ كردي معروف وليس لدينا مصدرٌ يؤكد لنا مدى تأثيرها أو إنتشارها في كردستان ولا عدد النسخ التي يطبع منها. وكلّ مانعرفه أنّها إختفت عند إسناد مهمّة خاصّة ميدانية لرئيس تحريرها (سون)^(٤).

٤- المرجع السالف ص ١٥، يوميات ميجر ي. ن. نوئيل بواجب خاص في كردستان: من ١٤ حزيران الى ٢١ أيلول ١٩١٩ The Dairy of Major E. N. Noel on Special duty in Kurdistan. June 14- Sept 1919. وبلغ من تحمّس (ولسن) لإنشاء دولة كردية مستقلة لا تقتصر على جنوب كردستان بل تنداح الى شمالها وراء خطّ الحدود (خط بروكسل) المؤقت، انه إستعان بالميجر (نوئيل) وكان إذ ذاك في ديار بكر في مهمة خاصة والتقى الإثنان في حلب في ٢٦ من حزيران. ويذكر نوئيل في =

وبصورة عامة، وبخلاف ما ذكرناه، لم يطرأ على حركة الوعي القومي الكردي داخل كردستان تطور يذكر خلال فترة الحرب. إلا أن الوطنيين الكرد وجمعياتهم وهيئاتهم في الخارج (لاسيما في القاهرة وباريس) كانوا نشطين فعّالين يحاولون دائماً تقديم قضية شعبهم لدول الحلفاء بشتى الطرق وبمسعى خائب في أغلب الأحيان.

كان موقف الوطنيين داخل كردستان التركبية صعباً للغاية لاسيما بالنسبة لأولئك الذين تميزوا بالمركز الديني كالشيخ عبدالقادر النهري. وقد رأينا كيف أضطر السيد طه مثلاً الى التسلسل خارج الحدود التركبية لمحاولة الإتصال بالروس. وكذلك كان نهج امراء الجافّ (البگزاده) الذين تهيأت لهم الفرصة لإنشاء تلك الصلة من خلال رحلاتهم الصيفية المعتادة الى إيران.

ودبّ النشاط بعد نهاية الحرب وإستسلام تركيا. وبدأ إستقطاب الزعماء الوطنيين والمنظمات القومية الكردية التي ايقظها من سنوات نومها الطويل مؤتمر الصلح المنعقد في باريس. وأختير الجنرال شريف پاشا لتمثيل الكرد في هذا المؤتمر.

كيف تمّ الإختيار؟ لم يكن هناك إجتماع ولا هيئة تضمّ مندوبين مخولين بصلاحيه إنتخاب ممثل لكل جهة. إلا أن إختياره للمهمة الكبرى كان موفقاً جداً. فالرجل بقي خصماً عنيداً للإتحاديين والجون ترك في حين لم يكن نصيراً للخلافة والسلطان. فضلاً عن إرتباطه بصداقات وعلاقات حميمة مع عدد كبير من الساسة والدبلوماسيين الأوروبيين تعود الى أيام حياته الدبلوماسية التي جعلت منه شخصية معروفة ومحترمة في المجتمع الأوروبي. كما أنّه لم يكن ممن يفتقر الى اصالة الرأي والجرأة وقد رأينا الوحيد الذي جرؤ في أولى ايام الحرب على الإتصال بالحلفاء وعرض قضية شعبه

= (يومياته) أن العقيد ولسن الذي كان يشغل وظيفة الحاكم المدني العام بالوكالة. كان قد إقترح على الحكومة البريطانية في ١٢ حزيران ١٩١٩ إقامة دولة كردستانية مستقلة تحت الوصاية البريطانية تتألف من ولاية بتليس وديار بكر ومعمرية العزيز. وإنه بالتشاور مع ولسن تقرر أن يقوم نوّيل بزيارة استنبول للإتصال بكبار اسرة بدرخان والإتفاق معهم وأن يقوم بجولة في كردستان للعمل على مقاومة الدعاية الإسلامية التي يبثها الأتراك في محاولة توجيه الرأي العام الكردي ضدّ الإنكليز ولغرض تبديد الوهم الذي يريد الأتراك زرعه حول وقوع الكرد تحت رحمة الأرمن. ويذكر نوّيل انه وفي ٣ من تموز إجتمع في استنبول بأبرز العناصر الوطنية الكردية كالشيخ عبدالقادر النهري وأمين عالي بدرخان مع إثنين آخرين من الأسرة، وأكرم جميل پاشا زاده من ديار بكر وعبدالرحيم أفندي، الخ...

باستقراءٍ للمستقبل يقرب من النبوءة.

إلا أن مهمته كانت في غاية الصعوبة. وجد أولاً من الضروري جداً لإحراز أي تقدم التغلب على الشعور المعادي للكرد الذي يشيع في نفوس ممثلي الحلفاء المنتصرين هو التراث المتخلف من المذابح الأرمنية. ويبدو أن شريف باشا تمكّن من تقديم قضية وطنه بدرجة من الإتقان عظيمة. وأنه تصرف بكثير من الكياسة والدهاء ليفوز بعطف القوى السياسية وبصداقة الأرمن. فقبل دخوله حلبة المساومات في مؤتمر الصلح بوقت وجيز نجح في عقد ميثاق تعاون وتحالف كردي أرمني. بينه عن الكرد، وبين كل من بوغوص نوبار باشا^(٥) واقيديس آورنيان ممثلين عن الأرمن^(٦).

هذا التحرك أقلق الترك، الذين لم يضيّعوا وقتاً بدورهم للتصدي الى مكانم الخطر المتمثل إذ ذاك في (كردستان تعالي جمعيتي). فقد طلبت السلطات التركية منها تعيين ثلاثة مندوبين يسهمون في دراسة القضية الكردية من أجل الوصول الى الحلول الضرورية فإستجابات الجمعية. وتألّف الجانب التركي لهذا الغرض من ابراهيم أفندي الحيدري (وزير دولة. وشيخ إسلام سابق. من الأسر الكردية المعروفة في أربيل). أحمد عبوق باشا (وزير الأشغال العامة ووزير الحرب سابقاً). عوني باشا (وزير البحرية). فيانتدبت الجمعية كلاً من سيد عبدالقادر النهري، وأمين عالي بدرخان، ومراد آل بدرخان. ويعد مداولات توصل المجتمعون الى المقررات التالية:

أولاً: الإقرار بقدر واسع من الحكم الذاتي للكرد.

ثانياً: سنّ القوانين الضرورية لتطبيق القرار السالف دون تأخير.

ثالثاً: تنفيذ كلّ الواجبات والتعهدات النابعة عن تلك القوانين دون عائق.

رابعاً: يتعهد الكرد أن يبقوا جزءاً من الإمبراطورية العثمانية مع الإعتراف بسيادة السلطان الخليفة^(٧).

٥- شخصية مصرية - أرمنية الأصل بارزة ذات مقام عند المجتمع الأرمني. فأبوه نوبار باشا (١٨٢٥-١٨٩٩) كان رئيس وزراء للخديوي توفيق. وقد أعتيل وهو يزال شؤون منصبه.

٦- بلج شيركو: القضية الكردية. أصولها وأسبابها B. Chirguh: La Question Kurds, Sés Origines et Sés Causes. القاهرة، ١٩٣٠ ص ٢٤.

٧- المرجع السالف الص ٢٤-٢٥ [بالمناسبة أورد هنا: وثيقة بريطانية تنقل الى وزارة الخارجية =

إلا أن نشرةً بريطانيةً رسمية، تعكس صورةً أخرى لما جرى فعلاً:

تقول النشرة إن ممثلي الجانب التركي لم يوجهوا الى الجمعية الكردية الدعوة لإرسال

= البريطانية وقائع مقابلة للشيخ عبدالقادر النهري مع المندوب السامي البريطاني للجنة الحلفاء
المقيمة في استنبول. أثبتتها هنا لعلاقتها بالموضوع وهي مرقمة - 426 - 425 - 41 - 406. Fo.
1 في الملف رقم ٩٧ وبتاريخ ٨ كانون الثاني ١٩١٩

(١) جاءني عبدالقادر (النهري) زائراً صباح هذا اليوم. وذكر أن الكرد في الوقت الحاضر يجدون
أنفسهم في موقف صعب للغاية. لا، بل في موقف تكتنفه الأخطار كما قال. فحزب الوفاق الحرّ
Entente liberale الذي يقوم (فريد باشا) على رأسه يعمل ليحل محلّ الحكومة الجديدة والقبض
على زمام الأمور. وقد قدّم للكرد عروضاً في غاية الكرم والسخاء في نظره. ووعدوا على ما
فهمت منه بما يرقى الى حكم ذاتي تام تحت الحماية التركيّة. على أن فريد باشا الذي كان سابقاً
رئيساً للحكومة قد قدّم وعوداً مشابهاً واسعة النطاق لا بأس بها وإن كانت ثقل كثيراً عن وعود
بذلت في الماضي البعيد - لكنّه لم ينفذ أيّاً منها عندما تسلّم السلطة. من جهة أخرى فإن
الحكومة الحالية عرضت عليه مقترحات حول منح الكرد إدارة ذاتية بموظفين كرد، لكنها تتبنى في
عين الوقت موقفاً إستفزازياً معادياً منه ومن اخوانه في القسطنطينية. وفي الوقت عينه زادت
خطورة مصطفى كمال وهو (أي عبدالقادر) يشعر بقلق عظيم بما سيقدّم عليه هذا بالتعاون مع
الأذربيجانيين الذين يثيرهم (خليل باشا) وغيره من أنصار أنور (باشا). وإن الثمن الذي وجب
على الكرد دفعه لعرض حزب الوفاق الحرّ هو أن يقفوا ضدّ (مصطفى كمال) وأن ما تريده
الحكومة الحالية برئاسة علي رضا باشا هو المساندة والدعم الكرديين والوقوف ضدّ مصطفى كمال
في محاولة الحكومة كبح جماحه ومنعه من القيام بأيّ تحرك علني. وقال : إنه يريد أن يختار
لنفسه سبيلاً يتفق تماماً مع خطّ الحلفاء لاسيما إنكلترا. لأنه يعتبر مصير كردستان مرتبطاً
إرتباطاً وثيقاً بسياسة بريطانيا العظمى أكثر بكثير من إرتباطه بأيّ جهة أخرى من الحلفاء، وهو
حريص على أن لايفعل شيئاً لايحوز رضانا وقبولنا.

(٢) أفادني بمعلومات هامة جداً هي جديدة بالنسبة اليّ. فقد ذكر أن الأرمن والكرد توصلوا الى
إتفاق هنا وفي باريس أيضاً. وسلّمني وثيقة (ارفق نسخة منها بهذا التقرير) فيها شرح للنتائج
التي تمّ التوصل اليها، الى جانب رسالة موجهة الى رؤساء مندوبي مؤتمر الصلح موقّعة من شريف
باشا وبوغوص نوبار باشا. من المفروض ان تكون هذه الأوراق الآن في حوزة وزارة الخارجية وهي
المرفقة هنا إلا أنها أشاعت في نفسي الغبطة والارتياح العظيم، لتوصل القوميتين إلى تسوية
خلافتهما وتوصلهما اتفاق الصلح والسلام.

قلت له أن المسألة التي عرضها عليّ هي صعبة. وأن سياسة حكومة جلالته التي أعتزم التمسك
بها هي عدم التدخل بأي شكل كان في شؤون سياسة تركيا الداخلية لتكون حرةً تماماً في إختيار
أي حكومة تريدها في هذه اللحظة الحرجة جداً من وجودها. حرةً في أي من الزعماء تختار لنفسها
بعيداً عن تأثير أي قوى خارجية وعلى ضوء مبادئ الرئيس ولسن. ويتعذر علينا أن لانشعر =

مندوبين عنها لبحث القضية الكرديّة. بل (أحضرتهم) بالأحرى ليشرحوا لها مراميهم وأهداف نشاطهم وبأيّ سلطة يقومون بالتفاوض مع البريطانيين في استنبول حول أمور

= بالعطف على رغبة أيّ قومية في العمل من أجل إستقلالها. لكنني أخطرتة انه وفي الوقت الذي كنا مستعدين في إيصال مايرغب الشعب الكردي في تقديمه من مذكرات الى مؤتمر الصلح مؤمّنين بذلك كل التسهيلات للتعبير عن أمانيه وطموحاته. أنذرتة بأكثر مما ملكت من الجدّيّة والوضوح بأن هذا لاينطوي على أي نوع من الوعد أو التعهد. وأنّ المعلومات التي وصلت لجنة الحلفاء العليا كانت بالأحرى تشير الى ديبب الضعف في حركة مصطفى كمال فلا داعي مثلاً للخشية منه كثيراً. وقلت ان لدي من الأسباب للإعتقاد بأن المندوب السامي في ماوراء الفقفاس قد حقق نجاحاً كبيراً في وصل جبال الودّ والمصافاة بين الاذربيجانيين والأرمن. فلا داعي والحالة هذه للخوف مما يمكن أن يحصل. ثم انه نوّه بمسألة إحياء الحركة القومية في الربيع غير أن هذا يبعد عنا بثلاثة أشهر أو أربعة، ولايسعني إلاّ الإعتقاد بأن مؤتمر الصلح سيصل خلال هذه الفترة الى مقررات معينة بخصوص الصلح مع تركيا على الأقل. إلاّ أن سعادتة قاطعني ليقول: "هذا صحيح إلاّ انه يقدر تماماً الواقع وهو أن طلب الكرد تحقيق أمانيتهم الوطنيّة سيكون من مؤتمر الصلح وليس من الحكومة التركيّة. ومع هذا فقد تحدثت أمور أخرى بمرور الزمن سيقوم مؤتمر الصلح في الوقت المناسب بإصدار مقرراته فعلاً. إلاّ انه يتساءل عن التدابير التي سيتخذها لغرض تطبيق تلك المقررات. ثم تمثّل بالمثل العربي -عدوك وإنّ كان نملة، مادام هو عدوك فعليك أن تبقى يقظاً- ونوّه بكثير من اللباقة الى المصاعب التي سيتكبدها الشعب الكردي لينجح في إنجاز مطلب الإستقلال إن لم يكن للحلفاء القوات الكافية لإرغام الترك على القبول الكامل بتنفيذ شروط الصلح.

(٣) إستفسرت منه: هل إن المواجهة التي يتطلبها حزب الوفاق منكم للوقوف ضد مصطفى كمال تتضمن إستخدام القوة؟ فأجاب بالإيجاب. فلمحت: إن ذلك لايبعد ضرورياً نظراً الى ضعف حركته كما سبقّت الإشارة إليه وكذلك نظراً الى واقع رغبة حكومة صاحب الجلالة في ضرورة إستتباب الأمن وإشاعة السلام لمصلحة جميع الأطراف.

(٤) وبخصوص المعاملة السيئة التي قال إن الكرد في القسطنطينية يتعرضون لها. قلت إنّ حكومة صاحب الجلالة حرصت على أن لا تتسامح في أي إضطهاد سياسي يصدر من أي فريق ضدّ آخر. ويتوقف ذلك على الوقائع. لكن وفي حالات الضرورة الطارئة يحتمل جداً أن يكون في وسعنا إستخدام نفوذنا للحيلولة دون ممارسة السلوك الذي وصفه.

(٥) أودّ أن اعرب عن التأثير العظيم الذي خلّفه في نفسي ما أظهره الشيخ عبدالقادر من العزم والتصميم في تعقيب هدفه في الإستقلال لكردستان وفصلها عن تركيا.

التوقيع ت. ب. هوهر (سكرتير المندوب السامي)

كتب اللورد كرز في ذيل التقرير: أؤيد الحكم الذاتي لكردستان وأؤيد الإتفاق الكردي الأرميني. لكن أين لنا بالقوات التي تمكننا من تحقيق المطلب الكردي؟

تتعلق بكرديستان؟ وإن الموظفين العثمانيين - كما تقول النشرة - نبهوا هؤلاء الثلاثة بأن مثل هذه الأمور تعود الى الباب العالي وحده وإنه هو الذي يمنح قدرأً واسعاً من الحكم الذاتي للکرد.

ويذكر (رفعت بگ) المتحدث بلسان الشيخ عبدالقادر (لم يكن موجوداً أثناء اللقاء) أن الشيخ ردّ قائلاً: إن الكرد يعملون بوحى من مبادئ الرئيس ولسن التي تعطي كلّ قومية حقّ العمل في سبيل تحرير نفسها. وأضاف: إن الكرد متأكدون بأن بريطانيا هي الدولة الوحيدة التي تستطيع أن تحقق لكرديستان حريتها وأمنها وإنهم بسبب من ذلك شرعوا في مفاوضاتهم.

ثمّ أعرب الشيخ كما يذكر (رفعت بگ) عن شكّه في مقدرة تركيا أو في رضاها منح الحكم الذاتي للکرد نظراً لغموض مستقبلها هي نفسها. وعند هذه العبارة ذكر أن (عبوق پاشا) هبّ من مقعده غاضباً وقال للناطق الرسمي عن الكرد إن الحكومة العثمانية هي أقوى من أيّ وقت وأنّها قررت ألاّ تنزل عن شبر واحد من أراضيها لأيّ أحد. وأنّ الأوامر صدرت الى الجيش التركي في القفقاس بمواجهة أي جيش من الجيوش الأجنبية وأن لايسمح بصرف أي تعويض للاجئين الأرمن. وعند ذلك تدخل عوني پاشا وأوقف هياج عبوق پاشا^(٨).

بعد هدنة مودروس، دبّ النشاط في حركة التحرر القومي الكردي. وإنطلقت من القيود التي كبّلتها بها الحرب، على صعيد مؤتمر الصلح من جهة وعلى أرض كردستان العثمانية أيضاً. وهي نتيجة الفعالية والمجهودات التي صار يبذلها زخم من القوميين الكرد العائدين من المنفى بتنسيق مع أولئك الموجودين.

إستئناف النشاط القومي الكردي في تركيا نجمت عنه آثار فورية وبعيدة. وضاعف كثيراً من حجم تعبئة القوى الوطنية في كلّ مكان. فضلاً عن جهود الشخصيات البارزة في محاولات السيطرة الموقعية على أجزاء معينة من كردستان. عناصر متباينة بأغراض خاصّة مستسرة متناقضة، ومصالح متنافرة اجتمعت كلّها لغاية واحدة هي إقامة كردستان مستقلة أو على الأقل ضمان شكل ما من أشكال الحكم الذاتي. والدوافع والغايات متباينة بقدر ماكانت تلك الفئات مختلفة ومتباينة. هناك

٨- ارشاك سفرستيان. كردستان والکرد. المرجع السالف. ص ٩٩.

القوميون الخالصّ وهناك الشخصيات الطموحة، وهناك فئات تخشى الجزاء وشرّ العقاب بسبب مشاركتها في المذابح الأرمنية وهناك أعضاء سابقون للإتحاد والترقي ساخطون وضباط جيش مسرحون لاعمل لهم. بل كان أيضاً قوميون عرب عملوا على إدخال الكرد في الدولة العربية الواسعة الأرجاء التي كان يحلم بها الشريف حسين أمير مكة^(٩). لكل منهم كان أسبابه لمساندة الحركة القومية الكردية الوليدة.

في تلك الظروف القلقة، الحافلة بغير المتوقع. بدت حركة الوعي القومي الكردي تستمد قوتها وحيها من مصدرين متناقضين. أولهما من طرف موالي للترك نابع عن مشاعر دينية مدعم بعناصرٍ تحرض على وحدوية العالم الإسلامي وتعمل بتعاون مع الموظفين والمكلفين بالخدمات العامة في دوائر الدولة ويضمنهم ضباط الجيش وهؤلاء من الفريق المعادي للبريطانيين أصلاً. وثانيهما الفريق الآخر الذي لا يوالي الترك ولا يعمل بدافع من إعتبارات دينية يطمح الى إستقلال كردي تام، ويرعاه القوميون الكرد في كل مكان.

مع وجود هذا البرزخ الأساس فقد أمكن إيجاد جسر عبورٍ لاجبٍ ووجدت أرضيات اللقاء في محطات عملٍ موحدٍ تمّ فيها تجاهل الخلاف إزاء الهدف النهائي والحرص بدقة زائدة على إجتناّب ظهور شقاق علني.

الفريق القومي المؤمن بوحدة العالم الإسلامي كان يرفض قيام دولة أرمنية ويرى في قيامها خسارة أراضٍ تركية لا يمكن استعادتها. الى جانب وجود دولة جارة معادية جداً هي روسيا وعندما وجد هذا الفريق عقم مسعاه في الحيلولة دون ذلك إزاء إصرار الحلفاء وضعف حكومة ما بعد الحرب التركية ألقى بثقله كاملاً على الإتجاه الثاني وأعلن مساندته لفكرة إقامة دولة كردية مستقلة بوصفه أهون الشرين، دولة كردية ستكون ذات قيمة لا تقدر. تقف بوجه أرمنيها المزمع خلقها. بل ربما أمكن بذلك الحيلولة دون إنشائها.

٩- كما ذكرنا، إنتظم في قوات الشريف حسين عدد من الكرد الضباط في الجيش العثماني يوازي تقريباً العدد الذي إنتظم فيه من الضباط العرب. ولم يكن بينهم ضابط واحد يعمل للقضية الكردية. وقد إستعرب بعضهم وتسنم مناصب عالية. عسكرية ومدنية في الكيانات السياسية العراقية والسورية فيما بعد.

وبعكسهم كان عموم القوميين الكرد لا يعارضون في إستقلال للأرمن. وكثير منهم أبدوا إستعدادهم بله ترحيبهم للإقرار بحق الأرمن في إنشاء دولتهم وتحقيق أمانهم الوطنية شريطة أن تحظى مثلتها الدولة الكردية بعين القبول والرضا منهم.

في الواقع حاول عدد من زعماء الكرد القوميين إقامة جبهة مشتركة مع الأرمن وباركوا مجهودات شريف پاشا في باريس عندما حقق هذا التحالف بوثيقة شبه دولية ومع أن مجهوداته في مؤتمر الصلح جاءت أحياناً بنتائج مخيبة إلا أن هذه المبادرة بالتقارب التي إرتاح لها الحلفاء كثيراً، أسفرت عن الإعتراف بالأخير بالطموحات القومية الكردية رسمياً وباتت مدار إهتمام البريطانيين الجدي قبل أن تنظمها معاهدة سيفر السيئة الحظ التي عقدها الحلفاء مع ممثلي الحكومة التركية في مدينة سيفر القريبة من باريس في شهر آب ١٩٢٠ ولم يكتب لها التطبيق إذ جرفت الإنتفاضة الكمالية التركية^(١٠) كما سيأتي شرحه.

ففي أواخر كانون الأول ١٩١٩ كانت النية في الوايت هول متجهة الى خلق دولتين كرديتين عازلتين. أوصى بذلك وبناءً على مقترحات آرنولد ولسن في وثيقة نادرة، السر آرثر هرزل سكرتير وزارة الشؤون الخارجية موجهة الى وزارة الهند (أصبحت فيما بعد وزارة المستعمرات)^(١١) وفي حينه كان اللورد كرزن وزيراً للشؤون الخارجية في حين

١٠- في ٢١ تشرين الثاني ١٩٢٣. طلب الوفد التركي في لوزان شطب أي بحث حول معاهدة سيفر وشرعيتها من جدول الأعمال. فوافق رؤساء وفود الحلفاء.

١١- وهذا نص الوثيقة 78 - 1034 - 5068 - 371 Fo.

٢٠ كانون الأول ١٩١٩ رقم P-7701:

بالإشارة الى المراسلة المختتمة بمصادقتي المرقمة ٧٧٠١ والمؤرخة في ٤ من كانون الأول بخصوص سياسة حكومة جلالتة في كردستان. فقد طلب مني مندوب الدولة الدائم لشؤون الهند (وزير الهند) نقل وعرض نسخة من البرقية المؤرخة في ٢٧ من تشرين الثاني المرقمة ١١٦٩- على وزير الخارجية وقد وصلتنا من وكيل الحاكم المدني العام في ميسوروتاميا حول الموضوع.

(٢) تأمل مستر (مونتيغو) محتوى البرقية وعكف على درس قضية كردستان بأسرها بالمداولة والمشاورة مع الضباط الذين إكتسبوا تجارب في تلك الأنحاء مؤخراً. وعلي الآن أن أرفق بهذا نسخة لوقائع مؤتمر عقد بهذا الخصوص في وزارة الهند (الدائرة الهندية) يوم السبت الموافق للسادس من كانون الأول.

(٣) بخصوص الخيار الواسع المتاح للتدخل أو للإسحاب من شؤون كردستان الداخلية. يفضل مستر مونتيغو الخيار الأخير. لكنه لا يرى مندوحة من الإستنتاج بأن الإسحاب مستحيل مادام=

كان مونتيغو الذي ورد إسمه في الوثيقة وزيراً لشؤون الهند (المستعمرات) والإثنان كانا على صلة دائمة بدائرة الحاكم المدني العام في بغداد.

= هناك ضرورة تقضي بإتخاذ التدابير للدفاع عن (الموصل) شمالاً والمحافضة على سلامة الطريق الفارسية في الشرق. وهو ينصح بما يلي: في حالة ما لُسو تقرر بقاء الموصل ضمن دولسة ميسوپوتاميا، فالوضع الاستراتيجي يتطلب أن يُحتفظ بـ(زاخو). ومع زاخو يجب الإحتفاظ بالجزيري (جزيرة ابن عمر) غرباً وبـ(دهوك) شرقاً وينصح كذلك بانه من أجل ضمان حماية الطريق الفارسية وسكة حديد (قورهتو!) من الغارات أن تُمارس درجة من السيطرة على منطقة (السليمانيه) لتأمين قدر من النظام والحكومة الجيدة فيها، ويرى مستر مونتيغو أيضاً انه لو تحققت ممارسة مثل هذه السيطرة فسيلزمنا عدد أقل من الجنود في حدود ميسوپوتاميا مما لو تُركت المنطقة لشأنها. لذلك يوصي وإن بشيء من التردد بوجود بقاء كردستان ضمن دائرة مسؤوليتنا.

(٤) وأما بخصوص الحدود. فهو مهتم بأن لا يُحشر داخل دولة ميسوپوتاميا صقع تسكنه أغلبية كردية يمكن إستئناؤها بسهولة. لذلك يوصي بان تُرسم الحدود بين جنوب كردستان وبين ميسوپوتاميا بخط يمرّ من شمال (خانقين) بمسافة قليلة الى (كفري) ثم الى (كركوك) و(آلتون كوبرو) و(أربيل) حتى فيشخابور، فيدخل في ميسوپوتاميا كل هذه المدن ماعدا أربيل. ولأغوات اربيل - وهي مدينة يسكنها العرب والكرد الخيارُ إمّا الإنضمام الى دولة ميسوپوتاميا وإمّا الى دولة كردستان الجنوبية. ويرى العقيد ليچمن انهم على الأغلب قد يختارون الإنضمام الى الدولة الأولى وهو إختيار قد يؤدي الى التغلب على مصاعب عديدة لو كان الأمر خلاف ذلك.

إن الحدود الشرقية لكردستان الجنوبية ستكون الحدود الفارسية. أما الحدود الشمالية فستكون الخط الذي يبدأ من نقطة إتصال جبل قنديل ببلاد فارس ممتداً على طوار قمم الجبال حتى (حرير) ومن ثم (وهذا منوط بأيّ تعديل محلي قد يجده العقيد ولسن ضرورياً) بحذاء (زاخو) الى أن يبلغ نقطة حيث تقطع دولة ميسوپوتاميا النهر. ومن أجل الدفاع عن زاخو يكون من الضروري السيطرة على (الجزيرة) ويقترح مستر مونتيغو دعوة أسرة بدرخان ليسلم لها الحكم في (بوتان) ولتكون الجزيرة عاصمتهم ومبدئياً قد يحبذ وضع حامية من القوات البريطانية في البلدة وتقديم بعض المساعدة من السلاح وربما بشيء من المال. لكن يجب أن لاتعطى تعهدات لأكثر من (الجزيرة) وبهذا الخصوص أو بمدى هذه الحدود لامتد تخوم بوتان الى أبعد من إهتمام حكومة جلالته بهذا.

(٥) وبخصوص كيان كردستان الجنوبية يقترح مستر مونتيغو أولاً أن تكون دولة منفصلة سياسياً ومالياً عن ميسوپوتاميا. وثانياً أن تكون دولة مستقلة يحكمها مجلس وزراء ويعاونه مستشارون بريطانيون لا يخضع المجلس لهم وتقوم السلطات المدنية في بغداد بتعيينهم. وهو يرى أن توحيد السليمانيه مع المنطقة الواقعة بين الزابين في دولسة واحدة هو من الممكنات عملاً. =

هذا الإهتمام بمستقبل الوطن الكردي كان يعكس قوة انطلاقة حركة التحرر القومي الكردي في جنوب كردستان بنوع خاص حيث تحررت العقول من ضغط الحكم التركي

= ويقترح أن يوصى العقيد ولسن بإتباع هذا النهج في عمله فوراً. وبمصادر الثروة الطبيعية الكبيرة في كردستان حسبما قدر العقيد ولسن. يبدو أن الدولة المقامة ستحقق إستقراراً مالياً بوقت وجيز جداً وبأن التفاصيل المتعلقة بتوحيد الكمارك وتوزيع المصاريف التي ستُنْفَقُ للفائدة المشتركة للدولتين قد يكتنفه بعض مصاعب لكنها ليست مما لا يمكن تذليله. ويميل مستر (مونتيغو) الى الطلب من العقيد ولسن الإهتمام الآن بهذا الجانب من المسألة.

(٦) إذا رسم هذا الخط السياسي. فإن السكة الحديد الممتدة بين كركوك وكفري لن تعود ضرورةً عسكرية. من ناحية أخرى سيُسَهَّلُ وجودها دون شك مسألةً تقليص حجم حامية ميسوپوتاميا. لهذا ولاهيتها التجارية يرى مستر مونتيغو أن تبقى.

(٧) وأما بصدد اللاجئين المسيحيين، فإن مستر مونتيغو بأسف لأن مقترحاته هذه لا تترك لهم مساحة كافية من الأرض تحت الحماية البريطانية. ويبدو لذلك وكأن لا خيار هناك إلا الإقتراح بإعادتهم الى سهول أورميه وجبالها وهي أغنى من وطنهم السابق. ومع أن (سيد طه) وأعوانه كانوا قد إستولوا عليها عنوةً فإن تصرفه بها هو تحدٍ لسياسة الدولة الفارسية إقليمياً. ويميل مستر مونتيغو الى التفكير بأن الحكومة الفارسية قد ترحب بأي إستقرار مسيحي قوي في هذه البقعة ليكون سداً حائلاً دون أي هجوم كردي. بل قد تكون مستعدة لمنح قدر من الإدارة الذاتية للأشوريين مقابل ضمانات منهم بالقيام بخدمات عسكرية. إن مستر (مونتيغو) يدرك المصاعب التي تواجه المبادرة الى إعادة اللاجئين حين كانت السلطة الفارسية قبلها بل حتى الآن سلطة إسمية. لكنه يأمل بأن باب المفاوضات مع الحكومة الفارسية في هذا الشأن ليس مسدوداً وهو لهذا يجازف بتقديم هذا الحل لإطلاع اللورد كرز.

(٨) وأما عن الأتراك وبحسب ما جاء في برقية مستر مونتيغو المؤرخة في ٢٢ من تشرين الثاني ١٩١٩ الموجهة الى العقيد ولسن فإنها أوضحت بصورة لا تقبل التأويل سياسة حكومة جلالته وهي انه لا يمكن مطلقاً إعادة السيطرة التركية على كردستان. وقد تأكد منذ زمن جد قريب أن الكرد الذين أنهكتهم معارك الحرب واضرت بهم مجاعاتها - عاجزون عن تنظيم مقاومة ما، وإن بمواجهة قوات تركية صغيرة. كذلك هناك زعماء أكراد معينون يشجعون الجنود الأتراك المسرحين للإنضمام الى المجموعات المسلحة والتزوج من نسائهم. في هذه الظروف يخشى مستر مونتيغو أن إجلاء الترك الكامل عن كردستان لم يعد إقتراحاً عملياً من وجهة نظر الموقف في ميسوپوتاميا. فإن كان الإتجاه الذي انتحته هذه التوصيات يتفق ورأي اللورد كرز بحيث يمكن أن توضع موضع التطبيق بنجاح، فستكون حدود ميسوپوتاميا آمنة من إعتداء تركي من الشمال الغربي بوجود دولة بوتان الصديقة. ومن الشمال بدفاعات الموصل المعززة بالقوات العسكرية. ومن الشمال الغربي بدولة كردستانية حرة مفصولة عن كردستان الوسطى بسلسلة جبال وعرة يتعذر اجتيازها في أغلب نقاطها. كما سيؤمن إستقرار مسيحي في أورميه ضماناً أخرى وفي =



بإكر آغا الپشندري - من تصوير مس بل

ودبت الشجاعة في الطبقة المتعلّمة فجأة لتستخدم اللغة الكردية وسيلة لنقل الأفكار السياسية بدلاً من التركية والفارسية وكانت السليمانية بلا جدال مركز هذه الثورة الثقافية الوطنية التي هبت فجأة على كردستان كالإعصار الكاسح. وزاد عدد قراء الكردية زيادةً مطردة رغم قلّة المطابع وبدأتيتها. وحملت أعداد كبيرة من جريدة (تيگه يشتنى راستى) الى السليمانية. كما كانت تتسرب اليها اعداداً من جريدة (كردستان)

التي بدأ صدورها في استنبول بعد ختام الحرب ولم يمرّ طويل زمن إلا وكان لهذه المدينة أكثر من جريدة ومجلة.

= الوقت الذي يستطيع مستر مونتيگو الجزم بأن إبقاء السيطرة التركية مقيدة بشرق الخط المرسوم تقريباً إبتداءً من خليج الأسكندرون حتى طرابزون قد يفضي الى حالة سلم في القفقاس أو في ميسوپوتاميا، فلا يرى ضرورة تقضي بالعدول عن المشروع الذي رسمت خطوطه آنفاً شريطة أن يكون النفوذ البريطاني قوياً بما فيه الكفاية للمحافظة على حدود الدولتين الكرديتين. وهو لا يجد ضرورة لبحث المسائل الدولية المتعلقة بهذا. وبالنتيجة وجب علي القول أن مستر مونتيگو يرى من الضروري وقبل اعتماد قرار نهائي أن يتيح الفرصة للسّرِ پرسی كوكس لإبداء رأيه في هذه التدابير السياسية المقترحة. توقيع. ا. هرزل

نقول: كان هذا أول بوادر الإضطراب في السياسة البريطانية ازاء القضية الكردية وسيأتي منها الكثير.

الفصل التاسع

جنرال تركي يتبنّى قضية التحرر الكردي. تهديد النفوذ البريطاني. النادي الكردي في دياربكر. بدايته ونهايته. ربح الوعي القومي تنجّه الى كردستان إيران. مغامرات سمكو. البريطانيون يرفضون التعاون معه. الفوضى تعم كردستان فارس.

والى الشمال قليلاً. ما أن تمّ التوقيع على الهدنة حتى أخرجت الحركة القومية أشطائها وفي هذه المرحلة إتخذت شكلاً منظماً وقادها ضباط عثمانيون ذوو نفوذ ومكانة كانوا أعضاء سابقين في جمعية الإتحاد والترقي. ووجه الغرابة الأعظم أن التكتل القومي والإرهابات وضروب النشاط الذي بدأ في الحركة القومية لهذا الجزء من كردستان. كان يشجعه ويحثه بل ويترأسه في حين من الزمن ضابط تركي كبير!

هو الجنرال علي إحسان پاشا قائد الجيش السادس العثماني ووكيل والي الموصل السابق المنسحب "بعد الوقفة السياسية" الطريفة في عاصمة الولاية وعلى النحو الذي بسطناه. بل ذكرت المصادر البريطانية انه كان يرأس فعلاً ذلك التنظيم الكردي في شمال المناطق التي كان يسيطر عليها البريطانيون.

كان هدفه من التعاون مع العناصر الكردية وتشجيعها، إخراج الحلفاء وبخاصة البريطانيين الذين أرغموه على تسليم جنوب كردستان. أخذت صفحات هذا التعاون تتوالى بدءاً بأوائل العام ١٩١٩ بأنباء عن وجود أعضاء لجمعية الإتحاد والترقي في (خربوط) يستنهضون همم الكرد هناك ويحثونهم على المطالبة بالإستقلال في مؤتمر الصلح. وكان (علي إحسان) في الوقت عينه منشغلاً على ما يبدو في القضاء على العناصر المعارضة للأتراك في دياربكر وغيرها^(١). وقيل إنه أثار القبيلة البرازية

١- كردستان والكرد: المرجع السالف، الص ٨١-٨٢. كيرترود بل: إستعراض الإدارة. المرجع السالف، ص ٦٦. وهناك مقال عنوانه «القضية الكردية» منشور في مجلة Persia (فارس) بقلم =

الكردية في منطقة (سروج) لمهاجمة عشائر (الكُتكان) بسبب موقفها الموالي للبريطانيين وإنه إعتقل رئيس عشيرة (قَرَقَچلي) لعين السبب كما أفلح في كسب ولاء رؤساء العشائر في الجوار بالمال والسلاح والأرزاق لإستخدامهم ضدّ البريطانيين إذا ما حاولوا توسيع دائرة نفوذهم في مناطق أخرى من كردستان شمالاً. كما ذكر انه كان نشطاً بنوع خاص في أنحاء جزيرة ابن عمر منذ بداية شهر شباط ١٩١٩ وكانت تلك المنطقة مركزاً للغليان فأطلق حركة كردية قاومت النفوذ البريطاني مهّد لها بإعتقاله عدداً من الموالين لبريطانيا من العرب والأرمن، وقطع المواصلات بين دجلة وبين جزيرة ابن عسمر وأنحاء في جنوب خطّ الهدنة الذي عُرف بـ(خطّ بروكسل). وإدعى البريطانيون أنه جنّد الكرد وسلّحهم هناك خلافاً لشروط الهدنة وخروجاً على موادّها الصريحة ولاسيما مادتها الخامسة^(٢) وقوبل التحدي الكردي لشروط الهدنة في استنبول برضى وموافقة مبطنة من الحكومة وبتشجيع من السلطة التركية التي يمثلها (علي إحسان).

ثمّ تسارعت الأحداث شمال خطّ الهدنة وكاد زمام الأمور يفلت وهُدّد الحلفاء بالتدخل العسكري.

لم يكن علي إحسان مجرد إنسان ناغم بل كان وطنياً تركياً وجندياً ذكياً عظيم الحيلة والدهاء وقد قدّر بوضوح ودقة مصاعب الحلفاء فأراد إستغلال الموقف لمصلحة بلاده. فلم يكن مصدر دهشة وبعد الاذلال الذي لقيه. أن نجده شديد الإهتمام في إحباط خطط الحلفاء بخصوص جزء يعتقد أنه قطعة من بلاده ولذلك جعل هدفه إشاعة الفوضى والإضطراب حتى تحت غطاء العمل للقضية الكردية. ليس هناك أفضل من نقل الوصف الذي كتبه له موظف بريطاني معاصر لعمله:

"مع أنّه كان يعمل لمصلحة كردستان مستقلة فعلاً. فالظاهر أنّه كان يقوم

= (درايفر Driver) المجلد الأول. العدد ٣. ايلول ١٩٢١. ص ١٠٩. يخوض في تفاصيل أكثر

للدور الذي أسنده هذا الجنرال التركي لنفسه خلال تلك الفترة.

٢- نصت المادة الخامسة من شروط هدنة مودروس: «يُسرح الجيش التركي فوراً بإستثناء القطعات اللازمة لمراقبة الحدود والمحافظة على الأمن الداخلي. إن عدد القطعات وتوزيعها سيقرره الحلفاء بالتشاور مع الحكومة التركية نفسها». ونصت المادة السابعة على «حق الحلفاء في إحتلال أية نقاط سوقية إن كان الوضع الناجم يهدد سلامتها». [راجع ما سبق].

بذلك لإحراج الحلفاء ليس إلا. كل ما كان يريد حَقّاً أن يثبُط من عزائمهم ويرغمهم على نبذ فكرة السيطرة على كردستان ليعمل بكل قواه على إعادتها إلى الحكم التركي^(٣).

وأرغمت الحكومة التركية على التدخل فأصدرت في ١٩ شباط ١٩١٩ أمر عزل (علي إحسان) بسبب عجزه عن إخماد الفتنة ووضع حدّ لإضطراب كان يُشكُّ بأنه مثيرها.

إلا أن سياسته هذه تواصلت رغم عزله. وقد تولاه عدد من أصدقائه ومشايخه وظلّت لعبة الكرّ والفرّ على خطّ بروكسل بين البريطانيين وبين الترك. والرّهان هو الكرد. وإلى جانب جهود (علي إحسان). كانت هناك جهود مماثلة أخرى في دياربكر، أستقطبت حول ما عُرِف بالنادي الكردي. جهود جديرة بالتسجيل هنا إن لم يكن لشيء فبسبب نهايتها غير المتوقعة.

يذكر (الميجر نوئيل) عن هذا النادي في دياربكر وفرعه في ماردين. أنّه كان ينظم وجهاء المدينتين. وهم المشرفون على إدارته ونشاطه؛ مجموعة من الأفراد المتفسخين وطالبي الجاه، كان بعضهم من أعضاء حزب الإتحاد والترقي الفعّالين.

بعد هزيمة تركيا وإنحلال الحزب، بادروا إلى الإنضمام تحت لواء "الحزب الوطني الكردي" الذي تألّف بتشجيع من الحكومة، ويطلب من السلطة ملوِّحين بالعرض الجذاب الذي اتينا إلى ذكره - الحكم الذاتي الكردي تحت الحماية التركية.

إلا أن الغرض الحقيقي الآتي من إجازة هذا النادي في دياربكر وغيرها هو وضع حدّ للنفوذ البريطاني المتعاضم، والوقوف ضدّ التدخل البريطاني. وقد تمّ تنظيم قوة مختلطة من الكرد والترك وهيئت للعمل العسكري إن إقتضى الأمر. هدف النادي الثاني هو محاربة النشاط الأرمني ودحض الإدعاءات الأرمنية بالأرض والسيادة. ولتحقيق هذا الغرض تمّ إقناع مفتي (سيفريك) بإصدار فتوى دينية يحلّل فيها قتل الأرمن الذين يتهمون المسلمين أمام سلطات الإحتلال في حلب بمذابح العام ١٩١٥. فكان من نتائج ذلك أن إنطلقت بين العامة السنة السوء وساد شعور جديد من البغضاء والكراه، وبدأت التحرشات بالأرمن تتزايد ولحقهم أذى كبير.

لم يكن هذا يتفق وسياسية الحكومة التركية بوجود لجنة الحلفاء العليا في استنبول.

٣- كردستان والكرد. المرجع السالف، ص ٨٢.

فأصدرت أمراً باللقاء القبض على عدد من أبرز أعضاء الإتحاد والترقي المنحلّ وهم أعضاء النادي. فهرب هؤلاء ولجأوا الى القبائل الكردية المجاورة. ومن هناك إنقلب الحال بهم فبدأوا يروجون لفكرة كردستان مستقلة. على أن الأعضاء الباقين القائمين على إدارة النادي واصلوا حملاتهم ضدّ الأرمن وضدّ البريطانيين. وبلغت بهم الجرأة الى خروجهم بدعوة كلّ المواطنين الكرد للإنضمام الى النادي الكردي تحت هذين الشعارين. وفي ٢١ من شهر آذار ١٩١٩ (نوروز) عقدوا بالمناسبة القومية أقام النادي إجتماعاً حضره مندوبون عن زعماء الكرد ووجهاء وشخصيات بارزة. منهم رئيس عشيرة (سركوچي) ورئيس عشيرة (هازو) ومفتي سيشريك وإثنان من وجهاء (ديرك). وتقرر إثر الإجتماع الدفاع عن دياربكر وماردين ضدّ التدخل البريطاني مهما كان الثمن. وفي مجال نشاط النادي الكردي في ماردين وكان يديره نخبة من وجهاء المدينة - كان ثمّ تخوف من قيام الإنكليز بإحتلال المدينة، أو هكذا صوروا الأمر للناس. ومما أقدموا عليه تنظيم مضبطة موقعة من عدد كبير من أهل المدينة تفيد بأن جميع السكان يرغبون في إقامة حكم ذاتي كردي. ورفض جانب من السكان التوقيع وحثّتهم أنهم لا يريدون أن يكونوا موضع مسالة السلطات التركية في المستقبل.

إلاّ أنّ قضية الحكم الذاتي لكردستان إستهوت أعضاء النادي على ما يبدو بتسارع التطورات في الموقف الدولي وإنتشار مباديء ولسن حول تقرير المصير: فرأى أن يتبنى موقفاً أكثر إستقلالية بوجه الترك وجاهر أعضاؤه بهذا الشعار ونشطوا وقد علق (ميجر نوئيل) على هذا النشاط وكان إذ ذاك في ماردين. فكتب ساخراً مشمئزاً:

"ومنذ ذلك الحين كانت هناك ترجمة وضاءة جذابة لمباديء الرئيس ولسن هي أن لكل شخص أن يفعل ما يشاء. راحت هذه الترجمة بله التفسير يُشرق في أفقهم ببطء بكلّ احتمالاته المغربية. هؤلاء الكرد المتتركون السابقون صاروا الآن واثقين بأنهم لو أطلقوا صراخاً كافياً، فإن الرئيس ولسن سيسمعههم ويأذن لهم بإسائة إدارة دياربكر بتولي أمورها وأن يتركهم يسمنون أنفسهم بمقتنى المسيحيين وأموالهم التي سرقوها أثناء المذابح وحدهم دون مشاركة الترك لهم في الأسلاب^(٤)."

٤- جيرترود بل عرض للإدارة، المرجع السالف، ص٦٧. كردستان والكرد، المرجع السالف، ص٩٥. [الوثيقة التالية].

الترك لم يكونوا يتوقعون أن تؤول الأمور إلى هذه النتيجة. وقد كرهوا النادي وراحوا يخزرون نشاطه بنظرات ملؤها القلق والتوجس وأخيراً قرروا تصفيته.

أُتخذ إحتلال اليونانيين مدينة (أزمير) مادة للإثارة وأستغلّت الفظائع التي إرتكبها الجيش اليوناني في تلك المدينة إستغلالاً كاملاً في ديار بكر. إذ أسرع الترك فألقوا بمسؤوليتها على البريطانيين وطلب النادي من الكرد أن يُقدموا على عمل مماثل في ديار بكر "قبل وصول البريطانيين وبأثرهم جنود أرمن!" هكذا أُثيرت مشاعر التعصب. ثمّ أنّ عدداً كبيراً من أعضاء النادي الذين وُجهت اليهم أصابع الإتهام بالمشاركة في مذابح الأرمن وبخوفهم الدائم من العقاب كانوا يُمنّون النفس بمذبحة أخرى تطمس بها آخر معالم أعمالهم المنكرة السابقة وتزيل أدلّتها.

أمّا المسيحيون الذين ملكهم الرعب من التطورات فقد بعثوا وفداً للميجر نوثيل في ماردين يناشدونه التدخل البريطاني العاجل والحماية.

مامرت فترة وجيزة حتى وجد الترك دعوتهم المزدوجة هذه قد خرجت عن طورها وتعدّت الحدود المرسومة لها. إذ أخذ الكرد ينظرون الى دعوة الحكم الذاتي نظرة جدية بل ليمضوا بها بعيداً الى حدّ إطلاّب الإستقلال. كما تبينوا أن تحريضهم وضربهم على نغمة الخطر البريطاني قد يؤدي الى مذابح وفظائع. في حين كانت نيّتهم الأولى والأخيرة إثارة الرأي العام الكردي على البريطانيين فقط لا على المسيحيين. باشروا بإجراءات عاجلة للتصحيح ولم يضيّعوا وقتاً لإستغلال الموقف لمصلحتهم وكان النادي الكردي كبش الفداء بعد أن بدت منه بوادر تحدّ للسيادة التركية. وكان القضاء على النادي درامياً حقاً. وجهت المدافع من القلعة وجيء بالمزيد من الجنود، وتمّ اعتقال قادة النادي وإنتهى كلّ شيء في الرابع من حزيران ١٩١٩.

*** *** ***

هبت ريح الوعي القومي في أجواء كردستان فارس بعد الهدنة ووجدت لها أشياء متحمسين لكن ضمن دوائر ضيقة. ويذكر (نوئيل)^(٥) أن أعداداً كبيرة من كرد السليمانيه شدّوا الرحال الى فارس بعد وقف العمليات العسكرية للدعوة الى كردستان موحدة.

٥- المرجع السالف.

وجديرُ بنا الإشارة هنا أنّ هذا الإنعطاف لم يكن وليد صدفة. ولا حدثاً عرضياً بل هو حصيلة مجموعة متناجحة من أحداث نفخت فيها روحها سياسةُ عبد الحميد الثاني حول الجامعة الإسلامية المُبتناة على عالميّة شخصيّة الخليفة - السلطان وتلك سياسة كان يرمي بها التأثير على الدول العظمى وأنى عبد الحميد الى جانبها سياسة الجامعة الكردية Pan Kurdism بهدف كسب الكرد المحاربين وهم ممن كان يريد إستخدامهم حاجزاً ضدّ عدوان روسيّ محتمل. وعامل حدّ من طموحات الأرمن وقوةً عسكريّة موالية له بمواجهة الجيش الذي لم يكن واثقاً من ضباطه وهو ما أتينا إلى شرحه في فصل سالف.

ولقيت هاتان السياستان أرضاً خصبة في كردستان الفارسية في مطلع القرن العشرين وكان السلطان العثماني يطمع منذ القديم بضمها الى أملاكه وتجاوب الكرد هناك بحماسة لدعوة عبد الحميد. فهم مثله سنيون بخلاف الأكثرية الشيعية وهم لاشك يعتزون برعاية صادرة من هذه الشخصية العالية القدر.

ولم يطرأ تبدّل على هذا الموقف حتى بعد زوال حكم عبد الحميد. لكن كان لهذه السياسة الأثر الحاسم في نشوء نوع من اتحاد المصالح بين كرد تركيا وكرد فارس الشماليين على الأخص. ولا يغيب عنّا مثلاً أحد مظاهرها قبل نهاية القرن التاسع عشر بإعطاء الضوء الأخضر للشيخ عبیدالله النهري في غزو المنطقة (١٨٨٢). وفي مطلع القرن العشرين كان دخول المنطقة تحت السيطرة العثمانية في إحتلال فعلي دام قرابة خمس سنين ١٩٠٦-١٩١١ ثم العودة الى إحتلال جزء كبير منها أثناء الحرب العظمى ١٩١٤-١٩١٨. وفي كلتا المناسبتين كاد سكان هذا الإقليم الكردي يُضمّون عملياً الى إخوانهم الأكثر عدداً منهم بكثير في الإمبراطورية العثمانية.

بدأت فكرة كردستان المستقلّة تداعب خيال بعض زعماء الكرد الكبار في فارس قبيل نهاية الحرب. ففي شهر تموز ١٩١٨. بحث أحد كبار زعماء قبيلة (موكري) مع العقيد كوينيون Col. Keunion مشروع إقامة دولة كردية مستقلة تحت الحماية البريطانية^(٦). وذكر ان هذا الزعيم الكردي أشار الى مسألة علاقة الكرد بالجيران فقال

٦- جرى ذلك عندما كان هذا القنصل البريطاني في كرمشاه يقوم بجولة في منطقة مبابلاق بأنحاء سقز [الكرد وكردستان. المرجع السالف، ص ٧٥. ارنولد ولسن. ولاءات، المرجع السالف، ج ٢ ص ١٣٠].

إن قيام دولة ارمينية مستقلة في شمال تركيا أمرٌ يقره الأكراد شريطة أن تقوم دولة كردية مستقلة عازلة بين الدولة الأرمينية وبين الدولة العربية. وما أن يغدُ الكرد احراراً يملكون زمام أمورهم حتى يبادروا الى إجراء تسوية مع الأرمن برعاية البريطانيين ووساطتهم^(٧).

بعدها وبأقل من سنةٍ واحدةٍ علّم أن شخصية هامة في كردستان فارس يتابع مخططاً لإدخال كرد فارس في إطار دولة كردية مستقلة، هو الشيخ سيد طه النهري. وانه مدعم من قبل بعض الزعماء القبائليين هناك من أمثال اسماعيل شكاك (سمكو). وفي أيار ١٩١٩ جاء سيد طه الى بغداد بقصد الحصول على دعم السلطات البريطانية لمخططة هذا فخاب مسعاه. ووصفت لنا جيرترود بل ردة فعل سيد طه عندما تلقت الردّ. قالت:

"عندما بيّنا له بأنه لن يتوقع أية مساعدةٍ منّا لتحقيق مشروعته بقدر مايتعلق الأمر بكرد فارس، بدت عليه علائم خيبة عظيمة. وعلق قائلاً إن فصل كردستان عن البلاد الفارسية هو أمرٌ حتميٌّ وسيتحقق وإن لم يكن برضانا أو موافقتنا^(٨)".

على أنه أعرب عن إستعداداته رغم ذلك - لمساعدة البريطانيين بأي شكل ممكن في إقامة كيان كردي مستقلّ.

وكان شكل دخول سمكو شكاك حلبة الدعوة الى استقلال الكرد من الغرابة بمكان. وهو ما يأتلف تماماً وشخصيته الزئبقية القلقة غير المستقرة. ففي أوائل شهر أيار ١٩١٩ بعث برسالة مضحكة لوكيل الحاكم المدني العام (آرنولد ولسن) وكان على معرفة سابقة به. فبخلاف غرضه الحقيقي منها، وجدناه يخصّص معظمها للحديث عن أمور خاصة به فحسب، فقد بدا مشوش الفكر عظيم القلق بسبب محاولة إغتيال نفذها مسؤول فارسيّ إستهدفت تصفيته جسدياً وإستغرق وصفها معظم الرسالة. ومن الأسلوب الفكاهي الذي كتبت به الحادثة، يجدر أن أثبت هنا إنطباع (جيرترود بل) عنها قالت:

٧- ولسن. الولايات (مصدر سابق) ج٢، ص١٣٠.

٨- جيرترود بل: إستعراض الإدارة (مصدر سابق) ص٦٩. نوتيل: مذكرة عن الموقف الكردي (مصدر سابق) ص١٨.

"انها شكوى شخصية. هي من وجهة نظرنا الخاصة مسألة ثانوية تافهة بدت تحتل ضميره وتملك عليه مذاهبيه. واحدٌ من أعدائه المضرين له سوءٌ ولديه منهم الكثير. وهو بهذه المناسبة موظفٌ فارسي. توصل الى فكرة لقتله بارسال قنبلة ملفوفة في رزمة. إن وصفه الساخط لهذه المحاولة لا يمكن أن يكتب بأحسن من إثباته بكلماته نصاً: قال: [لم أجد وقتاً أكثر من إلقائها على أخي فإنفجرت به!]^(٩)."

* * * * *

عمّت الفوضى كردستان الفارسيّة وبلغ الغليان والإضطراب أوجهما الى الحدّ الذي صعب على الجهات الرسمية البريطانية أن تتفهم ما يحصل بالفعل وما هو مآتاه وكانت تخشى أن تسري العدوى الى كردستان المحتلّة. وبدا أقرب التعليلين أقرب الى المنطق: المعارضة الكردية الشديدة لإعادة اللاجئين الآشوريين والأرمن الى اماكنهم. تلك المعارضة التي تبنتها حركة التجمع الاسلامي بمركزها في تبريز. يدعمها الى درجة ما موظفو السلطة الفارسية المحليين.

التعليل الثاني تمثّل في كره الكرد العميق للحكومة الفارسية الضعيفة الذي بلغ حدّاً من الوهن والتخلخل بعجزه عن حفظ الأمن وإحتواء الفوضى.

والإنقلاب على الشاه لم يخلف أثراً سريعاً في كردستان. وآثار الحرب المدمّرة كانت تُرى في كل مكان. فهناك مثلاً عددٌ كبير من القرى الثلاثمئة في سهل أورميه قد دُمّر تماماً. وهرب ساكنوها ومعظمهم مسيحيون. وأورميه التي كان عدد نفوسها يبلغ خمسة وعشرين ألفاً لم يبق فيها منهم غير خمسة آلاف. كانت الفوضى عامّة شاملة والقبائل تحاول ما أمكنها الحصول على المغانم والممتلكات التي خلفها الهاربون. وبرز بينها فرع (العبدوي) من قبيلة الشكاك ورئيسه سمكو الذي كان يذهب ويستولي على القرى الواقعة بين (خوي) و(سلماس) وهي منطقة نفوذه.

في كانون الأول ١٩١٨ قامت مجموعة من زعماء الكرد تمثل القبائل التي تشغل مناطق (سنه) و(سقز) و(هورامان) بزيارة السليمانيه (مسترحمين) إدخالهم في مجال الإدارة البريطانية. وفي شباط من العام ١٩١٩ جرى لقاء بين عدد كبير من زعماء

(٩) جيرترود بل، المرجع السالف، ص ٧٠.

القبائل الكرد كان الغرض الأولي منه المداولة في حلّ النزاع الدموي والإحتراب بين الشكاك والمامش والزرزة والمنگور وغيرها من قبائل شمال كردستان الفارسية. كان معظم هؤلاء يوجّه على جاره جهة أجنبيّة. هذا يطلب المعونة من الترك وذاك من الروس. وآخر من الحكومة الفارسية أو موظفيها المحليين وآخر من البريطانيين. والجميع كان يشعر بضرورة معالجة الموقف ووضع حدّ للإحتراب ووقف سفك دماء بعضهم بعضاً. ما بيدنا من مصادر، لا ينيّر لنا سبيلاً الى كيفية زحف فكرة القيام بثورة ضد الحكم الفارسي الى هذا الاجتماع. ولعلها كانت فكرة أشخاص معينين لقيت إستحساناً من الجميع فالكل كان يضيق ذرعاً بأساليب الحكم الفارسي الغادرة. ولقد علم أن قرارهم هذا كان معلقاً على التأكيد من موقف القوى المجاورة والدول العظمى من كرد فارس ومن مسألة عودة اللاجئين. وليس هناك شعور قومي أو وعي قومي يختفي تحت هذه المطالبات.

وفي ٢٣ من شهر أيار ١٩١٩ ذُكر أن الكرد إبتدروا السلطة المحليّة بالإنتقاض وأنهم ألقوا القبض على حاكم (سلماس) وحاصروا مدينة (كوي). وقيل إن سبب ذلك إنتشار الإشاعة بأن البريطانيين والفرس على وشك إعادة اللاجئين المسيحيين الى أماكنهم، وبمحاولة لمنع ذلك يبدو أنهم استنجدوا بكل من (جاويد بگ) قائد الفرقة الحادية عشرة في القفقاس وحيدر بگ والي وان وهو من أعضاء جمعية الإتحاد والترقي السابقين. وقد أشتهر بسمعته السيئة وعدائه للبريطانيين والمسيحيين^(١٠).

في تلك الأثناء إنتشرت انباء متناقضة عن نشاط سمكو. وقيل انه كان يحشد قوةً لمقاومة عملية إعادة توطين اللاجئين في حين نفت مصادر أخرى ذلك. وزاد في التوتر والفوضى حدّة قيام والي (وان) بتوزيع السلاح على قبيلة الهركي والموقف المشجع الذي وقفه حاكم تبريز (ولي العهد) أزاء الحيلولة دون حركة عودة اللاجئين وكان معروفاً بولائه للاتراك والألمان.

في هذا الخضمّ من الفوضى برزت شخصيّة سمكو (إسماعيل) شكاك. كان واحداً من غرائب الشخصيات التي قذف بها زبد التاريخ الى أحضان شعب ممتحن في حياته الملأى بالنواب والخطوب والكوارث. وهو أحوج في تلكم الفترة

١٠- الكرد وكردستان. المرجع السالف، ص ٩٣.

بالذات الى زعيم راجح العقل متزن الرأي، منزّه عن الأغراض الشخصية. خلف سمكو أخاه جعفر آغا، الذي شنقه ولي العهد حاكم تبريز مع عدد من أتباعه، رئيساً على فرع من فروع قبيلة الشكاك الكبيرة الثلاثة. هو فرع العبدوي^(١١). وأشتهر منذ مطلع شبابه بالنزق والمزاج الزئبقي ووصف بسعة الحيلة والقسوة بحدّها الأقصى وتلك صفات لا تؤهل صاحبها الى قيادة حركة تحرير قومية. وكان لبضع سنوات الأمر المطاع على صقع من كردستان الفارسيّة يمتد من (قوتور) حتى (بانه). وبإضافة صفة القومية على عملية قطع الطرق بدا بطلاً لا في أعين رجال قبيلته بل شوكة حادة في خاصرة الفرس، وقوة يُعتدّ بها بنظر تركيا والإدارة البريطانية في ميسوپوتاميا.

كان سمكو قبل نشوب الحرب يتعاون مع كلّ من فارس وروسيا بالمناوبة. وإعتباراً من العام ١٩١٤ عمل بفترات على حساب الحكومة الفارسية وكوفيء بإطلاق يده مرّة في المنطقة فبدأ حاكمها الفعلي.

كان كشير التحوّل أبداً حيث يجد مصلحته. حالف الأرمن والآشوريين والروس والأتراك والفرس كلاً على حدة وإنفض عليهم كلاً بدوره.

في كانون الأول ١٩١٤ كان ثمّ حلف للجامعة الإسلامية للکرد بزعامته في باشقله تألف لغرض الحيلولة دون عودة الآشوريين والأرمن الى المنطقة بإستعمال القوة. ولفترة معينة من الزمن كانت الحكومة الفارسيّة تفكر في تجريد حملة عليه لكنها كانت مفلسة لا تقوى على تأمين النفقات المقتضية لها وفشلت في الحصول على قرضٍ فلجأت الى الحيلة وبعثت في ١٥ أيار ١٩١٩ إليه بقنبلة داخل صندوق حلوى لكنها لم تقتله بل قتلت أخاه^(١٢). وخشيت بريطانيا مزيداً من الفوضى يؤدى الى تسربها الى المناطق المحتلة عندما قام سمكو رداً على محاولة الإغتيال بقطع الماء عن مدينة أورميه وألقى

١١- الفرعان الآخرا: المامدي والگادر. وكلّهما كانت متنازعة داخلياً وكلّهما عانت من عمليات تبدل عنيفة في الزعامات نتيجة التنافس والتباغض المتبادل حتى داخل الفرع الواحد. وفي العبدوي نفسها كان (عمر خان) ينازع سمكو الزعامة مثلاً.

١٢- غيرتروود بل: المرجع السالف. الص ٦٩. مينورسكي: دائرة المعارف الإسلامية. تقدم ذكر ذلك والواقعة صحيحة لاجال للطعن فيها والمرء يحار في تفسير إختياره حزن أخيه لها في حين كان ثم متسع من الوقت لرميها بعيداً عنهما.

حصاراً عليها فتدخلت عن طريق ممثلها بوساطةٍ وقمت تسويةً جعلت من (سمكو) الحاكم المطلق على طول الطريق الخارجي والمناطق الحدودية في ديلمان ولاهيجان مقابل رفعه الحصار عن أورميه.

إنتصارات الألمان في جبهة أوروبا التي ختمت بإنهيار الجبهة الروسية يبدو أنها حملت سمكو على إعادة النظر في الحلف الثلاثي الذي نجح البريطانيون في عقده بينه وبين الآشوريين والأرمن بمواجهة القوات العثمانية المرابطة في شمال فارس فضلاً عن عامل الإغراء بمنصب حاكمية أورميه الذي وعده به والي تبريز لقاء التخلّص من الزعامة الآشورية المتمثلة في البطريك مار شمعون بنيامين. فقتله غيلة^(١٣) ولم يظفر بجائزته التي وعده بها حاكم تبريز وطارده الآشوريون حيناً ودمروا قلعته وقتلوا إبناً له وأضَ طريداً فترةً.

بعد إنقشاع الغمامة التي نشرتها جريمة الإغتيال وعودته إلى دياره إنتهز فرصته للتقرّب من البريطانيين في منطقة أورميه العام ١٩١٩ وإعلان "إستقلاله" وهي الكلمة التي إستخدمها بالضبط في حديث له مع الضابط البريطاني العميد بيج Brig. Beech قال له: "الترك ماتوا. والآن أنتم الإنكليز تريدون من الكرد فقط ان يربطوا أنفسهم بشعب ميت يقوم على رأسه ملك ميّت... ألا فأفعلوا مثلنا نحن الكرد في الجانب الفارسي من الحدود مثلما تفعلون مع سيد طه في الجانب الآخر من الحدود"^(١٤). ورغب من البريطانيين تزويده بالسلاح فرفضوا عندما وضع نفسه على رأس "حكومة" تدعو

١٣- طلب لقاءً بالمار شمعون "لبحث الموقف المستجد على تطورات الحرب" فأقبل الزعيم الآشوري بصحبة عدد من أتباعه الى محل الاجتماع في قرية (كوني شهر) القريبة من سلماص وجرى بشكل ودّي للغاية. وما إن ترك البطريك الآشوري وأتباعه محلّ الاجتماع حتى أطلقت النار عليهم من كلّ جانب فصّرع البطريك وعدد من إتباعه وتبيّن أن التحريض كان من الجانب الفارسي. يتحدث ويگرام (ترجمتنا: مهد البشرية. الطبعة الثالثة. أبريل ٢٠٠٠ ص) أن لوثةً من الجنون أصابت الآشوريين فحملوا على سمكو وإحتلوا قلعته عنوة وخربوها ووجدوا فيها رسالة من حاكم تبريز (ولي العهد موختي شمس) يعده فيها بحاكمية أورميه إن قضى على البطريك الآشوري. بقي سمكو أكثر من سنتين في حمى الأتراك طريداً. حتى جلا الآشوريون عن أورميه وفارس في نهاية الحرب.

١٤- Fo. 248 - 1225. وهو تقرير حول الإضطرابات في أورميه وتفليس مؤرخ في ١٤ تموز ١٩١٩. يقول بيج: كان سمكو يؤمل أن يعقد إذ ذاك صفقة مع الترك!!

الى الحكم الذاتي في كردستان فارس. وهو أقوى زعيم كردي هناك ورأى أن ينتقم من هذا الرفض فانقلب رأساً على فكرة الإستقلال واتصل بالقوميين الأتراك وطلب منهم المساعدة مقابل الوقوف الى جانبهم في وجه التهديد البريطاني والأرمني وما يمكن أن يقدمه لهم في إعتراض سبيل عودة اللاجئين وإنشغل في شراء البندقيات والعتاد مجنداً الهاريين من الجيش التركي منياً إياهم بالغنائم والأسلاب بل حتى بالنساء المسيحيات والمسلمات على السواء. وكان قد سبى عدداً من هاته الأخيرات من (سلماس) وغيرها من الأنحاء المجاورة والمجتمعات المستقرة. وفي أوائل أيلول ١٩٢٠ حاول عقد إجتماع غرب اذربيجان مع زعماء كرد، فأخفق إذ كان معظمهم منشغلاً في نزاعاته الداخلية الخاصة ورفض زعماء الهركي والبگزاده الداشت الحضور أصلاً لوجود حلف لهم مع بحري بگ أحد خصوم سمكو من داخل الشكاك، في عين الوقت عرض خصمه (عمر خان) شكاك توحيد قواهما ضده. إلا أنه كان في ذلك الحين أمتع من أن تطاله يدهم. كان قد إلتحقت به أعداد وفيرة من الهاريين ووجد في نفسه القوة لإنذار أهالي القرى حول (سلماس) بأن يعتبروا أنفسهم من الآن فصاعداً رعايا خاضعين له. ومن دلائل قوة مركزه وأهميته في تلك الفترة من الزمن أنه إستقبل أربعين لاجئاً من أقرباء الشيخ محمود الحفيد وأنصاره رغم عدائه الشديد للشيخ ووقوفه مع سيد طه ضده في ثورته.

وفي ١٩٢٠ تحاملت الحكومة الفارسية على نفسها وجردت حملة ضده، مُنيت بالهزيمة في مبدأ الأمر إلا إنها تغلبت عليه بالأخير في شهر شباط من السنة عينها فهرب وتفرق عنه أصحابه وذابوا، ولم تؤمن قلعته الجبلية (شهرك) في سوماي ملاذاً واضطر الى التحصن بالذرى والشعاب الجبلية المتوجة بالثلوج. ومن هناك بدأ يبعث بطلب الأمان والعفو من الحكومة، فأسرعت بطيش وقلّة فطنة الى الإستجابة شريطة أن يتعهد برد ما إستلبيه من (القرقتلغ) وأن يساهم بخمسين خيلاً برئاسة أخيه أحمد في كتيبة القوزاق الفارسية وأن لا يتدخل قط في شؤون منطقتي سلماس وأورميه ففعل. وكان دليلاً عنده على مبلغ الضعف الذي إنتاب الحكومة الفارسية. فإنتهى فوراً الى الترك. ووجدناه في نيسان في مدينة (وان) والترك يسلاحونه بالرشاشات ومدافع الميدان وبالرجال. وفي شهر آب ضرب بشروط العفو عرض الحائط وعاد يحتل سهل (سلماس) ثم سهل أورميه وإحتل المدينة نفسها. وما جاء شهر كانون الأول حتى بدأ

البولشفيك الذين قصدوا وقتذاك تدمير السمعة الفارسية - يمدونه بالعون العسكري والمالي. لم يعد عجيباً بعد هذا الدعم المكشوف أن يسهل عليه جمع الزعماء المحليين في ديلمان تحت قيادته كما لم يعد بحاجة الى محاولة اغراء زعماء صاوبلاغ ولاهيجان بمولاته. وفي كانون الأول ١٩٢١ جرى لقاء في اشنويه بين ممثليه وبين ممثلين من قبائل موكري ودبوكري ومامش وإتفتت رغبتهم على إحتلال صاوبلاغ (مهباد).

في شباط من السنة عينها قام حليفه سيد طه بإحتلال حيدر آباد الواقعة على شواطئ بحيرة أورميه الجنوبية مهدداً (سولدوز). وفي هورمان جنوباً طلب منه جعفر سلطان زعيم نوسود الهورامي أن ينضم اليه للهجوم على السليمانيه. وكان سمو آنذاك في شغل شاغل عنها فهو الآن مع الترك إلا أن خصومه داخل كردستان فارس كانوا كثيراً وهو كذلك يعلم انه ماعاد يستطيع إحراز ثقة فارسية بأي درجة وأن الحكومة الفارسية تتحىن الفرص للقضاء عليه وبدا خان ماكو في كردستان من أبرزهم. كان هذا الزعيم الكردي يدرك أن الترك بحاجة ماسة الى محصوله من القمح في حربهم مع اليونان وكانت لديه كميات كبيرة منه. فإشترط عليهم أن يمتنعوا من مساعدة سمو لقاء مدّهم بما هم في حاجة اليه وهكذا كان، وقطعوا صلّتهم بسمكو.

في ذلك الحين كان الترك قد زودوا سمو بألف من الخيالة غير النظامية وخمسائة من المشاة. وقد إستطاع بهم في آذار من عين السنة وهو يرفع العلم التركي مواجهة قوة إيرانية تناهز ستمائة من القوزاق في قزلجه التي تقع على النهاية الشمالية من بحيرة أورميه وألحق بها هزيمة شنعاء ولم يعد منها غير مائتين وخمسين وقد حصل ذلك بعد شهر واحد من قيام رضا خان پهلوي بتسلم زمام السلطة في شباط ١٩٢١.

وتطارت اشاعات في شمال بلاد فارس مؤداها أن الروس (قبل أن يعقد البولشفيك معاهدة صداقه وحسن جوار مع حكومة طهران) ينوون تجزئة فارس الى عدة ولايات. في ذلك الحين كان سمو يفخر بأن وراءه دولة معظمة إعتقد بعضهم أنها بريطانيا لاالسوفييت^(١٦) وفي الوقت الذي كان السوفييت يمدونه بالسلاح. ويبدو أن سمو إستطاب هذه الإشاعة وربما رأى أنها خير سبيل له الى الإدارة البريطانية في

١٦- تراجع وثيقة رقمها 6347 - 371 Fo. مؤرخة في ٢٦ من شهر آب ١٩٢١ موجهة من المندوب السامي - العراق الى وزير المستعمرات.

ميسوپوتاميا. فكتب لها كتاباً بطلب الدعم والمعونة بدأه بالعبارة التالية:
"اني أعلم بأنني رجل سيء السمعة، ألجأ الى الخيانة والغدر والخديعة في
تعاملي مع الحكومات... لكنني أقسم بالله وبشرفي بأنني لن أخون
بريطانيا هذه المرة إذا هي ساعدتني"^(١٧).

في هذه الرسالة تعهد سمكو أن يتصدى للمغامرة التركيبية في منطقة برادوست وعلى
طول الجناح البريطاني الشرقي، إلا أن البريطانيين أهملوا الإجابة.

في العام ١٩٢١ بدأ سمكو يسيطر فعلاً على سائر المنطقة الممتدة من ضواحي
(خوي) حتى (بانه) بإستثناء صاوبلاغ (مهاباد) التي بقيت في يد الحكومة. أسرع
عندما علم أن قائد الحامية فيها إعتقل إثنين من أصدقائه الأغوات، فألقى الحصار
عليها وإقتحمها عنوة وفتك بكل أسير وقع بيده من درك الحامية ونصب عليها حاكماً
من زعماء مامش، ثم أسرع الى غرب ساحل البحيرة ليُلحق هزيمة بقوات غير نظامية
لقبيلة القرداغي شمال سلماس. وفي قرتيه ألحق هزيمة أخرى في أوائل كانون الأول
بقوات حكومية جوار سلماس. وقيل أن عدد مقاتليه وقتذاك أناف على الخمسة آلاف.
إلا أن ثورة سمكو التي أعلنها في سبيل إستقلال كردستان، بقيت بالأحرى ثورة سمكو
لا ثورة كردستان الفارسية دون هدف ودون مسعى ودون برنامج، لم تكن هناك رابطة
قومية أو فكرية بأي صورة كانت تشد قواته غير القتال من أجل القتال وتصفية
النزاعات العشائرية بحدّ السيف والتصدي لكل من يخيل لسمكو أنه عدوه أو أنه يقف
في سبيله أو يحول بينه وبين بغيته. وكان مقدراً لقوة كهذه لا يجمعها جامع غير السلب
والكسب الحرام أن تتلاشى من تلقاء نفسها إمّا بالخلافات الداخلية، وإمّا عندما
لا يكون هناك وجه للكسب. كان مآل هذه القوة طبق مآل [قوة دادوخان كلهورا] كما
قدّمنا في الفصل الأول فقد بقي سمكو مهاباً ومكروهاً وموضع إعجاب الخارجين على
القانون في عين الوقت، لا تدوم له صداقة ولا تحظى كلمته بثقة. فمثلاً في (آذار)
١٩٢٢ دبّ الخلاف بينه وبين حليفته قبيلة موكري. فأطلق رجاله ينهبون قراها وبيوتها

١٧- رسالة الى الضابط السياسي في السليمانيه بواسطة وكيل الضابط السياسي في رانيه محالة
الى المندوب السامي. والرسالة محفوظة في دار الوثائق البريطانية مع تقرير من الحاكم المدني
العام تحت رقم Fo. 371 - 6347 وهي باللغة الفارسية.

ويحرقون مزارعها ويستاقون ماشيتها.

الى الجنوب من كردستان لم تلق دعوة سمكو للثورة إستجابة. وحول ذلك يذكر كاوان Cowan القنصل البريطاني في كرمنشاه في تقرير الى المندوب السامي مؤرخ في ٢٥ من أيلول ١٩٢١:

"بولغ كثيراً في الثورة (التي أعلنها سمكو). وموقف أغلبية سكان جنوب كردستان، إنهم لا يترددون في مساندة حركة وطنية مدعمة من قبل الانكليز. ولن يتحركوا إلا إذا دُفع لهم^(١٨)."

إنشغل (رضا پهلوي) في أول عهده بإطفاء تمردات وإضطرابات أخرى. كما أن الحملات الضعيفة التي كان يجردها ضد سمكو - تُمنى بالفشل وغفل عنه حيناً من الزمن مركزاً إهتمامه بمعالجة أمر شبكة سرية سياسية واسعة يرعاها السوفييت عرفت بإسم (ملايون = الملالي ج: ملاً) شمل نشاطها كردستان وإنداحت حتى كرمنشاه. كما كانت هناك دلائل تشير الى دعاية بلشفية فاعلة بين الملالي في أنحاء خانقين. في ذلك الحين كانت الحركة الكمالية تساند (سمكو)^(١٩).

ثم وبعد فشل متلاحق تمكّن رضا خان من حشد قوة تناهز ثمانية آلاف جندي مسلحة برشاشات ومدفعية. وفي التاسع من آب نشبت معركة كبيرة شمال سلماس دارت الدائرة فيها على سمكو. وأصيب باندحار تام وتفرّق عنه أتباعه وإنسحبت العشرات الموالية له وتسلمت بهدوء عائدة الى مواطنها وتركته وليس معه إلا قبضة من الرجال. واستولت قوات رضا خان على قاعدته ديلمان ثم على قلعته شاهرخ في ١٤ من آب.

١٨- من القنصل البريطاني في كرمنشاه الى المندوب السامي. 6347 - 371.

١٩- كان سمكو في تشرين الأول ١٩٢١ قد انتقل الى صاويلاغ عاصمة موكري القديمة وقيل انه شرع يصدر جريدة بمثابة الصوت المعبر عن الأمانى الكردية في التحرر. لكنه مالّبث أن غادرها بسبب الضغط العسكري. يذكر المؤرخ البريطاني الشهير أرنولد توينبي في موسوعته التاريخية الكبرى العالم الإسلامي منذ تسوية السلم The Islamic World Since the Peace Settlement ج١ - ص٥٣٩ وما بعدها: إن الحكومة السوفيتية سعت لدى الحكومة الإيرانية لإصدار العفو عن سمكو. موصيةً بمنح الكرد لديها لوناً من الحكم الذاتي وكان السوفييت حينذاك على أطيّب العلاقات مع إيران بعد عقدهم في شباط ١٩٢١ المعاهدة الشهيرة. ويذكر (توينبي) دون إسناد بالمصدر أن الفرس حاولوا في ١٩٢٢ التفاهم مع سمكو، لكنه لم ينتظر وأعلن الثورة ضد إيران.

وفي السادس عشر منه أعيد احتلال أورميه ثم مهاباد (صاوبلاغ). فهرب الى المنطقة الكردية في العراق.

كانت هزيمته كاملة عندما ظهر في (ديره) القرية من أربيل في نهاية تشرين الأول وليس معه غير عشرة من الأتباع^(٢٠). مامن شك في أن سمكو جاء مطالباً بالمساندة البريطانية لقاء خدمات قام بها لهم قبل ثلاثة أشهر بمناسبة الثورة التي أشعلها (كريمي فتاح آغا) في تموز ١٩٢٢ في السليمانيه. فقد نجح في حمل القبائل الكردية الإيرانية بالإمتناع عن مساندة (كريمي فتاح) وبهذه الوسيلة خفف الضغط عن بابكر آغا الپشدری زعيم قبائل پشدر الموالي للبريطانيين الذي كان قد أرغم على الهروب الى إيران في حينه.

والذي يبدو أن ميجر نوئيل حاول أن يعيد لسمكو بعض إعتبار بسعيه في الجمع بينه وبين الشيخ محمود والسيد طه فلم يحالفه نجاح. وكان غرض الضابط البريطاني إقامة تحالف ضد المخطط التركي لجنوب كردستان لكنه اصطدم بمزاج سمكو المتقلب وبحقن الشيخ محمود عليه بسبب موقفه الغادر من ثورته في العام ١٩١٩. فلم يجد سمكو عطفاً عنده رغم الإستقبال الحافل الذي جرى له في السليمانيه^(٢١) وغادر السليمانيه

٢٠- كرد وترك وعرب، من ترجمتنا. الطبعة الثانية. أربيل ١٩٩٩، الص ٢٧٥-٢٧٦: «وفي نهاية شهر تشرين الأول انحرف مجرى الأحداث إنحرافاً روائياً جديداً بوصول اسماعيل آغا (سمكو) زعيم قبيلة شكاك المرهوب الجانب الى الحدود الإيرانية التركية في إقليم قوتور. ثم قدومه فجأة ويلا سابق إنذار الى (ديره) القرية التي تبعد عن شمال أربيل بثمانية عشر ميلاً. فيعد أن إنتزع كل مناطق الحدود من إيران ابتداءً من دلمان حتى بانه في ثورة حاول إكسائها طابعاً وطنياً كردياً. إنهار فجأة ازاء عملية عسكرية مزدوجة شاركت فيها قوات تركية من الغرب والجيش الإيراني الذي جددت شبابه إصلاحات رضا خان - من الشرق فخر مدافعه ورشاشاته وقطار بغال محملاً بالعتاد. كما فقد ضحايا كثيرة منها زوجته. وأسر صبي له في السادسة كان قرّة عينه فجاء الى العراق يطلب العون وذهل وتألّم من رفضنا السماح له بالمجيء الى أربيل...»

٢١- في الثامن من شباط ١٩٢٣ حلّ سمكو بالسليمانيه. والشيخ محمود صاحب الأمر فيها. واستقبل بعرض عسكري وبإطلاق سبع قذائف مدفعية تشريفاً. وأعلن يوم وصوله عطلة رسمية وجرى له عرض عسكري ووصفته جريدة (روژي كردستان) بـ"بطل كردستان المغوار صاحب السعادة آغا سمكو". إلا أن الجفاء الذي استقبله به الشيخ محمود آل بالجريدة الى أن لا تذكر مغادرته بحرف.

بهدوء وبغير ما أستقبل به ولم تنوه جريدة (کردستان) حتى بمغادرته^(٢٢).
أكان اسماعيل آغا شكاك قومياً. يعمل لإستقلال كردستان حقاً؟

٢٢- ماجرى لهذه الشخصية العجيبة بعد هذا يخرج عن مواضيع هذا الكتاب لاسيما وأن حياته التالية لم تعد لها علاقة بالقضية الكردية. لكن أجد من حق القاريء أن يتابع دراما (سمكو) حتى الأخير بخاتمتها المأساوية.

لم يجد ترحيباً من البريطانيين وإنكفاً الى كردستان التركيّة ومن هناك قدم إسترحاماً للسلطات الإيرانية معرباً عن ندمه على ما فرط وواعداً بأن يكون عوناً وسنداً لحكومة رضا خان. فصدر عفو عامٌ عنه غير مشروط وعاد الى كردستان. ولكنه لم يخلد قطّ للسكينة وواصل نشاطه ضدّ السلطة حتى إستقطب في العام ١٩٢٦ بالإعلان عن ثورة جديدة. هي ثورته العاشرة (إذا إتفق رأينا وإدموندز: المرجع السالف ص٢٢٨ بأن ثورة العام ١٩٢٢ كانت التاسعة). إلا أن القوات الإيرانية ألحقت به هزيمة شنعاء بالقرب من (ديلمان) وأفلت هو مع مائة من أتباعه وعبر الحدود العراقية وطلب حق اللجوء، فمُنح، ولم تلبّ الحكومة العراقية طلب الإيرانيين بتسليمه بإعتبارها إياه متهماً بجرم سياسي الطابع. إلا أنها وافقت على إستقبال موظف إيراني ليقوم بمقابلة سمكو وإقناعه بتسليم نفسه. [تقرير عن الإدارة في العراق السنة ١٩٢٦. ص٢٦] ولم يصدر على سمكو حكم في إيران. وبقي مقيماً في رواندوز في حمى صديقه القديم سيد طه الذي كان قائمقاماً للقضاء وقتذاك. [راجع التقرير الذي رفعته سلطات الإنتداب الى مجلس عصابة الأمم حول الإدارة في العراق للعام ١٩٢٧. يصف سمكو بانه: "عنصر خطر على الأمن والنظام للجانبين من الحدود": ص٦٢].

في أيار ١٩٢٨ غادر سمكو العراق بمحض إختياره. وبعد سنة واحدة وبضعة أشهر عاد يظهر في العراق مجدداً (١٩٢٩) وسكن موضعاً قريباً من الحدود الإيرانية مع خمسين من الأتباع وعندما أبلغ بأن استمرار بقائه في العراق سيكون مشروطاً ببقائه في المحل الذي تعينه له الحكومة العراقية انسحب الى تركيا وبقي حتى نهاية السنة في منطقة الجبال غرب روبري حاجي بگ. وشارفت حياة سمكو على النهاية عندما وصلته من تبريز دعوة رسمية تعرض عليه عفواً عاماً مع حاكمية (اشنويه). والمرء يعجب حقاً كيف وثق هذا الثائر بالوعد من خصمٍ لا يتوقع أي عاقل ان يجد عنده رحمة. قصد سمكو أشنويه وسلم مقاليد المنصب رسمياً. وزاوله لمدة ثلاثة أيام قضاها في إستقبال مهنييه من القبائل الكردية المجاورة. في اليوم الرابع وصلتته رسالة تنبئه بأن موظفاً إيرانياً كبيراً قادم لزيارته. فأخذ معه نفراً من رؤساء العشائر وخرج لإستقباله. وبعد إنتظار طويل في الموضع المتفق عليه للقاء أقبل ساعٍ على ظهر جواد لينبئه بأن الموظف الزائر تعطلت السيارة به وتعذر عليه الحضور. فقفل سمكو عائداً الى اشنويه ولدى إقتراجه من منزله فوجيء بزخات من الرصاص منطلقة من جنود الجيش الإيراني الذين كانوا قد كمنوا له ووزعوا على سطوح المنازل المجاورة. فقتل مع إثني عشر من رؤساء عشيرته وعدد من أتباعه. ويذكر هاملتون [أنظر ترجمتنا لكتابه طريق في كردستان، الص ١٢٧-١٢٨- ط٢ أرييل ١٩٩٩. انه أنذر =

في فترة قصيرة معينة تحدّث عن الإستقلال، ونجح تحت هذا الشعار في توحيد بعض القبائل حوله. ولفترة قصيرة أيضاً تحالف مع سيد طه، ولفترة قصيرة أيضاً جعل دعوته بسبب من ذلك تعبر حدود فارس وتتراوح بعبورها الحدود الدولية جيئة وذهاباً. ويتقلّب ولائاه السريـع وجد من الصعب عليه أن يعترف لأحد غيره بالزعامة القوميّة. لا بالسيد طه ولا بالشيخ محمود وإنما اعتبرهما خصمين كبيرين منافسين له.

وفي خلال الأيام القليلة التي خصصها من حياته للقضية الكرديّة. لم ينشر بياناً ولم يصدر منهاجاً يدوران حول تصوراتهِ للنضال أو مفاهيمه للقومية وأهدافه للوصول الى الإستقلال ومع أنه أصدر في صاوبلاغ جريدة [روژي كردستان = شمس كردستان] لمدة شهر واحد، فإنك لا تجد في الأعداد الخمسة أو الستة التي صدرت منها خطأ قومياً واضحاً. ويبدو انه لم يهتمّ قط حتى بإقامة ادارة كرديّة في المناطق التي كان يحتلها أو التي وقعت ضمن دائرة نفوذه ولم ينشيء نظاماً ضرائبياً أو يباشر مشروعاً واحداً لخدمات إجتماعية، وقصارى ما كان يفعله عند بسط سيطرته على مدينة أو إقليم تعيين حاكم قبائلي وهو إجراء لا يختلف في الجوهر عما كان يفعله الإيرانيون دوماً.

ولم يجد سمكو ضرورة أو ربما وقتاً لمحاولة إنشاء علاقة بمراكز الفكر القومي في استنبول والقاهرة بل في السليمانية كما بقي سراً لدى من كتب عنه أو ارتبط بعلاقة به مبلغ تحصيله التعليمي ونصيبه من الثقافة العامّة التي قد تكون عاملاً قوياً في مدى تفهمه ووعيه للأحداث التي تمرّ به لتنعكس على قراراته.

وخير لنا أن نقف هنا لنترك للقاريء تقدير درجة نضج هذه الشخصية وأهليتها لمكانة ما في تاريخ النضال القومي الكردي.

= مسبقاً بعملية غدر مبيتة فلم يصدّق].

كان مقتله في ١٩٣٠. ذكر الكولونيل (لاين) أن (خورشيد آغا هركي) وهو زعيم قبائل الهركي كان من بين الذين قُتلوا معه (كرد وعرب وبريطانيون Kurds Arabs and Britons مذكرات عن العراق ١٩١٨-١٩٤٤. ط لندن ٢٠٠٢. ص ١١٢).

الفصل العاشر

دعوة قومية غير منتظرة ذات علاقة بالمعركة السياسيّة بين البريطانيين والفرنسيين في سورية. التعاون الكردي الفرنسي في صدّ هجمات الأتراك. نشاط القوميين في دمشق. محاولات الترك إستعادة جنوب كردستان. الدعاية الدينية والخطر على مسيحيي كردستان. اثاره الشرناخ والگويان. الإضطرابات في العماديه. عثرات الإدارة البريطانيّة ومشاكلها في بادينان. إنتفاضة في عقره. حصار أربيل. حوادث خانقين. نشاط الجواسيس الألمان في كردستان فارس.

في التاسع عشر من آذار ١٩١٩ كتب الأستاذان خيرالدين الزرگلي ويوسف حيدر^(١) صاحباً جريدة (المفيد) الدمشقية مقالاً مطولاً حول قضية إستقلال كردستان عنوانه "خطابٌ مفتوح الى أكراد شمال كردستان وجنوبها".

والدليل على أن هذا المقال كُتب لغرض دعائيّ يقصد به إثارة الإنتباه العام - أن نسخاً كثيراً على غير العادة تمّ توزيعها مجاناً في شوارع حلب.

بدأ المقال بإظهار الأسف على قلّة اهتمام الكرد بالأمر السياسيّة وما يحصل فعلاً مذكراً القراء بتصرّحات الرئيس الأمريكي ولسن حول رفع الحيف عن الشعوب

١- أدهشني ألاّ أجد في كتاب الأستاذ مير بصري [أعلام الكرد. لندن ١٩٩١] ترجمةً لا لخيرالدين الزرگلي ولا ليوسف حيدر وكلاهما كرديّ النجار وليس الأمر بسرّاً. وأولهما (١٨٩٣-١٩٧٦) أديبٌ وشاعرٌ سوريّ وصحافيّ اشتهر بموسوعته "الأعلام" ذات المجلدات الثمانية. وثانيهما صحافي معروف مؤسس جريدة (المفيد) التي كانت من أروج الجرائد في عهد. وهو من أسرة كردية معروفة جداً في دمشق. وزاد من دهشتي أيضاً إغفال اسم الجريدة (المفيد) في قائمة الصحافة العربيّة التي أثبتتها قاموس الأعلام (ص ٦٩٢ - من المنجد الطبعة ال ٣٧ - ١٩٩٨). وربما خفي عن الأستاذ بصري أيضاً كردية صديقنا الأستاذ محمد بهجة الأثري ورجال الأسرة البرازية في سورية ومنهم رئيساً وزارة (حسني البرازي ومحسن البرازي) وآخرين من الساسة ورجال القلم. كحسني الزعيم وبعض أفراد الأسرة الأيوبيّة التي تفخر بأصولها الكردية وإنحدارها من صلب صلاح الدين الأيوبي فلم أجد ذكراً لهؤلاء في كتابه.

المضطهدة في العصور السحيقة الخالية وكسر الغلّ عن أعناقها. ثم نوّه بالثورة العربيّة والنزعة العربيّة الى الإستقلال ودعا الكرد الى اليقظة والمطالبة بحريتهم مؤملاً بكردستان حرة طليقة "تضمّ أرضروم ووان وبتليس وخربوط وديار بكر والموصل وأماكن عديدة أخرى حيث يعيش ثلاثة ملايين ونصف مليون كردي".

وفي حلب قام بعض القوميّين الكرد المجهولين بطبع هذا المقال في كراس ووزع في حلب ومديّات وآزخ والگويان وشمال زاخو فضلاً عن نصيبين وجزيرة ابن عمر والشراخ وسائر ولاية الموصل حتى السليمانيه وكلّ منطقة الزابين، ولم يرد ذكر في المقال للجزء الكردي في بلاد فارس^(٢).

مما يلفت النظر بشدّة أن كاتبَيّ المقال هذين، لم يُعرف عنهما من قبل أيّ نشاط مذكور في حركة الوعي القوميّ الكردي في سورية وقد إستقطب كما ذكرنا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر حول أمراء آل بدرخان المبعدين والمنفيين. وفي العام ١٩١٩ كان الزرّگلي شاباً لا يتجاوز السادسة والعشرين.

لم تكن سورية وقت نشر المقال بحدودها الحالية تخضع لقوة واحدة. في العام ١٩١٩ كانت رسمياً تعد من أراضي العدو المحتلة. وتخضع للإدارة العسكريّة. والقوات العربيّة الموجودة هناك هي رسمياً جزء من قوات الحلفاء، تخضع لأوامر قائد القوات العام للحلفاء الجنرال إدموند ألنبي، وهي تحتلّ الجزء الداخلي من سورية [دمشق. حلب. حمص. حماه. دير الزور. قامشلي الخ...] في حين إستأثرت القوات الفرنسيّة بالقسم الغربيّ منها وتضمّ لبنان والساحل السوري برمته ابتداءً من ميناء صور حتى حدود كيلىكيا في تركيا. والمعركة السياسيّة الخفية تدور الآن بين البريطانيّين والفرنسيّين حول إصرار هؤلاء الأخيرين على إحتلال البقية وتأكيد سيّطرتهم على الداخل، حيث أعلن فيصل نفسه ملكاً بتشجيع من البريطانيّين. وقد بلغت الأزمة حدّها الأقصى حين هدّد الفرنسيّون بالأخير بزحف عسكريّ على دمشق وبقية الأنحاء.

وفي كانون الثاني ١٩١٩ غادر فيصل دمشق الى باريس لحضور مؤتمر الصلح والدفاع عن الحقّ العربيّ وعن ملكه الجديد.

وكانت هناك معركة في الشارع - تبنتها الصحافة. فمع أن الأكثرية الكاثرة من الجمهور كانت الى جانب الحكومة الوطنيّة التي يقوم على رأسها فيصل. إلا أن

٢- المرجع السالف: الكرد وكردستان. ص ٨٦.

الفرنسيين لم يكونوا يعدمون انصاراً تشجعهم السلطة الفرنسية من طرفٍ خفي. وزاد من حدة السعار ذلك التناقض الذي ظهر من سلوك الفرنسيين بعد صدور التصريح الانگلو فرنسي الذي أثبتناه والصادر في ٧ تشرين الثاني ١٩١٨. وبينه وبين مقال جريدة (المفيد) فاصل لا يزيد عن أربعة أشهر.

أفيكون هذا المقال جزءاً من المحاولات الفرنسيّة لإثارة مشاكل إحتلال بريطانية في المنطقة الكردية التي تسيطر عليها في العراق بمقابلة موقفها في دعم فيصل في سورية؟^(٣)

بغض النظر عن الجامعة القومية التي تشد كُرد سورية بكُرد تركيا وإيران فإن سورية التي وقعت من حصّة الإنتداب الفرنسي لا تحتوي على مجتمعات كردية خالصة كثيرة تعيش فوق أرض محددة المعالم كما هي في تلك الأقطار. كما انها لا تملك مراكز بؤرية تقليدية لحياة قبائلية كردية كتلك التي نجدها في ديار بكر وبتليس وجزيرة ابن عمر في تركيا. وكتلك التي توجد في العراق كالسليمانيه ورواندوز وعماديه وسنجار. وكتلك في أشنوية وأورميه وكرمنشاه في إيران. ولذلك لم يقم لهم في سورية شخصية سياسية قومية خطيرة الشأن من مستوى الشيخ محمود الحفيد في العراق، والشيخ سعيد پيران في تركيا، كان أبرز الشخصيات العاملة في الحقل القومي هناك. الأخوان بدرخان هذان الأميران المثقفان اللذان لا يمكن وضعهما في مصاف زعماء الكُرد التقليديين المدعمن بالنفوذ القبائلي.

بذل كاتب هذه السطور جهوداً كبيرة للعثور على أي رابطة للبدرخانيين هذين وبين كاتب ذلك المقال في جريدة المفيد أو بوجود نوعٍ من التنسيق ولم تسعفني مراجعي بشيء.

ومع أن الوضع الكردي في سورية لم يتسم قطّ بالعنف فإن المنطقة لم تخل من
٣- ولسن: الولاءات. ج ٢. ص ١٣٩. المرجع السالف: «أثارت الدعاية لفرنسا في الموصل شيئاً من القلق ومثيروها أولئك الذين كانوا يتمتعون بحصانة. وبدت عندهم بوجهين: الأول: زعموا أن الفرنسيين لا كالإنكليز احرار الفكر وانهم لا يتعاملون مع سائر الأديان على قدم المساواة، وقد عرفوا بمساندة المسيحيين والنهوض بمستواهم الاجتماعي رغم أنهم أقلية. وسيرتفع شأنهم حتماً لو حلّ الفرنسيون محلّ الإنكليز. ومن الخير لهم أن يطالبوا بالحماية الفرنسية. الثاني: إن الإدارة البريطانية مؤقتة وإن الفرنسيين أتون فوراً.»
[نقول: القصد من إشارة ولسن الى "أولئك الذين يتمتعون بالحصانة هم" المسيحيون قاطبة وإرسالية الدومنيكان الكاثوليكية ومعظم أعضائها فرنسيون. فضلاً عن فريق كبير من المسلمين أصدقائهم.]

مشاكل وكان للمجتمع الكردي هناك سهمه فيها.

تمّ إحتلال دمشق في ٢٤ تموز ١٩٢٠ وبسط الإنتداب الفرنسي سيطرته التامة وطرد فيصل الى غير رجعة، إلا أن الفرنسيين كانت لهم متاعبهم مع الأتراك فإستخدموا الكُرد، ويبدو انهم نجحوا في الحصول على ثقة الإدارة الفرنسية. ففي شباط ١٩٢١ اشتبكت القوات الفرنسية مع الكماليين في نزاع مسلح. وتعاونت قبيلة (الملّي) مع الفرنسيين في صدّ هجوم قوة غير نظامية حاولت إنتزاع دير الزور والجزء الأوسط من نهر الفرات. وفي أوج هذا النزاع راح الفرنسيون يداعبون فكرة إقامة إمارة كردية ذات حكم ذاتي تشمل أورفه ورأس العين وماردين ونصيبين وجزيرة ابن عمر ينصب على رأسها (ابراهيم باشا الملّي). لكنهم مالبتوا أن عدلوا عن الفكرة عندما توصلوا في السنة عينها إلى تفاهم مع تركيا أدى الى حلّ معظم أوجه الخلاف. وخُتم هذا التفاهم بإتفاق [فرانكلين - بويون] في ١٢ تشرين الأول ١٩٢١ وبموجبه وافق الفرنسيون على الإنسحاب من كيليكيا وغيرها من الأقاليم التي إدعتها تركيا. كما تعهّدوا بردّ سنجق (متصرفية) الإسكندرونة. إلا أن هذا الإتفاق لم يتطرق الى تثبيت موقف في مناطق الحدود الشمالية الشرقية ولاسيما محافظة الجزيرة وهو الإقليم الذي يضم أكبر تجمع كردي في سورية.

مع هذا ولأسباب سياسيّة كثيرة يضيق المقام عن بسطها هنا. وجد الكُرد القوميون اللاجئون الى سورية ملاذاً آمناً. وكانت لهم حظوة وإلتفات من السلطة الفرنسية فلم تضع قيلاً على نشاطهم الوطني وتركت لهم الحرية في تأسيس مراكز ثقافية في كلّ من دمشق وبيروت.

تقليدياً كانت دمشق مركز اللاجئين الكرد في كلّ أرجاء كردستان بدون شكّ واجتذبت المدينة كثيراً منهم فقد كانت مرتبطة فكراً بأعظم شخصية كردية في كل زمان ومكان، شخصية السلطان صلاح الدين ابن يوسف الأيوبي الذي ثوى فيها جثمانه. وزاد هذا الميل قوة، أن مولانا خالد وهو أعظم صوفي كردي مؤسس الطريقة النقشبندية في كردستان. كان قد علّم وأرشد وتزوج وتوفي ودفن فيها.

هؤلاء المهاجرون ومعظمهم من كرد تركيا، ظلّوا مصرّين على مواصلة نشاطهم واهتموا بنشر الوعي القومي في الأجزاء الشرقية من سورية حيث تتواجد المجتمعات الكردية أحياناً بغالبية. فكانت لهم الزعامة. وساعدت أحداث ما بعد الحرب هؤلاء

مساعدة كبيرة في تحقيق أهدافهم وأهمها إزالة ماتبقى من الولاة التركي الذي تبخّر تماماً بعد ثورة العام ١٩٢٥ بزعامة الشيخ سعيد پيران والثورات التي عقبته^(٤).

*** **

وفي جنوب كردستان. بدأ الأتراك منذ خروجهم من الولاية. يحاولون إستعادتها بشتى الطرق. واستخدموا في ذلك القبائل الكردية وزعماءها في المناطق التي تقع شمال خط بروكسل. كما حاولوا جرّ القبائل الواقعة جنوبيه الى صفهم وهي تحت السيطرة البريطانية.

في ربيع العام ١٩١٩ بدأت حملة دعائية عنيفة ذات نطاق واسع ضدّ البريطانيين والمسيحيين وتركزت بنوع خاص في تلك الأنحاء من ولاية الموصل القريبة من مراكز التحريض والإثارة في شرناخ وجزيرة ابن عمر. فيها صوّر البريطانيون كفتاراً يريدون فرض نظام سدها الظلم ولحمته الطغيان الأجنبي على الكرد المسلمين بهدف استرقاقهم وإستغلالهم إتباعاً لمصالحهم الأناية ومصالح المسيحيين المحليين اخوانهم في الدين. تركزت الدعاية وأوجه الإثارة على الناحية الدينيّة وهي أضعف النقاط في الدرع الكردي.

وبلغ التوتر أقصاه في المناطق الحدودية على الجانبين من خط الحدود. وياتت المجتمعات المسيحيّة في خطرٍ عظيمٍ لاسيما في جزيرة ابن عمر وزاخو. أقرّت التقارير البريطانيّة أن إدارة ولاية الموصل أنشئت في ظروف غير مواتية مطلقاً. فالكرد الذين إعتادوا الأسلوب العثماني في الحكم قروناً، ماكانوا مستعدين للتطبيع والسير على النهج البريطاني في الإدارة وماكانوا بقادرين. إلا أنّهم كانوا يملكون مخزوناً من الذكريات المرّة ودلائل دامغة على ما إجتزحه الحكم التركي بحقهم ومدى الخراب الذي أنزله بهم في أحيان يبدو وكأنهم عاجزون عن وقفها. وفي أحيان يبدو غير راغبين.

في ١٩ آذار ١٩١٩ ضبط البريطانيون رسائل وجهها [عبدالرحمن آغا شرناخ] وهو رئيس نافذ القول كبير المقام يسيطر على إتحاد قبلي واسع - الى زعماء قبائليين في

٤- إن أهمّ نشاط للمهاجرين الكرد في سورية هو تأسيس جمعيّة (خويون) في العام ١٩٢٧. ومن أهدافها التقدم بالقضية الكردية الى المجتمع الدولي وإدارة النشاط القومي ضدّ الترك، إن أعمال هذه الجمعية ونشاطها في كردستان يخرج عن نطاق بحثنا. عن مولانا خالد، راجع كتابنا: مبحثان على هامش ثورة الشيخ عبيدالله النهري. ط ثانية. أربيل ٢٠٠١. الص ١٣٤-١٥٦.

الجزء الذي يسيطر عليه البريطانيون. فيها يحثهم على طرد الأجانب ويعلن نفسه قائداً لحركة معترف بها من قبل الترك وإنهم يساندونها، كذلك تحظى برضا ومساندة مختلف الشخصيات الكردية والهيئات الوطنية في استنبول والقاهرة وباريس، تلك التي تعمل لإقامة دولة كردية^(٥).

وفي حدود ذلك الزمن تذكر التقارير الإدارية عن قيام ضباط أترك بزيارة لإقليم شمدينان بهدف إقناع الزعماء المحليين هناك بالانضمام الى هذه الحركة لكنهم لم يستقبلوا بحرارة، بل قبولوا ببرود وصدود. وجندت قبيلة الكويان أيضاً.

كانت مواطن هذه القبيلة جبلاً وعمر المرتقى والمسالك شمال زاخو، ولها تاريخ حافل بايذاء المسيحيين من سكان القرى المجاورة ومضايقتهم والإعتداء عليهم. أقنع زعماء هذه القبيلة بمغامرة تحدي للسلطات البريطانية وقتما كان النقيب (بيرسن) معاون الضابط السياسي في زاخو يحاول بدأب وضع حد لإنتهاكاتها. وكانت قد جاءته رسالة من زعمائهم تعرب عن رغبتهم في تسوية، فإنطلق الى لقائهم برفقة دليل كوياني ليقع في كمين نصبوه له في ٤ نيسان ١٩١٩ فقد فيه حياته. والمصادر البريطانية حول الحادث لا تترك شكاً في أن تدبيره كان بمشاركة مرافقه^(٦).

وكانت ضربة موجعة لهيبة سلطة الإحتلال، وعملاً مقصوداً يرمي الى الإنتقاص من مكانتها وإرتأى (ليجمن) أن يكون القصاص على عين الطريقة التركية عندما تقع حادثة مماثلة لموظف تركي. وبحث خطة تجريد حملة تأديبية لكن عدل عنها لأنها قد تؤول الى عبور خط بروكسل الحدودي. وبالأخير إستقر الرأي على أن القصف الجوي هو أفضل حل. والظاهر أن الدرس الذي تلقاه الكويان كان فعّالاً في وقفهم عن التعاون مع الترك بل الى نشدان بعض زعمائهم صداقة مع السلطات البريطانية. تطورت الى حد التحول التام لبعض زعماء الشرناخ الى المعسكر البريطاني لاسيما بعد إستظهار الحركة الكمالية في الجنوب وإفصالها عن حكومة استنبول^(٧) التي بقوا يدينون لها بالولاء

٥- ج. ر. درايفر: كردستان والکرد G. R. Driver: Kurdistan and the Kurds. لندن. كارمل ١٩١٩. ص ٨٩.

٦- ولسن: الولاءات. ص ١٤٧. ج ٢. المرجع السالف.

٧- وثيقة بريطانية تشير الى مثل هذه العلاقة هذا نصها:

ملف رقم ٦١. Fo. 371 - 5069 - E, 10033

٢٥ حزيران ١٩٢٠

من سليمان آغا التتر آغا رئيس اشناث شرناخ=

والطاعة رغم ذلك.

ووقع الإنفجار الثاني ضدّ البريطانيين في العماديه. هاهنا كانت الدعاية التركيه تتبع عين أسلوبها في زاخو.

تحدث (كبيرترود بل) في أحد تقاريرها قائلة إن القوات البريطانية وصلت العماديه في كانون الثاني ١٩١٩ وأرسلت وحدةً عسكرية لتعسكر على بعد ستة كيلومترات من البلدة وكان السبب في هذه الحركة الى هناك هو تسهيل إعادة اللاجئين الآشوريين الى أقرب نقطة من أماكن سكنهم الأولى. ثم عيّن معاون ضابط سياسي لإدارة المنطقة، إتخذ مقره في البلدة. وفي حزيران ١٩١٩ قرّرت القيادة البريطانية سحب تلك الوحدة الى مضيق (سواره توكه) الذي يبعد زهاء خمسة وعشرين كيلومتراً غرباً. وكان منها عملاً أخرق لامعنى له جرّ متاعب كبرى. فقد ترك النقيب ويللي Willey مع الملائم ماكدونالد والعريف تروپ اللذين كانا بأمريّة الليفي مع عاملي تلغراف هنديين في المدينة دون حماية.

وما لاشك فيه أن رؤساء العشائر الكردية وبصورة عامة أولئك الذين تعودوا رخاوة

=الى الضابط السياسي في الموصل
أبعث برسالتي هذه مع رسولي عبدالكريم البتليسي الذي هو موظفي الخاص، وموضع كلّ ثقتي
وكلماته تعتبر كلماتي.

مصطفى كمال فصل كردستان وولايات الأناضول عن الحكومة في استنبول. وبحسب خطة لجنة الإتحاد فانه اقام حكومة مؤقتة في أنقره. صعب علينا نحن أهالي كردستان أن نعيش تحت حكم مثل هذه العصاية المنحطة المكروهة التي خانت الحكومة العثمانية. وبالنظر الى عدم وجود قائد يمكن أن يوحد كلّ كردستان تحت حكمه ويحقق القضاء على هذه الفئة المتأمرة. الذين قبضوا على زمام الإدارة والقيادة العسكرية وهم يسوقوننا كالأنعام. ومن أجل التخلص منهم وإزاحتهم فإن الشعب الكردي بمجموعه يجب أن يتوحد من أجل تحقيق الإستقلال والحكم الذاتي لكردستان تحت حماية بريطانيا العظمى. وعليه فإن بعض أعضاء من أسرة بدرخان التي هي أشهر عائلة في كردستان والذين يسكنون الآن في القسطنطينية يجب أن يؤتي بهم الى الموصل وزاخو.
مصطفى كمال باشا شكل حكومة في أنقره. وهو يحرض كل قبائلنا على إتخاذ إجراءات معادية للحكومة البريطانية ويضغط عليهم بدعايته. وأنا بخلاف ذلك أقسم بشرفي أن أعمل بكل ما في وسعي للحيلولة دون نجاح هؤلاء المحرضين وأن أعطي كلّ التعهدات للمحافظة على السلام مع الحكومة البريطانية. وحامل الرسالة عبدالكريم سيزودكم بالتفاصيل الضرورية. وأسترحم أن تشملوه برعايتكم وحسن اهتمامكم.

محترماً [سليمان آغا] =

= يلاحظ في هذه الرسالة مشاعر قومية واضحة غير متوقعة من رئيس قبائلي أمي فضلاً عن مطالب سياسية تطابق تلك التي كان يسعى اليها القوميون البارزون في استنبول. الأمر الذي يشير بوضوح الى أن الوعي القومي استطاع النفوذ وشق الطريق الى المناطق الحدودية الكردية أو أن كاتب هذه الرسالة أصلاً ليس موقعها.

الحكم التركي وطرازاً معيناً في التعامل مع موظفيه - مالبثوا أن ضاقوا ذرعاً بأسلوب حكم الفاتح الجديد فضلاً عن فارق الدين والطبائع. ويظهر انهم صبروا على ذلك الحكم فترة من الزمن، في حين كان هناك اصرار على استيفاء الضرائب وتأكيد سلطة المحتل الجديد ومعناه الحد من سلطة رئيس العشيرة. هؤلاء ضباط وموظفون فعّالون نشطون محصّنون من الرشاوى والوساطات لكنهم مزعجون في تأكيد سلطتهم وفرض أوامرهم وتعقيب تنفيذها الى الأخير. الزعماء كانوا في العهد التركي يتركون لشأنهم في المنطقة. إلا في حالات إستثنائية نادرة عندما يخطر ببال أحد الولاة فرض سلطته أو تطبيقاً لأوامر صارمة صادرة من الباب العالي كما حصل مثلاً في مطلع القرن التاسع عشر وأواسطه عندما قررت استنبول تصفية الإمارات الكردية أو القضاء على نفوذ شيوخ بارزان.

كان مقدرًا للكابتن (ويللي) أن يصطدم مع بعض الأشخاص المتنفذين في المدينة، قدحت شرارته نزاع ثأري قديم بين أسرتين بارزتين بدا للنقيب البريطاني وكأنه يهدد الإستقرار والنظام فرأى أن يتدخل. وقيل انه أمر بنزع سلاح الفريقين وأخذ ضمان نقدي لحفظ السلوك من الطرفين فأحفظ عليه الجانبين. وكان ثم مصدر آخر للنقمة بسبب قيام السلطة الجديدة بتجنيد قوة كردية من الليشي من شأنها أن تفرق بين المجند وبين رئيس عشيرته. وسبب آخر يفوق ذلك أهمية هو قيام السلطة بتسليف صغار المزارعين نقداً أو بذاراً مباشرة من دون اللجوء الى الطريقة العثمانية القديمة التي لا تقوم بمثل هذه المبادرات من غير توسط الزعماء والأغوات ومعرفتهم. ثم كانت هناك مسألة إعادة الآشوريين الى قراهم المنهوية.

والليشي هو علّة العلل. إن تشكيلات أمن كردية رسمية يضعف الولاء القبلي ويستبدله بولاء حكومي فضلاً عن إلحاقه خسارةً برجالهم. والغرض الأصلي من تأليفه على كل حال هو تأكيد سلطة الحكومة وإشاعة النظام وسيادة القانون أي القضاء على حرية الأغوات في الغارات والسلب والإعتداء.

تقليدياً كان الكرد ومثلهم في هذا مثل معظم الشرقيين ينفرون من دفع الضرائب والسبب الحقيقي في ذلك تعسف الحكومات المتعاقبة في فرض ضرائب ثقيلة بغير حق ومن دون اعتبار للقدرات المالية لدافع الضريبة. كما كان يصحب اللجوء الى تحصيلها في كثير من الأحيان إجراءات عنيفة وأعمال تأبأها مكارم الأخلاق^(٨).

٨- صديق الدمولوجي [إمارة بهدينان. الطبعة ٢، ١٩٩٩، الص ٤٥-٤٦] يروي أن الحياة في بادينان=

والسلف الزراعية الممنوحة رأساً للفلاح كانت تؤدي إلى فقدان الأغوات والرؤساء سلطانهم على رعاياهم. والعادة والتقليد جريا على أن يكون للأغا وللشيخ كلمته. وفي العهد العثماني كان أحد هذين واسطة الحكومة في التعامل مطلقاً ولم يحصل أن الدولة أو ممثلها نزلا للتعامل مباشرة مع الفلاحين أو الرعاة أو رجال القبيلة البسطاء.

وأشاعت مسألة إعادة اللاجئين شكوكاً ومخاوف في كرد العماديه، فهناك ثارات وعداوات قديمة بينهم وبين آشوريي المنطقة وقد ظن هؤلاء أن هدف الإدارة الجديدة من إعادتهم هو إطلاق يدهم بحماية من البريطانيين في الإنتصاف لأنفسهم.

وتدخلت الدعاية التركية للترويج بأن إتفاقاً تم بين الآشوريين والأرمن على إخضاع الكرد. كل هذه خلقت أرضية لقيام الأغوات والشيوخ بإنتفاضة دموية. إجتمعتوا سراً وتداولوا في الأمر ولم يجدوا غير العنف وسيلة وضمت حلقة التآمر كل وجهاء العماديه وماجاورها تقريباً وفي ليلة الرابع عشر من تموز ١٩١٩ إعتلى عدد من رجالهم جدار منزل النقيب (ويللي) وجماعته وفتكوا بهم جميعاً. كما قضاوا على أفراد من حرس الليشي الذين إعترضوهم. وانطلقت اثر ذلك ثورة عامة في المنطقة.

وكان رد الفعل سريعاً صاعقاً، جردت حملة تأديب قوية تتألف من الفرقة الثامنة عشرة ومقرها الموصل. لواء منها بقيادة الجنرال (نايتنجيل) إحتشدت في سواره توكه. وأرسل لواء آخر منها بقيادة الجنرال (وولدريج) الى زاخو. وأنيطت القيادة العامة بالجنرال (كاسل) الذي كسب شهرة في حرب العراق. وكانت التعليمات التي تلقاها إكتساح المنطقة بكاملها وتمشيطها بغية إنزال العقاب بالثائرين وإعادة السلطة.

كانت القوات الزاحفة تنزع السلاح من كل قرية تدخلها وتلقي القبض على أغواتها.

= كانوا يسبون البنات القاصرات من العاجزين عن دفع الضريبة ويهونهن للموظفين الحكوميين بدلاً عن مرتباتهم المتأخرة والمستحقة لأشهر عديدة. إكان افراد الضبطية يأتون بالمكلفين مكتوفي الأيدي وهم يسحبون فتياتهم خلفهم، فسألت (والكلام للمؤلف أثناء زيارة له في ١٩٠٥ لمناطق الريكانيين) مامعنى إحصار هؤلاء فتياتهم معهم؟ أجابوني أتوا بهن ليقدموهن الى الحكومة بدلاً من الضرائب وقد لا تتجاوز إحداهن الثماني سنوات وفيهن من هو في الثالثة أو الرابعة من العمر، وقد يقو من بحسب أعمارهن وجمالهن. ولما كنت حديث عهد في الجباية، صُعقت لهذا الخير وقلت كيف يجري هذا؟ فأجابني ضابط الدرك... العادة الجارية هنا أن يعطي المكلفون فتياتهم لقاء الضرائب التي يطالبون بها عندما يعسرون ويعجزون عن إعالتهم. قلت له كيف جرى ذلك؟ قال حصل هذا عندما جاء الى هنا القائمقام صائب بك قبل بضعة أعوام وأخذ فتيات عوض الضرائب. قلت له وماذا فعل بهن؟ قال أعطاهن الموظفين عوض رواتبهم وأنا أخذت واحدة.

وتواصلت عمليات القوة الأولى في الوديان القريبة من المدينة ولحقت خسائر كبيرة بالثوار وحوكم عدد من الأغوات في العماديه ممن كان له ضلع مباشر في الجريمة وأعدموا. واكتسحت (سرعماديه) وقراها وأنزل العقاب الصارم بعشائر البرواري الذين شاركوا بحماسة وإندفاع في ثورة العماديه. ودخلت القوات البريطانية المدينة في الثامن من آب وألقي القبض على عدد من الأشخاص الذين وصفتهم التقارير البريطانية بـ"المتهمين من الدرجة الثانية".

لم يكن النصر سهلاً بطبيعة الحال. فقد قاتل الكرد ببسالة على حد قول (بل) و(ولسن). بعد ذلك. وفي نهاية شهر آب شرعت الإدارة البريطانية في إنزال العقاب بالقبائل التي شاركت في ثورة العماديه غرب الخابور لاسيما قبيلة (الكلبي) وما جاء شهر أيلول والعمليات هناك قائمة، حتى كان معظم رؤساء العشائر في العماديه وأغواتها قد دخلوا في طاعة الإدارة.

وفي أثناء عمليات العمادية إنتهزت قبائل الكويان فرصتها فهاجمت قرى في أنحاء الكلبي. فقررت القيادة توسيع عملياتها لتشمل الكويان وعززت القوة هناك بلواء الجنرال نايتنكيل فاكتسحت قرى القبيلة وأحرقت بعضها.

*** *** ***

وسرى هذا الانفجار الى (عقره) وهي أكبر بلدة في المنطقة. واجهه البريطانيون عند وصولهم هناك عين المشكلة التي أبتلي بها أسلافهم العثمانيون. وكان هناك طرفان مصطرعان: أغوات الزيبار وشيوخ بارزان. وقد اختارت الإدارة بقصر نظر منها أن تقف موقفاً حيادياً بين الطرفين وهو خطأ عظيم اعترف البريطانيون به فيما بعد.

عندما استولى البريطانيون على ولاية الموصل وشرعوا في مد إدارتهم الى المناطق الكردية أجروا بعض تعديل على التقسيمات الإدارية العثمانية القديمة تناولت القائمقاميات والنواحي. فألحقوا (بارزان) بعقره. وهو مانقم عليه الشيخ (أحمد) فيما يبدو، لأنه كان يعتبر قصبه (عقره) قلعة الزيباريين ومركز نفوذهم. وبدأ الشيخ أحمد بسبب ذلك يفكر جدياً في الإنتقال بالعشيرة الى منطقة رواندوز. وقد فاتح الإدارة بذلك لكنه "لم يلق تشجيعاً" على حد قول ولسن^(٩). لكن ولتفادي أي حادث غير

٩- الولايات، المرجع السالف، ص ١٤٨.

متوقع بين البارزانيين والزيباريين. حظرت الإدارة على (فارس آغا) الزيباري عبور الزاب الكبير الى منطقة بارزان.

سياسة حفظ التوازن هذه لم ترض أي طرف منهما ونقم كلاهما على الإدارة بسببها ولم يبطء الأتراك في إستغلال الموقف، وصاروا يبذلون المساعي للتقريب بين الشيخ أحمد وفارس آغا بغية إحلال نوع من الصلح بينهما^(١٠) وكانوا يواصلون حملات دعايتهم وبضاعفون مجهوداتهم بغية إخراج ولاية الموصل من يد البريطانيين. وفي شتاء ١٩١٩ حفلت التقارير بشائعات حول قيام الجيش التركي بالهجوم لتحقيق هذه الغاية وأنّ (أنور پاشا)^(١١) قد عاد من (وان) على رأس نجدات قوية تتألف من جنود أتراك وروس هاربين وإنه على صلة بـ(ستو آغا الأورماري) ورؤساء البرواريين وغيرهم من العناصر المعادية. وعلم أيضاً بقدوم دعاة الشريف حسين من سورية الى كردستان بهدف إثارة الحمية الدينية في القبائل الكردية. وإنهم فشلوا في مسعاهاهم بالأخير وكانوا يتحدثون عن وجوب قيام دولة إسلامية الأمر الذي لقي هوى في نفوس بعض الكرد الثائقين الى حرية إفتقدها وكانوا يتمتعون بها أيام الحكم العثماني. فحكّم في دمشق البعيدة عنهم بعدهم عن استنبول يعطي لهم حرية التصرف كالسابق هي والحالة هذه للحكم العثماني.

جعلت الدعوة بعض الأغوات أكثر حساسية بما فقدوه.

في تشرين الأول ١٩١٩ انتدب العقيد ليجمن المهمة خاصة في جنوب العراق وحلّ محله [ج. ه. ه. بل J. H. H. Bill] من الإدارة الهندية المدنية ضابطاً سياسياً. ما أن تسلّم الإدارة حتى شرع في جولة تفقدية في الزيبار بغية الإطلاع على مشاكل المنطقة وفرض في أثناء جولته غرامة على كلّ من (فارس آغا) و(بابكر آغا) بسبب قيام أتباعهما بإطلاق النار على الليثي الذي كان يرافقه فإستنجد فارس آغا بالشيخ أحمد. وكانا في ذلك الحين (اغوات الزيبار وشيخ بارزان) قد توصلا الى مصالحة ما بتوسط الترك. فبعث الشيخ عدداً من أتباعه. ويذكر ولسن^(١٢) أن حوالي مائة مسلّح بقيادة

١٠- الولاءات. المرجع السالف. غيرترود بل تقرير الإدارة ٦٧. المرجع السالف.

١١- في الثاني من تشرين الأول ١٩١٨ هرب ثلاثي الحكم الإتحادي الكبار [طلعت وأحمد جمال وأنور] الى ألمانيا. وطلب الصدر الأعظم سعيد حليم تسليمهم بوصفهم مجرمي حرب. إلا أن ألمانيا كانت على حافة الانهيار الداخلي وحكومتها مشلولة. وإختفى الهاربون ثم ظهر منهم أنور في تركستان الروسية.

١٢- الولاءات. المرجع السالف، ج ٢، ص ١٥٠.

بابكر آغا وفارس آغا، كمنوا للسيد (بل) بالقرب من (بيره كپره) قرية بابكر آغا. وفتكوا بالضابط السياسي وصاحبه النقيب سكوت وبأثنين من الحراس فيما انضم الحارسان الباقيان الى المهاجمين إذ كانا من العشيرة.

وإنقلب الزيباريون والبارزانيون الى عقره. إلا أن البارزانيين استنكروا تصرف الزيبارين الفظّ وقيامهم بعمليات سلب ومصادرة وإعتداءات على الأهلين فإنفصلوا عنهم وعادوا الى بارزان.

وفي ٩ من تشرين الأول دخلت المدينة قوةً من الليفي الكردي يقودها النقيب كيرك Kirk معاون الضابط السياسي في باطاس (رواندوز)، فاستقبلها أهالي البلدة بإرتياح كبير. ولم تلق هذه الحملة مواجهة بل وجد قائدها أعلاماً بيضاء تُرفع لإستقباله دليلاً على حسن النية.

وأحرقت الحملة بيوت أغوات الزيبار ثم عبرت الزاب لعقاب البارزانيين. ولاذ فارس آغا وبابكر آغا والشيخ أحمد بالجبال.

هذا العمل لم يكن يتجاوب مع رغبات الأهالي. ثم أن مقتل الضابطين لم يكن مدبراً أو وليد مخططٍ وانما كان عملاً أنياً نتيجة رد فعل شخصي لما عدّ إهانةً. وأدرك البريطانيون أن الضابط السياسي الجديد تسرّع في فرض العقوبة.

وهذه لم تكن نهاية الإضطراب في هذا الجزء من ولاية الموصل، وختامها ماجرى في منطقة أربيل أو قسم أربيل كما عرف في التقسيمات البريطانية.

كُرد أربيل وعشائرها ركنوا الى الهدوء إلا أنهم كانوا مهتمين بما يحصل في السلیمانیه وهي أقرب اليهم من العماديه وزاخو وقد بلغتهم أنباؤها أيضاً. وكان الموعد في آب ١٩٢٠.

إن النقيب هاي W. R. Hay الضابط السياسي لأربيل يعلّق على تأثير مختلف تلك الإنتفاضات في كُرد أربيل، فيذكر أن ثورة الشيخ محمود في أيار ١٩١٩ كانت البداية في ردود الفعل. ومع أنها آلت الى الفشل (كما سيأتي شرحه) إلا أنها أثبتت إمكان تحديّ الحكم الجديد واشاعة موجات من الإضطرابات في أرجاء البلاد^(١٣). وكانت ثورة الشيخ محمود ذات أثر قويّ بنوع خاص في منطقة كويسنق وخصوصاً

١٣- و. ر. هاي: سنتان في كردستان، تجربة ضابط سياسي ١٩١٨-١٩٢٠ in W.R. Hay: Two Years in Kurdistan, Experience of a Political Officer 1918-1920. لندن ١٩٤١. ص١٥٩.

لدى قبيلة الخوشناو.

في بداية صيف العام ١٩٢٠ إتخذت إنتفاضة جنوب العراق التي عرفها المؤرخون بثورة العشرين ضدّ السلطات المحتلة - وجهاً منذراً بأسوء العواقب. وبنهاية حزيران من العام نفسه كان لهيبها قد إمتدّ الى ديالى وأربيل وكركوك. وفي آب ١٩٢٠ هوجم النقيب (هاي) في مضيق رواندوز (كلي علي بك) فنجا بما يشبه الأعجوبة^(١٤) وتمّ إنسحاب الليثي الذي كان يقوده النقيب (ليتلديل) من رواندوز وباطاس الى أربيل. وأرغم النقيب (كيريك) على مغادرة كويسنجق. وفي الثامن من أيلول حطت الطائرة بد(ولسن) في أربيل، قاصداً بمجيئه رفع معنويات الموظفين، من جهة وتبسيط همم المنتفضين على السلطة الذين كانوا يهددون بإحتلال المدينة. وفعلاً بقيت المدينة صامدة حتى وصول القوات بعد أيام. على أن الفضل في سلامة أربيل يعود في الحقيقة الى مجهود ثلاث شخصيات هم خورشيد آغا الزعيم الأكبر لقبائل الدزبي الذي تعهد بالدفاع عن المدينة الى الأخير مستجيراً بقبيلته ومعلنأً مهدداً بأنه سيقا تل المهاجمين. وثانيهم أحمد أفندي عثمان رئيس بلدية أربيل الذي تمكن بتفانٍ وصبرٍ ولمكانة يحظى بها عند الأهالي من المحافظة على الهدوء والأمن والحيلولة دون أي عملية خرق للقانون. وثالثهم النقيب (هاي) الذي أشاعت شجاعته وامتانة أعصابه وحسن تصرفه الثقة في النفوس وبهذا أمكن إجتنا ب الكارثة.

في عين الوقت كان على الإدارة معالجة تأديب قبائل السورجي المشاركة في حصار أربيل (في حينه ساهم هؤلاء في نهب مدينة عقره مع الزيباريين) وتقرّر أن تُتخذ ضدهم إجراءات تأديبية مماثلة. لكنهم إنسحبوا وركنوا الى الهدوء حيناً، فعُدل عن الفكرة. ولم يكن متوقعاً أن يعيدوا الكرة حين بادروا في نيسان ١٩٢٠ الى إشهار السلاح بتحريض من الزيباريين.

وردت أنباء في كانون الثاني أن (فارس آغا الزيباري) توجه الى (بجيل) مع مسلحين يريد إغراء الشيخ عبيدالله النقشبندي بالإسهام في الهجوم على عقره. وأمکن تفادي المغامرة السوداء بحملة جويّة على القرية، ارغمت الزيباريين على الفرار قبل أن تتاح لهم فرصة تنفيذ مأربهم^(١٥). ولكن الدعاية التركبية نجحت فيهم.

١٤- هاي: المرجع السالف. ولسن: المرجع السالف. إيلمر هالدين: الثورة في ميسوپوتاميا. Sir James Aylmer Haldane: Insurrection in Mesopotamia ط. ادنبره ١٩٢٢. ص ١١٢.

١٥- تقرير عن الإدارة لمنطقة الموصل للعام ١٩٢٠. Adminstration Report of the Mosul Division for the year 1920. ص ١٠.

وبالأسبوع الثاني من نيسان ١٩٢٠ كمن السورجية لقافلة عسكرية في طريقها الى عقره فأبادوها وأشفقوا فعلتهم تلك بالهجوم على عقره بعدها بأيام قليلة إلا أن العريف البريطاني الذي كان على رأس الليفي المحلي أمكنه الدفاع والصمود لهم حتى وصول النجدة بعد أربع وعشرين ساعة.

وعلى إثر ذلك وُجّهت اليهم حملة تأديب لم تلق مقاومة، قامت بتدمير مراكز رئيسة ثلاثة لهم في المنطقة وتعذّر على القوة القبض على زعمائهم الذين لاذوا بالجبال عند إقتراب الرتل، ثم عادوا ليشاركوا سورجية أربيل في حصار أربيل.

معظم سورجية أربيل كانوا يشغلون سهل حرير، وهم على صلة بسورجية عقره وقد استطاعوا جرّ معظم هؤلاء الى صفهم وإزداد الوضع خطورة عندما انضم إليهم الخوشناو بشيء من التردد. إلا أنهم فشلوا في محاولة إحتلال أربيل كما قدّمنا بوصول النجدة من الموصل وكركوك^(١٦). فعبر معظمهم الزاب وصبّوا نار حنقهم جراً خبيثتهم على الآشوريين بمهاجمتهم معسكر جوجر، وشاركتهم قبائل العشائر السبعة إلا أن هجومهم صدّ بعد أن دفع الآشوريون ثمناً غالياً. وشرعوا في ملاحقة السورجيين المنحدرين الهارين باتجاه الزاب فقتلوا منهم عدداً كبيراً وغرق عدد أكثر^(١٧).

وفي نهاية العام ١٩٢٠ قدّم الشيخ قيوم وزمرة من شيوخ عقره الطاعة للإدارة في الموصل، أمّا الشيخ عبيدالله بجيل الذي كان قد شخص الى الموصل على أمل تعيينه قائماً في منطقته فقد وجد نفسه يواجه حكماً عليه بغرامة. على أن (وجي) أحد ابنائه أعلن خضوعه ثم تبعه أبوه في السنة عينها. وهذا ما حصل في بادينان بعد تمام

١٦- من المشاركين ببرز اسم نوري باويل، الذي ذكر بأن أخوين له قد قُتلا بأمر من إسماعيل بك قائمقام رواندوز. وأخ آخر له بإسم (يوسف بك) الذي توفي في ظروف غامضة أثناء ما كان معتقلاً في أربيل بأمر من النقيب (هاي). فقيام السورجية كان على أكثر تقدير ذا طابع إنتقامي. سيما وأن قاطع الطريق المشهور (حمهده شين) في سبيك قد انضم إليهم. [يراجع للتفاصيل: هاملتون: طريق في كردستان. من ترجمتنا. الطبعة الثانية. أربيل ١٩٩٩. الفصل السادس. ص ٧٣ وما بعدها. والفصل الثامن عشر. ص ٢٤٢ وما بعدها].

١٧- الجنرال هالدين. المرجع السالف. يقدر قتلاهم بستين. والغرقى بمائة وأربعين (مهد البشرية. من ترجمتنا. الطبعة الثالثة. أربيل ٢٠٠١. الص ٣٢٧-٣٣٠).

"كان وكيل الحاكم المدني العام قد وافق على مشروع إسكان الآشوريين اللاجئيين الذي قدمه بطرس البازي المعروف بـ(أغا بطرس) الذي نبه ذكره أثناء الحرب العظمى بقيادة آشورية ناجحة ضد الجيش التركي. إقترح بطرس أن يقود كل الآشوريين بعد تزويدهم بالسلاح الكافي لإحتلال منطقة كهوهر-أشنو. والخطة تقضي بأن يتقدم المحاربون أولاً لإحتلال المنطقة ثم يتبعهم النساء والأطفال. وصادق السير برسي كوكس على تلك السياسة بخطوطها العامة ونُقل الآشوريون الى (مندان) ومن هناك بدأت تخرشات قبائل السورجي بهم".

إحتلال الولاية.

* * * * *

لم يحصل تماسٌ فعليٌّ بين القوات البريطانية والعشائر الكردية في منطقة خانقين إلا بعد إحتلالها في كانون الأول ١٩١٧. قبل ذلك كانت هناك إعتبرات سياسية تقضي بأن لا يوسع البريطانيون منطقة نفوذهم. وفي خلال فترة إحتلال الروس لها كانت صلتهم الوحيدة بالزعيم الكردي الرئيس (مصطفى ياشا باجلان) ودامت تلك العلاقة بعد نزع خانقين من يد الترك.

في نهاية أيلول ١٩١٧ حقق البريطانيون صلةً بالشيخ حميد الطالباني. ومنه علموا بأن عشيرته والعشائر المجاورة الأخرى رفضت عروض الأتراك وأبت تزويدهم بالأرزاق. وكان الشيخ حميد قد حشد رجالاً له شمال شرق طاووق (دقوقا) وانضم إليه فرسان من قبائل أخرى كحلفائه (الداوده) وقنع البريطانيون أول الأمر بعلاقة طيبة مع هؤلاء والقبائل المجاورة الأخرى طالما كانت بعيدة عن التأثير التركي مقيمةً على رفضها تزويدهم بالأرزاق أثناء الحرب ولم يشجعوها على قتال الترك أو تهديد خطوط مواصلاتهم إذ لم يكن البريطانيون على إستعداد لمعاونتها.

وتوثقت العلاقة بالشيخ حميد الطالباني بعد ديبب النشاط في الإندفاع البريطاني ربيع العام ١٩١٨. وإحتلال كفري في ٢٨ من نيسان ثم طوزخورماتلو في ٢٩ وكركوك في السابع من أيار. وهنا فقط بدأ الكرد يفكرون في قتال الأتراك؛ كانت هناك قوة بحوالي المائتين نظمها (ميجر سون) ودرّبها النقيب جيرد R. C. Geord من الديلو والباجلان والسورميري وإشتبكت مع الترك في سيروان وفي منطقة تمتد حتى أربيل.

ووجه البريطانيون إهتمامهم الى شرق خانقين. وفي نيسان ١٩١٨ نجح الكلخاني والكلهور بمساندة فعّالة من الجيش البريطاني في إلحاق الهزيمة بقوات زعيم السنجابي علي أكبر خان وتشتيت شمل قواته. كان (علي أكبر) يتعاون مع (سليمان ميرزا) الديمقراطي الكردي في الوقت الذي بقي على صلة وثيقة بوكلاء الترك والألمان^(١٨).

مصدر إهتمام الإدارة البريطانية بهذا الجزء الذي يمتد داخل الأراضي الإيرانية تابع

١٨- الولاءات: المرجع السالف. وتقرير عن الإدارة: منطقة خانقين ١٩١٩ :- Report of Administration

1- Khaniqin District الص ٣٢-٣٣ مدارس. الهند ١٩١٩.

عن كونه الطريق الاستراتيجي الرئيس بين العراق وإيران. ولذلك بقي مركز تأمرٍ ودسائس وإحتراب وقتال بهدف السيطرة عليه، وأستُخدمت القبائل الكرديّة وقوداً، فمثلاً حُرِّضَ قسم معادٍ من الكوران والباجلان فقاموا بتدمير منشآت شركة النفط الانكلو الإيرانية وحملوا معداتها وآلاتها في (جياسُرخ) بالقرب من خانقين. في حين قام جماعة من الكلهور بمطاردة جماعة المسّاحين العسكريين البريطانيين. وجرّدت قوات بريطانية نجحت في إلقاء القبض على (سليمان مرزا) وإرساله الى بغداد. وواصل (علي أكبر خان) تعرضه للبريطانيين وكان الوكلاء الترك والألمان يمدّون عشيرته والعشائر الموالية له بالسلح والعتاد.

ليس من أغراض هذا الكتاب ايراد تفاصيل عن نشاط الوكلاء الألمان الذي شمل منطقة واسعة من كردستان الجنوبيّة الإيرانية وتركز بصورة خاصّة على تجنيد القبائل اللّرسانية والبختيارية وشراء زعمائها لمهاجمة المنشآت النفطية هناك وتدميرها وإيقاع أعظم الخسائر بالإنتاج النفطي وإحداث كل ما من شأنه عرقلة المجهود الحربي البريطاني في ميسوپوتاميا. إلا أن إغفال هذه المرحلة كلياً قد يعدّ إخلالاً بالسياق العام الذي أحرص عليه.

أرسل الألمان منذ هبوط الحملة البريطانية الفوا العديد من وكلائهم وتميّز منهم (فاسموس)^(١٩) ومعاونه ثون دروقيل. كانت مهمة (فاسموس) تنظيم عصابات من

١٩- Wassmus (١٨٨٠-١٩٣١) يعدّ أخطر وكيل إستخبارات لألمانيا في الحرب العظمى الأولى. في العام ١٩١٣ عيّن قنصلاً لألمانيا في بوشير. وأتقن الفارسية وكثيراً من لهجات كرد جنوب إيران الغربية ووثّق صلته بالعشائر فيها ونجح في تأليب عدد كبير منها ضد الحملة الإنكليزية والتواجد الإنكليزي هناك. وفتح فعلاً جبهة قتال لهم. وأحدق الفشل بمساعبه نزول حملة الفوا ونجح ميجر نوثيل في إلقاء القبض عليه إلا أنه أفلت من حراسه الإيرانيين وواصل نشاطه ثم = = ألقى القبض عليه ثانية وسُفّر الى أوروبا إلا أن الهدنة أدركته وهو في طريقه. ذكر أنه كتب مذكرات لم تطبع. لكن كاتباً بريطانيا يدعى (كريستوفر سايكس) كتب عنه كتاباً طبع في انكلترا العام ١٩٣٦ عنوانه (فاسموس لورنس الألمان) وقد خمل ذكره تماماً ولم يسمع به بعد الحرب. يتحدث إدmondز [كرد وترك وعرب: ترجمتنا، المرجع السالف، الص ٣٥-٣٦] عن أول معرفة له بالميجر نوثيل صاحب الدور الخطير في تاريخ كردستان وواحد من أحبّ الشخصيات الأجنبيّة التي قلوب الوطنيين الكرد ومبرزيهم. عرفه في العام ١٩١٣ بوظيفة نائب قنصل ومعاون الضابط السياسي في الأهوار. قال: "كان أول تعرفي به على ظهر الباخرة وأنا في طريقي الى بوشير وكان وقتها ملازماً في الجيش الهندي... وأذكر انه كان يتحدث عن ميله الى الإستقالة... مع أنه أختير في تلك الفترة للدائرة السياسية الخارجيّة وهي خير سلك في الوظائف الهندية. وبعد سنتين جاء الى بوشير ليتولى وظيفة معاون الثاني للمقيم السياسي البريطاني وفي أوائل الربيع ١٩١٥ شاركنا معاً في تعقيب (وكلاء الجهاد) الألمان الذين أرسلوا الى إيران لإثارة الفتن. وقد سجل

البختيارية واللُّر والتحرير على الجهاد وتهديد حقول النفط بالتعاون مع الوكلاء الترك؛ وقد تمكن الميجر نوئيل الذي كان إذ ذاك معاوناً للمقيم السياسي البريطاني في (بوشير) من تعقيبه وإلقاء القبض عليه. إلا أن معاونه ثون دروشيل بقي يواصل نشاطه حتى العام ١٩١٨ وإختفى مثلما إختفى معه (علي أكبر خان) بعدما أصيب بجراح أثناء الإشتباك الذي نوهنا به، وغابا عن الصورة تماماً. قلّد الفضل بهذا النجاح للميجر (گولدسمث) الضابط السياسي المعين في خانقين بعد إحتلالها مباشرة. وإن صدّقنا التقارير التي أرسلها هذا الضابط الشجاع فيكون هو أوّل من نبه الإدارة البريطانية به بناءً على ما جمعه من معلومات حوله أثناء جولة تفقدية للأحياء الشمالية من الريف (٢٠).

مأثرة تاريخية لنفسه عندما ألقى القبض بنفسه على فاسموس أشهر أولئك الوكلاء وأبعدهم صيتاً بالقرب من (بندر ديلا) وهو مرفأ صغير شمال بوشير. إلا أن فاسموس تمكن من الإفلات من حراسة الإيرانيين ليلاً. وفي اليوم التالي تعرض نوئيل لخطر الأسر من قبل رجال القبائل الذين تمكن صاحبنا الألماني من إستمالتهم ولم ينج إلا بشق الأنفس. بعد هذا بقليل نُقل الى البصرة... كان نوئيل قبل الحرب بسنة واحدة أو إثنين أحد المرشحين للفوز بسباق (كادير) أعظم حدث رياضي في الهند لصيد الخنزير بالرمح على ظهر الخيل. فهو فارس لا يُشق له غبار. ضرب ارقاماً قياسية في السفر السريع سواء في سهول الكارون ودجلة أو في جبال البختيارية. الى جانب تقلده منصبه هذا راح يلح على السلطة لإرساله الى تفليس مندوباً الى حملة الجنرال ونستر فيل. إلا ان الثوار الجنكليين ألقوا القبض عليه وهو في طريق الأوية بتحرير من البلاشفة المتواجدين على بحر قزوين وعموم أسمى معاملة وأبقي سجيناً خمسة أشهر كاملة حتى أُطلق سراحه بموجب معاهدة الصلح الميرمة بعد هزيمة الجنكليين. وفي أثناء فترة سجنه قام بمحاولات فرار عديدة فاشلة. وكانت كل محاولة سبباً لزيادة الضغط عليه. وعاد الى بغداد بعد الإفراج عنه متعطشاً للمغامرات فأرسل الى السليمانية.

٢٠- المرجع السالف: تقرير الإدارة عن خانقين. جاء في التقرير: "في أثناء هذه الجولة بعث الشيخ محمود سليمانيه ممثلاً للقائي طالباً منحه صلاحية العمل كممثل للحكومة البريطانية في السليمانية إنتظاراً لمقدمنا. مامن شك في أن إنتصاراتنا أدهشت الكرد فقرروا الإنضمام الى الفريق الفائق". وجاء في التقرير أن رسائل وردت من قبيلة الهموند تعرب فيها عن إستعدادها لكل مساعدة تطلب منها.

الفصل الحادي عشر

إستقلال الكرد والعقبات. الجمعيات والأحزاب الكردية الناشطة.
إتفاقية سان ريمو ومبدأ الإنتداب. قيام الشيخ محمود الحفيد.
نظام بروس - ساندمان في كردستان. أعمال الإغاثة في الأنحاء
المتضررة. مجهودات ميجر نوئيل. آراء الضباط السياسيين حول
الإدارة (سون. لونجريك. هاي. جاردين). تثبيت النظام القبائلي في
جنوب كردستان على ضوء مصلحة المحتل.

الوعد بإنشاء دولة كردية مستقلة واحدة أو أكثر - كان في مبدء الأمر جدياً
والتقارير كلهاً تقريباً مع المحادثات والمشاورات التي كانت تستبقها - تنبيء بأنهم
عقدوا النية على هذا وبدأت المحاولات فعلاً بمعاهدة سيقر المجهضة. وبالإهتمام
الفجائي البريطاني بوجود التمسك بولاية الموصل والتشيث بعدم خروجها من يدهم.
إلا أن الوعد لم يُنجز. وإرهاصات سياستهم القلقة المتحولة في ميسوپوتاميا دفعت
البريطانيين خطوةً إثر خطوة إلى التنكّر للأمانى الكردية في التحرر أي الى التملص من
التبعية والنكث بالوعد. وخلفاؤها العرب في الإدارة لم يكونوا أكثر منها إستجابة
لتلك الوعد.

سياسياً - وهو ماوجب قوله. لم يكن الكرد كأمة مهيين قط لإفادة من الموقف
الدولي لما بعد الحرب أو التجاوب معه. كانت هناك صعوبة المواصلات بين أرجاء
كردستان المؤدية الى تفرق المجتمع الكردي، وطبيعة العلاقات بين القبائل جعلت إتخاذ
موقف سياسيّ موحد مستحيلاً. وعلى العموم كان معظم الشيوخ والأغوات في مبدء
الأمر مستعدين للسير مع المحتلّ الجديد طالما إتبع أسلوب الإدارة القديم الذي تعودوه
وصار تقليداً. إلا أن الخضوع للحكم العربي كان لقمة لم تستطع معدّم هضمها. كان
العرب في العهد العثماني مثلهم أمة مضطهدة تقف على الدرجة الثانية من المواطنة،
وهؤلاء أشقاؤهم الخاضعون الآن لحكومة استنبول يتحدث رجالهم بجرأة حول حكم ذاتي

كردي مع رجال الحكم هناك وبناقشون معهم مقداره.

فُرض عليهم الحكم العربي المباشر في الوقت الذي برزت طبقة جديدة في المجتمع الكردي الطبقة المتعلّمة غير القبلية في مدن كردستان وتنامي الشعور القومي وهبوب رياح التحرر من الخارج. تلك الطبقة التي وقع عليها تاريخياً ونضالياً عبء تعبئة الكرد سياسياً وفكرياً كشعبٍ موحدٍ لا كقبائل متفرقة، شاء سوء حظهم أن بريطانيا، تخلّت عن فكرة الإستقلال الكردي وحالت دون إستخدام حق تقرير المصير في عين الوقت الذي كانت تلك الطبقة مستعدةً للتعبئة القومية العامة. وفي عين الوقت الذي ثبتّ البريطانيون والعرب في بغداد طبقة رؤساء العشائر والأغوات وجعلوها بمثابة وسيط ضمناً لإمرار سياستيهما وتأكيداً لخضوع الكرد لها.

والشعب الكردي إذ ذاك - وحظّه دون حظوظ الشعب الأخرى في الجامعة العثمانية - من ضغط للرأي العام تمثله صحافة ووسائل إعلام وأحزاب سياسية جماهيرية. شعب حُرّم العلم لأن أقل من نصف بالمائة من سكانه فقط نعموا ببركة القراءة والكتابة. ولأن تلك الجمعيات والأحزاب التي لهج بذكرها مؤرخو الكرد ومتحمسوهم ليقدموا لنا صورة فيها من المبالغة الطفولية ما فيها. لم تكن في الحقيقة غير مجموعات لا تتجاوز أصابع اليدين عدداً من شخصيات بارزة متنفذة لا تجد لصوتها سماعاً لو شاءت الصراخ في الشارع أو لو أتيح لأفرادها إعتلاء المنابر.

ضللنا الكتاب الكرد كثيراً في تضخيم أدوار هذه التشكيلات التي لم تكن في الواقع إلا منظومات ضيقة جداً لا تمتاز بقاعدة شعبية. لكن تستمد حياتها وتأثيرها من شخصيات مؤسسها في ظرفٍ ومكانٍ معينين. وفي مطلع العام ١٩٢٠. ميّز المؤرخون في كردستان الى جانب (النادي الكردي) الذي تحدثنا عنه. خمسة أحزاب أو جمعيات قومية كردية تعمل لتحرير كردستان. وأهمها (العصبة الكردية المركزية) التي أسسها أمين عالي. والحزب الديمقراطي الكردي وأبرز من فيه ممدوح سليم بكير. وجمعية (هيفي= الأمل) الكردية الطلابية. وجمعية نشر المعارف الشعبية. وحزب الإستقلال الكردي أخيراً وهناك جمعيات وأحزاب أخرى لم تعش طويلاً، وقصرت تلك الجمعيات جلّ اهتمامها على ترجمة الآمال السياسية الكردية بمذكرات وبيانات ولقاءات وإنحصر نشاطها في المجتمعات الحضرية وكان نشاطها بله تأثيرها يكاد يكون معدوماً في

المجتمعات القبائلية على مستوى القواعد. إلا أنها نجحت الى حد ما في تجنيد بعض رؤساء العشائر والأغوات للقضية الكردية وبقيت القضية الكردية الكرة التي تتقاذفها أرجل اللاعبين في ملاعب السياسة الدولية لاسيما في (قرساي).

والتحول المتدرج في السياسة البريطانية إزاء قضية التحرر الكردي ينعكس في التعامل مع حكم الشيخ محمود وثانيتها معالجتهما قضية ولاية الموصل.

كان هناك غموض وتذبذب دام أكثر من ست سنوات قبل تسوية قضية الموصل التي حكمت بدورها على مصير الشيخ محمود. تزايد هذا الغموض وإستفحل بعدة عوامل، منها محاولة الأتراك الإخلال بإستقرار جنوب كردستان وقد بدأ فور الجلاء التركي عنها وإعتماد خطأ بروكسل - حدوداً مؤقتة. ومنها عدم إستقرار الوايت هول على رأي في إستحداث دولة عازلة كردية أو ضم جنوب كردستان الى الدولة الجديدة واللوم كله يقع على البريطانيين وليس على أحد. رأينا في ما سلف أنهم تسلموا الولاية من فرنسا وفقاً للصفقة التي نوهنا بها، إلا أن الوايت هول بقي زهاء سنتين حائراً في ما يصنع بها حتى إستقر لهم الرأي النهائي في أيلول ١٩٢٠. وسنجد السليمانيه الذي بدا بؤرة الإشعاع القومي الكردي فوراً كان جزءاً من الولاية.

وفي نيسان ١٩٢٠ قررت الحكومة البريطانية فجأة - وعندما لم يعد في وسعها التأخير أن تكون الولاية ضمن الدولة العراقية، بل حتى ذلك التاريخ لم يكن الأمر مؤكداً في أن تكون ضمن النفوذ البريطاني بكيان كردي أكد فيه للکرد بأن فكرة تقرير المصير ستسير في سبيلها دون اعتراض. إلا أنه لم يبد من البريطانيين ما يشير الى كيفية تطبيق هذا المبدأ. أفي ظل إنتداب بإنفصال جزئي عن بقية العراق. أم بضم مشروط بضمانات^(١).

١- على إثر الإتفاق الأولي بين لويد جورج وكليمانصو حول ضم جنوب كردستان (ولاية الموصل) الى النفوذ البريطاني وإخراجها من دائرة النفوذ الفرنسي وتم التنازل رسمياً عند توقيع إتفاقية (سان ريمو) المدينة الإيطالية في الخامس والعشرين من نيسان ١٩٢٠ لقاء تعهد لويد جورج وبإقتراح منه بمنح فرنسا ٢٥ بالمائة من أسهم إمتياز إستثمار نفط ما بين النهرين وهي حصص ألمانيا من الشركة التركية الألمانية البريطانية) التي حصلت على الإمتياز من السلطان العثماني قبل نشوب الحرب. كما نصت إتفاقية سان ريمو على تقسيم الإنتدابات فإستأثرت فرنسا بالإنتداب على سورية ولبنان وأنيط إنتداب فلسطين والعراق ببريطانيا. لكن بقي مسكوتاً عن ولاية الموصل نظراً لإدعاء التركي. أعلنت نصوص الإتفاق في اليوم التالي إلا أنها لم تعلن في العراق إلا بعد أسبوع...

إلا أن الأمر الجوهري الذي كان يشغل بال السلطة المحتلة بعد الهدنة هو إستتباب الأمن والنظام وإزالة آثار المجاعة التي إكتسحت كردستان خلال السنتين الأخيرتين من الحرب وإحلال نوعٍ من الثقة الإقتصادية في المنطقة التي شملها القحط، وتحقيقاً لهذه الغاية إنتدب الميجر نوئيل ليقوم بزيارة تفقدٍ للمنطقة الواقعة بين الزاب الأسفل ونهر ديالى في تشرين الثاني ١٩١٨. وحددت مهمته بالشكل الآتي:

"... سيكون من مهماتك، الإتفاق مع الرؤساء المحليين على تدابير لحفظ

= في الواقع إن هذا الحلّ كان قد جرى الإتفاق عليه بين الدولتين العظميين بمداولات خاصّة سبقت معاهدة سان ريمو. وأقبل الطرفان الى المؤتمر جاهزين للتوقيع ليس إلا. ويبدو ذلك واضحاً من البيان الذي ألقاه لويد جورج في مجلس العموم البريطاني قبل التوقيع على المعاهدة بشهر واحد (في ٢٥ آذار ١٩٢٠). رداً حول الحملة البرلمانية المطالبة بالجملاء عن العراق بإعتبار النفقات التي تصرف هناك عبئاً لا مبرر له على دافع الضريبة البريطاني ليس فيها ما يعوضه عنها. قال رئيس الحكومة:

"ربما تخلينا عن البلاد (العراقية) كلّها. لكنني لا أفهم الحكمة في انسحابنا من الجزء الأهم الذي يبشر بالخير العميم. فولاية الموصل ذات موارد عظيمة لأن فيها راسب نفطية غنية ولعلها أغنى الموارد الطبيعية في العالم... ماذا سيحصل لو خرجنا منها؟ إن لم نتولّ أمرها بأنفسنا فربما حلّت دولة أخرى محلنا. ومالم تضطلع دولة من الدول بهذه المسؤولية في بلاد ما بين النهرين فقد تبقى على حالها من التأخر أو قد تزداد تأخراً وبعد النفقات الباهظة التي أنفقتها في سبيل تحرير تلك البلاد من نير الترك. أترانا سنعرّضها للفوضى والقتل مرة أخرى؟ إذا حرمتهم من هذا، إذا أنكرتم عليهم الحكومة العربية المركزية الوحيدة، فعليكم أن تخلقوا لهم حكومة أخرى في مكانها. لقد أستطلع رأيهم واستفتوا وفي ظني أنهم يرغبون في بقاء الحكم البريطاني بدون إستثناء. ولو نحن تخلينا عن مسؤولية تقديمهم والأخذ بيدهم فسيكون منّا عملاً اخرق لاندري كيف نبرره. إنهم يختلفون فحسب حول شكل الحكومة المستقلة التي يفضلونها. ونحن لانقول بحكم البلاد كجزء من الدمينيون البريطاني وسنّ قوانين لهم تجرى هذا المجرى. كلا نحن لانريد هذا بل نريد أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم ولنا المشورة والنصح والتوصية والمساعدة على إدارة دفة الحكم... إلا أن الحكم يجب أن يكون عربياً وعلينا إحترام الوعد الرسمي الذي قطعناه لملفائنا في تشرين الثاني ١٩١٨. لقد أجمع العرب على كرههم العودة الى حكم الترك وهم متفقون على رغبتهم في حكم بريطاني... ليس من حقنا أن نتكلم عن العراق كما لو كنّا منتدبين عليه فعلاً حتى يتم عقد معاهدة صلح مع تركيا. وعندما يتم ذلك بصورة نهائية وتوضع مسألة من ستكون الدولة المنتدبة على العراق، فسنتطلب حتماً بأن نكون نحن تلك الدولة المنتدبة على العراق بما فيه ولاية الموصل."

لا شيء في هذا عن نية في خلق كيان كردي سياسي منفصل عن بقية العراق.

الأمن في المناطق التي لم يبلغها بعد إحتلالنا العسكري... يجب أن توضّح لهؤلاء الزعماء بأن التدابير التي ستتخذها إنما هي بداعي الضرورة الحالية وهي معرّضةً أبداً لإعادة النظر... إنك كذلك مخوّل بتعيين الشيخ محمود ممثلاً لنا في السليمانيه إن وجدت ذلك مناسباً. ولك أن تقوم بتعيينات مماثلة أخرى في چمچمال وحبججه وغيرها كلما وجدت ذلك مناسباً... عليك أن تبين لأولئك الرؤساء القبائليين الذين سترتبط معهم بعلاقات أنه ليس في النية أبداً أن تفرض عليهم إدارة أجنبية غريبة لا تتفق وتقاليدهم أو رغباتهم. ويجب أن يُشجع زعماء القبائل على تأليف إتحادات (كونفدراليات) لإدارة شؤونهم المحلية تحت نظارة الضباط السياسيين البريطانيين"^(٢)

٢- تراجع الوثيقة 4192 - Fo. 371 - سياسي في ص ٩. من المرجع السالف: وقائع الأمور Precis of Affairs ونصها يختلف عن النص الكامل الذي ورد في كتاب ولسن، الولاءات: ج ٢. الص ١٢٧-١٢٨. وهذا هو:

"... والسليمانيه التي تلقينا دعوة إليها من الشيخ محمود، فقد كانت فيها وحدات تركية مألوفة أن إنسحبت منها بموجب شروط الهدنة. وبعثت بالميجر نوئيل ليكتب لي تقريراً عن الحالة. وأستقبل إستقبالاً حماسياً. عند وصوله في منتصف شهر تشرين الثاني. وقد زوّدت به هذه التعليمات:

"أنت الآن الضابط السياسي لسنجق (لواء) كركوك منذ الأول من شهر تشرين الثاني وهذا اللواء يقع بين الزاب الأسفل ونهر ديبالي حتى الحدود التركية الفارسية شرقاً. وهو جزء من ولاية الموصل، ومصيرها النهائي مدار اهتمام حكومة جلالته. هذا الاقليم في الحال الحاضر يعتبر ضمن منطقة الإحتلال العسكري وإدارتنا وسيكون تعاملك مع زعماء القوم هناك بهذه الصفة وعلى هذا الأساس. وأرجو أن لا يغيب عن بالك بأن الإدارة قد ترسل قسوات عسكرية ترابط في السليمانيه بشكل دائم. وربما الى أماكن غيرها تقع شرق حدودنا الحالية. وعليك أن تتخذ الإجراءات اللازمة بالتعاون مع الزعماء المحليين للمحافظة على الأمن والنظام لاسيما في المواضع الخارجة عن حدود إحتلالنا العسكري. وعليك أيضاً أن تقضي على نشاط عملاء العدو. وتأمين ماتحتاجه قواتنا من أرزاق. وقد خولتكم بإنفاق المبالغ الضرورية بحدود ماخولت به. وليكن معلوماً لك وللرؤساء المحليين بأن التدابير التي ستتخذها هي بدافع الضرورة ولذلك ستكون مؤقتة وعرضة لإعادة النظر بين آن وآخر ولقد خولتكم أيضاً بتعيين الشيخ محمود ممثلاً لنا في السليمانيه ولك أن تجري تعيينات مماثلة في كل من چمچمال وحبججه وحيثما وجدت ذلك مناسباً وعليك أن توضّح للرؤساء الذي تتصل بهم أن حكومة جلالته لا تنوي فرض نوع من الإدارة لا يتفق وعاداتهم ورغباتهم. ويجب عليك تشجيع رؤساء القبائل على تشكيل إتحادات لغرض =

على ضوء هذه التعليمات باشر ميجر نوئيل عملهً بهمةً ونشاط غير عاديين. وأثبت تعيين الشيخ محمود في مركز كان يباشره قبل وصوله. وكان الشيخ قبله قد طلب ببرقية بعث بها الى بغداد أن تُستثنى كردستان من قائمة الشعوب التي تحكم مباشرة من قبل البريطانيين. ولا ندري أكان طلبه هذا مدفوعاً بنية ترك يده حُرّة في معالجة الأمور دون تدخل من سلطات الإحتلال^(٣).

كان (نوئيل) أحبّ الممثلين البريطانيين وأقربهم الى قلوب الكرد نظراً لما إتصف به من وعي وإدراك لعدالة قضيتهم ويقدر ماعمل مخلصاً لأجلها إلا أن التناقض الواضح بين ما أرادته حكومته وما يصبو إليه الكرد جعل مهمته عسيرة بل مستحيلة.

في الشهر التالي قام ولسن الحاكم المدني العام بالوكالة بزيارة السلعيمنيه وإلتقى الشيخ محمود مع حوالي ستين من زعماء جنوب كردستان من بينهم رؤساء كبار من كرد إيران من سنه وسقز وهورامان الإيرانية. وإجتمع ملياً بالشيخ محمود على إفراد وبحث معه الأوضاع السياسية وتأكّد من إصراره على مقاومة الأتراك. وبعد حديث طويل وجد إجماعاً فعلياً من الزعماء بعدم قبول عودة الأتراك وإلتفاق العام على الحاجة الى الحماية البريطانية على أن عدداً منهم كانوا يشكون في حكمة ترك البريطانيين يديرون شؤون كردستان في حين أصرّ آخرون على وجوب فصل كردستان عن العراق وإدارتها من لندن مباشرة لا من بغداد. واضح أن هؤلاء كانوا يمتّون أنفسهم بإستمرار استمّتاعهم بتلك الحرية التي مارسوها خلال الحكم العثماني مستفيدين من المسافة البعيدة بينهم وبين مركز الحكومة. وإكتشف ولسن خلال الزيارة وكان ينوي تقليد الشيخ محمود الحاكمة العامة على المنطقة. أن الشيخ لا يحظى بولاء وإحترام رؤساء كفري وكركوك، فقد قالوا له إن أهالي مدينتيهما لا يرغبون في أن يمتد حكم الشيخ اليهم وأن يُتركوا وشأنهم ليستدبروا أمرهم وحدهم مع سلطة الإحتلال. إلا أن ولسن خرج بإتفاق مع الزعماء عريض الخطوط موقع من أربعين رئيساً وسلم جوابه

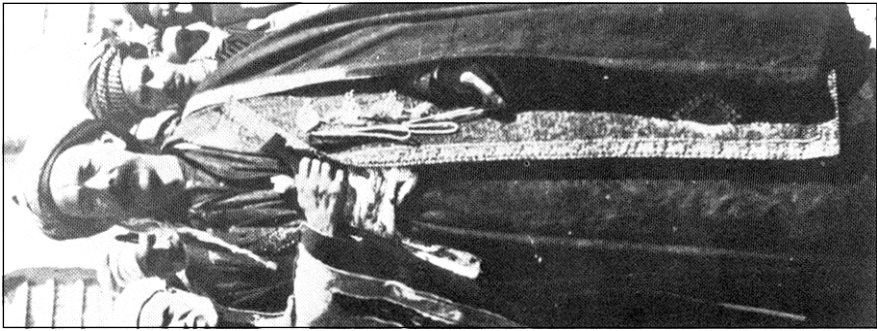
= الفصل في نزاعاتهم تحت رعاية ومشاورة الضباط السياسيين البريطانيين. وعليهم أن يواصلوا دفع الضرائب القانونية المستحقة عليهم بموجب القوانين التركية. ولك أن تتصرف في هذا الأمر بداعي الضرورة ويقدر مايتعلق الأمر بالأمن".

٣- البرقية محفوظة في تقرير مرفوع من الإدارة في ميسوپوتاميا الى وزارة الهند (المستعمرات).

برقم 371 - 3407. Fo.



الشيخ محمود الحفيد



الشيخ محمود
الحفيد
حكم دار السلطنة
١٩٢٠

للشيخ مؤيداً النقاط الرئيسية فيها ومثبتاً سلطة الشيخ. ليس بين الوثائق نصّ لهذه الرسالة الجوابية إلا أن ما ذكره ولسن عنها وماورد في تقارير غيرترود بل تؤيد انها البناء الذي رست عليه سلطة الشيخ محمود. وبالمقابل سلّم الشيخ تصريحاً بريطانياً جاء فيه:

"أي قبيلة كردية تستوطن الأراضي الممتدة من الزاب الكبير حتى نهر ديالى (باستثناء القبائل الإيرانية) تقبل بإرادتها الحرّة حكم الشيخ محمود، لآمانع هناك من أن تفعل ذلك. إنّ الشيخ يحظى بمساندتنا الأدبية في بسط نفوذه على المناطق المذكورة المنضمة نيابة عن الحكومة البريطانية التي تعهدّ الشيخ بإطاعة أوامرها".

واليك نصّ الوثيقة التي حملت توقيع الزعماء الأربعة:

"من حيث أن حكومة صاحب الجلالة البريطانية قد أعلنت بأنّ هدفها من الحرب هو تحرير شعوب الشرق من الحكم التركي الظالم ومدّد يد المساعدة لهم لبناء استقلالهم فإن رؤساء وممثلي كردستان طلبوا من حكومة صاحب الجلالة البريطانية قبولهم تحت الحماية البريطانية أيضاً. وأنّ تنشيء صلّتهم بالعراق بحيث لا يحرمون من فوائد هذه الشراكة وهم يرجون من الحاكم المدني العام لمسوپوتاميا أن يرسل اليهم ممثلاً يحمل معه المساعدات الضرورية لإعانة الشعب الكردي تحت الرعاية البريطانية - على إرتقاء سلم التقدم في مضمّار المدنية بسلام. فإذا ما عرضت حكومة صاحب الجلالة البريطانية مسانبتها وحمايتها فإنهم مقابل ذلك يتعهدون بإطاعة أوامرها والعمل بنصائحها".^(٤)

يقول ولسن أن الشيخ سلّم له بنفسه هذه الوثيقة.

ليس في محتوى هاتين الوثيقتين ما يشير الى مشروع ما لإقامة حكومة كردية. ولا ماينم عن أن البريطانيين يملكون فكرةً حول إقامة نوع من حكومة أو إدارة كردية خالصة. والوثيقتان معاً في الواقع لاتقومان مقام إتفاق رسمي بين طرفين متساويين في السيادة والسلطة ومهما إعتبرهما الشيخ أو أيّ مواطن كردي آخر فما من شك في أنّ البريطانيين كانوا يعتبرونهما مجرد ورقتي عمل عموميّتي الطابع ليس فيها أيّ إلتزام

٤- من تقرير للضابط السياسي. [ص ١٠] P.O.A - 4192 - 371.Fo.

بل هما عرضة للتأويل وذات طابع مؤقت مجرد إتفاق أبرم مع زعيم محليّ عظيم الحول بهدف معين مرهون بفترة قصيرة. يلاحظ أيضاً أن الوثيقتين خاليتان من تحديد معين مانع للجهالة - للسلطة التي تمتد إليها يد الشيخ أو تحتويها. كما يلاحظ في الوثيقة التي ذُبلت بأربعين توقيعاً وبضمنهم توقيع الشيخ، أن أصحابها أضفوا على أنفسهم صفة تمثيل الشعب في كردستان وأنهم إنما يتكلمون بإسمه مما يستنتج بأن سلطة الشيخ مستمدة من الشعب الكردي لا من بريطانيا وإنه في الواقع يرى نفسه كذلك. ولهذا وجب أن تمتد سلطته هذه الى كلّ كرد ولاية الموصل فلا تكون قاصرة على الحدود التي رسمها له البريطانيون. إلا أن البريطانيين كانوا يرون عكس ذلك وأبوا بإصرار أن يقرّوا للشيخ بهذا الإدعاء، بل لم يكتف الحاكم المدني بتجاهل الإدعاء، وإنما تقصّد فعلاً الإشارة بأن سلطة الشيخ مستمدة من الحكومة البريطانية ليس إلا وبصراحة مؤلمة: أن الشيخ لا يتمتع بمساندة البريطانيين إلا بمواصلته تنفيذ أوامرهم بوصفه وكيلاً لهم.

بحثت أمور أخرى أثناء اللقاء. وذكر أن الشيخ طلب أن تُنأط مسؤوليات الدوائر كلها بضباط بريطانيين على أن يعاونهم موظفون أكراد في الإدارات الثانوية، وليس عرباً وأن تُنأط بهم أيضاً مسؤولية قيادة القوات المجنّدة محلياً.

والظاهر من كلّ هذا أن البريطانيين وقبل هذا اللقاء كانوا قد توصلوا الى صعوبة إقامة "كردستان جنوبية موحدة". ربما بسبب الحالة البدائية التي يعيشها مواطنوها، النزاعات القبائلية وفقدان وسائل المواصلات وشحّة في المتعلمين لإشغال الوظائف. وتكشف التقارير أن الإدارة البريطانية راحت لفترة من الزمن تداعب فكرة خلق شبكة من دويلات (إمارات؟) أو مناطق إدارية بحسب الإنتساب العشائري ووفق الحاجات الإقتصادية للمناطق كلاً على حدة تمهيداً لضمّ بعضها الى بعض بعد حين من الزمن ليعمل منها وحدة سياسية في وقتٍ تالٍ.

وفي السليمانية التي باتت فجأة بؤرة الإشعاع القومي بالصحافة الناشئة بعد الهدنة. ويقدم عدد كبير من الموظفين العثمانيين الكرد المسرحين ومثلهم من الضباط الذين إتفقوا حول الشيخ وسلّموا بقيادته - بدت الإجراءات البريطانية بعيدة كلّ البعد عن التصريحات الدولية بشأن حقوق الشعوب في تقرير مصيرها. وإزالة العقبات أمام نضالها في سبيل الإستقلال. وإهتزت الثقة عموماً بقيمة هذه التدابير التمهيدية التي

نمّت على إصرار بريطاني في القبض على ناحية الأمور في كردستان. كما كانت هناك التجربة الأليمة في صدق الوعود البريطانية أثناء الحرب عندما أقدم الجيش البريطاني على الإنسحاب من كردستان مؤقتاً وعرضوا المتعاونين معهم إلى الإنتقام التركي^(٥). بدا لهم إخلاء الجنود البريطانيين في ١٩١٩ من ميسوپوتاميا شيئاً شبيهاً بما حصل في

٥- ولسن: المرجع السالف ج ٢ ص ٨٦. "إن القرار بإخلاء كركوك تمّ بعد أيام من وصول رسالة الشيخ محمود. وأنه اضطر الى إخبار الكرد بأن الجيش البريطاني سينسحب من المدينة وأنحائها "بسبب حرارة الجو" على أنهم سيعودون وشيكاً" ثم يستطرد: "قبلت بإقتراح الشيخ محمود بأن يكون ممثلاً لنا لو إستطاع ذلك. وخوّلته فعلاً إصدار بيان للجُمهور بهذا. برسالة بعثت بها إليه موقعة من الحاكم المدني العام تتضمن تعيينه ممثلاً لبريطانيا في السليمانية وسائر المنطقة. في عين الوقت الذي شرع بتشكيل وحدات من الليثي الكردي في خانقين ومثيلتها في حلبجة وكان الأمل بها أن تسند حكم الشيخ محمود. لم يصدر هذا البيان والأترك عادوا يحتلون كركوك في ٢٤ من أيار ١٩١٨ حال خروج البريطانيين منها ثم أرسلت في عين الوقت قوة الى السليمانية فأحتلتها وأعلنت الأحكام العرفية وألقي القبض على الشيخ محمود وعدد من الشخصيات المؤيدة له وحوكم بعضهم وفُرضت غرامات على بعضهم. كلّ من شارك في حركة الشيخ أصيب بضرر وخسار وياتوا موضع سخرية وتندرّ. بل أصابهم الخجل وطُعن كراماتهم كما ذكرت كيرتود بل [تقرير عن الإدارة - المرجع السالف، ص ٤٨] وتستطرد: "كان مصدر عجب شديد أن الأترك على غير عاداتهم أو المتوقع منهم لم يعمدوا الى القسوة المعروفة عنهم. فقد عمل الثائرون معاملة رقيقة كريمة. في الظاهر أنهم كانوا يخشون إنتفاضة عشائرية كاسحة فعافوا الإجراءات الإنتقامية ولم يلحقوا أذى بالشيخ بل أطلقوا سراحه بعد فترة قصيرة وأذنوا له بالعودة الى السليمانية. وتبدلت سياستهم تماماً: الأرزاق التي كانوا يحصلون عليها من الأهالي يُدفع ثمنها نقداً. مرتبات الليثي الكردي كانت تدفع بانتظام. أثر هذا الإنقلاب كثيراً على مزاج الكرد حتى أن عدداً منهم تطوعوا للحرب الى جانب الأترك.

لم يكن إنسحاب البريطانيين من كردستان (كركوك) "بسبب حرارة الجو" كما قال ولسن. وإنما كان بسبب تدهور الموقف العسكري للحلفاء في ماوراء القفقاس. والإفتراض بأن يُعهد للقوات المتواجدة في ميسوپوتاميا بواجبات إضافية في ميادين أخرى. إلا أن إنسحابهم سدّد ضربة موجعة الى سمعتهم. بقوا يعانون آثارها على حسب تعبير كيرتود بل الى ما بعد نهاية الحرب وإنتصارهم. وكما كان متوقفاً إستغلّ الترك هذا إستغلالاً كبيراً.

ويصرّ أرنولد ولسن بأنه فوجيء تماماً بالإنسحاب من كركوك ولم تكن لديه أية فكرة عنه حتى الضابط السياسي المعين هناك (الميجر ريدر بولارد) كلّ ما كان يعلمه من الجهات العسكرية أن إحتلال المدينة ليس دائماً. وتستتلي (بل): "كان التأثير آنياً وفورياً فقد بقيت الجهود البريطانية لتشكيل قوة كردية محلية تعاني العقم طوال الصيف ولا تلتقي صدى. في حين نجح الترك في تطويع قوة كبيرة من الخيالة الكرد وضمهم الى قواتهم التي تعمل في إيران.

أيار ١٩١٨.

في بريطانيا كانت هناك ضجة كبرى حول تواجد الفرق العديدة من الجنود في العراق. وواجهت حكومة لويد جورج حملة عنيفة تساندها الصحافة الإنكليزية حول النفقات. والأموال الطائلة التي تُصرف على جيش الإحتلال اللجب لتقع كلها على عاتق دافع الضريبة البريطاني. فضلاً عن الضرورة التي تقضي بتسريح الجيوش بعد ختام الحرب وكان من أثر ذلك أن أخذت القوات تجلو تبعاً ورتب بدل ذلك أن يكون للقوة الجوية البريطانية الحضور العسكري الرئيس في العراق بدلاً من القوات الأرضية. وتوهم القوم بأن الحكومة البريطانية ستخلي الجو للحكام العرب إن لم يكن لإعادة ولاية الموصل الى الأتراك.

يقول ولسن:

"ما من شك أن الكرد يحفظون علينا. فقد وضعناهم مرة أخرى في حيرة وأسلمناهم فريسة للشكوك والظنون، فقد بدا لهم أن التأكيدات التي أعطيت بسخاء من قبل ضباط لايشعرون بالمسؤولية ليست أهلاً للإعتماد. شجعناهم على أعدائهم الترك ثم تركناهم في العراء... زعماء الهموند بنوع خاص لم يغفروا لنا وظلوا يناصبوننا العداة سنوات طويلة بعدها. قالوا هاهم بعد أن فتحوا ميسوپوتاميا بادروا الى إعادة جنودهم الى بلادهم في ١٩١٩... تجار ومسافرون عائدون الى السليمانيه من البصرة وبغداد، كانوا يتحدثون عن أفواج من الجنود ترحل يومياً بالسفن والقطار ويخامر رؤوس الكثيرين الشك في أننا سنسحب من كردستان ونترك سكانها الى مصيرهم أو الى دسائس الأذعياء بالسلطة. وقد رسخت هذه الفكرة في النفوس وأصبحت حقيقة لامراء فيها.

هناك سبب آخر للشك والتوتر. تلك مسألة اللاجئيين الآشوريين الذين جاؤا من حكاري وأورميه والذين طردهم كرد برادوست من منطقة العماديه أثناء الحرب. ففي ربيع العام ١٩١٩ ألقت السلطات البريطانية من هؤلاء الذين ضمهم معسكر بعقوبة فوجين من الليشي صارت تستخدمهما في إجراء عمليات تآديبية وتمشيط بعض المناطق بغية توطين اللاجئيين فيها. وأثار مخاوف الكرد حديث الحلفاء بحماسة وجدية حول منح المسيحيين حق تقرير المصير. والحديث حول إنزال العقاب بأولئك الذين أقدموا على

جرائم حرب من القبائل التي تعاونت مع الترك في مذابح الأرمن. لم تحاول الإدارة حتى أيار ١٩١٩ تبديد تلك الشائعات إلا عندما تبين لها أن الوضع يهدد بإنفجار وربما بشورة خطيرة. وعندها أصدرت الإدارة بياناً تنفي تلك الشائعات مؤكدةً بأنها لن تحاسب الكرد المتهمين بذلك.

* * * * *

الميجر نوئيل E.W.C. Noel ضابط ذو خبرة نادرة وإرادة حديدية وحيوية لا تضارع. لم يضيع وقتاً بل قام بجولة واسعة حملته الى رواندوز وحبليجه ورانيه وكويسنجق، ونصّب ضباطاً سياسيين في تلك القصبات وأودع زعماء القبائل فيها مهمة حكم قبائلهم على أن يكونوا مسؤولين أمام السلطات البريطانية عن طريق الشيخ محمود. بعضهم بوصفهم موظفين (مدراء نواح) و(قائمقامين) وبعضهم بمنحهم مخصصات مقطوعة بحكم رئاستهم العشائرية. وبعضهم بشراء سكينتهم ومحافظتهم على الأمن ضمن مناطقهم العشائرية بمنح وهبات نقدية جرياً على سياسة تمّ إتباعها مع قبائل البلوج والپشتون في افغانستان. هذا الأسلوب في الحكم يمتّ بصلّة كبيرة الى تجارب الحكم البريطاني في الهند، وفي بلاد أخرى تخضع للنفوذ البريطاني. فقد بدت طبيعة الواجبات والتعهدات التي ربطت كونفدرالية جنوب كردستان، سواء تلك التي كانت ضمن نفوذ الشيخ محمود أو خارجها. أشبه بعلاقة "السيادة والإعتماد" التي وجدت بين الإمارات الهندية شبه المستقلة محلياً المعروفة "بدويلات المعاهدة: Treaty States". أي مبدأ الحكم غير المباشر. المنسوب الى لوگارد Lugard الذي طُبّق في نيجيريا بعد تطبيقه في الهند. وقد خرج منه ذلك النظام الذي عُرف في تاريخ الإستعمار البريطاني بنظام ساندمان بروس Sandemon-Bruce أو النظام المالكي Maliki.

سمي نظام ساندمان نسبة الى واضعه السرّ روبرت ساندمان أحد رجال الإستعمار البريطاني في الهند ومنفذي سياسة "الى الأمام The Forward Policy" التي كانت تعمل على إدخال المنطقة الجبلية الموحشة شمال الهند المعروفة بـ(بلوجستان) ضمن الإمبراطورية الهندية. والغرض المزدوج من هذه السياسة هو من جهة لحماية سكان الحدود في السند من غارات الجبلين العتاة الذين يجدون الحصانة دائماً في معاقلمهم الجبلية الوعرة. ومن جهة أخرى لتقوية أسباب الدفاع عن الهند من غزو محتمل.

ويقضي نظام ساندمان الذي كان يهدف الى مدّ السيادة البريطانية وبسطها على بلوجستان بإسداء العون المالي للنظام العشائري هناك بشخص رئيسه الأعلى، فهو والحالة هذه يعتمد على شخص واحد كما أنه غير مضمون الولاء بغير دفع مخصصات أو مساعدات مالية وكان أشبه بعقد مفاوضة يمكن أن يستغله المستفيد بالانتقال من جانب الى آخر والعصيان والتمرد والإمتناع عن القيام بخدمة ما. كحراسة قافلة أو طريق تجاري. أو تأمين شعّب أو خانق جبلي أو تطبيق قرار لمجلس القبيلة (جرگه Jirca). حالف الفشل هذا النظام عندما أقدم (بروس) صديق ساندمان وشريكه على تجربته في قبائل (المحسود) من الپشتون على الحدود الشمالية الغربية: لأسباب عدة منها أن رؤساء قبائل (المحسود) وهي أكثر (ديمقراطية) من غيرها، ويطلق عليهم اسم (ملك) لايملكون من السلطة التي يملكها مثلاً زعماء آخرون في بلوجستان لقبائل (البروهوي) (البلوجي). وكان (بروس) يأمل أن ينجح (الملك) منهم في السيطرة على قبيلته نظير المخصصات المدفوعة ففشل. وهناك سبب آخر هو انه طبق نظامه هذا قبل أن تتسنى له السيطرة على مواقع (المحسود) عسكرياً طبق ما فعله رفيقه (ساندمان) في بلوجستان. ثم إن قبائل المحسود بعكس (البلوجي) كانوا دوماً يخضعون لسلطة الزعماء الدينيين المرهوبي الجانب، وهم الذين يأمرهم بحمل السلاح ضدّ البريطانيين تعاطفاً مع الأفغان إخوانهم في المذهب.

هناك مشابهة بين هذه القبائل وبين القبائل الكردية فالکرد ك(المحسود) تعشّقوا حريتهم وقرسكوا بها ونازعوا من حاول إخضاعهم لإرادته. وهم مثلهم كذلك يحترمون رؤساءهم الروحانيين، حتى قبل إحتلالهم مقام زعماء القبائل التقليديين والأغوات في القرن التاسع عشر^(٦).

وفي كردستان التي سيطر عليها البريطانيون كانت وقتذاك دعاية تركية دينية قوية وذكيّة وحادقة حوّلت قطاعات من الكرد إلى الخندق المعادي للبريطانيين وهذه دولة إسلامية تستعديهم على البريطانيين بتحريض من رجال دين يجلّون قدرهم ويحترمون رأيهم. ومن المفارقات الطريفة أن نذكر هنا أن (بروس) الذي نشر كتابه قبل عشرين عاماً من الإحتلال البريطاني لجنوب كردستان، كان قد قرأ مادونه اللورد كرز من دفاع عن الكرد وشجبه تهمة القسوة وطبيعة التمرد فيهم وعدم أهليتهم للثقة تلك التي يلصقها

٦- راجع كتابنا: مبحثان على هامش ثورة الشيخ عبيدالله النهري. أبريل ٢٠٠١.

بهم اعدائهم ومبغضوهم في كتابه (فارس والقضية الفارسية Persia and the Persian Question). فبعد أن إقتبس (بروس) دفاع كرزن علق: "لو أننا أبدلنا إسم (المحسود وزيري) بإسم الكرد فإن شرحنا سيكون منطبقاً عليهم تماماً"^(٧).

٧- ريتشارد بروس: سياسة الى الأمام ونتائجها أو خمسة وثلاثون عاماً من العمل بين القبائل في الحدود الشمالية الغربية من الهند - ١٩٠٠، Richard I. Bruce: The Forward Policy and Its Results, ١٩٠٠. ط. لندن Or Thirty Five Years Work Amongst the Tribes on North-Western Frontier of India 1900. الص ١٧٠-١٧١.

إن الفكرة التي كونها عدد من الضباط السياسيين عن المجتمع القبلي الكردي بعد وصولهم كردستان هي التي دفعتهم مبدئياً التي تبني نظام ساندمان بروس لمعالجة الإدارة في كردستان ويمكن إعطاء صورة لهذه الفكرة من تقرير بريطاني. ورد فيه انطباع لأحد الضباط السياسيين البارزين واليك هو:

«عقلية الكردي هي عقلية صبي مدرسة. لكن ليس من دون قسوة صبي المدرسة المتأصلة. فهو يتطلب الضرب يوماً، وقطعة حلوى يوماً. إفراط في الشدة أو افراط في التذليل تجعل منه شخصاً صعب القيادة وهو كصبي يكذب دائماً، إنقاذاً لنفسه» W. R. Hay: Nates on Rauanduz [Fo. 371-5068] December 1919 ودونك رأياً آخر في تقرير رسمي:

"الأغوات الكرد يمكن تقسيمهم الى آغا طيب وآغا سيء وهؤلاء هم علة المساويء والشور والضرورة توجب وضع حد لتصرفاتهم بكل السبل الميسورة. إن الطمع والطموح الشخصي هو الذي يدفع الأغوات المسيئين وهم الذين يخاصمون الحكومة. ويكسر شوكتهم نحمي أنفسنا ونقدم خدمة للكرد عموماً. لحسن الحظ أن الأغوات الطيبين الراغبين في العيش بسلام والحريصين على مصالح فلاحهم وعيشهم بأمن ورخاء- ليسوا قلة. وحيثما وجدوا علينا أن نفيدهم وأن نبذل كل جهد لإشراكهم في الحكم والإدارة".

[Preis of Affairs in Southern Kurdistan: Reviue of Civil Adminstration Report For Sulaimaniya Divsion 1914-1920. ص ٢. (مجمل الشؤون في جنوب كردستان: تقرير إستعراض الإدارة المدنية لقسم السليمانيه ١٩١٤-١٩٢٠).

عنصر الخطأ هنا يكمن في إغفال ذلك الصراع الدائم بين القبائل المتنافسة وبين أغوات القبيلة الواحدة وقلما إتفقوا داخل القبيلة الواحدة. لاسيما عند قيام الضابط السياسي بإختيار واحد من بينهم ليخصه بتفضيل ويركن على آرائه فيلجأ منافسه الى إتخاذ موقف عدائي من الحكومة. تماماً مثلما كان الموظفون العثمانيون يفعلون في الماضي. فالنقيب (هاي) مثلاً صاحب الفكرة القاسية وقع في عين الأحمولة عندما أهمل إختيار الأعلى من بين أغوات خوشناو ليكون المقرب منه وموضع الكلمة عنده. مفضلاً عليه آغاً آخر، ليطلق غوائل النعمة على حكومته داخل أسرة (ميران) وهو حادث مازال مصدرراً لخلف بينهم وهم يذكرونه حتى الآن. ولم يكن يدعو الى =

إلا أنه كان مخطئاً هنا. فإن الإنحلال السريع لهذا النظام الذي طبق في إدارة جنوب كردستان وإنهياره في النهاية كان دليلاً على استحالة تطبيقه في كردستان. قد يُجادل في إمكانية نجاحه لو وجد للبريطانيين قوة عسكرية مرابطة لغرض فرضه أو لو استمر الشيخ محمود في التعاون معهم. والبريطانيون إنما حاولوا تطبيق هذا النظام بديلاً عن إضطرارهم الى وضع قوات عسكرية دائمية، وباقامتهم حكماً محلياً على رأسه زعيم ذو صفة دينية كانوا يريدون بهذا التدبير إقتصاداً في النفقات وتقليلاً في عدد الحاميات وقد بدأوا يسرحون جنودهم. بله أن تعاونهم مع الشيخ محمود كان يعني بحد ذاته فشل النظام. فمجرد الإعتماد على شخص واحد معناه أن النظام الذي أرادوا تطبيقه لا حظ له من النجاح. ترى كم كان هذا يتعارض مع النية في إقامة حكم مدني عصري في كردستان المستقلة أو الأتونومية؟ وهو ما كان ميجر نوئيل يعمل له بنية خالصة ودأب دون أن يرى بُعد الشقة بين هذا الهدف وبين النظام الذي طُلب منه تطبيقه على كردستان.

في ١٨ من تشرين الثاني ١٩١٨. وصل الرائد نوئيل الى مدينة السليمانية ولم يكن معه غير فراشه. وفي اليوم التالي كان ثمّ إجتماع حافل أمام سراي الحكومة ضم الآفاً من سكان المدينة وجماعات من عشائر الجاف والهَمَوْنْد والپَشْدَر والمَنگور وأكو ولباس وجباري وزنگنه والطالباني وداوده وغيرها.

إرتقى كرسياً وقال بالفارسية:

«باسم الحكومة البريطانية والحاكم المدني العام في العراق أتحدّث إليكم. أنتم الآن أحرار. تحررتم من الأسر. والشيخ محمود هو حُكمدار كردستان. وأنا أؤفّ إليكم هذه البشارة باسم الحاكم المدني العام.»^(٨)

قام (نوئيل) بجولة في أربيل ورواندوز بقصد إقناع قبائل تلك الأنحاء بالإنضمام

= العجب والحالة هذه أنه وكما ذكر التقرير الذي إقتبسنا منه الآن - في الوقت الذي كانت السياسة واضحة وهي أن تنفيذها (الضباط السياسيين) كانت قد أودعت اليهم مهمة التمهد لأرضية إقامة حكومة مستقلة في جنوب كردستان تحت الرعاية البريطانية (ص١٤ من التقرير). بدا وكأن هناك تصميماً فعلياً على إخضاع الكرد الى "محاسن" النظام البريطاني (الساندماي) وفوائده وسواء في الأمر أرغبوا أم كرهوا. ومن هنا في رأيي نبطت أعمال العنف التي أتينا الى ذكرها في كل من العماديه وبارزان والزيبار. ليس ببعيد أيضاً في السليمانية في ١٩١٩.

٨- مذكرات رفيق حلمي. ص٣٦. الترجمة العربية. محمد جميل روزباني.

الى كونفدرالية جنوب كردستان بزعامة الشيخ محمود ، وكان النجاح حليفه مبدئياً فقد تبين له أن أهالي تلك المناطق وقبائلها كانوا على استعداد للقبول بحكم الشيخ طالما يبشر بالهدوء والرخاء وبحكم الدعم المالي البريطاني له.

وإتخذ نوتيل خطوات فورية في عمليات الإغاثة لتلك الأنحاء التي دمرتها الحرب خلال الهجوم الروسي والهجوم التركي المعاكس، فنقلت كميات كبيرة من الحبوب والمواد التموينية الأخرى من أربيل ومُنحت سلفُ زراعية.

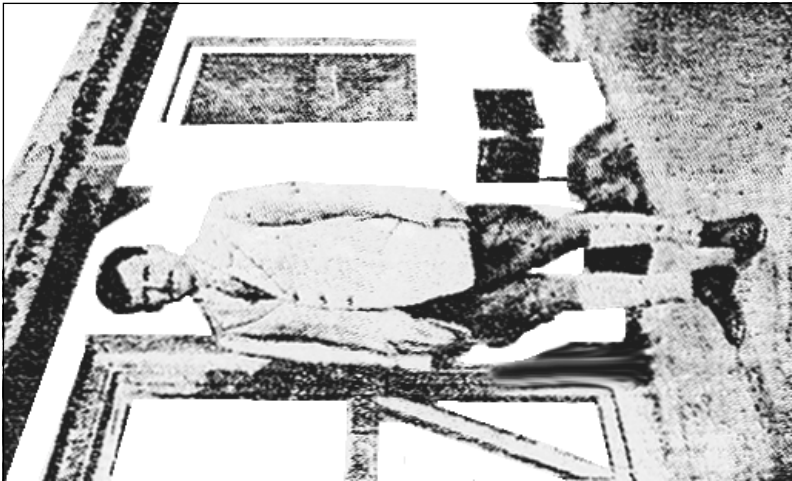
لم يكن الشيخ محمود محبوباً من الجميع فله خصومٌ وحاسدون ومنافسون أقوياء ليس في كردستان عموماً بل في مدينة السليمانية نفسها. قبائل الجاف العظيمة والباجلان مثلاً كانت تناصبه العداء. ومن بين شيوخ الطرائق ورجال الدين المبرزين كان ثمّ شيوخ الطالبانية في كركوك وهم قادريون مثله. وشيوخ النقشبندية في بياره وتويلة. ومامن شك في أن الشيخ لم يكن مَلَاكاً أو نبياً. وليس من المتوقع منه أن تكون نظرتة الى الأمور بالعين التي ينظر بها مشاوروه البريطانيون لاسيما تلك التي تتعلق بشخصه وبإمتهيازات سلطته. فهو ابن بيئته وربيب مجتمعه الذي خضع قروناً عديدة لنمط من الحكومات والحكّام والإدارات التي كانت أشبه شيء بما ساد بلاد الغرب قبل أربعة قرون. وإتسمت محاولات الإدارة البريطانية في قيادة الشيخ الى واقعية القرن العشرين بطابع العجلة الشديدة القريبة من التهور. وإفتقرت الى الصبر والأناة. هو يريد بل يرى من حقّه وحقّ المنصب الذي يشغله أن يمارس سلطة (هنري الثامن) و(لويس الرابع عشر) كاملة غير منقوصة ولايجد بأساً بل يرى من الحكمة أن يفيد من المخصصات والأرصدة المالية التي وضعت تحت تصرفه لشراء ولاء زعماء العشائر وإغراقهم بالإمتهيازات، كما كان من حقّه بل ومن حسن السياسة. أن يملأ مختلف الوظائف والمراكز الإدارية باقربائه وأشياعه وأن يبعد بدقة كل من لايعده من أتباعه المخلصين أو المواليين. وذُكر انه - جرياً على عادة السلاطين والأمراء العثمانيين - قرَض على أفراد القوات المجنّدة الكردية تأدية يمين الولاء له. وعيّن مجلس وزراء وهو تناقض لم يرغب عن فكر (سون) الحادّ.

يذكر ميجر (سون) الذي خلف (نوتيل) - متذمراً:

"كذلك الولاء للشيخ محمود بوصفه (حُكمداراً) لدولة. كان من عقابيله والفضل لأموال حكومة صاحب الجلالة البريطانية - أنها زادت من



الشيخ محمود الفيد



ميرفن ديمالي في السلطانية

شعبيته في الوقت الذي صارت سبيلاً للرفاء والرخاء... وجاءت على أثر
الولاء المخصصات... بشكل مبالغ مالية. مشهد نادر في تلك الأيام...
بذلك النظام الذي يمكّن رئيس العشيرة من تقدير ممتلكاته وممتلكات
عشيرته بغياب عين موظف الحكومة النافذة." (٩)

إلا أن جيرترود بل لا ترى وجهاً لإنتقاد ذلك "النظام" الذي نوّه به (ميجر سون)
وعندها لم يكن مصدر قلقٍ أو تدمرٍ لأنها كانت ترى الشيخ شخصية لا يمكن الإستغناء
عنها في تلك المرحلة من الزمن على الأقل:

« وبدون قدرٍ كامل من التعاون والتعاقد، وهو ما أمنه (تقصد الشيخ)
لنا. كان من الضروري أن تأتي بحامية كبيرة، وهو من قبيل المستحيل
في ذلك الحين. من وجهة النظر السياسية بدا من الأهمية بمكان أن نعمل
على إستتباب الأمن والنظام في المنطقة وأن نتجنّب في ذلك الحين مظهر
إستخدام القوة لهذا الغرض (١٠). »

والواقع هو أن الشيخ كان يدرك أهميته للبريطانيين.

وكردستان بعد الأهوال التي مرت بها خلال سنوات الحرب كانت تتوق الى
الإستقرار... فرضيت بحكم الشيخ وتمّ قمع المعارضة بالأساليب التي خبرها هو نفسه.
كان نظام الولاء القبلي على الأسلوب الساندماني الذي طّبقه نوّيل في جنوب
كردستان. موضع إنتقاد خلفه (سون) الشديد. وعمل جاهداً لإزالة آثاره خلال فترة
وجوده ليصطدم بالشيخ محمود.

كتب في فصل عنوانه (ملاحظات حول النظام القبائلي في الإدارة) مركّزاً على
الجانب الضار السيء العقبي من النظام الجديد شارحاً شروطه نقطةً فنقطة. وعرض
بالأول النية والتوقعات للجهتين الرئيسيتين فيه ولم يترك مجالاً للشك في أن كلاً من
البريطانيين الذين فرضوه ودعموه. والشيخ محمود الأداة التي إختاروها لتطبيقه، كانت
لديهما أهداف متناقضة. فقال:

"نظام الإدارة، يمكن أن يقال عنه أنه نظام قبائلي تمّ تربيته. وأن الضابط

٩- ص (١) تقرير الإدارة عن قسم السليمانيه للسنة ١٩١٩ Administration Report of the Sulaimaneya
Division for the Year 1919.

١٠- جيرترود بل: المرجع السالف ص ٦٣. [كان ذلك رأي ولسن. الولاءات. ص ٨٦].

السياسي المسؤول إعتبره أفضل ما يمكن إستخدامه لتحقيق الطموحات القومية والمحافظة في عين الوقت على الطابع الأصيل لخصائص كردستان. وإعتبره الشيخ محمود من جانبه شيئاً جيداً، بتثبيت نظام قبائلي أصيل يمكن بفضله وعن سبيله إرشاء أو تهديد الزعماء بسهولة. كما يمكنه بأسرع من هذا من البلوغ الى السلطة المطلقة وتركيزها في ذاته وهو الهدف الذي يسعى اليه. إن نظام الحكم المباشر بموظفين، يميل بطبيعة الحال الى تفكيك القبائل وخلق مجتمع ديمقراطي فعّال متجانس. وهو لا يتفق قط وذوقه. وبما أنه كان (يقصد الشيخ) المشاور الرئيس لضابط السياسي فهو بهذه الحال يشجع عملية بعث في النظام القبائلي... المحتضر" (١١)

فإحياء هذا النظام في نظر (سون) هو حركة رجعية في كردستان الجنوبية. وبمجتمعاتها الحضرية التي راح أكثرها يتلمس خطاه الثابتة خارج الإطار القبائلي بما سادها من إزدهار وسلام وطمانينة نسبة الى ماكانت عليه قبل الحرب. والآن هوذا الضابط السياسي الذي قبل بوجهة نظر الشيخ محمود يكرس مجهوداته لإعادة تلك المجتمعات الى إطارها القبائلي. بمعنى أن كل من يمكن أن يطلق عليه صفة (عشائري) يجب أن يوضع تحت سيطرة رئيس عشيرة. أفستكون الفكرة العامة المبطنة هي تجزئة كردستان الجنوب الى مناطق عشائرية يحكمها زعماء قبائليون؟

يذكر (سون) عن أفراد قبائل إنحلّت وإنفرط عقدها منذ زمن وأقامت في منطقة كفري ذات المناخ القائظ. طُلب منهم أن يعودوا ليوحّدوا أنفسهم قبائلياً وبأن يتذكروا بأنهم كانوا فيما مضى قبائليين. ثم وُجد لهم زعماء. ووجب أن يدفع لهم مخصصات بحسب تقدير هذا الزعيم المستجد.

زعيم القبيلة الذي أنيط به تطبيق القانون يجب أن يعترف بالشيخ محمود حُكمداراً (طاغية رحيم) لكردستان وعلى الحُكمدار أن يدفع له بمقابل ذلك الإعراف. إنّه نموذج قبائلي للتعامل لا أبدع منه. لكنّه قتال للمدنية، والتجارة، والإقتصاد، والتقدم. بل وكل مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية العصرية. بل قد يكون في أحيان كثيرة عاملاً من عوامل الإخلال بالسكينة والراحة العامة.

١١- سون: تقرير الإدارة. المرجع السالف، ص ٢.

وتكشف الوقائع التي سجلها ميجر (سون) في السليمانية. عن نضال عنيد ضدّ النتائج الطبيعية لهذا النظام: المجرم العشائري ما عليه إلا أن يرمي بنفسه تحت أقدام زعيمه المحليّ فيُنجد. مجرم رفيع المكانة يُقبل على الشيخ مسترحماً عفواً فيخرج بتكريم. أي جرم بالغ ما بلغت خطورته هو قابل للغفران بفضل الخضوع المطلق للشيخ محمود الذي يبادر بترتيب الأمر فوراً مع شيخ العشيرة المسؤول رسمياً عن المجرم.

النظام القبائلي نظام مثاليّ نظرياً. وكمثل العديد من الأنظمة المثالية تجده يتحطم ويهوي ركاماً عندما لا تقيم طبيعة بشرية دنيوية وزناً كبيراً للنزاهة. ومن تأثيراته أنه يمنح الفوضوية والتحكم الفوضوي حرية أوسع ومجالاً أرحب، ويمنح الشعب والجماهير فرصة أقل للتغلب على إستقلالية الطغاة الصغار. بمختصر القول إن النظام يربي طغاةً ومستكبرين ويوهن عزائم العناصر الديمقراطية الخيرة.

هناك ضابط سياسي لامع آخر يتفق نظره ووجهة نظر (سون). هو النقيب^(١٢) (ثم العميد) ستيفن لونكريك الذي كان يشغل وظيفة معاون الضابط السياسي في كركوك. ذكر في تقرير له مؤرخ في ٢٩ تشرين الثاني ١٩١٩. قوله:

"مع قبول عدد كبير من عشائر الكرد بهذا النظام. إلا أنه تعرض لنقمة وسخط أولئك الذين لم يجدوا فيه ما يخدم مصالحهم. وقد بلغت النقمة أحياناً أن بعضهم صار يتمنى عودة عهد الأفندية (الموظفين الأتراك)."

وأعرب عن خشيتيه من إنحسار القناع عنه فإذا به مساوٍ لحكم الترك في مجال القسوة والإضطهاد، ويختم تقريره بالقول إن النظام يضحّي بالديمقراطية على مذبح القومية. وقد يكون:

"سهلاً في مختلف الظروف والأحوال - إن لم يكن مستحباً - أن تصمّ أذنيك عن سماع صرخات صغيرة قد تكون مشروعة - ضدّ أولئك الذين وضعناهم في مراكز المسؤولية".

١٢- مؤلف كتاب العراق ١٩٠٠-١٩٥٠. تاريخ سياسي وإقتصادي وإجتماعي. وكتاب أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث. [آخر وظيفة سياسية تقلدها: الحاكم العام لروديسيا قبل إستقلالها هي الآن زيمبابوي]. Stephen H. Longrigg: Four Centuries of Modern Iraq. طبع في لندن ١٩٢٥. وله ترجمة عربية جيدة بقلم جعفر خياط. أما كتابه Iraq: 1900 - 1950. Political, Social and Economic History طبع في لندن ١٩٥٣ فله ترجمة سقيمة سريعة الحذف بقلم سليم طه التكريتي.

على أنه عاد في تقرير ثانٍ ليذكر بعض منافع النظام فقال إنه يُنمي المشاعر القوميّة عند الكرد وينقذ القبائليين من تحكّم الموظفين الفاسدين الأشرار ويقلّص عدد المجرمين ومطلوبي العدالة والحرية الى واحدٍ فقط! (يقصد رئيس العشيرة)!

هناك رأي آخر يدعو الى الإهتمام - لضابطٍ سياسيٍّ بريطانيٍّ آخر كان أول عهده بالنظام أيام مزاولته منصبه معاوناً للضابط السياسي في كفري. هو النقيب (جاردين) R. S. Jardine الذي قُدّر له أن يكون الممثل البريطاني في أثناء النزاع على ولاية الموصل. قال:

"النظام القبائلي في القضاء (كفري) هو في حالة تحلل. وهي عمليةٌ عجّلت بها سياسة الترك الإتحادية (في الحرية والمساواة). مختار القرية لايعترف بمسؤول آخر غير الضابط السياسي رئيساً ويبدو هذا سهلاً مستطاباً في حالة جباية الضرائب. إلا انه يجعل من سيادة القانون وبسط العدالة أصعب بكثير مما في الأماكن التي مازالت تطبّق النظام القبائلي بشكله البدائي في أجزاء عدة من القضاء آلت الى النظام القبائلي مسؤولة المحافظة على القانون والنظام والأمن. إلا أن كلّ المحاولات لإستخدامه في جباية الضرائب كانت تؤول الى تأخير فظيع. أو الى إساءة معاملة للفلاح لاتحتمل مع هذا فالنظام (جدير) بالتجربة."

فعالاً كان لجوء البريطانيين اليه مؤقتاً. وبسبب إقتصادهم في القوات العسكرية بالدرجة الأولى^(١٣).

١٣- تطرقت جيرترود بل الى هذه النقطة بالذات في تقريرها الشهير (المرجع السالف، ص ٦٣) ومما ذكرت "أنه ومن نتائج تلك السياسة تركّ عدد كبير من الشيوخ والأغوات والسادة الملاكين أحراراً دون المساس بهم في حين كان معظمهم واضح يدٍ على أراضٍ لايملكها... من البداية شاع هناك قلق ظاهر عند الشيوخ والأغوات خشية أن تؤدي السيطرة البريطانية الى إلقاء السؤال المحرج حول ملكية الأرض. في معظم الأحيان لم يكن ثمّ سند ملكية وإنما كان مجرد إستيلاء على الأرض عنوةً وإقتداراً. ومع أن تحكّم الآغا أو السيد بالأرض بهذه الوسيلة هو ضد مصلحة عموم الأهالي إلا أنه كان من المحال أن نعالج الأمر ونضع حداً لهذه التجاوزات في تلك الظروف. بل كان علينا أن نبدّد مخاوف الطبقة الحاكمة من هذه الجهة. فلم نبعث بطلب سجلات الطابو لتكون في بغداد عرضة للتدقيق المزعج المحرج بل آثرنا إبقاءها مؤقتاً في السليمانية".

الفصل الثاني عشر

حكم الشيخ محمود في رأي الموظفين البريطانيين. مصادر سلطة الشيخ. محاولات الحد من سلطانه. سياسة جديدة. إنتفاضة على البريطانيين نصرًا أولي تعقبه هزيمة كاملة. فترة ميجرسون. صدور أول صحيفة كردية في جنوب كردستان. إستخدام الكردية في التعليم. زحف فكرة ربط اتونومية كردية بحكومة عربيّة.

قلنا ، لم يبذل الشيخ محمود أيّ جهد في إخفاء رغبته بممارسة كلّ حقّ يخوله مركزه. لكن دون الواجبات التي يفرضها عليه وبصرف النظر عن شروط وضعت لمنصبه كان يجدها قيوداً لاداعي لها تحدّ من مجال حكمه حتى في منطقة صغيرة في جنوب كردستان تقع بين الزاب الصغير ونهر سيروان (ديالي):

"آنذاك كان من سياسة بريطانيا (آب ١٩١٩) إجتناب بذل وعود صريحة في إقامة كيانات كردية ذات إستقلال شبه ذاتي مرتبطة بأية إدارة دائمة تؤسس بعدئذ في السهول. ومنذ إحتلالنا كفري بات ضباطنا السياسيون على إتصال دائم بالشخصيات الكردية البارزة في لوائي كركوك والسليمانيه لاسيما الشيخ محمود البرزنجي عميد أسرة من السادة هي رأس كلّ الأسر في جنوب كردستان ولما صار الطريق سالكاً، أرسل الى السليمانيه ميجر ي. و. نوئيل للعمل على ترويح هذه السياسة ولإقامة نظام إدارة مؤقت يكون محلّ رضى الأهلين وأبلغ الشيخ محمود بأن أي مجتمع كردي أو قبيلة تسكن بين نهري سيروان والزاب الصغير ترغب في قبول زعامته لن تُمنع من ذلك ولها وحدها حق الخيار. لكنه سرعان ما وضح لنا أنه بالغ كثيراً في تقدير شعبيته. وتقلص أقليمه بالأخير الى لواء السليمانيه مع بعض أقضية لواء

كركوك المجاورة. ومُنح لقب (حُكمدار) وعين له مستشارٌ بمنصب ضابط سياسي. وعين معاونو ضباط سياسيون في أفضية جَمَجمال وحلبجه ورانيه. وعُين ضباط آخرون لتدريب قوة عسكرية كردية باسم (ليشي سليمانيه) كما تقرر تنظيم جهاز شرطة على النمط الجديد. ولم يضيع الشيخ محمود وقتاً في جعل نفسه مشكلة من المشكلات المستعصية وقد سخط لتقليص دائرة سلطانه الى المنطقة التي حدّدناها. وكان في أيام الترك يبسط يده الباطشة على المدينة بأتباعه من الأشداء المسلحين ولا صفة رسمية أو وظيفية له. والآن وهو الحاكم بأمره لم يكن ليستطيع أبداً أن يدرك الحدود التي وضعت له حتى تلك القيود السمحاء التي رسمها نظام نوئيل الإستشاري الخالي من الشدة. (١)

ولاتخفي كيرترود بل شعوراً لها بأن موقف الشيخ هذا تأثر جداً بالأشخاص الذين أحاطوا به فقد رأت أن هؤلاء الرجال بدلاً من نصحه بالإعتدال والمرونة، كانوا يشجعونه على إتخاذ مواقف تحد:

"لم يكن الشيخ محمود مستعداً ليقبل منّا أي شيء يقلّ عمّا قبله من الترك أعني تحديداً لسلطاته. كان محاطاً بتملقين ومتزلفين ذوي مصالح ملأوا رأسه بأراء متطرفة وشجعوه على إعتبار نفسه حاكماً لسائر كردستان. كان لايفتأ يتدخل في الإدارة المحلية ويُغرق الدوائر بأقربائه والمقربين منه." (٢)

في وقت قصير نسبياً وفي ظل النظام الذي إختطه (نوئيل) نجح الشيخ في مضاعفة سلطته ومدّ نفوذه الى الحدّ الذي أشعر البريطانيين بأن الموقف سيخرج من يدهم تماماً. ما أن مضى شهر وبعض شهر حتى وجدوا أنفسهم مرغمين على إعادة تقويم الموقف كلّ في جنوب كردستان:

"بنهاية كانون الأول ١٩١٩ بدأت الشكوك تتناجح حول الحكمة في ترك سلطة الشيخ محمود تتنامى وتتعاظم الى هذا المدى الواسع جداً." (٣)

١- سي. جي. إدmondز C. J. Edmonds كرد وترك وعرب. راجع ترجمتنا الكتاب. الطبعة ٢. أبريل ١٩٩٩. دار ناراس. ص ٣٣.

٢- بل: تقرير الإدارة. المرجع السالف، ص ٦٣.

٣- المرجع عينه. ص ١٢.

هاهنا وجه الغرابة!

أن يتشكّى البريطانيون ويتخوفوا من تنامي سلطة رجلٍ ساندوه ومدّوه بالمال وأعانوه على تبوء مركز أول حاكم لكردستان ذات حكم ذاتي! بقدر ما يهّم موضوعنا هنا سيكون أمراً ثانوياً أن نجيب على سؤالٍ مركزي وهو: هل أن الشيخ محمود يدين بمركزه هذا الى البريطانيين وإن كان الأمر كذلك فما هو مقداره؟ ذلك أمرٌ ثانوي والمهم هنا هو ما الذي كان يفكر الشيخ به؟

يخيل لي. بل يكاد مؤكداً بأنه لم يكن يشعر بواجب الإخلاص لهم ل يبدو في نظرهم إنساناً إنتهازياً يأخذ ولا يعطي. يسمح لنفسه بالمساعدة المالية منهم ويواصل التعاون معهم طالما وجد في ذلك منفعة. إلا أنه دئب في عين الوقت جاداً في زيادة سلطته ومدّ نفوذه ليس ضمن الحدود التي رسموها له وحدها بل في أي موضع يسعه ذلك. لم يكن قطّ يرغب في قطع صلته بهم إلا أنه لم يتحلّ بالحذر الكافي من صولة لهم، فيبقى محتفظاً بالمظاهر على الأقل. وبالأخير وقد إستولت عليه فكرة تعزيز مركزه فحسب، ماعاد يحفل باتفاقه معهم وتجاهل توصيات الضباط السياسيين. ويبدو أنه بلغ درجة من القناعة بحيث لم يعد هناك ما يجنى من التعاون معهم غير القليل أو لاشيء. وأنه قويّ بحيث لا يجرء البريطانيون على تحديّ سلطته وإنه قادر على العمل بما يشاء دون أن يخشى سوء عقبي.

وتكشف الأحداث انه إستعجل كثيراً. ولم يظهر حصافةً أو يفكر بالنتيجة المحتمومة من مواجهةٍ لا تكافؤ فيها.

واستبدت الحيرة بأولئك الضباط السياسيين الطيبين الذين تمناوا كلّ الخير للشعب الكردي وعملوا بكل جدّ وخلص نية على تحقيق آماله في الإستقلال أو الحكم الذاتي، وعراهم الذهول والخيبة. بل أدرك بعضهم الغضب من تصرفاته ومواقفه. ولم يغتفر له بعضهم كونه السبب في تحطيم ما أملوه وعملوا له ولم يسلم من تعليقاتهم وليس فيها إلا ما يحطّ من قدره ومنزلته. والرفيق به منهم وصف أعماله بالطفولية. في حين نعتته بعضهم بالجنون.

هؤلاء ماكان بوسعهم تقدير الوجه الآخر من العملة. والوجه الآخر على ما نرى يمتُّ بسبب وثيق الى ماكان الشيخ وغيره من القوميين الكرد يفكرون به لكردستان والكرد

بعيداً عن التفكير السياسي المصلحي البريطاني الذي أتينا الى وصفه.
شئنا أم أبينا، كانت تحتل رأس الشيخ فكرة واحدة وهي أن الكرد - أو أولئك الذين يعيشون في جنوب كردستان على الأقل، كان من حقهم أن يقيموا لأنفسهم دولة خاصة بهم. وأن من حقهم أن يكون على رأسها. وفكرة إنشاء دولة كردية نشأت وأثبتت بعدد من تصريحات رسمية أطلقها الحلفاء أثناء الحرب وبعدها، وبالبيئة الغنيّة والمناخ المواتي للرأي السائد عند زعماء الكرد في كلّ مكان. في حين أن فكرة زعامته وقيامه على رأس هذه الدولة إنما تنبع من إحساس مرهف برسالته كمناضل. ومن رفعة شأن أسرة البرزنجة في جنوب كردستان. فالشيخ يدين غالباً بمكانته لذلك الإجلال العظيم الذي يحفّ بأسرته، وبثلاثة من الأسلاف على الأقل نبغوا من خلال تاريخ الكرد والمنطقة، رفعتهم الى منزلة التقديس. فجد جدّه هو الشيخ معروف النودهي الشيخ القادري الشهير والعالم الكبير الذي تغلّب في عمل المعجزات على خصمه مولانا خالد النقشبندي ونجح في طرده من بلاط آل بابان^(٤). وكان جدّه حاج كاك أحمد ابن الشيخ معروف صانع المعجزات ذو القوى الخارقة للطبيعة التي نُسجت حولها الأساطير. ووالده الشيخ سعيد الذي حظي بمكانة خاصة عند السلطان عبدالحميد. والذي أُعتبر حادث إغتياله على يد الإتحاديين في الموصل شهادةً، وأُعتبرت نجاحه هو نفسه أعجوبة ونعمة إلهية، واحتلّ مكانه رأساً للمشيخة القادرية. وبقي حادث الإغتيال هذا رمزاً لنقمة آل البرزنجي وأتباعهم على الحكم العثماني.

أسرته احتلت مكان الأسرة الحاكمة البابانية منذ سقوطها مباشرة. وظلّ عميدها المطالب الشرعي بالحكم في شهرزور، مُهاجراً مطاعة الكلمة عند جميع الولاة العثمانيين الذين تعاقبوا على حكم ولاية الموصل عند تشكيلها. وعند ولاية بغداد عندما كانت السليمانية مرتبطة إدارياً بها.

والشيخ محمود وإن لم يكن الأكبر سنّاً من أسرة البرزنجة بفرعها النودهي إلا أنه الرأس المعترف به الذي يعكس كلّ التجلّة والإحترام اللذين تحظى بهما الأسرة ولم يكن معدماً فقيراً عندما قبل العون المالي البريطاني ليُقال إنه أصاب منه الغنى.

٤- راجع فصل «الإمارة البابانية في المآثر الأجنبية والوثائق الدبلوماسية» من كتابنا «آراء محظورة في شؤون عراقية معاصرة» ستوكهولم ١٩٩٤. الص ١٤٣-٢٠٢.

لم يكن يشعر فحسب بأن لديه الحقّ في حكم الإقليم الذي حدده له الإحتلال البريطاني بل كان يرى من حقّه أن يحكم سائر ولاية الموصل أي كلّ جنوب كردستان. بل لحكم جزء هام في كردستان الفارسيّة. بهذا الوجه الآخر من العملة رأى الشيخ في تحديد صلاحياته وقصر حكمه على جزءٍ صغير جداً مما هو من حقه وخضوعه لضابط مغمور حامل الذكر يمثل بريطانيا هو تجنّ عليه وإستصغار له.

وإن كانت الوقائع والدلائل تعوزنا للتدليل على عقيدة الشيخ الراسخة بعدالة قضيتّه وبحقّه في متابعتها. فلنا شاهدٌ من قول (آرنولد ولسن) وقد زاره في السجن وهو يتماثل للشفاء من الجرح الذي أصابه في معركة دريندي بازيان. ترك هذا اللقاء فيه إنطباعاتاً لا ينسى في الموظف البريطاني الكبير وصورة لا تمحى لزعيم كردي أصيل فدوّنه بعد عشر سنوات. قال:

"رأيتّه وهو في منصبه في السليمانيه بثلاث مناسبات. ورأيتّه في المستشفى ينكر بإيماءة وقورة صلاحية أي محكمة عسكرية في محاكمته. وراح يقرأ عليّ نقاط ولسن الإثنتي عشرة، والتصريح الإنكليزي الفرنسي الصادر في الثامن (السابع) من تشرين الثاني ١٩١٨ وكان لديه منهما ترجمة كردية كتبت له على حاشية بيضاء من صفحة واحدة من صفحات القرآن شدّت الى ذراعه مثل طلسم."^(٥)

هاتان الوثيقتان اللتان إحتفظ بهما الشيخ الى جانب آيات القران هما إثنان من عدد لا يحصى من التصريحات والآراء والمقترحات والرسائل الدبلوماسية بشتى صورها ومناسباتها، إنّما تمثل تلك القوى التي خلّفت تأثيرها لا على الشيخ وحده بل على عدد لا يحصى من أبناء جيله الكرد وفي طبيعتهم تلك الطبقة المتعلمة الواعية التي وجدت منطلقها في السليمانيه أيام حكمه بالأخير وقد شعت من باريس والقاهرة ودمشق واستنبول وفولكستون وشقت طريقها الى جبال جنوب كردستان.

علينا أن نزن هذه القوى الثلاث إن حاولنا فهم الرجل الناطق بهذا، بعد أن تحدّى جيروت أعظم إمبراطورية في العالم وهُزم - بكلام صريح جريء لواحدٍ من أكبر ممثلي تلك الإمبراطورية.

٥- الولايات. المرجع السالف، ص ١٣٩، ج ٢.

سلوك الشيخ لا يمكن أن يُفهم إلا على ضوء الواقع. المخاض العظيم والإرتباك الهائل في أحوال الولايات الثلاث التي يحتلها البريطانيون. فيوضٌ عارمة وبحر متلاطم من الأفكار الحديثة والآراء غير المألوفة ودعوات سياسية لجماعات وأيديولوجيات مصطرعة. شائعات عن أحداث خيالية، وتوقعات متناقضة سياسية الطابع. تصريحات كالتي ذكرناها حول تقرير مصير الشعوب غير التركية. أعمال الشغب التركية والتلويح بالجامعة الإسلامية. محاولة إستمالة الكرد بالوعود. دعاية الشريف حسين ابن علي في كردستان حول رابطة الجامعة الإسلامية، والدعاية المقابلة للجامعة العربية في الأقاليم الناطقة بالعربية. نداء الشريف حسين للكرد أثناء الهجوم على تلعفر. نشاط القوميين الكرد من مختلف الجهات والمصادر وبمختلف الأشكال. الفوران الذي أحدثته ثورة أكتوبر البلشفية ولاسيما الهزة التي أحدثتها في ولاية الموصل على حدّ قول (ولسن) بالذات. فضلاً عن التقارير المتناقضة الحافلة بروايات مخترعي الأنباء ومخترقيها بحسن نية أم بسوئها.

وتأتي مسألة مستقبل ولاية الموصل المجهول. والأترك يقيمون الدنيا ويقعدونها من أجل إستعادتها. وهناك مناطق جبلية قصية في كردستان لم تطأها قدم بريطانية مازال وكلاء الترك يسرحون فيها ويمرحون. وفي جنوب ميسوپوتاميا موطن العرب. بلغ التوتر حدّاً ليؤذن بذلك الانفجار الهائل في ١٩٢٠.

نوايا بريطانيا في مستقبل ولاية الموصل، بل في مستقبل سائر بلاد ما بين النهرين غامضة حتى ساعتها، موهومة في أفضل الأحوال بل بدت سياساتها وكأنها عملية تجريبية وموقوتة. ففي الوقت الذي ملأت الأجواء مشاعر الإرتياب بدأت بريطانيا بتسريح جيوشها التي إستخدمتها في الحرب. صارت الوحدات العسكرية تذوب وتتلاشى أمام أعين زائغة لاتصدّق ماترى. إن رحيل الآلاف المؤلفة من العساكر لا يوحى طبعاً بالثقة. في حين تمّ شؤون معلقة كثيرة ومنها على الخصوص ماهو ذو طابع عسكري محض.

ولأشخاص كالشيخ محمود ولديه الكثير مما حرص عليه (في الوقت الذي حصلت القناعة للبريطانيين بأنهم ماعادوا يستطيعون التعامل معه بمستوى الثقة الماضية التي وضعوها فيه). كانت الظواهر تشير له بأن الإدارة البريطانية لم تعد قويةً الى الحدّ

الذي يمكّنها من إملاء رغباتها عليه ومن المؤكد أنه وفي هذا الوقت بالذات - قرراً إقامة صلة مع الأتراك. ووردت بغداد تقارير تفيد بأنه أحدث صلة مع مركز الدعاية التركية في شرناخ فضلاً على علاقة مع قبائل الكويان. ليس من الحكمة أو الإنصاف في شيء ورغم وجاهة بعض أسباب الخلاف بين الجانبين تبرير الخطوة تلك مهما افترضناها نابعة عن مشاعر قومية صرفة وإحساس غلاب فيه بأن الإدارة البريطانية لا تنوي الوفاء بوعداتها في انشاء كيان كردي مستقل يقوم هو على رأسه. هاهنا خطأ كبير في الحساب يقع فيه الشيخ زاده وخامة طموحه الجامح ومساعي بطانته الغيبية التي إستعاض بها عن نصائح معلميه البريطانيين، فلم يعد يستطيع تدبّر العواقب التي تنجم عن مواجهة دولة عظمى خرجت منتصرة في حرب قذفت اليها بأكثر من مليوني جندي مع عشرين ضعفاً من البشر يعملون لهم. والرجال الذين تخلقوه شجعوه على خطوة تنطوي على مغامرة جسيمة بدلاً من النصح بالاعتدال.

وشجعه الموقف البريطاني أيضاً: لم يكن هناك احتمال بنجاحه في الوصول الى كل أهدافه لو تبنى سياسة أكثر اعتدالاً وتعامل بلباقة. ففي ١٩١٩ بدا البريطانيون له وكأنهم بلغوا ذلك الحد من الإعياء بحيث لم يعد في وسعهم أن يبادروا بخصام وهم يواجهون مشاكل دولية ومحلية عظيمة جداً، وقد فقدوا الرغبة بل أعوزتهم الموارد عن طلب شيء أكثر من حلّ سلمي للخلاف إن كان ذلك ممكناً وهذا ما اعتقده الشيخ وكان واهماً.

في عين الوقت كان للبريطانيين موقف آخر وتفكير آخر:

"لا يمكن الثقة بالشيخ إلا إذا أتخذت إجراءات حازمة للحد من سلطته وإلا فإن الموقف في سائر أنحاء كردستان سيخرج من يدنا. إن سلوكه لا ينطوي على بعد نظر لإدعائه بالسيطرة على أية مجموعة كبيرة من القبائل. ولهذا أنا أتفق عموماً على تعديل سياستنا في جنوب كردستان. بانتهاج سبيل للإدارة على خطوط شبيهة بتلك التي نتبعها في سائر أنحاء العراق."^(٦)

في أوائل آذار ١٩١٩ دعا الحاكم المدني العام الى مؤتمر في بغداد للبحث في آخر

٦- الولاءات. ج ٢، ص ١٣٤. وتقرير عن الإدارة - المرجع السالف، ص ٦٣.

التطورات في جنوب كردستان. وكان بين الحاضرين خبراء منهم نوئيل، وسون وليچمن وگوردن وووكر وليز. وبعد إستعراض شامل لموقف الشيخ والوضع العام في كردستان الجنوبية قرّ الرأي على وجوب تقليص سلطة الشيخ بالتدريج وبشكل تُجْتَنَّبُ فيه القطيعة العلنية إن أمكن^(٧). وتطبيقاً لهذا الهدف أتخذ قراران هامان. أولهما أن يحلّ ميجر سون محلّ نوئيل ضابطاً سياسياً في السليمانيه. وثانيهما أن يسمح لعدد من المناطق والقبائل التي ألحقت بالشيخ محمود - أن تنفصل عنه^(٨).

وشخص (سون) الى السليمانيه وتوقف وهو في طريقه في كفري وكركوك لغرض القيام بإجراءات إخراج عدد من الأفضية والنواحي والقبائل من دائرة نفوذ الشيخ. وعين النقيب ليز G. M. Lees لهم بمنصب معاون ضابط سياسي بمقره في حلبجه. وعند وصوله قائممقامية كفري في أواسط آذار قام بتوزيع المخصصات الشهرية المقطوعة لزعماء أفخاذ الجاف وگزادتهم وكانوا قبلها يتسلمونها من الشيخ محمود، فحُسمت من مخصصاته الشهرية وهو عمل سلبي علني واضح لم يُبق شكاً في أنهم تغيروا على الشيخ وهم الآن يتبعون سياسة جديدة.

في آذار ١٩١٩ خرجت كفري وكركوك من دائرة نفوذه وشكل منها (قسم Division) جديد. وصارت حلبجه وكانت ضمن سيطرته تدار مباشرة من البريطانيين. كان لهذه الأحداث صدى عظيم في كردستان. ورحب أعداء الشيخ بها وانطلقت ألسنتهم الحبيسة في ثلب الشيخ والكشف عن معاييب حكمه بمبالغات من نسج خيالهم. مرّت أيام بهدوء ظاهري مخادع، لا يمكن ستره طويلاً. وتوالت تقارير (سون) تصف العقبات التي يضعها الشيخ في سبيله وفي وجه الإدارة.

٧- ليز G. M. Lees: سنتان في كردستان Two Years in Kurdistan مقال منشور في مجلة الجمعية الجغرافية الملكية. العدد ١٥، الجزء الثالث ١٩٢٨. الص ٢٥٣-٢٥٤. الولاات. المصدر السابق. ص ١٣٤.

٨- تعيين (سون) كان متقصداً، ليشير الى أن البريطانيين قد إنتوا التعامل بحزم مع الشيخ. فقد عرّف سون بكرهه الشديد له بنوع خاص، ولم يكن (سون) يُعنى بكتمانه. نشأ هذا الكره عندما كان (سون) المتنكر بهويّة مترجم فارسي ضيفاً على عادلة خان جاف قبل إثنتي عشرة سنة (راجع كتابه To Mesopotamia and Kurdistan in Disguise. لندن. الطبعة الثانية ١٩٢٦. و(كرد وترك وعرب) من ترجمتنا، ص ١٣٧.

منوهاً بمقاطعة الشيخ له وعدم الإهتمام بتوصياته واحتقاره الموظفين البريطانيين. كانت الإدارة تفكر بمعالجة الأمر بالتفاهم عندما ضرب الشيخ ضربته فجأة. ظهرت على حين غرة وبأوامر صادرة من الشيخ قوة قبائلية معظمها من هورمان والمريوان بقيادة (محمود خان دزلي) ورابطت بالقرب من السليمانيه ثم دخلتها فجر يوم ٢٣ من أيار ١٩١٩. وتغلّبت دون مجهود على قوات الليشي التي أرسلت لصدّها وإلتحقت جماعات أخرى موالية للشيخ في السليمانيه والمناطق المجاورة. وأعتقل الميجر (جرينهاوس) نائب (سون) الذي كان غائباً وأعتقل معه عدد من الضباط البريطانيين. وأعلن الشيخ نفسه حاكماً لكل كردستان ووضع يده على كل ما في الخزينة من مال، ورفع علمه وعين موظفيه ورجال إدارته وقطع أسلاك البرق بين السليمانيه وكركوك. أول الأنبا حملها النقيب ليز الذي غادر محل عمله الى خانقين ناجياً من الأسر بأعجوبة.

بعد قيام الثورة بقليل، وقعت بيد رجال الشيخ قافلة حكومية مقبلة الى السليمانيه من كفري وكان بين الغنائم نقودٌ وبنديقيات وخيول. بداية سيئة العقبي بدون شك. وحزم البريطانيون أمرهم على إجراءات مقابلة. وصدر الأمر لقائد حامية كركوك بإرسال رتل متقدم حتى جَمَجمال الواقعة على الطريق العام بين كركوك والسليمانيه على ان لا يتعداها. إلا أن أمر الرتل قرر تخطي الأوامر وأرسل قوة من الخيالة والمشاة الليشي مع سيارات مصفحة ورشاشات محمولة على سيارات (فورد) للتقدم نحو مضيق طاسلوجه الذي يبعد بحوالي ١٨ كيلومتراً عن السليمانيه. إلا أن القوة أرغمت على التفهقر وطوردت الى مسافة ٣٥ كيلومتراً وألحقت بها خسائر كبيرة في الأرواح والمعدات منها تدمير أربع مصفحات وتسع عشرة سيارة فورد.

أرسل إنتصار الشيخ صعقةً كهربائية الى أقصى جنوب كردستان. وكتب ولسن: «هذه الواقعة المؤسفة أيدت الإعتقاد الذي يسود كردستان الجنوبية الآن بأننا ماعدنا نستطيع السيطرة على الوضع. وإنتشرت الثورة وعبرت الحدود الإيرانية فإنتفضت عدة قبائل على الحكومة الإيرانية وأعلنت نفسها مؤيدة للشيخ محمود وإنتصرت له ولمشروعه في كردستان حرةً موحدة. (٩)»

٩- المرجع السالف (الولاءات) ج ٢، ص ١٣٧.

وترتب على البريطانيين أن يعملوا بسرعة وإلا خرجت المناطق الأخرى عن سيطرتهم وتذكر جيرترود بل: "مع هذا كان الشيخ مستعداً للتفاوض رغم نجاحه في دحر القوة الإستطلاعية إلا أن الأمور خرجت عن طورها." إذ وجب القضاء على الشيخ نهائياً. أنيطت قيادة الحملة التأديبية باللواء [سر تيودور فريزر] قائد الفرقة الثامنة عشرة المرابطة في ولاية الموصل. واحتشدت بكركوك في لوائين من المشاة. وكتيبة خيالة ومصفحات ووحدّة جوية. كما تحرك رتل آخر من خانقين نحو السليمانية. وبلغت قوة (فريزر) جَمَـمَـال في ١٥ من حزيران ثم تحركت الى قرية (تكيه كاك احمد) على مسافة خمسة كيلومترات من دَرَبُنْدِي بَازِيان. في صبيحة اليوم التالي بدأت وحدات المشاة تصعد في شبه العمودية على جانبي المضيق. حين بدأت مدافع الميدان تقصف المضيق نفسه. وعندما إندفعت قوات الشيخ لحمايته من تسلل بقية الحملة خلاله. وجدت نفسها بين نارين ثم طوقت وشتت حركتها. بلغ عدد القتلى منها ثمانية وأربعين وأسر أكثر من مائة. في حين شتت شمل البقية وهربوا. وأخذ الشيخ محمود أسيراً وهو جريح إذ كان يقود رجاله ويتقدمهم.

ثورة الشيخ محمود هي محطة رئيسة من محطات تاريخ القومية الكردية. أبى الشيخ إلا أن يكون في قلب المعركة على رأس مقاتليه لا في الخلفية وليس في هذا إلا الدليل على إقتران صفتي الزعامة البارزتين: الشجاعة والإيمان بالقضية. كان القلق على الضباط المعتقلين في السليمانية كبيراً، خشية أن تصل أنباء هزيمة الشيخ إليها فيقضى على حياتهم إنتقاماً. ولذلك إنطلقت قوة من الخيالة الى المدينة وبلغتها قبل وصول النبا وتم تحريرهم. وأسعف الشيخ حتى أبل. ومثل أمام محكمة عسكرية فرضت عليه حكم الموت إلا أن القائد العام بموجب صلاحيته أبدل الحكم الى الحبس لمدة عشر سنوات. ثم أبدل بالنفي الى الهند في ١٩٢١^(١٠) وحكم على صهره الشيخ محمد غريب بالسجن لمدة

١٠- كرد وترك وعرب. إدموندز. ترجمتنا. الص ٣٤-٣٥ والص ٤٩-٥٣. هذا ما تذكره جيرترود بل (التقرير. المرجع السالف) إلا أن (ليز) المرجع السالف. يذكر أن حكم الموت أبدل بالأشغال الشاقة لمدة عشرين سنة. في حين يذكر إدموندز انه أبدل بعشر سنوات ثم بالنفي الى الهند. وهو طبق ما أثبتته جيرترود بل. ورأي ولسن (الولاءات) أن إبدال الحكم بالسجن لم يكن من المصلحة في شيء "بقضاء الشيخ حياً يقضى على كل أمل حقيقي بالهدوء والإستقرار في منطقة =

خمس سنوات وغرامة قدرها عشرة آلاف رويية^(١١).

لم يكن بوسع الشيخ أن يجرد للمعركة أكثر من خمسمائة رجل ويبدو انه كان يفتقر الى صنف الخيالة. فضلاً عن إفتقاره الى العتاد في حرب عصرية. وذكروا أن قسماً من تلك القوات خارت عزائمهم بالقصف المدفعي فلم يطلقوا رصاصة واحدة، لاسيما وحدات الليثي الكردية التي جدها البريطانيون. ويقول إدموندز أنهم عرضوا بندقياتهم للفحص بعد إستسلامهم تدليلاً على أنهم لم يطلقوا رصاصة واحدة منها أثناء المعركة. هناك حقائق تسترعي الإنتباه كشفت عنها الوثائق المضبوطة في السليمانية بعد إحتلالها. وأهمها غياب الحديث عن القومية، والإستقلال والوطنية. يقول درايفر^(١٢):

"لم يكن هناك أي ذكر لدوافع وطنية كردية في الرسائل والوثائق المكتشفة. كان أتباع الشيخ يستنهضون الهمم وينتخون لنداءات الدفاع عن الإسلام."

قد يصح هذا بإفتراس أمانة المنقول عنه دليلاً على أن الشيخ ومستشاريه كانوا يعتقدون بأن الشعور الديني لا القومي هو الذي يجب أن تُستنهض به رجال القبائل لا المشاعر الوطنية. وفي إعتقادي أنهم أصابوا فالقبائلي لم يكن معتاداً وقتذاك رفع السلاح في سبيل قضية التحرر القومي الكردي. فشعار "القومية" شيء غير مفهوم لديهم. "والجهاد" هو شعار قديم جذاب للمسلم.

= السليمانية".

بعد بضع سنوات أدلى القائد العام الجنرال سر جورج ماكمون G. MacMunn بالسبب الذي حمله على ابدال الحكم من خلال تعليق على محاضرة القاها (النقيب ليز) بتاريخ ١٤ آذار ١٩٢٨ في أعضاء الجمعية الآسيوية المركزية. قال تعقيباً: "جيء بالشيخ محمود أسيراً من مضيق بازيان. فأحلته الى مجلس عسكري وحكم بالموت. كنت أعلم انه وغد لعين Informal Scoundrel والناس يريدون مني شنقه. لكن رأيت ألا وجه للإنصاف والعدل. فالبطء العام في تسوية لمستقبل العراق كان كبيراً بدرجة يوقع المرء في حيرة. والشيخ محمود غير مدين بولاء مؤقت للبريطانيين. وعند قيامه بثورته لم يقتل الضباط الأربعة أو الخمسة الذين كانوا في أسره. لذلك لم أتصور أني العب اللعبة البريطانية بعدالة لو أمرت برميته بالرصاص". [ليز: سنتان في كردستان] المرجع السالف.

١١- عملة هندية أستخدمت حتى ١٩٣٠ في العراق. وعندما صدرت العملة العراقية حدد سعرها بـ ٧٥ فلساً. وفي حينه كانت ذات قيمة شرائية كبيرة جداً.

١٢- الكرد وكردستان، المرجع السالف، ص ٩٢.

هناك مسألة أخرى هي التجانس والإرتباط العضوي. فقوة الشيخ خلافاً لأقربائه وأتباعه الكثر، كانت تتألف من أشتات من قبائل متعددة. منها الهورمان بقيادة محمود خان دزلي. والمريواني بقيادة محمود خان كاني سنان. ومعظم الهمووند المشاركون بقيادة رئيسهم الأعلى كريمي فتاح بك. وفرع الميكائيلي من الجاف مع الجباري بقيادة رئيسهم سيد محمد جباري وشيخ بزيني بقيادة أحد رؤسائهم فارس آغا. وفرع من اسماعيل عوزيري وفخذ من قبيلة شوان بقيادة عزيزي شريف جليل وعناصر من اتباع شيخ عبدالله عسكر في فلاسيوكه بمنطقة آغچلر.

إلا أن عدد الملتحقين به من هذه القبائل في تلك المعركة كان من القلة بحيث يدعو الأمر الى الأسى. فقد كان بوسع هذه القبائل التي ذكرناها أن تجرد أكثر من عشرة آلاف مقاتل. لكن ما شارك في المعركة لم يتجاوز الخمسمائة. أما الخيالة التي قدرها إدموندز بمائتين فإنها لم تشارك في القتال أصلاً.

بعد اندحار الشيخ، عاد (ميجر سون) الى السليمانيه ليحكم بيد من حديد ويتصرف وكأنه السيد المطاع أو رئيس قبيلة أعلى، مشيعاً الرهبة والخوف الى جانب مظاهر الولاء، والحق أنه قام بمشروعات مفيدة جمّة. ونشر على السليمانيه ظلاً وارفاً من الهدوء والطمأنينة وشجّع استخدام اللغة الكردية كتابةً وأدخلها المدارس. وأصدر قبل ختام السنة أول صحيفة كردية في المدينة سماها (پيش كوتن: الى الامام) واجهت أول أمرها إستخفافاً وباتت موضع تندرّ وسخرية من المتعلمين الكرد، إلا انها بمرور الوقت شقّت طريقاً الى النفوس واحتلت مكانةً محترمة فيها.

كان سون واحداً من رجال الإستعمار البريطاني بدون شك. إلا أنه من النوع الغريب الأطوار الذي ينتظر منه أي شيء. لكنه كان يؤمن وبحماسة لم تفتّر، بحرية تقرير المصير الكردي، ولذلك وجدناه يشرك الكرد في الإدارة المحليّة ويعوّدهم على أصول الحكم. إلا أن الوقت لم يمتدّ به إذ كانت آراؤه في مستقبل الكرد لا تتفق والسياسة التي إتبعتها حكومته بالأخير. وأقيل من منصبه في آذار ١٩٢٠ لنجده بعد قليل قريباً من السياسي البريطاني الكبير (ونستون چرچل) عندما وُضع مستقبل شعب جنوب كردستان على مائدة المداولات في لندن والقاهرة.

ترك (سون) كردستان وهو ناظم على السياسة البريطانية هناك، وخلفه الميجر

گولدسمت ولم يلبث هذا قليلاً حتى واجهته اضطرابات وغيلان مزقا الهدوء الشامل في
السليمانيه وغيرها من أجزاء كردستان، أكلها كان من عمل الأتراك ودسائسهم؟ كما
فضّل البريطانيون أن يروها بهذا المنظار؟
لا بل كانت هناك أسباب أخرى.

*** *** ***

عندما حان الوقت للتأكد فعلاً مما يطمح اليه الكرد في جنوب كردستان. وجدت
الإدارة البريطانية نفسها في العام ١٩١٩، تتخبط في شبكةٍ ذهبت أولاً الى
الإستشارة الشعبية التي نعتته فيما بعد بوصف يبعث على التندر والسخرية هو
(الإستفتاء). والواقع فيه أنها أخذت بنظر رؤساء العشائر والأغوات وعلية القوم ولم
يكن مأخوذاً بصورة فردية أو سرية. وإنما بشكل جماعي علني وتمّ عندما كان
البريطانيون يزودون كردستان بمواد الاعاشة والأرزاق في كردستان الجامعة بعد الحرب
وعندما كانوا يسيطرون عليها عملياً. فما كان أحدٌ يتوقع معارضة لهم أو يتحدى
وجودهم ثمّ أنّ المنافع المادية في الإنتماء الى دولة موحدة (العراق) تحت الوصاية
البريطانية البريطانية كان لها بطبيعة الحال الأرجحية على حالة الشك فيما سيأتي به
المستقبل الغامض من مجامعات وبؤس لو بقي الكرد خارج المظلة البريطانية. هناك
الفوائد الإقتصادية التي سيحرم الكرد منها بالإنفصال والأسواق العراقية والمنافذ الى
الخارج. على أن البريطانيين عرفوا أيضاً بأن هناك رغبةً قويةً جديةً في تبني فكرة
جنوب كردستان مستقلّ، فإنّ الحاجة تدعو الى قيام وحدة أعظم وأكبر من وحدة القبيلة
ولاحظ (نوئيل): "أنّ التماسك والتعاقد مازال قبائلياً وليس قومياً"^(١٣) وهذا ماتعذّر
الوصول اليه. إذ ماشاعت النية في تعيين الشيخ محمود (واليّاً) على جنوب كردستان
حتى أعلن الآخرون معارضتهم ف:

"وجهاء كركوك شعروا بأن طريق التقدم هو بإتجاه بغداد لا بإتجاه
السليمانيه فضلاً عن عدم وجود مشاعر قومية في كركوك والسلطة

١٣- نوئيل: مذكرة حول مستقبل ميسوپوتاميا Fo. 317 - 4149. A Memorandum on Mesopotamia
Future. في ١٥ كانون الأوّل ١٩١٨.

البريطانية موضع رضى كبير هناك. ولا يوجد حدود إدارية ثمة بين الكرد والعرب لكنهم في الوقت عينه كانوا يريدون الحماية البريطانية لا العربية." (١٤)

وهكذا، فبأول تراجع عن فكرة دولة لكردستان الجنوبية واحدة. بدأ التركيز يتحول الى فكرة إقليم عربي محاذٍ لآتونومية كردية بزعامة رؤساء قبائليين كرد ومستشارين بريطانيين. إذ لم يكن هناك نيّة بالنكول عن الوعد بالفصل السياسي بين الكرد والعرب لكن وبالأثرة التي تنبع من الإعتقاد بأنّ "المرية هي خير العارفين" كان الرأي المقبول في بغداد وقبل إنعقاد مؤتمر القاهرة هو هذا: "نحن لم نحرر الفلاحين الكرد من تحكم وإستغلال الإقطاعيين والملأك الموصليين الذين رغم الشبهة الكبيرة في أصالة عربوتهم إلا أنهم فضلوا كطبقة ربط مصائرهم بأولئك الذين يفضلون قيام حكومة عربية" (١٥).

وجاءت إنتفاضات السليمانيه وغيرها في كردستان الجنوبية لتقع البريطانيين بضرورة الهمينة على الشؤون الإدارية بشكل مطلق، إلا أن صانعي السياسة في لندن كان لهم رأي آخر معدّل لحكومة كردستانية مستقلة يتفق ووجهة نظر وكيل الحاكم المدني العام ولسن الذي أبرق لوزارة الهند عقب هزيمة الشيخ محمود:

"الأحداث الأخيرة لم تغير قط من وجهة نظري بخصوص الضرورة الى تطبيق السياسة التي وافقت عليها حكومة صاحب الجلالة في التاسع من أيار ١٩١٩ بخصوص دويلات كردستانية ذات حكم محلي. إلا أن قدراً ما من الإشراف عليها يجب أن يستوحى من حاجة البلاد ومن إعتبرات ستراتيجية." (١٦)

وهذا يعني يداً حرّة. ووعوداً ذات طابع عمومي. يحد فيها ولسن "إنتداباً خاصاً من عصبية الأمم. حيث لا يشترط نظام حكم خاص للمناطق الكردية". (١٧)

إلا أن كردستان بدأت في هذه المرحلة تقع ضحية متطلبات ودواعي القومية العربية

١٤- المرجع السالف. تقرير شهري حول الإدارة. ١٥ كانون الأول - ١٥ كانون الثاني ١٩١٨.

١٥- مذكرة حول تقرير مصير ميسويوتاميا. ٩ تموز ١٩١٩. في المحفظة 371 - 4149. Fo.

١٦- ولسن. المرجع السالف. ج ٢. ص ١٤٣.

١٧- من الحاكم المدني العام الى وزارة المستعمرات. Fo 371 - 5067. ٤ شباط ١٩٢٠.



الرئيس الأمريكي وودرو ويلسن

فالخيبة من الحكم البريطاني الولسنى ونقمة رؤساء العشائر الجنوبية على حكم يريد الحدّ من نفوذهم مع تنامي المشاعر القوميّة في المدن، أدّت بمجموعها إلى إنتفاضة الجنوب المعروفة بثورة العشرين. مما حمل البريطانيين على العمل بسرعة فأنهيت وكالة ولسن بما يُشبهه الطرد. وحيء بيرسي كوكس الذي أعلن عن قيام دولة عربية عراقية. وراح يسعى بكلّ جهدٍ وحماسة الى تحويل وجهة نظر الوايت هول في إقامة كيان كردي مستقل أو شبه مستقلّ من جنوب كردستان، وضمه الى الدولة الجديدة وهو ما سنعرض له وشيكاً.

الفصل الثالث عشر

مصير الولاية الموصل (جنوب كردستان). بدء النزاع. دخول جنوب كردستان ضمن حدود الإنتداب. إستحداث دائرة الشرق الأوسط في وزارة المستعمرات ومسؤوليتها في المستقبل السياسي لجنوب كردستان. مؤتمر لندن. مؤتمر القاهرة طرح رأي دائرة الشرق الأوسط في الهوية القومية الكردية. منشور المندوب السامي وإنتصار سياسة التدخل العسكري التركي. نشاط الزعماء الكرد في استنبول وقضية الحكم الذاتي. الصراع الكمالي. التقدم التركي العسكري في جنوب كردستان. المطالبة بعودة الشيخ محمود وتأزم الوضع.

نوهنا في ما مرَّ بأنَّ ولاية الموصل من أسلاب الإمبراطورية العثمانية وقعت بالنتيجة لفرنسا وكان الغرض البريطاني من دفعها لفرنسا في أوَّل الأمر هو خلق منطقة عازلة فرنسية بين الروس والممتلكات البريطانية. لكن يظهر أنَّ الروس لم يُعجبهم ظهور دولة جديدة على حدود المستقبل فاعترض سazanوف بمذكرة مؤرخة في ٢٩ من شباط ١٩١٦ ومن ثمَّ أعلنت بمذكرة في ٢٦ نيسان ١٩١٧ موافقتها على المشروع شريطة دخول المنطقة الواقعة جنوب (وان وبتليس) ضمن المجال الروسي^(١).

إلا أنَّ الوضع تبدل وإنقلب عاليه سافله عندما نزلت فرنسا عن ولاية الموصل للبريطانيين ثمَّ خروج روسيا من دائرة توزيع الأسلاب بعد ثورة أكتوبر. وقد عوملت الولاية بعد الإحتلال مباشرة إدارياً كجزءٍ من العراق قبل البتِّ في أمرها. في ٢٨ من كانون الثاني ١٩٢٠ أعلن الكماليون ما عُرِفَ بـ(الميثاق الوطني) وهو في

١- ف. مينورسكي: دراسات في التاريخ القفقاسي. V. Minorsky: Studies in Caucasion History. ص ٩. كمبردج دراسات شرقية ١٩٥٣.

الواقع حصيلة قرارات مؤتمري سيواس وأرضروم. عكس هذا الميثاق وجهة النظر الكمالية في مصير الأقاليم والولايات التي تنتظمها الدولة العثمانية فأقرّ بمبدأ حرية تقرير المصير للممتلكات العربيّة جنوب خطّ هدنة ١٩١٨. إلاّ أنه أوضح بجلاء وجوب إعتبار كل المناطق التي لا يسكنها عربٌ مسلمون جزءاً من تركيا لايتجزء^(٢).

والقصد بدون شك ولاية الموصل بأغليبيتها الساحقة الكردية. فالميثاق والحالة هذه أولّ طلب رسميّ بولاية الموصل وأول إشارة الى أن الترك عقدوا العزم على إستعادتها. وكان فيها بداية الوقائع والإشتباكات والتآمر والإعتداءات بإمتداد الحدود المؤقتة التي رسمتها الهدنة التي عرفت بخطّ بروكسل. تواصلت حتى تمتّ التسوية بمعاهدة ١٩٢٦ الانگلو التركية العراقية.

ودخلت ولاية الموصل مرحلة ثانية عند قبول بريطانيا بالإنتداب على العراق في شهر نيسان ١٩٢٠. تلك التي جعلت بريطانيا بموافقة عصبة الأمم مسؤولة عن الجزئين العربي والكرد من الدولة التي باتت تعرف رسمياً ودولياً باسم (العراق). وعلى هذا الأساس كان بمقدور البريطانيين الوقوف في وجه الإدعاء التركي بجنوب كردستان أمام عصبة الأمم وفي لوزان والتصديّ لتركيا الحديثة ومنعها بالقوة من حيازتها.

والخلفاء الذين أصرّوا على تجزئة الإمبراطورية العثمانية تجاهلوا الميثاق الوطني الذي أعلنه الكماليون، أو ربّما لم يعبأوا به عندما قامت حكومة السلطان الضعيفة على إمضاء معاهدة سيفر في العاشر من آب ١٩٢٠. بموادها الثلاث (٦٢ و ٦٣ و ٦٤) التي تقرّ للكرد الحقّ في إقامة دولتهم القوميّة نتيجة لمساعي الجنرال محمد شريف پاشا وصحبه في مؤتمر الصلح. فأضيفت بهذا تعقيدات جديدة على مشاكل الساعة. ومع أن

٢- قرار المجلس الوطني الكبير التركي المتخذ في ٢٣ نيسان ١٩٢٠ وهو القرار المعروف بالميثاق الوطني الذي نصت مادته الأولى: "عند الضرورة يتقرر مصير أجزاء الإمبراطورية العثمانية التي تسكنها أغلبية عربية والتي كانت حين عقد هدنة ٣٠ تشرين الأول ١٩١٨ محتلة من قوات العدو وفقاً لتصويت سكانها الحرّ. أما الأجزاء التي تقطنها أغلبية عثمانية مسلمة متحدة ديناً وجنساً وهدفاً. عامرة بمشاعر الإحترام المتبادل والتضحية. وتحترم إحتراماً كاملاً الحقوق القومية والإجتماعية والظروف الراهنة. فهي جزء لايتجزأ من تركيا لأيّ سبب منطقي أو قانوني. سواء أهي داخل خطّ الهدنة المذكورة أم خارجه". وفي هذا إدعاء صريح بولاية الموصل بإعتبارها جزءاً لايتجزء من تركيا.

هذه المعاهدة ألغتها إنتصارات الكماليين وحلّ محلها معاهدة لوزان ١٩٢٣. إلا أنها بقيت حدثاً هاماً في تاريخ الحركة القومية الكردية إذ كانت المرة الأولى الذي تأطر فيها حلم الكرد بالإستقلال بوثيقة دولية.

وفي انكلترا أحدثت وزارة المستعمرات في نهاية العام ١٩٢٠ دائرة خاصة لمعالجة مشاكل كل المنطقة سميت بدائرة الشرق الأوسط. وكان من المسؤوليات التي أنيطت بها، إدارة شؤون العراق وتقرير شكل الحكم الذي سيسوده.

كان وزير المستعمرات الجديد ونستون چرچل من ساسة الجيل الجديد البريطانيين الطموحين الواسعي الخيال الذين إمتازوا بدينامية ومن طراز بناء الإمبراطورية المغامرين الى الحدّ الذي لا يتردد في إتخاذ أيّ مبادرة يرى فيها منفعة للإمبراطورية. وكان إذ ذاك يحيط نفسه بحلقة من ذوي الخبرات العظيمة أمثال نوييل ولورنس العرب وروبرت يونگ. وأسرع بنشاطه المعهود يخطط لمؤتمريّن من أجل حل مشاكل الشرق الأوسط وتنظيم مستقبله: مؤتمراً في لندن وآخر في القاهرة.

كان الغرض من مؤتمر لندن الوصول الى تسوية مع الأتراك القوميين (الكماليين) وقد إنعقد في ١٢ من شباط ١٩٢١. ودام أقلّ من أسبوعين وفي الأول من آذار أعلن فشله رسمياً حين أصرّ (بكر سامي) ممثل أنقره عن القوميين الترك على رفض المفاوضات بوجود ممثل لحكومة السلطان. كما رفض طلب الحلفاء أن تكون معاهدة (سيقر) أساساً للمفاوضات.

وفي مؤتمر القاهرة المنعقد في ١٢ آذار ١٩٢١. كان ثمّ أربعون خبيراً لشأن واحد أو أكثر من شؤون الشرق الأوسط. بينهم المندوبون السامون والضباط القياديون في فلسطين والعراق^(٣). والمفوض العام في فارس المقيم في الخليج وحاكم الصومال العام المقيم في

٣- تألف الوفد العراقي من السرّ پرسی كوكس (المندوب السامي على العراق الآن وبموجب صك الإنتداب) والسكرتيرة الشرقية للدائرة مس گيرترود بل. والقائد العام للقوات البريطانية المرابطة في العراق الجنرال سر إيلمر هالدين. ووزير الدفاع في الحكومة العراقية جعفر العسكري. ووزير المالية فيها ساسون حسقيل. وهذان الأخيران ليسا عضوين في المؤتمر وإنما ضمّما الى الوفد بوصفهما خبيرين إستشاريين لأكثر يستأنس برأيهما حيثما دعت الحاجة. والظاهر أن كوكس لم يجد حاجة تدعو الى ضمّ خبير كردي.



چرچل

عدن، ومعاونوهم المدنيون والعسكريون. في الجلسة الأولى بين چرچل الهدف من عقد المؤتمر. ثم وضعت خطوط البرامج التالية وإنشعب المشاركون الى مجموعتين لمتابعة الأعمال. لجنة سياسية رئسها چرچل بنفسه ولجنة عسكرية ومالية رئسها السر ولتر كونغريف Sir Walter Congrave على أن تقوم اللجنتان بالإندغام معاً عندما يتم تنسيق وموائمة المقترحات العسكرية بالمقترحات السياسية أو عندما يجرى بحثها جنباً الى جنب بحسب جدول الأعمال.

عقد المؤتمر عدداً من الجلسات يتراوح ما بين أربعين وخمسين في فندق سميراميس بالقاهرة ودام إثني عشر يوماً في جوٍّ من السرية التامة كما وصف ولذلك لم يطلع الكرد على ما جاء فيه حول المستقبل المدّخر جنوب كردستان إلا بعد مرور زمن طويل. لكن كان معلوماً أن القضية الكردية كانت واحدة من أهمّ مسألتين عرضتا حول العراق. جرى المداولة في المسألة الثانية حول إختيار رئيس دولة للكيان الجديد وعلاقة الدولة الجديدة المالية مع بريطانيا وترتيب أمور الدفاع عنها. وأتخذت قرارات في هذا الشأن دون إشكال لاسيما بخصوص رئيس الدولة فقد إتفق الرأي على أن يكون فيصل ابن الحسين ملكاً على العراق بعد استفتاء.

أوضح چرچل في كلمة الإفتتاح أن المؤتمر هو بمثابة محاولة لايقاف إنحدار السياسة البريطانية إلى مزالق غير مأمونة بدأت بالعام ١٩٢٠ وتواصلت حتى بداية العام ١٩٢١. ثم انه قدّم للجنة السياسية التي ترأسها هو مذكرة دائرة الشرق الأوسط حول مستقبل كردستان للدراسة وإعطاء الرأي. وبخلاف الرئيس ضمت اللجنة كلاً من سر پرسی كوكس. ومس گیرترود بل سكرتيرته والعقيد ت. ي. لورنس. وميجر هربرت يونگ. وميجر بابكوك R. D. Babcock سكرتير اللجنة السياسية الخاصة بكردستان. وميجر نوبيل عضواً إستشارياً.

جاء في المذكرة التي قدمتها دائرة الشرق الأوسط للجنة السياسية:
"رأينا القويّ. أنّ المناطق الكردية الخالصة القوام يجب أن لاتدخل في
الدولة العربية التي ستقام في ميسوپوتاميا، بل يجب العمل من جانب
حكومة صاحب الجلالة ويقدر المستطاع على تشجيع مبدأ الوحدة
الكردية، ورعاية الهوية القومية. إنّ إمتداد المنطقة التي ستتيح لحكومة
صاحب الجلالة المجال والقدرة على مواصلة هذه السياسة، سيعتمد بحكم
الضرورة على الشروط النهائية لتسوية سلمية مع تركيا. ومهما بلغت
هذه المنطقة من مساحة فإعتقادنا أن سيطرة حكومة صاحب الجلالة
ستسهل بوجود نوع ما من نظام كردي مركزي، يلحق به مشاور
بريطانيّ. على أن يكون هذا المشاور مرتبطاً بالمندوب السامي على
ميسوپوتاميا. ومن خلاله ستكون صلته بحكومة جلالته".

في إجتماع اللجنة يوم ١٥ من آذار تحدث سر پرسی كوكس حول محتويات مذكرة
دائرة الشرق الأوسط. فقال إنّ الكرد هم أغلبية فحسب في منطقتي كركوك
والسليمانيه والمناطق الشمالية من ولاية الموصل التي تؤلف جزءاً لا يتجزأ من العراق
فإعترض هربت يونگ وإقتراح إقامة دولة كردية فوراً ومن دون تأخير وأن توضع تحت
الوصاية المباشرة للمندوب السامي لا أن تكون جزءاً من العراق أو ضمن مسؤولية
حكومته. وأيدّه ميجر نوئيل في ذلك.

وكان من رأي ونستون چرچل أنّه يفضل حكماً ذاتياً كاملاً لكردستان الجنوبية Home
Rule فقد يكون من المفيد لخلق دولة عازلة بين الضغوط التركية من (الخارج) وبين قيام
حركة عراقية معادية لبريطانيا من (الداخل). وأعرب عن موافقته لما أبداه من رأي
كلّ من يونگ ونوئيل. وعقّب بقوله أنّ حكومة المستقبل العراقية ومن ورائها جيش
عربيّ "ستتجاهل الطموحات والأمانى الكردية وستضطهدها كأقلية". وأضاف يقول
محذراً "إنّ لم يتّح للكرد المجال ليحكموا أنفسهم بأنفسهم وصيرّ الى إلحاقهم بالدولة
الجديدة فإن أي أمير شريفيّ (نسبة الى شريف مكة ويقصد هنا فيصلاً) مهما بدا
ديمقراطياً، ومتّسماً بروح الحياد ما أن يجد نفسه في موضع قوة، ليس ببعيد أن يقف
في سبيل الطموح القومي الكردي ومصالح الكرد كأقلية عنصرية ولذلك يبدو الأ سبيل
وتوفيقاً للمصلحة البريطانية إلا إقامة دولة كردية عازلة Buffer State بين العراق وتركيا.
وختمت اللجنة إجتماعها بتبني توصية هوبرت يونگ. في إبقاء جنوب كردستان

منفصلاً عن العراق. وساند هذا الإقتراح كلُّ من چرچل ونوئيل ولورنس وهم الأغلبية وعارض السر پرسی وگيرترود بل. ولم يؤخذ رأي السكرتير بابكوك ولم يتدخل في المناقشة. إلا أن الأكثرية وضعت قييداً إحترازياً مجاملةً للسر پرسی هو "أن يبقى هذا القرار غير معمول به حتى يتيسر الوقت (بعد ثلاث سنين؟) لئيتهيأ للكرد رأي تمثيلي قد يحيد أو لا يحيد الإنضمام الى العراق.

وإستقرَّ الأمر في الأول من أيار على هذا. الأغلبية حبّدت أو أرادت في الواقع جنوب كردستان منفصل عن العراق على أن توضع مسؤوليته على عاتق المندوب السامي البريطاني.

وساندت دائرة الشرق الأوسط وزيرها چرچل في هذا مساندةً قوية. إلا أن سياسة مضادة - تصيب المرء بالدوار حقاً - قُدِّر لها أن تطفو على السطح خلال الأشهر القلائل التالية تمَّ خلالها تميع قرار الأكثرية بل تجميده ثم تصفيته وتفضيل خطة (كوكس) بالأخير وتطبيقها بكل الكوارث التي نجمت عنها. وكان (كوكس) صاحب الدور الرئيس بمساندة معاونته گيرترود بل.

قيل ان كوكس كان واقعاً في أسر الإفتراض بأن العراقيين أصلاً لا يريدون كردستاناً مستقلة وتحت تأثير فكرة الصعوبة التي سيواجهها في إيجاد زعيم طيِّع ممثل للأوامر الى حد مناسب لإنشاء هذا الكيان المستقل وربما كان مأتى سياسته هذه الإصرار العربي على انه لا يمكن عمل دولة جيّدة من ولايتي بغداد والبصرة.

الى جانب هذا القرار أُتخذ قرار ترشيح فيصل لعرش العراق. وكان قد وصل في العشرين من حزيران ميناء البصرة وفي ٢٣ من آب توجَّ ملكاً بعد إستفتاء كسب فيه ٩٦ بالمائة من مجموع الأصوات الكلي. وأغضى المندوب السامي عن إمتناع السليمانيه وكركوك ورفضهما المشاركة في الإستفتاء. إذ كانت هناك مخاوف وشاع قلق عظيم هناك حول مستقبل السيادة العربية على حكومة بغداد.

بسبب من هذا ولأجل التظاهر المبدي بأن المندوب السامي يمهد فعلاً لتطبيق قرار مؤتمر القاهرة، أصدر في السادس من أيار ١٩٢١ بعد عودته تصريحاً نبّه فيه الضباط السياسيين في كلِّ من الموصل وكركوك والسليمانيه وأربيل الى ماسيجري العمل به. إلا انه كان في الواقع تمهيداً للشروع في خطته:

"ينظر المندوب السامي بصورة جادة وعملية في التدابير التي وجب إتخاذها بخصوص إدارة المناطق الكردية في العراق. وقد بلغه أن

مخاوف تساور القلوب من احتمال إلحاقها بحكومة بغداد الأمر الذي أُلجأ بعضهم الى المطالبة بنظام إستقلالي. كما بلغه في الوقت عينه أن قادة الرأي العام الكردي يشعرون بقوة الروابط الإقتصادية والصناعية التي تربطهم بالعراق. وفي هذه الحالة يرغب المندوب السامي في أن يحصل إن أمكن على ماينير له السبيل الى مطالب الكرد الحقيقية. فإن كانوا يفضلون البقاء ضمن إطار الحكومة العراقية فهو مستعد للإقتراح على الحكومة العراقية حلاً على الوجه التالي:

١- فيما يتعلق بالمناطق الكردية الواقعة في (لواء) الموصل والداخلة في مجال الإنتداب البريطاني. يشكّل لواء فرعي Sub Liwa يتألف من أقضية زاخو وعقره ودهوك والعمادية. ومركزه دهوك ويكون بإدارة معاون متصرف بريطاني قائمقامون بريطانيون أيضاً على أن يحلّ محلهم كرد أو عرب يحسنون اللغة الكردية ويرضى عنهم الكرد. ويدعن هذا اللواء الفرعي في شؤونه المالية والقضائية الى حكومة بغداد الوطنية. ويرسل بطبيعة الحال ممثلين عنه الى المجلس التأسيسي. أما في الأمور المتعلقة بالإدارة العامة. فإن القائمقامين يراجعون متصرفهم البريطاني. كما أن التعيينات الإدارية يتولّاها المندوب السامي بمشاوره الحكومة المحليّة.

٢- سيتدبّر المندوب السامي موضوع إشراك الضباط السياسيين البريطانيين في إدارة أربيل وكويسنجق ورواندوز وسيربطون بتعهد بمراعاة رغبات الأهالي في تعيين موظفي الحكومة هناك. وستوضع تفاصيل لذلك حالما تسمح الظروف.

٣- تعامل السلیمانيه كمتصرفية. ويديرها متصرف يعاونه مجلس إستشاري محلي. ويقوم المندوب السامي بإختيار وإلحاق مستشار بريطاني به. والى حين يتمّ تعيين هذا المتصرف، يقوم الضابط السياسي مقامه ويخوّل هذا المتصرف من السلطات ما يتراءى للمندوب السامي تخويله بعد إستشارته وإستشارة حكومة بغداد. ويبقى القائمقامون في الوقت الحاضر بريطانيين، على أن يحلّ محلّهم كرد حينما يتوفر لهذه الغاية أكفأ.

في رأيي كان هذا التصريح نقطة البداية لحرف قرار مؤتمر القاهرة عن الخطّ الذي رُسم

له. وأوّل نذيرٍ للتحوّل. وصل دائرة الشرق الأوسط في وزارة المستعمرات تقرير إستخبارات من العراق مؤرخ في ١٥ أيار ١٩٢١. رأى فيه (ريدر بولارد) وهو واحدٌ من ألمع موظفي تلك الدائرة وضابطٍ سياسيٍّ سابقٍ في العراق عمَلَ مع الحاكم المدني العام - أنه من وحي كوكس إن لم يكن أمرٌ به فلاشكَّ هناك بأنه إطلع عليه. والتقرير يشير الى ظهور «سياسة جديدة» في سماء كردستان تعطي إنطباعاً للميل الى ترك أصغر ما يمكن تركه من ميسوپوتاميا خارج سيطرة حكومة بغداد.

وما إستنتجه (بولارد) من هذا التقرير أوضحه كوكس بنفسه في رسالة الى چرچل جاء فيها أنه إستخلص من منطوق المادة ٦٤ من معاهدة سيقر الوثيقة الصلة^(٤) بأنّ عليه الإستمرار في إدارة المناطق الكردية. وأنّه ردّ بجوابٍ على احتجاج مجلس الوزراء العراقي بأنّ التدابير التي يراها هو ضرورية في كردستان قد تؤدي بالأخير الى فصل كردستان عن العراق^(٥).

٤- نصّ المادة ٦٤ من معاهدة سيقر:

في موعد لا يتجاوز السنة الواحدة ابتداءً من تاريخ تنفيذ المعاهدة، إذا قدم الشعب الكردي المقيم في المناطق المعينة في المادة الثانية والستين من هذه المعاهدة طلباً الى جمعية (عصبة) الأمم مبيّناً فيه أن أغلبية سكان هذه المناطق ترغب في إنشاء دولة مستقلة عن تركيا. وإن أنست الجمعية المذكورة بأن هذا الشعب قادر على ممارسة هذا الحقّ. أوصت بذلك. وتتعهد تركيا من الآن بأن تنفذ تلك التوصية وتتنازل عن جميع حقوقها وإمتيازاتها في هذه المناطق وتكون تفاصيل هذا التنازل موضوع إتفاق خاص يعقد بين أهم دول الحلفاء وتركيا. وفي حالة التنازل وعند وقوعه لاتضع الحكومة العثمانية أية عراقيل ولا تبدو أية معارضة من طرف الحلفاء إذا شاء الكرد المقيمون في جزء من أراضي كردستان الداخل حتى يومنا هذا في ولاية الموصل - إتحاداً بمحض إرادتهم مع حكومة الكرد المستقلة.

٥- يخيل لي أن السرّ برسي كوكس كان يشير الى قرار يتعلق بشؤون السليمانيه إتخذته الوزارة النقيسية الأولى معترضاً على إحتفاظ السرّ برسي لنفسه بإدارتها «بناءً على أهمية موقع السليمانيه الجغرافي والروابط الإقتصادية والسياسية التي تربطه بالعراق والتقاليد المشتركة القديمة بين الخطتين يقترح مجلس الوزراء على فخامة المندوب السامي إبقاء القديم على قدمه وتوحيد وإدارة العراق واللواء المذكور وإعتباره كسائر ألوية العراق بجميع شؤونه. ٧ من آذار ١٩٢١

لم يجب السرّ برسي عن الإقتراح بنفسه بل كلّف سكرتاريتته بالرد هكذا:

رقم ٣٣٣٠/٤

أمرني فخامة المندوب السامي ان أخاطبكم بشأن أمور لواء السليمانيه الإدارية: لا يخفى على مجلس الوزراء ان معاهدة الصلح مع تركيا تنص على عدم معارضة دول الحلفاء الكبرى إذا أرادت المناطق الكردية التابعة للواء الموصل الإنضمام الى حكومة كردستان في خلال سنة واحدة من تاريخ عقد الصلح مع تركيا ويعترف فخامة المندوب السامي بالمصالح الإقتصادية وسواها التي تربط لواء السليمانيه بالعراق وعليه يظهر لفخامته امكان القيام بما =

وأنبأ سر پرسی وزارة المستعمرات أنه قام بعقد إجتماع لخبراء كُرد. فيه تقرر بالإجماع بأن أفضل حلّ ممكن يؤخذ فيه جميع وجهات النظر هو أن تبقى كردستان جزءاً لا يتجزأ من العراق للأغراض المالية والميزانية. لكن ويقدر ما يتمشى مع فكرة الحكم الذاتي - أن يقوم المندوب السامي بالإشراف على إدارتها مباشرةً من خلال موظفين كُرد وبريطانيين على أساس الأتونومية المحلية.

قد يُستخلص من هذا أن كوكس يرى ما وصفته المادة (٦٤) من معاهدة سيشر لمستقبل كردستان السياسي يفترض على أكثر تقدير حكماً ذاتياً. وأضاف يقول إن كلّ المناطق الكردية باستثناء السليمانية تفضل الإنضمام الى العراق وإنه واثق بأن هذا سيقع موقع قبول من عصبة الأمم والمحافل الكردية وإن سياسته هذه تتضمن أفضل حلّ وإنه يأمل أن يوافق چرچل على رأيه هذا.

من الجدير بالذكر أن القضية الكردية بحثت بإسهابٍ في مؤتمر القاهرة^(٦) كما لم تشر

= عليه نحو الأمة الكردية من جهة والحكومة الوطنية من جهة أخرى وذلك بتكليف إدارة في لواء السليمانية حالاً يديرها فخامته بمشورة وزراء بدلاً من الصورة المتبعة الآن. أي إدارة دفة الأمور من قبل هيئة الوزارة بمشورة فخامة المندوب السامي. أما هذه الإدارة فستكون مؤقتة بنظر فيها بعد إنقضاء المدة المصرح بها في معاهدة الصلح.

ثم أن السرّ پرسی كوكس يتبع سياسة من شأنها تأييد الحكم الذاتي. وقد باشر فخامته أيضاً في تعيين متصرف للواء السليمانية. وإن السياسة في العراق والسليمانية مع كونها سياسة موحدة الغرض والمرمى. يجب أن تكون مراجعات متصرف لواء السليمانية مع المندوب السامي رأساً بدلاً من أن تكون مع الوزراء. ففخامة المندوب السامي يود الوقوف والحالة هذه على رأي مجلس الوزراء بهذا الخصوص ولعل هذه الخطة تحوز قبولاً منهم».

[نقلت عن تاريخ الوزارات العراقية للحسني. الطبعة الخامسة، ج (١) الص ٢٨-٢٩].

٦- واحد من مقاصد كاتب هذا البحث، الكشف عن صفحات مطوية من تاريخ العراق الحديث حرص الكتاب والمؤرخون العراقيون على تجاوزها وطمس معالمها. ليس من أغراض البحث هنا التحري عن أسبابها ودواعيها وهي أشدّ وضوحاً للعين الآن من إعتماها بالتفصيل والمناقشة. وأذكر على سبيل المثال مؤلفي السيد عبدالرزاق الحسني (تاريخ الوزارات العراقية. وتاريخ العراق السياسي). ومؤلف الدكتور فاضل حسين (مشكلة الموصل). ومحمد طاهر العمري مؤلف كتاب (تاريخ مقدرات العراق السياسية). وكثير من المؤرخين والكتاب الآخرين الذين أغفلوا عمداً التطرق الى هذه المساجلة المصيرية الطريفة التي بدأت في مؤتمر القاهرة. بين من عزي اليه بحق بناء الكيان العراقي. وبين واحد من أعظم رجال التاريخ في كل زمان ومكان.

الصحف الصادرة في بغداد في حينه عن إجتماع القاهرة إلا الى موضوع ترشيح الملك فيصل لعرش العراق.

ردّ چرچل على شرح السرّ پرسي فوراً ببرقية مؤرخة في ٢١ ومرقمة (٢٠١) جاء فيها:

"غادرت القاهرة وأنا أحمل إنطباعاً مختلفاً عن موازنة الآراء بخصوص السياسة الكردية. يتسراءى لي أنكم تفصلون بين ذلك الجزء من ميسوپوتاميا الذي يجب أن يدار مباشرة مهما كان مصيره بالأخير وبين الجزء الذي سيضمّ بالأخير الى العراق"

ونوه چرچل بأن كوكس لم يتطرق بشيء ما حول المنطقة الثانية التي تدخل فيها أربيل وكركوك.

ثم عرج لتذكير كوكس ببرقيته الموجهة اليه في ٢٥ أيار موصياً فيه بأن لاتدخل كركوك في العراق. مؤكداً رأيه السالف المستولي على خياله الخصب "دولة كردية عازلة تتألف إثنولوجياً (عرقياً) من عناصر غير عربيّة".

ثم إنثنى چرچل ليصدر عدة تعليمات وأوامر الى دائرة الشرق الأوسط. منها وجوب عودة الميجر نوئيل الى كردستان. وأصدر تعليمات تنصّ على التمسك بقرار مؤتمر القاهرة. ومنها وجوب إعادة الشيخ محمود الى السليمانية.

ولم يكن كوكس مسروراً بهذا، وبدأت الخلافات الجانبية بين وجهتي النظر صغيرة تتعلق بكيفية التطبيق. إلا إنها إنداحت بالأخير لتغدو سبيلين متناقضين في تطبيق القرار احدهما يؤدي الى خلق كيان ذي حكم ذاتي منفصل عن العراق وآخر يبيّن نيّة واضحة في ضمّ جنوب كردستان الى الدولة العراقية الجديدة.

في التاسع من حزيران عاد چرچل ليؤكد على لزوم الإفادة من خدمات نوئيل وتعلّق ذلك بقضية الشيخ محمود المبعّد الى الهند فقد طلب چرچل إطلاق سراحه منذ الحادي عشر من نيسان وتعهد كوكس الإبطاء دون الإلتفات الى سخط چرچل الذي أصبح الآن مدركاً الى أي حدّ كان المندوب السامي يعارض في عودة الرجلين، مستفيداً من غيابهما من الميدان للعمل حثيثاً على دمج المناطق الكردية في جنوب كردستان بالدولة العراقية. فلم يجب على مطالب وإستفسارات چرچل إلا بعد شهرين تقريباً. (في ٨

حزيران). وإذ ذاك كانت السياسة الإدارية التي إتخذها كوكس قد نُفِذت عميقاً في تربة كردستان.

وإستخدم كوكس عللاً وأسباباً أخرى لإقناع دائرة الشرق الأوسط بسلامة خطته في معالجة الأمور محلياً. ففي حزيران وكان على إطلاع تام بثورة الكوجكيري في درسيم، بعث بجملة من البرقيات الى وزارة المستعمرات تتحدث عن اضطرابات كردية ووقائع عنيفة في الأناضول معادية للكمايين. وإستفسر حول إمكانية إستغلالها للمصلحة البريطانية. "إستثمار لنا أكثر من إستثمار القوميين الكرد لها ضدّ القومية التركيّة". كانت ثورة الكوجكيري سلاحاً جديداً لكوكس.

ولم يحوّل هذا الإغراء الجديد عزم چرچل عن متابعة نهجه. فأجاب مؤكداً أنّه ما يزال يفضل الأخذ بسياسة إقامة دولة كردية عازلة بين العرب والترك. كما تقرر في القاهرة. إلا أن كوكس بدأ الآن يُغري معظم المناطق الكردية بالتعاون على إمرار سياسته وجعل النظام العراقي يمتدّ الى (أقسام) كركوك وأربيل في حين بقيت السليمانيه تحت حكم البريطانيين المباشر وبذل "كلّ جهد" في سبيل "تطوير الإدارة الوطنية على خطوط إعتيادية". متصدياً لما تبقى في لندن من شعور بالواجب وإحترام التعهدات للكرد وظلّ يدور حول چرچل ويناور. كتب اليه چرچل بالأخير:

"إن الحكم العربي يجب أن يقتصر على الأرض العربية فقط وتحديداً"

لكن كوكس كان بوسعه الآن أن يقول له أن معظم الكرد قد أستششروا في (٦ ايار) فاختاروا عدم الانفصال وإنه من الصعب تجاهل رغبتهم فضلاً عن أن القوميين العرب صاروا الآن يعتمدون على بناء عراق تدخل فيه ولاية الموصل. وأن خيبة مبتغاهم الآن تعني المخاطرة بإنفجار شديد مثلما حصل في ١٩٢٠.

وعاد چرچل يذكّر كوكس أن إعتماده خطة إشراك الكرد في المجلس التأسيسي المنتوى عقده لوضع دستور الدولة العراقية - يجب أن يحترم مبدء أن الكرد يجب أن لا يوضعوا تحت حكم العرب ضدّ رغبتهم."^(٧)

بالأخير كشف كوكس عن أوراقه حين لم يعد للمداورة والمناورة موضع. فوضع الأمر

٧- من وزير المستعمرات الى المندوب السامي ٣ تشرين الأول ١٩٢١ - 6347 - Fo. 371.

أمام وزارة المستعمرات بالشكل التالي: "في مؤتمر القاهرة كان هناك خياران: المنطقة الكردية تُجعل جزءاً من العراق أو: المنطقة الكردية تُشجع على حكم منفصل ذاتي". ثم إنتهى الى القول إنه "وبعد موازنة الآراء والمشاورة مع أولي الرأي، يُرى أن يُصار الى الخيار الأوّل". ثم إستتلى قائلاً إنه لن يتخذ أي خطوة في أي من السبيلين إلا بعد أن يتلقى جواباً صريحاً من الوزارة "كيلا يكون هناك سوء فهم".

كان كوكس يريد أن يسمع من چرچل رأياً واضحاً، فيما إستدرجه اليه أي أن يصير بالنتيجة الى الحلّ الأوّل أو على الأقل أن يكتشف في رد فعله أي ضعف أو ميل إليه قد يطلق يده في سلوك سياسة الإندماج التي يفضّلها. وهو عاقد العزم عليها.

بتوالي التقارير وتعدد المراسلات إرتأى چرچل عقد إجتماع لدائرة الشرق الأوسط يضمّ ممثلين عن سائر الوزارات ذوات العلاقة. وإنضم اليهم كل من ميجر سون الذي لم يكن قد طُرد من السليمانيه بعد ومعاون الضابط السياسي النقيب ستيفن لونگريك للواء كركوك. وكان إذ ذاك في لندن، في السادس والعشرين من حزيران ١٩٢١ وفيه رُفض معظم تقارير كوكس ومقترحاته، بإعتبارها مخالفة لما تمّ التوصل إليه في مؤتمر القاهرة. وأعطى التفضيل لثاني الخيارات. وأيد هذا المنحى كل من ميجر سون والنقيب لونگريك. وكتبت الدائرة السياسية ردّها مشيرة الى هذين بعبارة تشبه التوبيخ:

"إن الدائرة السياسيّة للشرق الأوسط تظن أن ليس بين مشاوري كوكس من يستطيع أن يتكلم عن ثقة أو خبرة بقدر ما يملكه (سون ولونگريك) من خبرة وكفاءات".

وإنحصرت المكاتبات بين كوكس وچرچل لبقية العام ١٩٢١ وبداية العام ١٩٢٢ في النقطة المركزية: هل يجب على بريطانيا مساندة قيام كردستان أوتونوميّة. أو أن تضمّ المنطقة التي أطلقنا عليها مصطلح (جنوب كردستان) الى العراق.

ولم ينجح كوكس آخر المطاف في صرف وزارة المستعمرات عن قرار مؤتمر القاهرة وصرف نظرها عن تطبيقه نهائياً إلا بالضرب على وتر چرچل الحساس وتر الضرورة الاستراتيجية للإمبراطورية والتفكير في استحداث إدارة (أنكلوكردية) عن بُعد خشيّة جرح مشاعر القوميين الكرد المرهفة وبالصيرورة الى أن "أفضل السياسة هو إعتبار الكرد أقلية عراقية لكن بمنحهم فرصة إعادة النظر بعد ثلاث سنين في قرارهم!"^(٨) بقي

٨- من المندوب السامي الى وزير المستعمرات (٢١ حزيران ١٩٢١) 6346 - 371 Fo.

(سون) يعارض هذه السياسة. وأعلن رأيه في نهاية العام بكل صراحة بخصوص خضوع السليمانيه لحكم عربي إلا أن يكون مؤقتاً وتمهيداً لخلق دولة كردية. فأقيل فوراً من منصبه. كان مثل زملائه النقيب ليز والميجر نوتيل وربما أقدم على ما أقدم بدافع شبيه بدافع عاطفة الأبوة وبظنه أن هذا هو خير ما يمكن تقديمه للشعب الكردي.

أجل بقيت دار المندوب السامي ووراءها حكومة بغداد مستعدة للإعتراف بالهوية الكردية شريطة أن تكون ضمن الوحدة العراقية. ولكن كوكس أراد أن يكسو ذلك التدبير صفة الديمقراطية. فقرر أن من الضرورة "إستشارة" الكرد رسمياً في السادس من أيار "للظفر بدليل على الرغبة الحقيقية للمجموعات الكردية The Kurdish Communities! هل هم راغبون في البقاء ضمن الحكومة العراقية؟" (٩)

لو شاء الكرد ابراز الهوية القومية المتمثلة في الحكم الذاتي. فتلك هي اللحظة الحاسمة فما وصفه كوكس بإستفتاء أو "إستشارة" "الجماعات الكردية". لم يكن كما قلنا غير إستشارات جماعية علنية لنخبة من الوجهاء والشخصيات المنتقاة محلياً وأغوات ورؤساء عشائر معظمهم كانوا يعلمون أين تهبّ ريح السياسة البريطانية في ميسوپوتاميا وقليل منهم من شعر بإستعداد لتحديها والوقوف في وجهها. بل حتى لو إفترضنا وجود الرغبة في هؤلاء الصدور والأعيان لإقامة جبهة موحدة فلن يجدوا فرصة لتوحيد قواهم ورصّها في جبهة، لذلك كانت أجوبتهم ذات طابع محليّ ضيق. ورفض السليمانيون أي نوع من الضم الى الحكومة العراقية إلا أنهم كانوا وحسيدين في وقتهم. في ذلك الحين لم يصل التثقيف القومي الى الجذور.

في العام ١٩٢٢، أخلت هذه المشكلة مكانها من جدول أعمال المندوب السامي لمشكلة جديدة ذات خطورة آنية على المركز البريطاني في كردستان. وأقصد بها التدخل التركي العسكري في ولاية الموصل والوضع الناجم المهدد بالإنفجار.

* * * * * * * *

سادت الفترة التي سبقت عودة الشيخ محمود أو بالأحرى إعادته فترة فوضى فكرية وحيرة في نفوس القوميين الكرد في جنوب كردستان. شجعهم البريطانيون أنأ ثم

٩- وردنا المصطلح الذي إستخدمه كوكس بلغته في الإشارة إلى الكرد متحاشياً بتعمد إستخدام نعت آخر يدل على مجتمع متراصّ موحد.

أخلفوا وخانوا، وراقبوا إخوانهم في شمال كردستان وفي العاصمة استنبول خصوصاً يخرجون بمطالبهم الى العلن بعد إذعان حكومة السلطان لمطالبهم بوثيقة دولية خطيرة. وتابعوا تلك المفاوضات التي كان يجريها هؤلاء مع الحكومة في العاصمة على أساس تلك المعاهدة. والإقرار بحق حرية الكرد في تقرير مصيرهم وفقاً لتصريحات الحلفاء والمباديء الولسنية. ووجدوا تناقضاً كبيراً بين ما يجري هناك وبين ما يحاوله الترك في الجنوب، حين إنبت وكلاؤهم في أرجائه يدعون للأخوة التركبية الكردية ويستنهضون الهمم بإسم الدين الحنيف للإنتفاض على حكم الكفار دون أن تحاول السلطة البريطانية وقف نشاطهم الذي نجح الى حد كبير في إستمالة عدد من العشائر لاسيما تلك التي بقيت تنقم على معاملة الشيخ محمود المهينة.

في شمال كردستان كانت حكومة السلطان تحاول جهودها إبقاء الصلة الكردية بالعرش التركي مهما كان شكل الكيان السياسي الذي سيؤول اليه أمر تطبيق المعاهدة. محاولة إقناع المفوضين الكرد بالرضا بشكل من الحكم الذاتي الواسع الرحاب بديلاً عن الإستقلال المفضي الى الانفصال بإثارتهم العاطفة الدينية في الكرد. من جهة أخرى كانت هناك الحركة الكمالية التي تهدد عرش السلطان بشكل ما أو بأخر، والحكومة التركبية تحاول أثناء المفاوضات أن تجعل التعاون الكردي في مقاومتها شرطاً أساسياً لإنجاح المفاوضات الجارية. وبخصوص جنوب كردستان كانت حكومة استنبول وحركة مصطفى كمال تتفقان على وجوب نزعهم من يد البريطانيين، وبدت حكومة استنبول راضيةً تمام رضى عما يقوم به من مجهودات. هناك بلبلهً سياسية^(١٠) وفوضى فكرية

١٠- تصلح هذه البرقية نموذجاً لمحاولات إستغلال الكرد والمساومة على مطالبهم في الصراع الناشب بين حكومة استنبول. وبين الحركة التصحيحية التي يرأسها مصطفى كمال في أواسط تركيا، هذه البرقية بعث بها الأميرال السرّجون دي روبيك عضو لجنة الحلفاء العليا البريطاني المقيم في استنبول الى وزير الخارجية اللورد كرز. وإليك نصها:
من الأميرال سر جي. دي روبيك رقم ٨٦١.
الى اللورد كرز وزير الخارجية. "مستعجل جداً".
[مكرر - الى بغداد]

إلحاقاً ببرقيتي السابقة. هل لكم أن تحيطوني علماً برأيكم حول المقترحات الكردية لو إتخذت شكلاً أكثر وضوحاً مما هي عليه الآن؟ رئيس الوزراء (التركي فريد باشا) هو على إتصال بالرأي الكردي المحافظ الذي يفضل الحكم الذاتي المضمون بالمعاهدة. إلا انه يرى وراء مصطفى كمال =

وأزمة علاقة إنعكست على مواقف القبائل الكردية الساكنة على طرفي الحدود المؤقتة. وأفضت في أقصى جنوب كردستان (سوران) الى إنفجار ذي دوي عظيم.

*** *** ***

الحركة الكمالية لم تعترف بشرعية معاهدة سيفر أصلاً. ولكنها بنت دعايتها عند الكرد على الأساس الديني. إلا إنها كانت دعاية ضعيفة المردود في السليمانيه الى الحد الذي لم يشعر ميجر سون بوطأة لها حتى عندما عصفت بالعراق إنتفاضة العشرين الكبرى، وتركها وهو ناغم لخلفه ميجر گولدسمث، ولم يلبث هذا قليلاً حتى صدمته إضطرابات مزقت الهدوء الشامل في منطقة السليمانيه كغيرها من أجزاء كردستان. هذه القلاقل كانت من عمل الأتراك.

في شتاء العامين [١٩٢١-١٩٢٢] بدأ (محمد خان دزلي) الذي كان على صلة بالوكلاء الترك - بسلسلة غارات سلب لمنطقة حلبجه. ووجدت الإدارة البريطانية أن الوقت قد حان للمعالجة الجدية بعد سكوت عن النشاط التركي زاد عن السنتين. كان من الضروري وقفه ولو بإستعمال القوة عند الحاجة. على إنها أفلحت في إسترضاء

= ظلّ البلشفيّة والتحلل في النظام الكردي التقليدي القديم.

موقف رئيس الوزراء (الصدر الأعظم) هو هذا:

"كردستان ستعطى حكماً ذاتياً بمعاهدة (مع تركيا) والزعماء الكرد يكرهون مصطفى كمال لأنه يريد تدمير البلاد. وأنت (يقصد الأميرال) تكره مصطفى كمال لأنه لا يريد معاهدتكم (القصد معاهدة سيفر). ألا دعنا إذن نستخدم معاً الكرد ضدّه".

هذه خطة ليست بحكم الضرورة غير عملية. رغم أن بعض صعوبات تكتنفها. وهي التي نوهتُ بها برقيتي المرقمة (٤٠١). مع الجواب الذي أرسلتموه من سان ريمو والمؤرخ في ٢٤ من نيسان. من الصعب جداً أن نعمل من دون تعاون فرنسي خالص النية نظراً لدخول جزء كبير من الأراضي الكردية في مجال النفوذ الفرنسي.

علق وكيل الوزارة الدائم [د. ك. اوسبورن D.G. Osborne بالجواب التالي:

"لاأرى أي سبب في العدول عن السياسة التي رسمتها وزارة الخارجية في البرقية المرقمة E. 3747 المرسله من (سان ريمو). لكن إذا طلب الكرد بأنفسهم منا أو من الفرنسيين تسليحهم ضد مصطفى كمال. فسيكون الأمر مختلفاً. أشير على الأميرال دي روبيك بإبلاغ رئيس الوزراء (التركي) بأن حكومة جلالته (البريطانية) لا تتجد مجالاً لقبول إقتراحه، في الوقت الحاضر على أية حال.

[الكلمات بين الأقواس من وضعنا].

محمد خان دزلي في أيار ١٩٢٢ فأوقف نشاطه، إلا أن الأتراك أقدموا في أوائل ربيع العام نفسه على خطوة جريئة قُدِّر لها أن تكون فاتحةً لخطة التقدم التركي داخل كردستان العراقية لتؤدي الى إغراق المنطقة بأسرها في لجةٍ من الفوضى وعدم الإستقرار أشهراً عدة.

في ١٧ آذار ١٩٢٢ أصدرت الحكومة التركية قراراً بتعيين (رمزي بگ) قائمقاماً لقضاء رواندوز وبعثت به إليها. بعد وصوله المدينة وفي أواخر أيار أطلق حملة مركزة بين القبائل هي مزيج من التهديد والوعيد والملق والمداهنة. تتحدث بجمليتها عن قرب وصول قوات كبيرة تركية بهدف إنتزاع السليمانيه وكركوك وأربيل من يد البريطانيين^(١١). وفي حدود أواسط حزيران من العام بالذات لحق به (رمزي بگ) ضابط تركي برتبة عقيد إسمه (علي شفيق المصري) وعرف بلقب أوزدمير^(١٢) لم يخف مهمته إذ أذاع بأنه أقبل لإعادة فتح ولاية الموصل.

بدأت أنشطة الترك توتّي ثمارها. هاجم سيد محمد رئيس الجباري مدير ناحية جَمْجَمال واصابه بجراح وإستنفر قبيلته للثورة على "الحكومة". ولحق به كريمي فتاح بگ زعيم الهموند مبتدئاً برسائل تهديد لمعاون الضابط السياسي بوند Bond. ثم تظاهر بتعديل موقفه ودعا هو والنقيب ماكانت Makant الى لقاء فقصداه رغم تحذير بعض الشيوخ، وفيما كانا يرافقانه على ظهر الخيل بمناسبة إستقبال اعدّه لهما، أرديا بأمر منه بالرصاص من الخلف ثم انضمّ الى الجباري، وطاردته قوات الليشي والقوة الجوية طوال شهر إلا أنه أفلت وإلتجأ الى الترك. في عين الوقت تمكنت قوات الليشي التي أرسلت الى پشدر من إنقاذ بابكر آغا، المهدد بفخذ من پشدر معادٍ وأعيدت اليه سلطته.

١١- كرد وترك وعرب (المرجع السالف من ترجمتنا الص ٢٢٢ - ٢٢٣). في هذا الفصل وهو السابع عشر من الكتاب (رانيكول) يتحدث المؤلف الذي كان وقتذاك الضابط السياسي لقسم كركوك بتفصيل دقيق عن النشاط التركي في المنطقة. وعن التدابير التي إقترحها. ويذكر أن مراسلاته كانت توجّه الى الضابط السياسي في السليمانيه (گولدسمث). إلا إنها كانت تكرر رأساً الى المندوب السامي سر پرسی كوكس ليقوم هو بالتصرف كما لو كانت الرسائل موجهة اليه أصلاً. إراجع أيضاً التقرير عن الإدارة العراقية لشهري نيسان وآذار ١٩٢٣ بهذا الخصوص. ويتضمن معلومات أخرى زيادة عمّاً ورد في فصل (رانيكول).

١٢- معناه بالتركية منكب الحديد. وهو ضابط مصريّ الولادة چركسي الأصل ألقى بحظوظه مع الترك الكماليين.

إلا أن الوضع في رانيه بات خطيراً فقد زادت الضغوط المزدوجة من أوزدمير. ومن التمرد الذي كان يقوده عباسي محمود من زعماء الپشدر. يقول إدموندز:

"لخصت الموضوع برسالة مؤرخة في ٢ تموز موجهة الى كل من گولدسمث والمندوب السامي. ومما ذكرت أن أغوات پشدر الثائرين أرسلوا وفداً مؤلفاً من أربعة أشخاص الى الترك، ملحين عليهم بوجوب مساعدتهم في قيامهم ضد البريطانيين. وفي حدود ٢٨ من حزيران عاد ثلاثة من أعضاء هذا الوفد ومع كل واحد منهم بندقية وخمسماية إطلاقاً على سبيل الهدية فضلاً عن رسالة مدونة على ورقة حكومية. ومصدرة بعنوان قائد الشعب الإسلامي في فلسطين وسورية. مذيلة بتوقيع [قائد الشعب الإسلامي في العراق وكردستان] ومما جاء فيها - إن (مصطفى كمال وجودت) يعرفان جيداً خدمات أغوات الپشدر وقد أشغلتها عن مساعدتهم الحرب في الشرق والغرب. والآن وقد أصبحت يداهما حرة فهاتهما يرسلان [احمد تقي] موفد كردستان الى (وزنه) في إيران قرب عمود الحدود المرقم ١١٦ برفقة خمسين جندياً لتقديم المساعدة الفعالة." (١٣)

وألح ميجر إدموندز بإرسال قوة تأديب دون جدوى. وتأزم الوضع الى حد الخطورة بظهور كريمي فتاح بگ ثانية مع قوة من الترك إتجهت جماعات صغيرة منها الى رانيه وپشدر. وكجزء من الخطة العامة بعث أوزدمير رسائل الى جميع الرؤساء في ناودشت يحثهم فيها على الإنضمام الى قواته.

ويبدو أن وصول قوات الى السلیمانيه بقيادة العقيد مينيت Minet كان له أثره في تسكين الهياج الفكري من رخاوة البريطانيين في التصدي للدعاية التركية كما كان له أثره الفعال في القضاء على تردد القبائل في جوار رانيه.

كان ثم هدوء وقتي نسبي لم يدم طويلاً. فقد وصل كريمي فتاح الى رواندوز على رأس جمع من الهموند. فبث شجاعة في الترك. ورفع من قدرهم ولم يضيعوا وقتاً وتأهبوا للهجوم على رانيه.

١٣- كرد وترك وعرب. المرجع السالف. ص ٢٢٤.

وعاد الضابط السياسي إدموندز من كركوك يناشد بقوة، المندوب السامي، إرسال قواتٍ أرضية إلى المنطقة وشنّ غاراتٍ جوية على تجمعات القبائل التي أرصدها الترك للهجوم على رانيه.

أخيراً إستجابت دائرة المندوب السامي لمناشدة إدموندز فأبلغ في مساء ١٧ آب ١٩٢٢ برقيةاً بأن رتلاً عسكرياً سيتمّ تأليفه للقيام بعمليات عسكرية ضدّ التجمعات التركيّة - الكردية في منطقة رانيه وأطلق عليه اسم رتل رانيه Rania Column (واختصاراً رانيكول: Ranicol).

على أن إعداد القوة إقتضى وقتاً. وعند تمام تشكيلها بدت قوة ضعيفة إلى حدّ يرثى له لا كما توقع إدموندز. في ٢٩ من آب رابطت هذه القوة في (دربندي رمان) فباغتتها قوات أوزدمير في صبيحة يوم ٣١ منه وألحقت بها هزيمة، وكان ضعف القيادة وترددتها السبب الرئيس في الهزيمة. ففي نهاية ذلك اليوم وبعد أن إتضح لقائدها عجزها عن الصمود في مواقعها بـ(دربند) قررّ الإنسحاب. وبسبب إصداره أوامر متناقضة إلى مرؤوسيه في رانيه يومذاك سقطت البلدة بيد الترك وأضطرّ إلى الإنسحاب باتجاه كويسنجق إلا أن ما كان القصد منه أن يكون إنسحاباً منظماً إنقلب إلى هزيمة ثم إلى مطاردة المهاجمين الذين إنحدروا من المرتفعات المجاورة ليُصلوا المتقهقرين بنارٍ حامية من الجانبين ومن المؤخرة فمُنيت القوة بخسائر كبيرة في الأرواح وفقدت معظم مهماتها (أنقالها) ولم ينقذها غير ظهور القوة الجوية في الوقت المناسب، لتصلي المهاجمين بنار رشاشاتها وترغمهم على وقف المطاردة.

ذكر (سون) أن ما أصابه الترك من النجاح في رانيه يعود بالدرجة الأولى إلى السياسة البريطانية المتقلّبة التي إتبعته الإدارة في كردستان. فضلاً عن أنّ هزيمة (سمكو) في إيران وتشيتيت شمل أتباعه حملت معظمهم على الإنضمام إلى الترك الذين إستخدموهم فوراً. وكان معظم قوة أوزدمير من كرد (سمكو).^(١٤)

هناك أسباب أخرى تعزى إلى إستظهار الترك. أقرتّ بها تقارير الإدارة البريطانية: قوة صغيرة محدودة الموارد قادرة على إشاعة مثل هذا الإضطراب الكبير في كردستان وإلحاق

١٤- سون: مقال كتبه في مجلة الجمعية الآسيوية JCAS السنة ١٩٢٣ - العدد ١٠. القسم الأول، ص٧٣.

الهزيمة بقوات نظامية بريطانية، تعود بلاشك الى حنكة الضباط الأتراك الذين يقودونها معززة بانتشار الشائعة حول قرب تدفق قوات تركية نظامية كبيرة الى كردستان. احتلال رانيه والسيطرة على معظم منطقة پشدر والخوف من أن تكون السليمانيه الهدف التالي دعت الإدارة الى إتخاذ تدابير عاجلة. وأصدر المندوب السامي قراراً بإخلاء الموظفين والضباط البريطانيين منها خشية تعرضهم الى الخطر. وأودع الضابط السياسي ميجر گولدسمث أمر الإدارة - قبل مغادرته. المجلس البلدي الذي سارع بإختيار الشيخ قادر وهو أخ الشيخ محمود الأصغر رئيساً. وكان مُبعداً في بغداد فسُمح له بالعودة قبلها بأيام. وتضمن نقل السلطة إنتقال محتويات الخزينة ومستودعات السلاح والذخيرة وقيادة مائتي عسكري كردي^(١٥). ثم وعلى حين غرة إنتلقت نداءات من شتى المحافل الكردية ومن زعماء القبائل الموالية متحدة مع مطالبة أسرة البرزنجة الملحة بعودة الشيخ محمود. كان ردّ الفعل تلقائياً. وبدت الإدارة قليلة الحيلة إزاء التحركات التركية. هزيمة رانيه وإخلاء السليمانيه شجع الترك كثيراً ولم يضيعوا وقتاً. فقد ظهرت لهم قوة إستطلاعية على ضفاف الزاب الأسفل مهددة خطوط المواصلات البريطانية. وقبلها كانت قوة تركية صغيرة قد إحتلت (كويسنجق)، ثم تقدمت لإحتلال (طقق) على الزاب الأسفل وفي كويسنجق نصبوا قائماً. وفي طقق عينوا مدير ناحية وإنضمت اليهم قبيلة شيخ بزني التي كانت تسكن ضفتي الزاب على الطريق الرئيسة بين كوي وكركوك. وإعتمد الترك حركات جريئة أخرى. فدفَعوا بعبّاسي محمود آغا زعيم القسم المعادي من پشدر بإسناد عدد من الجنود الترك النظاميين ليهدد السليمانيه. إلا أن وجهاءها تمكنوا من إقناع الرئيس الپشدري بوقف تقدمه في منطقة سورداش... إنتظاراً لعودة الشيخ محمود. وقيل أيضاً أن الترك يتهيأون للزحف على عقره. لكن ماضى شهر من الزمن وعلى إثر غارات عنيفة من القوة الجوية البريطانية - حتى أُحبطت محاولات التقدم نحو السليمانيه وعادت السيطرة البريطانية في المناطق التي لم تمتد إليها الإضطرابات.

١٥- يذكر سون (المرجع السالف) أن محتويات الخزينة تبلغ ١٤٥ ألف روبية. وفي المستودع كان ثمّ خمسمائة بندقية.



بابكر آغا پشدرى ومحمد پاشا الجاف

الفصل الرابع عشر

عودة الشيخ محمود. الفكر القومي يناهض السياسة البريطانية. مواقف زعماء القبائل من عودة الشيخ. تعهداته للإدارة. حكومة في السليمانية. بوادر الخلاف حول تفسير شروط العودة. المندوب السامي يعمد الى إجراءات لتحديد سلطته. مفاوضات سرية مع (أوزدمير). إدعاءات بالولاية في موتمر لوزان. التصريح الثنائي وجاهل الشيخ محمود. سياسة فيصل ونواياه في جنوب كردستان. سيد طه بدلاً عن الشيخ محمود. الحملة العسكرية. غارات جوية على السليمانية. هزيمة الشيخ وإخلائه السليمانية. (رتل كوي) وطرده الأتراك نهائياً. خروج القوات البريطانية من السليمانية يخلق أزمة عراقية.

التعليق الرسمي الذي قدمته الإدارة البريطانية للعفو عن الشيخ محمود وتسهيل أمر عودته الى موطنه "بدا وكأنه مكافأة شخصية للموقف الذي وقفته أسرته من الإضطرابات وإمتناع أفرادها عن المشاركة في الإضطرابات الأخيرة" وليس للحاجة اليه وكان في الكويت في حينه^(١).

وذكر أن مستقبل الإدارة في المنطقة ستتم تسويته عند عودته. الأمر الذي يشير الى أنه سينتدب ثانياً الى دور سياسي يجرى تحديده، كما يدل على عجز الإدارة عن القيام بمفردها بالقبض على ناصية الحال.

عودة الشيخ أو بالأحرى ضرورة الإستعانة به لم يكن مصدره فحسب مركزه الديني.

١- الظاهر أن النية على إستخدامه كانت معقودة قبل هذا وقد مُهدّ لذلك بنقله من الهند وجعل الكويت محلاً لإقامته قبل إستدعائه الى بغداد، بنحو سنة واحدة. بل كان إختيار أخيه قادر لرئاسة المجلس تمهيداً لمقدمه.

بل لأنه كان يمثل قوى قومية جريئة فعالة في المجتمع المدني والى حدّ ما في المجتمع القبائلي ثم هناك إمكانية إستخدامه ضدّ الدعاية التركية.

كانت هناك حركة قومية بين المثقفين الكرد والضباط المسرحين. والضباط والجنود الأسرى الذين أطلق سراحهم بعد نهاية الحرب^(٢). معاكسة تماماً للتدابير الإدارية التي إتخذها السير پرسی كوكس وحاول تطبيقها جزئياً، فهؤلاء كانوا يتوقعون الإعلان عن حكم ذاتي محدد المعالم. والدعوة اليه عندهم إرتكزت الى قاعدتين: تنامي الشعور القومي في المدن والمجتمعات الحضرية. والإنفجارات القبائلية الدورية الموجهة بالأغلب ضد الحكومة وهي أكثر وضوحاً ودرامية من القاعدة الأولى وتتعلق أساساً بنفرتها من التدخل في شؤونها. وتأثيرها أكثر من تأثير أيديولوجية ثابتة بخصوص مستقبل كردستان.

إن الترحيب بعودة الشيخ لم يحز إجماعاً. في الواقع إن الإدارة البريطانية بدأت بالأول بالإتصال ببيگزاده الجاف الذين يسيطرون على حلبجه والمناطق الشاسعة التي تحدد بها. وراحت تلعب معهم بورقة الحكم المحلي ويتسلم الحكم على هذا الأساس. إلاّ أن البيگزاده المتشائمين تهيّبوا الأمر خشية المراهنة على الحصان الخاسر^(٣) أو هكذا كان إنطباع البريطانيين عنهم.

وفي الشمال إنقسم الپشدر بين من يحبذ ومن يعارض. كان فريق عباسي محمود المعادي للبريطانيين والموالي للترك متحمساً لعودته. في حين كان بابكر آغا الموالي للبريطانيين من الأوّل الى الأخير، يعارض فيها والى حين توجه البريطانيين الى سيّد طه، في بحثهم عن البديل. في إيجاد شخص غير الشيخ محمود يمكن أن يوحد الكرد أو جانباً كبيراً منهم وجمعهم حوله. إلاّ أنهم مالبتوا أن عدلوا. وكان هناك الشيخ عبدالكريم قادر كرم - (التكية الطالبانية) وهو من أبناء عمومة الشيخ ويشاركه أمنيته في إستقلال كردستاني بزعامة أسرة البرزنجه، إلاّ إنه كان يبدي التخوف الكبير من

٢- تدفقت أفواج من أسرى الحرب ضباطاً وجنوداً كانوا معتقلين في (سورمارپور) و(ناوكاتك) و(پيلاي) في الهند. ويبدو أنهم تشربوا هناك بتعاليم الساخطين التقليديين الهنود على الحكم البريطاني (الراج). ثم كانت هناك دعاية معادية تصل عن طريق الموصل. [تقرير الإدارة. المرجع السالف - السليمانية ص ٨١].

٣- تقرير عن دائرة إستخبارات المندوب السامي. Fo. 371 - 7772 Iraqi Intellegence Report بتاريخ ١ أيلول ١٩٢٢.

تسرّع قريبه في إصدار الأحكام، وقلة درايته في السياسة، وكثيراً ما كان يصرح بهذا^(٤). في الثاني عشر من أيلول ١٩٢٢ وصل الشيخ بغداد. وفي مجرى المفاوضات التي تمت هناك تعهد بالدفاع عن السليمانيه والحيلولة دون وقوعها بيد التُّرك. كما تعهد بطردهم من الأجزاء الأخرى من قسم السليمانيه وعدم التدخل في قسمي كركوك وأربيل وأن يقبل بالميجر نوئيل مستشاراً. وبمقابل ذلك أفهم بأن كلاً من الحكومتين البريطانية والعراقية ستبذل ما وسعهما لمساعدته في "تنمية الروح الكردية والمشاعر القومية. وأن الملك فيصل سمح لعدد من الضباط الكرد في الجيش العراقي بإنتدابهم للخدمة في السليمانيه لتدريب وتنظيم الليقي الخاص به.

ما الذي كان الشيخ يفهمه من هذا؟ والى أي مدى تمتد صلاحياته في إطار هذه الشكلية الإدارية؟

أمرٌ يدعو الى الحيرة وبكل ما في هذه الشروط من متناقضات، إنها في الواقع تخفي محاولة السرّيرسي كوكس في إعماده الحُل النهائي للقضية الكردية - بعيداً عن التعهدات والتصريحات وتخطيطاً لقرار مؤتمر القاهرة فهو يريد أن يبيّن في العراق دولة قوية موالية لبريطانيا. وبدون ولاية الموصل (جنوب كردستان) لن تكون هناك دولة تستقيم مع الغرض البريطاني الاستراتيجي الذي تقرّر في مؤتمر القاهرة. كان كوكس وسكرتيرته العظيمة النفوذ المسموعة الكلمة تجد تناقضاً في القرارين اللذين توصل اليهما ذلك المؤتمر أي قرار إقامة كيان كردي مستقل أو أتونومي تحت الحماية البريطانية وقرار تسليم مقاليد الحكم في عراق المستقبل الى الأقلية العربية السنية أو بعبارة أدق الى طبقة حاكمة يكاد يكون كلّها سنياً وليس عربياً خالصاً بالضرورة يقوم

٤- إدموندز: المرجع السالف، ص ٢٨١. "قدّر لي الإلتقاء بالشيخ عبدالكريم كثيراً في السنتين أو الثلاث التالية وكان مظمحه الأعظم كما سبق لي ذكره أن يرى قيام دولة كردية بزعامة شيوخ البرزنجية. على أن ذكاه وبعد نظره كانا أمضى من أن يشجب ترشيح الشيخ محمود لأعلى منصب في تلك الدولة لكونه ألد أعدائه بعد حصول إجماع عليه ما كان يرضى عن تصرفات المرشح الوحيد وينتقد أساليبه إلا لأنها خاطئة بحد ذاتها. وخشية أن تؤول الى خسارته عطفنا تجاهه وبذلك تهدد فرص تحقيق الآمال الوطنية". نقول: لم يكن الشيخ يعدم أعداء وخصوصاً كثيرين في دائرة المندوب السامي وبين لفيف من الضباط السياسيين، وإدموندز واحد منهم. وبينهم النقيب هاي الضابط السياسي لقسم أربيل.

على رأسها ملك عربيّ سنيّ. وخارطة العراق إذ ذاك بالحدود المقررة لم تكن تضمّ ولاية الموصل بأغلبيتها المطلقة الكرديّة فالعراق العربي الذي تقرر إستحداثه دولياً كان يتألف من ولايتي بغداد والبصرة فحسب. قبل مؤتمر القاهرة لم يكن في النية إدخال ولاية الموصل بكردها الذين هم على المذهب الشافعي بل كان الحديث في الوايت هول يدور حول خلق أكثر من كيان كردي سياسيّ واحد كما قدمنا. وكان هذا المنحى أقدم من معاهدة سيفر. بل كانت معاهدة سيفر من وحي تلك السياسة وهو ما تؤيده الوثائق البريطانية الرسمية التي أوردنا بعضها.

وهكذا فعندما تقرر نصب الملك فيصل قبل قرار الضمّ وجد ان الدولة الجديدة ستتألف من حوالي ٧٩ بالمائة من الشيعة العرب و١٨ بالمائة من السنة العرب. وهناك ٣-٤ بالمائة من الشيعة الكرد والمسيحيين. إلا أن ضمّ ولاية الموصل سيقارب من النسبة والفرق، بسكانها الكرد الشوافع لتغدو المعادلة ٤٥ بالمائة من أهل السنة والأقليات مقابل ٥٥ بالمائة للشيعة. وهو ما يضمن الى حد كبير بقاء الحكم في يد الطبقة الحاكمة السنيّة. لأن بريطانيا كانت تتطير من التهديد الدائم بالإستظهار الشيعي وذكرى إنتفاضة العشرين حيّة. كما أن حلّ قضية الحكم العراقي بهذا الشكل يتفق تماماً والمركز السياسي الممتاز الذي رست عليه مصالحها في الشرق الأوسط بقاعدتيها في كلّ من فلسطين والأردن ومقامها الممتاز في مصر. وكذلك لوجود إيران الجارة الشيعية التي لم يكن البريطانيون قط في وفاقٍ مع حكامها.

تلك كانت تصورات المندوب السامي عندما تدخّل الترك سياسياً وعسكرياً وهددوا خططه هذه تهديداً حقيقياً.

لم يكن الشيخ محمود ولا شيعته والمثقفون الوطنيون في السليمانيه يدركون في النوايا البريطانية الحقيقية من استدعائه وتسليمه زمام الحكم في السليمانيه ولم يروا في مرافقه (نوئيل) مستشاراً له الكلمة النهائية بل مجرد (قنصل) ممثل للحكومة البريطانية في كردستان مستقلة عملاً ^(٥) de facto.

٥- إدموندز - المرجع السالف ص ٢٧٢: "ربما كان الشيخ محمود صادق النية عندما تعهد قبل تركه العاصمة أن يقصر نشاطه السياسي على لواء السليمانيه. لكن الإستقبال الهائل في ساحة محطة القطار في كُنْغْرِبَان وهواء كردستان المُسكِر الذي تنشقّه في طريقه الى السليمانيه بكثير من الوقفات والبطاءة محاسباً خطوط الحدود الضيقة التي فرضت عليه. كان عدد =

في العاشر من شهر تشرين الأول أصدر الشيخ مرسوماً بتأليف وزارة من ثمانية أعضاء في "سليمانى عاصمة كردستان" تولى فيها أخوه الشيخ قادر رئاستها^(٦). وأصدر طابعاً بريدياً وجريدة بإسم (روژي كردستان = شمس كردستان).

يقتبس إدموندز من مقال رئيس في هذه الصحيفة فقرتين عظيمتي الدلالة لما كان ينصرف إليه الرأي العام هناك حول مستقبل الكرد السياسي. إخترت هنا الجزء الذي يتعلق بما كان الكرد يفكرون في الوصول إليه بعد هذا التحول الفجائي وهو من العدد رقم ٦ - المؤرخ في ٢٧ كانون الأول ١٩٢٢:

"كردستان، عندما ينطق رجل مثقف بهذا اللفظ فهو لا يقصد به قسم السليمانيه فحسب وإنما يقصد إقليمياً جغرافياً واسعاً ويفكر في شعب كردي موحد كثير العدد. إن الحدود الطبيعية لهذه البلاد وهي واضحة... ولما كان جميع أهالي ولاية الموصل كُرداً فلماذا يطلب شعب غريب إستعادة هذه الولاية. ولماذا يريد شعب آخر ضبطها؟... إن المطلب الذي وضعناه أمام مؤتمر (لوزان) ليس حماية أقلية وإنما تزكية وتشبيت حق الحياة لشعب عظيم حرّ مستقلّ داخل بلاده."^(٧)

ولم تكن دائرة المندوب السامي مرتاحة^(٨) قطّ ولم يمرّ وقت طويل حتى بدأ الخلاف يبرز بين الشيخ وبينها وكان مقدراً ولاسبيل الى تفاديه. جيء به ليأخذ ماقدّم له ويكتفي به ووافق. لكن ما إن وجد نفسه في مركز السلطة ثانية حتى بان له ضعفه في مقاومة الأضواء الساطعة التي سلطت عليه وسط كلّ الفوضى حوله. ولم يجد في

= من زعماء كفري وشيوخها حتى (البيات) منهم قد رافقوه الى عاصمته. وسرعان ما وصلتني عدة شكاوى من شيوخ الطالبانية وآخرين مؤداها أن الشيخ محمود أرغمهم وهو في رحلته على توقيع وثيقة بطلب تأسيس دولة كردية بزعامته. وفي ٣٠ من أيلول وصل السليمانيه فحيّته الجماهير حُكمداراً أو زعيماً لكردستان مستقلة".

٦- من أعضائها صالح زكي صاحبقران وهو سليل أسرة عريقة وزيراً للدفاع. وعبدالكريم علكه وهو وجيه مسيحيّ وزيراً للمالية. والحاج مصطفى باشا ياملكي وهو جنرال عثمانى سابق وزيراً للتعليم العالي ويذكر بالمناسبة أنه كان رئيس المجلس العرفي الذي شكل في الأستانة في العام ١٩٢٠ لمحاكمة مصطفى كمال وأنصاره وأصدر عليه حكماً بالموت.

٧- إدموندز، المرجع السالف: الص ٢٧٢-٢٧٣.

٨- يتضح ذلك من تقرير الإدارة عن العراق مؤرخ في نيسان ١٩٢٢ حتى آذار ١٩٢٣. المرجع السالف. ص ٣٧.

(نوئيل) معارضة تذكر فقد كان هذا الرجل الطيب ناقماً جداً على سياسة دار المندوب السامي شاعراً بالمكيدة التي تنصب لمصائر كردستان كما كان يحتفظ للشيخ محمود بميل ومشاعر حب عاطفي^(٩). وقد أدرك بحسّ خفيّ كما كان الشيخ نفسه يدرك بعمق بأنه صاحب رسالة بكلّ ما يجتمع في صاحب الرسالة من فضائل ونقائص، وحسنات وأخطاء فالشيخ قوميّ لاشائبة في قوميته وبعقده بأنه الرائد الأول والقطب الذي يجب أن تبنى عليه دولة كردستان المقبلة طموح بعناد يتمادى به ليبدو من خلاله أنانياً لا يتقيد كثيراً بالمبادئ الخلقية إلاّ أنّه كان أبداً خصماً شريفاً شهماً.

ولم يغفل بأن إعادته الى الحكم كان ضرورةً، وبدواع هامة. وسواء في الأمر أكان سببه نزول البريطانيين الى المطلب الشعبي في عودته أو أنهم كانوا على درجة من الضعف وقلة الحيلة في السيطرة على كردستان بدونه. فإنّ إعادته برهنت بوضوح ما بعده وضوح أنهم وجدوه أهم شخصية في جنوب كردستان.

حقق الترك نجاحاً كبيراً وبدا البريطانيون عاجزين عن وقفهم. والموقف كلّ كان مائعاً غامضاً. وقد عاد الشيخ الآن فبدت المسألة المركزية هكذا: هل سيحافظ الشيخ على سلامة البلاد لقاء مثل هذه المكافأة التافهة "حاكمية سليمانيه وانحائها"؟ انه الآن معرض الى أخطار جدية بوقوفه في وجه الترك. وهم مازالوا أقوياء، جديين في حديثهم عن العودة.

والأمر من البساطة بمكان: لما كانت الجائزة تقدّر بخطورة المهّمة، فهو يستحق أكثر مما حدّته له دار المندوب السامي.

وشعر السرّيرسي وضباطه المروجون للسياسة الجديدة - بالخطر عليها من طموح الشيخ. قبل مدّة وجيزة حصل الثوار العرب غير المساومين في جنوب العراق على جائزة كبيرة صحيح أن ثورتهم قضي عليها. إلاّ أن مطالب مثقفهم ووطنيتهم بحكومة عربية قد تحققت ولم يصب أحد من زعماء العشائر المنتفضة ولا دعواتها في المدن بأي ضرر بل غنموا كثيراً. فلو أتقن الشيخ اللعبة فهناك الشيء الكثير من الكسب للکرد إذ

٩- رفيق حلمي - المذكرات. بغداد مطبعة المعارف ١٩٥٧ - ص ٦٧. يذكر عن ميجر نوئيل "كان هادئاً وقوراً للغاية. له إطلاع واسع في العادات والتقاليد الكردية وكان يجلّ الحكمدار (الشيخ محمود) إجلالاً. حتى انه لم يكن يعين لنفسه كاتباً صغيراً أو خادماً بدون أن يصدر أذن من الشيخ محمود".

سيكون لهم دولة مستقلة ولنفسه ملكية وشهرة خالدة. ثم هناك القوميون الكرد يحيطون به فيزيدون في أحلامه سعةً ورواءً، ويدفعونه الى الأمام.

كانت هذه الأفكار تملأ وجدانه عند عودته، ليبدو من فوره رجلاً صعب المراس يتطلع بعينين مشوقتين شرهتين الى الأقاليم الكردية المجاورة التي وعدّ بالأى يتدخل في شؤونها. فضلاً عن ميله الى المزيد من السلطة في مجال ممارسة الحكم رغم تحديدها له.

وفي تشرين الثاني ١٩٢٢ إتخذ له لقب ملك كردستان مدّعياً بالسلطة على كلّ البلاد الكردية في العراق ومعها ولاية الموصل. «فعل ذلك، بغض النظر عن أنّ أفضية كركوك وأربيل في قسم الموصل لم تبدر منهما أية رغبة للخضوع الى حكومته»^(١٠). وإكتشف البريطانيون بعد مرور شهر واحد فقط على عودته أنّه يتصل بالترك وكشفت رسائل من (أوزدمير) الى مقرّه في جزيرة إبن عمر عن طبيعة تلك المفاوضات:

"إنه (أي أوزدمير) تجنّب أي طلب لإصدار تصريح بالقبول بحكم ذاتي للكرد. وفي كتابته الى لجنة تركية ألفت في كركوك. أعطى كثيراً من التأكيدات بأن حكومته لا نيّة لها في دعم مطالب الشيخ محمود وترويج مزاعمه. وهو (أي أوزدمير) إنما يستخدمه بمثابة (جندي) في لعبة الشطرنج. والهدف هو إستعادة ولاية الموصل لاغير سواء أبرغبة أهاليها أو خلافاً لها."^(١١)

الظاهر أن الشيخ كان يعتقد أنّه إنما يخدم مصلحة الكرد ومصالحته بإستعداد الترك على البريطانيون، أي ضرب بعضهم ببعض. إلا أن القوميون في السليمانية وجدوها لعبة خطيرة. وراقبوها بقلق. وإضطر كثير منهم الى النأي بأنفسهم عنه وعن طرقه التحكيمية المستبدة في الحكم غير المتوقعة.^(١٢)

والظاهر أن المندوب السامي أصيب بنوع من اليأس في تطويع الشيخ محمود. وأسقط في يده. وكان فعلاً يخشى على أن وقفه ذلك الشائر قد تؤدي إلى إحباط

١٠- التقرير. المرجع السالف. إلا أن التقرير نفسه يقرّ بأن القبائل في كلّ من كفري وكركوك أعلنت ولاءها وإنضمت اليه.

١١- المرجع نفسه.

١٢- يشير إدموندز الى شخصيات أخذت تبعد نفسها عنه منها أقرباء له. فضلاً عن الشيخ عبدالكريم قادر كرم. والبكزاده الجاف وفي مقدمتهم كريم بك جاف من البكزاده وآخرين.

سياسته. وكمحاولة أخيرة، وصل بغداد في تشرين الثاني بدعوة منه وفد كردي سليمانّي الغرض منه إيجاد أرضية لإتفاق مع الشيخ محمود وصياغة أسلوب من العلاقات بين السليمانيه وبقية العراق. ولم يكن ممكناً التوصل الى نتيجة بسبب مطالب الشيخ الحدية وعاد الوفد دون أن يتحقق شيء.

في عين الوقت قُدِّر بأنّ المفاوضات التمهيدية التي كانت تجري في (لوزان) ستؤثر تأثيراً حاسماً على مستقبل الكرد في العراق وتبعاً على قضية كردستان كلها. وحاول الشيخ محمود إرسال وفدٍ للمؤتمر فحيل بينه وبين ذلك بوقفه في حلب وأوجب إلغاء معاهدة سيقر إعادة النظر في مستقبل العلاقات مع الدولة العراقية. وأهملاً تماماً شأن كردستان تركيا.

أصرّ الترك في لوزان على إعادة ولاية الموصل على أساس أن غالبية السكان فيها ليسوا عرباً. فوجه الإدعاء من الجانب البريطاني بأن أغلبية السكان ليسوا تركاً بل هم كردٌ. وأن هذه الولاية "إقتصادية وسترatégياً هي أقرب إلتحاماً بالعراق من معانة أي عملية بتر".

ومن هنا أدركت الحاجة وبشكل عاجل الى إيجاد وسيلة تعايش يمكن للكرد والعرب الحياة معاً تحت تاج واحد. ولقد قيل أن فيصلاً كان يرغب في أن تمنح الأقاليم الكردية ضمن العراق حكماً ذاتياً كاملاً^(١٣).

وبمواجهة الإصرار الكردي وتصاعد الدعوة القومية للإستقلال التي صارت قادرة على إيصال صوتها الى المحافل الدولية قررت الحكومتان العراقية والبريطانية إعلان تصريح سياسي الغرض منه إرضاء أو كسب القوميين المعتدلين إن كان ممكناً. والرأي العام الكردي الذي لم يقل بعد كلمته:

"تعترف حكومة صاحب الجلالة البريطانية والحكومة العراقية بحق الكرد الذين يعيشون داخل حدود العراق في إقامة حكومة كردية ضمن هذه الحدود. وتأمل الحكومتان في أن العناصر الكردية على إختلافها ستتوصل بأسرع مايمكن الى إتفاق فيما بينها حول الشكل الذي ترغب أن تقوم عليه تلك الحكومة. وحول الحدود التي ترغب في أن تمتد إليها. وأن ترسل

١٣- المرجع السالف: تقرير عن الإدارة في العراق، نيسان ١٩٢٢ آذار ١٩٢٣. ص ٣٧.

موفدين ذوي صلاحيات الى بغداد للتداول في العلاقات الإقتصادية والسياسية مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية والحكومة العراقية." لا يخفي إدموندز الحقيقة في تعقيبه على هذا التصريح فيقرّ بأنه لم يكن جدياً. وبوصفه واحداً من الضباط السياسيين في المنطقة الذين أودع إليهم أمر إذاعة البيان بين القبائل والرؤساء والشيوخ. فقد ترك لنا وصفاً لردّ الفعل بعد ترجمة هذا البيان للشيخ عبدالكريم قادركرم:

"إن صيغة التصريح. لاسيما إستخدام تعبير (حكومة كردية) بدلاً من إدارة كردية. وعدم ذكر أي حدود جغرافية كان أبعد كثيراً مما توقعت نظراً الى الموقف السابق الذي وقفته الحكومة العراقية والمندوب السامي. وقد قمتُ بترجمته شفويّاً لعبدالكريم وفي نفسي شك وهو اجس إلا أن المسؤولين في بغداد لم يَنْتَبَهُم شعوري هذا ونشروه بشكل بلاغ رسمي!"^(١٤)

بقيت متطلبات ودواعي خلق الدولة العراقية وإقامة أركانها تفضل وتطغى على متطلبات الخصوصيات الكردية وفعلاً احتلت جوانب عقلية البريطانيين كلها. وإنصرفت إليها كل جهودهم بدءاً باختيار رئيس الدولة ومروراً بانتخاب المجلس التأسيسي والوزارة وإنهاءً بالدستور.

بالنسبة الى فيصل بعد إستتباب الأمر له لم تكن مسألة جنوب كردستان قاصرة على دواعٍ نفطية أو استراتيجية مثلاً. ففي أيلول ١٩٢١ بعد أربعة أسابيع فقط من تتويجه ملكاً أوضح بدفع وتشجيع من المندوب السامي بأنه سيحول دون أي محاولة في فصل المناطق الكردية عن مملكته، مثلما صورته معاهدة سيفر. وبكل تسامح عُرف فيه فإنه ماكان يريد أن يرى أغلبية المواطنين الشيعة في ميسوپوتاميا يظهرون قوةً غالبةً في ميدان السياسة العراقية. والكرد السنيون كما بينا - سيكونون عنصر موازنة للأغلبية

١٤- المرجع السالف. ص ٢٨١. يعلق إدموندز على هذا البيان الذي حمله الى الشيخ عبدالكريم قادركرم: "قدّر لي الإلتقاء بالشيخ عبدالكريم كثيراً في السنتين أو الثلاث التالية وكان مطعمه الأعظم ان يرى قيام دولة كردية بزعامة شيوخ البرزنجة. على أن ذكاه وبعد نظره كان أمضى من أن يشجب ترشيح الشيخ محمود لأعلى منصب في تلك الدولة لكونه الدّ أعدائه بعد أن حصل شبه إجماع عليه في الواقع. إلا أن ذلك لم يمنعه من لومه. وانتقاد أساليبيه لا لأنها خاطئة بحدّ ذاتها - بل خشية أن تؤول الى خسارته عطفنا تجاههم. وبذلك تهدّد فرص تحقيق آماله الوطنية".

الشيوعية. وهي فكرة جديدة تماماً غابت عن الذهنية البريطانية وصانعي سياساتها حتى تلك الساعة. فليس هناك بين الوثائق البريطانية والتقارير والمراسلات ما يشير إلى أنهم كانوا منتبهين إليها.

كان فيصل ورهطه من الساسة العرب في بغداد يخشون أن توحد هوية كردستان مستقلة جهودها مع كرد إيران وتركيا لتبقى عنصر تهديد دائم للعراق الجديد.

ولم يعتم كوكس أن يتخذ قراره كما رأينا بين "أن لا يجبر الكرد على الانضمام إلى دولة عربية ضد رغبتهم" وبين "الضرورة الموجبة سياسياً لخلق دولة كبيرة الحجم ذات قيمة وإعتبار". فأكد لفیصل بأن الكرد سيكونون ضمن وحدة سياسية وإقتصادية تحت التاج العراقي حتى لو تمتعوا بوضع إداري مختلف. وعمل دؤوباً على إشراك الكرد في المجلس التأسيسي العراقي، ومجلس النواب ليغدو قبل الفصل في النزاع على ولاية الموصل - مركز الثقل في المملكة الجديدة.

بعدها بسنة واحدة تحقق هذا. أصدر فيصل "إرادة ملكية" بدعوة المجلس التأسيسي وتقرر خلال ذلك إدخال المناطق الكردية حتى كركوك. (كانت قد امتنعت عن التصويت للملك) فدخلت أيضاً بإستثناء السليمانية. ووضح كل شيء لـ (نوئيل):

"ها إنني أفف ضدّ الشكّ العام في أمور قريبة جداً من الحقيقة المؤكدة. إننا صمّمنا على إدخال الكرد ضمن الحدود العراقية بكل وسيلة By Hook or by Crook وإن حكاية إنتخابات لمجلس تأسيسي إنما هي من قبيل ذرّ الرماد على العيون..... وعليّ الإشارة هنا أنّ التأكيدات حول عدم إرغامهم على الإنضمام إلى العراق هي فكرة لا يراها الكرد تنفق مع إعتبار لواء كركوك دائرة إنتخابية." (١٥)

وأكد كوكس من جانبه للملك فيصل الذي أرغم على إصدار ذلك التصريح وكان يتخوف من عواقبه. بأنه لا يتضمن بأي شكل من الأشكال انفصلاً سياسياً أو إقتصادياً لكردستان عن العراق (١٦).

١٥- من نوئيل إلى بورديلون. السليمانية في ١٠ تشرين الأول ١٩٢٢. [عن سلوكيت: بريطانيا

في العراق ص ١٩٢٠ B H C F. (Events in Kurdistan)

١٦- تقرير للإستخبارات [العراق] رقم (١). في ١ كانون الثاني ١٩٢٣: ١٩٢٣ - 9009 - Fo. 371

وهؤلاء الذين صاغوا "التصريح" المار الذكر كانوا فضلاً عن ذلك يدرون تمام دراية بأن الكرد منقسمون على أنفسهم الى الحد الذي لا يمكن معه الوصول الى إتفاق فيما بينهم^(١٧).

في عين الوقت بدا الشيخ محمود للبريطانيين غير لائق بالمهمة "الدبلوماسية" المعين لها والمتطلبية منه. ولو أن الكرد من خلال الشيخ محمود برهنوا على عجزهم السياسي فإن البريطانيين بدوا من خلال كوكس خونةً غادرين.

ما أن عادت القوات البريطانية تحتل السليمانية - ولنسيق القاريء الى الأحداث قليلاً- حتى أرسل رئيس الحكومة العراقية الى السليمانية لبحث مع أعيانها موضوع إقامة كردستان ذات حكم محلي ذات علاقة واهية بالعراق. يقوم على إدارتها موظفون كرد لا تتطلب موافقة الملك أو مصادقة كوكس على تعيينهم بإستثناء كبارهم. وأن لا يطلب من نوابهم حلف يمين الولاء للملك بل يكتفى بحضورهم.

ربما كانت حكومة فيصل تخشى ثورةً قومية أخرى في السليمانية ومن خطر تنسب عصبية الأمم ولاية الموصل للأتراك الذين أبدوا إستعداداً فورياً لمنح السليمانية حكماً ذاتياً. على أن إنهمار الجبهة المعارضة للشيخ محمود في تموز بعد إنسحاب الجيش البريطاني أنقذ فيصلاً وحكومته من إرتهان على الحظ عندما أبدت السلطة الإنكليزية عزمها الثابت على التخلص من الشيخ محمود نهائياً.

من جانب آخر واجه فيصل إحجام كرد وكركوك وأربيل عن المشاركة في إنتخابات المجلس التأسيسي وإعتبر مشاركتهم جوهرية بإعتبارهم جزءاً من الدولة العراقية، ولعزل السليمانية المعاندة كذلك. ليس بوسعي أن أعتبر من قبيل الصدف التاريخية إعلان حكومة بغداد في الحادي عشر من تموز ١٩٢٣ فجأة قراراً صادراً من مجلس الوزراء العراقي. يتضمن ثلاث نقاط: أولاً أنها (أي الحكومة) لن تعين موظفاً عربياً في المناطق (الأقضية) الكردية خلا موظفين ذوي إختصاص فني وثانيها أنها لن ترغم الأهالي فيها على إستخدام اللغة العربية في المخاطبات الرسمية. وثالثها صيانة حقوق الأهالي والطوائف الدينية والمدنية في تلك المناطق.

كان يوم الحادي عشر من تموز ١٩٢٣ أيضاً يوم دخول الشيخ محمود مدينة

١٧- مذكرة إدموندز حول الموقف الكردي. مؤرخة في ٤ من كانون الثاني ١٩٢٣ في Fo. 371- 9004.

السليمانيه!! أفكان إعلان الحكومة نقاطها الثلاث جواباً فورياً على هذا؟ وفي الحادي عشر من تموز أيضاً من العام نفسه ١٩٢٢ وقف چرچل في مجلس العموم يؤكد لأعضائه من جهة ويعد الكرد من جهة أخرى "بأن الكرد سيمنحون فعلاً فرصة عملية وحقيقية ليقرروا موقفهم بأنفسهم." (١٨)

الآن يشارك الكرد في المجلس التأسيسي، بإستثناء السليمانيه. في الواقع أن عدداً كبيراً من أهاليها ذهبوا للتصويت في مناطق أخرى مجاورة. وظهر بالنتيجة للواء السليمانيه خمسة مندوبين من بينهم الشيخ قادر البرزنجي.

*** **

كانت الحكومة البريطانية في بغداد - بعد نفي الشيخ محمود قد فكرت بإختيار بديل له. ووقعت على الشيخ سيد طه النهري لتمثيل الدور الذي أسند للشيخ محمود أو أريد له بالأحرى، إلا أن رحيل سيد طه المفاجيء الى إيران في ١٩٢١ حال دون الإفادة منه. غير أنه عاد في تشرين الأول ١٩٢٢ بعد الهزيمة التي ألحقتها القوات الإيرانية بقواته وقوات حليفه سمكو. أعني في الوقت الذي قرّر رأي المندوب السامي على إزاحة الشيخ محمود. سيّما بعد أن قضت معاهدة لوزان على أمل الكرد في دولة مستقلة وعاد التفكير ثانية بتسليم دور التشريفاتي أو الدبلوماسي للسيد طه. وهذا حفيد الشيخ عبيدالله النهري الشهير ورأس نقشبندية تركيا. تركي التابعية إلا أن أملاكه في منطقة رواندوز. وهو بدوره لم يضيع وقتاً في التنويه للسلطات البريطانية بإستعداده للتعاون وقدرته على تطهير أنحاء رواندوز من الأتراك. وكان واضحاً بأنه خصمٌ للكمالين ولا رغبة له أو أمل في التفاهم معهم. معرباً عن تمكنه من تأليب القبائل عليهم في رواندوز حيث يتمتع بإحترام ونفوذٍ واسعين. وطلب كمية من البندقيات والعتاد ومبلغاً من المال لتنظيم مقاومة عشائرية للترك. وأتخذت تدابير أخرى معه، من جملةتها وضع قوات كردية متطوعة بتصرفه بعد تسريحها من الجيش العراقي المكوّن حديثاً، دعماً لقواته القبائلية. (١٩)

١٨- هذه المصادفة لم تجلب إنتباه السيد عبدالرزاق الحسيني رغم أنه أثبتتها بتاريخها [أنظر ص ١٦١

وص ٢٧٤. تاريخ الوزارات العراقية الطبعة الخامسة في ١٩٧٨.

١٩- إدموندز: المرجع السالف ص ٢٧٦ ومابعداها: "كانت خيبة ظاهرة للعين عند سماعه أن المندوب =

قبل إن أمطاراً غزيرة على غير العادة حالت دون قيام سيد طه بعمليات عسكرية إلا أن الشائعات المنبثقة عن نية قيامه بها أثمرت وأعطت النتيجة المنشودة في القبائل التي تسكن أنحاء رواندوز. وتعزز وجوده بغارات القوة الجوية البريطانية التي كانت ترمي إلى إرغام الترك على الإنسحاب من رانيه تاركة الزعيم المشدري بابكر آغا ممسكاً بزمام الأمور في العشيرة. وتذكر تقارير المندوب السامي^(٢٠) أن معارضي الشيخ محمود في السليمانيه رحبوا بظهور السيد طه قوةً جديدة في سماء كردستان السياسية الغائمة وعدوها خطوة من شأنها أن تحيي أملاً ما لإمكان الوقوف في وجه خصم.

لم يتحقق الدور الذي شاءه المندوب السامي لسيد طه. ولم يتحقق ما كان السيد طه نفسه يأمل القيام به. فبصرف النظر عن الأمطار الغزيرة التي عاقت حركته، كانت هناك أسباب أخرى منها أن السلاح الذي زود به كان من نوع رديء جداً أسقط من الإستعمال. كما يبدو انه كان مغالياً في تقدير نفوذه عند العشائر. فحتى الهركي الذي ألقى بكل إعتماده عليهم، لم يبذل أي تجاوب منهم فضلاً عن أنه ما كان يملك خطة لنشاط سياسي على حد قول إدموندز وإنما كان يعتمد على قصف جوي عشوائي، لا على أهداف معادية وحدها بل على رؤساء عشائر مترددين في التعاون معه.

مع هذا أصراً المندوب السامي هنري دويس الذي خلف كوكس - على تعيينه قائمقاماً لرواندوز في نيسان ١٩٢٣ رغم معارضة الحكومة العراقية وعدد من الضباط السياسيين البريطانيين بوصفه قوةً كردية ثانية إزاء الشيخ محمود وإزاء تدهور الوضع

= السامي لن يتبنى على الأغلب إقتراحه حول القيام بنشاط خارج حدود العراق. على أنه عرض تعاونه لإعادة سيطرتنا على رواندوز وكان يرى من السهولة بمكان طرد الترك الذين لا يتجاوزون (١٣٠) رجلاً في منطقة رانيه و(١٢٠) في رواندوز و(٥٠) في الزيبار غرباً. وقال انه سيستخدم رجال قبيلته وكان يوجد منهم في العراق زهاء (٣٠٠) أسرة. كما كان في وسعه استماله قبيلة الهركي البدوية فكل ما يطلبه هو قليل من الإسناد الجوي وعدد قليل من البندقيات والعتاد ومبالغ كافية لتموين (اللشكر) بالطعام ولم يطلب لنفسه مكافأة وإنما عرض تعريضاً بأنه يأمل أن يوكل اليه أمر الإشراف على أقضية رواندوز وعقره والعماديه مثلما أطلقت يد الشيخ محمود في السليمانيه". نقول: تلك كانت الفكرة التي حبذها إدموندز وخالفها (نوئيل) الذي إقتراح أن يتم الجمع بين سيد طه والشيخ محمود وسمكو للقيام بعمل مشترك من غير أن يدري أن ذلك لا يتفق قط ومزاج الشيخ محمود لاسيما برفضه المبرر جداً أن يكون سمكو صنواً تجمعهما طاولة واحدة.

٢٠- تقرير الإدارة: المرجع السالف: نيسان ١٩٢٢ - آذار ١٩٢٣.

في السليمانيه. ولم يكن هناك أمل في إنقاذه.

وفي السليمانيه وجد الشيخ محمود نفسه في عسر مالي شديد وبحاجة شديدة. وكان قد أنفق خلال الأسابيع الثلاثة الأولى من وصوله كل ما وجده في بيت مال السليمانيه، وزعّه على رؤساء العشائر والزائرين المهنيين. على أنه إكتشف مصدراً لملء الخزينة بفرض المكس على التبوغ وجباية الأعشار وذكروا أنه تمكن من جمع مائة وخمسين ألف روية من هذين المصدرين.

طلب منه أن يحضر مؤتمراً في كركوك فرفض ولكنه بعث في ٢٣ من كانون الثاني مندوبين إثنين إتخذوا موقفاً حديداً لا يتسم بأي مرونة.

وتسارعت الأحداث بشكل مثير. في أواخر شهر كانون الثاني وصل السليمانيه ضباط أتراك، ووضعت خطة للهجوم على كركوك وكويسنجق. وتحققت صلة بعلماء الشيعة في كربلاء والنجف. حينما اضطلعت الجمعية التركيه في كركوك ببث الدعوة للثورة والتهيئة لها^(٢١). ومن جهته إختطّ (أوزدمير) منهاج حملة على أربيل ثم على كركوك وفي سبيل ذلك إتصل بالقائد العسكري الإيراني بغية الحصول على إجازة في استخدام الأراضي الإيرانية والإستعانة بالقبائل الكردية فيها. وعندها قرر المندوب السامي أن يستبق ثورة الشيخ بعمل فوري فتم الإتصال بعشائر الهموند والجاف والپشدر ووضعت على أهبة الإستعداد^(٢٢) وفي ١٦ من شباط^(٢٣) إلتأم مؤتمر في بغداد "لبحث الوضع في السليمانيه". حضره فضلاً عن هنري دويس المندوب السامي الجديد، ضباط وموظفون بريطانيون وإنتهى بإتخاذ هذا القرار:

أولاً: في الحادي والعشرين من شباط يبعث المندوب السامي ببرقية الى الشيخ محمود طالباً حضوره في بغداد.

ثانياً: عند رفض الشيخ. تقوم تشكيلة من الطائرات بمظاهرة جوية في أجواء السليمانيه وتلقي مناشير معلنة عن إقالته مع إمهاله خمسة أيام أخرى للحضور

٢١- المرجع السالف: تقرير الإدارة في العراق، نيسان ١٩٢٢ - آذار ١٩٢٣، ص ٣٩. إدموندز، المرجع السالف. لونغريك [العراق ١٩٠٠-١٩٥٠] المرجع السالف الص ١٤٥-١٤٦.

٢٢- تقرير الإدارة في العراق (المرجع السالف) ص ٣٩.

٢٣- كرد وترك وعرب. المرجع السالف، الص ٢٨٣-٢٨٤ [نقلت الفقرة عن ترجمتنا وأظن أن خطأ مطبعياً أو نتيجة زلة قلم مني. عندما وضعت (كانون الثاني) بدلاً من شباط. فأرجو ملاحظة ذلك.

مع كل أعضاء مجلس الإدارة في بغداد .

ثالثاً: تتحرك سرّيتان من كتيبة السيخ الرابعة عشرة بالقطار حتى كركربان ومن هناك تُنقل جواً الى كركوك^(٢٤) لتعزيز قوات الليثي، كإجراء وقائي ضدّ أي هجوم مفاجيء .

رابعاً: إذا رفض الشيخ محمود مغادرة المدينة فإن القوة الجوية تقوم بقصف ثكناتها. ومقرّ الشيخ.

لم يُضَيّع وقتٌ في وضع هذه الشروط موضع تطبيق. فقد قام (إدموندز) بإبلاغ الشيخ برسالة المندوب السامي مساء ٢٠ من شباط. فطلب الشيخ إيضاحات إلاّ أن إدموندز أبلغه بأنه غير مخوّل لبحث تعليمات رئيسه.

وبحسب تقرير المندوب السامي الموجه الى وزارة المستعمرات "إن الشيخ رفض الإنصياع الى التعليمات التي تقضي بحضوره في بغداد بل إن الأنباء تتواصل حول تفاصيل خطته للهجوم المرتقب على كركوك."^(٢٥)

في يومي ٢٣ و ٢٤ من شباط إنشغل الطيران البريطاني بإلقاء منشورات على السليمانيه معلنةً عزل الشيخ. وفي مساء الرابع والعشرين قام الشيخ بمحاولة أخيرة للتفاهم إلاّ أن ساعات عديدة مرّت في مراسلة برقية بينه وبين (إدموندز) لم تؤد الى نتيجة وربّما أراد الشيخ من هذه المماطلة كسب الوقت بالتلويح بنيته الإستقالة في حين كانت الأنباء تشير الى انه بعث بقوة من الليثي الى جَمَجمال بهدف تهديد كركوك^(٢٦).

أمر الشيخ بمغادرة السليمانيه في موعد أقصاه الأوّل من آذار. وأنذر الأهالي بأن المدينة ستعرض للقصف ولعملية عسكرية إن لم يغادرها الشيخ. وفي الثالث من آذار قُصفت السليمانيه من الجوّ ووافق القصف وصول وفد من المدينة الى كركوك ومن بين الوافدين كان الشيخ قادر ومصطفى پاشا ياملكي، وفيها علموا بالقصف.

مكث الوفد طويلاً يتصل بالشيخ برقياً، ملحاً عليه بمغادرة المدينة. وقد إستجاب

٢٤- كانت هذه أوّل عملية نقلٍ جويّ في تاريخ الحروب. لقطع عسكرية كاملة بتجهيزاتها قريباً من أرض المعركة. بهذا الشكل إستقبلت الصحافة البريطانية النبا ونشرته بعناوين بارزة في حينه.

٢٥- تقرير الإدارة (المرجع السالف) ص ٣٩.

٢٦- تقرير الإدارة [المرجع السالف] ص ٣٩.

فتركها في فجر الرابع منه على رأس مائتين من الليفي ومحتويات الخزينة^(٢٧) وذكروا أنه لاذ بمرتفعات سورداش شمال المدينة وأن (أوزدمير) قام بزيارته وأخذ يستحثه على إعادة احتلال السليمانية." (٢٨)

في أيام آذار الأولى شتتت القوة الجوية البريطانية شمل جماعات موالية للشيخ كانت ترابط في ظاهر السليمانية. ولم ينم عن الشيخ مايشير الى إلقاء سلاحه، أو تبدر منه بادرة إستسلام واتخذ مقره في كهوف (جاسنه) بسورداش ووزع قواته في القرى المجاورة ممارساً سلطته كالسابق. ولم ينس أن ينقل المطبعة ولم يضيع وقتاً في إستخدامها. وفي ٨ آذار أي بعد أربعة أيام فقط من خروجه أصدر العدد الأول من الجريدة التي إختار لها (بانگي ههق = صوت الحق) إسماً^(٢٩) خلفاً لجريدة (روژي كردستان) كما نوّه في العدد الأول وتحتته هذه العبارة "طبعت في المقر العام لجيش كردستان".

لم يفت البريطانيون مبلغ خطورة بقاء الشيخ في سورداش. بكل العقبات التي قد يخلقها في مجال تنفيذ سياسة القضاء على النفوذ التركي وإرهاباته في ولاية الموصل إذ كان لوجود (أوزدمير) خطورة تفوق تهديد الشيخ بمراحل وقد تقرّر البدء به. ولم يضع القائد العام الجديد في العراق نائب مارشال الجو سر جون سالموند وقتاً وقرّر أن يبدأ به وبدأ بشن غارات عنيفة مركزة على قرى (شيخ بزيني) حلفاء أوزدمير على طول ضفتي الزاب الأسفل وثكنات كويسنجق ولم يواجه رتل بقيادة العقيد (مينيت) مقاومة تُذكر أثناء زحفه على البلدة. وعندما بلغها في السابع من تشرين الأول وجدها خالية من الأتراك. وقدم معظم شيوخ (شيخ بزيني) دخالتهم.

بعدها إنتقل مرسح العمليات الى الشمال وعانت القوات المعادية في نواحي ميرگه ورانيه وپشدر قصفاً جويّاً شديداً متواصلًا. وركّزت القوة الجوية على وادي شاور وهو

٢٧- المرجع نفسه الص ٣٩-٤٠. وأنظر أيضاً إدموندز. الص ٢٨٤-٢٨٦.

٢٨- تقرير الإدارة [المرجع السالف] ص ٤٠.

٢٩- المعنى لهذا المصطلح بالعربية هو كما أثبتناه. إلا أنها بالإصطلاح الصوفي تعني شيئاً أكثر من هذا. فكلمة (الحق) عند الصوفية تعني الذات الالهية. أو (الله) بالضبط. لذلك كان لإختيار الشيخ محمود هذا الإسم مغزاه ووقعه.

سبيل مرور يربط هذه الأنحاء برواندوز. وكانت كما يبدو أهدافاً مستمرة طوال خريف ١٩٢٢ وشتاء ١٩٢٣.

في نهاية آذار كانت القوات البرية الكبيرة في طريقها لمواجهة (أوزدمير) وهي برتلين رتل بقيادة العقيد (فنسنت) وعرف بإسم (رتل كوي Koi Col) ورتل بقيادة العقيد (دويس) عُرف بإسم (رتل الجبهة Front Col) قاما بتعزيز جوي - بحركة إلتفاف على مواقع (أوزدمير) في قاطع (سپيلك) فإضطر هذا في ليلة ٢٠ / ١٩ من نيسان الى التخلي عن مواقعه في المضيق. وتولى السيد طه أمور منصبه في رواندوز التي تم إحتلالها في ٢٢ من نيسان ١٩٢٣. وبعدها لم يسمع بهذا الضابط التركي أبداً.

بعد ذلك إنصرف الإهتمام بالشيخ محمود وأنيط به (رتل كوي) مهمة إحتلال السليمانية. في الثامن من أيار ألقيت من الجو منشورات على الأهالي منبئة بنية إستعادة المدينة وفي عين الوقت كان الشيخ محمود قد عاد من زيارة لپشدر محاولاً دون جدوى إثارة القبائل في مؤخرة الرتل البريطاني الزاحف على أوزدمير. الآن نجد الشيخ ينذر قائد القوة الزاحفة على السليمانية - برسالة بعدم التقدم خطوة أخرى من جمجمال. وفي اليوم التالي ترك مقره متوجهاً صوب السليمانية معتزماً التصدي للرتل. لكن ما أن عَلم بأنه اجتاز مضيق طاسلوجه وهو نقطة الدفاع الوحيدة بين مضيق بازيان والسليمانية - حتى قام بإنسحاب سريع نحو الحدود الإيرانية. وعُلم بعدئذ أنه إستقر في پيران وهي قرية تقع على بعد ميلين داخل الحدود الإيرانية.

وبلغ الرتل سرچنار وإستيقه الى السليمانية الضابط السياسي المعين للسليمانية ولم يكن غير إدموندز بعينه. فأسرع هذا بإقامة إدارة حكومية وأنيط به (أحمد بگ توفيق) الإدارة المدنية وأودعت أمور الأمن الداخلي الشيخ قادر البرزنجي. يقول إدموندز:

"قمت بتصريف الأمور كلها من الغرفة التي يستخدمها الشيخ لإدارة شؤون حكمه في المدرسة الثانوية التي كانت دائرة الضابط السياسي في ١٩١٩. دخلت المكتبة ورأيت خلف المقعد صورته معلقة على الحائط ومثبتة بإطار ومسامير مما يستخدم للرسم والإطار هو شريط أحمر من القرطاسية الرسمية سممت الصورة على اللوحة الخشبية التي كانت قاعدة للآلة الكاتبة. ووجدت أيضاً علماً كردياً مع تاج مزخرف أعدت

لتثبيته في رأس العلم مينةً للعلم الملكي..."(٣٠)

في أواخر أيار ١٩٢٣ سبق المندوب السامي هنري دويس رئيس الوزراء العراقي عبدالمحسن السعدون بزيارة للسليمانية وإجتماعاً معاً بعدد من الرؤساء ووجهاء المدينة ولم يسفر الاجتماع عن نتيجة حين إمتنع (السعدون) عن الإصغاء أو الإستجابة الى المطالب الوطنية الكردية أو أن يقدم أي تنازلات. وأعطى السبب الظاهري للفشل إصرار المندوب السامي على سحب الوحدات العسكرية البريطانية في حين كان الجانب العراقي يريد بقاءها حتى "تعود الأوضاع الى حالتها الإعتيادية"(٣١). إلا أن السبب

٣٠- إدموندز، المرجع السالف، ص ٢٩٧.

٣١- تشير التقارير الرسمية البريطانية. (إدموندز أيضاً ص ٣٠٩) إلى أن الخطة البريطانية العامة منذ ١٩٢١ كانت قد إستقرت بالأساس على إناطة التواجد العسكري البريطاني في العراق- بالقوة الجوية الملكية R.A.F. والإستغناء التام عن القوات البريطانية البرية إنكليزية أكانت أم هندية. وبذلك تم حشد ٤٨ سريراً في العراق وهو ماعدأ أعظم قوة جوية في الشرقين الأدنى والأوسط في حينه. والإستعانة بأفواج قليلة من المتطوعين الآشوريين (اللبثي) لغرض القيام بالحراسات في المطارات والمنشآت البريطانية فحسب وليس كقوة مقاتلة. وفي ١٩٢٣ راحت لندن تلح بشدة على المندوب السامي بخفض عدد الجنود البريطانيين في العراق الى أقل من ستة أفواج على أن يجري ترحيل هؤلاء خلال بضعة أشهر. ورفضت لندن إقتراح بقاء رتل كوي المرابط إذ ذاك في السليمانية تبعاً لذلك. ولم تكن الحكومة العراقية قادرة على إحلال قوة عسكرية في السليمانية بديلاً لهذا. ولذلك كان القلق من سحب هذه القوة من المدينة متبادلاً بين الحكومة العراقية وبين أهالي السليمانية أنفسهم خشية أن يحل محلها بأية صورة كانت قوات عراقية (هذا إذا كان يوسعها) لا ينظر إليها الوطنيون الكرد هناك بأكثر من نظرتهم الى قوات أجنبية محتلة غازية. وفي حينه لم يكن ملاك الجيش العراقي يزيد عن (٤٠٠٠) ضابط وجندي. إلا أن المفارقة العظيمة هناك - وتلك من غرائب التقلبات السياسية. إن القوات البريطانية التي إحتلت السليمانية في آذار أي قبل شهرين كانت قوات عدوة، وأهالي السليمانية الآن ربيعهم ووضعهم يريدون بقاءها ويحرصون على عدم خروجها والحكومة العراقية والعراقيون الذين ينظمون = المظاهرات ضد التواجد العسكري البريطاني في العراق. وضد المعاهدة التي تقضي بوجود لهذه القوات. تراهم الآن يتوسلون بإبقائها لأنها تضمن لهم سكوت الكرد!!

يقول إدموندز: "كانت تلك الأيام الثلاثة كابوساً حقيقياً. أحدثت جموع من المواطنين الخائفين... يحاصرون الدائرة ويسألوننا عما سيكون من أمرهم أو يلحون في طلب حيوانات ليسهل نزوحهم. وإختفيت أنا وچايمان ودوغلاس، ولم نستطع أن نرى وجوهنا في الشوارع إلا وتحاصرنا النسوة... وغيرهن من الناس الذين غمرهم القلق والهَم... ووجدتُ خير ما يمكن عمله هو دعوة سمرارة المدينة وتحميلهم مسؤولية وقوع جرائم كلاً في حبه الذي يسكنه كما حللتهم من مسؤولية أي =

الحقيقي هو إصرار رئيس الوزراء على عدم إعطاء أي تنازلات للمطالب الكردية السياسية. ولايورد إدموندز (وكتابه أهم المراجع لتلك الفترة) ماينير لنا السبيل في أن عودة حكم الشيخ محمود للسليمانية في الحادي عشر من تموز إنَّما كان بخطَّة مدبَّرة وإتفاق مع البريطانيين مسبق أم هو من قبيل المفاجأة السياسية التي اضطروا الى السكوت عنها والرضا بها لأنها كانت الى حدِّ ما تخدم مصالحهم في تلك الفترة بالذات؟ في الوثائق البريطانية مايشير إلى أن قراراً أتخذ بذلك أو أن إتفاقاً جرى مع الشيخ محمود قبل السماح له بالعودة. وليس هناك أيضاً دليلٌ يدعم زعم رئيس الوزراء (عبدالمحسن السعدون) بأنَّ المندوب السامي كان يمهد لعودته وفي عين الوقت ليس لدينا دليل يؤيد أن البريطانيين لم يفاجأوا بعودته. كتب عبدالمحسن السعدون للملك فيصل في رسالة مؤرخة في ٣١ من أيار ١٩٢٣، قال:

"بمناسبة خبر مجيء فخامة المندوب السامي الى السليمانية نهار السبت القدام، أتوسل الى جلالتكم إقناعه بلزوم ترك فكرة إعادة الشيخ محمود. إذ أن الفوضى والإرهاب يعودان معه." (٣٢)

وكتب أيضاً له وكأن مسألة إعادته قد تمَّ البت فيها:

"... ان أضرار إعادة الحكم الى الشيخ محمود لا تقتصر على نفس لواء السليمانية فقط بل تسري على جميع المناطق الكردية التابعة للحكومة العراقية مما يجعل الأماكن المجاورة لها أيضاً في خطر دائم." (٣٣)

ثم عاد يكتب اليه طالباً التدخل لإقناع المندوب السامي بـ:

= إضطراب وشغب مصدره خارج المدينة ووعده الشيخ قادر أن يبقى بضعة أيام بعد خروج القوة ليحول دون أعمال سلب ونهب أو إشعال حرائق وهو مما يتوقع حصوله كأول ردِّ فعل لزوال آخر مظهر خارجي لسُلطة الحكومة... وخرج سيل من اللاجئين يقدر بحوالي (٢٠٠٠) نازح إمَّا منفردين أو مواكبين للرتل وهو في إنسحابه الذي تمَّ في ١٧ من حزيران [ص ٣٠٢: المرجع السالف].

٣٢- لطفى جعفر فرج عبدالله: عبدالمحسن السعدون: دوره في تاريخ العراق السياسي المعاصر مكتبة البيقطة العربية: بغداد ١٩٨٨. ص ١٠٥ [يشير الكاتب الى مصدره وهو ملفات البلاط [ملف إدارة كردستان رقم س/١، ورقة ٤٧].

٣٣- الرسالة المؤرخة في ٦ حزيران ١٩٢٣. (المرجع عينه) ص ١٠٥. رقم ٤٢٠٤.

"إبقاء القوات البريطانية لمدة لا تقلّ عن الشهرين أو الثلاثة لحين ما يتسنّى للحكومة إكمال التشكيلات الأساسية للإدارة على ضوء الشروط التي قدمها الأكراد أنفسهم ويعد ذلك يمكن للقوات البريطانية أن تنسحب تدريجياً ويُستعاض عنها بقوة من الجيش العراقي لاتزيد عن (٥٠٠) جندي." (٣٤)

ومن لهجة هذين الخطابين لا يمكن قطّ إستبعاد سبق معرفة الأوساط الحكوميّة في بغداد بنوايا معينة للمندوب السامي بخصوص الشيخ قبل سفر السعدون الى السلিমانيه. وعلى ضوء الوضع السياسيّ في بغداد يمكن الوصول الى تفسير فيه شيء من المنطق لهذا التحول التاكتيكي. فقد كان هناك توجّس حقيقي بأن المجلس التأسيسي الذي يُهيأ لإنعقاده لغرض وضع الدستور والتصديق على المعاهدة الجديدة لن يكون وفق رغبات الجهات البريطانية وأنه بإقتضاره على مندوبي الولاياتين وعدد من النواب غير الكرد في المحصل سيخلق متاعب ولهذا بات من الضروري جداً إشراك كرد جنوب كردستان وحملهم على إرسال مندوبين إليه لترجيح كفة القابلين بالمعاهدة، لأنّ الكرد بعد أن فقدوا آمالهم في تحقيق مطالبهم القومية. كانوا يتوجسون خيفة من أن يُسرجوا الى حكم عربي صرف غير مقيدٍ ولذلك فإنّ تصويت المندوبين الكرد الى جانب المعاهدة سيرجّح الكفة بلاشك ويزيل العراقيين المحتملة أمام مرورها. لأنه ضمان ببقاء اليد البريطانية العليا في البلاد وعدم وقوع الحكم صرفاً بيد الطبقة الحاكمة العربية (٣٥).

وهذا سرّ التحول البريطاني الفجائي. وهو كما ترى تحول تاكتيكي مؤقت لا يخلّ بالجوهر الخط العام الذي إتخذته سياسة السرّ پرسی كوكس أي ضمّ جنوب كردستان الى

٣٤- الرسالة المؤرخة في ٦ حزيران ١٩٢٣. (المرجع عينه) ص ١٠٦. رقم ٤٢٠٤.

٣٥- صودق على المعاهدة بسبع وثلاثين نائباً فقط وأكثرية نواب ألوية السلیمانيه وكركوك وأربيل وأقضية الموصل الكردية من أصل (١٠٣) نواب. غاب منهم عن تلك الجلسة إثنان وثلاثون واستنكف عن التصويت ثمانية، وخالف أربعة وعشرون. وكان قد أغتيل إثنان من كثير ممن تعرض الى محاولات إغتيال فعليّة. وكانت الموافقة مشروطةً بقيد أساسي هو أن المعاهدة المصادق عليها والإتفاقيات ستكون باطلة إن لم تحافظ الحكومة البريطانية على حقوق العراق في ولاية الموصل بأجمعها.

الدولة العراقية وهذا هو السبب في صدور قرار مجلس الوزراء العراقي في الحادي عشر من تموز كما أسلفتُ.

* * * * *

وكما كان متوقِعاً دخل أتباع الشيخ المدينة بعد جلاء القوات البريطانية مباشرةً. وفي ١٤ حزيران استقال المجلس الإداري الموقت الذي نصبه إدموندز عندما قام بإبلاغه بأن القوات البريطانية ستترك المدينة خلال ثلاثة أيام. إلا أن الشيخ لم يدخلها حتى الحادي عشر من تموز. وعين (ماجد مصطفى) وهو ضابط عثماني سابق قائداً لقواته المسلحة التي بقيت تعرف «بالجيش الوطني الكردي» خلفاً لصالح زكي صاحبقران. وعلى أثر عودته بدأ البريطانيون بإعادة تقويم مركزه وتحديد مجال نفوذه برسالة كتبها إدموندز هذا نصّها:

«طرق سمع المندوب السامي بأنك عدت الى السليمانية. لذلك أمرني بإبلاغك أن كلّ التدابير قد تمت لإدارة أفضية رانيه وقلعه دزه وجمجمال وقرداغ وسنكاو فضلاً عن ناحية ماوت وأن عليك الإمتناع عن التدخل بأي شكل في شؤون المناطق المذكورة آنفاً أو في القرى التي تعود لسادة (سرگلو) فإن خالفت لاسمح الله هذه التعليمات وتدخلت في شؤون المناطق المذكورة أو قمت بدسّ الدسائس ضد الحكومة بوسائل أخرى، فستتخذ بحقك أشدّ التدابير صرامةً. أمّا في الوقت الحاضر فإن فخامة المندوب السامي لاينوي إتخاذ أي إجراءات ضدك شريطة أن لاتتدخل في شؤون المناطق المار ذكرها وأن لاتأتي بأعمال معادية».

ولم يعر الشيخ إهتماماً بالتحذير وحاول بسط سيطرته على المناطق الموصوفة في كتاب إدموندز فقُصِف مقرّه في السليمانية ولم يأبه بل واصل محاولاته لضمّ هذه المناطق في عين الوقت الذي كان يكتب إدموندز. وأعيد ضربه من الجوّ في ٢٤ من كانون الأول ١٩٢٣ واستمرت طلعات القوة الجوية البريطانية في سماء السليمانية عدة أشهر. بعد أن أمّن البريطانيون إقبال القسم الأكبر من جنوب كردستان على التصويت وإختيار الممثلين. قرروا إحتلال السليمانية وإخراج الشيخ بالقوة. وفي الرابع عشر من شهر تموز

١٩٢٤ جردت قوة تتألف من فوجٍ عراقيٍّ وفوجٍ من الليثي الآشوري وقوة من الشرطة. ولم يبد الشيخ مقاومةً وأنسحب من المدينة. وأودع الحكم الإدارة الضابط السياسي چاپمان A. J. Chapman. الذي باشر عمله بوظيفة (متصرف) تابع للحكومة العراقية. غير إنه كان في الحقيقة مسؤولاً أمام المندوب السامي ومنه يتلقى الأوامر. وبقي الشيخ طليقاً يُغَيَّرُ بين آنٍ وآخر على مناطق بعيدة يجبي الضرائب أو تقدم له طواعية (٣٦).

٣٦- في بحث كتبه العقيد (ألفنستون) الذي كان وقتذاك في العراق. نشره في مجلة الجمعية الملكية لآسيا الوسطى (عدد ٣٥ - القسم الأول. كانون الثاني ١٩٤٨. ص ٤٥) بعنوان «الکرد والقضية الكردية» Kurds and the Kurdish Question : قال: أذكر أنه (يقصد الشيخ محمود) في العام ١٩٢٧ عندما كان لائناً بالحدود الإيرانية طريداً. كان من خطئنا أن نقلص بحماية القبائل الكردية المترحلة والساكنة في تلك الأنحاء من تحكم جباة الشيخ محمود. إلا إننا إكتشفنا بأن هذه القبائل نفسها التي كانت في النهار تعلن عن شكرها لنا لحمايتنا منه كانت ترسل اليه ليلاً وطواعية المفروض عليها من قبله كاملاً دليلاً على القدر من المهابة والإحترام اللذين كانا للشيخ عندهم».

الفصل الخامس عشر

الكردي يحالفون الحركة الكمالية ويشاركون في حروب "الإستقلال". الإجراءات القمعية التالية. قصور الوعي القومي الكردي. محاولة إقامة تحالف قبائلي كردي بين الشيعة والسنية. إنتفاضة كردية بقصد إحباط مؤتمر سيواس. مطالب قومية للكماليين. صدامات عنيفة تؤدي الى فشل الإنتفاضة. جهود الحركة الكمالية في كردستان. خطبة حول التآخي التركي - الكردي. العامل الديني. مناقشات حامية في المجلس الوطني الكبير. قرارات جريئة لم تر نور النهار. تعهد المجلس الوطني بإدارة ذاتية. آراء (گوكالب) في القومية. بدء الإضطهاد العنصري المنتظم.

قدم الكرد مساعدة لا تثنى في بناء تركيا الحديثة. في مبدأ الأمر وقبل أن تأخذ الحركة الكمالية طابع العمل الجدّي ضد حكومة السلطان في الأستانة بدت لقبائل الكرد في الجزء الجنوبي من كردستان تركيا حركة إلحادية وواجهت صدوداً ومقاومة. إلا أن الوضع تغير تماماً عندما غزت اليونان سواحل تركيا الغربية ووجد الكماليون فوق ذلك أن عليهم أن يخوضوا حروباً عسكرية وسياسية مع الأرمن والفرنسيين والبريطانيين وهو ما دعي «بحروب الإستقلال». وهي حروب ضدّ "الكفّار".

حال الكرد دون إجتياح البلاد. وسبق الأمر غير واضح، هل سبق للكماليين أن خططوا لسحق الشعور القومي فور مناصبتهم العداة لحكومة الأستانة أم أنهم تغيروا فجأة في العام ١٩٢٣. وإعتمدها خطأً سياسياً واضحاً؟ مهما يكن من أمر وبغض النظر عن التوقيت. فإن الكرد عجزوا عن خلق معارضة

مؤثرة في وجه الإجراءات القمعية. كانوا موزعين جغرافياً الى درجة كبيرة، ومنقسمين طائفيًا ومذهبيًا، تفرق بينهم فضلاً عن ذلك الإنتماءات القبائلية والتباين في اللهجات اللغوية والنشاط الإقتصادي والاجتماعي والهوية السحيقة التي لاقرار لها بين مثقفهم وأمميهم وهم الكثرة الكاثرة. فضلاً عن درجة الوعي القومي الذي لم يبلغ قط تلك المرحلة من التهذيب والتوجيه للشعور الحادّ بالهوية يغلب أو يساوي على الأقل الشعور بالولاء القبائلي. لم تكن هناك فكرة واضحة عن العمل القومي ولا ما يتمخض به على الصعيد السياسي.

لكن في الوقت الذي كانت الدولة العثمانية قادرة على قمع إنتفاضة بعد أخرى بناءً على هذا الواقع، وفرض أيديولوجية مركزية، إلا أنّ متانة هذه الأيديولوجية كانت تقلّ كثيراً عن تلك الروابط الأصيلة التي تشدّ الكرد بعضهم الى بعض. الأرض واللغة والتقاليد والعشائرية. هذه الروابط هي التي خرجت بإنتفاضة الكوجكيري في ١٩٢١ وثورة الشيخ سعيد پيران في ١٩٢٥.

القوميون الكرد - لاسيما أولئك الذين بحثوا عن فرصة لتحالف كردي أرمني، أمكنهم فحسب بث الشعور القومي بين آخرين كانت الطموحات الأرمنية تهددهم، ومنهم الكرد العلويون الذين لايشاركون أكثر أهل السنة خوفهم من خطر الأرمن من جهة الشرق^(١) ومع هذا فإنه عندما تأسست جمعية تعالي وترقي في أستنبول في أعقاب الحرب العظمى كان واحداً أو إثنان من أعضائها علويين. هما مصطفى پاشا رئيس الكوجكيري غرب مدينة درسيم وإبنه (عليشان بگ) و(نوري ديرسيمي) أحد أبناء الأغوات. هؤلاء كانوا شديدي الإهتمام بإقامة تحالف سنيّ شيعي. وقاموا بفتح

١- المواجهات العمومية بين السنية والعلوية الكرد كانت موعلة في القدم راسخة الجذور وبعضها يعود الى ذلك النزاع الشيعي السني في الأناضول في القرن السادس عشر. وما يذكر أن بعض رؤساء (أغوات) الآلايات الحميدية كانوا في أواخر القرن التاسع يستخدمون نفوذهم والسلطات التي أمّنتها رتبهم للإعتداء على منافسيهم العلويين المحليين. وشمل النزاع بين الطرفين رقعة واسعة ومن بعض مظاهره مثلاً التي تسترعي الإهتمام تلك الثارات الدموية بين رؤساء (الخورماك) العلويين وقبائل (جبران) السنية. الأولى كانت أسرة إقطاعية بارزة. وجبران واحدة من أقوى وأكبر قبائل كردستان. في العام ١٨٩٤ قتل الجبرانيون (ابراهيم تالو) زعيم الخورماك ثم الحقوا به إبنه في العام ١٩٠٦.

فروع للجمعية خلال المجموعات القبائلية الكوچگیرية في تشرين الأول ١٩٢٠ تمهيداً
لإنتفاضة كبرى في تشرين الثاني بقيادة عليشان ضد الكماليين.

وهنا لا بدّ لي من كلمة حول دور المناضل الوطني علي شير الحسناني في التمهيد
للثورة والمشاركة فيها.

ولد علي شير في قرته أومراني في أواخر العقد الثامن من القرن التاسع عشر -
وهذه القرية تقع على مقربة من كوك جيري. وتلقي علومه في إعدادية (سيواس) ونبه
ذكره شاعراً ينظم القصائد الوطنية الكردية في عهد السلطان عبدالحميد. واتخذ
من والي درسيم في حينه وبذلك أُتيح له أن ينشر آراءه القومية ويمارس نفوذاً فكرياً
عظيماً على القبائل في منطقة كوك جيري، وكان له دوره الكبير في توحيد كلمتها.

في العام ١٩١٧ بعد تقهر القوات الروسية وجلاتها عن كردستان الشمالية الشرقية
من تركيا. فضّلت السلطات العسكرية التركية أن تغمض عينها عن النشاط الذي
يمارسه علي شير في إقليم (اوقاچك) حفظاً على صلات أهلها بأهالي درسيم.

ودأب خلال هذه الفترة على مواصلة نشاطه السياسي ونشر قصائده الوطنية. وقد
عملنا أنه قام في العام ١٩٢٠ بتأسيس فرع لجمعية التقدم الكردية (تعالی جمعیتی)
ثم أسس فرعاً آخر لها في درسيم. وطالب الجهات العامة الكردية في أستنبول إدخال
منطقة درسيم في المشاريع السياسية الكردية أثناء المفاوضات التي كانت تجري مع
الحكومة التركية. كما نظم في العام ١٩٢١ حملة المذكرات والعرائض والبرقيات
بخصوص تطبيق نعاودة سيقر. وقام بتنظيم وعقد عدة مؤتمرات كردية محلية وساهم
مساهمة فعّالة في ثورة الكوك جيري. وصدر حكم الموت عليه غياباً ولم تتمكّن
السلطة من القبض عليه^(٢).

٢- لا يُعرف الشيء الكثير عن هذه الشخصية الوطنية. إلا أن اسمه مع فجأة بوصفه واحداً من زعماء
ثورة (درسيم) في العالم ١٩٣٧ فقد شارك في الحركات العسكرية وكتب ما لا يحصى من
البيانات والأشعار الوطنية، حتّى فيها الكرد على مناصرة الثورة والإلتفاف حول زعيمها (سيد
رضا). وفي حزيران ١٩٣٧ طلب منه (سيد رضا) أن يُلجأ إلى العراق أو إلى إيران والعمل
على الإتصال سراً بفرنسا أو إنكلترا ومطالبتها بالتدخل لوقف نزع الدم الذي يسيل في
كردستان مجدداً. إلا أن الأتراك دبّروا أمر إغتياله بأمر من الجنرال آلپ دوغان قائد القوات =

لم يكون الكوك جيري وحدهم في الوقوف بوجه الكماليين^(٣). وقد صافحت سيوف هؤلاء سيوف قبائل الجنوب دون سابق موعد أو تفاهم أو صلة. وحاولوا إحباط مؤتمر سيواس في أيلول ١٩١٩ بغلق مضيق ارزنجان الجبلي. وإتخذوا موقفاً معادياً من قيام دولة تركية حديثة لأن ذلك يؤدي الى السيطرة على إقليم ديرسيم. إتفق هذا الحادث مع وجود ميجر نوئيل في مهمته العتيدة ليثير مخاوف الكماليين في عمل منسق له لخلق دولة كردية.

= العسكرية. وكان ق حلّ ضيفاً في مقر (رهبر) وهو ابن أخ لسيد رضا تظاهر بالحياد إلا أنه كان يتعاون سراً مع الأتراك ضد عمه. [يراجع كتاب الدكتور نو درسيمي الموسو: كردستان تاريخه درسيم = درسيم في تاريخ كردستان. بالتركية. ط حلب ١٩٥٢. المؤلف شارك منذ الحرب العظمى الأولى في مختلف الحركات الوطنية الكردية في تركيا، لاسيماً في ثورة درسيم. وتوفي في سورية العام ١٩٧٥]

٢- من بين الوثائق التي تشير الى علاقات القبائل الجنوبية بالحركة الكمالية.

Fo. 371 - 4913 - 15. 3673. B. 1 - 6837 M. I. 2.

من مدير الإستخبارات العسكرية [أستنبول] الى وزارة الخارجية

١٩ تشرين الثاني ١٩١٩

يبعث مدير الإستخبارات العسكرية بتحياته الى وكيل وزارة الخارجية مرفقاً برسالته هذه فقرات مقتبسة من تقرير الضابط السياسي لقسم (جرايلس) المؤرخ في ٢٢ أيلول ١٩١٩. حول موقف بعض الكرد من حركة مصطفى كمال الذي وصل من المقر العام في مصر. [أرسلت نسخة منه الى وزارة الهند].

[رقم ٧٨ مستل من التقرير] يذكر ميجر وولي أن الكرد الرشوان هم ضد مصطفى كمال وربما إتخذوا خطوات فعالة ضده. عبدالرحمن خرتاوي وزعماء آخرون من البيسكي يمكن أن يعدوا من قبيل من يؤثر البقاء هادئاً. قبائل الملي ربما تأثرت بالدعاية الصادرة من سيفريك وديار بكر وماردين. محمود خرتاوي مشكوك في أمره. أخوه عبدالرحمن خرتاوي على خلاف في الرأي معه ويرغب في القبول الى أورفه للتباحث معنا. رؤساء البرازي خيتكان وكل العشائر في منطقة سروج والى الجنوب لا شأن لهم بمصطفى كمال. الباراك التركمان غرب نهر جرايلس حتى بيبره جك لا يتحركون. متصرف أورفه يبدو مؤرجحاً بين بين إلا انه بقي صامداً بعامل وجود القوات العسكرية التركية.

مهما يكن. فالضابط السياسي في المنطقة الشمالية يشعر بأن النجاح العام للحركة الوطنية قد يغير من وضع اللامبالاة الذي يسود الكرد. وهو يظن أن الوطنيين الترك سيردون بعمل مضاد بأن يساعدوا المعتدلين من الكرد في الأنحاء إلا انه يحذر بشدة من التدخل المسلح لقوات الحلفاء. والى خربوط متمسك بالرأي بأن أي شكل من أشكال التدخل الخارجي قد يأتي بعين التأثير الذي يحدثه قذح عود ثقاب في برميل بارود وسيقذف بالكرد الى أحضان مصطفى كمال.

والتوقيت والموضع أمران يلفتان النظر لأنّ ديرسيم الغربية كانت تقع غرب الفرات، فهي والحالة هذه خارج الحدود التي رسمتها معاهدة (سيشر) لدولة كردية. وفي خلال شهري آب وتموز صارت عصابات تغيير على مخافر الشرطة وتداهم القوافل الناقلة للأعتدة. وكان الكماليون قد نصبوا (عليشان بگ) وأخاه (حيدرأ) قائمقامين لبلدتي [رفاهيه وعمرانيه] اللتين تقعان على الطريق بين سيواس وأرزنجان، بأمل أن ينقلب سارق الصيد الى حارس للصيد^(٤).

في أيلول ١٩٢٠ بدأ وضع الكماليين يزداد ضعفاً وهشاشة حين شرع الأرمين في شنّ هجوم كبير من ناحية الشرق وبعدها بشهر واحدٍ شنّ اليونانيون هجومهم في الغرب. وفي العشرين من تشرين الأول وقع الكرد على شحنة كبيرة من السلاح. أبوا تسليمها للكماليين. بل قام (عليشان بگ) بتوزيع الهبة غير المنتظرة على قبائل ديرسيم ليعلن بها ثورة.

بعد قطع الطريق بين سيواس وأرزنجان قدّم زعماء الثوار لأنقره في أواسط تشرين الثاني مطالبهم الوطنيّة. من طبيعة هذه المطالب بدا تأثير (تعالی وترقي جمعيتي). إلاّ انها كانت تزيد كثيراً عما سطر في منهاج الجمعية ويمكن إجمالها بهذا: (١) تعلن أنقره عن قبولها بالحكم الذاتي للكرد أسوة بأستنبول التي سبقت حكومتها فإعترفت به.

(٢) إطلاق سراح السجناء السياسيين الكرد في سجون (العزیز) و(ملاطية) و(سيواس) و(ارزنجان).

(٣) سحب كلّ الموظفين الأتراك من المناطق التي تسكنها أغلبية كردية.

(٤) جلاء كلّ القوات التركية من منطقة الكوجگيري.

وهي مطالب تزيد كثيراً عن تلك التي وضعتها جمعية التعالي والترقي لنفسها في منهاجها.

٤- حول هذه الإنتفاضة بعمرها القصير ومحدوديتها. كان مصدرنا الرئيس تقريباً ديقيد ماكدوايل: تاريخ حديث للكرد David McDowall: A Modern History of the Kurds. ط لندن ١٩٩٧. ص ١٨٤ وما بعدها. [يذكر المؤلف أنّه بدوره إعتمد على مصدر واحدٍ فقط وهو كتاب أولسن: ظهور القومية الكردية وثورة الشيخ سعيد ١٨٨٠-١٩٢٥ Olson: The Emergence of Kurdish Nationalism and Sheikh Said Rebellion 1880 - 1925. ط. أوستن ١٩٨٩. الص ٢٦-٤١]. [إتصلنا بصورة غير مباشرة بالمؤلف روبرت أولسن فأبدى أسفه من نفاذ النسخ المحدودة التي طبع منها كتابه]

وحدّد الثائرون مهلة قدرها عشرة أيام للإستجابة.

كانت حكومة أنقره في وضع حرج للغاية ولم تكن مستعدة لتحقيق هذه الطلبات إلاّ أنها لاتستطيع في الوقت عينه المخاطرة بطريق توينها الرئيس وهي تحارب أعداء خارجيين ولجأت الى التسوية والمماطلة، والتريص بالشوار في الوقت المناسب. على أنّها بعثت في حينه وفداً الى ديرسيم بقصد إجراء محادثات فرداً على أعقابه وقيل لهم إن هناك مهلة محددة للإستجابة الى المطالب المعروضة. على أنهم وقبل أن تنتهي أصدروا في ٢٣ من تشرين الثاني بياناً جاء فيه «إنّ لم تتم الموافقة على إقامة كردستان مستقلة كما نصّت عليه معاهدة سيفر فإن زعماء ديرسيم سيواصلون ثورتهم. ذلك كان يعني تحولاً جوهرياً عن إعلانهم القاطع حول الحكم الذاتي، الى الإستقلال. وربما شعرت أنقره من هذا التغيير الفجائي في المطالب بوجود تردد وعدم إستقرار أو ربّما خلاف بين القائمين بالثورة - فلم ترفض أساس الفكرة بل واصلت الإتصال بالشوار ولم تقطع حوارها في حين كانت ترسل النجديات العسكرية لتقوية حاميتها في سيواس بهدوء؛ وتمّ لقاءً بين (مصطفى كمال) و(عليشان بك) وقنع هذا بالأخير بإقتراح الزعيم التركي ترشيحه لعضوية المجلس الوطني الكبير في أنقره.

منصبٌ غريب يقبل به زعيم ثورة كردية!

وأقبل الشتاء دون أن يبدر من الشوار ماينم عن نيّتهم في إقران القول بالعمل. لم يعلنوا إستقلالاً ولا حكماً ذاتياً ولم يتخذوا أي إجراء يدلّ على تصميم وضع شروطهم موضع تطبيق وبقي السجناء في سجونهم كما بقي الموظفون الترك في المنطقة وبقيت الوحدات العسكرية التركية في مواضعها. والظاهر أن موسم الشتاء بصقيعه كان له تأثيره على الشوار. في حين إستغلّه الكماليون لتقوية حامياتهم في كلّ من أرضروم وأرزنجان وسيواس والعزير والقصد هو الحيلولة دون إنتشار الثورة وحصرها في نطاقها الضيق. وتعدّز على الشوار حشد القوى الكافية لعرضها على الساحة. كما لم يكن أي منهم يملك شيئاً من حضور الذهن ليشير الى الإعتصام بالجبال حتى نهاية الشتاء.

هؤلاء الكرد العلويون كانوا كما يبدو يبغون من عرض هذه المطالب الضخمة توسيع رقعة الإستجابة لثورتهم وإغراء السنية الأكراد بالإنضمام اليهم. إلاّ أن الوقت مرّ سراعاً دون أن يتلقوا إستجابة كبيرة وخاب أملهم لقلّة من إنضمّ اليهم وفي الحادي

عشر من آذار - تقدموا بمطالب جديدة متواضعة تتضمن فحسب إستحداث ولاية تدار من قبل الكرد عندما تكون غالبية سكانها من الكرد، فلم تعر أنقره إهتماماً للتعديل، إذ ما بدأ الثلج بالذوبان في آذار ونيسان حتى وجد الثوار في ديرسيم أنفسهم مطوقين بالقوات التركية التي راحت تتقدم نحو مواقعهم. وجرت إشتباكات عنيفة وذكروا عن فظائع إرتكبتها الجانبان زهدت كما يبدو عدداً كبيراً من القبائل الكردية البعيدة عن مسرح الأحداث من الإنتصار لهذه الثورة الصغيرة. كما أن النواب الكرد في المجلس الوطني الكبير بأنقره لم يتحركوا ولم يحتجوا. والى الجنوب حول ملاطية بقيت القبائل العلوية التي زارها ميجر نوئيل في أواخر العام ١٩١٩ ساكتة ولم تتحرك. في نهاية نيسان ١٩٢١ كانت نهاية الثورة. والقى القبض على (حيدر بگ) وأودع السجن إلا أن أخاه بقي طليقاً^(٥).

* * * * * * * *

لا أرى بدأً من تزويد قارئتي بمختصر مركز لأصول قيام الحركة الكمالية وإنتصارها بالأخير بالمساندة الكردية المعنوية والقدرات البشرية والإقتصادية لكردستان حيث نمت بذرتها الأولى.

إنهيار حكومة الإتحاديين وهرب قادتها بعد خسران الحرب، خلف فراغاً سياسياً جاهد نظام السلطان لتأكيد وجوده بمعونة البريطانيين الذين ظلوا يدعمون حكومة السلطان بأمل إستعادة سيطرتها لضمان تطبيق معاهدات الصلح، وكادت حكومات السلطان أن تنجح لو لم ينزل اليونانيون الى سواحل تركيا الغربية في أيار ١٩١٩ بنية ضمها الى بلادهم. إلا أن هذا الغزو وخطر تقسيم البلاد أدى الى إنبعاث روح المقاومة. ودب النشاط في الإتحاديين الذين راحو يطلقون على أنفسهم اسم (الوطنيين قيادة حركات المقاومة). ولم يركب السلطان وحيدالدين (محمد السادس) الموجة ليتصدر المقاومة. فقد كان يفتقر الى الإرادة والمقدرة. وبدأ راغباً في أن يترك مصيره بيد القوى العظمى. ووجد الجيش نفسه في مأزق. فبعد إنهيار حكومة الإتحاديين أعلن الضباط ولاءهم للسلطان ولما وجدوا أنه عاجز عن مقاومة الغزو، أسرعوا فساندوا القضية القومية التي

٥- هذه الفقرة تمثل معظم ما إقتبسته. [نوئيل. المرجع السالف. ويل: تقرير الإدارة، المرجع السالف. ص٤٦].

كان يقودها مصطفى كمال في الوسط والشرق من تركيا. حيث كان هناك يزاول منصب المفتش العام للجيش في الأناضول.

وعندما أعلن إعتزازه على مقاومة الإحتلال اليوناني توجه إلى الشرق ينشد العون. وفي صيف ١٩١٩ وضع في الكرد أملة مستنهضاً فيهم حميتهم الدينية وقتما بدا مصطفى كمال لهم مجرد قائد عسكري خاضع لحكومة أستنبول يعمل وفق أوامرها ويطبق سياستها. وعرف الكرد مصطفى كمال أيام كان قائداً لحامية ديار بكر في ١٩١٦. حيث فسح له المجال للتعرف بعدد كبير من زعماء الكرد القبائليين هناك وإرتبط مع بعضهم بعلاقات. وفي تموز ١٩١٩ على إثر مؤتمر أرضروم، كتب رسائل لهؤلاء مناشداً التعاون كما بذل جهوداً كبيرة في المدن الكردية لضمان ولاء أهاليها وسراة القوم فيها. وحقق في هذين السبيلين نجاحاً ملحوظاً أمّن له الوقت والتفرغ لتعبئة ذلك الجيش الذي طرد به اليونانيين ومعظمه من الكرد.

علينا أن لانغفل هذه الحقيقة وهي أن الكماليين حتى إعلان الجمهورية التركية وإلغاء الخلافة وتبلور الأيديولوجية الكمالية في العام ١٩٢٣. كانوا يتظاهرون أو ربما يتصورون قيام دولة إسلامية تتألف من الترك والكرد الذين هم ضمن الإمبراطورية العثمانية وقد تضمن «الميثاق الوطني» ذلك بشكل واضح وبدا كذلك في المسيرة الكمالية قولاً وعملاً.

وأأتورك^(٦) بالذات كان واقفاً أتم وقوف على نوايا الكرد الإنفصالية من متابعته نشاط النوادي والجمعيات الكردية في أستنبول التي إنبثقت بكثرة هناك ونشرت لها فروعاً في المدن الكردية الكبيرة. كما كان يدرك خطورة مهمة الميجر نوييل التي أشبهت مناورة الإغريق في فتح طروادة بالحصان الخشبي - والإنكليز والأرمن هم الإغريق الآن والحصان هو الكرد، والمهمة هي إنتزاع الأناضول الشرقية من قبضة

٦- سنستخدم من الآن فصاعداً لقب أأتورك بديلاً لمصطفى كمال باشا وهو اللقب الذي إختاره هذا الزعيم وسجله لنفسه وفقاً لقانون أصدره المجلس الوطني الكبير يقضي بوجوب قيام كل رب أسرة تركي بإختيار إسم عائلة له، وقبلها كان التسجيل في سجلات النفوس يتم بتدوين الإسم الأول ثم إسم الأب. وباشر هو بنفسه فأسقط إسم أبيه (علي رضا) وأتخذ بدله (أأتورك). وفعل الرجل الثاني عصمت عين ما فعل صاحبه. بأن إتخذ له لقب (إينونو) نسبة إلى موقعة (إينونو) (اين أونو) التي خاضها مع اليونانيين بقيادته وبها تم القضاء التام على عملية الغزو.



مصطفى كمال (أتاتورك)

الأترك. والأمر سواءً أبدافع من خلوص نيّة وعقيدة أم هو مجرد مناورة خادعة مؤقتة، كان أتاتورك يضرب دوماً على وحدة الترك والكرد ويدين المؤامرات الأجنبية التي تعمل على الفصل بين الشعبين ويقصد بها مجهودات البريطانيين أساساً. وهذا المنحى كان يتفق أساساً وحركة المقاومة الناشطة في الأناضول عندما وصلها أتاتورك، إذ كان ثمّ جمعيةٌ عرفت بإسم «جمعية الدفاع عن حقوق الأناضول الشرقيّة» تصدر بيانات تحضّ فيها على التضامن والتعاقد وتستهوي عقول الذين ينادون بالوحدة (الكرد وتركيّة) بمثابة بديل عن الهويتين القوميتين المتميزتين بإرتكازها على الوحدة الدينية التي سيكون مركزها الإمبراطورية العثمانية وكان لهذه الدعوة وقع طيب عند أتاتورك عبّر عنها في خطاب ألقاه بتاريخ أيلول ١٩١٩ في المجلس الوطني الكبير: «مادام هناك رجال أمجاد، ذوو عزّة وشرف في البلاد. فإن الكرد والترك سيعيشون معاً دائماً كأخوة. وقيمون سياجاً مشمخراً حول الخلافة وبرجاً حديدياً يصمد أمام الأعداء في الداخل وفي الخارج»^(٧)

الإسلام في تلك المرحلة كان المحور الذي تدور عليه عجلة نضال الكمالين ضدّ الغزاة المسيحيين. وأتاتورك من جانبه كان مدركاً عدد الفئات القومية المختلفة التي يضمها هذا «الوطن» الإسلامي^(٨):

«هناك ترك وكرد وليس هناك فرق بينهم. وكلنا مستعدّ في الحماية والدفاع... بطبيعة الحال إنّ البلاد ليس قوامها عنصر واحد. هناك عنصريات إسلامية مختلفة مترابطة. وكل عنصر إسلامي من مكونات هذه الوحدة هو مواطن. أفرادهم يحترم أحدهم الآخر وكلهم يتمتعون بجميع الحقوق القومية والاجتماعية والجغرافية. نكرّر هذا وقد كررناه مرة بعد مرّة. نحن نقرّ بهذه الأمانة. ومع ما فيه فإن مصالحنا مشتركة والوحدة التي نحاول خلقها ليست تركية ولا چركسية بل هي مزيج لعنصر

٧- من خطاب لأتاتورك. مقتبس من الملف. رقم ٣٩. نيسان ١٩٨٧ «مجموعة الخطب المسجلة والتعليمات. ومحاضر الاجتماعات السرية للمجلس الوطني الكبير. ينظر أيضاً: ثريا أمين بدرخان في قضية كردستان ضد تركيا: The Case of Kurdistan Against Turkey. فيلادلفيا ١٩٢٩. ص ٤٦.

٨- كلمة Watan التركية، بالضبط معنى الكلمة العربية التي اشتقت منها.

إسلامي واحد»^(٩).

وفكرة الكرد بوصفهم كرداً وإعتبارهم جزءاً أساسياً من مكونات تركيا، ظلت تحتلّ جانباً كبيراً من تفكيره الذي عرف به في هذه المرحلة من حركته. وقد وجدناه في العام ١٩٢١ يكتب لأحد الزعماء الكرد:

«ولاء الشعب الكردي كان معلوماً لدينا منذ وقت طويل. إن الكرد كانوا وسيبقون دائماً ظهيراً ثميناً للترك. بل يمكن القول ان الشعبين يؤلفان واحداً»^(١٠).

على أن أتاتورك كان غامضاً حول مستقبل العلاقة بين الشعبين. ويرى أن ذلك لا يمكن أن يتقرر إلا بعد أن يتم القضاء على العدوان الخارجي فهو يخاطب المجلس الوطني:

«عليكم أن لاتتصوروا وجود نوع واحد من القومية ضمن حدودنا. هناك ترك وچركس ومختلف العنصرية المسلمة. تلك هي الحدود الوطنية للشعوب المتأخية التي إتحدت مصالحها وأهدافها إتحاداً كاملاً. والعامل الذي يقرر هذه الحدود هو مبدؤنا العظيم الوحيد الذي يؤمنُ به كلّ عنصرٍ إسلاميٍّ يعيش ضمن حدود هذا الوطن، إعتراف بكل أمانة وإخلاص

٩- تصريح له في الأول من أيار [المرجع السالف].

١٠- Bulletin Periodique 12 April - 25 May 1921. - 6 March - Hakimiyeti Milliye حاكميتي مللييه. ٦ آذار في النشرة الدورية للفترة بين ١٢ نيسان و٢٥ أيار ١٩٢١. [يذكر مكداول، ص ٢١١، المرجع السالف. وهو المرجع الذي إعتمدناه. أنه نقل ذلك عن كتاب حميد بوز أرسلان الموسوم: القضية القومية الكردية في تركيا الكمالية: Le Problem national Kurd en Turkaie Kamaliste. [غير مطبوع].

ونقل لنا آدموندز [المرجع السالف الص ٢٢٣-٢٢٤]. فقرة من رسالة بعث بها القائد التركي لجهة الجزيرة الى أعيان ورؤساء عشائر كردستان الجنوبية وشخصياتها البارزة: «إن ولاية الموصل ماهي إلا جزءٌ من تركيا، لايتجزء... ولن تضمّ الى العراق مطلقاً. يجب على كل إخواننا في الدين أن يعملوا على تحقيق الوحدة التي تنشدها الدولة العثمانية... ليتنفس المسلمون الصادقون هواء الحرية ثانية. وإن نقص العتاد عندكم وغيره من الضروريات الأخرى يلاقي منّا الإهتمام وسوف تسدّ حاجتهم منه عما قريب. الا فليناصر الله المجاهدين في سبيل الدين الحنيف. وأولئك الذين يفدون بدمائهم رخيصة لإعلاء كلمة الحقّ ولعنة الله على المشركين الذين باعوا دينهم للإنجليز وعلى فيصل وأتباعه أمين».

بالقبول المتبادل بالقومية والتقاليد والبيئة لكل قومية. بطبيعة الحال لا توجد تفاصيل ولاشروح تتعلق بتلك التقاليد إذ أن الوقت لم يأزف للإجابة حول التفاصيل والشروح. لكن إن شاء الله ستتم معالجة ذلك ووضع الحلول بين الأخوة بعد إنقاذ كياننا^(١١)».

مهما يكن من أمر ويتوالي أمثال هذه التصريحات كان الوضع في كردستان يهدد بالإنفجار. في التاسع من تشرين الأول ١٩٢١. نهض نائب ديرسيم في جلسة سرية عقدها المجلس الوطني ليشرح للنواب كيف أن «العصبة الإجتماعية الكردية» وهي جناح من الحركة القومية الكردية، انفصالي النزعة. قد أتخذت بقيادة البدرخانين وبالإتفاق مع عليشان بگ - مقرات لها في ديرسيم وغيرها لنشر دعوة الإنفصال مستغلة التذمر العام من الضرائب الفادحة المرهقة التي فرضت على الأهالي. وعلى أثر ذلك تلت مناقشة حامية. طلب خلالها عدد من النواب الترك اللجوء الى الشدة وإتخاذ إجراءات صارمة.

في حينه كان معظم كردستان وليس ديرسيم وحدها غارقاً في لجة من الفوضى. ولا وجه عملي أو مجد لإستعمال الشدة واللجوء الى إجراءات حاسمة. وتغلب رأي المعتدلين من النواب الكرد على التفاوض وأتخذ قرار بإرسال لجنة مصالحة والقيام بدراسة موضوع الإدارة في كردستان. إلا أن تخوفاً عظيماً كان يشيع في نفوس أعضاء اللجنة من إمتداد المطالب الكردية بالحكم الذاتي الى ماوراء الحدود التي رسمها الحلفاء لها في معاهدة سيقر فضلاً عن القضية الشائكة: الأصرار على إنسحاب موظفي الدولة الأتراك إنسحاباً كاملاً من المنطقة التي سيشملها الحكم الذاتي. ولم يكن لانقره نية في تحقيق هذين المطالبين بالشكل الذي رسمه القوميون الكرد. لذلك لم يتم تأليف لجنة إلا بعد مرور فترة طويلة. وفي خلال ذلك تواصلت المناقشات حول الوضع العام. وفي العاشر من شهر شباط أعلن المجلس بأنه يتعهد بإقامة إدارة ذاتية للشعب الكردي بما يتفق وهويته القومية وحدد ذلك بشروط أفرغت مصطلح الحكم الذاتي من معناه ومن هذه الشروط إنتخاب مجلس وطني كردي بالإقتراع العام في المنطقة التي سيقوم بتحديدتها على أن تكون اللغة التركبية هي لغة المجلس الرسمية.

١١- من خطاب لأتاتورك أمام المجلس: بتاريخ ٢٤ نيسان ١٩٢٠. المرجع السالف.

وإحتفظ المجلس الوطني الكبير بحق المصادقة أو رفض تعيين الحاكم (حُكمدار) المنتخب شعبياً. كما إحتفظ المجلس لنفسه بحق قيادة قوات الأمن الداخلي (الجندرية). وكان من جملة المقترحات أيضاً مانصت عليه المادة السادسة عشرة منها. أن الواجب الأول للمجلس الوطني الكردي سيكون إستحداث جامعة في كردستان تضم كلية للحقوق وأخرى للطب». كأن الحكم الذاتي المقترح هو لغرض تأسيس جامعة فحسب! (١٢) على أن المادة الخامسة عشرة من المقترحات كانت تسمح للحُكمدار بتشجيع إستخدام اللغة الكردية شريطة أن لا تكون أساساً لإعتراف بها كلغة رسمية للإدارة الذاتية في المستقبل حين حُتم على المجلس الوطني الكردي المتنوى إستخدام التركيبة قصراً ولم يكن يرى المجلس الوطني الكبير في هذا إلا إضطهاداً قومياً بحد ذاته. تلك هي الرسالة التي أراد أعلى سلطة في حكومة أنقره توجيهها للوطنيين الكرد. ووجد المندوبون الذين أرسلوا لتقصي الحقائق في ديرسيم وضواحيها ومناطق مختلفة من كردستان ولم يكن بينهم كردي واحد، أن ماتوصل اليه المجلس في هذا الشأن غير مقبول قطّ فعارضوه كما عارضه النواب الكرد بشدة. وإتفقت المعارضتان على قبر اللاتحة. وفي المجلس إتهم نائب أرضروم «خواجه صالح أفندي» نisابة عن زملائه الكرد الحكومة بالطغيان والتنكر للقضية الكردية. ووصف الضرائب الجديدة بأنها إنما فرضت لأغراض عسكرية لاسيما وضع اليد قسراً على الماشية وحيوانات الحمل والركوب. وشجب الوسائل الوضيعة التي تستخدم بخصوص إصدار الوصولات عند وضع اليد عليها وكيف أن ذلك قد خلق نقمة عامة. ثم لفت النظر الى موقف حكومة أنقره من الخلافة (١٣).

ومع أن لائحة الاتونومي أبرمت قانوناً. إلا أن هذا القانون لم يرَ نور النهار قط.

وبقيت أقاليم الأناضول الشرقية تسودها الفوضى والبلبله خلال فصلي ربيع وصيف العام ١٩٢٢ وفي الوقت الذي كان الكماليون يقاثلون الغزاة اليونانيين بقطعاتٍ ووحداتٍ معظم أفرادها كردي، وكردستان مصدر تموينها الوحيد تقريباً لم تقم زعامة كردية يمكن الركون اليها لترص صفوف الجماهير خلفها ولتقف بوجه إجراءات أنقره.

١٢- رسالة من رامبولد الى اللورد كرزون وزير الخارجية. (أستنبول) Fo. 371 - 7858 مؤرخة في ٢٩ آذار ١٩٢٢.

١٣- كان هذا قبل ثمانية أشهر من الغاء «السلطنة» وقبل سنتين بالضبط من الغاء «الخلافة». الأمر الذي يسبقه عزم وتصميم ولم يكن بمستغرب أن يحدث ذلك قلقاً في دوائر الكرد السنية.

وقد كتب العقيد راولنسن بعد أشهر إحتجاز طويلة في أرضروم:
«الکرد بأغلبية ساحقة في الأجزاء الشرقية من الأناضول. وبالمراكز
التركية وهي في نهاية الضعف تحت رحمة الكرد المحليين، كانت هدفاً
سهلاً لو إجتمعت كلمة الكرد وهاجموا المواقع التركية بعمل عسكري
موحد وفي آن واحد تقريباً ولنقل في غضون شهر واحد. إن الزعماء
الکرد الكبار مستأون للغاية»^(١٤)

مستأون، إلا أنهم عاجزون عن عمل منسق ضروري لطرد الترك.
وإنتظرت أنقره لتنفض يدها من اليونانيين قبل التصدي لکردستان.
في أواخر العام ١٩٢٢ بدأت الحركة الكمالية بإكمال العمل الذي شرع فيه الجون
ترك بفحصهم أسس الإمبراطورية العثمانية في بداية القرن العشرين. من هنا جاء
إهتمام الكمالين بإنشاء حكومة مركزية قوية محكمة القبضة على كل زاوية من تركيا
والتشديد على نوع من «التركية» التي يتحتم أن تكون عقيدة كل مواطني البلاد
بصرف النظر عن الهوية والخصوصيات القومية. سيما بعد أن تبلورت فكرة الغاء
منصب السلطان ثم الخليفة والتصميم على إعلان الجمهورية وقيام الدولة العلمانية
الصرفة التي تقطع كل صلة لها بالدين. والکرد حتى الوطنيون العاملون منهم في
سبيل إقامة الكيان الكردي فقد ظلوا، شاؤا أم أبوا يقرون دعواتهم بالحوافز الدينية
العميقة الجذور في أسس المجتمع الكردي شبه البدائي.

وبرز نشاط فلاسفة «التركية» في تلك المرحلة بل قل من مراحلها الأولى بفضل
معلمها (ضياء گوکالپ) الذي بسط نظريته في كتاب «مبادئ التركية» الصادر في
العام ١٩٢٠ وفيه رسم الخط الواجب الإلتباع لصب القوميات غير التركية في بوتقة
الهوية التركية:

«لما لم يكن للتكوين القومي أي علاقة بالخصائص الإجتماعية
ولابالتابعة (المواطنة) التي هي حاصل جمع المظاهر الإجتماعية. فإن
التضامن الإجتماعي يقوم أصلاً على الوحدة الثقافية التي هي ثمرة
التعليم. ولذلك فهي لا تمت بأية صلة الى الإنتماء العرقي... والوطن ليس

١٤- راولنسن Rawlinson. مذكرة مؤرخة في ٤ آذار ١٩٢٠. Fo. 371 - 7858.

مجموعة عنصرية أو قومية أو جغرافية أو سياسية أو إختيارية. بل هو وحدة مكونة من أفراد يشاركون في لغة واحدة ودين واحد، وطبائع وميول واحدة، أعني تلك التي نالت عين الثقافة^(١٥).

ما جاء العام ١٩٢٣ حتى تبوّأت نظرية (غوكالپ) حول الهوية التركية مركز الصدارة في المفاهيم السياسية العامة. لاسيما تلك التي تفترض بأن الوطن (الشعب) هو المعبر الحقيقي والمظهر لثقافة ذات خصوصيات معينة أي كلّ أولئك الذين يعيشون ضمن حدود الجمهورية الجديدة.

وكان ثم إنقلاب في الرؤية مفاجيء تماماً.

حتى كانون الثاني ١٩٢٣ عندما كانت المفاوضات جارية في لوزان لمعاهدة صلح جديدة. لم يبد من زعماء الأتراك وساستهم أي حرج في الإشارة الى الكرد بوصفهم قومية متميزة في تركيا. إلا أن مفاوضاتهم الجنرال عصمت إينونو راح يضرب على نغمة جديدة حين ردّ على المفوض البريطاني اللورد كرزن قائلاً: الكرد من أصل طوراني ودائرة المعارف (الانسكلوبيديا) البريطانية هكذا تقول. وبخصوص العادات والتقاليد

١٥ - Ziya Gokalp: مبادئ التركية [صدر في أنقره ١٩٢٠] ترجمة روبرت ديفريو Robert Devereux
الص ١٢ - ١٥.

كتب غوكالپ هذا قبل أن يتم دمج كردستان بالجمهورية التركية الجديدة ولم يعيش لترى عينه كيف ثار الكرد ضد السياسة الكمالية. كان ينظر الى الكرد نظرتة الى حركة ثقافية عنصرية متميزة بقوله « عند العرب والكرد أيضاً نشأت القومية كحركة ثقافية والشكلان السياسي والإقتصادي من القومية جاء بعد ذلك كمرحلتين ثانية وثالثة». ولم يعتبر نفسه كردياً لأن ثقافته تركية: « لاأتردد في القول اني تركي حتى لو إكتشفت بأن جدّي من أصل كردي أو عربي لأدراكي من دراساتي الإجتماعية بأن أساس القومية الوحيد هو التربية والنشأة. »

وقد بذلت مجهودات جدية لطمس معالم الهوية الكردية من خلال منظمة (الأوجاق). كان أول نشأة هذه المنظمة في ١٩١٢ وغرضها التغلب على الأفكار الإسلامية والعثمانية بإحلال القومية التركية. وقد طور (ضياء غوكالپ) هذا الهدف في ديار بكر. وكانت موضع شك من الإتحاديين. وخافها الباب العالي لأن دعوتها للقومية على أساس العرق قد تدفع العناصر غير التركية للثورة. وشجبهها رجال الدين بطبيعة الحال. لم تقم لهذا التنظيم قائمة إلا بعد إنتصار الكماليين. وفي العام ١٩٢٤ تم إحيائها فعلاً لنشر فكرة القومية التركية في الولايات وأرسلت كوادراً خاصة الى كردستان لإقناع الأهالي بأن يكونوا أتراكاً صالحين. وكان هذا نهاية ماوصلت اليه رسالة ضياء غوكالپ. (المرجع ذاته).

والتعامل ليس هناك فرقٌ بأي وجه من الوجوه بين الكرد والترك^(١٦). وأضاف مؤكداً وجهة نظره هذه «إن حكومة المجلس الوطني الكبير التركي هي حكومة الكرد مثلما هي حكومة الترك تماماً فالممثلون الحقيقيون والقانونيون الكرد يجلسون في المجلس ويساهمون في حكم البلاد وإدارتها بعين الشكل الذي يمارسه الممثلون الترك»^(١٧).

إلا أنه كان ثمّ تردد في الداخل - بعيداً عن أروقة لوزان. حيث مصير ولاية الموصل (جنوب كردستان) مازال ملقى على طاولة التشريح الدولية. وحكومة أنقره تستنهض الهمم في كردّها لا بوصفهم أتراكاً بل كرداً. لاسيما أتاتورك بالذات الذي إمتاز على من يحيط به ببعد نظر وتحسّب دقيق وشعور مرهف بالعواقب. كان هناك مجال لإستمالة الكرد وإرضاء وعيهم القومي ببعض الوعود والتدابير مادامت غير مفروضة من القوى الخارجية ومادامت حكومة أنقره صاحبة الكلمة وبقي أتاتورك يفكر في إطار إقامة شخصيّة حكميّة خاصّة للمناطق الكرديّة لكن ليس بالقدر الذي يؤول الى حكم ذاتي واضح. وقد عبّر عن أفكاره بجلاء في أثناء زيارة له لـ (أزميت) في ١٥ من كانون الثاني ١٩٢٣ رداً على سؤال وجهه له الصحفي (أمين). ونشر في الجرائد مثيراً تعليقات صحفية في الجرائد الصادرة هناك يومي ١٦ و ١٧ من الشهر عينه:

«هؤلاء الذين هم ضمن حدودنا الوطنية. يمثلون فحسب أكثرية كردية في أماكن محدودة. بتمادي الزمن ويفقدانهم كثافتهم السكانية إستقروا مع عناصر تركيّة بشكل لو أننا حاولنا رسم حدود للجانب الكردي، لوجب علينا أن ننتهي «بالتركيّة» وبتركيا. مثلاً في مقاطعات أرضروم وأرزنجان وسيواس وخربوط، ولاتنس القبائل الكردية في بوادي قونيه. فبدلاً من ترك [الكردية] في حالة عزلة. سيقام لهم حكم ذاتي بحسب منطوق دستورنا وأي مقاطعة تقطنها أغلبيّة كردية، ستحكم نفسها حكماً ذاتياً (أتونومياً) ولكن خلافاً لذلك علينا أن نصف شعب تركيا معاً. وإن لم نصفهم بهذا الشكل فسننتوقع مشاكل. وخصوصاً عندهم... لا يصح لنا محاولة رسم حدود أخرى [بين الترك والكرد] يجب أن نضع

١٦- بريطانيا العظمى: وقائع مؤتمر لوزان ص ٣٤٢. [راجع ذلك في القسم الثاني من تقرير لجنة التحقيق التابعة لعصبة الأمم في الباب الثاني من هذا الكتاب]

١٧- المرجع ذاته الصحيفة ٣٤٥.

برنامجاً جديداً» (١٨).

من هذا يتبين أن أتاتورك ظلّ حتى أواخر العام ١٩٢٣ يميل الى تمييز القومية الكردية عن القومية التركية. ولا يمانع في إعطاء الكرد حكماً ذاتياً. فما هو هذا الذي أحدث إنقلاباً في فكره بعد فترة وجيزة؟

لأنستطيع أن نغفل بعض أسباب لهذا الإنقلاب.

كانت هناك ثورة إجتماعية هزت كيان المجتمع التركي من جذوره، فرضته الحركة الكمالية بوسائل بلغت أحياناً حدّ العنف. إلغاء الخلافة، الإعلان عن علمانية الدولة إعلان الحرب على التكايا والخانقاهات الصوفية. الأخذ بالأساليب الغربية ابتداءً من تغيير حروف الكتابة الى فرض الزي الأوروبي. مامن شكّ في أن الولاء الديني والتقاليد والعادات الكردية الموروثة كانت عقبات لايسهل تخطيها. هناك أيضاً التذمر الكردي العام المؤذن بالإنفجار وقد نوهنا به وقد بدت بواكيره والكماليون يخوضون حرب موتٍ وحياة. أخيراً كانت هناك مفاوضات لوزان التي إنتهت بمشكلة عائدية ولاية الموصل ورسم خطّ حدود جديدة لجنوب تركيا الشرقي.

تبين للأتراك رغبةً بريطانيةً لمنح الكرد في جنوب كردستان درجة من الحكم الذاتي. ورأوا فيه عامل تهديدٍ لوحدة الأراضي التركية. لأن ذلك سيوقظ ميول الإنفصال في الشمال عبر الحدود. وشاع قلقٌ حقيقي عندما حاول اللورد كرز في مؤتمر لوزان إقناع تركيا عبر عصمت إينونو بالإعتراف بالكرد أقلية قومية. في حين أن الكماليين لم يدخلوا معركة (سيقر) ليتنازلوا فيما بعد عن سلطتهم بمنح الكرد شخصية حكومية متميزة تليها معاهدة دولية أخرى.

فشل الترك في إحتواء الأحداث في جنوب كردستان وتمّ طرد وكلائهم. وطوّع البريطانيون أنصارهم هناك. وإن لم يكن بالوسع إحتواء الأحداث عبر الحدود. فقد يكون من الممكن إحتواؤها عندهم. بل كان من الضروري لبناء تركيا الكمالية العمل على إطفاء مشعل القومية الكردية في الداخل.

وهبت الريح الجليدية من أنقره لتشيع الرعدة في البدن.

في صيف العام ١٩٢٣ جرت إنتخابات العضوية في المجلس الوطني الكبير. وأنكر

١٨ - Turk Tarib Turumu - Ataturk ve Turk Devrimi Arastirma merkezi No 1089.

Ikibine Dogru, 6 November 1988. نقلاً عن ص ١٥، المجلد الثاني. رقم ٤٦.

على المندوبين القدماء العودة الى مناطقهم الإنتخابية. إمّا المرشحون الجدد الذين خاضوا المعركة الإنتخابية في المناطق الكردية وفازوا، فكانوا بنظر عامة الكرد مرشحي الحكومة. فهي التي سمّتهم وهيأت لهم سبيل النجاح وأبعد الكرد المعارضون عن المحفل الديمقراطي للجمهورية الجديدة.

وتوالت الدلائل على الخط السياسي الجديد. ومن ذلك ملئت المناصب الإدارية الكبرى كافةً بموظفين أترك فضلاً عن أكثر من نصف المناصب من الدرجة الثانية. وأزيل كلّ إشارة الى كردستان من المخاطبات والمواد الرسمية. وزحفت تسميات تركية للأماكن والمحال بدلاً من الأسماء الكردية، وحلت محلّها. إلا أن الشكوى العظمى كانت في الوسط العسكري. فقد أخذ ضباط الصف والجنود الأكراد يشعرون بمضاضة بسوء المعاملة. وإناطة أحقر الواجبات بهم وأبغضها الى نفوسهم.

في آذار ١٩٢٤ صدر مرسوم يقضي بالإقتصار على اللغة التركية في المحاكم ومجالس القضاء وحظر استخدام اللغة الكردية في التعامل الرسمي. وبضمن ذلك استخدامها للتعليم في المدارس^(١٩). وعمدت السلطة الى وضع اليد على كلّ الأراضي التي هُجّر منها الكرد والأرمن أو نزحوا منها أثناء الحرب ثم توزيعها على الجنود الأتراك المسرحين من الخدمة مما كان له أسوء الوقوع.

وفي الرابع من شهر آذار ١٩٢٤ الغي منصب الخلافة - ووقع النبأ كالصاعقة. ونظراً لما كان يتوقع حكام أنقره من ردود فعل عنيفة له فقد رافق الإلغاء إنشاء محاكم خاصة عرفت بـ(محاكم الإستقلال). نصّ قانون تشكيلها أن تكون على درجة واحدة وأحكامها قابلة التنفيذ الفوري ومنحت سلطة كاملة على الحياة والموت وتوسّع في مفهوم الخيانة العظمى فيها لتشمل مما تشمل الاعتراض على إلغاء الخلافة أو البحث في مشروعيتها وأيّ تحبيذ أو ترويج للحياة الدينية. وتلا ذلك غلق كلّ المدارس الدينية

١٩- قرار تحريم اللغة الكردية كان له أثر عميق على سير التعليم في كردستان. ماجاء العام ١٩٢٥ حتى بقي في كردستان ٢١٥ مدرسة من أصل ٤٨٧٥. تتيح مجال دراسة لـ ٨ من أصل المجموع الكلي لطلاب العلم في تركيا البالغ ٣٨٢٠٠٠ أي ما نسبة ٠.١-٢٪ كان ذلك خلافاً لقانون الحكم الذاتي الذي سنه المجلس الوطني الكبير قبل سنتين (أنظر ما قبله) وخرقاً للمادة التاسعة والثلاثين لمعاهدة لوزان قبلها بسنة واحدة. وفيها تعهدت تركيا باحترام حقوق الأقليات لاسيما فيما يتعلق باللغة.



السلطان عبدالحميد الثاني

ومعاهدها وكان آخر سبيل ومصدر
للقافة في قلب المجتمع الكردي.
وصنّف في عداد الخونة أولئك الشيوخ
والآغوات المتدينون الذين رأوا واجبهم
الدفاع عن الخلافة - عين أولئك الذين
دافعوا عن الكيان التركي في الأيام
العصيبة لسنوات ١٩١٩-١٩٢٢.
فصدوا الهجوم الأرمني من الشرق
والجنوب الغربي. وسفكوا دماء عزيزة
في الدفاع عن حكومة أنقره بوجه
الغزاة اليونان.

والى هؤلاء توجه القوميون الكرد
لتنظيم المقاومة.

الفصل السادس عشر

ديرسيم، مركز الحركة القومية. تنظيم (آزادي) والشيخ سعيد بيران. إنتفاضة "بيت الشباب" العسكرية المجهضة. ضعف الحركة أسبابه ونتائجه. إجتماع شعبي في دياربكر والقرارات المتخذة. إعتقالات الزعماء الكرد. إندلاع ثورة الشيخ سعيد. وقائع الثورة. حصار دياربكر. التقدم في عدة جبهات. إستنفاد قوى الثورة وإنهيارها والعقاب. ضرب الحصار التام على الإجراءات القمعية. محاكم الإستقلال وإعلان الأحكام العرفية. محاولة ربط الثورة بالنزاع على ولاية الموصل. آثار عمليات القمع.

إنتقال حركة القوميين الكرد من أستنبول الى ديرسيم كان قد بدأ في الواقع منذ العام ١٩٢١، إلا أن تبلور حركة المقاومة وإتساع شبكاتها إقترن بتأليف تنظيم (آزادي) أو جمعية إستقلال كردستان. كانت ديرسيم أول مركز حقيقي للجمعية وهذه دلالة صريحة على تسرب الشعور القومي الى جنوب كردستان وما رافقه من وعي جماهيري. فالى ذلك الزمن كان الوعي القومي الجاد قاصراً على طبقة الأعيان المثقفة في أستنبول والمدن الكردستانية الكبرى في تركيا فضلاً عن ملء راحة اليد من الأغوات. هذه الحركة الجديدة التي ظهرت للوجود في العام ١٩٢٣ وربما كانت بذرتها الأولى في أرضروم. إنتشرت وبسرعة خارقة بالخطب والدروس والمواعظ من تكايا الشيوخ الصوفية ومجالس أغوات الحميدية السابقين ثم بلغت الضباط وضباط الصف الأكراد في أفواج الجيش التركي ذات القوام الكرديّ الصرف للمرة الأولى. وزعامة (آزادي) دليل على مدى ما بلغه هذا التنظيم في إتساع الرقعة. كان هناك [يوسف ضياء بگ] عميد أسرة من الأمراء عريقة في بتليس وأحد النواب الذين خسروا مقاعدتهم في المجلس الوطني الكبير بسبب إحتجازهم.

وهناك (خليل بگ جبرانلي) وهو على الأغلب أحد الأعضاء المؤسسين^(١) كان في حينه قائداً لفوجين من الآليات الحميدية وهو بحكم المصاهرة من أقرباء الشيخ (سعيد پيران) الشيخ الصوفي النقشبندي الذي كانت تكيته مقصد ومحجة المؤمنین ومجلس مناقشات قومية وسياسية لأعضاء آزادي. وكان ثم زميله العقيد نورس (وهو الآخر لانعرف عنه شيئاً) واليوزباشي (النقيب) إحسان نوري، و(رضا) شقيق يوسف ضياء وكلاهما ضابط في مرتبات الجيش السابع المرابط في دياربكر. ويغلب على الظن أن إنتماهما للتنظيم كان بجهود وتحبيذ (أكرم بگ جميل زاده) رئيس فرع التنظيم في دياربكر.

عقد في ١٩٢٤ إجتماع لزعماء التنظيم وتقرر القيام بثورة^(٢) وتعين الهدف وهو إقامة دولة كردستان المستقلة. وعين شهر أيار موعداً لها.

متى جرى الإجتماع؟ أين جرى؟ من كان حاضراً؟ المصادر التي إستشرناها لاتعيننا على التحقق بشكل مؤكد. لكن علم انه في أيار من تلك السنة. كانت هناك فئات في أرضروم ووان ذات علاقة بالتنظيم تتلقى مساعدات من البولشفيك.

١- يقلده «احسان نوري» الرئاسة. «وعلى أثر ذلك قام خالد بگ الجبرانلي قائد الفرق الحميدية العشائرية في مدينة أرضروم بتشكيل جمعية إستقلال كردستان بمساعدة من الضباط الأكراد» المذكرات. المرجع السابق.

٢- Arnold J. Toynbee: The Islamic World Since The Peace Settlement. Vol I: Servey of the International Affairs مطبعة أكسفورد ١٩٢٥. ص ٥٠٧. [العالم الإسلامي منذ تسويات السلام. المجلد الأول: إستعراض الشؤون الدولية]

[يعتبر أرنولد جوزف توينبي ١٨٨٩-١٩٧٥. واحداً من أبرز المؤرخين في القرن العشرين. سهلت له وظيفته في وزارة الخارجية الإطلاع على جميع المراسلات الخاصة بتلك الفترة بين عضو لجنة الحلفاء البريطاني في أستنبول وبين وزارة الخارجية. ولذلك كان جل إعتماذنا عليه فضلاً عن مصادر كردية أشرنا اليها ومتابعة من خلال الوثائق البريطانية ونذكر بالمناسبة أن مادعي «مذكرات احسان نوري» وهي في الواقع إستعراض لثورة آگريداغ التي كان قائدها العسكري في ١٩٢٧ لاتنوه بحركة بيت الشباب هذه إلا بفقرة صغيرة إستطراذية في المقدمة وهذه هي كما وردت في الطبعة العربية والفرنسية «في العام ١٩٢٤ قام إحسان نوري الجبرانلي (المؤلف) وبمساعدة أربعة من الضباط الأكراد وهم راسم. وتوفيق. وخورشيد وعلي رضا بتحشيد القوات في منطقة بيت شباب من أجل تحرير كردستان لكنهم لم يوفقوا في مسعاهم حيث إنهار علي رضا وتشتتت قواته وعلى أثر ذلك ثم إلقاء القبض على خالد بيبگ وأقتيد الى بدليس».

كما سيتبين فيما بعد كانت صعوبة المواصلات والتنسيق وأساليب العمل السري. والقيادة أكثر مما يمكن أن تتحمّله قابليات تنظيم «آزادي». وتلك عقبات يبدو أنها ظلّت تلازم كلّ ثورة أو إنتفاضة كردية سابقة لهذه أو لاحقة.

في شهر آب ١٩٢٤ نقلت أفواج من اللواء الثامن عشر المنسوب للجيش السابع الى (بيت الشباب) في حكاري، بعلة التصدي للآشوريين في منطقة الحدود. وساد الإعتقاد أيضاً أن هذه الحركة كانت مقدمة لحشد قوات أخرى بنيّة غزو ولاية الموصل. في هذه القوّة كان عضواً تنظيم آزادي اليوزباشي (النقيب) علي إحسان واليوزباشي علي رضا ضياء بگ، آمري سريّة. الى جانب عدد كبير من الضباط وضباط الصف الكرد.

في نهاية شهر آب تلقى علي رضا رسالة جفريّة من شقيقه يوسف ضياء في أستنبول، تشير الى خيبة عامة سادت الأوساط الكردية القومية إثر إلغاء الخلافة وتكر الكماليين للعود المقطوعة وربما كان فيها مايشير الى إستعداد (آزادي) للقيام بعمل ما لإعلان ثورة كما تقرّر أن تقف الى جانب معارضي الكماليين.

في ليلة ٤/٣ من أيلول خطط علي رضا وإحسان نوري عصياناً في بيت الشباب. إلاّ أنهما لم ينجحا في إثارة القبائل المجاورة. وفشل العصيان وهرب حوالي خمسمائة من الضباط وضباط الصف والجنود الى العراق.

كشفت هذه المحاولة الأولى لآزادي عن ضعف التنظيم وإفتقاره الى السريّة فقد أُبلّغ أمر اللواء بالعصيان قبل قيامه وبدأ يعتقل المشتبه بهم قبل قيام الثائرين بأيّ عمل. وفي الواقع كانت السلطة على إطلاع تامّ بمدى السخط الذي عمّ كردستان والأيام العصيبة التي يجتازها الفرد العاديّ جراء الحروب الداخلية في الشرق والغرب والأعباء الثقيلة الذي ينوء بها إقتصاد المجتمع الكردي وقد كاد كلها يقع على عاتق الأناضول الشرقية بأغليبيتها الكردية.

وكانت هناك قضية مصير جنوب كردستان، ولم تمض بعد غير أسابيع قليلة على قرار عصبة الأمم بإحالة الموضوع الى لجنة دولية وما أشاعت من توجس وقلق وما قد يسفر عنها من متاعب جديدة قد تؤول الى حرب.

في الأول من آب وقبل محاولة (بيت الشباب) المجهضة. نظم زعماء الكرد في دياربكر اجتماعاً سياسياً كان الهدف منه إيجاد الحلول لمعالجة مصادر نقمة وإستياء

الجمهور كان ذلك بعلم من السلطة التركيبيّة وبمشاركة منها. وخرج الإجتماع ببعض شروط وتدابير وعد بها الأتراك ومنها النظر في إقامة إدارة خاصّة حيث الكرد فيها أغلبيّة والقيام بتمويل بعض المشاريع الإقتصادية لإنعاش المنطقة وإيقاف التجنيد لمدة خمس سنوات وإعادة المحاكم الشرعية ونقل القادة العسكريين والموظفين الأتراك الذين سخطت عليهم العامة وإصدار العفو عن المعتقلين. على أن يقوم الكرد بمساندة إدعاء الأتراك بولاية الموصل. ولم يغيب عن بال حكومة أنقره عمق السخط الكردي ولم تكن تجهل وجود «اللجان». إذ كانت قد عرضت في السابق إعارتها ضباطاً أتراكاً «لتدريبهم»، فهي والحالة هذه كانت على إدراك تام بخطر إندلاع ثورة.

لم يقتض من حكومة أنقره طويل زمن للتعرف على عدد من زعماء آزادي. وفي شهر تشرين الثاني شرعت بعملية إعتقالات كبيرة. تناولت يوسف ضياء بك مع إثنين من قادة الآلايات الحميدية السابقين. وخالد بك جيرانلو. وحجّي موسى بك موتكي البدليسي على أثر إجتماع غير مثمر آخر بين ممثلي الحكومة والقوميين الكرد في ديار بكر. وبعد مرور ثلاثة أسابيع أعتيل والي ديار بكر.

كان إعتقال المشتبه بهم إنتكاسة كبيرة. ويبدو أن الإعتقالات شملت معظم ضباط الجيش الكرد الأعضاء في آزادي أو المنتصرين لها. وتخلّى عنها كثير ممن لم يطالهم الإعتقال إلاّ البقية منهم فقد ظلت تأمل بإنفاضة عامّة في ربيع ١٩٢٥. غير أن آزادي خسرت الآن ذوي العقيدة من الأعضاء أولئك القوميين ومنهم من زادهم إيمانهم الديني جرأة وإقداماً.

كان هناك كثير من الشيوخ الروحانيين وأتباعهم يرغبون في المخاطرة حتى بالشهادة في سبيل إعادة الخلافة. وأبرزهم بلاجدال الشيخ سعيد (پالو) پيران.

من هو الشيخ سعيد هذا؟ ماشكله؟ كم يبلغ من العمر وقت إشعال نيران الثورة؟ مادونته الصحف التركية عنه في حينه. وماوصلنا عن الكتاب الذين إهتموا بأمره لايزودنا بفكرة عن شخصيته. حتى تلك الأفلام التي عاصره أربابها. ومنهم من عرفه شخصياً. لم يهتموا بإعطائنا صورة عن هذه الشخصية. واهتموا جرياً على عادة الكتاب بمتابعة الوقائع والأحداث وأدوار صانعيها دون النفوذ الى خلفيات تلك الشخصيات والتحري عن دقائق حياتها. وكل ماعرفناه عن الشيخ سعيد انه كان قريباً

من الكهولة عندما أطلق العنان لثورته وأنه كان خليفة أبيه (الشيخ علي) شيخاً للطريقة النقشبندية في منطقة (پالو) وأنحائها. وإنه كان من أهل الورع والتقوى لانتشوب أخلاقه وسمعته شائبة. وإن صورته الصحافة التركية في حينه إنساناً جافي الطباع فظاً جاهلاً نصف معتوه تثير شخصيته السخرية والإزدراء.

* * * * * * * *

نشبت الثورة التي عرفت في الحوليات الكرديّة بإسم (ثورة الشيخ سعيد پيران) في الوقت الذي بلغ النزاع حول ولاية الموصل حدّه الأقصى من الحراجة. وما من شك في أنّها أضعفت الى حدّ كبير إدعاء الترك بعائدتها. يقول (توينبي): "إنّ نشوب الثورة شمال المنطقة المتنازع عليها وفي مناطق معينة حيث السيادة التركية لم تكن في حينه موضع تهديد أو منازعة مع قوى خارجيّة أمر يدعو الى التساؤل"^(٣).

واحدة من فصول دراميّة خاضها هذا الشعب تعبيراً عن طموحه القومي وقتما كانت الأنظار كلها مصوّبة الى كرد تلك الولاية إذ شبت نيرانها في آذار ١٩٢٥ أثناء ما كانت لجنة العصبة تقوم بتحقيقاتها موضعياً في ولاية الموصل. من جانب آخر زوّدت زعم البريطانيين بحجة غريبة وقوّت الى حدّ كبير من موقفهم الأمر الذي أثار شكاً عند الأتراك بأنهم هم الذين أججوا نارها.

قائد الثورة الشيخ سعيد پيران كان دليلاً (خليفة) نقشبدياً يتمتع بنفوذ كبير في الأنحاء المجاورة. ولايتأتى هذا النفوذ من مقامه الروحي المتوارث وحده بل من مصاهرة له مع زعماء القبائل المجاورة لاسيما من جبليّ (زازا) و(الديرسيمين) و(الجزيرانليين).

أكد عدد من الكتاب السابقين أنه وإن كان المرشد القائد للثورة فهو واحد من كثيرين تبنوا الفكرة عينها ووضعوها موضع تطبيق. قالوا إنها حصيلة خطة تمّ رسمها بدقة بمجهود عدد من القوميين الكرد. وأنيطت إدارتها بالعقيد خليل بك أحد زعماء قبيلة جيرانلي مؤسسي جمعية إستقلال كردستان (آزادي) كما مرّ إلا أن الشيخ سعيد كان الأداة الفعالة لرص الصفوف وإزالة الخلافات بين القوى الكرديّة المشاركة.

ترك الشيخ محلّ سكنه في (خنيس) تحسباً للإعتقال من جهة وليقوم من جهة ثانية

٣- المرجع السالف. ص ٩-٥.

بجولة تأليبٍ وتحريضٍ في تلك الأنحاء التي تسكنها قبائل تتكلم اللهجة الزازائية في بالو ولجّه وجبّكچور وهاني لإطفاء نار العداء وتجنيد مريديه للحركة ولم يكن هذا بعسيرٍ عليه. إلا أنه وجد صعوبة في إستمالة القبائل التي تسكن أنحاء شمالي الزازا وإقناعها بنبذ خصوماتها جانباً وتجميد ثاراتها القبائلية وإعطائها العهد بالمشاركة في الثورة بشكل جازم لاسيما فشله في كسب (الخورماك) العلويين واللؤلان. كان ثم سببان بسيطان لرفضهما الأول هو أن مقام الشيخ النقشبندي لا يحظى عندهم بإحترام. والأمر يصدق أيضاً على مذهبه السني. والسبب الثاني هو أن (الخورماك) لم ينسوا قطّ أو يغفروا للجبرانلي الذين إنتصروا للشيخ ذلك الإضطهاد الذي ذاقوه منهم خلال سنوات الحرب. كان آخر ما يريدون أن تحرز الجبرانلي إنتصاراً لتفرض عليهم إرادتها ثانية.

عقدت النيّة على إعلان الثورة في منتصف شهر آذار، وتقضي الخطة بأن تقوم القبائل بقيادة رؤسائها بالسيطرة على مناطقها فتطرد الموظفين الأتراك أو تعتقلهم ثم تلتحق بواحدة من الجبهات الخمس التي رسمتها الثورة لمواجهة أي قوة تركيّة متصدية.

إلا أن الأمور أخذت سبيلاً آخر. ففي الثامن من شباط حصل إصطدام في پيران بين أتباع الشيخ وبين فصيلة من الدرك التركي حاولت القبض على مطلوبين من الحكومة بتهمٍ مختلفة فنشدوا الحماية من الشيخ. وأضطرّ الثوار الى العمل فوراً.

ربّما كانت هذه عملية تركيّة مدبّرة قُصد منها الكشف عن خطة الثوار. ذلك لأنّ أنقره إدّعت فيما بعد سبق علمها بما بيّته الزعماء الكرد وأنها كانت تتوقع قيام الثورة في نهاية آذار.

في ١٥ شباط ١٩٢٥ نشرت وكالة أنباء الأناضول نبأ مقتضباً حول حادث إصطدام وقع في قرية پيران على مقربة من (گنج) بين فصيلة من الدرك (الجندرمة) وبين فئة من أتباع الشيخ سعيد تبلغ الخمسين، قتل خلالها إثنان من الدرك. وفي ٢٣ منه نشرت الصحف التركية ما يفيد بأن غارة قطاع الطرق هؤلاء فيه مافيه من خطورة. إلا أن الملحق العسكري البريطاني في السفارة البريطانية بأستنبول رأى أن الحكومة التركية تضخّم الحادث لترتقي به الى مرتبة ثورة لغرض سياسي داخلي إمّا لرصّ صفوف المعارضة الى جانبها وإما لأجل ضربها^(٤). وفي ٢٤ صرّح وزير الداخلية بأن

٤- تقرير للميجر هارنك Harec مؤرخ في ٤ آذار ١٩٢٥ 19867 - Fo. 371.

ثمة بوادر على نشوب ثورة عامة سيشرع فيها في نهاية آذار. وهي بقيادة الشيخ سعيد وأن عدد أنصاره قد بلغ السبعة آلاف. بينهم عدد كبير من الهاربين من صفوف الجيش. وألعت صحف معينة بأن الثورة تتلقى عوناً من البريطانيين. إلا أن صحيفة واحدة وهي (وطن) رأت أن أسباب الثورة تعود الى سوء الإدارة.

وأعلنت الصحف في ٢٦ من شباط أن الإقليم كله أصبح بيد الثوار وأن الحركة هي دينية بحتة ترمي الى المناداة بالأمير سليم وهو ابن السلطان عبد الحميد الثاني - سلطاناً^(٥).

أعلنت الثورة قبل أسبوعين من الوقت المقرر لها^(٦) وهو الحادي والعشرون من آذار. وانتشرت الثورة بسرعة. وتقدم الثوار ليهددوا المدن الكبيرة وتمكنوا لفترة معينة من احتلال خربوط. إلا أنهم فشلوا في الاحتفاظ بارغاني وفي احتلال ملاطية ودياربكر وغيرها من المراكز إلا أن (لجّه) و(هاني) وقعتا تحت سيطرة الثوار خلال الأسبوع الأول ثم لحقت بهما (جَبَكچور) بعد قليل ومنيت القوة التركية التي جردت على الثوار هناك بهزيمة وهربت فلول لها والتحق بعض أفرادها بالثوار.

وأصدر الشيخ بياناً يدعو فيه الى حكومة كردستانية وإعادة الخلافة. ثم أعقبه ببيان ثانٍ معلناً فيه الأمير (سليم) أحد أبناء السلطان عبد الحميد الثاني ملكاً على كردستان ربما لكسب عطف ذلك الجانب من الرأي العام التركي الذي مازال يحن الى عهد الخلافة.

الإنذفاع الأكبر للثوار نحو دياربكر لم يحقق نتيجة إذ صدّ زحف زهاء خمسة آلاف من الثوار وأضطروا إلى التراجع بعد أن كانوا قد أحكموا الحصار عليها. (في ليلة ٨/٧ من آذار تسلّلت جماعة من مسلحيهم الى حي (زازه) عن طريق أقنية لتصريف

٥- كريس كوچيرا: الحركة القومية الكردية Chris Kutschera: Le Mouvement National Kurd باريس ١٩٧٩ ص ٧٩.

٦- بلج شيركو (جلادت بدرخان) المرجع السالف. ص ٤٦. يذكر «وصلت قوة تركية لقرية الشيخ سعيد منشأ القتال لمسألة تافهة بين مردي الشيخ وأنصاره وبين تلك القوة فإنفجرت براكين الثورة من كل الجهات (الطبعة العربية: ص ٩٤ أيضاً. من منشورات كاوا بيروت ١٩٨٦. كذلك رامبو Les Kurdes Rambout ص ٢٦ المرجع السالف. سفرستيان (المرجع السالف) الكرد وكردستان Kurds and Kurdistan «... لكن بفضل جاسوسية ناجحة إستبق الأتراك الأحداث واستدعوا الشيخ للمشول الى مقرهم العام إلا أن الشيخ أدرك المكيدة وشك في الأمر وأمر حرسه الشخصي وهم بضع مئات للقيام بالثورة في ٧ آذار بدلاً من ٢١. [الص ٨٢-٨٣].»

المياه كانت قد حُفرت حديثاً إلا أنها أُجبرت على الإنسحاب^(٧) وناشد الشيخ العون من زعيم قبائل الملي الأعلى [محمود ابن ابراهيم] إعتقاداً منه بأنه من أعضاء (آزادي) - لإحتلال دياربكر فلم يتلقَ منه جواباً. وحصل تقدم في جبهات أخرى وسقطت (ماردين) و(أرغاني) بيد الثوار في الأسبوع الأول. وفي الشمال الشرقي إحتلت قبائل الحسنان والجبران (ملازگرت) و(بولانيك) على التوالي. إلا أنهما إصطدمتا بمقاومة عنيدة في خورماك ولولان. وفي ١١ آذار سقطت (فارتو) بيد الجبرانلي. وانضم كثير من الدرك (الجندرمه) الى الثورة مع عدد كبير من الميردين النقشبنديه. إلا أنهم أخلوها بعد خمسة أيام بضغط من القوات التركيه وأنصارها العلويين في تلك الأنحاء. في الواقع أن (الخورماك واللولان) هم الذين حالوا دون زحف الثوار على أرضروم وأرزنجان كما كان مخططاً.

في عين الوقت وجدت فصائل الثوار الزاحفة عبر السهول نحو (موش) و(بتليس) أن القبائل المحلية لا ترغب في التعاون معها. وفي الغرب حققت تقدماً وتم إحتلال (ألزيك) في ٢٤ من آذار ولكن المحتلين ومعظمهم من الأوشاب أساءوا الى الثورة بتصرفات تأبأها الضمائر ونهبت المدينة وسلب أهاليها، ولم تتدخل القوة الرئيسة لوقف ذلك بل تحركت الى الأمام وتركت المدينة بيد هؤلاء فقام سكانها الكردي بطرد الزوار الشقاة.

في نهاية شهر آب بدت علامات الإحتضار جليّة. تأخرت أنقره في مواجهة الثورة ميدانياً وإن لم تحاول التقليل من أهميتها وحجمها إعلامياً واقتضى لها أسبوعان لتصل أنبائها الشارع بشكل إشاعات متضاربة. ولم تسمح حكومة أنقره لأيّ دبلوماسي ولا صحفي بالوصول الى مواطن الثورة لذا كان من الصعب متابعة مراحلها بدقة وقد إمتدّ هذا الحظر بعد القضاء على الثورة لمدة ثلاث سنين. الأمر الذي حال بين الكتابة حولها وبين تكوين فكرة صحيحة عنها، أو الوصول الى إتفاق عام حول التفاصيل والمراحل التي قطعتها.

وعندما أعلنت الحكومة التركيه الأحكام العرفيّة في كلّ ولايات الأناضول الشرقية

٧- تويني، المرجع السالف، ص ٥٠٩: (سفرستيان المرجع السالف ص ٨٣) يذكر أن الثوار تمكنوا من إحتلال القسم الجنوبي من المدينة. ويشير أيضاً (المرجع بالذات ص ٥٠٩) أنه وقبل أن تتاح الفرصة للنجادات العسكرية لتغيير الموقف آلت المحاولات الفاشلة التي بذلها الشيخ سعيد لإحتلال دياربكر إلى إضعاف الثوار كثيراً وكان مجهوداً كلّف الثوار خسائر فادحة.

أي كردستان. كان هذا إقراراً بأن الإضطرابات المنعزلة القليلة الأهمية التي تناقلت الصحف أنباءها في أواخر شباط - إنما هي ثورة خطيرة واسعة النطاق في الواقع. لم يكن لحكومة أنقرة قوات كافية لمواجهة الثورة موقعياً وعددياً كانت قليلة. ومعنوباً لم يكن جنود الجيشين السابع والثامن المرابطين في ديار بكر وأرضروم أهل اعتماد وأولهما كانت فيه نسبة كبيرة من الضباط الكرد. وثانيهما كان قبل مدة قليلة بقيادة (كاظم قره بكير) خصم أتاتورك بضباط يدينون له بولاء خاص. وفي أواخر شباط تم حشد ثمانين فرق مشاة قوامها ٣٥٠٠٠ عسكري تقريباً. وفي أوائل آذار وافقت السلطات الفرنسية في سورية على وضع السكة الحديد التي تمر عبر أراضيها تحت تصرف الأتراك لنقل قسم من هذه القوات الى مناطق الثورة. وما جاء شهر نيسان حتى بلغ حجم القوات المتحشدة قرابة (٥٢٠٠٠) ضابط وجندي وهو أقل بقليل جداً من نصف تعداد الجيش التركي في زمن السلم.

في الرابع من آذار أعلن (عصمت إينونو) رئيس الوزراء الجديد عن إجراءات صارمة منها الأمر بتشكيل إثنين من محاكم الإستقلال. واحدة في أنقرة والأخرى في شرق البلاد. وخولت هاتان المحكمتان صلاحية فرض عقوبة الموت وتنفيذها فوراً دون الرجوع الى أنقرة تطبيقاً لأحكام قانون [صيانة الأمن والنظام]^(٨) وجاء في إعلان التشكيل: «إن الحكومة بموافقة رئيس الجمهورية مخولة بالقضاء على كل حركة رجعية أو ثورة وكل عمل من شأنه تحييد أو تشجيع لها، ومنع طبع أو نشر أي شيء تحريضي يعرض الأمن والقوام الإجتماعي للخطر. والقائمون بهذه الأعمال سوف يحالون الى محاكم الإستقلال»^(٩)

وجد السفير البريطاني الذاهل من الصعوبة بمكان «أن يتصور المرء كيف أن شبكة القمع يمكن أن تشمل دائرةً منعها هذا المجال الواسع. إنها تطلق يد الحكومة لتفعل ما تشاء»^(١٠).

ظل هذا القانون نافذ المفعول لمدة سنتين بعد نهاية الثورة.

٨- إسمه الرسمي «تقريبي سكون»

٩- جريدة التاميس ٦ آذار ١٩٢٥.

١٠- رسالة من السفير لندسي الى چمبرلين مؤرخة في ١٠ آذار ١٩٢٥ [Fo 371 - 10687].

أسرع التحشد العسكري في المنطقة بالثورة الى التعثر ثم التقهقر وفي ٢٦ من آذار تمّ تطويق الجماعات الثائرة وأذرت القرى المجاورة بأشدّ العقاب (عسكرياً) إنْ هي أقدمت على كلّ ما ينمّ عطفٌ على الشوار وأنْ تؤكّد ولاءها بتسليم أي تائر بين ظهرانيها. وفيما كانت الحلقة تضيق على المطوّقين نجح بعض القبائل في الإفلات بعد خوض معارك دموية قتل فيها الكثير أو وقع في الأسر. وكانت الوقفة الأخيرة في موضع بين كنج وپالو. حيث أفلح الشيخ سعيد وعدد من أتباعه بكسر الطوق. إلاّ أنهم وقعوا في قبضة الجيش وهم يحاولون عبور نهر (مراد) بالقرب من (موش) في حدود نيسان نتيجة خيانة رئيس عشيرة من (جبرانلي).

كان العقاب في منتهى الوحشية وبسرعة فائقة وما من شك في أن أشهر محاكمة وأكشرها إثارة ودموية أجرتها محكمة إستقلال أرضروم المتنقلّة، كانت للشيخ سعيد وعدد آخر من زعماء الحركة. عقدت أول جلسة لها في ٢٧ من أيار ١٩٢٥ وتواصلت حتى ٢٨ من حزيران تضمنت مطالعة المدعي أفكاراً تسترعي النظر وقد إفتتحها بهذه الفقرة:

«ان أسباب ودواعي الثورة الأخيرة التي إندلعت في الولايات الشرقية من وطننا الأم تركيا الخالدة هي شبيهة تماماً بتلك الأسباب التي أدت الى إندلاع الثورة في الزمن غير البعيد كثيراً، في إقليمي بوسنيا وهرزگوڤينا (البوسنة والهرسك)^(١١) اللتين تحدهما من ثلاث جهات قوميات غير تركية وغير إسلامية ومع هذين ورغم أخوة خمسة قرون، أدت بالألبان الى تسديد طعنة للترك من الخلف أثناء حرب البلقان، الترك الذين أظهروا دائماً أعظم المحبّة لإخوانهم في الوطن هؤلاء إن الفكرة والهدف اللذين إستبطنتهما الثورة الكردية هي عين تلك التي أفسدت سورية وفلسطين في الحرب العظمى. إنها الغاية التي دفعت بهذه العناصر الخائنة في الداخل والخارج فإتحدت غاياتهم بغايات الأفاقين القريبين من حدودنا الوطنية وبحماية من أعدائنا».

١١- مقاطعتان إحتلها الأتراك العثمانيون في أواخر القرن الخامس عشر. وكانت ثورتها في العام ١٨٧٨. وفي ١٩٠٨ ضمّا الى إمبراطورية النمسا والمجر. أمّا ألبانيا التي حولها الفاتح العثماني تدريجاً الى الإسلام خلال زهاء أربعة قرون من الإحتلال. فإنّها إنتهزت فرصة إنشغال الترك بحرب البلقان الأولى فأعلنت ثورتها في ١٩١٢ وإنفصلت عن تركيا.

وفي معرض إستعراض الأدلة في قرار التجريم جاءت هذه الفقرة على لسان رئيس المحكمة: «بعضكم كان مدفوعاً بأغراض شخصية. وآخرون بتحريض أجنبي وبأطماع سياسية. إلا انكم جميعاً وضعتم نصب أعينكم هدفاً واحداً هو إقامة دولة كردية مستقلة عندما بدأت بالثورة. وعلى المشنقة ستدفعون ثمن البيوت التي دمرت والأنهار من الدماء التي سفكتموها»^(١٢).

أصدرت المحكمة حكماً بالموت شنقاً على إثنتين وخمسين خلافاً للشيخ سعيد. ومن بينهم السيد الشيخ عبدالقادر ابن الشيخ عبيدالله النهري العضو السابق في مجلس الأعيان وأحد رجال الدولة الكبار في الحكومة التركية، وثمانية شيوخ قبائليين وروحانيين آخرين تمّ إعدامهم في أواسط نيسان ولحق بهم الشيخ سعيد مع ستة وأربعين آخرين في ٤ أيلول ١٩٢٥.

كانت [محكمة الإستقلال] سريعة في إجراءاتها وتنقلاتها من مدينة الى أخرى لا تترك إحداها إلا وت خلف عدداً من المشانق المنصوبة للذين أصدرت بحقهم أحكام الموت. بلغ عدد الذين أعتقلوا حسب بعض التقديرات ٧٥٠٠ متهماً أعدم منهم ٦٦٠ قبل إلغاء تلك المحاكم.

يقول [توينبي] «في الوقت الذي أبدت الحكومة التركية فعالية وبراعة عسكرية في القضاء على الثورة إلا أنها أظهرت غباءً وسوء تقدير وإفتقاراً الى الحكمة السياسية في التعامل مع الكرد بعد الثورة، وكشفت عن حماقة في ضروب القسوة التي إستخدمتها بروح ثأرية شخصية لا كدولة بعيدة النظر. فلم تعبأ بشكاواهم ولم تقم وزناً للطموح القومي الكردي وواصلت سياستها المركزية وعملية التتريك والعلمانية، والتهجير القسري الى الغرب. إنها عين السياسة التي أدت الى ثورات تالية»^(١٣).

١٢- بدرخان المرجع السالف The Case of Kurdistan ص ٥٣. [ذكر أنه نقلها عن صحيفة (وقت) التركية الصادرة في ٢٨ حزيران ١٩٢٥ راجع أيضاً لوسيان رامبو «الكرد والحق Le Kurds et le Droit» باريس ١٩٤٧ ص ٢٧ [للكتاب ترجمة عربية جيدة بقلم عزيز عبدالأحد نباتي - أربيل ١٩٩٨]. كذلك مذكرة عن الموقف في كردستان Memorandum on the Situation of Kurdistan. توينبي (المرجع السالف ص ٥١٠).
١٣- توينبي المرجع عينه. ص ٥٠٩.

وفي إجتماع بديار بكر أتحذ قرار بتصفية «بقايا الإقطاع»^(١٤) وأعقبه قرار من المجلس الوطني الكبير بإغلاق كل التكايا والمدارس الدينية وحظر ممارسات الطرق الصوفية^(١٥) وإعتبار أي نشاط يدخل في هذا عملاً جرمياً ضد سلامة الدولة. وبحجة هذين تمّ إبعاد شيوخ وأغوات وزعماء كرد آخرين لم يشاركوا في الثورة مباشرةً، الى غرب الأناضول. كما أحرق الجيش قرى بكاملها أو دكّت بالقاع بحجة تعاطفها مع الثوار. وكان هناك قتل إعتباطي يصاحب أمثال هذه الإجراءات. ومما سجّل في هذا الباب مقتلة جماعية للزازا حوالي ديار بكر. وكانت هناك مصادرات للماشية بالآلاف. ومما ذكر مصادرثة ثلاثين ألف رأس من الضأن في لجه وديار بكر وبيعها بالمزاد العلني. ولم يسلم العلويون الكرد الذين والوا الحكومة. فقد أغلقت مدارسهم الدينية. على أثر ذلك تساءل أتاتورك في خطاب له مبرراً لإجراءات «العلمانية»:

«أمكن لشعب متمدن أن يغضّ الطرف عن مجموعة من الناس سمحت لنفسها بأن تقودها من أنوفها زمرة من الشيوخ والددة والسادة والچلبية (ج: چلبی) والبابات (ج: بابا) والأمرء»^(١٦)

واستخدمت أنقره الثورة ذريعة لتصفية عدد كبير من خصومها الترك ومن الوطنيين الكرد الكبار فأحيل كلّ من يوسف ضياء بگ والعقيد خالد بگ جبرانلي المعتقلين قبل الثورة الى محكمة الإستقلال في أنقره وأدينا وشنقا. ثم إتسع نطاق التصفية ليشمل خصوم النظام من الأتراك ومنتقدي أتاتورك من كبار أعضاء الحزب الجمهوري المعارض^(١٧).

* * * * * * * * *

١٤- رسالة من هراس الى چمبرلين. أستنبول ٣ آب ١٩٢٥. Fo. 371 - 10867.

١٥- توينبي المرجع عينه ص ٥١١.

١٦- المرجع السالف: خطب أتاتورك، ص ٧٢٢. ثريا بدرخان المرجع السالف ص ٤٥. The Case of Kurdistan Against Turkey فيلادلفيا ١٩٢٩.

١٧- أعتقل الجنرال قره بکیر ورئيس أركانہ قبل الثورة. وإتهمه إثنان من (الخوجات) بالتعاون مع الثوار على إعادة الخلافة وممارسة خالد بگ جبرانلو قبلها بسنتين شاكياً له «قيام الكمالين بمهاجمة المبادئ التي أدامت بقاء العالم الإسلامي» واتهم حزبه الجمهوري بإرساله مندوبيه الى الولايات الشرقية لإثارة الحماسة الدينية. كانت تهمة سخيفة جداً لأن هذا الحزب شجب مراراً ثورة الشيخ سعيد، لكن حكومة أنقره كانت تنوي القضاء على الحزب بأيّ زعم أو وسيلة. وفي الأسبوع الثاني من نيسان ١٩٢٥ شن رجال الأمن غارة ليلية على مقر الحزب وصادروا وثائقه وأعلنت الحكومة حلّه.

من باب تقويم ثورة الشيخ سعيد ليس بوسعي أن أعطيها حظاً كبيراً من النجاح. لم تكن الثورة شاملة وافتقرت الى الوحدة والى أهداف واضحة وقيادة مركزية ومن كل ما لدينا من مصادر عنها ليس ثم ما يؤيد أكثر من رغبة الشيخ في التخلص من حكم أنقره، والعودة للخضوع الى نظام الخلافة. إن إعلانه عن نصب ملك غير كردي لكرديستان يعرض لنا تساؤلات هامة عن المعدن القومي فيه رغبته في المنادة بخليفة، لا بمرشح كردي لعرش كردستان، يذهب بنا الى التفكير بأن مفهومه (اللكردايتي) مقام على الإقليمية الدينية الكردية أكثر من إقامته على الهوية الدينية بحد ذاتها. أو بما يمكن تفسيره بأكثر وضوحاً: الإنتمائية الكردية الى المذهب الشافعي الذي يختلف عن المذهب الحنفي في انه يفرق بين الولاء لشخص الخليفة وبين الاعتراف بسيادة الدولة المطلق وهذا ما استغلّه السلطان عبدالحميد طوال ثلاثين عاماً ونجح في مسعاه ضدّ القيام بالإصلاح الإداري. ولو لم يكن الخليفة أكثر أهمية في نظر الشيخ سعيد من مسألة السيادة لإختار الشيخ عبدالقادر النهري مثلاً أو واحداً من أبناء الأمير بدرخان مرشحاً لرئاسة الدولة الكردية المستقلة إلا أنّ الولاء للخلافة كان يوميّ بوضوح الى الفرق بين أمة الإسلام الكردية والعالم الإسلامي كافةً.

كانت آخر مرة يستنجد الكرد في كفاحهم القومي بالخلافة ولتعبئة الكرد تحت هذا الشعار إلا أنها لم تكن نهاية إقليمية الكرد الدينية. مع هذا كله فقد كان تعامل الترك معها بإعتبارها ثورة قومية.

رغم الإرهاب وأساليب القمع البربرية فقد تواصلت المقاومة طوال الأشهر الباقية من العام ١٩٢٥ والأشهر الأولى من العام الذي تلاه ولم تكن قاصرة على القبائل القاطنة في مناطق الثورة بل كانت الى حدّ ما جواباً على عمليات القمع والإذلال التي مارستها قوى الأمن التركية. وفي نيسان طلبت قبائل الكويان من لجنة الموصل المرسله للتحقيق من قبل العصبة قبولها في مجال النفوذ البريطاني. وفي حزيران اضطرت الى خوض معارك مع القوات التركية ثم لجأت أقسام منها مع قبائل الشرناخ المجاورة للحدود الى العراق في الشهر التالي. وهرب فريق من الشوار جوار مدياث وماردين الى سورية.

وبقي الشيخ عبيدالله النهري في شمدینان بعد إعدام والده الشيخ عبدالقادر يضع الكمائن للجيش التركي حتى أرغم في آب على عبور الحدود الى العراق مع مائتي

عائلة. وامتدت عمليات القمع والإضطهاد الى المسيحيين اليعاقبة والكلدان في هذا الجزء من البلاد بتهمة التعاون^(١٨).

وفي تبريز طلب الشيخ علي رضا ابن الشيخ سعيد من القنصل البريطاني هناك منحه جواز سفر للذهاب الى لندن بطلب المساعدة لإقامة دولة كردية مستقلة. ولما بدا من القنصل بعض إهتمامٍ أسرع سفيره في طهران لتنبهه بصرامة: «لاشكّ تدري أن ليس من سياسة حكومة جلالته تشجيع أو قبول أية مسؤولية في إقامة أي حكومة كردية مستقلة أو أتونومية»^(١٩).

لم يمض على حلم (سيقثر) غير خمسة أعوام. لتبدده وتضيّع آثاره أعظم كارثة حلّت بشعبٍ في العالم بعد الحرب العظمى خلال السنوات السبع من السلم التي عقبته^(٢٠).

١٨- ستيشن لونكريك: العراق ١٩٠٠-١٩٥٠ ص ١٥٧: [وردت جموع كبيرة من الأكراد نزوحاً من مناطق ثورة الشيخ سعيد النقشبندي في شهر شباط ١٩٢٥. وقد أدّى نجاحها الأولي الى إقدام الأتراك على إرتكاب أعمال ثأرية قاسية جداً. ومن نجا من أعمال الإنتقام جماعة يتزعمها ابن السيد قادر النهري. وابن الشيخ سعيد وأخيه... وفي أوائل العام ١٩٢٦ أجتازت الحدود العراقية جماعة من عشيرة الميران بزعامه نايف بك... كما تمّ توطين ٧٠٠٠ من عشائر الكويان. وعلى أثرهم عبر الحدود زهاء الف مسيحي قدموا من منطقة طورعايدين وتوافد حوالي عشرة الآف من قبائل الأرتوشي الى منطقة العمادية. بعد مطاردة القوات التركية ودفعهم الى خارج الحدود. أنظر أيضاً: [تقرير الى مجلس عصبة الأمم حول الإدارة في العراق للسنة ١٩٢٥ ص ٢٢.

Report to the Council of the League of Nations on the Administration of Iraq for the Year 1925.

١٩- رسالة من السر بيرسي لورين السفير البريطاني في طهران الى القنصل العام في تبريز كيليات سمث [طهران ٧ تشرين الأول 10835 - 371 Fo].

٢٠- تتعذر معرفة حجم الخسائر في الأموال والأرواح معرفةً دقيقة أو تقريبية بسبب الغطاء الكثيف الذي نشرته السلطات التركية فوق كردستان والحصار الإعلامي المحكم الذي دام أكثر من سنتين عليها. ولدينا المصادر الكردية وبعض المصادر الرسمية الخاصة حول حجم اللاجئين الكرد الى سورية والعراق وإيران وهي أيضاً أرقام تقريبية وقد أثبتنا نموذجاً لها. بحسب المصادر الكردية تمّ تدمير مائتين وستّ قرى تدميراً كاملاً وأحرق ٨٧٥٨ بيتاً [جلادت بدرخان (بلج شيركو) La Question Kurd المرجع السالف الص ٤٩-٥٢، نقلها عنه (رامبو) المرجع السالف ص ٢٨] وزعم ثريا بدرخان (المرجع السالف الص ٥٢-٥٣. أن مليوناً من الكرد أعدموا أو قتلوا أو هجروا. ولا يترك لنا سبيلاً لتقدير كم أعدم وقتل من بين هؤلاء (يلاحظ أن هذه الأرقام أعطيت للفترة ١٩٢٥-١٩٢٨). في حين يذكر بلج شيركو (المرجع السالف) أنه تمّ تهجير أكثر من نصف مليون خلال شتاء ١٩٢٥-١٩٢٦ الى غرب الأناضول هلك منهم حوالي مائة ألف في ظروف =

تعمد الترك إخفاء الجانِب السياسي التحرري لثورة الشيخ السعيد. وصورها إعلامياً وسياسياً بالحركة الرجعية التي أرادت العودة بالبلاد الى نظام الحكم العثماني المزال. الى دولة يقوم على رأسها زمرة من الجهلة والزعماء القبائليين ورجال دين متعصبين محدودي العقل لا يريدون النزول عن حقوقهم الموروثة التي كانت تهدد بالضياح كل الإصلاحات التقدمية والعصرية التي أطلق أتاتورك قواها. وادّعوا بأن البريطانيين كانوا وراءها.

بأي قدر من الحقيقة يمكن قبول هذه الإدعاءات؟

واضح أن الإدعاء بالطابع الرجعي والديني - لا القومي كان ذا فائدة للحكومة. وعلينا أن نتذكر الجهود العظيمة التي كان يبذلها الترك لضم ولاية الموصل ذات الأغلبية الكردية وبأن موضوع النزاع كان أمام عصبة الأمم. ومما لا ريب فيه أن أي ثورة كردية شمال خط بروكسل ذات طابع قوميّ بحت تهدف الى التحرر والتمتع بالحقوق القومية ستوجه ضربة قاصمة إلى الحجاج التركية وقضيتها برمتها أمام الهيئة الدولية. فلو أقرّ الترك بأن هذه الثورة بالجواهر هي قومية الأهداف وأن الترك والكرد يشتمكون من أجلها بمعارك طاحنة. فلا يعود أحد يصدق إدعاء الترك بأن كرد ولاية الموصل يرغبون فعلاً في عودة الحكم التركي. ولذلك بدت هذه الثورة في الصحافة التركية ووثائقها الرسمية (خلا مطالعة المدعي العام في محاكمة الشيخ سعيد ورفاقه طبعاً) بوصفها حركة رجعية قامت ضدّ الإصلاح ومما لا شك فيه أن الشيخ سعيد بالمقابل خدم عملية التشويه كثيراً بإعلانه نصب أحد أبناء السلطان عبد الحميد ملكاً على كردستان المستقلة^(٢١).

= عمليات التهجير والمناخ القاسي، وزعمت المصادر عينها بأن عدد القتلى والمفقودين في المعارك بلغ ٢٤٠٠ بين قتيل وجريح. هناك إحصاءات أخرى في مضان متعددة أثرتنا إغفالها ومعظمها يعتمد على هذه المصادر الثلاثة. وفيها من المبالغات ما فيها.

٢١- يفصل (توينبي) في موضوع تصوير الحكومة الرسمي للحركة - بالوجه الرجعي والديني ويورد مقتبسات عديدة وأمثلة. منها فقرة من خطاب ألقاه عصمت إينونو رئيس الوزراء في المجلس الوطني الكبير يوم السابع من نيسان ١٩٢٥. ومن مقال كتبه حلمي بك والي (معمورة العزيز) لجريدة (طنين) بتاريخ ١١ نيسان ١٩٢٥. فضلاً عن المحاضر الرسمية لوقائع محاكمة الشيخ سعيد [المرجع السالف ص ٥٠٨. الحاشية رقم ٣] ويناقش صحة التهم التي وجهت الى هؤلاء على أساس مشاركتهم في الثورة ومن بين الأمثلة التي قدمها، محاكمة (حسين جاهد بك يالچين) =

هناك سبب آخر لتأكيد الحكومة على الوجه الرجعي للثورة. إذ كانت فرصة لها ذهبية لتتهوى على معارضي النظام بضربة قاضية. كل أولئك الذين وقفوا ضد الإصلاحات الكمالية وكل من أبدى عدم رضا به أو بسياسته. كل أولئك الذين أرادوا نظاماً ديمقراطياً على أساس التعددية الحزبية. كل هؤلاء أتهموا بالتآمر مع الثوار وأخضعوا لإجراءات تعسفية بل سيق بعضهم الى محاكم الإستقلال بتهمة الإخلال بالنظام وبموجب قانون (تقريري سكون) وأنزل بهم أشد العقاب كما رأينا.

مع هذا كله فقد قبِل عدد من رجال الصحافة والقلم الغربيين بالتفسير التركي الحكومي ليس فحسب بخصوص الطابع الرجعي للثورة، بل بالصلة المزعومة بين المعارضة وبين الثوار وهذا أحدهم:

« ثبت بالبرهان أن أولئك الزعماء برئاسة الشيخ سعيد من كنج غرب بحيرة وان، كانوا على صلة بالأصدقاء الشخصيين لآخر الخلفاء. وبالمطالب بالعرش الأمير سليم الذي كان يعيش في سورية قريباً من الحدود. كان هدف الثورة بشعارها [الدفاع عن الدين من الخطر] أن تمتد كالبرق الخاطف الى غرب الأناضول وأن تؤدي بالأخير الى إحتلال العاصمة. إلا أنها عجزت حتى عن الإمتداد وراء الايالات القريبة من موضع نشوبها» (٢٢).

هناك كاتب آخر فاق الأول صراحة:

« ... ألقوا حزباً جديداً أطلقوا عليه [الحزب الجمهوري التقدمي... إن النفوذ الذي مارسه هذا الحزب يقاس بالرسالة التي أرسلت للشيخ سعيد وذكر فيها أن حزب كاظم قره بكير سيعاون الثوار. في الواقع أنها نالت تشجيعاً من الحزب الديني» (٢٣)

= وهو صحافي معروف ورئيس تحرير صحيفة (طنين). أتهم بالقيام بنشاط رجعي وحكم عليه بعقوبة النفي المؤبد. كان هذا كما يقول (توينبي) من أشد أنصار الإتجاه نحو الغرب. وبالقدر الذي كان يراه هذا المؤرخ الطائر الصيت أن هؤلاء الذين أتهموا بالتعاون مع ثورة الشيخ سعيد لاسيما الأتراك منهم لم يبق هناك أي دليل على مسؤولية فيها. [المرجع السالف].

٢٢- أوغست ريتير فون كرال August Ritter Von Kral أرض كمال أتاتورك، ترجمه الى الإنجليزية

كينيث بنتون بعنوان Kamal Atatürk's Land قيينا ١٩٣٨ ص ٢١.

٢٣- سر تelford Waugh ووف Sir Telford Waugh في [تركيا الأمس واليوم والغد] =Turky Yesterday, Today

وكتب [جانيتزون] مقالاً بعد القضاء على الثورة بفترة وجيزة جاء فيه:

«الأسباب الأصليّة التي قامت عليها الثورة الكردية ذات طبيعة إدارية ودينية. كانت الحركة بالأصل وبالهدف رجعة للإقطاعية الكرديّة مضادة للدولة، وبمثابة نزاع بين تركيا القديمة المرتبطة بالتقاليد الإسلاميّة القديمة وبين تركيا الحديثة المتحررة العلمانية^(٢٤).»

ومضى الكاتب ليشبّه الثورة بالمحاولة الانقلابية المعارضة لحكومة الجون ترك. وبعثها بإنفجار للتعصب الديني. ورأى الشيخ سعيد بمنظار ذلك الذي رفع العلم الأخضر الإسلامي بتصميم على إعادة تطبيق الشريعة الإسلاميّة.

تصدّى (رامبو) ^(٢٥) الى تعليق جانيتزون وفنّده بالإشارة الى أن كلاً من المدعي العام ورئيس المحكمة أوضحا بشكل ناف للشك أثناء محاكمة الشيخ ورفاقه بأن القومية كانت الدافع الهام للثورة ويعلق ساخراً «أكان مسيو (جانيتزون) أدري من المدعي العام ورئيس المحكمة؟»

إلا أن المصادر الكردية كما هو متوقع كادت تُطبق على هوية الثورة القوميّة. وغلب على (توينبي) حيرةٌ وبعض تردد عند محاولته تغليب أحد الدافعين القومي أو الديني على الآخر عندما راح يحاول تقويم الثورة. مشيراً الى أن الصعوبة تكمن في أن مصادر المعلومات عن الحركة كاد كلها يكون تركياً. وكان لحكومتها أسباباً معينة مقنعة للتقليل من شأن الوجه القومي لها والمبالغة في إظهار الوجه الديني والرجعي.

إلا انه يستدرك بالأخير فيقول:

«مما هو جدير بالملاحظة أن الثورة لم تمتد الى المواطنين الترك في أروم وطرابزون وسامسون الرجعيين المتأخرين إجتماعياً المتمسكين بالدين والخلافة بمستوى جيرانهم الكرد، والذين مامرت بضعة أشهر على إطفاء الإنتفاضة الكردية حتى قاموا هم أنفسهم في تشرين الثاني، بوحدة مماثلة ضدّ الإصلاحات الغربيّة التي تباشرها حكومة أنقره.

= Tomorrow and لندن ١٩٣٠ ص ٢٦٣.

٢٤- من مقال مؤرخ في ١٥ تشرين الأول ١٩٢٥ في ريفيو دي باريس بعنوان L'insurrection Kurds الثورة الكردية.

٢٥- رامبو، المرجع السالف ص ٢٧. [أنظر الترجمة العربية].

ان وجهة النظر في أن الثورة الكردية وأسلوب قمعها، إنما يمثلان صراعاً بين القوميين الترك والقوميين الكرد، وليس صراعاً بين الرجعية وبين التقدمية، عززتها هذه المعلومات التي زود كاتب هذه الملاحظات صديق تركي حسن الإطلاع على ماجرى من أحداث. قال: إن الثوار الكرد عندما دخلوا خربوط هبّ كل أهالي المدينة على إختلاف إتجاهاتهم ونحلهم لمقاومتهم بقيادة (نوري أفندي) مرشح الحزب الجمهوري التقدمي في الإنتخابات التكميلية للمجلس الوطني.

في الواقع إن الثوار الكرد طُردوا طرداً من المدينة في اليوم التالي من دخوله. وفي هذه المبادأة إتحدت إرادة سراة المدينة وأعيانها مع بقية السكان الذين كانوا ينتمون الى حزبين سياسيين، وباعتبار ولاية خربوط (معمورة العزيز) واحدة من أشد ولايات شرق الأناضول تعصباً فإن موقف السكان هذا يقوم دليلاً دامغاً على أن طابع الثورة لم يكون دينياً على أقل تقدير. وأن الحزب المعارض التركي لأتاتورك لم تكن له أي علاقة مطلقاً بالثوار^(٢٦).

هناك وضوح كاف والحالة هذه - للحكم على قومية ثورة الشيخ سعيد أصلاً رغم المسحة الدينية التي تلونت بها.

إن إنتشار المفاهيم الحديثة للقومية بين المتعلمين الكرد، وظهور جيل جديد من قوميين ملئوا حماسة ومناداة جعلهم حساسين جداً لأي محاولة إنكار قوميتهم. وبطبيعة الحال فإن عملية ملاحقة النشاط القومي. ومنع إستخدام اللغة الكردية أمران من شأنهما إثارة عوامل النقمة والتحدي وإحتشاث المقاومة. و«التتريك» وهو مصطلح يعني أن الكرد يجب أن يصبحوا أتراكاً، مساو للطلب من الكردي أن ينسى بأنه كردي. ولو طرح الأمر بشكل آخر، لو قيل للكرد أجل أنتم اكراد مثلما نحن أتراك، فتعالوا نتعاون على الإصلاح، لإختلف الأمر في نظري. فالإتجاه نحو الغرب والإصلاحات الكمالية المتفقة مع روح العصر لم تكن مكروهة قط عند القوميين الكرد. ربما كانت بعامل الجهل والتعصب ممقوتة عند الدهماء من الشعب الكردي وعند شيوخ العشائر وعلماء الدين وهؤلاء الأخيرون كانوا أشدء الى أقصى حد في معارضتهم

٢٦- توينبي: المرجع السالف، حاشية ٣ الص ٥٠٨-٥٠٩.

تلکم السياسة التي لا تتفق مطلقاً مع معتقداتهم لأنها تهدد سلطة رجال الدين بالزوال وتهدد سلطان زعماء العشائر التقليدي على جماهير الكرد القبليين فضلاً عن الإمتيازات التي كان السلطان الخليفة يخصصهم بها.

في أعين المؤمنين أدى إلغاء الخلافة وإبطال العمل بأحكام الشرع. الى قطع الرباط الموغل في القدم للأخوة الإسلامية الذي شدّ الترك الى الكرد قروناً. والآن شعروا بالألم شيء بعد يشدّ بينهم وبين رجال الإصلاح الكماليين الذين قاموا بدورهم بقطع علاقتهم مع المؤمنين. إن مصدر الغموض والحيرة عند القوميين الكرد، بله الكرد عموماً الذين ألفوا منذ قرون أن يسميهم جيرانهم كرداً هو أن هذه الحكومة الجديدة الغربية تقول لهم إنكم ماعدتُم بعد الآن كرداً بل أتراك، وهذا يساوي إنكارهم عليهم قوميتهم بقدر ما يساوي الإرتداد عن دينهم والحشر في زمرة الكفار والأشرار وهو ما يتعذر القبول به. وبهذا الشكل صار الشعور الإسلامي جزءاً مكماً للقومية الكردية في تلك المرحلة.

ومع أن غالبية القوميين ماكانوا يشاركون العامة في تلك الميول الدينية فليس هناك من شكّ أنهم تبنوا تلك الميول وشجّعوها الى الحدّ الذي كانت تؤول - أو طالما آلت الى توحيد كلمة أبناء الوطن في وقت مرور هذا الوطن الأم بأخطر مرحلة من مراحل النضال القومي. وجدوا من واجبههم ألا يضيعوا وقتاً في التمسك بهذا الحليف العظيم القوة لخدمة القضية وهو أمر مفهوم تماماً.

ولم تكن هذه أوّل مناسبة يستخدم فيها الدين لأغراض قومية ووطنية ولطالما إستخدمه الترك أنفسهم في أحيان كثيرة وسيلة للإتحاد أو للتفرقة بحسب وبالشكل الذي يخدم الغرض.

*** **

لاشك هناك عند أتاتورك في أنّ بريطانيا العظمى كانت وراء الثورة وأنها تمدّ الشوار بالعتاد والارزاق والسلاح. وقد انفجرت كوامن غضبه في خطاب ألقاه أمام أعضاء المجلس الوطني الكبير:

«ومما زاد في الوضع سوءاً أنّ إنكلترا كانت وراء كل ذلك. إنكلترا كانت دائماً تستخدم الأكراد للإضرار بتركيا. في الحرب العامة أرسلت

وكلاءها (لورنس) و(نوئيل) لتحريضهم على الثورة، لطعن تركيا من الخلف. في معاهدة سيفر وعدتهم بإقامة حكومة إنفصالية. وكلاؤها الآن وجدوا هناك مرة أخرى يسلمون القبائل ويحرضونهم...
... إنكلترا تريد الموصل ونفطها. والكرد هم مفتاح الموصل والسبيل الى نفط العراق. إنها تستخدم هذه (اللظمة) لإرغام تركيا على التخلي عن ولاية الموصل»^(٢٧).

إن الإنكليز حاذروا من بدء الثورة بأن لا يعطوا الترك حجة ما أو أن يقوموا بأي عمل يستفز الحكومة التركية ويحملها على تحشيد قوات في منطقة حدود ولاية الموصل ثم تدفع بها الى داخل الولاية تحت زعم القضاء على عناصر كردية موالية في الولاية تمدّ الثوار بالمساعدة في منطقتي وان وديار بكر^(٢٨).

إلا أن الصحافة التركية ظلت تضرب على نغمة المساندة الإنكليزية. وكل ذلك يعزى الى الصدفة التاريخية الغربية: قيام الثورة في الوقت الذي كانت لجنة التحقيق التي أرسلتها عصبة الأمم لتقرير مصير ولاية الموصل تبدأ عملها. لم يكن بوسع الترك رغم إجماع صحافتهم أن يتقدموا بأي دليل مقنع يثبت دعواهم إلا أن البريطانيين كما ذكرنا أفادوا كثيراً من قيام الثورة في ذلك الوقت فلاشك في انها كانت عاملاً في تقرير مصير ولاية الموصل^(٢٩).

٢٧- أرمسترونغ: الذئب الأغر مصطفى كمال: دراسة دقيقة لدكتاتور H. C. Armstrong: Grey Wolf: Mustafa Kemal: Intimate Study of a Dictator ص ٢٢٥ لندن ١٩٣٢.

٢٨- تعليق لـ J. Morgan مؤرخ ٤ آذار ١٩٢٥ Fo. 371 - 10867.

٢٩- أيدت المصادر الرسمية السوفياتية لوقت ما الزعم التركي بالمساندة البريطانية لثورة الشيخ سعيد. فقد جاء في مادة (كردي) من الطبعة الأولى لدائرة المعارف (الإنسكلوبيديا) السوفيتية «أن ثورات ١٩٢٥ و ١٩٣٠ و ١٩٣٧» كانت من قبيل المخططات الإمبريالية التأميرية ضدّ المصالح التركية والسوفيتية» إلا أن الطبعة التالية من الإنسكلوبيديا لم تكرر هذا الرأي. وهو بلاشك يعكس متغيرات السياسة السوفيتية إزاء الترك والكرد معاً. «على أننا نجد المصادر السوفيتية حينذاك تؤيد الموقف التركي من الثورة. ولهذا رأينا مختلف الكتاب الترك عن تركيا الحديثة يرجعون الى تلك المصادر.

البياب الديني

- * كلمة نائب السكرتير العام لعصبة الأمم: ف. پ. والترن.
- * "لجنة الموصل": بقلم بي. آف فيرسين رئيس اللجنة.
- * لجنة الموصل: بقلم سي. جي. إدموندز، ضابط الإرتباط البريطاني في اللجنة.
- * مشكلة الموصل: عبدالعزيز القصاب (متصرف) الموصل.

ف.پ. والترز F. P. Walters

نائب سكرتير عام العصبة

وهو مقتبس من كتابه "تاريخ عصبة الأمم The History of the League of Nations" مطبعة اوكسفورد - لندن ١٩٥٨.

عنوان الفصل: حول تشكيل لجنة التحقيق: الحدود وعائدية ولاية

الموصل. (صحيفة ٣٧٩ وما يليها)

كانت قضية الموصل، عبارة عن نزاع اقليمي يمكن مقارنته بالنزاع على سيليزيا العليا. أطراف النزاع (١) تركيا التي كانت ولاية الموصل تحت حكمها عدة قرون (٢) وبريطانيا التي سيطرت على الولاية منذ أن احتلت القوات البريطانية بلاد ما بين النهرين أثناء الحرب (٣) العراق وهي الدولة العربية الجديدة التي خلقتها بريطانيا، وكانت تدار بالانتداب البريطاني.

في أول معاهدة صلح مع تركيا، وهي معاهدة سيفر. أعطيت هذه الأقاليم العراق. ولكن في لوزان عندما عقدت معاهدة جديدة مع تركيا الحديثة، تركيا مصطفى كمال، أصرّ الترك على وجوب اعادةتها. ولم يتزحزح أي طرفٍ عن موقفه أو يتنازل للآخر. إلا أن كلا الطرفين كانا يرغبان جداً بأن لا يحوّل بقاء هذا النزاع دون التوقيع بسرعة على معاهدة الصلح العامة. لذلك اشترط قيام مفاوضات بين تركيا وبريطانيا حولها. فإن لم تسفر عن تسوية خلال تسعة أشهر من مبدئها، يحال النزاع الى مجلس العصبة.

باعت المفاوضات بالفشل ببلوغها طريقاً مسدوداً. وفي ٢٤ من ب ١٩٢٣ انتهت المدة المقررة في المعاهدة. فطلب رمزي مكدونالد من مجلس العصبة اصدار قرار.

وفي الجلسة التالية للمجلس، سار كل شيء على مايرام. واكّد المجلس لتركيا بضمانات بأنها ستشارك في الإجراءات المتخذة على قدم المساواة وبعين الحقوق التي ستتمتع بها بريطانيا. كان ممثلها (فتحي بك) من ابرز انصار (مصطفى كمال). وصل الى جنيف وقد سبقته سمعته كونه مفاوضاً عنيداً صعب المكسر. لكن وفي اثناء ما كان يدلي بحججه بمهارة كبيرة، بدا على طول الخط توفيقياً وبمنتهى الكياسة والمرونة سواءً بمواجهة المجلس أو بمواجهة خصمه. وطُلب من برانتنگ Branting الذي اعترف الجميع بطبعه الحيادي وعدالته. ان يكون مقرراً Rapportuer للجنة. وقدمت وثائق مطوّلة وألقى الطرفان خطاباً مسهباً. وادعى الترك ان غالبية سكان الموصل يرغبون في العودة الى السيادة التركية. وادعى البريطانيون أن السكان عامة يفضلون البقاء رعايا للمملكة الجديدة.

بعد سماع حجج الطرفين بدأ المجلس بالسؤال وأخذ التأكيد من كلا الطرفين بانهما سوف يتمسكان بالتعهد الذي نصت عليه معاهدة لوزان. بان لا يقدم على ما من شأنه احداث أي تغيير حدودي في الوضع الراهن للأراضي موضوع النزاع. كما طلب ايضاً

من كلا الطرفين ان يتعهد كل من جانبه ومقديماً، بالقبول باي قرار يتوصل اليه المجلس بالأخير.

الحكومة البريطانية كانت قد اعريت طوال الاجراءات المتخذة من قبل العصابة بأنها ستفعل ذلك، إلا أن فتحي بك لم يقيم في البدء بإعطاء عين هذا التعهد إلا أنه قام فعلاً بإعطائه في نهاية الجلسة وبصيغة واضحة.

بعد ان تم تثبيت هذه الشروط الأولية. قرر المجلس ارسال لجنة تحقيق موقعياً مزودة بصلاحيحة الإختبار والتأكد من مشاعر السكان المحليين. وان يكون لها حق التشاور مع الحكومات الثلاث صاحبة الشأن وبعدها تقدم التوصية التي تفضلها.

في الوقت الذي كانت المناقشات في جنيف تتقدم بيسر وهدوء. حصلت اضطرابات خطيرة على طول الحدود موضوع النزاع. كل طرف كان يزعم انه محافظ على تعهده بعدم احداث تغيير في الوضع القائم. لكن ظهر ان وجهة نظر البريطانيين تختلف ووجهة نظر الأتراك إختلافاً بيناً بخصوص الخط القائم وأين يكون. وصار كل منهما يتخذ إجراءات حفظ الأمن واحكام قبضته ضمن الحدود التي يفترضها بامتلاكه مطلق التصرف بها من دون ان يبدو ناكلاً عن تعهده.

ان غموض الصيغة التي وضعت بها المادة الخاصة بهذا في معاهدة لوزان ادت الى أن يغدو من السهل على كل طرف ايجاد اسباب مقبولة لتبرير اجراءاته الخاصة والإحتجاج على إجراءات خصمه. وسبق اثناء اجتماع المجلس ورود تقارير عن اشتباكات صغيرة ادت الى وقوع خسائر بشرية.

وفي التاسع من تشرين الاول قبل ختام اعمال المجلس بايام قليلة اصدرت الحكومة البريطانية انذاراً لتركيا تهدد فيه بعمل عسكري ان لم تنسحب القوات التركية كافة خلال ثمان وأربعين ساعة- وراء الخط الذي يترتب على الأتراك- في رأي البريطانيين ان يحترموه. وكان جواب الاتراك الإلتجاء الى مجلس العصابة لإتخاذ قرار حول أي خط حدود هو الخط المطلوب؟ فعقد المجلس جلسة خاصة في بروكسل بناءً على هذا. وأبى (برانتنگ) الدخول في مناقشات حول تفسير التعهدات الماضية واقترح ان يضطلع المجلس نفسه بتثبيت ما يبدو ان يكون في الظروف الحالية افضل خط حدود مؤقت تجب مراعاته. وبهذا تمت تسوية الخلاف ولم يسمع بعد ذلك أي شيء عن الإنذار

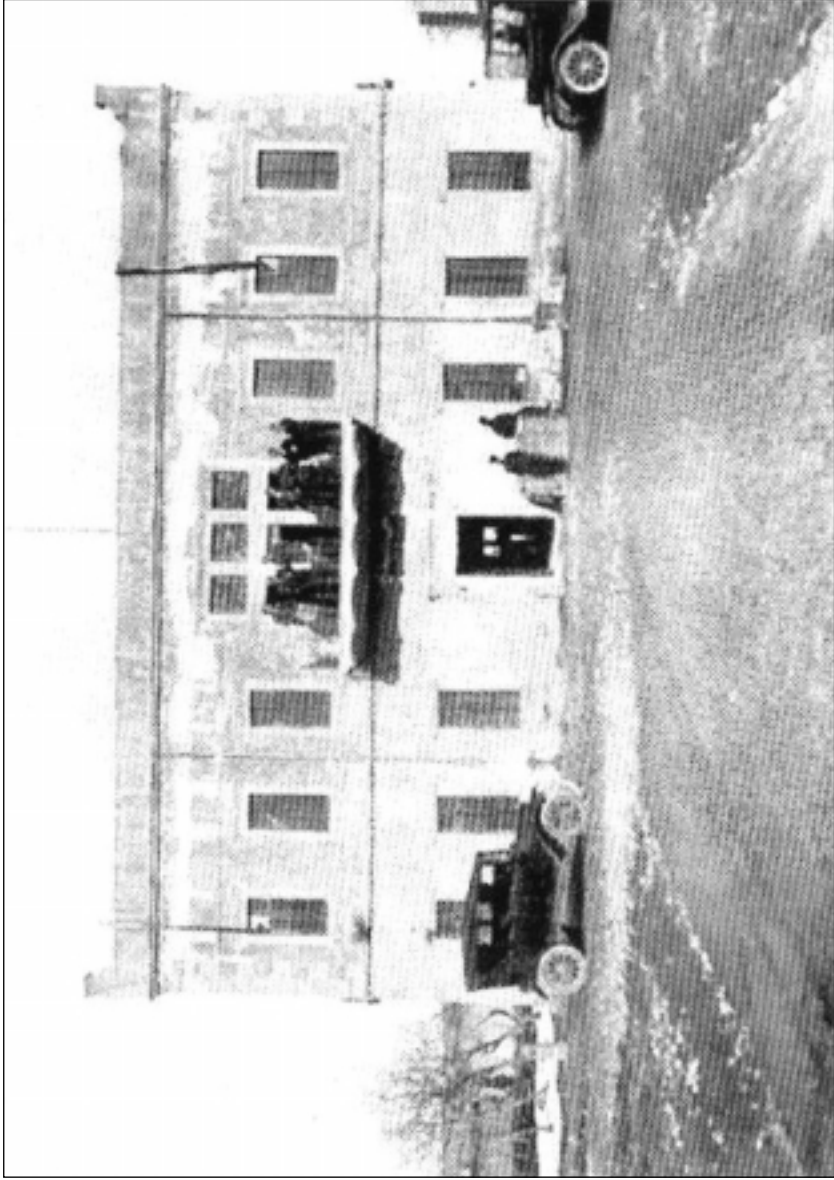
البريطاني. وأعطى كل طرف وعداً قاطعاً بأن لا يقدم جنوده أو وكلاؤه المدنيون على خرق الخط الذي رُسم في بروكسل. وبهذا عبّد الطريق للجنة التحقيق المنتواة للشروع في عملها.

بخصوص تعيين اعضاء اللجنة. كان من الضروري دائماً تحاشي ضمّ أي فرد قد لا يكون حيادياً تماماً لاسباب شخصية أو لاسباب تتعلق بهويته وتبعيته أو قد يكون كذلك عند أي طرف من الأطراف. وفي قضية (الموصل) كان هناك محذور آخر خاص وجبت مراعاته واخذه بنظر الاعتبار. كان الاعتقاد سائداً أن الإقليم غني بالنفط الى الحد الذي جعل حكومة الولايات المتحدة الامريكية ترفض وضع العراق تحت الوصاية البريطانية إلا بعد أن يصبح مؤكداً بأن المواطنين الامريكيين لن يُظلموا بحرمانهم من دخول الحلبه، سيما وإن هذا الخلاف الاقليمي كان قد صور من قبل بعض المحافل ولاسيما في المانيا، بأنه لايزيد عن صفقة دنيئة من الصفقات النفطية.

إلا أن ولاية الموصل كانت ذات اهمية استراتيجية عظيمة وسكانها كثيرون وثروتها الاقتصادية عالية بمستوى معظم الولايات العربية والتركية. ولا يبدو هناك سبب للشك في ان سياسة وهدف كل من تركيا وبريطانيا والعراق هي واحدة بالضبط وان لم يكن هنالك أي امل بوجود النفط في الولاية. إلا أن هذا المتوقع نفسه كان كافياً ليمتنع المجلس من ضم أي مواطن للجنة- يحمل جنسية أي بلد يفترض ان يكون لمواطنيه رغبة أو سهم في النفط.

وعلى هذا الاساس ألفت اللجنة من دبلوماسي سويدي، وعسكري بلجيكي وجغرافي هنغاري وهو رئيس وزراء سابق وتلك المرة الأولى تقوم عصابة الأمم بايداع مثل هذه المسؤولية لمواطن واحدة من دول الوسط التي هُزمت في الحرب.

وجاء تقرير اللجنة مضاداً لتأكيد كلا الطرفين المتنازعين. فان مشاعر السكان لم تكن مع أي واحد منهما ولا تفضل أي واحد على الآخر. فالکرد الذين يفوقون عددياً بقية السكان مجتمعاً، يفضلون الإستقلال عن أي طرف. وكل ما يمكن ان يقال هو ان الأغلبية على العموم- ان لم يكن باليد حيلة- يفضلون الاندماج بالعراق على العودة الى تركيا- شريطة ان يستمر الإنتداب البريطاني على العراق خمسة وعشرين عاماً.



قصر آل الشريتي. مقر لجنة التحقيق - الموصل ١٩٢٥ (أطلق عليه إسم القصر الملكي)



ي. اف. فيرسين E. af. Virsen

وهو الفصل الخاص بـ«لجنة الموصل» من كتابه «ذكريات من الحرب والسلام
Minnen Från Fred och Krig» المطبوع في ستوكهولم (١٩٤٢)
باعتناء دار ألبرت بونير Albert Bonniers Förlag

[إستعنا في ترجمته بالأديب مؤيد طيب مشكوراً. ننشره وليس لنا في
الترجمة من جهد غير التنقيح وإجراء بعض التعديل اللغوي فضلاً عن
تذييله بالتعليقات والتعاريف الضرورية]

تشكيل لجنة الموصل

في الثلاثين من أيلول ١٩٢٤ قرر مجلس عصبة الأمم تشكيل اللجنة تحقيق وجمع حقائق حول مسألة الحدود العراقية. بعد أن فشل مؤتمر السلام المنعقد في لوزان قبل سنة واحدة في التوصل الى حل لها.

مهمّة اللجنة كانت قاصرة على جمع المعلومات الضرورية ذات العلاقة بالمسألة وتقديمها الى مجلس العصبة مع توصياتها لتستعين بها عصبة الأمم على إتخاذ قرار في موضوع النزاع. كما تقرر أن تجري اللجنة تحقيقاتها موضعياً للضرورة الماسة إليها. وتمت تسمية المندوبين المعيّنين من قبل الدولتين طرفي النزاع: تركيا وإنجلترا.

تألّفت اللجنة من رئيس وعضوين. أنا شخصياً رشّحني السيد برانتنگ Branting الذي كان مقرراً في مجلس العصبة ورشح الكولونيل پاولس Paulis البلجيكي الجنسية رئيس مجلس العصبة ثيونيس Theunis. كما قرر مجلس العصبة تعيين الكونت تيليكي Teleki رئيس الوزراء المجرى السابق عضواً ثالثاً. وبهذا أريد للمجر العودة الى العمل الدولي وإثبات فعاليتها في عصبة الأمم.

وصدر القرار بتأليف اللجنة في شهر تشرين الأول. وتسلمت برقية بتعييني فأعذرت عن القبول أولاً. لكنني عدت ووافقت بعد برقية ثانية.

وفي الشهر عينه التأمّت اللجنة في جنيف لوضع خطط العمل ووجدنا من فورنا أنّ غنى لنا عن الشخوص لمباشرة العمل موقعياً كما كان ثم ضرورة لجمع المعلومات عن أمور معينة وبحثها مع الحكومتين ذات العلاقة. لذلك قررت اللجنة أن تكون على صلة مباشرة بطرفي النزاع بالسفر الى لندن ثم الى أنقره.

لم يعين مجلس العصبة رئيساً للجنة من بيننا وتركت الأمر لنا. وكان ذلك ضرورياً من أجل تنسيق أعمال اللجنة وتنظيم مراسلاتها مع الحكومتين. فإقترحت أن يكون (تيليكي) رئيساً وأبدى موافقته بتردد فقد خشي أن يعتبر منحازاً، وهذا ينطبق أيضاً على العضو الآخر البلجيكي الجنسية^(١) لذلك أقترح تيليكي أن أتسلّم مسؤولية رئاسة اللجنة بوصفي سويدياً لايشك في حياده ولم يكن بوسعي الرفض أزاء هذه الحجّة. إلا

١- كانت المجر من بين دول الوسط اي حليفة لتركيا أثناء الحرب. وكانت بلجيكا من بين دول الحلفاء.

أن تيليكي بحكم مقدرته الفائقة في إيجاد الحلول وإتخاذ القرارات صار يتبوأ موقع الصدارة في التنفيذ وكان له السهم الأوفر في صياغة أسئلة الإستفتاء العامة التي أخطرتُ بها الحكومتان منذ الشروع في العمل. كما كانت إستقلاليتها وحياده إزاء الحكومتين موضع أعجاب. ان ابحاثه الجغرافية في طبيعة المنطقة موضع النزاع وأصول القوميات التي تسكنها ساعدت كثيراً في دراسة الجانب العنصري من سكان ولاية الموصل. وكان للخرائط التي رسمت أثناء العمل وأرفقت بتقريرنا قد طبعت في (معهد تيليكي) الجغرافي، أهمية عظمى.

بول تيليكي سليل أسرة من نبلاء مقاطعة ترانسلفانيا. وهي المقاطعة التي تقرر في تريانون^(٢) إلحاقها برومانيا. كان عالماً جغرافياً باقعة. أحدثت رحلته أيام شبابه الى السودان ضجة كبيرة. كما أكسبه رسمه الخرائط لجزر اليابان شهرة فائقة. وهو منذ العام ١٩١٣ عضو في الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية. إن الخرائط الاثنوغرافية التي عملها للمجر كانت هامة بنوع خاص. وينطبق هذا الأمر نفسه على عمله في رسم الخرائط الخاصة بالأجزاء المقتطعة من المجر والنتائج السلبية التي تمخض بها ذلك العمل. عُيّن تيليكي وزيراً لخارجية حكومة الكونترا التي شكلت في مدينة زيگيد Szeged لناهضة الحكومة الشيوعية التي شكلها بيلاكون Bela Kun^(٣) إلا أنه لم يباشر بعمله إلا بعد قيامه بمغامرة في رحلة جوية خطيرة وكان عضواً في الوفد المجري لمؤتمر الصلح وحاول جهده وبراعة ايضاح النتائج السلبية التي تنجم عن تقطيع أوصال بلاده دون جدوى.

وفي العام ١٩٢١ تولى رئاسة الوزارة فترة معينة من الزمن وفي خلالها حصلت المحاولة الأولى الفاشلة لإعادة الملك (كارل) الى العرش. وأثر الإستقالة لمشاكل أكتنفت حكومته وسلّم السلطة للكونت بثيلين Bethlen، وتفرغ هو الى كرسي الأستاذية الجامعي في الجغرافية ولرئاسة المعهد الجغرافي المجري.

٢- المدينة الفرنسية التي عقدت فيها معاهدة الصلح مع المجر في ١٩٢٠ وفيها أعطي جزء كبير من مقاطعة ترانسلفانيا الى رومانيا وأنقصت المجر من دولة مساحتها ١٢٥ ألف ميل مربع ونفوس تزيد عن عشرين مليوناً الى دولة صغيرة مساحتها ٣٥ ألف ميل مربع ونفوسها نحو ٨ ملايين.
٣- زعيم شيوعي شكل حكومة شيوعية في المجر ١٩١٩ بعد ختام الحرب مباشرة باعتماده على عودة الجنود المجريين الأسرى من روسيا بعد ثورة أكتوبر. إلا أن حكومته لم تدُم غير أسابيع. وطردت وهرب بيلاكون الى الإتحاد السوفياتي وغابت آثاره ولم يعد يسمع به.

بدأت صداقتي بهذه الشخصية النابغة الفذة في العام ١٩٢٤ وفي خلال المدة الطويلة من الصحبة والعمل معاً توطدت علاقاتنا وتقاربت وجهات نظرنا بشكلٍ وثيق، كثيراً ما كنتاً نتحدث في السياسة وكثيراً ما كان خلال ذلك يكيل النقد للرومانيين والچيكيين كيبلاً في حين يبدي إحتراماً لليوغوسلاف ولاسيما للصرب. كان وطنياً متحمساً يطوي أماً دفيناً لخسارة المجرّ معركة السلام في تريانون، شاكياً منها في أحاديث طويلة لا آخر لها. إلا أنه كان متفائلاً بالمستقبل. كان نشاطه وخفة ظله طبيعة فيه وخصوصاً جلدّه الفائق على العمل. ولم يكن هذا يجعله شخصاً انعزالياً أو مضجراً خلا مضابقتة لسكرتيره الشخصي رغم معاملته إياه برفق وإحترام. إلا أنه كان يتوقع أن يجده مستعداً للعمل ليل نهار. حتى إننا نحن أصدقاء تيليكي خلعنا على المسكين لقب (الشهيد). على إن هذا السكرتير كان شديد التعلق به وكان صادقاً في خدمته. تيليكي كان إنساناً مرحاً ظريفاً طيب المعشر الأمر الذي جعل العمل معه في تلك الأراضي الموحشة ممكناً رغم رتبته.

كتب تيليكي القسم الجغرافي من تقريرنا. ويمكن القول إنه كان نموذجاً لا يضارع في الدقة والموضوعية. كان قوي الشخصية جسدياً وفكرياً، لا يخشى قط التصريح بأرائه مهما علت مكانة مخاطبه. وكان مضرب المثل بأسلوب عرضه الشيق وغوصه في العمق دون أن يجرح عواطف محادثه مهما بعدت شقة الخلاف بينهما. في إحدى المرات أقدم على مبادرة خالفته فيها بل كانت مصدر إنزعاج لي إلا إنها لم تؤثر على ما بيننا من مودة.

لم تكن صحته على مايرام وبدا عليلاً. إذ كان يعاني مرضاً مزمناً في الكلى ويعيش بكلية واحدة الأمر الذي كان يلزمه جانب الحذر. إلا أن مرضه لم يقلل من نشاطه وحيويته، وكان صياداً ماهراً بوسعه أن يبقى غاطساً في الثلوج حتى الخصر بانتظار طريدته دون أن يتطرق إليه الملل. ومرة أصيبت كليته بالتهاب حادٍ ونحن في الموصل وأستبد بنا القلق الشديد على حياته.

بعد مرور سنوات أسندت إليه رئاسة الوزارة في بلده. وإليه يعود الفضل في استعادة المجر الجزء الذي فقدته في الحرب من رومانيا وسلوفاكيا، وبهذا تهيأت له الفرصة لقيادة شعبه وبلاده الى الخروج من المرحلة التي عرفت (بمرحلة الإهانة) ليعيد بذلك وحدة المجر. وقد بلغني إن الفضل في ذلك عاد الى دهائه ومهارته في المفاوضات^(٤) لم

٤- يشير السيد فيرسين الى العامين ١٩٣٩ و ١٩٤٠ عندما مزق هتلر أوصل چيكوسلوفاكيا =

يكن تيليكي من أولئك الذين يسعون الى السلطة أو المكاسب الشخصية بل كان يعكس ذلك كثير التردد في تسلّم المسؤوليات الحكومية وربما يعزى ذلك الى إعتلال صحته. كان موقف المجر في هذه الحرب الحالية^(٥) صعباً رغم مكسبها. وكان الوضع السياسي يوتر تأثيراً سلبياً على حالته النفسية وقد تفاقم هذا حتى عجز عن إحتماله بل كان فوق طاقته. وهو المعروف بمبدئيته الثابتة في الدفاع عن الحقيقة والتمسك بروح العدالة. لم يكن يستطيع أن يكيف نفسه للإعتراف بالأمر الواقع ولما بلغ مرحلة العجز التام عن تفعيل أرادته فيما يريد ووجد ان ما سعى إليه لم يكتب له التحقيق، قضى على حياته.

ترك تيليكي في نفسي ذكرى عزيزة للمجري الأصيل الرفيع القدر وتحلى بحيوية ونشاط الشباب وروح متحررة متسامحة وقدم لبلده أعظم الخدمات في اخرج الأوقات. كانت زوجته ترانسلفانية أيضاً لكنها من أصل ألماني ذات شخصية قوية إلا أن طبعها يميل الى البرود ولها شقيقة تزوجت من ألماني مقيمة في برلين هي أجمل واروع امرأة رأيتها في حياتي.

كان زميلي الآخر العقيد البلجيكي پاوليس من طينة مختلفة تماماً.

قضى في الكونغو سنوات عديدة ودأب على القول أن الكونغو من الناحية الحضارية أكثر تقدماً بكثير من بلاد العرب. خدم خلال الحرب في الجيش البلجيكي وحارب الألمان إلا أنه لا يكرههم بل لم يكن يخفى إعجابه بشجاعة وكفاءة ورفعته أخلاق الضباط الألمان. ولم يكن الأمر كذلك كما ظهر في ما بعد بل كان العكس.

بدا پاوليس للآخرين في الظاهر، فظاً غليظاً إلا إنه كان في الحقيقة إنساناً ضعيفاً. وقد تسبب ضعف شخصيته هذا بمشاكل عديدة لاسيما عندما وقع تحت تأثير الدعاية الأرمينية في الموصل. وكان يغير آراءه ومواقفه بسرعة. وقد كتب الجزء الاقتصادي من التقرير بدقة وموضوعية، متحاشياً دس آرائه الشخصية فيه كان في البداية متعاطفاً

= ومسحها من خارطة أوروبا إثر مؤتمر ميونيخ السيء الصيت. فكان أن أعاد إلى المجر ما سلخ منها في معاهدة الصلح (١٩١٩) كما تقدم. ثم أرغمت رومانيا على إعادة الجزء الذي أعطي لها في حينه، كل ذلك حصل في الوقت الذي كانت المجر حليفة ألمانيا النازية. إلا أن الزمن لم يطل ففي أواخر تلك السنة دخلتها الجيوش الألمانية وتيليكي رئيس للحكومة فما كان منه إلا أن أطلق النار على رأسه ومات منتحراً. وهذا هو ما يشير إليه فيرسين.

٥- يقصد الحرب العالمية الثانية.

مع الأتراك إلا أن موقفه تغير بتأثير الدعاية في الموصل.

وألحق بنا سكرتيران سياسيان بصفة مساعدين. مع إثنين آخرين أدنى منهما درجة ويبرز فيهم رودولو Roddolo المرشح الطيب المجلس إلا أنه كان محدود القابليات، وقد عين لفترة قصيرة وزيراً مفوضاً لبلاده في اوسلو بعد ذلك. المعاون الآخر هو الكونت پورتاليه Pourtalès السويسري الأصل إلا أن أسرته ذات طابع دولي. ربي في سويسرا وكان في شبابه ضابطاً ألمانيا، وله في إنكلترا أقباء كثيرون. لم يكن ذا كفاءة تذكر، لاسيما إذا قورن بأخيه الكاتب المعروف كي دي پورتاليه.

ووجدنا في كرامرز Kramers^(٦) الهولندي مترجماً بارعاً. ملماً إماماً واسعاً بجميع اللغات الشرقية لكن أرى أن أقر هنا بأني كنت أفضل عليه صديقي القديم كولمودين Kolmaodin. إذ سيكون مدعاة لارتياحي لو كان انضم إلي. فهو أيضاً خبير باللغات الشرقية متمكن منها الى درجة كبيرة.

ليس لدي الكثير عن الأشخاص الآخرين الذين كانوا في معيتنا. على اننا عثرنا عند وصولنا الى آسيا على طاه في غاية من المهارة، كان طاهياً للقيصر ولهلم عند زيارته القدس في العام ١٩٠٨. ولم يفقده تقدمه في السن قدرته على إعداد لذيذ المآكل.

تركنا جنيف الى لندن. وهناك أجرينا محادثتين كلا على حدة مع اوستن چمبرلين^(٧) ومع وزير المستعمرات إيميري Amery المفرط الذكاء. وكان من المحافظين المتعصبين في مفاهيمه. وقد تبين لنا من محادثتنا أن الحكومة البريطانية تفضل طريقة تقصي الحقائق على طريقة إجراء إستفتاء موقعياً.

هذا التصريح أعطانا السبب للإشارة فوراً الى أن اللجنة لاتقبل بأن يُحدد شكل معين لعملها وأن لها القدرة على اختيار أي سبيل للعمل تراه مناسباً أكان إستفتاءً أم غيره. ولم يواجه رأينا هذا أي اعتراض من الجانب البريطاني. وأقترحنا أن تعين الحكومة البريطانية مندوباً مساعداً. ثم غادرنا لندن كل الى موطنه للاحتفال بأعياد الميلاد مع عوائلنا على ان نلتقي جميعاً في القسطنطينية.

٦- ج. ه. كرامرز (١٨٩١ - ١٩٥١) أصبح فيما بعد من كبار المستشرقين كان آخر منصب أسند إليه كرسي الأستاذية للغتين التركية والفارسية في جامعة ليدن. راجع ترجمته في ص ١٢٥ ج ١ من ترجمتنا لكتاب تراث الإسلام. الطبعة الخامسة. أبريل ٢٠٠٠.

٧- Austen Chamberlain (١٨٦٣ - ١٩٣٧) وزير الخارجية حينذاك في وزارة ستانلي بالدين.

وأقامت الحكومة البريطانية وليمة غداء إحتفائاً بنا في أوتيل ريتز حضرها چمبرلين واللورد روبرت سيسل. كان هذا الأخير عبوساً جهماً إلا أنني أرغمته على الضحك كثيراً عندما سردتُ عليه مقاله لي طلعت پاشا^(٨) في العام ١٩١٥ حول مذابح الأرمن. في بوخارست إحتفلتُ بعيد الميلاد مع الأسرة ثم توجهت الى القسطنطينية قبيل حلول رأس السنة ورافقتني إبنتي وزوجتي التي اصطحبتها الى لندن، وكانتا ستسافران من القسطنطينية الى السويد.

وأذكر أننا إستقللنا السيارة عبر الدانوب. وعند (جيورجيو Giurgiu) إنقلبت بنا بسبب الثلوج وأستعنا بعدد كبير من الثيران لإخراجها فتأخرنا عن موعد إقلاع الباخرة. لكن توفرت لنا باخرة أخرى لعبور الدانوب وبلغنا مدينة روسيتسيوك Rusjtsjuk. مع هذا فقد وصلنا صوفيا متأخرين. إلا أنهم تطفوا فأخروا سير قطار الشرق السريع ساعة ونصف ساعة لألحق بزملائي الذين كانوا في إنتظاري. بدا غريباً أن أعود الى القسطنطينية.

قمت بزيارة لمبنى وزارة الحرب الذي أصبح الآن مقر قيادة الجيش والتقيت البواب الهرم الذي فرح بلقائي وعانقني بحرارة، وإستضافنا [غوستاف فالنبرغ] في المفوضية ورحب بنا وإحتفى بمقدمنا وأرانا من حسن ضيافته فنوناً ودعانا الى عشاء فخم وإحتفلنا بعيد رأس السنة في السفارة الأمريكية. وبعدها في نادي «حلقة الشرق» حيث كان (فالنبرغ) نائباً للرئيس. وفي الثالث من كانون الثاني غادرنا القسطنطينية بالقطار السريع الى آسيا والى أنقره بالضبط لإجراء مداولات مع الحكومة التركية. وقبل هذا أقيمت على شرفنا وليمة عشاء فخمة في أوتيل طوكاتليان قُدم خلالها ما لا يقل عن أربعة عشر صنفاً من أصناف الطعام. وهناك وقع نظري لأول مرة على النساء التركيات يرقصن بعد الفراغ من العشاء.

بدأت لي أنقره في العام ١٩٢٢ مدينة كئيبة مهملة قارية المناخ شتاؤها قارس وصيفها قائف تشكو من وباء الملاريا. إلا أن وضعها تحسّن كثيراً في السنوات الأخيرة بإجراء بعض الإصلاحات والتحسينات في مجال الزراعة بجهود معهد الابحاث الزراعية.

٨- (١٨٧٢ - ١٩٢١) أحد ثلاثي الإتحاديين الذين سيطروا على مقدرات الحكومة العثمانية طوال الحرب العظمى تولى رئاسة الوزارة في ١٩١٧ - ١٩١٨ وإغتاله أرمني في برلين ١٩١٨.

وحصل سوء تفاهم أثناء مداولاتنا وتبادل وجهات نظرنا مع الحكومة التركية شبيه بما حصل مع الحكومة البريطانية إلا أنه كان هنا أكثر خطورة الأمر الذي أجمنا الى أن نوضح بدقة وبشكل نافيا للجهالة الصلاحيات التي تملكها اللجنة.

تركز الخلاف على طريقة الإجراءات التي ستتخذها اللجنة في مسار عملها ومقدار ماتملكه من حرية، وما هو واجب الحكومتين في هذا المجال. وكانت الحكومة التركية تطلب أن يكون قرارنا النهائي مبنياً على الإستفتاء الشعبي وهو مارفضنا التقييد به مسبقاً إلا اذا وجدنا ذلك ضرورياً بعد المباشرة بعملنا. وبالأخير نجحنا في إقناع الحكومة بوجهة نظرنا لكن بعد صعوبة بلغت حد التهديد بمغادرتنا الأراضي التركية والعودة من حيث جئنا. وعلمت اللجنة قبل مغادرتها تركيا أن حكومتها قررت تعيين الجنرال جواد باشا مساعداً ملحقاً باللجنة وكان حينذاك قائداً للجيش المرابط في دياربكر^(٩) كما تقرر أن يرافقه خبراء تسهيلاً لمهمته.

كان جواد باشا أصدق وأنزه وأكثر إنسانية من أي شخص التقيته وعاشرته في رحلاتنا وأسفارنا. وكثيراً ماكنت أشاطره عربة القطار وقد خلف في نفسي أثراً عميقاً من صدقه ونزاهته. وسيبقى من بين الأتراك الذين لقيتهم وعرفتهم خلال اقامتي الطويلة في تركيا محتلاً أرفع منزلة في نفسي إطلاقاً.

بعد زيارة أنقره والمحادثات مع الحكومة. ركبنا قطاراً خاصاً عبر آسيا الصغرى وتوقفنا بعد ظهر اليوم في مدينة (قونية). وهناك إستقبلنا مصطفى كمال رئيس الجمهورية التركية. وكان متزوجاً وقتذاك. بادأتنا زوجته بحديث لطيف لم يشارك هو فيه ولم يتفوه بكلمة واحدة حول مهمتنا - مشكلة الموصل، فهو كرئيس دولة كان يرى أن هذا الأمر لايعنيه وإنما يعني وزراءه وعليهم تقع تبعات هذا الواجب، وواصلنا رحلتنا وممرنا من الباب الذي يعرف باسم (الباب الكيليكلي) المهيب الفخم وشاهدنا آثار حفائر الخنادق والإنفاق في مجرى الحرب. وتوقفنا بضع ساعات في مدينة (ادنه) بجوها القائظ الذي يختلف تماماً عن الجو القارس البارد في المرتفعات المحيطة به(قونية). وواصلنا السفر حتى (حلب) وأعجبنا بالسوق (البازار) الذي فاقت سعته وغنى معروضاته سوق القسطنطينية نفسها ثم حللنا بدمشق، وهي مدينة جذابة بياهاها الجارية بين الأرصفة والأشجار الكثيفة التي تحيط بها. ووجدنا متحفاً شرقياً ممتازاً

٩- كان بمنصب مفتش الجيش العام للمنطقة في الواقع.

أصيب بالعطب الكبير بقنابل الجنرال (ساراي Sarrails) ويقصف لأموجب له. وكان من المفارقات المضحكة حقاً أن نجد في فندقنا قبل إنطلاقنا نحو بغداد ممثلين عن زعماء قطاع الطرق الذين أستوفوا مبالغ معينة من الحكومة البريطانية كي لا يتعرضوا لنا بسوء. وغادرتنا دمشق الى بغداد وبينهما مسافة ألف كيلومتر يستغرق قطعها أربعاً وعشرين ساعة تقريباً. إلا أننا إستغرقتنا وقتاً أطول عند إنحرفنا عن الطريق. كان الطريق يمتد عبر أرضٍ مستوية مترامية والأمر يتطلب منا أن لانغفل عن التثبيت من سلوكنا السبيل الصحيحة. لم نلبث أن صححنا الخطأ وعدنا الى الطريق السوي.

كانت سفرتنا بالسيارة ووجدت نفسي مع الجنرال جواد باشا في عربة فارهة واسعة تسمح لنا بالإستلقاء. وكان في إستقبالنا عند الحدود العراقية صف من الهجانة لأداء التحية. وتناولنا فطورنا عند الضابط البريطاني المسؤول عن الحدود ثم واصلنا رحلتنا في أرضٍ مستوية تمتد لمسافة ألف كيلومتر حتى بغداد قطعناها بأسرع من قطع القسم الأول من رحلتنا. وفي بغداد نزلنا ضيوفاً على المندوب السامي ومعنا جواد باشا في حين أخذ مساعده الى مكان آخر.

المندوب السامي سر هنري دويس هو إيرلندي صعب المراس إلا إنه مهذب. حاول أن يرفع الكلفة وينشيء علاقة صميمة ولم يفلح. كانت زوجته في غاية اللطف والكياسة تعيش في جوٍّ من الفخامة كأنها عقيلة رئيس دولة يحفّ بها الخدم الشرقيون والهنود وقُدّمنا الى مستر جاردين الذي عينته الحكومة البريطانية ليكون ملحقاً بنا. وهو مساعد لوزير الأشغال العراقي السابق (صفي بك)^(١٠) الذي ضمّ ممثلاً للحكومة العراقية. لم يكن إنطباعتنا جيداً عن جاردين فقد كان ينتقدنا في الصحف الإنكليزية عندما تختلف وجهات نظره عن وجهات نظرنا.

في اليوم التالي قُدّمنا الى الملك فيصل وإستقبلنا بزِيّه العربي في قصر لاتبدو عليه مظاهر الفخامة. إلا أن قاعة الاستقبال كانت واسعة مؤثثة على الطراز الأوروبي. كان مع الملك ابنه الصبيّ وقد إستقبلنا وهو محاط بوزرائه. سيماؤه عربيّة أصيلة بأنف أقتنى يشبه منقار النسر وعينين سوداوين ولحية مدببة وشعر مفرقين يشيع فيهما الشيب وكان يعتمر بكوفيّة وعقال مزدان بحجر كريم، وقد بدا وسيماً كيساً رقيق الحاشية.

١٠- فيرسين يقصد السيد صبيح نشأت على ما أعتقد وقد تولى حيناً وزارة الأشغال إذ لم يكن ثمّ وزير بأسم (صفي) لا في تلك الفترة ولا قبلها.

وبين الحاضرين رئيس الوزراء ياسين باشا. وكان عقيداً في الجيش التركي وقد خدم تحت امرة جواد باشا.

بعد ترحيب حار وأحاديث ودية تطرق الملك الى موضوع مهمتنا وقال إن العراق لا يمكن أن يكون له وجود دون الموصل.

وكان لنا لقاء آخر مع الملك بعد أيام. في هذا المرة إمتد الحديث طويلاً وواجهنا عند عودتنا الى منزلنا الحادث الأول من سوء التفاهم ولم يكن الأخير من الأحداث التي عرقلت أعمالنا.

عرض علينا السر هنري دويس حلاً بخصوص مساعدين لجواد باشا، قال إنهما متهمان من قبل الحكومة العراقية. وإن أمراً بالقبض على أحدهما قد صدر بسبب قيامه بالدعاية للثورة. هذا الشخص هو صهر (للشيخ محمود) قائد التمرد والثورة ضد الحكومة ويدعى (فتاح بك). أما المساعد الآخر فهو يدعى ناظم بك. وأظهر (دويس) خوفه وقلقه من أن يستغلّ هذان حصانتهم للدعاية للثورة وقال إنه يدري بأن الحكومة التركية على معرفة تامة بماضيتهما ولذلك وجب أن يغادرا العراق فوراً وأن على الحكومة التركية أن تستبدلهم بأخرين. أسرعنا بالإجابة قائلين أن ذلك غير ممكن مع إستنكارنا قيام الحكومة التركية بتعيين خبيرين هما موضع شبهة عند البريطانيين، إلا أننا نرفض الإقتراح بإبعادهما صوناً لحيانا وإستقلاليتنا وكلّ ما فعلناه في هذا المجال أننا أحطنا جواد باشا علماً بالأمر وتركنا للحكومة التركية حرية التصرف.

في أثناء الحديث إعترض (جاردين) قائلاً، ربما تدخلت الحكومة العراقية ونفذت أمر إعتقال (فتاح بك) بوصفه مواطناً عراقياً. فكان جوابنا: أن فتاح بك هو من أهل السليمانية والسليمانية تقع في المنطقة المتنازع عليها. ولا يمكن أن تكون جزءاً من العراق قبل أن تقرر عصبة الأمم مصير المنطقة رسمياً.

وسببت هذه المسألة تبادل رسائل عديدة. إذ أن الحكومة العراقية فرضت عليهما ما يشبه الحجر في معسكر محاط بالأسلاك الشائكة وحاولنا كثيراً مع السلطات العراقية حتى أدى بنا الأمر الى التهديد. فأعيدت إليهما حريتهما. أوضحنا للسلطة بالأمان لدينا من تحديد تنقلاتهما بشكل مناسب خارج المنطقة موضوع النزاع إلاّ إنهما سيتمتعان بحريتهما الكاملة عند وصولنا المنطقة أي الموصل.

كانت فاتحة سيئة لعملنا ونحن في أوله. وقررنا اعلام عصبة الأمم بالأسبيل لنا إلاّ



الملك فيصل - من تصوير فيرسين - بغداد ١٩٢٥

مغادرة المنطقة إن لم يقدم إعتذار عن هذا السلوك. إلا أن المشكل تمّ حلّه بالتدريج (ظهر في الموصل بشكل آخر، بهيئة نزاع حادّ بيننا وبين السلطة هناك).

في اليوم التالي كان بين الذين دعاهم المندوب السامي للغذاء. الأنسة كترود بل وكان ظهورها ملفتاً للنظر وبدت بثوب أنيق شقراءَ رشيقة ذات عينين نفاذتين. ربما كانت حسناء في شبابها وقد قدرت عمرها بحوالي ٤٨ سنة إلا أنها كانت فوق الخمسين بكثير. هي مثال الإنكليزية المثقفة وكان حديثها ممتعاً للغاية. لم يكن صعباً علينا إكتشاف مكانتها الكبيرة ومقدار تأثير كلمتها في العراق وكان دويس يظهر لها المزيد من الإحترام كما كانت زوجته تعاملها بالتفات خاصّ ومودّة فاقت كلّ الحدود. يقولون إنها كانت السبب في إبعاد السرّبرسي كوكس سلف (دويس) عن العراق. والواقع إننا كنّا أمام شخصية أسهمت بدور هام في أن يعمل من ميسوبوتاميا مملكة مستقلة. وكانت تتمتع بمنزلة رفيعة عند العرب. وفي هذه البلاد التي ليس لأراء المرأة مكانة ولا شأن لها بالأمر العامة، كان دورها كبيراً في الحياة السياسية. إنها لم تتدخل مباشرة في عمل لجنتنا لكننا كنا نلاحظ تأثيرها في مواقف الحكومة هنا وهناك. كان بوسعها أن توصل إلينا بمهارة كلّ ما تودّ أن يبلغنا وتتعبق ميولنا ونقاط ضعفنا وترمي بكل ثقلها بشكل غير مباشر من الدعاية.

وجهت إلينا من فورها دعوة لمنزلها، المنزل الأنيق الذي إنعكست على محتوياته كلّ آثار أناقته وثقافتها وحاولت التأثير علينا لمصلحة العراق بصورة غير مباشرة. كانت في شكّ بأننا متعاطفون ومنحازون الى الأتراك الأمر الذي حملها على الإشارة بنوع من التهكم الى المساعدين الأتراك وقالت: ان فتاح بك الذي هو صهر الشيخ محمود قد يكون ذا نفع لكم يوماً ما مما حدا بزيميلي البلجيكي الى الردّ عليها بكل خشونة. فأسرعت لتغيير الموضوع بلباقة مدهشة، وانتقلت الى شؤون أخرى.

كانت في ذلك الحين موظفة لدى الحكومة العراقية. كما كانت سكرتيرة المندوب السامي. ورئيسة مديرية الآثار وتحديث عن جهودها في الكشف عن آثار هامة وإخراجها من تحت أطباق الثرى لترى النور ثانية. وحياتها هي قصة مغامرة كبيرة لا يضارعها فيها أي شخص آخر يملك صفاتها. والدها كان مزارعاً كبيراً وصاحب مصانع ناجح وهي بنت طبقتها الإجتماعية ربيبة النخبة من رجال السياسة، تكره الظهور وتبعد نفسها عن الأضواء وتعزى إنعزاليتها الى أسباب سياسية. مرّ عليها

طويل وقت لتستطار شهرتها وتُعرف على حقيقتها وهي ملمة إماماً واسعاً باللغات زاد من معرفتها بها عشقها للشرق، لها كلف عظيم بعلم الآثار. في شبابها أظهرت جراءة وإقداماً كبيرين في تسلقها جبال الالب مرات عدة إلا أن بلاد ما بين النهرين كان مجال إهتمامها الأكبر الآن. فهاهنا عاونت على ضمان عرش للملك وتتويجه وقامت برحلة عمل إلى الهند في محاولة التنسيق بين حكومة الهند وقيادة الجيش البريطاني في القاهرة قبلها، ونجحت في وضع قاعدة ثابتة لسياسة إنكلترا في الشرق الأوسط ومهدت لتطوير سياسة ناجحة للدعاية الخفية. وقد سكنت البصرة رداً من الزمن وعملت في ظروف بالغة القسوة. والظاهر إنها أوقفت حياتها لبلاد العرب ووجدتها.

عملت في البصرة مع السر پرسی كوكس الذي أصبح مندوباً سامياً في ما بعد. وانتقلت معه إلى بغداد في العام ١٩١٧ وهناك صمدت لفنون من المؤامرات والدسائس ووقفت حيناً موقفاً معارضة من السياسة الإنكليزية وحضرت مؤتمر الصلح في باريس عند بحث شوؤن الشرق الأوسط وكانت هناك عوناً للملك فيصل لم يثنها عن عملها معرفتها إستحالة تحقق الوحدة العربية ولم تترك الميدان كما فعل (لورنس العرب) وبقيت صامدة رغم معرفتها بأن الإنكليز لن يفوا بوعودهم والتزاماتهم. وإليها يعزى الفضل في كل ما تحقق للعرب بعد ذلك بدليل تثبيت الحدود العراقية آنذاك فقد رُسمت بحسب توجيهاتها ومن خلال هذه المرأة كان يُستشف ما يريده الأهالي فعلاً. وقد تحقق نصرها عند تتويج الملك فيصل وهو صنيعتها. كان قد اعتلى عرش دمشق أولاً إلا أن الفرنسيين طردوه فوجدت له عرشاً آخر تعويضاً عما فقده وكان نصرها الأخير هو فوز العراق بولاية الموصل.

إلا إنها كانت مريضة وبدأت صحتها بالتدهور ثم قضت نحبها بعد سنة واحدة، على إننا لم نتبين في حينه مبلغ تقدم العلة فيها إذ بدت لنا طافحة بالنشاط والحيوية، أو لعلها كانت تتظاهر بذلك؟

إستفدنا من أيامنا في بغداد بالتحدث إلى أهلها في الأسواق بغية جمع المعلومات حول أهمية الموصل الإقتصادية لبغداد، وزرنا مدارس منتظمة فعلاً لاسيما مدارس اليهود ومدارس البنات المسائية. وزرنا المستشفيات وكانت إدارتها بيد الإنكليز. وبكل ما عهد فيهم من نظام ونظافة. وهو ليس بالأمر السهل في تلك المناطق. وحضرنا يوماً سباقاً للخيل حضره الملك وولي عهده أيضاً. وتحدث خلاله مع زميلي العقيد

پاولس حول الحَجْر الذي فرض على المساعدين التركيين. قال الملك أن الحجر لصالحهما. إذ يمكن أن يتعرضا لإعتداء من الأهالي. أجاب پاولس إنه عملٌ غير مناسب وإن لم يطلق سراحهما فبوسع الحكومة التركية إذ ذاك الإدعاء بأن اللجنة لم تكن محايدة وترفض بالنتيجة العمل بأيّ قرارٍ قد نصل إليه إن لم يقع موقع رضی منها. كان وقع هذه الحجة كبيراً على الملك وبدأ مقتنعاً بها إذ قال: الحقّ معكم، وإنّتى بالسر هنري دويس وصار بكلمه بحدّة.

في تلك الأمسية كان لي حديث مع السر هنري دويس حول الموضوع بعينه وقال إن المسألة كلها سوء تفاهم ثم ذكر أن البريطانيين عقدوا معاهدة تحالف مع العراق لمدة أربع سنوات فيها وعدت بريطانيا بدعم العراق عسكرياً ومالياً. (هذا الدعم في الواقع إقتصر على إرسال بعض الخبراء والمستشارين فقط).

كانت المعارضة في البرلمان قوية ونشطة ضدّ المعاهدة. وراح بعض أعضائه الذين مثلوا مناطقهم ضحية اغتيال^(١١). وفي اللحظة الأخيرة تمت المصادقة عليها. وعهد الى ياسين پاشا رئيس الحزب الوطني بتشكيل الوزارة بموافقة السر دويس رغم حذر الآنسة (بل) منه. كان دويس يعلم جيداً أن ياسين پاشا يتآمر ضده، لكنه كان يفضل أن يراه في دست الحكم على أن يكون خارجه.

أضاف دويس قائلاً أن ولاية الموصل ليست بذات أهمية كبيرة لبريطانيا وأهميتها الاستراتيجية ثانوية بمقارنتها بأهمية قناة السويس. وعلى اللجنة أن لا تنظر الى قضية الموصل باعتبارها نزاعاً بين الأتراك والإنكليز وإنما هي معركة بين الأتراك والعراق. أراد أن يوضح هذه النقطة لنا بصراحة. ثم إنه تحدّث عن الشحنة بين شيعة الجنوب وأهل السنّة.

في اليوم التالي تسلّمنا مذكرةً إيضاحية دبلوماسية باللغة الإنكليزية بتوقيع الملك، تحدّث فيها عن الأوضاع العامة وأهمية ولاية الموصل للعراق. وكان واضحاً إنه قصد أن يطلع الإنكليز على هذه الرسالة التي وصلتنا عبر القنوات الرسمية.

في اليوم التالي زارنا رئيس الوزراء ووزير الداخلية الذي كان يتكلم العربية فقط. أما رئيس الوزراء الذي كان جنرالاً تركيا فهو يتحدّث بالإنكليزية والفرنسية بطلاقة. من خلال الحديث تبين لنا أنّهما لا يحتفظان للإنكليز بأي مودّة. وتحدّثا لنا أيضاً عن

١١- وقع إثنان من أعضاء المجلس التأسيسي ضحية إغتيال. وجرّت محاولات لإغتيال آخرين.

النزاع الشيعي السني، إلا أنهما إستدركا فقالا إن هذه النزاعات لم يعد لها ذلك الدور الهام السابق. وتطرقا الى مسألة المساعدين التركيين وهنا تدخل زميلي العقيد پاولس بصرامته المعهودة قائلاً "لا ترغمونا على مغادرة بلادكم للعمل في منطقة أخرى محايدة، ليس في امكاننا التعاون مع الحكومة الحالية والأفضل هو أن نقتراح تشكيل وزارة أخرى". عندئذ إنقلب هذان الوزيران اللذان أطلقا لسانهما السليط على البربرية الإنكليزية إنقلبا فجأةً الى إنسانين رقيقين وديعين بتأثير تهديدات العقيد پاولس طبعاً.

في عين هذا اليوم كان لي حديث مع السر هنري دويس. ومما قاله لي "لو إنكم لجأتم الى الإستفتاء الشعبي في الموصل وصوت المسيحيون هناك لصالح تركيا فإن ذلك يعود الى خوفهم ورهبتهم من الأتراك إن عادت الولاية التي تركيا وعلم بأنهم لم يصوتوا للأتراك".

كان پاولس في يومياته الشاملة قد أشار إلى أن مهمتنا لن تكون سهلة لو صرنا الى الإستفتاء العام، ولذلك أجرينا تعديلاً عندما كُنّا في لندن. ليقصر الإستفتاء على العناصر الواعية.

دعانا الملك بعد ظهر العشرين من كانون الثاني الى حفلة شاي. وإستقبلنا بمفرده وكان يرتدي ثياباً أوروبية وسلكننا عين الطريق السابق الذي كان يمرّ بالقرب من البناية التركية القديمة وقد حولت الى دائرة للكمارك وهي واحدة من البنائيات القليلة المبنية بالحجر في بغداد، تقف شامخة بين بيوت بغداد الطينية.

قرأ الملك كلمته بالعربية وقام بترجمتها ضابط النقلات العسكرية معرباً فيها عن أسفه لإزعاجنا. إلا أن مسؤوليته تضطره الى اعلامنا برأي الشعب من دون حاجة الى إقامة بيّنة. وكما سبق أن أكد بأن العراق لن تقوم له قائمة بدون ولاية الموصل وانه وبدون سكان تلك الولاية التي يبلغ عددهم الثمانمائة ألف سيكون العراق عاجزاً الى درجة كبيرة عن النهوض والمقاومة لاسيما من الناحية الإقتصادية، فمناطق الإرواء والسكك الحديد والنفط هي أمور ضرورية جداً للعراق.

مما أذكره إنني كنت أجلس على اريكة عن يسار الملك بينما كان زميلاي يقتعدان اريكةً مقابلة. وأذكر أن جرذاً صغيراً كان يستقر على مسند اريكتي ينظر اليّ دون خوف في الوقت الذي راحت مجموعة من الجرذان تتراكم على أرضية الحجر أمام

المشاهدين الصامتين.

كان الملك صريحاً أكثر من ذي قبل، تحدث عن العصور الطويلة من إضطهاد العرب على يد الأتراك، وعن محاولاته للتحالف مع الغرب أزاء تركيا في سبيل وحدة العرب. وإن هدفه كان قيام دولة عربية متحدة في بلاد العرب الآسيوية. إلا أن مجهوده هذا إصطدم بخلافات العرب بعضهم مع بعض وتكالبهم على السلطة. وذكر أيضاً إنه يريد عراقاً حراً تماماً حتى من النفوذ الإنكليزي. وراح بعيداً الى الحد الذي توعد بأن العراق سيولجأ الى وسائل أخرى من أجل وحدة الأرض العربية إن لم يؤمن الفوز بولاية الموصل. وقال إن هذا البلد العربي بحاجة الى المال. وليس بالإمكان أن ينتقل رأس المال الأجنبي إن لم تحل قضية الموصل لصالح العراق. ثم تحدث عن ثورة الشيخ محمود التي قامت ضده كما علمنا.

أجبت الملك ان اللجنة ستحاول جهدها أن تلتزم جانب الحياد ثم إنسحبنا.

في اليوم التالي كنا على مائدة عشاء رسمي بدعوة من الملك. وكان قد بلغه صباح ذلك اليوم نبأ وفاة حميه في مصر. فمال الى الغاء الدعوة إلا أن (الآنسة بل) تدخلت وأقنعتته بالعدول عما أنتواه، وتدخلت أيضاً عندما تقرر عدم تقديم الشمبانيا والمشروبات الروحية، فإقترحت تقديمها للمدعوين الأوروبيين فقط وعلى العراقيين منهم أن يقنعوا بالماء القراح لأن ذلك يستقيم وفرائضهم الدينية. على إنني لاحظت العراقيين وبأقداح الماء أمامهم، كانوا يخفون كؤوس الشمبانيا والويسكي تحت المائدة. ثم وبعد تبادل نظرات خاطفة مع الملك شرعوا يشربون علناً. وعند تقديم الشوربا وضع أمامي قدح من (الشيري) ويشاء سوء الحظ أن تسقط سداة القنينة في الكأس فمد الملك يده وأخرجه بأصبعه فلم أذق الشراب.

كانت الخدمة بالأصل بطيئة تبعث السأم. وفي العاشرة والدقيقة الخامسة عشرة ترك الملك المائدة. وقدمت لنا القهوة في عين القاعة حيث كانت الجرذان تسرح وتمرح على أرضيتها.

وإنكشفت لنا شخصية الملك المثقفة الأوروبية المحببة ولم يجز لسانه بحديث عن السياسة مطلقاً.

زرنا بعض المدارس اليهودية ووجدنا أن اليهود لم يتعرضوا للإضطهاد والملاحقة من قبل الأتراك إذ كانت علاقاتهم بهم طيبة أبداً وهم لا يتدخلون في السياسة ولا شأن لهم بالمعارضة.

وقمنا بزيارة عدد من رجال الدين المسيحيين، فحدّثونا عن مجازر تقشعر لها الأبدان إرتكبتها الأتراك أيام كانوا سلطّة. وقالوا إنّ مسيحيي الموصل أستثنوا من المجازر لأنّ والي الموصل لم ينفذ أوامر القسطنطينية ومنهم سمعنا بالآشوريين لأول مرّة. شعب صعب المراس بدون شكّ إلاّ إنه ملاحق من قبل الأتراك. وهم الآن يعيشون مبعثرين في منطقة الموصل. ويتولى السلطة الروحية والزمنية فيهم البطريرك الذي يأتي الى منصبه هذا بحكم الوراثة. وبتطيركهم السابق قتله الأتراك^(١٢) وأخوه المريض الذي عقبه توفي أيضاً. ولذلك تولى البطريركية (حفيدة)^(١٣) القاصر الذي كان يتلقى العلم في إنجلترا ولذلك شكلت لجنة من الروحانيين لتتولى الأمور الدينية نيابة عنه في حين أوكل للسيدة سورما ولاية الأمور الدنيوية وهي من أسرة البطريرك.

الآشوريون عشائر عديدة عاشت مستقلة في جبالها تدفع ضريبة العشر للبطريرك والحزبية للتترك سنوياً ولهم قوانينهم، وعاداتهم في منتهى البداوة. جزاء القتل الدية إلاّ أن لعائلة القتيل الحق في الإقتصاص من القاتل بقتله أو قتل أحد أقربائه. والسرقة جزاؤها الغرامة إلاّ أن جزاء الخيانة الزوجية الموت بلا أستثناء ويتم التنفيذ بيد من أرتكبت بحقه. والميراث للذكور فقط وليس للإناث فيه نصيب. في العام ١٩١٤ قاتل الآشوريون الترك الى جانب الروس. وعند إنسحاب روسيا من الحرب عادوا الى جبالهم. وفي العام ١٩١٨ عقدوا إتفاقاً مع الإنكليز وكانوا في نظر الأتراك عصاة متمردين يستحقون العقاب الأمر الذي أرغم قسماً منهم على الفرار والسكن في ولاية الموصل. بمختصر القول إنهم مجموعة من العشائر المشاكسة المحاربة.

لقاؤنا بالسيدة (سورما) كان في الموصل، كانت في الخامسة والأربعين من العمر امرأة ذات جاذبية بتربية إنكليزية كاملة. في أحد الأمسيات تناولت عشاءها معنا وسرعان ما نشأت علاقة صداقة حميمة بينها وبين خصمها السياسي الجنرال جواد پاشا الذي لم يضع وقتاً في إبداء إعجابه بها. كان قد تبادل الى ذهني قبلها أن لا يكون من المناسب الجمع بينهما لكن تبين لي بعدها أن الارتياح من اللقاء كان متبادلاً.

بعدها زارنا اللاجئين الآشوريون وخلقوا في أنفسنا إنطباعاً أليماً محزوناً. كانوا يتوسلون بنا ويلحون علينا بأن نعينهم على إيجاد موطن سكنى لهم. ووجب علينا أن

١٢- قتله سمكو الشكاك لا الأتراك.

١٣- بل هو أحم له.

نوضح لهم بأن ذلك ليس من صلاحياتنا وإنما لانستطيع عمل شيء في هذا السبيل أكثر من نقل طلبهم هذا الى مجلس العصابة. ندر أن صادفتُ في حياتي من فاق هؤلاء اللاجئين شقاءً وبوساً.

في عين الوقت وجدنا بعض هؤلاء قد جُند في الجيش العراقي وفي الجيش الإنكليزي وعرفوا بعدم إلتزامهم بانضباطٍ وبأنهم خطرون لا يؤمن جانبهم. وزارنا بعدها فريق من الأكراد من الحزب القومي. وهو حزب مُغالٍ في معاداة الأجانب وهدفه تحرير بلاده من النفوذ الأجنبي ثم إنه بعث بوفد إلينا لتسليمنا مذكرة بهذا الخصوص.

بالأخير كان لنا حديث مع السرّ دويس حول النفط. وهو يعتقد أن قضية النفط هي الأهم في القضية وإن على اللجنة أن توليه الجانب الأكبر من إهتمامها. لم يكن هذا صحيحاً في حينه فمسألة إستخراج النفط وإستغلاله تجارياً مازالت في المهد، والمجهودات التي تبذل آنذاك في هذا السبيل كانت في طورها البدائي، على إن أهمية النفط العراقي بدت فيما بعد كبيرة جداً بوصفه عاملاً يحسب له الحساب.

بعد بضعة أسابيع في بغداد تخللتها دراسات مضية وجدالات مع السلطة غادرناها الى الموصل في يوم قارص البرد وأنا أذكر ان المحرار كان يشير الى ١٤ درجة مئوية تحت الصفر وهو أمرٌ نادر جداً في بغداد وفي الصحراء نفق آلاف من الحيوانات بفعل الجمد ومات الكثير من شجر النخيل وعانى السكان كثيراً.

خصص لكل واحد منا عربة في القطار مع خادم وألحقت عربة إسعاف طبي بعربة الطعام. في ذلك الحين كانت السكة الحديد تمتد غرب دجلة عبر سامراء وتنتهي بشرقاط. وتمرّ خلال صحراء قاحلة موحشة لم تقع أعيننا خلال مرورنا بها على الشيء الكثير. وكانت النية متجهة وقتذاك الى مدّ سكة حديد جديدة شرق دجلة لتبلغ كركوك وأربيل وتمرّ خلال منطقة أكثر غنى.

جمدت أطرافنا من شدة البرد وكانت عرباتنا هندية الصنع تغطي نوافدها شبكة تمنع البعوض وكنت مشتملاً بمعطف من الفرو ومعتماً قبعة جلدية حماية لنفسني من البرد القارس. ولكوني رئيساً للجنة فقد نقلت الى عربتي مدفئة من عربة الإسعاف الطبية أشاعت الدفء فيها وكان يوجد في العربة حمام إلا أن ماءه إستحال الى قطعة صلبة من الجليد، والشاي الذي قدم لنا صباحاً كان بارداً أيضاً.

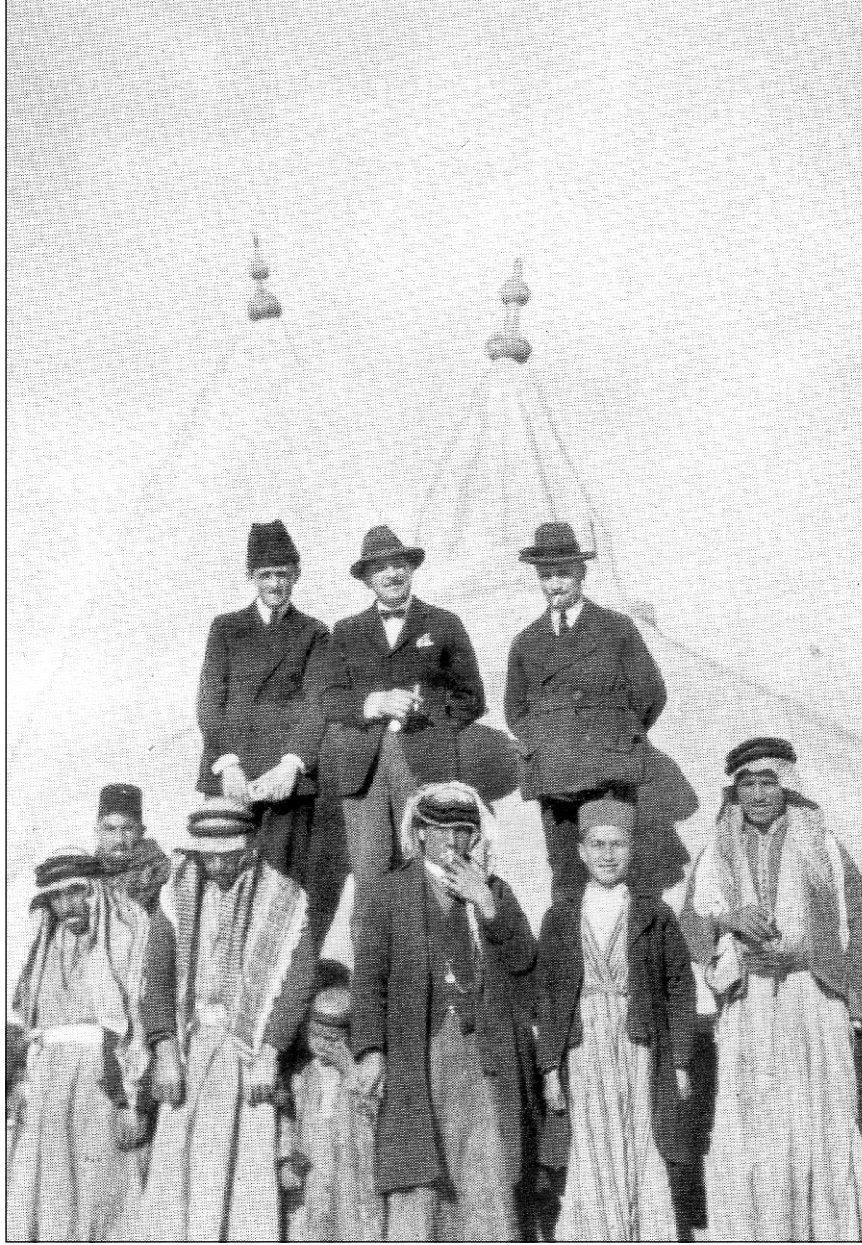
وظهر لنا فيما وبعد أن ما قاسيناه هنا لا يعد شيئاً مذكوراً أزاء ما كان ينتظرنا من

مصاعب ومتاعب تقاضت الثمن الباهظ من أعصابنا. كان يوسعنا أن نشاهد ماعرف بجبل حميرين من خلال النوافذ وهو المعلّمة التي كانت تريد تركيا أن تجعلها حدوداً طبيعية مع العراق. إلا أن الإنكليز كانوا يصفونها بمجرد كتيبان رملية. والحقيقة كان يتناصفها الجانبان فهذه السلسلة الجبلية تتطامن تدريجياً كلّما إبتعدت الى الشرق، فيختفي دجلة ولا تراه العين المجردة. والى الغرب كانت الصحراء التي تصلح لتكون حدوداً استراتيجية مفيدة.

دسائس في الموصل

وصلنا صباحاً الى مدينة الشرفاء، وهي من بقايا الإمبراطورية الآشورية وبعد بضع ساعات بالسيارة بلغنا مدينة الموصل ووجدناها أجمل بكثير من بغداد. كانت بناياتها حجرية وبعضها رخامي وتقع على الضفة العليا من دجلة مقابل نينوى الغابرة حيث يرقد يونان (يونس) النبي. وإني رأيت هناك والحق يقال نوعاً من الأسماك عظيم الجرم ينوء عاتق حمار بحمل واحدة منه وربما أمكن النبي يونس في حالات إستثنائية أن يخفي نفسه في أحشائها. لم تكن هذه الأسماك رديئة الطعم إلا أن شيئاً يشبه طعم الرمل يتخلف عنها في الفم.

بعد ظهر ذلك اليوم خرج الكونت تيليكي وجواد باشا مع بعض المعاونين للتجوال في أنحاء من المدينة فإنطلقت على الفور تظاهرات مؤيدة للأتراك فتدخلت الشرطة وعمدت الى تفريق المتظاهرين بالضرب وكانت أولى المتاعب التي أفضت الى نزاع خطير بيننا وبين الشرطة والسلطات الإنكليزية. وظهر الخلاف داخل اللجنة أيضاً عندما أبقى العراقيون أن يجتمعوا مع الأتراك على طاولة واحدة... إلا أننا تداركنا الأمور دون صعوبة تذكر. وخصص لنا منزل كان جاهزاً لنا عند قدومنا. وهو المنزل الذي إعتاد الملك السكنى فيه عند زيارته المدينة طابقه الأرضي ردهة واسعة تحتوي على غرف متقابلة على هيئة صليب وهو الجزء الذي خصص لسكنانا ولم تكن فيه مدافئ. خلا براميل كبيرة إسطوانية الشكل تخرج مداخنها من فتحات في الشبابيك وكان علينا أن نفتح النوافذ عند إيقادها. وزارنا المتصرف (المحافظ) والضابط السياسي الميجر لويد وعلمنا منهما إنهما تلقيا أوامر من بغداد تقضي بالقيام بتدابير حماية لأعضاء الوفد التركي ومن ذلك أن تبليغ السلطة بخروج الوفد ووجهته قبل ساعة من خروجه وأن الشرطة ستكون برفقته في هذه الحالة. وبأن لا يخرج جواد باشا وهو في بزته العسكرية. كما



أمام مسجد النبي يونس (القرية) - رودولو يتوسط الواقفين الى الخلف
(عين فيرسين)

صارحانا بأن إجراءات حازمة ستتخذ بحق كل من يحاول الاخلال بالنظام والأمن وإن المظاهرات ستقمع.

فأوضحنا لهما على الفور بأننا لانسمح مطلقاً بمثل هذه الإجراءات. وأملينا عليهما شروطنا: الحرية الكاملة للأتراك وإفساح السبيل لهم بالتجوال حيثما شاءوا ومن دون مرافقين. وأوضحنا لهم أن من حق الجانب التركي أن يحدد لنا شهوده وأن تبقى هوية هؤلاء سرية وطلبنا توفير كل الحماية للأتراك وبالشكل الذي لا يشعر به الأهالي. ثم نبهناهما بصراحة بأننا لن نبدأ بعملنا إلا بعد تنفيذ شروطنا هذه. عندئذ قال المتصرف والميجر إنهما سيتصلان ببغداد لعرض شروطنا.

في صبيحة اليوم التالي أخذتنا جولة عبر دجلة الى نينوى^(١٤) التي إختفت تحت تلال من التراب. وكانت قد جرت تنقيبات قليلة فيها. وجدنا أنفسنا أمام مظاهرة (مدبرة) ترفع الاعلام العراقية وقد إندس فيها عدد كبير من الأطفال راحوا يتعلقون بسيارتنا. وجدنا في هذا العمل فوضى وتخريباً متعمداً فقد كان للشرطة خيمة عند باب منزلنا وكان بوسع الحفر فيها أن يشاهدوا المتظاهرين بسهولة.

عندما كُنّا في نينوى أقبل علينا ضابط إنكليزي وسألنا نحن راضون عن التظاهرة. فأجبتنا أننا ضدّ التظاهرات إطلاقاً وهي غير مقبولة منا وليست بذات فائدة أصلاً وأنّ اللجنة تريد أن تقوم بعملها في جوّ من الهدوء.

كان موقفنا ثابتاً وأملينا على السلطة فتوقف كل شكل من أشكال التظاهر ولم يعد أحد يهتمّ بالغات نظرنا الى وجوده.

لم يبق من نينوى الغابرة شيء يلفت النظر. قيل لنا أن هذه المدينة في أوج عظمتها كانت من السعة والكبر بحيث يحتاج المرء الى أربعين يوماً ليقطعها من طرف الى طرف وفي هذا القول مبالغة كبيرة بطبيعة الحال.

رافقنا النائب البطريركي الكلداني ودعانا الى مقره وكان في غاية الترتيب والإنتظام تتوسطه حديقة تحيط بها أعمدة من الرخام المورّد.

ووجدنا بانتظارنا عند عودتنا برقية تتضمن الأجوبة عن الطلبات التي قدمناها للمتصرف وفيها أنّ سرّ هنري دويس وافق على شروطنا كافة بإستثناء مسؤولية الإجراءات المتخذة بحق مظاهر العداء للوفد التركي. كما تسلّمنا من أنقره برقية

١٤ - القصد قرية النبي يونس طبعاً.

إحتجاج على الإجراءات الإنكليزية المتعسفة ضدّ وفدهم ألقت كل التبعات في حماية مندوبيهم على الإنكليز.

وجدنا أنفسنا في وضع بالغ الحرجة بسبب سوء الفهم المتبادل بين الطرفين التركي والبريطاني. وفي اليوم التالي وصلتنا برقية من سكرتارية عصابة الأمم مشيرة الى الإحتجاج التركي إزاء ما تعرض له وفدهم في العراق.

أجبنا كلاً من جنيف وأنقره. بقولنا: إن لم تكن أنقره راضية عن الإجراءات الضرورية التي إتخذها الإنكليز لحماية الوفد التركي فلتأت هي لتحمل المسؤولية.

وبعد ظهر اليوم تلقينا رسالة من جواد باشا قال فيها أن الأشخاص الذين أقبلوا عليه للتسليم ولتقبيل يده أثناء تجواله في الموصل، تعرضوا للضرب والإعتقال.

وفي ٣١ من كانون الثاني وكان يوم أحد بدأ ممثلو السلطة في المدينة يتوافدون علينا وكلهم طلبوا بلسان واحد ان تحلّ مسألة الموصل لصالح العراق. فألقيت فيهم بالمناسبة خطبة قصيرة شكرتهم فيها على قدومهم مؤكداً بأن هدفنا هو التوصل الى حلّ عادل يكون في مصلحة الأهالي ونحن ننتظر منهم تسهيل مهمتنا. وأشارت الى أن للأطراف كافة الحرية في الإعلان عن آرائهم. وأن كلّ ملاحقة أو مضايقة لأي فرد من هذه الناحية ستؤدّي الى أوخم العواقب. وأعربت عن رغبتنا في أن ينأى الشبان بأنفسهم عن أي شكل من أشكال التظاهر.

القيت كلمتي باللغة الفرنسية وترجمت الى العربية أولاً ثم ترجمها الى التركية جواد باشا وكان بالزي العسكري والهدف ضمان الحق لكل إمراء في إبداء رأيه وإعترض بعضهم على الترجمة الى التركية قائلين إن الجميع يعرف العربية فأجبت إن الترجمة التركية ضرورية لينطبع في الذهن بأن لكل إنسان الحق في لإعلان عن رأيه في هذه القضية. ولم يصروا على موقفهم إلا أن الإمتعاض ظهر على بعضهم إذ وجدوا صعوبة في إخفاء مشاعرهم. بعد إلقاء خطابي قدّمت القهوة والسيكاير وكان جواد باشا من الحاضرين وبدأنا بأحاديث ذات طابع عمومي وصافح الجميع جواد باشا. وزارنا أيضاً وفودٌ ممثلون لمختلف الديانات وإستقبلنا في ذلك اليوم مائة شخص. ذكر لنا جواد باشا في ذلك اليوم أن مظاهرات إنطلقت في شوارع المدينة والمتظاهرون يرتدون زي أصحاب الوظائف. لكن إتضح في الحقيقة إنهم كانوا من الأرمن والجنود الآشوريين.

بعد الظهر خرجنا للتحقيق في مسألة المعتقلين الذين نوّه بهم جواد باشا ووجدنا طائفة منهم قامت الشرطة بإعتقالهم. وشاع الخوف في نفوس الشرطة من الموقف الحدّي

الغليظ الذي وقفه پولس. وحصلت في ذلك اليوم مظاهرات أمام دارنا إلا إننا رفضنا إستقبالها رفضاً تاماً.

إلا أننا شعرنا بأننا مراقبون من قبل الشرطة. ولم يقم مساعد الملحق البريطاني بأي إجراء رغم احتجاجنا وما كان بوسع أي أحدٍ مقابلتنا إلا بعد إجازة الشرطة وتسجيل إسمه. كانت الشرطة تسجل أوقات خروجنا وعودتنا وتعرضه على السلطة. وفي أثناء قيامنا بجولات في المدينة كان أفراد الشرطة ملازمين لنا وهم في ثيابٍ مدنيّة. وفي ساعات الليل كانوا يتجولون حول المنزل ويراقبون بصورة خاصة نوافذ الغرف التي يسكنها الأتراك. مع ذلك تمكن جواد باشا من تسلّم بعض الرسائل ملفوفة حول سيكاير. في اليوم التالي قمنا بجولة في المدينة وقادنا الدليل وكان من السذاجة بمكان الى منزل قال إنه مسكن قاطع طريق شهير قديم كان يسلب وينهب قوافل المسافرين. إلا إنه الآن وطني كبير^(١٥) عبرنا نهر دجلة وزرنا المسجد الذي يعتقد الناس هنا أنه مرقد النبي يونان وحاولنا أن نتبادل حديثاً مع إمام الجامع حول الأوضاع إلا إنه كان حذراً جداً. ولم يلفظ غير عبارة «إن شاء الله».

زودتنا زيارتنا بصورة غير واضحة عن الوضع وعلمنا من أصدقائنا العراقيين هناك أن جواد باشا شخصية لها مكانتها واحترامها هنا ولاخوف عليه من أن يتعرض له أحدٌ بسوء إلا أن الناس حاقدون على مرافقيه ناظم وفتاح بك.

ففي اليوم التالي طلبت مجدداً إيقاف تعقيب الشرطة لنا. إلا أن السيد جاردين قال إنه لا يستطيع ذلك قبل ورود جواب من أنقره لأن السلطة هنا لا تريد تحمّل مسؤولية تعرض الأتراك للخطر.

وإستغللنا اليوم وقمنا بجولة بالطائرة فوق منطقة الموصل، ذلك بسبب تعذّر مزاولتنا عملنا لتمادي الشرطة في مسلكها من مراقبة وتعقيب. وإستدعينا عدداً من الأشخاص للسؤال منهم عن الأوضاع وكان بينهم شخص هام جداً هو عضو في (حزب الإستقلال) وكان يؤيد الحكم العربي وهو يرى أن في وسع العراق الإستغناء عن المساعدة البريطانية. والأشخاص الذين إلتقيناهم كان لكل منهم موقف ومنطلق خاص وقلماً

١٥ - لاشك في إنه منزل (سعدالله توحله) الملقب في العهد العثماني بحرامي الموصل الكبير. تجد عنه الكثير في كتاب مهد البشرية (فصل الموصل) الذي قمنا بترجمته. وفي حينه كان المنزل يقع في آخر الطرف العمراني الشمالي من المدينة وهو أشبه بقلعة. وقد أدركنا صاحبه وعرفناه وهو حي ومنزله قائم.

وجدنا بينهم من ينطلق من ناحية حيادية بل كانوا على الأغلب يعبرون عن دوافع شخصية وبعضهم قال إن شكل الحكم لا يهّمه وهو يهتم فحسب بأن يجد ما يأكله. في الثالث من شباط قمنا بزيارة ثانية للمتصرف ودار الحديث حول أمور عامة لاعلاقة لها بالوضع، والتقيننا في مكتبه بالميجر لويد وكان يزاول المحاماة في ويلز إلا أنه جاء الى بلاد ما بين النهرين أثناء الحرب وبقي.

في مساء ذلك اليوم تلقينا رسالة طويلة من السيد جاردين جاء فيها أن هناك إلتباساً في مسألة مرافقة الشرطة ومطالبتنا بإزاحتهم. أتريد اللجنة نفسها أن تطلع بمسؤولية حماية الأتراك الأعضاء في لجنتنا؟

وجدنا من المتعذر القيام بتحقيقات جدية في الموصل يمثل هذه الظروف لذلك تقرر أن تنشعب اللجنة الى عدة مجموعات، كلّ شعبة تقوم بعملها على وجه الإستقلال وبهذه الصورة كنّا نأمل إجتناّب مراقبة السلطة.

واصلنا أحاديثنا مع بعض الشخصيات البارزة وحصلنا على معلومات جديدة حول الوضع. كما تلقينا معلومات عن تلك الإجراءات التي كانت سبب إنزعاجنا ومضايقتنا علمنا مثلاً أن عدداً كبيراً من الأشخاص تلقوا مالا عند زيارة الملك للمدينة فضلاً عن زيارة قام بها المندوب السامي بعدها بمدة قصيرة ومعنى هذا أن السلطة وزعت رشاًوى للتأثير على الرأي العام لصالحها.

أرسلنا إثنين من سكرتيرينا ليقوما بجولة بالطائرة لغرض فحص الطبيعة حول الموصل وإستقبلنا وفداً مكوناً من أعضاء ينتمون الى ما عرف «بلجنة الدفاع الوطني». ووردنا من أنقره برفقية هي جواب على إقتراحنا بحماية الأتراك ولم تكن إجابة معقولة، فرددنا برفقية إفتراضنا فيها إنهم متفقون معنا ولم نطلب منهم جواباً.

بعد الإعلان عن تأليف لجنة الدفاع نظمت تظاهرات تحت نواذ مقرّنا دون إجازة من السلطة التي سمحت بها ولم تتدخل.

زارني في هذا اليوم شخص هام جداً هو المونسنيور بيريّه M. Berrê رئيس أساقفة بغداد والقاصد الرسولي وهو راهب دومينكاني سابق. وكان برفقته إثنان من طائفته وهو يبلغ الستين من العمر وقد قضى في البلاد مدة طويلة وتعرض لمحاولات إغتتيال عديدة من قبل الأتراك وشاهد عن كثب المجازر التي تعرض لها الآشوريون. وجدته إنساناً بالغ الذكاء والظرف وأهلاً لكل إحترام، والكنيسة التي كان يسكن فيها هي من أفضل الأمكنة التي كنا نعيشها لنستمتع بأطيب الطعام الذي كان يقدم من شباك

صغير في الحائط تعده الراهبات اللاتي خصص لهن جناح فيما يلي الجدار. كان (بيريه) إنساناً عالي الثقافة وقد زدنا بمعلومات مفيدة جداً حول أشخاص يمكن الاستفادة منهم في جمع المعلومات.

في اليوم التالي قال لنا جواد باشا أن الأتراك ينوون القيام بمظاهرة وسيخرجون الى الشارع بسلاحهم وقد تكون العواقب وخيمة. كان جواد باشا يتحدث الى زواره بوساطة مترجم فهو لا يتكلم العربية وسكان الموصل هم عربٌ تقريباً - قلنا لجواد باشا أن يطلب من أصدقائه المحافظة على الهدوء ويحاذروا القيام بأي عمل يؤدي الى الإخلال بالأمن والنظام ويثير الإضطراب.

في ذلك اليوم الموافق للسادس من شباط وردتنا من السر دويس برقية تتضمن إحتجاجاً وصله من رئيس الوزراء حول بعض الأسئلة التي وجهناها أثناء مقابلاتنا. فأجبناه شاكرين أولاً ثم رجونا أن يبلغ عنا رئيس الوزراء بأن من حق اللجنة وواجبها القيام بتحقيق جذري حول كل الأمور المتعلقة بمستقبل المنطقة المتنازع عليها وإنها ترفض أية محاولة لعرقلة أعمالها. ولايسعها هنا إلا ان تبدي دهشتها من كيفية وصول الأسئلة السرية الى رئيس الوزراء بعد تحريفها لتتسبب في هذا الإحتجاج ووجهنا تانياً شديداً للحكومة.

في عين الوقت جاءنا مستر جاردين وطلب منا كتابةً ايضاحات حول سفراتنا قائلاً إنه على علم بقرب تركنا المدينة والقيام بجولاتنا وستسعه معرفة التفاصيل في كيفية قيام اللجنة بالعمل مع مساعديها الأتراك والإنكليز والآخرين الذين سيرافقوننا وان ذلك ضروري من أجل النهوض بواجبه على الوجه الأكمل وكذلك ليوضح لحكومته بأن الصلاحيات والامتيازات الممنوحة للطرفين المساعدين التركي والإنكليزي ستكون متساوية. كما سيكون من الضروري أن يخطر السلطة بالأمكنة التي سيتوجه إليها الأتراك أعضاء الوفد للقيام بحمايتهم. وزاد شفهاً قوله أن الشرطة يجب أن تقوم بالتدابير المقتضية لحماية أعضاء اللجنة ومن الضروري اخبارها بوجهتنا كي يؤمن لنا حماية مرافقة من الشرطة.

رفضنا فوراً هذه الشروط وأوضحنا قائلين: لو أن الحبير المساعد البريطاني كتب لنا تحريراً بأن السفر الى مناطق في ولاية الموصل غير آمن فإننا سنلغي سفرنا. وأضفت بوصفي رئيساً للجنة بأننا سننهي مهمتنا لو استمرت هذه القيود التي تعيق عملنا.

وسنبعث بتقرير لعصبة الأمم نذكر فيه أن العمل في ظلّ هذه الحكومة غير ممكن. أخرج مستر جاردين تماماً. فأردف يقول ان الحكومة البريطانية حملت على عاتقها أمام العالم أجمع مسؤولية حمايتكم. قلنا لو تحملنا نحن مسؤولية حماية أنفسنا فلا أحد في العالم يستطيع أن يلوم البريطانيين لو حصل لنا أمر مكدر. وعقب ذلك نقاش، أقمنا فيه على رأينا بإصرار. وختم مستر جاردين الحديث بالقول إنه يتعذر عليه القبول بما قرّر رأينا عليه ويرى من الضرورة بمكان أن يبرق بذلك للمندوب السامي ليأتي بنفسه غداً بالطائرة الى الموصل.

بعد هذا اللقاء العاصف المتوترّ للأعصاب كان لنا لقاء آخر مع السيدة (سورما) قريبة^(١٦) البطريك الآشوري إستقبلتنا مرحبةً بحرارة ونفضت همومها حول مستقبل الآشوريين، وفي المساء طلبنا من مستر جاردين ان يبلغ السلطة الأوامر بالكف عن مضايقة الوفد التركي ومنحهم الحرية الكاملة.

وفي السابع من شباط كانت هناك مناقشة حامية بين الكونت تيليكي والعقيد پاولس حول تنظيم الرحلات وكلّ يصرّ على موقف معين.

أوضح تيليكي إنه ربما نجم إشتباه أو فسّر بشكل مغلوط إنطلاقنا الى قصبات الولايات هكذا دون مظاهر رسمية ومرافقين حكوميين فيشاع بأن الوفد ليس كما ذكر عنه من مقام رفيع بظهورنا بهذا المظهر المتواضع. ورأى ان ترافقتنا كوكبة من الخيالة عند دخولنا المدن وبأبهة تتفق وما تعودته البلاد الشرقية. والأمر الوحيد الذي نرفضه هو أن لا تكون الشرطة برفقتنا أو أن يحوموا حولنا عندما نقوم بتحقيقاتنا في القرى مع السكان. هذا الإقتراح الأخير ورد من العقيد پاولس وقبل بالاجماع.

ووصل السر هنري دويس بعد ظهر اليوم جواً. ورافق هبوط طائرته هبوب إعصار ثلجي أدى الى ارتطام الطائرة فأصيب مقدمها ببعض الأضرار. كما خدش أنف السر دويس وجرح ووجب أن يأخذ قسطاً من الراحة قبل الإجتماع به فتأجل إجتماعنا الى اليوم التالي.

ووصلتنا إنذارات متتالية. وجاءنا جواد باشا عصراً ليعلمنا بأن الأشخاص الذين زاروه يومذاك جرى إعتقالهم في عين الليلة. فأكدنا له أننا سنتخذ التدابير لإطلاق سراحهم وقام العقيد پاولس بزيارة لدائرة الشرطة وألقى الرعب في نفوسهم - طالبهم

١٦- عمته أخت أبيه.

بمعلومات عن الذين أعتقلوا وعن السبب في إعتقالهم. وبعدها تم إطلاق سراحهم. إلا أن الشرطة كانت تتضايق منّا كثيراً وقد تبين ذلك أثناء إجتماعنا بالسر دويس في اليوم التالي. كُنّا قد طلبنا من مستر جاردين معلومات عن سائر الإعتقالات فردّ برسالة لم تقع منّا موقعاً حسناً. ثم علمنا فيما بعد أن المعتقلين كانوا يحملون أسلحة فوجدنا للإعتقال مبرارته.

وبدا اليوم التالي الأحد وهو الثامن من شباط أكثر درامية من أي يوم آخر في الموصل إذ كان نقطة انعطاف في أسلوب تعامل السلطة معنا. يوم شتوي جميل غطت الثلوج فيه وجه الأرض والسماء صافية مشمسة. حيث تم إجتماعنا بالسر هنري دويس وتقرر حضور جواد باشا فيه. وأذكر من ضمهم الإجتماع خلافاً للسر هنري وأعضاء لجنتنا الثلاثة، المندوبين التركي والبريطاني، وكاتب طابعة إنكليزي، وسكرتيرنا رودلو والكونت پورتاليه. كان واضحاً ان السر هنري يتقصد الظهور بمظهر المهادن المسترضي قال: يفترض ان تسمح اللجنة للسلطة بأن ترشدها وتتولى قيادتها وان القوانين العراقية يمكن أن تطبق على كل من يحاول بالقول أو الكتابة أو الإشارة القيام بأعمال تؤدي الى اقتطاع اي جزء من أراضيهم وضمه الى دولة أجنبية وان فيها أحكام سجن طويلة الأمد.

أجبتة أن هذه القوانين لا يمكن تنفيذها بحق الأشخاص الذين يدلون بأرائهم لنا. ونحن نعمل بموجب الصلاحيات الممنوحة لنا من قبل عصبة الأمم وهي تعطي الحق لكل إنسان في الإعلان عن رأيه في هذه القضية مادام النزاع على الولاية بين الدولتين قيد النظر.

قال السر هنري دويس ان تحقيقاتنا جرت بأساليب پوليسية. فما كان علينا أسهل من الإجابة على هذا بقولنا: نحن لجأنا الى هذا الأسلوب وهو الوحيد المتاح لنا لنتجنب مضايقة الشرطة لنا ومدخلاتها. وأوضحنا بأن كل من زار جواد باشا تعرّض للإعتقال وإننا منذ أن وطئت أقدامنا الموصل ونحن نقدم الإحتجاج تلو الإحتجاج على هذه الإجراءات التي صرنا هدفاً لها حتى بدأ إنطباعاً يترسخ في أذهاننا بأن الأمور لن تتحسن بل تسيير من سيء الى أسوء وبأن الحكومة العراقية تعرقل أعمالنا وتعادي على حياتنا بكل الوسائل المتوفرة لديها لذلك صممنا على وقف عملنا والكتابة بهذا الى جنيف في حالة إستمرار السلطة المحلية على هذا النهج. والمندوب السامي يعلم جيداً كيف سيبدو عند هذا موقف العراق وبريطانيا ومكانتهما لو أرغمنا على ذلك.

عند ذلك لجأ السر هنري دويس الى مدفعيته الثقيلة بقوله. أن هوياتكم أنتم أعضاء اللجنة بقومياتكم المختلفة وميولكم الخاصة هي التي جعلت مهمتكم صعبة فقد تم انتقاؤكم من قوميات مختلفة. واحدٌ منكم من الدول المحايدة وآخر من دول الوسط وثالثكم من الدول الحليفة فإن انشعبت لجننتكم وإنفرد كلُّ شعبةٍ بتحقيقاته، فإنكم ستشقون للإنحياز طريقاً.

تدخلتُ من فوري وأجبتُه أرى واجباً عليه أن يقدم ماقاله كتابةً. فنحن لانسمح له بادعاءات كهذه. وإنجلترا العضوة في عصبة الأمم كان بوسعها ان تعترض على تأليف اللجنة بقوامها هذا. ومادامت وافقت عليها في حينه فليس بإمكانها أن تفعل شيئاً الآن. وأن كان لديكم شكوك وتظلم من أي ناحية تجدونها سلبيةً فالأحرى بكم أن توجهوها الى مجلس العصبة. نحن مكلفون من قبل مجلس العصبة وملتزمون ازاءها وليس ازاء اي سلطة أخرى!! ثم أضفتُ الى هذا قولي « لو أن المسألة طرحت بهذا الشكل مرةً أخرى فستنجم عنها عواقب وخيمة» ورأيت من المناسب أيضاً أن أهدهه بإنسحاب ثلاثتنا من اللجنة.

كان وقع كلماتي شديداً على المندوب السامي أمام دعم زميلي التام لموقفي مع إنني لم آخذ رأيهم مسبقاً.

أذكر ان الكاتب الإنكليزي ت. ب. كاويل ايثانز T. B. Cowell Evans الذي كان سكرتيراً خاصاً لوزير الزراعة البريطاني نوّه بهذا الحديث في كتاب عنوانه مجلس العصبة في ميدان العمل The League Council in Action كما ذكر السر اوستن چمبرلين في كتابه أن رأيه يتفق ورأي كاتب هذه السطور.

ويمكن القول أن جميع العقبات أزيحت عن طريقنا بعد هذا الشجار الكلامي. وان لقينا بعض التجاوزات بسبب غياب السلطة العراقية وأقمنا دعوة عشاء مساءً حضرها بعض الضباط والموظفين. وكان لي حديث طويل في ضحى اليوم مع السر هنري. ذكرته فيه بجديّة - بواجبه كمندوب سامٍ محايد. وأظنني وفقت في إيصال أفكاري الى الهدف وبأسلوب الملاينة والمصافاة إلا إنه بشكل جازم فبانت عليه علائم الخجل واضحة.

بعد إجتماعنا هذا شعرت أنا وزميلاي بأننا عملنا كل ما هو ضروري لتأكيد مكانتنا عند الطرف الآخر الذي كان يريد التأثير على حيادنا بإستهانتته بعصبة الأمم.

لا أتذكر الحديث بتفاصيله لكنني أذكر أن كل محاولة للتأثير على حيادنا قد توقفت

بعد ذلك وأن جميع العراقيين التي أعاققت عملنا زالت. وقد إستغرق الحديث وقتاً طويلاً بحيث لم يعد لنا وقت كاف لتغيير ثيابنا. وإستقبلنا ضيوفنا بالثياب التي إرتديناها صباحاً. الأمر الذي أثار دهشة كبيرة عند المدعويين وقد حضروا بالحلل الرسمية.

بعدها بقليل وردتنا أنباءً تشير بأن لجنة الدفاع الوطني التي كانت في الحقيقة عصابة من المتطرفين، تنوي القيام بتظاهرة إحتجاجية ضدنا. فابلغت مستر جاردين بهذا وأشرت عليه بوقفها إذ سيكون ذلك سبباً لاستيائنا الشديد. فأسرع لتلبية طلبنا وقد لاحظنا بأنه أصبح مهادناً ليّن العريكة بشكل ملحوظ.

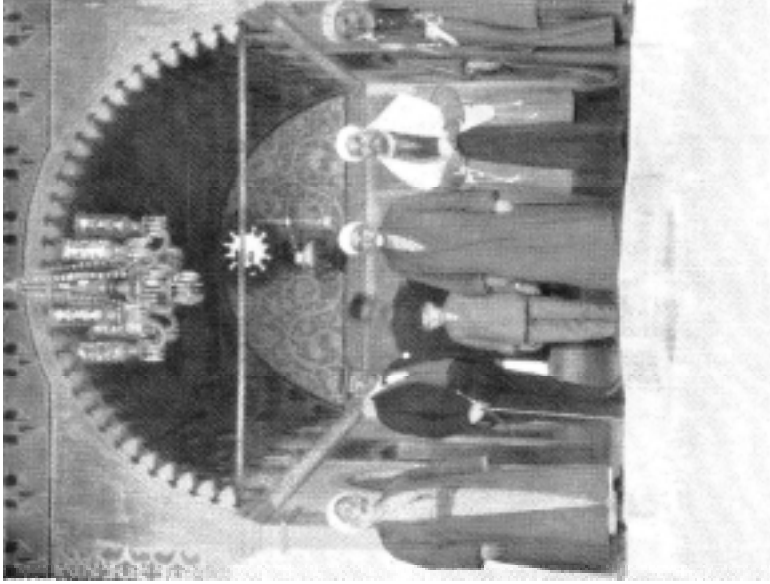
وتهيأنا للسفر خلافاً لما أشار به السر هنري وجاردين. لكننا حظينا قبل سفرنا بزيارة من (عجيل) شيخ عشائر شمّر. وجدته رجلاً رائعاً بمظهر جذاب وبقدرة على التعبير جعل سماعي اللغة العربية متعة حقيقية، إنطباعي عنه أنه شخص غير موثوق به تماماً.

قال ان عشيرته التي تنتشر في منطقة واسعة عانت الأمرين من موجة البرد. وقد نفق جراء ذلك ثمانون بالمائة من الجمال التي تملكها عشائره مع عدد كبير من الأغنام. تقع مواطن العشائر جنوب الموصل وتنتشر على ضفاف الفرات وكانت قبل الحرب تنتقل الى الشمال بعيداً، لكن منطقة تجوالها إقتصر على ولاية الموصل الآن وهي تمارس تجارة واسعة للأغنام مع سورية وتتجرّ بالجمال أيضاً حتى مع مصر.

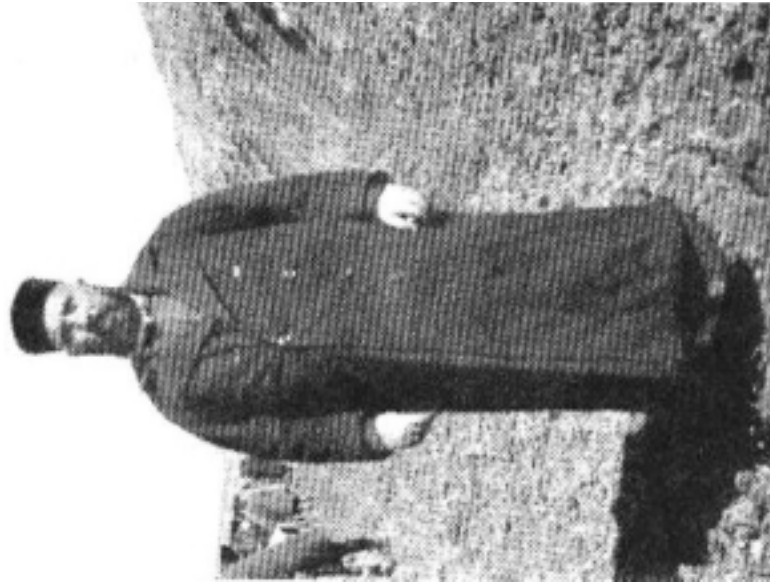
أيد الشيخ تركيا في مبدأ الأمر إلا انه تحول الى الجانب الآخر فيما بعد. لكنه قال ان الموصل يجب أن لا تعطى لا للعراقيين ولا للترك بل للعرب لأنها بلادهم.

وفي المساء حزمنا حقائبنا وقد قرّر عزمنا على ترك الموصل مؤملين أن تهدأ النفوس خلال فترة غيابنا.

وأنا بوصفي رئيساً للجنة قررت البقاء في الموصل مع المندوبين التركي والبريطاني جواد پاشا وجاردين والسكرتير الأول رودولو وأواصل تحقيقاتي في المناطق القريبة من المدينة على ان نجتمع في كركوك. ومنها ننطلق الى السليمانية. وتقرر أن يقوم الكونت تيليكي مع أحد المساعدين الملحقين ومترجم - بزيارة أربيل وهي (أربيل القديمة) وتقع بالقرب من ميدان تلك المعركة التي حقق الإسكندر إنتصاراً ساحقاً على داريوش في موقع گوگمبله. وتقرر أنه يسافر (پاوليس) الى كركوك ليقوم بتحقيقاته هناك ويرسل برجلين الى كفري. وكركوك مدينة تحفّ بها طرق برية هامة جنوباً بين أربيل والموصل. وتقرر أن نجتمع في كركوك في ٢٥ من شباط ومن هناك ننطلق معاً الى السليمانية.



ملا أفندي وإبنه عزالدین فی الوسط یقف بینه و بین فیرسیین
(عن فیرسیین)



راهب کلدانی - إلتقطها فیرسیین

تحقيقاتنا في منطقة الموصل

عبدة الشيطان

في رحلاتنا التي قمنا بها لمختلف أنحاء الموصل لاحظنا أن مطلبنا التخفيف من مراقبة الشرطة قد أخذ بنظر الإعتبار. وأن المضايقات التي تعرضنا لها سابقاً قد توقفت. مرةً حاول ضابط بريطاني تعيين جاسوس عندنا بوظيفة طاهٍ فباعت محاولته بالفشل وحاول ضابط بريطاني آخر أن يحول دون قيامنا بتحقيق مع جاسوس من سلك الشرطة إنتحل اسماً غير اسمه الحقيقي، فخاب سعيه هو الآخر.

على إنه يتوجب بصورة عامة أن نتقدم بالشكر للسلطات الإنكليزية لحسن تعاونها معنا ولمرونة مواقفها. كما وجب الشكر أيضاً للسلطة العراقية لتعديل موقفها بعد ضغوط بريطانية.

كما قلتُ. بقيت أنا في الموصل لأقوم ببعض الرحلات في المنطقة علقتم ذكرها في ذهني بسبب طرافة ماتخللها من أحداث.

تقع مدينة تلعفر على مسافة تقل عن مائة كيلومتر غرب الموصل. ومعظم سكان البلدة من الأتراك الموالين لتركيا. وقد واجهتنا عند دخولنا تظاهرة لصالح الأتراك وتابعتنا بهتافات وصراخ منظم رتيب. وعندما دخلت على القائمقام أشتمت ضجيج المتظاهرين بمظاهر من العداة للسلطة.

سألت القائمقام بماذا يهتفون؟

أجاب أنهم يهتفون «عاش الملك فيصل».

فأدهشني الجواب، لأن التعابير المرتسمة على الوجوه كانت تنم عن شيء آخر. فإثنت إلى مترجمنا فوراً وسألته عن الهتاف فأجاب: انهم يهتفون عاش مصطفى كمال. عاش بطل الاسلام».

والترجمة الأخيرة كانت الترجمة الصائبة بلاشك، فقد أظهرت نتائج الإستفتاء ان الأكثرية صوتوا لصالح تركيا. إلا أن البلدة في الواقع كانت بمثابة واحة في بيداء عربية شيدت لتكون قاعدة عسكرية على طريق الجيش الذي امتد حتى أربيل وكركوك شرق دجلة. ومعظم سكانها هم أحفاد الأتراك المهاجرين الذين بقوا موالين لتركيا دائماً.

والى مسافة أبعد نحو الغرب بما يزيد قليلاً عن مائة كيلومتر من الموصل، يقع جبل سنجار معقل عبدة الشيطان. كانت اللجنة قد زارت البلدة الرئيسة لعبدة الشيطان هؤلاء في الشيخ آدي. وهناك أتاحت لنا فرصة أكبر لدراسة هذه الطائفة الجالبة للإهتمام.

قبل ذلك قمتُ بزيارة لبلدة (آكره) أو (عقره) كما تلفظ بالعربيّة. وهي بلدة جميلة تقع شمال شرق الموصل، وتبعد بمسافة بعيدة الى حدّ ما شرق الزاب الكبير وكان معي عشرة من رجال الشرطة العراقية. عندما إتجهنا الى ميدان عقره، إكتشفت لتوّي إنني حللت بلدة جميلة ذات مناظر ساحرة تجثم فوق موقع رائع. بنيت بيوتها على شكل مدرجات بحيث يقوم سطح منزل منخفض بمثابة طريق مؤدية الى منزل أعلى وهكذا. وجدت في الساحة عدداً يقارب المائتين والخمسين من الرجال الذين بدوا وكأنهم قطاع طرق، معظمهم كان مسلحاً ببندقيتين وبعضهم كان معه تابع مسلح. ملأوا الساحة تماماً وأخفى حراسي من الشرطة أنفسهم في سرداب ولا أدري أكان منظر هؤلاء هو السبب أم لأن الأوامر صدرت إليهم بعدم التدخل عند إجراء تحقيقاتي مع الأهالي كما طلبنا. لن أدهش اذا كان الخوف هو العامل الرئيس لإختفائهم. إختفوا ولم يظهروا إلا بعد أيام عندما تهيأت للعودة. وكانت إقامتي عند القائمقام الذي شاء لطفه الزائد أن يصنع لي أريكة مغطاة بلوني العلم السويدي. كما قام بصنع ما سمي بغرفة (التواليات) على شكل كوخ صغير غطاه أيضاً بلوني العلم السويدي.

كان ترجماني قسّ كلداني، شخص ذكيّ واعٍ لطيف المعشر. إن التحقيقات التي قمت بها مع هؤلاء القراصنة كانت طريفة حافلة بال نوادر. كانوا بغاية الأدب يقفون أمامي بكل إحترام إلا أن امزجتهم كانت تطفو على السطح عندما أبدأ حديثي معهم.

سألت أحدهم وكان وجهه يبدو بحق كما تتصوره لواحد من الشقاة:

- ماذا تفضل؟ تركيا أو العراق؟

فأجاب بكلّ صراحة:

- أفضل أن لا تكون هناك حكومة أبداً، فكل حكومة لها عين العادة السيئة وهي التدخل في شؤوني الخاصّة.

وقصده طبعاً أن الحكومات تحرمه مصدر دخله الذي يعتمد على السلب والنهب.

سألت آخر أيّ من الدولتين يفضّل؟

فأجابني فوراً بسؤال:

- لصالح أيّ الدولتين صوتت (عليّ)؟

قلت له ليس في وسعي أن أخبره بما صوتت (عليّ) فواجبنا المحافظة على السريّة التامة.

إلاّ إنني سألته ما هو السبب في السؤال عن رأي (عليّ) فقال:

- لأنني أريد ان اصوت ضد ما اراده هو.

تلك كانت طريقتة في حلّ هذه المسألة الوطنيّة الكبرى!^(١٧)

هذه الرحلة هي الأطول بين السفرات التي قمت بها. فالرحلات الأخرى كانت قريبة من الموصل.

كان من الصعوبة بمكان أن نكون فكرة واضحة عن رغبات السكان لإختلافها من قرية الى أخرى وبحسب مصلحة الملاكين فيها.

١٧- لقي الكونت تيليكي مفاجأة مماثلة عند قيامه بالتحقيق في شقلاوه ذهب إليها صحبة الكابتن لاين الضابط السياسي في أربيل عند قدوم اللجنة، ولقائها بقادر بگ ميران الرئيس الأعلى لقبائل خوشناو وإليك الفقرة التي جاءت في مذكرات «لاين» عن هذه المقابلة: «حاول تيليكي جاهداً في تصوير أهمية بعثته لقادر بگ وكم هي ذات خطورة قبل أن يطلب منه ومن الحاضرين الإدلاء بأرائهم سراً. وقصده أن يدركوا بأنه جاءهم لا كمندوب أو ممثل لدولة واحدة بل لإثنتين وخمسين دولة عضوة في هذه المنظمة الدولية. كان قادر بگ يصغي اليه بأناة حتى اذا فرغ تيليكي من شرحه بادر الرئيس الأعلى لخوشناو بالقاء هذا السؤال البسيط:

"كم بندقية يمكن أن يؤمنها تيليك لأجل إنفاذ قراره؟".

بطبيعة الحال ماكان تيليكي يستطيع أن يدلي بجواب بسيط لهذا السؤال البسيط لأن عصبية الأمم لا تملك بندقيات. ولذلك عجز تيليكي عن إجابة واضحة والظاهر أنه بوغت تماماً. إلاّ أنه تمالك نفسه بعد قليل وطفق يشرح لرئيس القبيلة الكردي ثقل الرأي العام والنفوذ الأدبي المطلق للعصبة. وكان الشيخ يصغي بكل أدب الى الشرح. إلاّ أنه لم يبدُ مقتنعاً، وأجاب:

- في هذه البلاد نحن نحسب بالبندقيات. وبدونها لا يستطيع أحد أن يمارس حقوقه.

وكانه كان يرجم بالغييب فبعد إثنتي عشرة سنة تبين مبلغ صدق قادر بگ في موقف عصبية الأمم من غزو الحبشة. »

[مذكرات: والاس لاين: في العراق ١٩١٨-١٩٤٤: كرد وعرب وبريطانيون Kurds, Arabs and Britons (the Memoirs of Wallace Lyon in Iraq 1918-1944). ط. لندن. الص ١٥٠-١٥١. السنة ٢٠٠٢. وبالمناسبة يبدو أن فيرسين لم يخلف إنطباعاً جيداً قطّ في (لاين) بل كان إنطباعه عنه سيئاً الى آخر حدّ. قال عنه إنّه "تياه متعالٍ جافي الطبع فظّ من ذلك الطراز الألماني. لا أدري إن كان هناك من يستطيع تبرير إنتقائه للمهمة. مهما إمتاز من مؤهلات أو كفاءات فإنّها لن تكون ظاهرة للرجل العاديّ. ومن الصعب جداً التفكير بأن بلاد السويد عاجزة عن إنجاب شخص أفضل منه» (ص ١٤٥: المرجع عينه).

في نهاية شهر شباط تمّ لقائي بأعضاء اللجنة الآخرين في مدينة كركوك وهي تقع على مسافة بعيدة من شرق مجرى دجلة. وبالتقريب على مفترق الطريق المؤدي الى السليمانية وايران. وقام زملائي بتحقيقاتهم في أربيل التي زرتها في طريق العودة وفي كركوك. إلا أن مرض تيليكي الفجائي الخطير أرغمهم على نقله الى بغداد بالطائرة. فقد أصيب بنوبة عجز في كليته وبقي يعاني منها حتى شهر آذار.

وفي منتصف الطريق بين أربيل وكركوك تقع بلدة آلتون كوپرو. وفيها غالبية تؤيد تركيا وهي أيضاً من قواعد الجيش التركي. وهذا ما لحظناه في كركوك أيضاً إلا إنه كان أقل ظهوراً في أربيل.

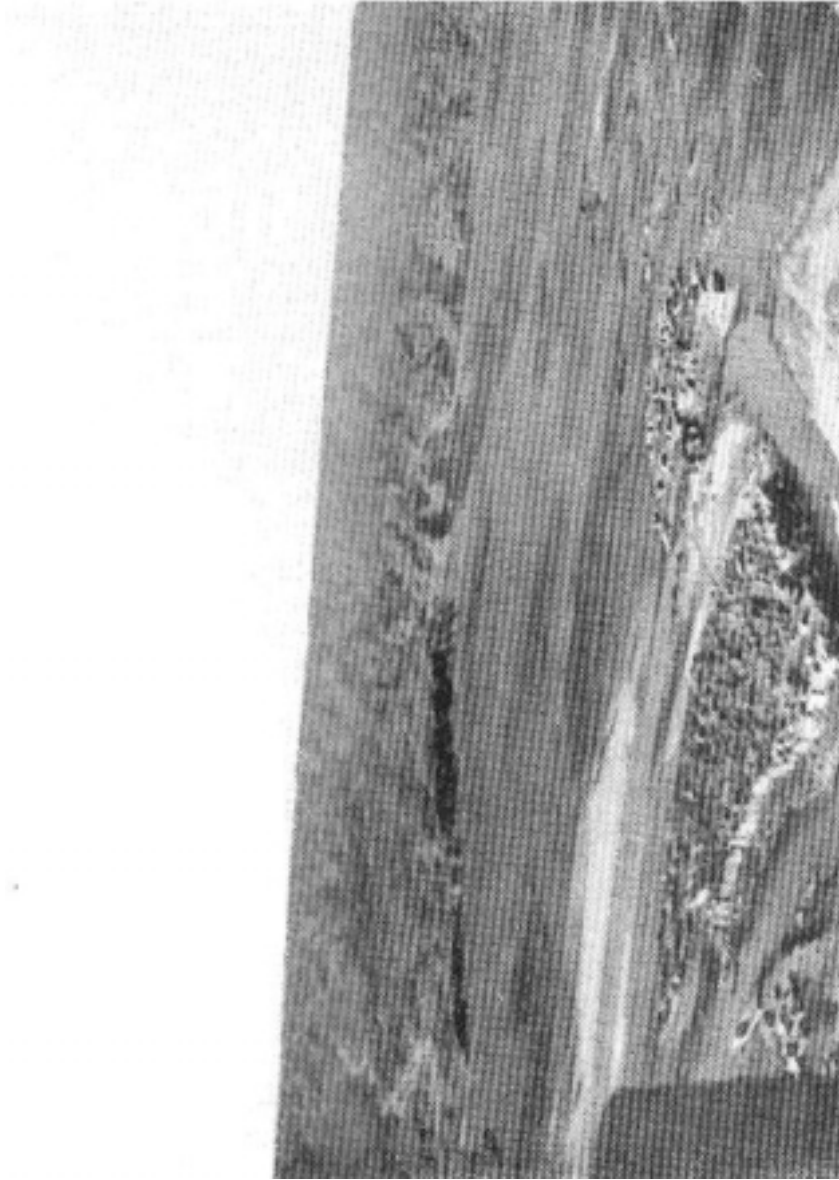
للعنصر الكردي تأثير واضح، والأكراد لم يكونوا راغبين في العودة الى تركيا ثانية. من الشخصيات البارزة التي تحدث معها زميلي پاولس في كركوك الجنرال التركي السابق عزت پاشا الذي أصبح الآن مواطناً عراقياً، كان وزيراً^(١٨) لكنه إستقال إثر منازعة مع الملك فيصل. اشار الجنرال الى أن الأجزاء الجنوبية من العراق ترتبط بشكل ما مع بغداد وقد يكون إقتطاعها خطأ. ومع إنه كان صديقاً للأتراك إلا أنه فضل ضمّ ولاية الموصل الى العراق. كان عزت پاشا رجلاً رفيع القدر. وقد لاحظنا أن كلاً من المندوبين العراقي والتركي في وفدنا لثما يده عند التوديع دليلاً على الإحترام الكبير لشخصه. قرأت حديث عزت پاشا في كتاب المذكرات الكبير الذي كتبه پاولس ولدي منه نسخة. يندر أن تجد شخصاً آخر يمثل هذا العمق والوضوح. واعتقادي ان حديثه هذا أثر بمدى كبير على تفهّم پاولس للوضع. إلا أن قراره بني على الإنطباع الذي خلفته في نفسه أرامل الأرمن اللاتي نجحن في لقائه.

الآن أن أوان السفر الى السليمانية المدينة التي تقع في أقصى الشرق قريباً من الحدود الإيرانية أو بلاد فارس كما كانت تعرف حينذاك. قال لي المندوب التركي الجنرال جواد پاشا ونحن على أهبة السفر:

- عندما نصل السليمانية سيتولى الأتراك حماية اللجنة فأنا هناك أشعر وكأنني في بيتي.

كانت المدينة موطن الشيخ محمود الثائر على العراق وهو كما ذكرت صهر فتاح بك.

١٨- كان وزيراً للأشغال والمواصلات في العام ١٩٢١ و١٩٢٢ إلا أنه قدم إستقالته بأمر من فيصل ربّما لخلافٍ معه.



بلدة ألتون كوبرو - تصوير فيرسين

وبعد قول جواد باشا هذا بقليل وصلتني رسالة من أكراد السليمانية يطلبون منا أن نسمح لهم بقتل الأتراك المرافقين لنا. أعني تماماً خلاف مازعمه جواد باشا من أنهم يؤيدون الأتراك.

بالطبع كانت إجابتنا أن عصبية الأمم لا يمكن أن ترضى بأن يتعرض من هو في خدمتها لأي اعتداء أبشك مباشرة أو غير مباشر. عندئذ أجابوا أنهم يفهمون ذلك ويقدرونه حق قدره لكنهم يطلبون السماح لهم على الأقل، بتغطيتهم في بئر ولو لمدة دقيقتين. ورفضنا طلبهم هذا أيضاً فلم ينفذ بحقهم^(١٩) على أنهم لم يجرأوا أبداً على الخروج وحدهم ولازموناً أثناء قيامنا بجولاتنا.

اقامتنا في السليمانية كانت ممتعة ومفيدة مكنتنا من تكوين إنطباع حسن عن العقلية والطبائع الكردية الحديثة. ففي الوقت الذي وجدنا أكراد أقصى الشمال شقاة لايهمهم سوى مصالحهم الشخصية. وجدنا في السليمانية محاولات لنهضة كردية مستقبلية ذات ثمار دانية القطوف. كان الكرد الذين أجرينا تحقيقاتنا معهم هناك وأغلبيتهم من الرؤساء يعارضون الإنضمام الى تركيا، ويطلبون العيش مع العراق لكن وفق شروط لا تقتصر على تعميم الدراسة باللغة الكردية في المعاهد والمدارس وحدها، بل أن تكون الإدارة كردية وأن يكون موظفوها أكراداً.

كانت في الحقيقة متعة كبيرة التحدث مع هؤلاء الرجال الناضجين الذين تأثرت مواقفهم بحركات التحرر الناشطة في العالم الإسلامي.

وكُنَّا قد حذَرنا ونحن نتوجه الى السليمانية من الشيخ محمود وأعمال شقاوته من سلب ونهب ورافقتنا مدرعات طوال الطريق. وكانت تحرسنا في طريق العودة كوكبة من الخيالة والفرسان.

بقينا ليلة واحدة في أربيل. والمدينة تحشم على تلٍّ مستدير وتبدو مثل جوهرة ترصع الأنحاء المجاورة. وكانت أبنيتها في الداخل بدائية الطراز.

إحتوتنا الموصل في بداية آذار، وترتب علينا إكمال تحقيقاتنا بزيارة بعض البلدات والقصبات في الشمال.

وخصنا واحدة من جولاتنا لليزيديين وقد أطلقنا عليهم فيما سلف إسم (عبدة

١٩- لم يدرك السيد فيرسن ان أهالي السليمانية الذين أشتهروا بالمزاح وحبّ الدعابة إنما كانوا يتقصّدون المداعبة بمثل هذا العرض. لكن يظهر إنه أخذ الأمر مأخذاً جدياً كما يتبين من لهجته.



قافلة اللجنة في طريقها الى السليمانية (عن فيرسين)

الشیطان). وعدادهم لا يتجاوز ثلاثين ألفاً وموطنهم غرب الموصل وشمالها وأصولهم وتاريخهم يحفّ بهما الغموض والتعقيد وهم من الناحية العرقية أكراد بدون شك ولغة الكلام المتداولة هي الكردية. يدعون بأنهم أقدم شعب على وجه البسيطة وفي أصل تسميتهم عدة نظريات منها إنه مشتق من كلمة (يزدان) وهو اسم أعظم آلهتهم. وهم دينياً وجسمانياً يختلفون عن بقية الأكراد لاسيما رؤسائهم.

ظلّ البيزيديون عدة قرون يعيشون في عزلة تامة عن العالم الخارجي لا يسمحون لأحد بالدخول في دينهم ولا يمزجون دماءهم بدماء غيرهم. وهم على ستّ طبقات على الأقل، ولأميرهم الحق في أن يتزوج من كلّ الطبقات وأن يتزوج قدر ما يشاء ووجه الغرابة أن دينهم هو الذي كان يعرضهم الى إضطهادات ومجازر رهيبية. وهم يموتون في سبيله ميتة الأبطال.

ليس ثمّ من إستطاع النفوذ الى أعماق عقيدتهم أو عرف عنها الكثير. فمن الفرس أخذوا مبدأ الصراع بين الخير والشر. وربما أخذوا عنهم عقيدة التناسخ. ولعل عادة ذبح ثور أبيض سنوياً جاءتهم من الديانة الميثرائية. وهم يجلّون التوراة والانجيل والقرآن. ويحترمون المسيح والصليب ويدعون أن عين الماء المقدس الذي ينبع من معبد الشمس هو عين ماء زمزم في مكة ويطلقون عليها الاسم عينه. ويعتقدون أن ماء بئر مكة إنساب بمعجزة ليصل اليهم. وفي معبدهم صور للشمس والقمر والنجوم وعلى مدخل باب المعبد. صورة حية سوداء. وهم يقصدون النار ويتقدمون بإبتهالات لبعض الأشجار لاسيما شجرة التين ويلثمون الحيطان والصخور التي يقع عليها أول أشعة للشمس عند بزوغها.

ما ذكرته هنا كان يتعلّق بالتأثيرات أو العناصر الخارجية التي غزت ديانتهم أو أحدثت أثراً فيه. إلا أن العناصر الأصلية هي كالآتي: البيزيديون يؤمنون بإله أعظم هو يزدان بعيداً جداً يستقرّ في أطباق السماء العليا وإليه يتقدمون بصلاتهم مباشرة وهو لا يتدخل في ما يحصل على وجه الأرض ولا يهتم ولديه ملائكة سبعة بينهم طاووس ملك أقواهم وهو ما يسمى (بالشيطان) ويليه ملك عيسى أي عيسى المسيح.

ومن خلال ملك طاووس خلق الله العالم وأعطاه إياه عشرة آلاف سنة، مضى منها ستّ وبقي أربع. ويجسّد ملك طاووس بهيئة طاووس برنزي توجد لديهم منه عدة نسخ. ويقوم أفراد من الطبقة الرابعة من البيزيدية بحملها والتجوال بها من قرية الى أخرى ويعرضونها على البيزيديين ليتقدموا إليها بالادعية والصلوات وهو في حالات عدة

يبدو أشبه بالديك وقد صبّ بطريقة بدائية غير فنيّة.

ويحرم عندهم النطق أو السمع بكلمة (شيطان) أو حتى بمقاطع منها. واليزيدي الذي يسمع شخصاً يلفظ هذه الكلمة وجب عليه أن يقتله ثم يقتل نفسه.

حرام على اليزيدي أن يلبس الأزرق من الشيايب. والأساس في دينهم هو الدعاء للشيطان وهؤلاء المشرفون على هيكل الشيخ عادي يعللون الأمر بقولهم من الأفضل أن تصلي لقوى الشرّ كي تأمن جانبها على ان تصلي لإله الخير الذي لا يفعل إلاّ الخير ولا يصدر منه شرّ.

عرّضتهم خصوصيات دينهم وطقوسه السرية الى متاعب جمّة لاسيما في الخدمة العسكرية ولذلك كانوا يعفون منها في روسيا ويعيش فيها جالية منهم لكن هذا الإعفاء لا يسمح به في تركيا فالترك يعتبرون الدين اليزيدي مذهباً من المذاهب الإسلامية جرى عليه التحريف. كانوا كثيري العدد في الماضي إلاّ أن المجازر والملاحقات والغارات جعلتهم قلة.

وجدت اللجنة أن الخارطة الوحيدة التي توضح التوزيع الجغرافي لعشائر اليزيدية الذين كانوا يسكنون رقعة واسعة بمركز ثقلهم في شمال بلاد ما بين النهرين، هي الخريطة التي رسمتها الأكاديمية الفرنسية في العام ١٧٦٥. وقد علّمت فيها مواقعهم بإسم بلاد المجوس Le pays des mages.

قامت بزيارة مواطنهم منفرداً مرةً ثم قامت اللجنة كلها بزيارة واجتمعت بكامل هيئتها في المكان المقدس شمال الموصل. وفي أثناء رحلتنا هذه إتقينا مجموعة من الفرسان أرسلت لإستقبالنا وهم أتباع أميرهم وهو شاب وسيم بوجه ملتح في حدود الخامسة والعشرين. مرافقوه تنتهي ذقونهم بلحي مسترسلة عريضة بدوا بها أشبه بهيولات من عالم الحيوان بوجوه بشرية شبيهة بوجوه التماثيل الآشورية. كان الأمير مشتملاً بعباءة سوداء فوق الشيايب اليزيدية البيضاء. وقام الفرسان بألعاب فروسية وأظهروا براعةً شبيهة بتلك التي تميز بها فرسان شمال أفريقيا.

ووجدنا في إستقبالنا صفّاً من صبيان الكشافة عند باب قصر الأمير^(٢٠) وولجنا غرفة إستقبال في الطابق الأول. إذ كان الطابق الأرضي أسطبلًا وجرى الحديث بيننا بمساعدة مترجم تخللته فترات إنقطاع عديدة كان الأمير خلالها يترك الغرفة برهةً ليعود بعدها.

٢٠- يلتبس الأمر هنا على فيرسين، فصفت الكشافة الذي نوّه به. كان إستقبله في (القوش) لا في باعدرا.

والسبب في هذا إنه كان قد بنى بزوجته الخامسة قبل أسبوع وإنه كان يذهب إليها لمغازلتها. وقالوا أيضاً أن سبب خروجه يعود إلى تناوله جرعة من الكحول إذ كان من المدمنين وقد تبين لنا أثر ذلك من وجهه التعب. بعد برهة توجهنا الى المرقد المقدس ولايسكنه غير الكهنة والقائمون عليه. ويحجّ إليه اليزيدية سنوياً ويقدمون له الهبات من نقود وأضحيات. والثور الأبيض يتمّ ذبحه بسكين خاصّ ويباع لحمه من الحجاج، وساحات المرقد تضاء مرة واحدة في الأسبوع بمسرجات وقودها زيت الزيتون.

كان منظر المرقد الخارجي جميلاً ساحراً بينابيعه ذات الماء الرقراق ومماشيه وساحته الصغيرة المصوفة بالحجر وبأشجار الفاكهة البانعة في ذلك الوقت من السنة. الرجال يرتدون الزي الكردي الشائع في تلك المنطقة وفي احزمتهم خناجر ذات مقابض فضيية تشبه خناجر شقاة تاكري (عقره). طلبت من أحدهم أن ياتيني بواحد منها فجاءني به في الموعد الذي ضربه. نساؤهم يلبسن البياض وهنّ يشبهن في زيهنّ هذا زيّ الراهبات الكرمليات.

علمنا بأن الأمير كان رجل أعمال ناجح وميدان تجارته الطقوس الدينية الخاصة. فالنيح وسكين القرابين وبدلات إيجار محلات سكنى الحجاج كانت تعرض للمزايدة في موسم الحجّ. زاد من مدخوله السنويّ سبع نسخ أخرى لطاووس ملك كان يعرضها في مزاد علنيّ أيضاً ليُدار بها على القرى ويُجمع من عرضها الهبات. ذكروا أنّ دخل الأمير من هذه الصفقات لهذه السنة الصعبة ١٩٢٥ بلغ خمسة وعشرين ألف روية أي مايعادل ١٧٥٠٠٠ فرنك فرنسي.

ويذهب الرهبان الكلدان الذي يجاورونهم الى أن اليزيدية جاؤا من بلاد فارس وإنهم كانوا بالأصل يعتنقون مذهباً مسيحياً شابتة معتقدات فارسية. وإن مرقد الشيخ عادي كان بالأصل كنيسة مسيحية. ويقول هؤلاء الرهبان أنه وفي أثناء قيام رئيس الرهبنة بالحج الى أورشليم. إستولى وكيله أو نائبه في إدارة الكنيسة ويدعى (عادي) على المرقد ونجح بعد نزاع مرير ومعارك في أن يستأثر به وراح يُبشّر بهذا الدين ومرقده داخل الهيكل وهو من بقايا الصرح القديم.

سمح لنا الأمير بزيارة المرقد فولجناه من باب جميل النحت على أحد ركنيه صورة ثعبان أسود كبير بالحفر البارز. خلعنا أحذيتنا وطلب منا أن لانطأ العتبية عند الدخول ولم يكن فيه مايلفت النظر بنوع خاص. وفيما كنّا نهمّ بالخروج ومنتعل أحذيتنا سمعنا تهليلاً صادراً من حناجر نسوة. وبعد قليل أقبل موكب طريف يتقدمه رجلان أحدهما

ينفخ في الناي وآخر ينقر بالدف. ووراءهما امرأة مغمضة العينين تسيير ببطء وهي تنشر البخور من حولها وتلاها ثلاثة رجال يحملون زيتاً وخبزاً. قالوا لنا إنه موكب يوميّ بمناسبة تقديم هدايا للشيخ عادي.

بعد بضع دقائق عاد هؤلاء المشاركون في المركب بدون موسيقى وبدون امرأة وإنحني الرجال للثم العتية والباب.

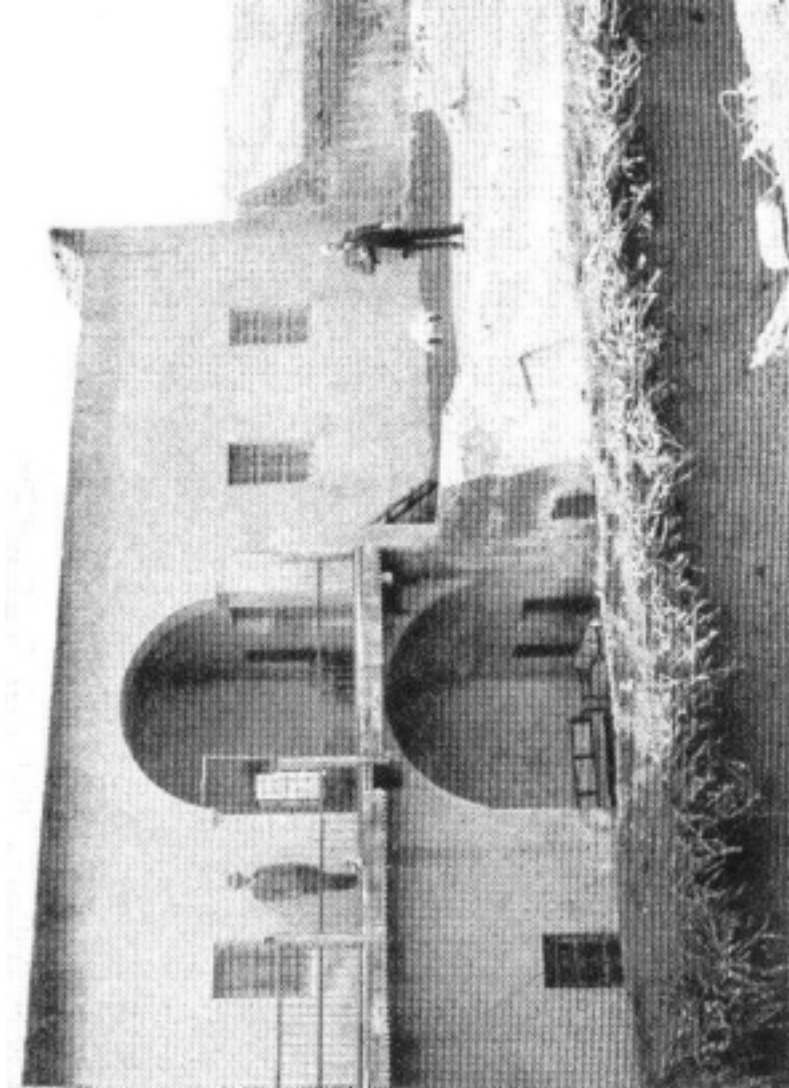
ختمت زيارتنا بوجبة غداء نال المضيف عنها أجراً يعادل عشرة أضعاف قيمة الطعام. وتركنا الموضوع وقد تخلف عندنا الإنطباع بأنهم طائفة متخلفة الى حدّ ما وكانوا موضع إحتقار من بقية سكان العراق.

لم يبق لنا بعد زيارة عبدة الشيطان غير منطقتين في شمال الموصل هما بالتحديد زاخو الواقعة على الحدود التي رسمت للولاية. ودهوك التي تقع على منتصف الطريق بين الموصل والحدود الشمالية. وفي خلال تحقيقاتنا هناك إعترضنا حادثان كان يمكن أن يؤدّيا الى عواقب بعيدة الأثر.

تلقي جواد باشا معلومات غير صحيحة، ولسبب ما صدر منه تصرف غريب جداً وغير لائق أدّى الى توجيه كلام إليه فيه تأنيب فترك الغرفة غاضباً. لاشك في أنّ هذا الرجل المؤدب والمحترم حقاً كان حانقاً لنتائج التحقيقات التي أجريناها ولم تكن من صالح الاتراك ثمّ بدت فجأة وكأنها تتحول لصالحهم في دهوك. فقد قابلت اللجنة وفداً من الرجال المسلّحين. إقتحموا علينا المكان وهم يتصايحون ويهتفون بأصوات عالية. هؤلاء ظنوا بأن الولاية أصبحت لتركيا وإن الحكومة العراقية إنسحبت وتركت زمام الأمور بيد لجنتنا. وكان عليّ أن أتصرف بحزمٍ وشدة وإن أعجلّ بترك المنطقة خشية أن تتعقّد الأمور ولثلا نغامر بالسلام أو نتسبب في فوضى فنستعجل ماوسعنا ذلك وظهر على مرافقينا الإنكليز علائم الخوف والرعب.

خطبت في القادمين محدّراً ونصحتهم بالركون الى السكينة وقلت لهم ان الأمور تسيير سيرها العادي، والحديث عن إنسحاب الحكومة العراقية هو كذب لا أساس له من الصحة وأن على المواطنين في دهوك أن لا يكونوا أوّل من يعكّر صفو الأمن ويخلّ بالنظام الذي ساد عملنا حتى الآن وبشكل مرضٍ وفي هذه البلدة التي لم تكن إلا جزءاً صغيراً جداً من ولاية الموصل الكبيرة.

وإبتعد الناس عنّا وهم ساخطون. كان الوضع منذراً بالسوء بعيداً عن الإستقرار



مسكن اللجنة - زاخو ١٩٢٥ (عن فيرستين)

عندما غادرنا البلدة.

في ذلك الحين كان هناك ثورة كردية كبيرة على الأتراك في تركيا^(٢١) ولكننا كنا بعيدين يكاد لا يصلنا إلا القليل من الأنباء حولها وربما كان للإنجليز يدٌ فيها إلا أن السبب الأساس هو إستياء عموم الكرد هناك من مصطفى كمال. وهو إستياء عمّ العالم الإسلامي بسبب موقفه وإجراءاته من الإسلام. كان لهذه الثورة صدى ضعيف في بلاد ما بين النهرين مع إنها كانت خطراً جدياً على الحكومة التركية وقد لاحظنا ذلك من سحب الجيش التركي من الحدود وإبقاء حاميات صغيرة جداً منه في مناطق معينة.

الآن كان بوسعنا القول أن مهمتنا في ولاية الموصل شارفت على النهاية وتهيأنا للعودة. في نهاية شهر آذار ركبنا سياراتنا (الفورد) من الموصل ووجهتنا جبل سنجار، ثم إلى دير الزور على نهر الفرات. ومنها إلى تدمر وأخيراً حططنا رحلنا في دمشق. وإنفرط عقد اللجنة في بيروت المدينة التي كانت وقتذاك مركز الإدارة في سورية وتقوم بمثابة عاصمة.

قبل اجتيازنا الحدود العراقية ونحن في الطريق جاءنا شيخ مشايخ شمّر الذي نوهت به في السابق كان يستقلّ سيارته المعهودة وإلى جانبه ابنه الحدث الذي لم يصل بعد سن البلوغ لكنه كان شاكي السلاح حتى الذقن. وزاد في الترحيب والحفاوة بنا ونحن نشاركة شرب حليب الجمال وقد استسغته فعلاً.

وودّعنا المدرعات الإنكليزية المرافقة لتسلم مهمّة حراستنا إلى سيارات فرنسية مسلّحة بالرشاشات الأتوماتية ولم يكن ثمّ ما يبعث على التخوف.

بلغنا دير الزور مساءً حيث إستقبلنا الكولونيل أندريه (الذي رقي إلى رتبة جنرال فيما بعد وكان إذ ذاك آمر فوج من جنود الزواف^(٢٢)) وقد نظم بها لإستقبالنا إستعراضاً عسكرياً. ثم دعانا إلى غداء ممتاز.

حاول الفرنسيون هنا أن يجعلوا من الموضع مجتمعاً فرنسياً مصغراً ففتحو بيوت دعارة تضمّ فرنسيات أصيلات فعلاً ودعونا لزيارة لها إلا أننا رفضنا بشكلٍ قاطع. في اليوم التالي توجهنا إلى تدمر. وتقع البلدة على مسافة مائتي كيلومتر جنوب غربي دير الزور. وهي محطة قوافل موعلة في القدم قيل أن بانيها الملك سليمان.

٢١- ثورة الشيخ سعيد پيران.

٢٢- قبيلة في شمال افريقيا جنّد منها الفرنسيون قوات عسكرية.

في عصر من العصور كانت مدينة عامرة شيّدت فيها مبان ضخمة مازالت خرائبها باقية. وعلى أنقاض هيكل الشمس الذي بني للإله (بعل) قامت قرية تدمر التي تركت فينا إنطباعاً غريباً. ثم إنطلقنا نحو دمشق. إلاّ إننا قمنا بنزهة لبعلبك ومعنى الاسم (سيد الوادي). وتقع على قدميات جبال (آنتي لبنان)^(٢٣) وفيها يقوم معظم بقايا الآثار الفخمة لهيكل إله الشمس الكبيرة ازهار متفتحة وأشجار يانعة ألقت مع الموضع منظراً أخذاً يحتاج وصفه الى قلم أفضل من قلّمي. كانت بعلبك في الزمان الغابر المركز الرئيس لعبادة الإله (بعل) وعرفت بإسمها الأغرقي (هيليوپوس) أي مدينة الشمس وقد جاء ذكرها في المدونات الآشورية والقبطية.

تركنا بعلبك أسفين واتجهنا الى بيروت الواقعة على البحر وبلغناها بعد ساعتين بالسيارة منحدرين من المرتفعات الى ساحل البحر الساحر بحق. يمكن أن تتحول بيروت الى منتجع صحيّ رائع وتتحقّق لها الشهرة وهي تقع على نهاية جبل لبنان. كان معظم سكانها اغريقاً. وفيها مساجد وكنائس كثيرة. وهي مركز تجاري هام حيوي ترسو فيه باستمرار سفن محملة بالبضائع وهي في طريقها الى السواحل السورية. والميناء هو من الدرجة الأولى بنته شركة فرنسية، والمدينة حديثة البناء إلاّ إنها لا تمتاز بطابع خاص. كانت في حينه مقراً للمندوب السامي الفرنسي وهو آنذاك الجنرال (ساراي) خلف الجنرال (قيغان) الذي كان يقوم بإدارة شؤون وظيفته على أفضل وجه إلاّ إنه أقيبل نتيجة صراعات سياسية داخلية.

كان الجنرال قيغان عظيم الإحترام للدين وهو ما يجب إظهاره في الشرق في حين كان الجنرال ساراي ماسونياً متعصباً يزدري علناً الديانتين المسيحية والإسلامية. وهو السبب كما قدرت لقيام ثورة في دمشق كان بالإمكان تحاشيها.

زرت الجنرال (ساراي) زيارة وداع فوجدته عملاقاً فارح الطول في غاية الوسامة بعينين ذات زرقة فاتحة مثل زرقة بزته العسكرية ووجدته غير ملم بأحوال البلاد التي يحكمها يكاد لا يعرف أسماء المدن الرئيسية في سورية حتى اننا ساعدناه على إستذكارها عدة مرات. كان شخصية مهذبة رقيقة لكني لا أكنّ لأسلوبه في الحكم إحتراماً كبيراً. كان من نوع القادة المحترفين كأغلبية الجنرالية الفرنسيين ولم يكن يهتم بأنّ يحقق نجاحاً كبيراً في سورية. في أثناء الحرب عهد إليه بقيادة جيوش الحلفاء في

٢٣- وهي السلسلة الشرقية لجبال لبنان.

سالونيكى، إلا أنه لم ينجح كثيراً مما أدى الى إستخلافه بالجنرال (فرانشيه داسپيري) الذي رقي الى رتبة الميرشالية فيما بعد. وهو الذي حارب بلغاريا وحقق عليها نصره في خريف العام ١٩١٨.

وفي الفندق المريح في بيروت أقيمت حفلة وداع للزملاء. وتقرر أن يكون لقاءنا في جنيف بنهاية شهر نيسان.

عدت الى مقرّي في بوخارست. أقلّنتي أولاً سفينة الى الإسكندرية ثم باخرة بضائع وركاب حتى بيروت (٢٤) ومنها الى القسطنطينية.

عندما كنت في بيروت كلّفت القنصل بأن يرسل لزوجتي برقية يطلب منها أن تلقاني في القسطنطينية إلا أنه احتفظ بالمبلغ لنفسه ولم يرسل البرقية وكان آخر رجل يفصل من الخدمة نتيجة لمساخي.

وفي القسطنطينية. حللتُ ضيفاً كالسابق على (قالنبرغ) وإستقبلني عند نزولي من الباخرة صديقي الحميم الجنرال جواد باشا وعظم سروري برؤيته ثانية.

وواصلت سفرتي بعد بضعة أيام من توقف للباخرة. ونزلت في كونسانزا ومنها بالقطار الى بوخارست. وشعرت بسعادة في العودة الى منزلي رغم علمي بالمصاعب التي ستواجهني في جنيف بعد تمام كتابة التقرير.

جنيف

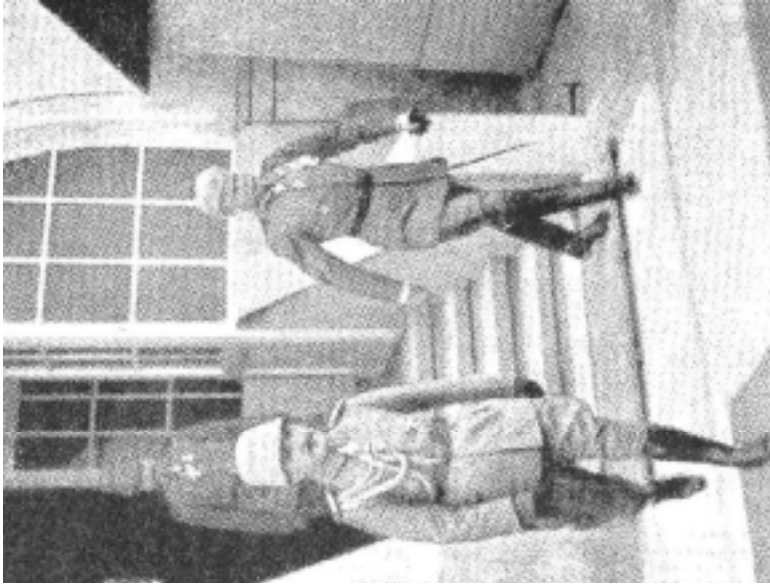
وصلت جنيف في العشرين من نيسان ترافقني زوجتي وإبنتي الصغيرة حيث كان مقرراً أن نجتمع نحن أعضاء لجنة الموصل لإنجاز كتابة التقرير. وإستأجرنا فندق ريجموند وفيه أقمنا دائرتنا الخاصة مستقلة عن عصبة الأمم بعبيدين عن الدسائس والمناورات التي كانت بانتظارنا.

ليس بوسعي القول ان إنطباعنا عن عصبة الأمم كان جيداً. في السابق كان معظم عملها يدار من قبل إنسان واحد ذي عوينات لايبعث على الثقة. والأجواء كان يغلب عليها الهيمنة الانكلو فرنسية كثيراً وليس في جوّها بارقة تشير الى أن معالجة القضية سيتمّ بحياد وموضوعية ومع ان الحماسة للعمل كانت جيدة إلا أن العقلية لم تكن تسير في الطريق الصحيح.

٢٤- ميناء آئينا. على بحر إيجة.



فِيرْسِين والجَنَرال جِواد پاشا (عن فِيرْسِين)



أنور پاشا والجَنَرال الألمانِي فون سِيكْت (عن فِيرْسِين)

في ذلك الحين كان السَّرَّاريك درموند Eric Drumond سكرتير عصبة الأمم. وقد صار زميلاً لي فيما بعد في روما عند تعيينه سفيراً.

رئيس القسم الفرنسي (مسيو مونتو M. Montoux) الذي كان مترجماً في مؤتمر الصلح بباريس هو في أعلى درجة من الكفاءة ملماً بالشؤون العامة وحتى الشرقية منها وأنا أحفظ له أجمل الذكرى وأعمق الشكر.

وإنتقلنا في الصيف إلى بلدة هرمانس Hermance على الحدود الفرنسية جنوب بحيرة جنيف. وكان بالإمكان أن نقضي أوقاتاً ممتعة جداً لولا عملنا المرهق. في البداية ظهر بعض صعوبات وكان الكونت تيليكي يريد أن نقوم بعملنا في باريس ويعود ذلك بالدرجة الأولى إلى قضية معينة وهي أنه كان قد طُرح في الأسواق وقتذاك مقدار كبير من العملة الورقية الفرنسية المزورة. وأكتُشف أن مصدر طباعتها في بودابست وبالضبط في مطبعة معهد تيليكي الأثنوغرافي الذي كان بإدارة الأمير (فندشغراتز Windischgratz) وقد عوقب فيما بعد هو ومدير شرطة بودابست. لا أعتقد أن لتيليكي معرفة تامة بالمسألة. كما لا أعتقد إنه كان يجهل كل شيء عنها. لأن العملة طبعت في معهده، على أن الحكومة الفرنسية لم تكن ترغب أصلاً في نقل مركز عملنا إلى فرنسا لأنها لا تريد أن يكون لها علاقة بما ستسفر عنه قضية الموصل وما سيثار بعدها من مشاكل سياسية.

ورغب ياولس في حينه أن تكون بروكسل مركز عملنا. لأنه كان مشغولاً بالقاء محاضرات في معهد طب الأسنان. إلا أنني أرغمته على السفر معي إلى باريس حيث يسكن (تيليكي) وهناك أرغمت الإثنين على إختيار جنيف ونجحت أخيراً في جعلها مقر عملنا. ووقعت نتائج أبحاثنا موقع رضى فاق ما كان يتصور أن تحرز في أي مكان آخر نختاره لها.

إجتمعتنا نحن الثلاثة في جنيف وشرعنا في العمل إلا أننا تأخرنا قليلاً بسبب مغامرات زملائي العاطفية.

أنا شخصياً توجهت إلى ستوكهولم وبقيت فيها عدة أيام لأحيط حكومتي علماً بالأحوال وعند عودتي وجدتُ مقررراً جديداً لعصبة الأمم يحتل مكان برانتنگ الذي كان قد توفي هو السيد (اوندين) الذي وجدته شديد الإهتمام بمسألة الموصل بما عرف عنه من دقة وعناية إلا أنني لحظت فيه رغبة كبيرة لتقسيم الولاية ونما في إحساس بأنه سيقترح مثل هذا الحل ولم أكن أتصور بأن زميلي سيقبلان بهذا الحل.



العقيد پاولس (عن فيرسين)



من اليمين: فيرسين - الدبلوماسي التركي فريدون بگ - الكونت تيليكي
(عن فيرسين)

في خلال زيارتي ستوكهولم التي إمتدت يومين إنتهزت الفرصة لأتحدث بالمشكلة أمام الملك وقد وجدته حزينا بسبب القرارات التي أصدرت بخصوص معاهدة نزع السلاح.

لا أدري سبباً لتدهور صحتي وفقداني القدرة على العمل. أكان ذلك نتيجة لهذه الأحداث العرضية أم بسبب تزايد عداء پاولس للأتراك جراء التحريض الذي تعرض له من الجانب العراقي أو قد يكون للآنسة (بل) دورها في تغيير موقفه. وفي الصيف داهمتني نوبة مرضية غريبة من آثارها ضيق النفس الشديد حتى راح بي الظن الى اني أعاني مرض قلب إلا ان الطبيب الذي فحصني في جنيف أكد لي سلامته، فسألته عن علاج ضيق النفس فقال: « غادر جنيف وإنس الموصل » وكان قد بقي لإنهاء التقرير أسبوعان فقط. ثم أعطاني دواء مسكناً للأعصاب أراحي.

عند انتهائنا من التقرير إنطلقتُ وزوجتي وإبنتي الإثنين وخالتهمما برحلة طويلة بالسيارة خلال سويسرا ثم عدت الى جنيف وقد تماثلتُ للشفاء وسمعت أن سثن هدين Sven Hedin^(٢٥) عانى من المرض نتيجة الإرهاق.

كان التقرير نموذجاً يحتذى في الدقة والتنسيق. وقد تقسّمنا العمل فكتب تيليكي الجزء الجغرافي وما يتعلق به (وكنت قد نوهت من قبل بأنه عالم جغرافي ألمعي) وكتب پاولس الجزء الإقتصادي فيه. ووقع عليّ كتابة القسم السياسي والإستنتاجات العامة.

سيقتضي مني حديثاً طويلاً جداً شرح تفصيل عملنا في التقرير الذي كان موضع عنايتنا الشديد. وعليّ أن أذكر أن الجزء الذي كتبه تيليكي منه كان في منتهى الروعة. وهنا أريد فحسب التطرق بجمل قليلة الى التصريحات والأحداث التي جرت أثناء العمل والنتيجة التي توصلت إليها اللجنة.

سنحت لي أثناء العمل عدة فرصٍ للتشاور مع (أريك درموند). وقد رجا مني أن يكون التقرير متجانساً خالياً من التحفظات ونجحنا في هذا بعد عناء كبير. أنا في

٢٥- سثن هدين (١٨٦٥-١٩٥٢) رحّالة سويدي أُلّف عدة كتب عن رحلاته تُرجمت الى أغلب اللغات الأوروبية. كان باحثاً متعمقاً خبيراً بشعوب الشرق وحضارات آسيا، ورساماً ماهراً رسم مشاهداته بريشته. زار شمال كردستان (أرضروم وبايزيد) وصور الحياة اليومية هناك في كتابه (رحلة الى الهند) ولما قدم الى أسطنبول أقام مع فيرسن. زار أيضاً جنوب كردستان وفي الموصل حضر حفلاً كردياً وصور الرقصات الكردية وكتب عنها مبدياً إعجابه بها في كتابه (بغداد، بابل، نينوى).

الواقع كنت أنتهز الفرصة دوماً عند تقارب وجهات نظر بولس ووجهات نظري بالطلب منه وضع توقيعه على كل فصلٍ أو جزءٍ منه لأنه كان دائم التردد لا يستقرّ على رأيٍ ويغيّره بين آنٍ وآخر.

تضمن تقريرنا مقدمةً موجزةً حول عملنا. ثم تقويماً لوجهات نظر الحكومتين الإنكليزية والتركية في المسألة.

فالمعروف أنّ الحكومة البريطانية كانت تريد أن تقوم السلطات المحلية بإقناعنا بعدم جدوى القيام بإستفتاء شعبي أو إستطلاع الآراء، في حين أصرت الحكومة التركية على وجوب إجرائنا إستفتاءً شعبياً عاماً. إلا أن مهمتنا أعطتنا كامل الحرية في إختيار السبيل الأقوم لمعالجة القضية. لذلك أولينا عناية شديدة بتدقيق الإمكانيات التي يُستطاع إستخدامها لحلّ القضية بهذا الأسلوب أو بذاك. ولم تكن مهمتنا تتضمن القيام برسم حدود بين دولتين. بل تقرير مصير صقع واسع الأرجاء عدد سكانه يبلغ ثمانمائة ألف وهم عدّة أعراق وقوميات. لذلك لم يكن بوسعنا الأخذ بالرأي البريطاني. كما تبين لنا أن الاستفتاء العام سيواجه صعاباً يتعذر التغلّب عليها.

مستوى الوعي المتدني لسكان الولاية والخوف مما سيتعرضون له من مضايقات جعلت الإستفتاء غير عملي. ولم يكن بالإمكان اجتناب وقوع اضطرابات واعمال شغب خطيرة لو عمدنا الى هذا. هناك كانت ترابط قوات عسكرية تابعة لإحدى الدولتين كما كانت مستوطن عشائر كثيرة محاربة وميالة الى القتال. على إننا قمنا باستطلاع آراء الأشخاص البارزين ومن ذوي النفوذ وحاولنا استطلاع آراء بعض العناصر الأخرى. ولم يغب عن بالنا قطّ عامل العلاقات الإجتماعية التي كانت بمراحلها الإقطاعية الأمر الذي يعني أن الأهالي لن يعبروا عن آرائهم الحقيقية وإنما ينفذون ما يريد رؤسائهم.

الأسئلة الموجهة إقتصرت على أعضاء البرلمان السابقين والأعضاء الحاليين لمجالس البلديات، وإستمعنا الى آراء جماعات كثيرة من السكان، وفزنا من كثير منها بمعلومات موثوقة عن مواقفها وكنا مهتمين بصورة خاصة بمعرفة السبب في التصويت لهذا الطرف أو لذاك.

وفي القسم الذي عالج التقرير الجغرافي والعريقي أعطي أولاً وصفاً مفصلاً للحدود المقترحة للمنطقة، تضمّن طرحاً أكاديمياً مسهباً لإسم «العراق» واخضع إمتداد البلاد أيضاً لإمتحان شامل. وأعتقد أن العرض الذي قمنا به للأعراق المختلفة كان

موثقاً وواضحاً. وقد تأخر بنا العمل الميداني لوجوب أخذ مسألة القبائل الرحل في البلاد بنظر الإعتبار. وأوردنا في مجال عملنا جميع التفاصيل المتعلقة حتى إننا نوهنا بتلك المعركة التي نشبت في أنحاء زاخو (الحدود الشمالية العراقية) في الزمن الغابر عندما هاجم الكرد الحملة اليونانية المنسحبة بقيادة (كزينوفون) المعروفة بحملة العشرة آلاف.

فيما يتعلق بالمسيحيين قمنا بتحقيقات دقيقة ووجدنا أن الكلدان متقدمون حضارياً. وهم من العناصر التي شيّدت المدن وكهنتهم تلقوا تحصيلهم في المعهد الدومينيكاني الفرنسي في الموصل وعلى مستوى عال من الثقافة. وبخلافهم الآشوريون أو النساطرة الغلاظ الذين كانوا من دون استثناء أميين على أوطأ مستوى من التعليم وديدينهم العراك والقتال.

المنطقة كلها كانت تمتد من جبال امانوس حتى خليج فارس. أمّا الجزء المتنازع عليه فهو هضبة جبلية من ناحية الشرق تجري فيها أنهار سريعة التسيار. والذي يستوقف النظر أن نهر دجلة لا تخرج منه فروع من الضفة اليسرى وضفته اليسرى أكثر استواءً. وبإمكاننا القول أن هذا النهر يمكن أن يرسم حدوداً بين التضاريس الأرضية المختلفة. والعرب أبرز الأقوام التي خلفت أثرها في المنطقة وقد كسوها طابعهم وأغنوا البلاد وشيدوا فيها المدن الكبيرة. ووجدنا الموصل عربية تماماً جاءها الأتراك أولاً جنوداً ثم جاؤوها حكاماً وكانوا إداريين فحسب ولم يتقحموا ميدان التجارة. والمسيحيون هم فيها أقدم من العرب والأتراك. إلا أن عددهم تناقص بمرور الزمن نتيجة حملات القمع والإضطهاد المنظم على يد العرب والأتراك. وهذا طبق ما حلّ بعبدة الشيطان أيضاً فقد أرغموا على الإنسحاب الى المناطق الوعرة التي يتعذر الوصول اليها. ووجدنا أيضاً عشائر كتم رجالها عنّا لغاتهم الأصل أو أبوا أن يتحدثوا عن عقائدهم الدينية. والأكراد كما ذكرنا سابقاً كانوا الأغلبية المطلقة من مجموع العناصر الأخرى وجدنا مستوى وعيهم متفاوتاً الى درجة كبيرة. ففي الشمال كان معظمهم من الشقاة. لكنهم في الشرق كانوا يقبلون بحماسة على العلم والثقافة ويتقبلون مظاهر الحضارة ويقدرّون أهمية تأسيس دولة لهم.

ووجدنا الحدود التي كانت الحكومة البريطانية تريدها جيدة للغاية فهي تتابع سلسلة جبال شامخة وفيها كثير من الخطوط يمكن أن تكون حداً فاصلاً والحدود التي طالبت بها تركيا في الجنوب كانت حدوداً جيدة. إلا أنها لم تكن جيدة من ناحية الشرق فقد

تضمنت حول ديالى مناطق قاحلة تفتقر الى المياه.

في المنطقة كان هناك ثلاثة انهار مهمة: دجلة والزاب الكبير والزاب الصغير قد يمكن أن تؤلف حداً فاصلاً. إلا أن دجلة لم يكن قابلاً للقسمه لأنه يجري طويلاً خلال الولاية ولايسمح بمجال تحديد لمنطقة مستقلة. كذلك الزاب الكبير فهو أيضاً لايسمح بتحديد منطقة لأن مجراه يعقب أراضي ذات طبيعة مختلفة جداً. وربما أمكن للزاب الصغير أن يصير حدوداً مقبولة لو أريد تقسيم الولاية وهو التقسيم الذي لم يكن مقبولاً قط لأن المنطقة متلاحمة وكل جزء منها يحتاج الى الجزء الآخر ومعظم طرقها يؤدي الى بغداد.

كان بالامكان ان تقتطع من الشمال أجزاء غير مهمة، إلا أن الأجزاء الجنوبية كانت ترتبط ببغداد وكل الطرق تنتهي اليها. وقد أشرنا الى أن الأكراد هم غالبية السكان إذ يبلغ عددهم نصف مليون من أصل ثمانمائة ألف.

والأتراك (التركمان) ينتمون عرقياً الى شعب الحكومة التركية وعبدية الشيطان اقرباء الأكراد لكنهم بنتيجة انعزاليتهم وتقسيمهم الشديد بعاداتهم بدوا طائفة أخرى.

الأكراد والعرب فحسب، كانوا يستوطنون مناطق واسعة يمكن أن تكون أساس حدود عرقية وكان بوسعنا لو اعتمدنا رسم حدود عرقية أن نقترح إنشاء دولة كردية على مساحة كبيرة يدخل فيها عبدة الشيطان والأتراك. إن المجموع الكلي للأكراد ثلاثة ملايين، منهم مليون ونصف مليون في تركيا وسبعمائة ألف في إيران ونصف مليون في العراق.

قامت بعض الصعوبات من الناحية العرقية. فبعض البلدات في جنوب الولاية كانت تقيم فيها قوات عسكرية تركية ومدينة الموصل العربية كانت مطوقة من الشمال. ومن الواجب ملاحظة الطريق الوحيد الذي يربط الموصل بالبلدان العربية فهو يمر عبر المدن التركية والكردية والصعوبة الأخيرة تكمن في الأجزاء الشرقية وهي الطرف النهائي من ولاية الموصل والأكراد فيها أغلبية مطلقة. وهي ترتبط بالشمال فقط من خلال نهر دجلة ويمكن الوصول إليها عن طريق أربيل. وليس بالامكان الوصول الى السليمانية إلا بالمرور من كركوك.

ورد في التقرير حجة أخرى تاريخية الصبغة توصلنا الى أنه لا سبيل الى إغفالها. وهي إنه لا العرب ولا الفرس ولا الأتراك ولا المغول يستطيعون الإدعاء بأنهم ملكوا الموصل بلا نزاع. لكن كان واضحاً ان السلاطين الأتراك حكموا الموصل مدة أربعة قرون إلا أن حكمهم هذا لم يؤثر على بنية الموصل وقوامها لأن الباشوات كانوا يحكمون على

وجه الإستقلال التام ويمكن القول أن سلطة السلطان كانت حقيقية فحسب على طريق الموصل - أربيل - كفري.

قلت أن القسم الإقتصادي كان من عمل پاولس. وقد تضمن أولاً تدقيقاً للمذكرات التي وصلتنا من الحكومتين البريطانية والتركية، ثم عرضاً وتوضيحاً للأسئلة التي وجهتها اللجنة للحكومتين وإجابتهما عنها.

وقد بُنيت الإجابة على أرقام موضحة للتصدير والإستيراد ولم تكن رابطة الموصل مع تركيا بذات بال نسبياً. وأوضحنا في التقرير العلاقة التجارية للأجزاء المختلفة من منطقة الموصل. وتوصلنا الى أنها رغم عدم أهمية تجارتها مع تركيا فهي تستطيع أن تكفي نفسها بنفسها الى حد ما، إلا أن الأجزاء الأخرى كانت ستعاني كثيراً من الناحية الإقتصادية لو دخلت الموصل في الحدود التركية.

وتطرق پاولس الى مسألة الري والنفط. لكن كان لها دور قليل نسبياً في مجرى تحقيقاتنا. ففي قضية الري قد تُرى المشكلة بسيطة قابلة للحل ببناء سد عند التقاء دجلة بنهر (نارين). أما في قضية النفط فقد فحطنا بدقة المفاوضات التي جرت حول ذلك وهي تشير الى أن شركة النفط التركية المتألفة قبلاً من شركة النفط الفارسية ومجموعة الشركات الهولندية الملكية ومجموعة شركات فرنسية وأمريكية واحد كانت قد عاودت مرة أخرى التفاوض مع العراق إستكمالاً لما بدأت مع تركيا قبل الحرب بقليل. وظهر لنا أيضاً أن العمل في هذا المجال كان يتطلب وقتاً طويلاً وأموالاً طائلة في المنطقة التي تحتوي على النفط. وأتصف عمل پاولس بالعمق في التقارير التجارية التي وضعها القنصل الألماني في الموصل والمعلومات الهامة الواردة في كتاب (كينيت Cuinet) الموسوم «تركيا الآسيوية La Turquie d'Asie». ومما ورد في تقارير القنصل الألماني إنه ليس بالإمكان إنتزاع مدينة الموصل من شمالها وان التجارة المباشرة مع تركيا لا وجود لها تقريباً.

الطريقان التجاريان الرئيسان، كانا مع بغداد والخليج الفارسي بل مع سورية نفسها إذ كانت الطرق قليلة. وقد أتت الإحصاءات الشمولية الى وصف تفاصيل صادرات وواردات المواد الغذائية وعرضت صورة واضحة للوضع.

وهذه هي النتائج التي توصل إليها (پاولس):

للتجارة في المنطقة المنازع عليها إتجاهان، الأول والإكثر أهمية- الى بغداد والثاني

الى سورية: باستثناء بعض المناطق في أقصى الشمال فقد كانت لها علاقات مع تركيا. وفيما يتعلق بالموصل فإن حالتها لو فصلناها عن العراق ستكون أقل سوءاً من فصل المدن الواقعة الى جنوبها وهي منطقة بغداد التجارية الوحيدة. وينتهي القسم الإقتصادي في التقرير الى أن الحل الأمثل هو أن يحتفظ العراق بالموصل لكن يمكن أن تُقطع عنها المواقع التي هي في أقصى شمالها وهي قليلة الأهمية للعراق من هذه الناحية.

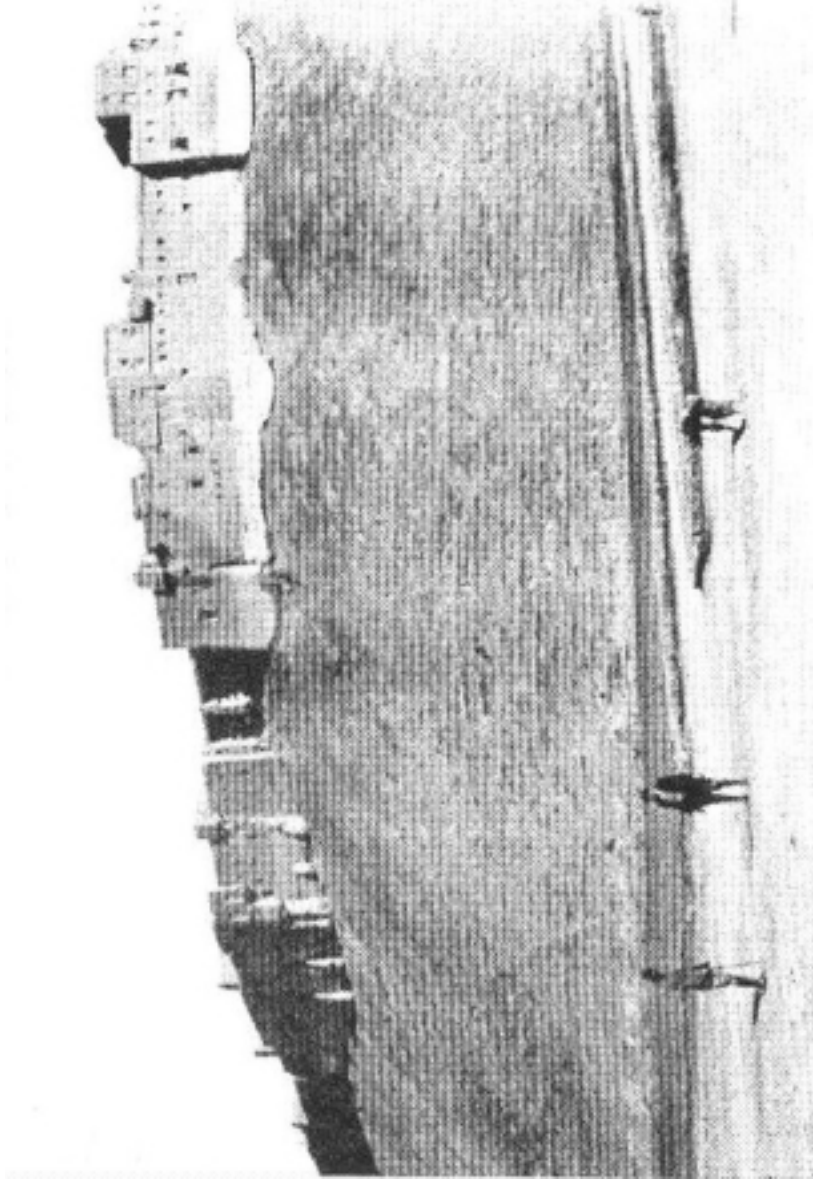
في التقرير توصية أخرى للمجلس إذا شاء تقسيماً. فالخط الذي حدده سيكون شمال الزاب الصغير. وذكر التقرير الأسباب الاستراتيجية التي ينبع منها عدم رغبة العراق في التقسيم.

القسم الأخير من التقرير وهو القسم السياسي قام بكتابته صاحب هذه المذكرات. دخلت في إيضاح مفصل للمجموعات العرقية وتقسيمها الجغرافي في ولاية الموصل وخلصت الى النتائج التالية:

موقف وحدة (لواء) السليمانية الإدارية لم يكن فيه لبسٌ أو إيهام. فالمنطقة مسكونة من الأكراد فقط. وتحديدًا بـ (١٩٠٠٠٠) نسمة بينهم (٧٥) عربياً. و (١٥٥٠) يهودياً. وقد تأكد للجنة أن كل سكانها تقريباً يرغب في أن يكون تابعاً للعراق: لكن هذه الرغبة لا تعبر عن ولاء خاص لحكومة عربية. بل كانوا ينشدون حكماً ذاتياً واسعاً يستخدم اللغة الكردية في جميع المجالات ويدعم إنكليزي أقوى في المنطقة.

في تلك المنطقة كنا شهوداً لحركة قومية كردية شابة، لكنها معقولة تطمح الى إستقلال تام. لكن برعاية و إشراف ثقافي وحضاري أوروبي. وقد كانت كفاءة الإداريين الإنكليز في حكم تلك المنطقة واضحة بما فيه الكفاية أنالتهم إحتراماً وعززت من مكانتهم.

في وحدة (لواء) كركوك الإدارية كانت الآراء أقل تجانساً وأصعب تحليلاً. هناك كان السكان متعددي القوميات. ففضلاً عن (٣٧٠٠٠) عربي، وجد (٤٨٠٠٠) كردي و (٢٦٠٠٠) تركي و (٢٥٠٠) مسيحي وبالنسبة الى المسيحيين فجميعهم يريدون العراق وإن كان لطائفة منهم بعض الرغبات. والأترك الذين يعيشون في مركز اللواء (كركوك) وفي سائر القصبات الأخرى شرق دجلة اعتباراً من أربيل وآلتون كوبرو



أرييل في عام ١٩٢٥ - صور التقطها فيرسين

وكركوك فكلهم يحيدون الإنضمام الى تركيا خلا فئة قليلة رغبت في البقاء مع العراق لمصالح إقتصادية. وكانت الآراء عند العرب والكرد متباينة. عدد كبير منهم كانوا يريدون تركيا لكن رؤساء القبائل الكردية كانت رغبتهم في التزام جانب العراق مشوبةً وقد لاحظنا أن معظمهم كان يتسلم رواتب من الحكومة العراقية لضمان الأمن في العراق. وفي وحدة (لواء) أربيل الإدارية مثل الأكراد الغالبية المطلقة فهناك أكثر من (١٧٠٠٠٠) كردي و(١٢٠٠٠) عربي وما يقل عن (٣٠٠٠) تركي وحوالي (١٤٠٠٠) مسيحي وما يقل عن (٣٠٠٠) يهودي.

ضمن هذه الوحدة كانت مدينة كويسنجق وما حولها. وكانت آراء أهلها ومقاصدهم طبق ما عبر عنه أهالي السليمانية. مجموع سكانها البالغ ٦٠٠٠٠ نسمة وغالبيتهم المطلقة من الأكراد والرؤساء فيها كانوا على درجة عالية من الثقافة. في مدينة أربيل بالذات كان الميل الى الترك هو الغالب إلا أن بعضهم كان مع العراق. والأغلبية فضلت الحكم التركي على الحكم العربي.

في المنطقة المتاخمة للحدود التركية وجدنا مجموعة من السكان الذين لا يهتم بهم أحد وكان يتعذر علينا أن نعرف ما يريدون.

في وحدة (لواء) الموصل الإدارية كان الخليط العرقي يفوق سائر المناطق تعقيداً. فثم (١٢٠٠٠٠) عربي، منهم ٧٤٠٠٠ في مدينة الموصل مقابل (٨٠٠٠٠) كردي و(١٠٠٠٠) تركي و(٥٥٠٠٠) مسيحي يسكن أكثر من (١٩٠٠٠) منهم في المدينة وهناك (٢٦٠٠٠) من عبدة الشيطان. وحوالي (٨٠٠٠٠) يهودي نصفهم يسكن الموصل. الغالبية العربية كانت تريد العراق. وأعضاء حزب الإستقلال القومي كانوا يطمحون الى عراق مستقل ويسعون سعياً حثيثاً لالغاء المعاهدة الإنكليزية العراقية بأسرع وقت ممكن. قال بعض العرب أنهم يفضلون تركيا على عراق تحت حكم مستشارين أوروبيين.

وإن أخذنا بعين الإعتبار التوزيع الإجتماعي لمختلف الذين ادلوا بشهاداتهم فإننا سنتوصل الى هذه النتيجة وهي إن عدداً كبيراً من لهم حق الإقتراع في المجالس البلدية مع من هم دون الثامنة عشرة فضلاً عن رجال الدين المسلمين، كانوا يرغبون في حكومة عربية. في حين كانت جماهير الطبقة الفقيرة تفضل تركيا ولها عندهم عاطفة ومشاعر

صميمة والإتجاهات المعادية للأجانب ولغير العرب كانت واضحة عند العرب. لم يكن بالامكان هنا التثبت من طموحات الكرد وتطلعاتهم في الولاية بسبب الخوف من الحكومة من جهة وخشيتهم من معاداة العرب لكل الأجانب أو لغير العرب. وبوسعنا القول بأن الشعور القومي والتطلعات الكردية هنا كانت أقلّ ظهوراً مما هي في الأجزاء الجنوبية من الولاية.

أيد التركمان الإنضمام الى تركيا بحماسة ونظم أهالي تلعفر مظاهرة كبرى إظهاراً لرغباتهم رغم وجود قوة عسكرية هناك تترصد حركاتهم. وعبيدة الشيطان فضلوا حكومة عربية شريطة أن تكون تحت الإنتداب الأوروبي. أمّا موقف المسيحيين واليهود فكان واضحاً. هم يفضلون حكماً عربياً على انهم لا يخفون قلقهم وخوفهم من حكومة عربية خالصة من دون إشراف أوروبي.

كانت هناك منطقتان تعذر الوصول إليهما. أولاهما تلك المنطقة التي تسيطر عليها قوات الشيخ محمود الذي يقود ثورة مسلحة هناك وثانيتها الاصقاع الواقعة في أقصى الشمال التي تعذر الوصول إليها لسوء الأحوال الجوية.

نتائج التحقيقات أوضحت أن الشعور بالولاء للعراق لا وجود له إلاّ عند بعض العرب. وشعور الكرد هو كرديّ وليس عراقياً.

كان المرء يحسّ عند الكرد بوجود شعور قوميّ متنامٍ كلما إتجه نحو الجنوب الشرقي. فهناك كان الشعور القومي أقوى منه في المناطق المتاخمة للموصل وعقره. وظهر الضعف البادي في الشعور الوطني العراقي من خلال القيود الإحترازية التي كان يدلى بها السكان الكرّد المؤيدون للعراق.

بعض العرب فضلوا تركيا على عراقٍ تحت الإنتداب الأوروبي. إلاّ أن عدداً كبيراً من المسيحيين قالوا إنهم يفضلون تركيا على عراقٍ غير منتدبٍ أوروبياً. وبوسعنا القول أن التأييد للعراق لم يكن قوياً. لكن إدعاء الترك بأن أغلبية السكان تفضل التبعية التركية هو إدعاء باطل لا ظلّ له من الواقع.

وان إستثنينا السليمانية لم نجد منطقة أخرى ضمن الولاية ذات آراء موحّدة. وتمكنا من الوقوف على ضعف وتهافت الادعاءات التركية حول مايطمح إليه سكان الولاية ككل. كذلك لم تثبت لنا قوة الإدعاءات الإنكليزية حول المناطق والقوميات المختلفة للأقليم.

خصص جزء من التقرير للمشكلة الآشورية إلاّ اننا رفضنا القيام بتحقيقات شاملة ومفصّلة حولهم لاسباب لامجال لذكرها هنا، على اننا أقترحنا تخصيص منطقة معينة

لتوطينهم من دون إقتطاع أجزاء أخرى من تركيا كما اراد البريطانيون. وخنمنا التقرير بالقول إن من مصلحة الولاية بحسب رأينا أن لا تجزأ وان تحافظ على وحدتها وإنما لأسباب إقتصادية يجب أن تضمّ الى العراق. امّا اذا شاءت عصبة الأمم تجزئتها لأسباب خاصة فقد أقترحنا أن الزاب الصغير هو أفضل الحدود. كما إقترحنا أن تشرف عصبة الأمم على إنتداب البلاد لمدة خمسة وعشرين عاماً. وانا شخصياً اراها فترة طويلة. كما أوصينا أن تؤخذ أمانى الكرد بعين الإعتبار وأوضحنا بأن غالبيتهم في أحوال أخرى غير تلك، يفضلون السيادة التركبية على السيادة العربية.

أخيراً أقترحنا بعض المبادرات في المجال التجاري.

كان لعملنا قدر ما أفهم ثمرته في دعم السلام بلا مرء. حاولنا من بداية عملنا أن نحول دون تورط تركيا في حرب بسبب الموصل، لكن ومن أجل المحافظة على السلام ويهدف تقوية الدولة العراقية كان إقتراحنا بضم كلّ اجزائها في وحدة، موضع مصادقة من عصبة الأمم.

بدا من الصعوبة بمكان أن نجد أرضية نتفق عليها تماماً. ولذلك ساومنا في مسائل كثيرة حتى وُقِّعنا الى حلّ نرضى به جميعاً وإنه لما يسعدني أن يقع ادعائي هذا موقع رضى وتأكيد من چمبرلين في حديقة منزل السيد (اريك دروموند) - خلال حديث طويل إستغرق نصف ليلة حول مشكلة الموصل وقد كنا موضع مراقبة من مدققين يتابعان أعمالنا من بعيد إحتراماً لنا. كما أسعدني أن أسمع بعد بضعة سنوات من السيد رامسي ماكدونالد بأن مقترحاتنا كانت قيمة ودقيقة الى حدّ كبير.

ي. اف. فيرسين



سي. جي. إدموندز C.J. Edmonds

الفصلان الأخيران من كتابه «كرد و تُرك و عرب: سياسة ورحلات
ويحوث عن الشمال الشرقي من العراقي ١٩١٩-١٩٢٥ Kurds
Turks and Arabs: Political, Travel and
Research in North Eastern Iraq 1919-1925 الصادر في
العام ١٩٥٧.

مُستلّ من ترجمتنا المطبوعة لهذا الكتاب أولاً في ١٩٧٠، وثانيةً
في ١٩٩٩.

لجنة الموصل

- ١ -

يذكر القاريء أن معاهدة لوزان التي وقّعت في ٢٤ تموز ١٩٢٣ تضمنت إعطاء الفرقاء الموقعين مهلة تسعة أشهر ليحلوا فيما بينهم النزاع حول الموصل بالطرق الودية. وقد شرع رسمياً بالمفاوضات الثنائية لهذا الغرض في ٥ تشرين الأول بمذكرة بريطانية الى الحكومة التركية. ثم اتُّفق أن تبدأ الأشهر التسعة من هذا التاريخ. إلا أن المباحثات الفعلية لم تبدأ إلا في ١٩ أيار ١٩٢٤ لأسباب مختلفة. فوصل وفدٌ بريطاني الى أستنبول برئاسة (السرّ پرسی كوكس) وعضوية النقيب (ر.ف. جاردين R. F. Jardine) معاون المفتش الإداري للواء الموصل الذي ظل يمارس وظيفته هذه منذ العام ١٩١٩، وقد أعدّ دراسةً خاصةً جغرافية وبشرية بسكان منطقة الحدود.

كانت السلطات البريطانية في هذه الفترة مشغولة بالمشكلة الخطيرة مشكلة مستقبل النساطرة المسيحيين الذين يُعرفون بالأتوريين سكنة جبال حكاري. وهذا الإقليم هو ولاية تقع شمال ولاية الموصل. في ربيع العام ١٩١٦ إنتفض هؤلاء المحاربون الجبليون الأشداء على الحكم التركي بإغراء من قائد الجيش الروسي المهاجم. إلا أن تراجع قطعاته التالي أدى الى بقائهم في الميدان وحدهم معرضين الى نقمة وتأديب حكومتهم الشرعية، فلم يجدوا بُدّاً من الجلاء هم وعائلاتهم الى إيران والسلاح في أيديهم يقاثلون قتال الإنسحاب وظلوا يحاربون بإمرة القيادة الروسية الى أن إنحلّ الجيش الروسي الإمبراطوري ففقدوا نصيرهم الوحيد وعُدموا قوت الحياة. وتمّ إخلاء (٣٥) ألفاً منهم (معظمهم من حكاري وبع مئآت من منطقة العمادية على الطرف الأقصى الشمالي من حدود ولاية الموصل، وبضعة ألوف من الرعايا الإيرانيين سكان قرى سهل أورميه) بحماية القوات البريطانية التي مازالت في غرب إيران. وأودعوا معسكر لاجئين كبيراً في بعقوبة التي تبعد عن شمال بغداد بثلاثين ميلاً. وفي غضون أربع سنوات (١٩١٩-١٩٢٣) تمّ إسكان معظم من يحمل الرعية التركية ومن بينهم ٧٠٠٠- ٨٠٠٠ نفس إستقروا فعلاً في جنوب (حكاري) على الحدود حيث لم يكن يوجد أثرٌ ما للسلطة التركية. وأسكن آخرون الجانب العراقي من الحدود. وجُنّد عدد كبير من الرجال في الليشي العراقي تحت إمرة ضباط بريطانيين.

وعندما إجتمع الفريقان لبحث موضوع النزاع، حدّد الممثل التركي طلب حكومته في إستعادة كل ولاية الموصل وأدلى (السربرسي كوكس) بمطلبه خط حدود يبتعد كثيراً عن حدود الولاية الى الشمال مما يترك في العراق كلّ موطن الآثوريين القديم - فضلاً عن الجزء الذي عادوا إليه، وهذا يفوق بلا جدال أيّ إقتراحٍ عُرض في (لوزان) ولم يتزحزح أيّ فريقٍ إنجماً واحداً عن موقفه. وفي ٥ حزيران إنفضّ المؤتمر بلا نتيجة. وفي ٦ آب أي بعد مرور شهر واحد على نهاية المهلة المقررة في المعاهدة رفعت الحكومة البريطانية موضوع النزاع الى عصبة الأمم.

وفي الوقت عينه ونظراً الى الوضع العصيب الذي خلقتة سياسة الشيخ محمود النشطة في دخوله المناطق المحظورة عليه، عاد المندوب السامي يعتنق فكرة إحتلال السليمانيه بقوات من المشاة. وتم ذلك في أواسط تموز بسوق رتلٍ من الجيش العراقي تدعمه قوات من الشرطة ووحدة من الليثي الآثوريين تعززه القوة الجوية البريطانية وأنيط به (چاپمان) الإشراف على الإدارة مخولاً صلاحيات المتصرف ومرتباً بأوامر الحكومة العراقية على أن يكون لفترة من الوقت متصلاً بالمندوب السامي ومتسلماً الأوامر منه.

وفي بداية شهر آب قرر الترك أن يُحكّموا قبضتهم على حكاري الجنوبية وكانوا في مناسبات عديدة قد إحتجوا أمام العصبة على عملياتنا الجوية المختلفة وتحركاتنا العسكرية الى رواندوز والسليمانيه إلا أنهم أصيبوا بنكسة. فالآثوريون الذين عادوا مؤخراً الى الإستقرار على جانبي الطريق الذي يوصل جوله ميرگ بمركز ناحية (چال) ألقوا القبض على والي حكاري أثناء سفره في جولة تفقدية لهذا المركز الإداري الصغير. على أننا إتخذنا تدابير عاجلة لإطلاق سراحه. إلا أن الترك قابلوا هذا العمل بتحشيد قوة عسكرية في (جزيرة ابن عمر) وعبروا نهر الهيزل. ودخلوا الأراضي العراقية على بعد أميال قلائل من شمال (زاخو) وواصلوا زحفهم رغم تعرض القوة الجوية البريطانية، خلال جبال حدود ولاية الموصل عدة أيام قبل أن يعودوا أدراجهم متجهين الى منطقة (چال) وهناك قاموا بطرد ثمانية آلاف آثوري وجدوا أنفسهم مرة أخرى لاجئين الى العراق.

نظرت العصبة في خريف تلك السنة في النزاع المعروض، مع كل الإحتجاجات التي

قدمها الطرفان بخصوص النشاط العسكري الذي قام به فريق ضد فريق، وفي (٣٠) أيلول أصدر مجلس العصبة قراراً جاء فيه: "إن الفريقين كانا قد تعهدا مسبقاً بقبول أي قرار يصدره المجلس في المسألة المعروضة عليه، وأن يمتنعوا في الوقت عينه عن القيام بأي عمل عسكري يرمي إلى إحداث تغيير في الوضع الراهن" كما قررت أيضاً تعيين لجنة خاصة لدراسة المسألة موقعياً وتقديم توصيات لمساعدة مجلس العصبة على التوصل إلى حل، إن التعهدات المتعلقة بالأعمال العسكرية قد بعثت المشاكل المألوفة وأثارت خلافاً جديداً حول أي (وضع راهن) ينبغي المحافظة عليه. هل هو وضع ٢٤ تموز ١٩٢٣ (كما طلبت بريطانيا العظمى) أم وضع ٣٠ أيلول (كما طالبت تركيا)؟ ثم هل أن قيام أحد الفريقين بإعادة احتلال رواندوز والسليمانيه، وقيام جنود الفريق الآخر بإحتلال حكاري، ينطويان على تغيير أي جزءٍ منها ليس في مصلحة الفريق الآخر، أم أنه عمل بوليسي داخلي؟ وجرى إجتماع فوق العادة لمجلس العصبة في (بروكسل) للبحث في الإحتجاجات المستجدة. وبالأخير وافقت الحكومتان في ٢٩ تشرين الأول على سحب قواتهما إلى جانبي الخط الذي إقترحه الوسيط البلجيكي مسيو برانتنگ Branting وهذا الخط يمتد على مجاري الأنهار بدلاً من قمم الجبال وهو في الحقيقة يطابق تقريباً حدود الولاية القديمة ما بين الموصل وحكاري، وبهذا القرار مُهد الطريق للجنة التحقيق لتبدأ عملها.

وشهدت بغداد صيفاً عصيباً مليئاً بالزواجع. فالمناقشات في المجلس التأسيسي حول المعاهدة إمتدت حتى أيار. وفي هذا الجو الذي كهرته الإجتماعات السرية والمظاهرات الصاخبة التي كشفت عن عداة شديد، أعلنت الحكومة البريطانية أن عدم المصادقة على المعاهدة في موعد نهايته ١٠ حزيران سيحملها على إتخاذ خطوات أخرى لتطبيق القرارات المتعلقة بالعراق التي إتخذتها الهيئة العامة لعصبة الأمم. وفي اللحظة الأخيرة إمتنع (٦٩) عضواً من أصل (١٠٠) من أعضاء المجلس التأسيسي عن حضور آخر جلسة وقبل بضع دقائق من إنتهاء الأجل المضروب أي في منتصف الليل صودق على المعاهدة بأغلبية (٣٩) صوتاً ضد (٢٤) وإمتناع (٨) عن التصويت ولم يستجيب نواب ألوية السليمانيه وكركوك وأربيل ونواب أفضية الموصل الكردية لكل عوامل التهديد والإرهاب وكانوا أكثرية نصف أغلبية الأصوات التسعة والثلاثين التي

أقرت المعاهدة. على أن هذا القرار تضمن تحفظاً وهو أنه سيكون باطلاً إن لم تقم الحكومة البريطانية بحماية حقوق العراق في جميع ولاية الموصل. ثم سنّ المجلس التأسيسي القانون الأساسي (الدستور) وقانون الانتخابات وحلّ بعد إنجازه ذلك وتمت المصادقة على المعاهدة بالطرق المألوفة فوقّعها الملك جورج في ١٠ تشرين الثاني ووقعها الملك فيصل في ١٢ كانون الأول من العام ١٩٢٤.

وفي أثناء غيابي عن كركوك وقعت حادثة مؤسفة، ففي ٤ أيار وعلى أثر منازعة فردية في السوق حول ثمن حاجة بسيطة بين بائع وبين اثنين أو ثلاثة من الليثي الآثوري (أستبدل بالسيخ في الحريف الماضي) ثارت نائرة سريتين وتمردتا على الأوامر واستخدمتا مدافعهما الرشاشة، فقتلت خمسين من أهالي كركوك وجرحت عدداً أكثر من هذا بكثير حتى سيطر عليهما ضباطهما البريطانيون، وقامت عناصر من الأهالي المسلحين الهائجين بردّ الكيل في اليوم التالي فهاجمت حيّ المسيحيين الكلدان القديم ونهبت بيوتهم وقتلت عدداً منهم، ومن سوء الحظّ أن اللجنة التي شكلت للتحقيق إثر ذلك لم تتمكن من حصر مسؤولية القتل في أي فرد من الليثي بالذات. وظلت الحكومة العراقية والرأي العام على حدّ سواء مقتنعين بأن السلطات البريطانية تحمي المجرمين الآثوريين. وتمّ في الحال نقل الفوج الأول من مشاة إنسكيلينج Inskilling الملكي جواً من بغداد لمواجهة الموقف المتأزم. ويُذكر أنّ (السيخ) كانوا قد نُقلوا جواً من كفري الى كركوك في كانون الثاني ١٩٢٣. إلاّ أنّ فوج (إنسكيلينج) سيبقى يفخر بأنه أول فوج نقل جنوده جواً في تاريخ الحروب، وأنزلوا في ميدان الأحداث مباشرة مستعدين حالاً للدخول في المعركة.

كانت عودتي الى العراق بعد الإجازة من طريق ذهابي وهو خطّ السيارات البريدي عبر الصحراء من بيروت الى الرمادي ماراً بدمشق. وصلت بغداد في ١٥ تشرين الثاني ووجدت في مخفر الكمارك رسالة من (الليدي دويس) تدعوني للإقامة في دار المندوب السامي وكان (السر پرسی لورين) الوزير البريطاني في إيران وزوجه من ضيوف الدار. كان قد سافر الى جنوب إيران لبذل محاولات في إقرار نوع العلاقات بين (رضا خان) رئيس الوزراء الإيراني الذي نصّب نفسه (شاهاً) بعد شهر، وبين شيخ المحمرة الزعيم العربي شبه المستقل الذي توجد مصافي نفط الشركة الأنكلوإيرانية

(عبادان) ضمن منطقة نفوذه. فضلاً عن أميالٍ وأميالٍ من أنابيب النفط. وبعد ذلك جاء الوزير الى بغداد لبحث علاقات الحدود وغيرها من المشاكل المعلقة بين البلدين مما يمكن أن تقوم مساعي بريطانيا الحميدة بتسويته. وبعد أسبوعٍ رائعٍ في ضيافة (دوبس) الكريمة عدتُ الى كركوك بعد أن غبتُ عنها سبعة أشهر. وكان القطار قد وصل (طوزخورماتو) وإمتداد الخط الحديدي بإشراف المهندس الحاذق (أليك هولت) قد بلغ مشارف كركوك. على أنني فضلتُ إكمال السفرة بسيارتي التي كانت تنتظري في محطة (قرغان) على حدود لوائي. وقطعت رحلة شنعاء مزعجة فوق طريق رملي غير مزقتُ ووسط عاصفة رملية هوجاء عقببتها ريح نكباء كادت تخنقنا بما تحشو علينا من غبار لم يزد مدى الرؤية فيه عن خمس ياردات وكلما أبطأنا السير زاد سمك سحابة الغبار التي تحيط بنا ولم تكن الأمطار قد بدأت بعد. ورحنا نقطع أميالاً إثر أميالٍ من سهل أريد لا لون فيه مهما قلّ لترتاح العين به. إن التناقض الكبير بين الريف الإنكليزيّ الباسم الذي خلفته، كان عظيماً جداً ولذلك شعرت بكآبة غير قليلة.

وسرعان ما سُري عن نفسي بالإستقبال الحار الذي كان بانتظاري على الطريق. لقد ظلت مراسيم الإستقبال التقليدية سائدة في الألوية الشمالية بعد أن خرجت عن الموضة الشائعة في الجنوب الأكثر واقعية. وتحدى موظفو كفري وطوز وطاووق العاصفة الرملية لمقابلتي كلُّ في حدود قضائه. وفي (تازه) التي تبعد ١٢ ميلاً عن كركوك وجدت (مجيد البيعقوبي) الذي خلف (فتاح باشا) العجوز في منصب المتصرف على رأس مجموعة من الموظفين والأهالي عراقيين وبريطانيين.

كان السرب الثلاثون برمته في كركوك وهو الآن تحت إمرة روب Robb (الآن مارشال الجو الأكبر السر جسس روب) وكنت قد عرفته وطرت معه عندما نُقل في عمليات تعزيزات خاصة للطيران المتواصل هنا. إلا أن صلاتنا الآن إشتدت وزادت عمقاً وإنعطافاً وربطتنا علاقات الإحترام والتفاهم المتبادل مثلما كانت تربطني به (كنكيد). وبذلك زاد الإئتلاف بين القوة الجوية وهيئة الضباط السياسيين وقويت أواصره.

وعاد (چاپمان) يتلقى الأوامر مني الآن. وكان منذ تعيينه متصرفاً في السليمانيه مرتبطاً بالمندوب السامي رأساً. ولم أضيّع لحظة واحدة في السفر إليه جواً لتفقد الأمور بنفسه. وكان يتملكني في أول ستٍ وثلاثين ساعة من عودتي شعوراً غريباً في أن كل

ما حولي ذو مظهر خادع غير حقيقي. لكنني شعرت وكأني لم أغير المنطقة أبداً عندما وجدت نفسي في صباح اليوم التالي أحلق في جو كركوك منتظراً إقلاع خمس طائرات أخرى، ثم أصعد في طبقات الجو العليا متجهاً نحو الشمال فوق سهل چمچمال وتلها، ثم فوق قرداغ ومضيق بازيان عن اليسار، وفتحة (باسرا) القائمة عن اليمين، ثم فوق معسكر الليفي الآثوري في (تینال) ومعسكر الجيش العراقي فوق قمة طاسلوجه. ثم تلوح (سرچنار) أخيراً! كان (السر هنري دويس) قد قضى يومين في السليمانيه قبل أسبوع وإقنتع بضرورة القيام بعمل جوي ضد الشيخ محمود الذي كان يتربص بنا الدوائر في (سيتك) مما يلي (أزمر) في (شارباثير). وكانت هذه هي مهمة طائراتنا الست. إن المنظر المهيب جداً لوادي (قلاچوالان) كان أجمل من الجو وأشد وقعاً على النفس. وتمكنت في الضوء الصافي البلوري أن أعين وأسمي كثيراً من معالم وإشارات الأرض ظلت عالقة في ذهني من زورات العام ١٩١٩. وكان القصف في (سيتك) جيداً وألقيت القنابل ذات الانفجار العالي وأشفت بقنابل محرقة لبتبعها بعد لحظات قليلة، نار واسعة متأججة ثم دخان كثيف، وبعد إنتهاء القصف هبطنا في السليمانيه. لقد أعيد إحتلال المدينة ونصب مديرو نواح محصنون ضد الرصاص من كنايات مختلفة متفاوتة. (منهم سليمان خان روعزادي- تانجرو) وذلك للإشراف على نواحي وادي السليمانيه. وتم خلق واجهة إدارية كاملة. ومع هذا بدا الوضع السياسي كما بسطه (چاپمان) أقل مدعاة للإرتياح مما كان في الربيع وأخذت فصائل الشيخ محمود تنجم من قواعدها شارباثير وپينجوين ولا تتورع من بلوغ مشارف السليمانيه وسمعة الإدارة في حلبجه قد هوت الى الحضيض بسبب الخصومات الداخلية بين البگزاده أنفسهم. وكان (شيخ آودل) في قرداغ يباشر عملاً سافراً ماشككت فيه قط قبيل رحيلي مواصلاً إبتزاز المال من القوافل والمسافرين غير مكترث. وعاد الجاف الى مراعيهم الصيفية وراء الحدود وقد إتخذوا طابع التحدي المكشوف بعمليات السلب والنهب على طول خط رحلتهم الشتوية العريض. وأصاب الجيش العراقي نجاحاً طيباً في بعض إشتباكات مع الفئات المعادية، وقامت القوة الجوية البريطانية بكثير من العمليات (زودت مؤخراً بمقاتلات ذات مقعد واحد من طراز سنايپ لضمان إستمرارية العمل).

وهكذا قضيت أول شهرين بعد عودتي في أعمال روتينية مألوفة. وغبت عن كركوك

نصف هذه الليالي الستين. وكان أغلب طيراني مع (روب) وأحياناً مع (آيري) إمّا زائراً السليمانيه وحلبجه، وإمّا مرافقاً غاراتٍ حقيقية، وإمّا بطيران إستطلاع. وكثيراً ما كنتُ أضطر الى البقاء في كفري وهي أقرب قاعدة لأخطر أعمال شقاوة الجاف في (كُلّ وبيسواز ووارماوه). وكنتُ هناك متحرراً من أعمال الروتين التي تتكدس فوق مكتبي في مقري وتمكنت بمشاركة ضباط سرية مصفحات القوة الجوية في معسكرها بـ(كنگرين) من تنظيم طلّعات صيد رائعة في بساتين القرى المجاورة التي يوجد فيها أو فيما حولها عدد غير قليل من القطا Partridge، فضلاً عن الدراج الأسود، والشنقب Woodcock.

هناك حادثة واحدة تستحق الذكر في هذه الفترة. وهي زيارة الملك فيصل الأول كركوك منذ قدومه البلاد. فقد كان يقوم بجولة واسعة في الألوية الشمالية ليؤلف القلوب من حوله قبل وصول لجنة العصابة. وفي ١٩ كانون الثاني وهو اليوم الأسبق لوصوله سقط ما يدعوه الكُرد (پَکَه) وهو أول مطر غزير متواصل شتوي من شأنه أن يشبع التربة بالماء الى عمق لا يقلّ عن أربعة إنجحات. وفي أقطار الشرق الأوسط حيث ترسيب المياه في التربة محدود، يعتبر سقوط المطر الغزير قبيل مقدم شخصية كبيرة فإلاً حسناً وزيارة ميمونة ويرفع من قدر الزائر. وفي هذه المناسبة كانت الـ(پهله) قد تأخرت عن موعدها المؤلف شهرين كاملين وكان القلق الشديد يسود الناس. ولذلك لم يكن ثمّ ساعة أفضل يختارها الملك للزيارة، من هذه الساعة.

ويظهر أن (موظف الأنواء الجوية) كان قد قرر أن لايعمل الأشياء أنصافاً أنصافاً. ففي صباح العشرين من الشهر إنطلقتُ بسيارتي مع (ميللر) وعدد من الموظفين الآخرين لإستقبال الملك في (آلتون كوپرو) وهي حدود اللواء. وفي قرية (باروكي) التي تبعد أربعة أميال عن كركوك، وفي نقطة عبور نهر (خاسه) وجدنا مجراه فائضاً مزيداً يندفع هادراً بتسيارٍ سريع لونه لون الشوكولاته. وحاول سائقي (خليل) تهوراً منه وطيشاً، أن يخوض الماء بالسيارة من الموضع المؤلف فغاصت في الطين حتى المحور وطغى الماء عليها حتى بلغ مستوى غطاء المحرك الأمامي وأطفأ المحرك. فأضطررنا الى الخروج وخضتُ الماء حتى فخذني الى البرّ. وكان هذا إنذاراً للسيارات الأخرى فأوقفت عند الضفة. ثم بعثنا نطلب كلّ تاكسي في كركوك إحتياطاً لنقل الحاشية الملكية الى المدينة في حالة إضطرارهم الى عبور النهر بالقوارب. ولم يكن يتوقع وصول

الملك قبل ساعتين أو ثلاث لذلك لجأنا الى (ياروكي) ورحنا بين آن وآخر نخرج لتفقد المياه باحثين عن نقطة عبور ذات قاعٍ صلبة راكبين خيولاً إستعمرناها من جماعة من الفرسان الهموند (سواري) كانوا قد إحتتموا بالقربية. وقبل وصول التاكسيات التي طلبناها بنصف ساعة عثرنا على موضعٍ يصلح للعبور، وإنتقلنا منه الى الضفة الأخرى وأعدنا أنفسنا لإرشاد السيارات القادمة أثناء عبورها. ولاشك أن (ميلر) كان بطل الميدان فمع أن بدانته ماكانت تؤهله لركوب الخيل كما ذكرت، إلا أنها ساعدته على زرع نفسه كالطود في وسط التيار الجارف جاعلاً من نفسه شاخصاً خطراً بشرياً. وكان في مبدأ الأمر يشير الى السيارة بالتقدم نحوه، حتى اذا دنت منه زود سائقها بالإتجاهات الصحيحة للجزء الباقي من النهر. وإمتلاً الملك إعجاباً بما رأى حتى أنه كثيراً ما ذكر الحادثة في السنين التالية. وما إن تم عبور القافلة الملكية بأمان حتى إنفتحت أبواب السماء عن أمطار غزيرة شديدة. ولم يحل هذا دون إلتئام شمل عدد كبير من السراة والوجهاء لإستقباله وكان الأهالي قد خرجوا زرافات الى ظاهر المدينة وبانضمام وحدات الليفي والشرطة وخيالة القبائل الى المستقبليين ضمن مظهر مهيب لدخول الملك كركوك، ورفع العلم العراقي لأول مرة في تاريخ المدينة تشريفاً للمناسبة وبقي مرفوعاً دون أي إعتراض بعد رحيل الملك.

وإستمر الطوفان طوال الليل واليوم التالي ولما إنتهى منهاج الإستقبال والولائم التي تخللته كانت الأنهار الثلاثة (طاووق چاي) و(ئاوه سبي) و(قوروجاي) (وهو مسيل صغير شهير بصعوبة عبوره وزوغانه يقع بالقرب من كفري) قد فاضت فيضاناً عظيماً وانقطع الطريق الجنوبي تماماً وتسببت أمطار أخرى في الأيام التالية في تأخر الركب الملكي وظلت تمطر دون هوادة، ولم تدع فاصلاً حتى يوم عيد الميلاد. وفيه قرر الملك تجربة حظه بعد أن شجعتته التقارير المنبئة بتحسن الطقس وكان الثلج يتساقط عندما تركنا كركوك، وتمكننا من عبور (طاووق چاي) بسياراتنا فوق الجسر الحديد الجديد الذي لم يكمل بعد. وعثرنا على معبر جيد في (ئاوه سبي) قبل أن تدركنا زخة مطر أحالت كل ماحولنا من قيعان الى بحيرة عظيمة. وقضيت الليلة مع سرية مصفحات القوة الجوية في الموضع الذي مازال يعتبر رسمياً رأس الخط في (كنگران). وإستيقظت صباحاً لأجد رصيف المحطة مغطى بلحاف من الثلج والقطار ذاته كاسياً حلة بيضاء منه

سمكها ثلاثة إنجات. وكان الملك وحاشيته والموظفون العراقيون قد باتوا ليلتهم ضيوفاً على وجهاء كفري والتأم الشمل في الثامنة صباحاً. وقمت أنا والمتصرف بتبادل حديث طويل أخير مع الملك وأعرب لنا عن سروره بنجاح زيارته بصريح العبارة. وواعد أن يَحْتثَّ وزراءه ليصادقوا على المقترحات التي نعرضها بخصوص دعم الإدارة والعمل على طمأنة المشاعر العامة.

يندر سقوط الثلج في السهل حتى الى مسافة بعيدة شمال كفري. واني لأذكر يومها وإن لم أدون ذلك في يومياتي - سقوط الثلج في بغداد تلك الليلة ولأول مرة منذ عشر سنوات على ما قيل. وهجمت في أعقاب الثلج موجة برد صقيعية عدة أيام وجمد نهر خاسه في كركوك.

وبطبيعة الحال كان الوضع في السلیمانيه مضطرباً الى حد حال دون زيارة الملك وقد شعرت بعد برقيات قلقة من (چاپمان) أن واجبي يفرض عليّ السفر الى السلیمانيه وخسارة حفلة رأس السنة الجديدة التي تم الإعداد لها. وكانت المطارات كلها معطلة فحاولت السفر بالسيارة وخرجت في فجر ٣١ منه برفقة ضابط بريطاني من الليفي الآثوري في سيارتي الفورد. وكان قد سقط شيء من الصقيع وكاد يتعذر سير السيارة وباشرنا بدفعها بسواعدنا فوق مرتفعين شديدي الإنحدار. وعصينا في المرتفع الثالث عندما بدأ الثلج يتساقط. وانقضت عدة ساعات لم نقطع فيها أكثر من عشرة أميال وفقدنا كل أمل ببلوغ چمچمال تلك الليلة فقررنا العودة من حيث جئنا. وبعد كثير من الجرّ والدفع بلغنا كركوك وقت الغروب فرأيناها مغطاة بعباءة من الثلج تخنها إنجان أو ثلاثة... وفيما كنت أستمتع بالذّكوب شاي شربته في حياتي، صكّ أذني دوي عيار ناري اخترق زجاج النافذة واستقر في ساق المنضدة القريبة من ركبتي. واتضح فيما بعد أنّ مصدر الطلقة (ابن المتصرف) وهو صبي مستهتر سيء التربية يبلغ من العمر ستة عشر عاماً كان يلهو بمسدس أبيه بعد أن أخرجه من الدرج.

وفي أوائل كانون الثاني لطح (روغزادي الجاف) أنفسهم بالعار عندما نهبوا قافلة كانت تسير في طريق (إبراهيم خانجي) وكانت عمليات التأديب الجوية بحقهم ناجحة، وانحدرت الى كفري لأقيل من الفئة المجرمة فروض الطاعة وأبحث في التعويضات واذا بي اتسلم وأنا هناك في ساعة متأخرة من الليل برقية مستعجلة جداً صادرة من

(كورنواليس) في العشرين منه:

" أرجو ان تصل الى بغداد جواً. أجب معك أكثر مايمكن من الأمتعة
فربما طلب منك مرافقة اللجنة الى الموصل."

ولكي أكون واثقاً من تسوية الحادثة التي جئت لتسويتها في الحال، اصدرت تعليمات خطية جديدة لكريم بك الجاف وغيره من الموظفين المحليين ذوي العلاقة تتضمن عقوبات أخف كثيراً من العقوبات القاسية التي كنت أنوي فرضها. وتركت كفري الى كركوك قبيل الفجر لأحزم أمتعتي وفي ٢٢ منه طرت الى بغداد.

كانت اللجنة التي أوفدتها عصبة الأمم قد وصلت في ١٦ منه وهي تتألف من السيد أ.ف. فيرسن A.F. Wirsen وهو سويدي الجنسية والكونت بول تيليكي Count Paul Teleky وهو هنغاري الجنسية والعقيد پاولس وهو بلجيكي الجنسية. ومن كل من السنيور رودولو Rodolo وهو إيطالي الجنسية وهوراس دي پورتاليه Horace de Pourtalis السويسري الجنسية بمثابة مقررين.

كان (فيرسن) وزيراً أقدم في السلك الدبلوماسي وقد إنتخبه زملاؤه رئيساً للجنةهم ربما لأنه يمثل بلاده بقتيت على الحياض طوال الحرب وهو لم يكن يُنتظر منه إهتمام بتمحيص لب المسألة أكثر من محاولته إيجاد منافذ توفيقية. وكان (تيليكي) بخلافه تماماً لايرضى بغير الحلول البتارة. ففي بلاده هنغاريا، كان أحد قادة الحركة المعادية لثورة العام ١٩١٩ التي نجحت في إسقاط حكومة (بيلاكون) الشيوعية. وكان رئيس وزراء في حكومة بلاده منذ تموز عام ١٩٢٠ حتى نيسان عام ١٩٢١ وهو في الوقت الحاضر رئيس منظمة الكشافة الهنغارية^(١) وكان إهتمامه الأساس بمشكلة الموصل منصباً على المظاهر الجغرافية والتكوين القومي. وقد سبقته قصة لأدري مبلغ الصحة فيها. وهي انه كان عضواً بارزاً إن لم يكن رئيساً لجمعية تدعى (جمعية الحجاج الهنغار) التي كان سبب تأسيسها توثيق عرى الصداقة مع تركيا، بزعم وجود صلة عنصرية عتيقة بين الشعبين التركي والمجري. وبإجتماع هذه القصة مع جنسية العدو السابق التي يحملها. نشأ في نفوس العراقيين كره له، وزاد من هذا الكره على

١- تولى (تيليكي) المسكين رئاسة حكومة المجر عام ١٩٣٩ مرة ثانية. وفي نيسان ١٩٤١ أقدم على الإنتحار مفضلاً الموت على الخضوع لمطلب هتلر باستخدام الجيوش الألمانية أراضي بلاده. (المؤلف)

ما يبدو - ظاهرة غريبة في إسمه عندما يكتب بالحروف العربية فهو إذ ذاك يعني (ثعلب) باللغة التركية! وكان پاولس أيضاً عاطفي المزاج ذا خبرة طويلة في أعمال التجارة والإدارة في الكونغو وإهتمامه منصب بالدرجة الأولى على الشؤون الإقتصادية. وأما (رودولو) فقد كان مستشاراً أو وزيراً صغيراً في السلك الدبلوماسي الإيطالي أوعيرت خدماته لعصبة الأمم. و(پورتاليه) سليل الفرع السويسري من أسرة كبيرة جداً يتحدث بالإنكليزية كأحد أبنائها واطنه أخبرني انه كان تلميذاً في مدرسة توجيهية بإنجلترا - وهو أيضاً نظراً لتقاليد الأسرة العريقة كان قد خدم قبل الحرب في لواء فرسان بروسي من فرسان الصاعقة. ولم يكن من ملاك موظفي عصبة الأمم الدائم، إلا أن السكرتير العام آنذاك (السراريك دروموند Sir Eric Drummond) كان يختاره بين آن وآخر لمهام خاصة من هذا النوع. وألحق بهذين المقررين محاسب وموظف سويسريان. ورافق (تيليكوي) وصيفه الخاص الذي عهد اليه بالإشراف على الطعام. وإلتحق باللجنة فيما بعد (ج.ه. كرامرز J.H. Kramers) وهو مستشرق هولندي شاب ليكون مترجماً. وكانت التركية أفضل ما يتقن من اللغات الشرقية، ومهما تكن درجته العلمية فهو لم يدع معرفة بلغة التخاطب العربية أو الفارسية، وخلافاً ل(پورتاليه) كان (تيليكوي) يحسن الانكليزية. أما (فيرسن) فحظه منها قليل، إلا أنه كان ملماً بالفرنسية، وأما (پاولس ورودولو) فلا ينطقان من الإنكليزية بحرف.

وكان الوفد التركي الذي وصل برفقة اللجنة، مؤلفاً من رئيسه الجنرال جواد پاشا مفتش الجيش العام لجبهة الجزيرة والقائد العام المرشح لها (كما علمنا فيما بعد) عند بدء العمليات الحربية ضد العراق. وكان مجيئه بمثابة مستشار ومراقب، وهو أحد القواد الوطنيين الذين إعتقلتهم لجنة الحلفاء العليا في أستانبول العام ١٩٢٠ وابعدهته الى (مالطه). وكان معه كأعضاء وخبراء: الرائد (كامل بك) للواء الموصل و(ناظم بك نفطجي زاده) للواء كركوك و(فتاح أفندي) للواء السليمانيه. وألحق به ملازم شاب إسمه (بدري بك) مرافقاً. ووجدنا في كامل خير نموذج للضابط التركي، عرف كردستان حق المعرفة وانجز مهمته العسيرة بأسلوب صائب كفوء قدرما يجوز لنا الحكم عليه. أما (ناظم) الذي هرب من كركوك قبل سنتين، و(فتاح) صهر الشيخ محمود فكلاهما كان ناشطاً في حرب الدعاية الباردة التي سبقت هذه اللجنة. وقد تولى



صبيح نشأت

(ناظم) فعلاً منصب الضابط السياسي للرتل الذي دخل الأرض العراقية وهو في طريقه من الجزيرة الى (جال) في آب الماضي.

ووقع الإختيار على (جاردين) ليكون المراقب البريطاني. وكان كما يذكر القاريء قد رافق السير (پرسی كوكس) الى أستنبول في أيار، يساعده في مهمته ممثل الحكومة العراقية (صبيح بك نشأت) وهو محدث بارع دائم البشاشة والمرح لايسقط في يده ايجاد مادة للحديث. ولما كانت معرفته بالفرنسية أرقى بكثير من الإمامة القليلة التي تعتبر عند الضباط العثمانيين السابقين

معرفة تامة بهذه اللغة الدبلوماسية، فقد كان بالإمكان الإعتماد عليه ليؤثر تأثيراً طيباً في أي جماعة من المندوبين قد يُطلب منه العمل معها.

بعد أن قابلت (كورنواليس)، أسرعت لمواجهة المندوب السامي فإبتدري بقوله: انه وجد نفسه في ورطة، فجاردين قام بجميع الدراسات المحلية للمشكلة فضلاً عن كونه قد قُدّم الى عصبة الأمم واللجنة على أساس كونه المراقب البريطاني، ومن الناحية الأخرى فهو صغير السن لاخبرة ماضية له أو إن خبرته قليلة في التعامل مع الأجانب على مستوى أعضاء لجنة خارجية موفدة^(٢) والمناظرة مع مراقب تركي. وليس من العدالة في شيء أن يطلب منه مواجهة مثل هذه المدفعية الثقيلة لايعاونه أحد غير(صبيح). واما أنا (يقصدني) وإن كنت لأزيد بأكثر من ثلاث أو أربع سنوات، فقد درست في أوروبا وأتقنت الفرنسية والألمانية فضلاً عن الصلات الدولية التي

٢- من هنا فصاعداً سيكون من الأنسب استعمال لفظة (لجنة) عندما يراد بها كل الجماعة. وإستعمال (المندوبين) للأعضاء الثلاثة الحياديين والذين أوكلت لهم عصبة الأمم وضع التقرير. (المؤلف)

خبرتها في إيران وهو شيء لم يمارسه معظم زملائي الذين خدموا في العراق والهند فحسب، وإنه (أي المندوب السامي) يرغب في التحاقه بالوفد الانكلو-عراقي إلا أن مسألة القَدَم تُقلقُ باله.

فأجبتُه أن (جاردين) من خيرة أصدقائي وإن آخر ما أريده هو منازعته حقه في المنصب الذي توصل اليه بجدارته ودقة أبحاثه واني على إستعداد للعمل بأي شكل يشعر أنه ذو فائدة. وبعد المداولة تم الإتفاق على أن ألتحق باللجنة بصفة (ضابط إرتباط) وبهذه الطريقة يمكنني دائماً بحث أمورنا ومسائلنا مع جاردين وصبيح. هذا ولما كانت صلات ضابط الإرتباط ستشمل كل أعضاء اللجنة فضلاً عن المراقبين الترك وتغدو رسمية، ولما ستكون معالجاتي لأية عقبة أو مشكلة ذات طابع إنفرادي منفصل عن معالجة المراقب وخبرائه المخولين حق الدفاع المباشر عن المصالح الحيوية للبلاد التي يمثلونها، فسأجد نفسي قادراً على مد يد العون في الإدلاء بتوضيح خفيف مضاد لما استميلت اليه اللجنة وهي في مهمتها الدقيقة جداً. وليس من شك ساور أحدنا في أننا الآن نخوض معركة حياة أو موت بالنسبة للعراق وذلك ليقيننا أن البصرة وبغداد دون الموصل لا يمكن ان يبني منها دولة معقولة لاسباب إقتصادية وستراتيجية ومع أن الصحافة العالمية كانت تصور هذه المعركة كجزء من الكفاح الجبار للسيطرة على النفط، فمن المهم أن نعود الى الورا لنذكر كيف أن إسم النفط كان قليل الظهور في كل حساباتنا السياسية، على مستوى العمل على الأقل فأنا لأذكر وثيقة واحدة ذكر فيها النفط كعامل بارز يرتفع الى الصدارة في ميدان التجارة العام إستيراداً أو تصديراً مما يجعل الولايات التركية الثلاث السابقة وحدة إقتصادية ذات كيان متكامل غير ممكن تجزئته⁽³⁾. وقد تبودلت عدة مذكرات على مستوى خبراء قبل وصول اللجنة وبعده وفي أثناء إجراء التحقيق، إلا أن القضية أجملت بعبارة بليغة وردت في مذكرة رائعة كتبها الملك فيصل بيده وقدمها للجنة... "لذلك اعتبر الموصل للعراق بمنزلة الرأس للجسد. وإعتقادي الراسخ هو وإن كان الموضوع تعيين الحدود بين العراق وتركيا إلا أنه في الحقيقة موضوع كيان العراق ككل ولذلك فإن سعادة وشقاء أربعة ملايين من البشر

٣- نشك كثيراً في ان النفط كان ساقطاً من حساب الانكليز في العراق. فما زال المؤرخون يذكرون أن تعديل اتفاقية سايكس بيكو وخروج ولاية الموصل بما فيها كركوك من المنطقة الفرنسية كان بسبب النفط لاغير هذا على أقل تقدير (المترجم).

هي الآن بين يدي لجننتكم العالية"^(٤) وهناك إعتبار آخر يدفعنا نحن ضباط الأقسام البريطانيين الصغار الذين كنا في موضع أفضل لنرى الأ فرق بين المصالح العراقية النهائية وبين مصالح بلادنا المباشرة^(٥) ومكانتها (ومازلت أظنه حقاً) فلقد كرهنا التنازل عن حق حزنانه بشكل اعلمتنا دراساتنا الأولية في القانون الدولي، أنه حق لاغبار عليه مما يلوح لنا في الرؤية نفسها التي تكشفت لعين (لابارد) قبل ٨٥ سنة بقوله "إن موقع وموارد هذا الإقليم الذي لا يمكن أن يُضاهى وجوده بين الشرق والغرب بنهرية العظیمين الصالحين للملاحة يكادان يبلغان البحر الأبيض المتوسط ويصلانه بالخليج والمحيط الهندي. ولا بد أن يجعله مرة ثانية وبمرور الزمن غنياً كثير السكان كما كان عندما عدّ أهم جزء من إمبراطوريات بابل وآشور وفارس، وعندما كانت حاضرة للخلافة". لكن يجب أن يحدث تغيير عظیم ومستمر لفترة طويلة من الزمن قبل أن يمكن إصلاح الفوضى والخراب اللذين أحدثتهما سوء الحكم والاضطهاد والاهمال. وفي إعتقادي أن الإقتدار هي التي ستوكل إنكلترا مهمة إحداث التغيير المفيد جداً والمهم الى اقصى درجة في سلم التجارة والمدنية.

ما أن وصلت البعثة حتى اضطرب الجو وتحرك. فالحكومة العراقية زاد قلقها بعودة (ناظم وفتح) المفاجئة تحت عباءة الحصانة الدبلوماسية. وكلاهما يُعتبر عندها خائناً هارباً. والأنكى من هذا كما تبينت وأنا في طريقي الى بغداد - أن عودتهما قد اثارت سخطاً مرأ لا يخلو من الخوف لدى القلوب الخائرة في لوائيهما. وأرسل المندوب السامي إحتجاجاً شديداً ل(فيسن) بهذا الخصوص. وفي الوقت نفسه وبينما كان أعضاء اللجنة وجواد باشا ضيوف شرف في مأدبة أقامتها لهم دار المندوب السامي البريطاني، وُضع الخبراء الثلاثة في ثكنة عسكرية خارج المدينة فإحتج المراقب التركي على هذا العمل ووصف المسكن بمعسكر إعتقال وكان مبالغاً في هذا طبعاً. وتدخل (فيسن) فنقلوا الى منزل صغير بالقرب من دار المندوب السامي وفي الوقت الذي أوضح المندوبون واجب السلطة في منح أعضاء الوفد التركي حرية التنقل الكاملة ما أن يدخلوا حدود منطقة

٤- مقتبس من ص٧: (تقرير مسألة الحدود بين تركيا والعراق: وثيقة العصبية. من ٤٠٠ M ١٤٧ السنة ١٩٢٥، ج٧) وسيشار اليه في الصحائف التالية ب(تقرير فييسن) للسهولة وإن كان دور هذا

الشخص في تنظيمه اقل بكثير من دور (تيليكي وياولس) وروودولو الذي لا يجب الظهور. (المؤلف)

٥- المرجع السالف، مجلد (١) ص٣٤٧.

النزاع فقد وافقوا على ملازمة الخبراء بيتهم الى أن يحين موعد السفر الى الموصل. تم لقائي بكل المندوبين والأعضاء عدة مرات في كثير من المؤتمرات ومآدب العشاء والإستقبالات الرسمية. وفي ٢٦ منه وقبل أن نستقل قطار الليل الى الموصل تناولنا العشاء في دار المندوب السامي. وكان (ناظم وفتاح) من بين المدعويين. ويدا أولهما صورة ناطقة بالغم تستدرّ العطف والشفقة وهو في ثيابه الأوروبية التي لاتناسب جسمه. ولاحظ على وجهه إبتسامة خجل خرقاء عندما صارحته بالألم الذي داخلني عندما قرّر أن يخرج من كركوك خلصة. وبعد كثير من الأحاديث الصريحة التي تبادلتها معه في جو من الصداقة، تمت بشيء حول أداء الواجب الوطني. ولم يسبق لي أن إلتقيت به (فتاح) وكان رجلاً ضخماً الجثة غليظ الرقبة كالثور، ولم أجد فيه أي جانب جذاب.

كانت البلاد كلها تعاني من أقسى شتاء عرفته منذ سنين عديدة. وفي الليالي كثيراً ما أشار المحرار الى درجات عديدة تحت الإنجماد وكان البرد لايطاق في القطار الحالي من جهاز تدفئة ولم تغمض لا عيني ولا عين (ليتلدل) شريك في المقصورة وهو الآن مفتش الشرطة لألوية كركوك وأربيل والسليمانية. وبلغنا رأس السكة الحديد في شرقاط وهي تبعد زهاء (٥٠) ميلاً شمال (بيجي) وكان الوقت ظهراً مما مكننا من مشاهدة التل الكبير الذي يغطي خرائب عاصمة الآشوريين القديمة (آشور). وفي شرقاط إستقبلنا متصرف لواء الموصل (عبدالعزیز بك القصاب) وهو عميد أسرة بغدادية بارزة، ذو خبرة إدارية طويلة في سلك الوظائف التركية وكان بصحبته الرائد (ه.ي. لويد H.E. Lloyd) المفتش الإداري وبعد إنتهاء التعارف وتبادل التحيات ركبنا السيارات الى الموصل ووضع تحت تصرفنا بناية متداعية تعرف بإسم (القصر الملكي) لأن الملك فيصل كان قد أشغلها في زيارته الماضية.

وما أن إستقر بنا المقام حتى إتصل بي (لويد) تلفونياً ليقول إنّ الخواطر في المدينة قد هاجت بشكل لا يخلو من خطورة وهو يرغب مع عبدالعزیز في مقابلة رئيس اللجنة حالاً لباحثا معه الأوامر التي تلقيها من وزارة الداخلية العراقية بخصوص تيسير عمل اللجنة من جميع الوجوه. وبالأخص حماية الوفد التركي من الإعتداء والإهانات. ولما رجوت (فيسر) أن يضرب موعداً عاجلاً لهما، قال إنّه يرغب في التداول مع

زملائه قبل أن يبحث الأمور مع السلطة المحلية. لكن وبسبب قلقهما الشديد، سوف يقابل (جواد) حالاً ويطلب منه ألا يخرج الى المدينة.

وما أن بلغت غرفتي في الطابق الأرضي حتى دخل عبدالعزیز وهو يتميز غيظاً وسخطاً ليشكو من خروج (جواد) برفقة (تيليكي) قائلاً إن الشوارع تغلي هياجاً وصخباً. فركبت سيارتي مع (جاردين) حالاً. ومالبثنا أن إلتقينا (تيليكي وجواد) وكان هذا في بزة جنرال تركي كاملة وهما يسيران الهوينا نحو القصر يحيط بهما حشد من المصفقين الهاتفين في حين كان حشد آخر يهتف بحياة العراق وفيصل وبهم بالإطباق على الفريق الأول من الرصيف الأيمن. وكان شرطيان أو ثلاثة يجاهدان عبثاً في حفظ الأمن والنظام^(٦).

كانت هذه المظاهر أشبه بالطلقات الأولى قبل بدء الإشتباك الهادف الى ترصين المواقع. وقدر له أن يكون السبب في إيقاف عمل اللجنة لمدة أسبوعين. واعتقد أن الجانبيين يتحملان المسؤولية.

كانت تحقيقات اللجنة هذه أول سلسلة من التحقيقات التي قامت بها العصابة بخصوص العراق منذ العام ١٩٢٥ حتى ١٩٣٥. وكنت أستدعى في كل مرة لأسهم بدور معين في أية مناسبة كنت أتحمس حالاً بوجود برزخ عميق الغور سايكولوجي الطابع بين أخلاقنا الضيقة الحدود، أخلاق سكان جزيرة منفصلة عن القارة، وبين طبائع ساسة القارة الأوروبية وموظفيها. ولا أستثني منهم أولئك الذين ننتظر منهم إظهار الود الكثير لنا وخص بالذكر مواطني الدول الصغيرة. فإن كانت هذه أول فرصة يتعاملون بها معنا فهم بدون إستثناء يباشرون مهماتهم وفي أنفسهم شك عظيم بدوافعنا وأخلاقنا ويبدأون أعمالهم وقد عقدوا العزم على ألا يسمحوا بأن يفرض عليهم شيء منّا نحن المتكبرين المتجبرين الذين جننا عبر القنال. وكلهم على العموم لا يملكون خبرة في شؤون الشرق الأوسط. ولذلك كنت أجد في المراحل الأولى لتحقيقات كل بعثة من هذا القبيل - فترة أخصصها لإزالة التحامل ومحو الآراء الثابتة المسبقة، أو تصحيح عقائد زائفة ومن ثم أشرع في نقطة البدء فبعد أن يعرف كل واحد منا طينة الآخر وبعد

٦- ان رواية (تيليكي) لهذه الحادثة قد وردت في تقرير (فيسرسن)، ص ٩، الى جانب روايات المندوبين لمعظم الحوادث الأخرى التي أوردت ذكرها في المتن.

أن تنشأ ثقة متبادلة ترى العمل يسير بخطى واسعة، وينثني إلينا أصحاب اليوم ليلومونا لأننا لم نوضح لهم الوقائع ووجهات النظر إيضاحاً جيداً من البداية، تلك الوقائع التي يسارعون الآن إلى الإقرار بوجاهتها.

ولا نكران- في هذه المناسبة بالذات- أن مميزات التاكتيك في موقفنا نحن ممثلي الحكومتين البريطانية والعراقية، كانت إلى جانبنا لا إلى جانب الوفد التركي. فكل المظاهر الخارجية كانت تشير إلى أرجحية كفتنا بكثير. ذلك لأننا كنا نسيطر على الإدارة ومنها قوات الشرطة. وهذا ما يجعلنا في وضع نستطيع به الضغط على أية طائفة أو فريق من السكان. كما أننا نتمتع بوسائل تسهل علينا الحصول على آخر المعلومات وأدقها وهي أمور لاغنى عنها لبناء قضية محكمة مقنعة. وكان كل من أعد أو ساعد في إعداد المذكرة التي تشرح مطالبنا وتتضمن أجوبتنا عن الإستفسارات، موجودين معنا بأشخاص المراقب والموظفين الذين يديرون شؤون المنطقة موضع النزاع. أما الجانب التركي فليس فيه من ساهم بشيء في إعداد قضيتنا كما يجري البحث فيها الآن والمذكرة نفسها ضعيفة الحججة بئسة تستند إلى سجلات خاطئة عتيقة مما هو متيسر في أستنبول، وربما مدعمة بما علق بذاكرات الضباط والموظفين المدنيين الذين خدموا في الولاية منذ سنوات عديدة، وكله غامض يلفه الشك والنسيان. ولم نجد في المراتب والخبراء من يجمع في نفسه الثقافة والمعرفة الصحيحة لإعداد بيانات جديدة أو دحض البيانات التي يقدمها خصومهم.

ومن ناحية أخرى. لا بد وأن القاريء قد إستخلص مما قرأ هنا مبلغ المخاطر التي تحف بموقف الإدارة في أجزاء كبيرة من البلاد. إن منزلة الدولة التي حكمت هذه البلاد قروناً عديدة مازالت سامية في القلوب زادها النجاح المذهل الذي حققه (مصطفى كمال). وكانت الدعاية التركبية تعد بقرب العودة وتتوعد بالعقاب الصارم كل الخونة. ولم يعترها وهن ولا وقف حتى جعلت الأهالي في وضع الأمل الدائم الحيوي وفي حالة الفرع والقلق بحسب الأمزجة. وكان ثم عدد كبير أشبه بالقطارات المشحونة بالمتفجرات لا تحتاج لغير شرارة واحدة لتفلق اللغم إلى طبقات الجو العليا وتجرف أعضاء اللجنة والمذكرات والإدارة المحلية وكل شيء. وفي هذا يكمن أفضل فرصة للمراقب التركي. لقد علمنا بمخطط توزيع آلاف الأعلام التركبية في الولاية لنشرها على نوافذ منازل

الموصل وغيرها من البلدان والمدن التي ستزورها اللجنة وتبيّن لنا أنّ إختيار (ناظم وفتاح) دليل على أنّ الترك بنوا كل آمالهم على الدعاية والدسائس لا على المنطق العلمي. وإنّ إصرار الحكومة التركية على أهمية الإستفتاء العام هو مما ينحو منحى الدعاية. إذ ليس أشد ما يؤثر في هدم السلطة الإدارية في أعين السكان من مجيء مجموعة لاتدين بطاعة لأحد وتعتبر نفسها فوق القومية، لتسألهم هل هم مرتاحون من حاكميهم الحاليين الذين ربما ضايقوهم في تحصيل الضرائب أو أنزلوا العقاب بإخوانهم أو أبناء عموماتهم لقتل أو قطع طريق، أو لمجرد رغبتهم في إستبدال أولئك الحكام بغيرهم. ويُفدحُ الحُطْبُ عندما تكون الأغلبية الساحقة من هؤلاء السكان جهلة أميين يأكلون وينامون وسلاحهم لا يفارقهم، قليلي الإكتراث بحياة البشر.

كانت الحكومة التركية قد ختمت مذكرتها الأساسية بفقرة وُزنت وزناً دقيقاً، لتؤثر تأثيراً طيباً في نفوس مواطني الدول الصغرى الذين أنيط بهم مهمة تحكيم دولية: "الأول مرة منذ تأسيس عصبة الأمم، يعرض أمام مجلس العصبة نزاع ذو أهمية كبيرة نشأ بين دولة غربية معظمة وبين دولة من دول الشرق الأدنى، موضوعه يتعلق بتقرير مصير شعب شرقي. إنّ مشاعر الثقة المتبادلة ومظاهر حسن النية بين الشرق والغرب وإيمان الشعوب الشرقية بالعهد الجديد الذي تقف عصبة الأمم حامية له، إنّما يعتمد كثيراً على الحل الذي ستتوصل اليه لجننتكم بعد تدقيقات شاملة مستفيضة لموضوع النزاع. وان حكومة الجمهورية مقتنعة بأن لجننتكم ترغب رغبة صادقة في المساهمة في خلق هذه الثقة المتبادلة بين العالمين الشرقي والغربي وستكون هذه النتيجة مرغوبة للغاية. وهي أيضاً تحقيق إنتصار العدالة برفعها توصية الى المجلس تقتضي بضرورة إفساح المجال لأهالي ولاية الموصل لتقرير مصيرهم بأنفسهم بمنتهى الحرية".

إذن فقد كانت مهمة المندوبين دقيقة وصعبة للغاية. ولذلك وطنوا العزم - وهم مصيبون - بالألّ يسمحوا للسلطة التي تمارس نفوذها فعلاً على الأرض المنازع فيها - بشلّ حركتها وحركة الوفد التركي المرافق أو شدّ وثاقهما. على أنه لم يكن بينهم واحد ذو خبرة حقيقية في أمور الشرق الأوسط. والاعتراض الشديد على إجراء أي إستفتاء، فضلاً عن قلق الحكومة والسلطات المحلية الطبيعي، بخصوص إضطراب حبل النظام

ومسألة حماية الوفد التركي من التعرض، كل هذا فسروه بأنه قرائن تعزز شكوكهم السابقة، ووسائل ترمي الى منعهم من الوصول الى الحقائق ومنع خصومنا من الحصول على المعلومات أو التأكد من مشاعر الأهالي الحقيقية. ولقد زاد إنزعاجهم مما اعتبروه تكتيكاً ضيقاً بخطأين حقيقيين ارتكبهما الجانب العراقي. أولهما خطأ متعمد يتسم بالحمق وثانيهما يعزى الى التسرع وقلة الخبرة.

يختلف وضع لواء الموصل الداخلي إختلافاً مادياً عن ألوية كركوك وأربيل والسليمانية. وموقف المتصرف والمفتش الإداري والشرطة أصعب بكثير من موقفنا في الألوية الثلاثة المذكورة. فالموصل فضلاً عن كونها ثاني أكبر مدن العراق حجماً، أقل تأثراً بالعثمانيين ولعلها أكثر شعوراً بالقومية العربية من بغداد ويعزى هذا الى وجود أسر أرستقراطية كثيرة فيها تسيطر تمام السيطرة على السياسة المحلية ممثلة تمثيلاً جيداً في الوزارات المتعاقبة وغيرها من مناصب الدولة العليا. ولعلها طبقات معينة كانت تشعر أن مصالحها الاقتصادية مرتبطة بحلب أكثر من إرتباطها ببغداد. ويعيش من أصل ستمائة ألف من سكان اللواء مائتا ألف تقريباً في المدينة ومع أن الكُرد هم أكثر من نصف السكان فهم بعيدون عن المركز قليلو الإسهام في السياسة خلافاً لأشقائهم في جنوب كُردستان. وقبيل موعد وصول اللجنة صدرت تعليمات من بغداد بتأليف لجان (الدفاع الوطني) في كل أنحاء البلاد لإثارة المشاعر الوطنية وإظهارها واضحة عن طريق الإجماعات العامة والمظاهرات، وإحياء الحفلات الدينية والبرقيات للبرهان على عزم المواطن الثابت في الدفاع عن أوطانه المقدسة حتى النفس الأخير. وفي الموصل بالذات حيث تصاعد الإستنكار والسخط الى أعلى درجة بمجرد إلقاء الغبار حول (عربية الموصل)، طُبقت هذه التعليمات بحماسة وقدم من بغداد شخصيات موصلية بارزة للمساهمة في الحملة. إلا أن أعضاء اللجنة (المندوبين) لم يكونوا أغبياء حيثما باشرُوا عملهم. فقد إكتشفوا حالاً أن (لجان الدفاع الوطني) وكتل الوطنيين العراقيين تضم أعداداً كبيرة من المشاغبين الوصوليين الكثيري الحركة وهو نوع متوفر دائماً في الشرق الأوسط يؤجج نفوسهم كرههم الأوروبيين بصورة عامة. ويزيد في وقيدته التعصب الديني. وفي أحيان كثيرة تسأل هذه العناصر المتحمسة سراً عن الجانب الذي يفضلونه شخصياً فيكون جوابهم: إنهم في الحقيقة لا يدافعون عن حق العراق بهذه

الضجة التي يفتعلونها إفتعالاً، وإنما يريدون تركيا! ولقد شاهد إثنان من المندوبين مباراة شخصية بالسكاكين بين وطني شاب متحمس من بغداد يدعى إبراهيم كمال وبين آخر من وجهاء الموصل العرب (أصبح إبراهيم كمال فيما بعد وزيراً للمالية ممتازاً ولو لم يخترمه الموت مبكراً لوصل حتماً الى رئاسة الوزارة).

ونجم عن هذا إهمال كل بيان يصدر بإسم (لجنة الدفاع) دعك من إحدائه أضراراً تفوق نفعه. وفي الأسبوع الأول لأعمال اللجنة في الموصل قررت لجنة الدفاع متأثرة بحادثة (تيليكي - جواد) في أول يوم أن لاتؤخذ على حين غرة فنظمت عصابات من التلاميذ وغيرهم ليحيطوا القصر وليتوجهوا الى كل مندوب أو عضو يخرج أنفه من الباب بمظاهر العواطف الوطنية. ولما لم أكن معروفاً في الموصل فقد وجدت نفسي مرة وأنا محاط بجماعة من الشباب المندفعين وهم يلوحون بأعلام ويهتفون بشعارات حتى أسكتهم بجملة من خير ما أتقنته من الجمل العربية الدارجة. فسكتوا وبان عليهم الخجل. وكان موقف المتصرف من أصعب ما يمكن، بعد أن نُصح بأن مسلكه الطفولي المتسرع يلحق ضرراً كبيراً بالقضية. فأخذ يجاهد في منع التظاهرات إلا أنه لم ينجح إلا في التسبب بعقد إجتماع عام احتجاجاً على محاولته مصادرة حق الكلام والتعبير في مسألة تؤثر تأثيراً حيوياً على مستقبل البلاد ووحدتها.

أما الغلظة الثانية، فسببها يعود بالأساس الى أن تنظيم الشرطة المحلية في العراق كان يهدف الى جعلها أشبه شيء بالدرك (الجنדרمة) منها بقوة مدنية حسب المفهوم الأوروبي. لذلك لم تكن مدربة قط على التصرف في أمور تتسم بطابع الدقة وتتطلب حسن التصرف والكياسة في فن التعقيب السري الماكر لغرض المراقبة أو الحماية. ووجدنا أن تدابير الحماية لمقر اللجنة تتسم بالغباء. فقد ضربت الشرطة خيمة أمام الباب ونصبت فيها تلفوناً وكان كل خارج من البناية تعقبه مكاملة تلفونية أو تقرير لأقرب مركز من مراكز الشرطة. ومما زاد في الطين بلّة، أن رئيس اللجنة هو شخص شديد الأرق خفيف النوم صار يشكو من سماعه أحاديث هامسة مستمرة في خيمة الحرس طوال الليل تحت نافذته مباشرة فتحرمه النوم (إدعت الشرطة أن الأصوات التي سمعها وشكا منها كان مبعثها أحد موظفيه السويسريين أثناء عودته وهو في أقصى درجات السكر، من أحد أحياء المدينة السيئة السمعة). وكان ثم شخص مجهول يحتل

غرفة تحت الدرج وديده إعتراض سبيل كل شخص. وفي أحد الأيام فاتحني وصيف (تيليكي) الخاص برغبته الشديدة في إتخاذ هذه الغرفة مخزناً للمؤن لعدم وجود مكان أنسب لها في البناية. وراح ظني أن هذا الشخص الذي يسكنها هو الحارس الذي يقوم بملاحظة القصر أثناء خلوه. فإستدعيتيه وطلبت منه أن يبحث له عن مكان آخر طوال وجود اللجنة، فكان جوابه سلسلة من الإيماءات والغمزات تلجئه الى تحريك كل رأسه من فوق الى تحت وبشدة، يريد أن يفهمني بأقل ما يمكن من التصريح، عن حقيقة المهمة التي ينجزها هنا. فما كان مني إلا ورفعت الخيمة وطردت الشرطي السري من غرفته تحت الدرج ولم تفده غمزاته ولمزاته. ولكن الإنطباع السيء الذي خلفه هذا العمل لم يُمح كلياً.

وظل مندوبو اللجنة عدة أيام يأبون المباشرة. حتى تم الإتفاق على منهج للعمل وأسلوب حماية. وجعلتهم شكوكهم الأولى لايعيرون أذاناً لإقتراحنا حول هاتين النقطتين كما ظهر أيضاً أنهم راجعوا (أنقره) حول مقترحات خاصة بتنظيم حماية بوليسية سرية بالإتفاق مع (جواد باشا) وآثروا إنتظار الجواب الذي لم يكن فيه ما يوضح لهم السبيل. فقد قالت الحكومة التركية أنها تضع مسؤولية سلامة وفدها على عاتق الحكومة البريطانية. على أن أعصابهم منذ ٣١ كانون الثاني بدأت تهدأ وتعود الى وضعها الطبيعي وشرعوا في إستقبال الوفود، فقابلوا مجلس إدارة اللواء ثم أعضاء المجلس البلدي ووجهاء المسلمين والمسيحيين وأعضاء غرفة التجارة والمحامين وأخيراً عدداً من الشخصيات التي إقترحها عليهم المراقبان.

وأظن أن (پاولس) كان أول من بدأ يفكر لنفسه تحت ثقل شديد من العوامل الإقتصادية وصار يشعر بواقع وجود موالاة للعراق أصيلة حقيقية إلا أن المندوبين الآخرين لم يزاولهما الشك العميق في الشواهد التي قدمتها هيئات الموظفين. وكان يبدو بشكل ملموس أنهما سيجدان شيئاً يختلف تماماً عما سُمح لهما برؤيته حتى ذلك الوقت لو أفلحا في إختراق ستار الدخان الذي يحيط بهما وخرجا الى الشمس الساطعة. هذه الحيرة التي إستولت عليهما أدت الى سلسلة من أخطاء اللباقة ومن الحذقة التي أثارَت شكاً متتمماً لدى الجانِب العراقي. إذ تمت جلسة عدة زيارات لأشخاص ذوي مكانة إجتماعية واطئة أو معروفة بسوء السمعة قبل ردّ الزيارات لذوي

المراكز العالية والحيثيات في المجتمع الموصلية وكثير من هؤلاء طبعاً ذوو مناصب في هيئات رسمية. وجرت زيارة (القاصد الرسولي) في الموصل وهو أسقف فرنسي في حين تجاهلوا المتصرف الذي كان الممثل الأول للحكومة، بينما خرج بنفسه الى شرقايط لإستقبالهم. فنبهت الرئيس الى هذا السهو، والى غيره.

ولم تمت فكرة الإستفتاء التجريبي لكن سرعان ما وجدت الفكرة غير عملية. وفي ٦ شباط أعلن الرئيس فجأة أن اللجنة إرتأت أن تنسحب في ٨ شباط الى ثلاث هيئات فرعية لتتطلق الى أهداف لن يُكشف عنها. وطلب تهيئة إثنتي عشرة سيارة للسفر في وقت مبكر من ذلك اليوم. وبقيت علاقاتنا الشخصية ممتازة مع أعضاء اللجنة والوفد التركي رغم المتاعب والمضايقات (غير أن ناظم وفتح آثرا الإنطواء على نفسيهما تماماً). وربما يعود إنسجامنا الى تناولنا الطعام سوية. كان السنيور (رودولو) قد إستخدم طاهياً من بيروت لانظير له هو الطاهي الذي كان يعدّ طعام قيصر ألمانيا عند زيارته الملكية لسورية وفلسطين قبل الحرب، وأهم من هذا أنه حمل معه كميات كبيرة من أنفوس الخمور. وكان يبدو أن المندوبين الثلاثة يستمتعون بحكايات المائدة والتبسط فيها للغاية. ومهما تكن أحداث اليوم فالسهرات تنتهي دائماً بجو من الزمالة المرحّة. وبصرف النظر عن غرفة المطعم في الطابق الأعلى لم أجد الغرفة التي خُصصت لي في الطابق الأرضي مريحة، فهي واسعة تصلح لغرف مؤتمرات أو مكتباً لموظفي الإدارة أو محل إنتظار زوار غير رسميين. وفيها يوجد مدفأة حديدية كبيرة وقودها الخشب كسائر ما في الغرف الأخرى إلا أن فيها عيباً عجز مهندس الأشغال المحلي عن تشخيصه ومعالجته. وكنت في الليل اطفئي المدفأة وأنام بعد أن أكّدت فوق أغطية فراشي كل ما أملك من معاطف ومباذل. إلا أن برودة النهار كانت أقسى من أن تغرينا بالإستغناء عن النار وكانت آداب السلوك تحتم علينا أن لانرفع أصوات أحاديثنا وكثيراً ما خيل لي وأنا أنظر الى أعضاء وفدنا وهم مشتملون بالمعاطف الثقيلة وقد تقاربوا بعضهم من بعض تلفهم سحابة خانقة من الدخان الكثيف ويكاد يطمس معالمهم نور كهرباء الموصل الضعيف، وكأنهم أشباه صورة كاتسبي المشهورة وأعوانه في (مؤامرة البارود)^(٧) ولو

٧- روبرت كاتسبي Robert Catsby (١٥٧٣-١٦٠٥) انكليزي متآمر إنضم في ١٦٠٤ الى عصابة المتآمرين في المؤامرة المعروفة بمؤامرة البارود وكان محرّكها وقطبها. وحاول الهروب عند إفتضاح أمره فقتل اثناء ذلك والمؤلف يشير الى صورة شهيرة رسمت للمؤامرة (المترجم).

اتفق أن دخل علينا احد المندوبين دون إخطار ونحن في هذا الوضع فهو معذور إذا ظن أن ما يراه لهو دليل مقنع على أقوى شكوكه!

واختفى كل مناطق العراق الشمالية تحت غطاء الثلج وهبطت الحرارة الى درجة الإنجماد في كل الليالي وكان البرد لاذعاً في الظل وداخل البيوت أما في الشمس والهواء الجاف القارس فكان أشبه بماء الكولونيا اللاذع حين يسفح الوجه. وكنت قد جلبت حصاني من كركوك واعتدت أنا و(رودولو) القيام بنزهات ركوب في البساتين المحيطة بالمدينة وكان كل من (جاردين) المراقب البريطاني على إتصال مستمر بـ(فيرسن) حول مختلف المصاعب المستجدة. ولجأ الوفدان الى المذكرات الخطية (أو ما يسمى في اللغة الدبلوماسية Notes Verbales على حد تسمية المندوبين)، كلما شعر أحدهما بفائدة لها في تعزيز وجهة نظر معينة أو تسجيل احتجاج أو تشييت شيء في المحاضر. كذلك تبادلنا أحاديث كثيرة ورودولو رجل هاديء مجرب ذكي شديد الإعجاب برئيسه (السير اريك دروموند) كما كان متحرراً من الأفكار التي تسلطت على رؤوس المندوبين. وقد بدت تعكر عليه احكام مبادئه المؤقتة. وكان إنطباعي عنه انه لا يوافق على الأسلوب الغريب الذي يتخذونه لإنجاز مهمتهم. وكان يتكبد وبولاء تام لهم، عناء إيضاح كل الوقائع الشاذة بأنها خالية من أي نية مآكرة مقصودة تلك التي كان وفدنا دائماً يقف موقف المتهم منها. ولست أشك أنه كان يقوم بدورٍ مشابه في تصحيح الظنون بالأحاديث المتبادلة. فكلمة واحدة منه على الأغلب كانت تكفي لتقويم أئفه سبب للإحتكاك وتصحيحه بسرعة، كما حصل في مسألة رد الزيارات.

إن قرار إنشعاب المندوبين الفجائي وتفرقهم الى أماكن غير معروفة في بلاد خالية من الفنادق ومن أسباب الراحة الأوروبية مهما كانت، وفي شتاء من أقسى مآعرفته البلاد، بدا لنا وكأنه أغلظ تجاهل للسلطات المحلية قامت به اللجنة، وهو تجاهل اغرمت به من البداية. وبصرف النظر عن المحاذير السياسية الخطيرة فإنه يوقع الخلل في كل الإجراءات الحازمة التي نظمتها أنا بوصفي ضابط إرتباط مسؤول عن تنظيم أعمال اللجنة. فضلاً عن التدابير التي إتخذتها لضمان عدم تكرار ما حصل في الموصل. ولذلك إتفقنا أن يقدم (جاردين) مذكرة خطية مستعجلة يحتج فيها «نشعر أن الوقت حان لتدخلك ولبذل مجهود في حمل اللجنة على العمل في خط أكثر وقاراً، وأقل

روائية». وكان المندوب السامي قد عرض أن يشخص بنفسه الى الموصل في أي وقت نرى وجوده مفيداً.

وفي تلك الليلة ساءت حالة الطقس، وقضينا ساعتين صباحيتين ونحن في أشدّ حالات القلق لما علمنا أنه قادم إلينا جواً رغم الثلج المتساقط بكثرة. وبالفعل إصطدمت طائرته والطائرة المرافقة لها بالأرض عند الهبوط وتحطمتا لكن لم يصب أحدٌ بجروح تزيد عن الرضوض البسيطة. وقبل وصوله حصل في الموقف تبدلٌ حادٌ فقد وجه (جواد پاشا) مذكرة للرئيس قبل فيها على نفسه «مسؤولية السلامة الشخصية لكل أعضاء الوفد التركي في حالة وقوع أيّ عمل من أعمال العنف». وأعلن موافقته (على التدابير الدقيقة التي إقترحها «في الماضي» المندوب السامي والتي لاتلحق أيّ أذى بمكانة ومشاعر الوفد التركي وأنّ الوفد سيبدل المساعدة لإنجاز مهمتها). أمّا من جهة المندوبين، فلاندرني ما الذي جعلهم يعدلون عن فكرتهم في الذهاب الى أماكن غير معن عنها؟ أيعد سببه زيادة في الموازنة والتفكير أم هو نتيجة لإعتراضنا؟ فقد إنتقلوا فجأة الى أقصى طرف مناقض وأعلنوا نيّتهم بأن ينطلقوا الى إتجاهاتهم برفقة حرس رسمي، ليعدلوا عن ذلك بسرعة خاطفة.

وقضى السير (هنري دويس) صباحه مع أعضاء اللجنة والمراقبين وإختلى بالرئيس ساعتين مساءً. وبعد تبادل صريح الكلام توصلا الى تفاهم تام وإتفقا على منهج معين: في ١١ شباط تنشعب اللجنة الى أربع هيئات فرعية. ويبقى الرئيس والمراقبان في الموصل يواصلون التحقيقات في مناطق السهول ويذهب (تيليكوي) و(كرامرزي) و(ناظم) الى أربيل وأخيراً يلتحق بهم (لاين) كخبير بريطاني. ويسافر (پاولس) مع (صبيح وكامل) الى شمال كركوك ويتجول (پورتاليه) في منطقة كفري يرافقه (فتاح) وخبير نتزود به موقعياً. وبعد هذا تجتمع اللجنة كلها في كركوك. ولأهمية السليمانيه بوصفها مركز الحركة القومية الكرديّة، تنتقل البعثة برمتها الى المدينة ومنها تعود الى الموصل لمواصلة التحقيق مرة أخرى في مناطق اللواء الجبلية الكردية القريبة من حدود الولاية.

كان الموقف في الألوية الشمالية الشرقية يختلف تماماً عن الموقف الذي بدا في الموصل. فهناك كان الموظفون المسؤولون من القبليين الكرّديين لا من العرب. وكلّهم يدركون كما ندرك نحن البريطانيّين، أن من السخف والعبث دعم قضيتنا بمحاولة إستشارة للسكان غير طبيعياً. حيث لم يمر عليهم وقت طويل من حملهم على رفع علم المملكة وإقناعهم بالمساهمة في الإنتخابات بعد رفض بات للإنضمام الى الدولة الجديدة، لذلك قررنا أن يكون إبراز العامل الإقتصادي خيراً حججنا. وهو في الحقيقة منطقي سليم لا يُدحض حين يُنظر في ضوء إرتياح الأهليين من النظام الحالي الذي يتولى الحكم فيه مواطنون بارزون من المنطقة يدعمهم نفوذ بريطانيا القوي وكل هذا على طرفي نقيض من ذكريات آخر أيام الحكم العثماني السيئة هناك. حتى التظاهرات المرخص بها، وجدنا انها قد تؤثر في الإنضباط العام وقد يستغلها مشيرو الفتن ويهتبلون فرصتهم ليلعبوا تلك اللعبة التي لا تنفيذ غير خصومنا. ولذلك إتخذنا كل الإحتياطات الممكنة في الألوية الثلاثة لمنع تنفيذ التعليمات الصادرة من بغداد بتأليف (لجان الدفاع الوطني). وفي كركوك ألقينا القبض على إثنين من مندوبي بغداد أرسلنا لتنظيم تلك اللجان حال نزولهما من القطار في رأس السكة وأعدناهما من حيث أقبلا في أول قطار نازل.

غادرت الموصل جواً في بكور ١١ شباط قاصداً أربيل، وهنا تبادلت حديثاً قصيراً مع (لاين) قبل أن ينضم الى اللجنة الفرعية على حدود اللواء قرب الزاب الكبير وكان حديثي مع متصرف اللواء (أحمد أفندي) أطول. لقد أظهرت تجاربنا في الموصل بأن السياسة التي سبق تقريرها للألوية الثلاثة هي الصحيحة المنسجمة إنسجاماً تاماً مع منهاج اللجنة التي توصلت اليه أخيراً بعد كثير من العثرات والمتاعب واكدنا تعليماتنا السابقة في منع أية محاولة تظاهر تقوم بها اية جهة من الجهتين^(١) وكرّرنا أن قوائم

١- جاء في مذكرات لاين: "لاحظنا وصول عدد من ضباط الجيش العراقي الى المدينة بشباب مدنية، فاستدعيتهم الى مكنتي واستجوبتهم عمّا يفعلون في أربيل، فاعترفوا بكلّ فخر وإعتزاز =

الشهود الذين ستُسمع شهاداتهم يجب أن تُعدّ على أساس الشخصيات والمقام البارز (كما فعلنا في الموصل) وكان من الضروري أن نُفهم اللجنة أن موظفي الإدارة في الألوية الثلاثة لم يجر إختيارهم لمناصبهم إلا بسبب ما يتمتعون به من مقام بين أبناء قومهم ولذلك يجب أن لا تُهمل آراؤهم أو تُعتبر مقولات ببغائية يردّها موظفون في السلطة لاغير، هذا مع عدم بذل اية محاولة منا لإخفاء مشاعر الولاء للترك إن وجد. بل علينا أن نوجه فعلاً إنتباه أعضاء البعثة الى كل من يحمل هذا الرأي مع إيضاح الأسباب التي تحملهم على هذا. وأن يبعد الشرطة عن طريق اللجنة.

وكانت الخطوات التي اتخذها متصرف أربيل فعالة. فلما سرتُ عصر ذلك اليوم برفقة (پاولس وپورتاليه) في الأسواق وفي أزقة القلعة واجهنا هدوءاً طبيعياً عاماً لا أثر فيه للتعهد أو الإفتعال وبقي أصحاب الدكاكين من الصناع والبقالين منكمين على أعمالهم وبضائعهم باستغراق نادر المثال بحيث يصعب عليك حملهم على رفع أنظارهم اليك واجابتك عن اسعار بضائعهم التي كانت موضع إهتمام الزائرين^(٢).

في تلك الليلة أدب لنا (لاين وليتلديل) مآدية عشاء في منزلهما الذي يقع خارج المدينة بينما قام المتصرف أحمد أفندي بواجب ضيافة المراقبين الترك. إنني والحق يقال لست متأكداً من ايرلندية (لاين). على انه ربي في مقاطعة ايرلندية. فاضاف الى خشونته الجبلية طبعاً جذاباً يعيد الى الذاكرة أخلاق أولئك الذين ادوا فريضة الحج الى (بلارني Blarney) ولم يكن هو أو زميله من عباد الشخصيات المتزلفين. ووقع الضيوف في حيرة ظاهرة عما تكون طينة "لاممي"^(٣) أربيل هذين وماهو المسلك الذي

= بأنهم مرسلون من البلاط لإثارة الدهماء ضد الترك. وهم يقترحون كأول خطوة أن يملأوا وجوههم بصاقاً عند أول فرصة - كان ذلك مخالفاً تماماً لوجهات نظرنا ولم أجد في ذلك فائدة فقد يلحق ذلك مثل هذا السلوك ضرراً بالغاً. فطلبنا منهم أن يعودوا الى بغداد فوراً لأننا قابضون على ناصية الحال. وأطلقت أهة إرتياح عندما أبلغني جارلس ليتلديل بأنه تخلّص منهم (ص ١٤٨ - المرجع السالف).

٢- لاين المرجع السالف ص ١٤٩ «سجلتُ أول نقطة ضدّ المندوب التركي فقد قصّر في تقديم أي إسم ممثل للمسيحيين واليهود في حين أتّي عمدتُ الى إدخالهم. ولم يفت تبليكي ذلك ثم ذقنا خلّ قيام المندوب التركي بالدعاية خلال المدينة. في أثناء ذلك كان أحمد أفندي يقوم بنصيبه بطريق أكثر دهاءً بكثير بتساؤله الماكر "ماذا سيحصل لديانتها (أي المسيحيين واليهود) لو عاد الأتراك؟»
٣- يقصد (ليتلديل) و(لاين) لأنّ إسميهما يبدأ بحرف اللام.

يتخذونه ازاءهما بطباعهما هذه التي لا يحاولان إخفاءها.

وشوهد (لاين وتيليكي) معاً يكادان لا يفترقان طوال الأسبوعين التاليين يتجولان في أنحاء اللواء وقد توثقت بينهما عرى صداقة حميمة وعرف أحدهما الآخر معرفة جيدة. كان تيليكي الذي يمثل شعار أسرته العريقة صورة وعل وثاب فوق تاج، يتوق جداً الى أن يرجع الى بلاده برأس وعل من الفصيلة الآسيوية لذلك أوقف عمل اللجنة أربعاً وعشرين ساعة لأنه خرج لزيارة جبل (سفين) وهو جبل أحذب رائع في منطقة خوشناو ويبلغ ارتفاع أعلى قمة فيه (٦٥٠٠) قدم. ويبعد زهاء (٢٥) ميلاً شمال شرق أربيل. ويشاء سوء حظ الكونت أن يخطيء في إصابة وعل ممتاز دله عليه (لاين). ولم يكن (تيليكي) قوي البنية. فقد تدهورت صحته بأعباء الرحلات الشتوية في كردستان ولم يسعه التقدم أكثر من رواندورز.

وفي ١٢ منه، رافقت لجنة كركوك الفرعية الى (آلتون كوبري) وكان الهدوء التام يسود البلدة الصغيرة ولم يثر أي إهتمام. وفي بناية السراي بوشر بسماع الشهود. وتلك أول مرة أحضر إستجواباً. واعتقد أن (پاولس) انجز مهمته بكل حياد وبأسلوب يتفق مع درجة وعي الشهود وإستعدادهم الذهني. ولم يكن عند الترك قائمة شهود. لذلك تم إختيار سبعة أسماء كيفما اتفق من القائمة العراقية، وطُلب من (صبيح وكامل) القيام بالترجمة كلاً بدوره على أن يكون كل واحد رقيباً على ترجمة الآخر. وبعد شرح سبب زيارة البعثة ومهمة كل شخص من الحضور ألقى على الشاهد عدد من الاسئلة البسيطة: ماهي قوميته؟ دينه؟ مهنته؟ واسطة النقل التي يستخدمها؟ سوقه الذي يبيع فيه ويشترى وما الى ذلك. ثم طلب (بعد انسحاب كل شخص من الغرفة وبضمنهم المترجمون أن يجيبه كل شاهد على هذا السؤال: هل يفضل أن يكون تحت الحكم التركي؟ أم الحكم العراقي؟ على أن لا يتضمن الجواب أكثر من كلمة (تركيا) أو (العراق). إن هذا السؤال الذي سمي فيما بعد بـ(السؤال الصغير) لم يكن تبسيطاً سخيفاً للموضوع كما يبدو لأول وهلة، فهو يكفي المستنطق ليبيّن به رأياً عاماً حول ولاء القرويين العاطفي وهو عامل واحد يجب أن لا يغفل حسابه ولا يمنع الشهود ذوي الإستعداد الذهني، من شرح الأسباب التي دعتهم الى هذا التفضيل ولا يحال بينهم وبين الإدلاء بشروطهم المعلقة عليه. ولما كانت أغلبية سكان (آلتون كوبرو) تركية

ولأنها مركز رئيس للتجارة والنقل بالأكلاك مرتبط ببيغداد فإن الأجوبة الخاصة بهذه الناحية ستنحو حتماً منحى العراق. ومن هيئة الشهود وما علمت فيما بعد، قدرت أن خمسة منهم أراد العراق وإثنين منهم أراد تركيا. نتيجة طيبة جداً للعراق إذا أخذنا بنظر الاعتبار قومية سكان البلدة.

وبعد أن تناولنا طعام الغداء سافرت الى كركوك برفقة (پورتاليه) تاركين (پاولس) والخبراء لمواصلة تحقيقاتهم في مختلف القرى الواقعة على جانبي الطريق. وإتفق أن انفجر إطار في السيارة التي تقل (كامل وفتاح) فانفصلت عن سيارة (پاولس) وصبيح) وفي وقتين من وقفات سياراتهما توهم القرويون التركمان أن صبيحاً هو الممثل التركي (وكان بالطبع يتكلم لهجة أستنبول الفصيحة) فراحوا يبدون مشاعر الولاء لتركيا ويدعون (للپاديشاه) الخليفة الألعية الذي لم يعد له وجود. وسرّ (پاولس) بأمانة (صبيح) الذي ترجم له ذلك من غير حاجة الى رقيب مع انها شهادة ليست في صالحه. على أن (پاولس) صارحني في تلك الليلة بأن نفسه استفظعت القذارة والحفارة التي وجدها في تلك القرى وآلمه جداً درجة التأخر العقلي عند الفلاحين الذين يساؤون في رأيه أخطّ سكان الكونغو واكثر بدائية منهم. لذلك لايسعه إلا أن يستنتج انه من العبث اتباع هذا الأسلوب في إستجواب الفلاحين. وانه ادرك الآن صحة موقفنا ووجاهة رفضنا إقتراح الإستفتاء العام. على انه يرى من الضروري الإستمرار في التحقق من رغبات الأهالي، إن لم يكن لشيء فإلقناع الحكومة التركية بأن اللجنة قد فعلت ما أمكن فعله بإستثناء الإستفتاء العام.

وفي ١٧ منه سافرت الى السليمانيه جواً للمداولة مع (چاپمان). إن البلاد التي عرفت بها جيداً كانت تبدو في نهاية الروعة من خلال الجو الصقيعي الصافي الرائق وكان البحر المسنن لسفوح (شوان وچمچمال) تخترقه خطوط بيضاء، هي جبال (قرداغ - بهرتان - پيرمگرون - أزمير) التي يغطيها الثلج الكثيف، فتلمع بما لا يحصى من اللآلي. وارتفع أمامنا (هورامان) جداراً أبيض عظيمًا، ومن بعيد الى الشمال الشرقي بدت خطوط قمم (قنديل) الواضحة تسمو فوق كتل من الثلج أكثر تشابكاً.

ووجدت (چاپمان) ثبت الجنان. وكنا قبل بضعة أسابيع قد طلبنا تعيين متصرف عراقي بشخص (أحمد بگي توفيق بگ) قبل وصول اللجنة. إلا أن مجلس الوزراء

عارض في تعيينه لوجود مرشح آخر لديه لم نرّه مناسباً. ولذلك لم تصل أية أوامر بهذا الشأن ووجدنا إجراء أي تغيير الآن وفي اللحظة الأخيرة قد يثير شكاً لاداعي لإثارته مع سوء فهم للمسألة. ولذلك ابرقت الى بغداد مقترحاً أن يستمر (چاپمان) في واجباته حتى ختام زيارة اللجنة. ووجدتُ المواطنين البارزين الذين اتسع لي الوقت لمقابلتهم وهم أحمد بگ وشيخ قادر أخو شيخ محمود وحمه آغا عبدالرحمن، ممثلين بروح النضال فالأمر بالنسبة اليهم ليس قبولاً ذليلاً لإستجواب مفروض، ولا أجوبة سرية عن (السؤال الصغير) بل هو أخطر من هذا، وقد عقدوا العزم بجهدهم بسوء الحكم العثماني ورفضهم له في جلسة عامة للجنة، بل سيتمادون ويوجهون بدورهم اسئلة إتهام الى (جواد) بصدد طلبه إعادة ضم بلادهم الى تركيا. واعلان عزمهم ألا يخضعوا ثانية الى الاسياد الذين قاسوا منهم الأمرين.

ومكث (پاولس) في كركوك أسبوعين ومع أن (صبيحاً) كان خبيرنا الرسمي، إلا أن كركوك هي منطقته ولذلك وقع على عاتقي أو عاتق (ميللر) في حالة غيابي لنمده بكل المعلومات اللازمة. وبطبيعة الحال كان (كامل) يلقي خدمة ممتازة من آل (نفظجي زاده) وفي مقدمتهم أخو (ناظم) لغيابه، ومن غيرهم من الموالين للترك سليلي الأسر الارستقراطية. وقبض لي عدد من جلسات احاديث طويلة هامة مع مندوب اللجنة. ولما كان جديداً على الشرق الأوسط فقد جرفته مفاجآت متتالية عديدة لا عهد له بها. وكنت أرقب آراءه الأولى وهي تتحول تحولاً عنيفاً متطرفاً من أقصى نهاية الى أقصى نهاية الى أن تستقر بعد تذبذبها هذا على آراء معينة، ظهرت بكل أمانة أخيراً في التقرير المرفوع الى العصابة. وقد خيل لي أنه يتعمد شحذ ذكائه بذكائي كحدي سكين فيفتعل مناقشات معي ليضع آراءه موضع اختبار، ولست اشك في انه كان يقوم بالدور عينه مع (كامل) الذي كان ينفرد به ايضاً في جلسات حديث طويلة.

ولفائدتنا العظمى، شاء پاولس أن ينظر الى المشكلة اولاً من زاوية إقتصادية بحتة تقريباً واعتبرنا مقصرين في عرض هذا الجزء من قضيتنا. ودهش حين رأى أن مد السكة الحديد من كفري الى كركوك لم يتقدم إلا بهذا المقدار وقال انه لا مبرر لنا من عدم تحقيقنا تقدماً أكثر من هذا بكثير. وزاد يقول أننا أخطأنا في محاولتنا البرهنة بأن ولايتي البصرة وبغداد (وهما مما لايهم اللجنة أساساً) لا يمكن أن تعيشا بدون

الموصل، وكان الاصح أن نبرهن بأن الموصل لا يمكن أن تعيش منفصلة عن الولايتين... وذكر انتقادات اخرى. وادرك ايضاً حال مغادرته الموصل تقريباً أن أولئك الذين يقفون موقفاً عدائياً من الترك ليس فيه مساومة، لا يكونون في الوقت نفسه أي حب أو ولاء لحكام بغداد. وإن وصفهم يدل على رضاهم الى حد ما بالوضع السائد حالياً في الألوية الشمالية باعتبارها مرحلة من الطريق التي ستنتهي بالاستقلال الذاتي إلا أنه وجدهم شديدي القلق لما سيحدث لو انتهى العمل بالإدارة البريطانية في ختام السنوات الأربع المحدودة في البيروتوكول الجديد الملحق بالمعاهدة. وفي الوقت الذي كان المواليون للترك مندفعين بوجي العاطفة أساساً ويعجزون تماماً أن يقدموا عند إستجوابهم أسباباً معقولة لتفضيلهم الترك، فهناك كثير ممن يعتنق وجهات نظر مشابهة لتلك التي ينادي بها خصوم الترك، لكن قلقهم زاد بإبرام هذا البيروتوكول بحيث فضلوا ضمانه (وان كانت مقترنة بطابع الجمود الذي يسود الإدارة العثمانية) على مغامرة العراق بكل ما فيها من احتمالات الفوضى والإنهيار التام. وان الآراء القومية المتطرفة التي صرح بها رئيس الوزراء (ياسين باشا) وشخصيات بغدادية هامة، زادت في شكوك (پاولس) بدلاً من شدها أزر العراق في مطلبه، وجعلته يرتاب في فصل ولاية الموصل عن تركيا فصلاً تاماً بدون قيد أو شرط، وكلما مضى في تحقيقاته وتعمق، كلما بدت مسؤولياته في عينه فهي أخطر وأدق، وراح يميل ذات اليمين وذات الشمال، تراه آنأ يفكر في شيء، وتراه آنأ يفكر في شيء آخر، ولست اقول انه شعر بأن هذا من صميم عمل اللجنة. إذ سيكون من السخف بعينه أن يقدموا توصيات قد ينجم عنها قذف الولاية برمتها في احضان الفوضى والإضطراب بعد ثلاث سنين.

وبذلت قصاري جهدي لتهدئة مخاوفه وتسكينها بصدد النتائج المحتملة لأي قرار يصدر في صالح العراق وقلت إن يقظة الشرق هي حقيقة جداً لا يمكن تجاهلها. وإن تطبيق اساليب استعمارية على غرار ما يطبق في الكونغو لا يمكن التفكير بها مطلقاً هنا. ويخال لي أن الفترة القصيرة التي عينت في البيروتوكول بخصوص مدة المعاهدة هي في الحقيقة تنازل لرأي المتطرفين في كل من إنكلترا والعراق. وليس هناك من يفكر بصورة جدية بأن المعاهدة لن تجدد فترة ثانية قبيل نهاية السنوات الأربع. ان المناقشات الشخصية التي يسودها جو الودّ الصداقة، وخلو المكان من أي نشاط

بوليسي، وموقف (صبيح) في اليوم الأول، وإدراك (پاولس) أن تحقيقاته الخاصة بنتائجها الصالحة والطالحة، اكدت له التكهنات التي انهيتها اليه متنبئاً بأنه سيتوصل اليها بنفسه، كل هذه الأمور أزلت من ذهن (پاولس) الشكوك التي نشأت فيه وبسبب من سوء الفهم الذي ساد أسابيعنا الثلاثة الأولى في الموصل. وبذل آل (نفظجي زاده) أقصى ما في طوقهم لإبقاء الشك وعدم الثقة بإقناع (كامل) بالشكوى من الإرهاب وتقديم الاحتجاجات فيفعل، وكان يسهل علينا في كل مرة أن نثبت أن المعتدى عليهم المزعومين هم مجرمون سابقون ذوو سوابق مسجلة في دوائر الشرطة، وأنهم يريدون إحداث الشغب واقامة التظاهرات. ولما كان قد تقرر ألا يُسمح بأي تظاهرة موالية للعراق فنحن محقون جداً في اتخاذ التدابير التي نراها تؤدي الى هذه الغاية. وقد تلقيت جواباً من مندوب اللجنة على تقرير كتبه بخصوص إحدى تلك الشكاوى وضَعْنَا في مركز قوي عندما شكت الحكومة التركية في أن المندوبين ووفدهم قد سدت عليهم المنافذ وها أنا أثبتته هنا بنصه الفرنسي:

"اتشرف بإعلامكم اني تسلمت رسالتك في هذا اليوم. وبطيها البيانات التي كنت قد طلبتها منكم في موضوع قيامكم ببعض الإعتقالات للأفراد في الرابع عشر من الشهر الجاري. إن الأيضاحات التي قدمتموها كافية تماماً وأنه ليسرني الاعتراف بجدوى تدابيركم الفعالة في ادارتكم شؤون كركوك. تلك التدابير الرامية الى منع كل التظاهرات في الشارع وحظرها على الجانبين سواء بسواء. وأنه ليسعدني في الوقت نفسه التنويه بالحرية الكاملة التي أحتتموها لي في هذه المدينة للتعرف على آراء سكانها".

لقد قطعنا في الواقع مرحلة طويلة من الطريق وخلفنا وراءنا مرحلة الترشاق بالمذكرات الخطية منذ أيامنا الأولى في الموصل.

وأما عن (كامل) فقد صرت ألتقي به أكثر من ذي قبل. فأحبيته واحترمته. لقد سعى هذا الرجل سعياً فائقاً للإفادة من كل العوامل الصالحة لقضيته والمتوفرة في كركوك. ومع وجود آل نفظجي زاده حُلْفَه يدفعونه فإنّه لم يسمح لنفسه بأن يحميد عن جادة السلوك الصحيح المتسم بالحصافة والكياسة اللتين كانتا طبيعة فيه. وكنت شديد اللهفة لأوضح له أن الخصومة السياسية التي كلفنا بها لا تؤثر قط على إحترامي

الشخصي له. وكان (روب) في نهاية البراعة عندما دعاه (پاولس) الى عشاء في مطعم القوة الجوية بصفته زميلاً في صناعة الحرب الشريفة.

وشعرت أنّ أمورنا في كركوك وهي المركز الحصين للنفوذ العثماني في ولاية الموصل، قد سارت عموماً سيراً أفضل ممّا يحق لنا أن نتوقعه وأدرك مندوب البعثة الآن انه اذا كان جزءاً من سكان المدينة تركياً. فإنّ الأغلبية الساحقة من سكان اللواء هم من الكُرد. وبعدها الرؤوس، فإن العرب الذين يسكنون اللواء (قبيلة العبيد والعشائر الساكنة في مالا وقرّته) يزيدون على عدد الترك. والفضل الكبير الذي يعود الى مجهودات آل اليعقوبي الحميدة توصل الى أن ينقسم الشهود الذين يتكلمون التركية الى قسمين متساويين تقريباً. وأمّا عن الكُرد فاذا كان القرويون الذين يعيشون في أحطّ درجة من المدنية أمثال قرويي (شوان وآلتون كوبرو) والقرى المجاورة للمدينة قد صوتوا لتركيا بتأثير أسيادهم ومالكي ارضهم من الاقطاعيين أو بدافع من الشعور الديني، فإنّ قره حسن، وطاووق) ونخبة طيبة من الشخصيات القليلة البارزة الذكية صوتت للعراق كتلة واحدة. كذلك صوتت للعراق طوائف المسيحيين والموسويين التي كان لها وزنها النسبي الى عددها ولكي نرصد الرأي العام المحلي في بلدة كفري التي كان بعض أسرها البارزة تركياً مثل كركوك، فقد إعتدنا على (عمر نظمي بك) وهو من كفري بالأصل. وكان قاضياً في كركوك في العام ١٩٢٢ كما اسلفت. ففكّ من وظيفته وربط بنا بصورة مؤقتة. ولجهله بالإنكليزية والفرنسية لم يختر مرافقة (پورتاليه) خبيراً لنا. ووقع إختيارى على (كورنر)^(٤) واطنني عكرت عليه بهذا جو صداقتنا. اذ لم تعجبه المهمة ابداً، ودفعتُ به الى كفري. واتفقنا في جلسة عقدناها مع (پورتاليه) و(فتاح) على خطة عمل اللجنة الفرعية. ثم انفردت به (كورنر) واكدت له اننا لانتوقع منه مآثرة سياسية باهرة وإن معرفته بالبلاد وشعبيته بين الناس ستخلفان أثرهما الجيد في نفس وكيل المندوب المحايد. وإن مجرد وجوده في الطرف المقابل سيمنع (فتاح) من الإفراط في تصرفاته المستهتره. وليس عليه إلا أن يذكرّ شيوخ القبائل ومن عاجله بأمر بعيدة كسؤاله عن الطلقات النارية التي أصيب بها فلان أو الفوائد التي جنوها من إدارة حكومة الانتداب، وليس بحاجة الى أن يسألهم اسئلة غير مناسبة. واعلمته أن سياستنا

٤- طبيب إنكليزي من الإدارة البريطانية يزاول عمله في كركوك.

لا ترمي الى تشديد الرقابة على المندوبين الترك. ولكن اذا شعر بإنّ (فتاح) يمضي في دعاياته وإرهابه الى حد الإفراط فعليه أن يقدم احتجاجاً لپورتاليه.

قامت اللجنة الفرعية في كفري بتفقد قطاع كبير من المنطقة فزارت جبل حميرين بالسيارات وباتت ليلة واحدة في (قَرْتَيْه) وقضت أربعة أيام ١٨-٢٢ شباط تتجول خارج كفري. وباتت ليلتها في (إبراهيم خانجي: زنگنه) و(قادر كرم: شيخ عبدالكريم) و(جاوري: عزيزي عباس داوده) و(طوزخورماتو) و(بسظاملي بيات). كان (كورنر) المدني ينوء تحت ثقل المهمة من دون كل الحبراء. فد(ناظم) في أربيل و(كامل) في كركوك اشبه ما يكونان في محيطهما الإعتيادي أمّا (فتاح) فكان بين القبائل التي اطلقت عليها مرة (لغم كفري) وكأنه في بيته، هذا فضلاً عن كون لجنة كفري هي الوحيدة التي تقضي ليايتها بعيداً عن مراكز الإدارة في ضيافات شيوخ القبائل، حيث يقعد (پورتاليه وكورنر) ساكتين في الديوان بينما ينطلق (فتاح) الى مجالس خاصة بسبب قرابته من بعض السيدات ويعقد الاجتماعات في السر. وكانت خطة (فتاح) أن يذيع حكايات ويوزع نشرات (عشرنا على واحدة منها) يزعم فيها أن الموضوع قد سُوي في الحقيقة، وان (رمزي) الذي كان قائمقاماً لرواندوز ورانيه في العام ١٩٢٢ سيأتي عما قريب ليتولى إدارة كفري. وكان أثناء الإستجواب العلني يتظاهر بتدوين الملاحظات عن كل مايقال مما يحمل محمل التهديد والوعيد.

كان (كورنر) بطبيعة خلقه ارفه وجداناً من أن تهدئه تأكيدات الملقطة وتفرخ من روعه. وعاد الى كركوك مثل سجين اطلق سراحه تواء. وهو شديد التشاؤم قليل الإيمان بجدوى ما فعل. وكان الواقع خلاف ذلك فقد حقق نتائج ممتازة وفي (كلار) وقف (كريم بك جاف) الى الجانب العراقي بصراحة وحماسة. ولدهشتنا وجدنا (عزيزي عباس داوده) لا يقلّ عنه صراحة في إعلان رأيه الى جانبنا حتى (رفعت) نفسه، فالمعتقد انه اعطانا صوته. وخيب ظننا طالبانية (گل) بإبدائهم بعض التردد والتسنع. إلا أن إعلانهم بأنهم سيصوتون الى جهة (عبدالله صافي أفندي) وطالبانية كركوك وقره حسن وطاووق، ضمن أصواتهم لنا فعلاً وصوتت (طوز) الى جانبنا. واذا كانت الغلبة في البلدان الصغيرة ككفري وقَرْتَيْه، وعند قبيلة (دكلو) للجانب التركي، فإنها ليست كافية لهزم كتلة الجاف والداوده المتراصة.

وفي ٢١ منه طرأت الى الموصل حيث كان (فيسرسن، وجاردين، وجواد) منهمكين في تحقيقات في النصف الجنوبي من لواء الموصل وكانت النسب متأرجحة والحظوظ متفاوتة، والجو أقل توتراً من السابق لكن وقع بعض الحوادث كانت مع جانبها المضحك كافية لإبقاء شكوك الرئيس على حالها. ففي تلعفر وهي بلدة تركمانية تبعد ٤٠ ميلاً عن الموصل. أفلح مشاغب مدسوس في خديعة القائمقام ونجح بإخراج تظاهرة موالية للترك تتألف من عياري السوق وذلك في ضواحي البلدة تناقض تماماً شبه الإجماع للشهود الرسميين في كل من القائمتين التركية والعراقية الذين صوتوا إما الى الجانب العراقي أو قالوا انهم يريدون أن يتبعوا مدينة الموصل. وحصل ما يشبه هذا في مدينة (عقره) الكردية الخالصة. وفي سنجار كان احد الفراشين مسنداً ظهره وهو نعسان الى باب الغرفة التي يجري فيها التحقيق وعندما فتح الباب من الداخل بغفلة منه سقط على الأرض واتهم بأنه متجسس. وإتفق أن كان هذا الرجل اصم كالحجر! لكن لايتوقع من أحد أن يؤمن بهذا. واعظم ما ضايق الرئيس أن عضواً في مجلس الدفاع في المدينة ذا لحية تستوقف النظر في أي حشد من الناس لترشد الى صاحبها، كان كثير النشاط في زيارة كل مركز إداري قبل أن تدخله اللجنة الفرعية بقليل، ويبدو أن (هذا الملتهجي القذر Sale Hashm) كان يتمكن دائماً من الوصول الى (فيسرسن) والوقوف أمامه كلما هم بدخول الدائرة التي خصصت فيها غرفة للإستجواب ولهذه الاسباب، كان املنا في النصف الجنوبي من لواء الموصل لايسمو الى أكثر من خمسين بالمائة من التصويت السياسي.

عندما وصلت كركوك في الرابع والعشرين منه وجدت (تيليكوي) طريح الفراش وعليه علائم السقم. وقد سُفّر جواً الى بغداد في اليوم التالي بتوصية (كورنر). وكان (پورتاليه) قد عاد من كفري يشكو التهاب اللوزتين، واطاحت الملاريا بـ(فيسرسن) في ٢٥ منه بعد عودته مباشرة. لذلك كانت لجنة هزيمة تلك التي قصدت السليمانيه في ٢٧ منه إلا أن المتخلفين مالبتوا أن إلتحقوا بنا بعد يوم أو اثنين بإستثناء (تيليكوي). لم تكن تساورنا ذرة من الشك في اننا نوشك الآن على خوض المعركة الفاصلة بعد كل حرينا. فهاهنا اقليم ليس فيه أقلية عربية أو تركية مطلقاً. والكرد هنا يكادون يكونون في ثورة دائمة ضد السلطات العراقية والبريطانية طوال السنوات الخمس

الأخيرة. وان قائد الثورة النافذ الكلمة والمحترم من الجميع حسب الظاهر، كان على صلة مستمرة بحكام تركيا مستنجداً طالباً العون مؤكداً إخلاصه لهم. فلا عجب أن راح يتوقع هنا نصراً ساحقاً مؤزراً بعد المعارك المتكافئة في الموصل وأربيل وكركوك. لا غرابة ايضاً في أن يظهر المندوبون شوقاً ولهفة الى إجراء التحقيق في منطقة كانوا يأملون أن يستمعوا فيها الى تعبير في الرأي قومي لشعب قدّم أعظم برهان على إستقلاله الفكري. أما نحن فقد كنا نستطيع أن نمضي في عملنا بثقة تامة ويقين بأن النتيجة ستكون خلافاً لما يتوقعه (پاولس وپورتاليه) ولما كان الفريق التركي متأكداً منه هو والأعضاء الحياديون. ولم يدر (جواد) انه مزعم أن يتلقى مفاجأة العمر!

في الليلة التي سبقت سفرنا الى السيمانية تبادلنا حديثاً طويلاً مع (قيرسن) وجرى على السياسة التي اتبعتها مع (پاولس) زودته بتكهناتي عما سيجده هناك ولخصت له الموقف بما يلي: هنالك عدد قليل من الكرد القوميون المتعصبين. اما الأغلبية فهم وطنيون معتدلون يرغبون في اتحاد مع العراق شريطة أن يكون موظفهم كُرداً وان تبقى اللغة الكردية لغة الإدارة الرسمية والتعليم في المدارس. أما التجار (الذين يعني الانفصال خرابهم) فهم موالون للعراق بشدة ومن دون قيد أو شرط. وليس في الإقليم كله من يعطف على الترك إلا شريحة قليلة من المتقاعدین المستائين.

وقبيل السفر بدأ (جواد) يتململ وراحت ثقته تزاوله، فقد قيل والعهد على الراوي أن قصاصة من الورق دُست في يده وبها انذار له بأنه سيقتل في السليمانية، وقيل ايضاً انه ابلغ بأنباء تشير الى ايفاد (١٥) آشورياً لإغتياله وإغتيال خبرائه. فاكدت للرئيس ولـ(پاولس) أن معرفتي بالسليمانية تكفي لاطمئن بأن الوفد التركي برمته سيكون آمناً من الاعتداء والاهانة. بغض النظر عن سخافة هذه الحكاية الأثرية فمن يسكن السليمانية منهم ظاهر بارز في مجتمعها ومن المحال إخفاء احد القادمين. إلا أن (فتاح) وهو مواطن من السليمانية قد ينظر الناس اليه كخائن وعميل مارق. وإن جماعة من الكرد الوطنيين (على حد تقارير چاپمان) يعدون العدة للقيام بعمل لايزيد عن طليه بالقار أو التشهير به وما الى ذلك من اعمال التشنيع والسخرية به. ورجوت الرئيس أن يطلب من فتاح وناظم ايضاً (زيادة في التحوط) ألا يخرجوا الى المدينة حتى أتوفر الى دراسة الوضع شخصياً وموقعياً. وفي اليوم التالي وجدنتي زميلاً لـ(پاولس)

في سيارة واحدة وهو العضو الوحيد الذي امكنه السفر، وفي الطريق دفع اليّ بقائمة زوّده بها (جواد) زاعماً أنها تتضمن أسماء المشاعيين الذين أرسلوا الى السليمانيه خلصة لبث الدعاية. ورجا مني إبعادهم عن المدينة. ظهر أنّ هذه القائمة تحوي أسماء (بابكر آغا، وشيخ ئاؤول سهنگاو، وحاجي شيخ عارف سرگلو وأحمد بك جاف ابن سيدة حلبجه، وكريم بك جاف)، وهؤلاء هم طبعاً صفوة أعيان اللواء ومقامهم كبير في قائمة الشهود التي سبق لنا تقديمها رسمياً. وكان آخر المذكورين قد اجتذب إهتمام (پورتاليه) لمركزه الموموق وذكائه فأشاد به وذكره ذكراً حميداً بعد زيارته كفري. ولاشك في أنّ (جواداً) كان سليم النية بتقديمه هذه القائمة ف(فتاح) كان يورطه دائماً بأسوء النصح. وقد أراد أن يظهر هؤلاء بمظهر المشاعيين الافاقين. مما يختلف تماماً عن خطتنا الثابتة التي درجنا عليها وهي تقديم قوائم كاملة بأسماء الشخصيات البارزة بصرف النظر عن آرائهم ووجهات نظرهم السياسية. ولم يكن (پاولس) آسفاً في ايضاحه للمراقب التركي سخافة قصص (الدبك والثور)!! اللامعقولة التي ظلت تنهال على المندوبين منذ وصوله من الموصل.

ان دخول قافلتنا المؤلفة من عشرين سيارة لم يخلق أية ضجة في المدينة وكان (پاولس وكرامرز) يتقدمان (كامل وجواد) مسافة قصيرة جداً فخرج الأربعة معاً الى الأسواق المدنية حال وصولهم وراحوا يتجولون ويلقون الأسئلة على أصحاب الدكاكين إلا أنهم جوبهوا بحائط أصم كما كان الحال في أربيل ولم يكثرث أحدُ بهم ولم يتجمع الناس حولهم. وأضرب (جواد وكامل) بعدها عن الخروج. أما (فتاح وناظم) اللذان لم يعدما مصدر معلوماتهما الخاصة عما سيوشك أن يقع، فلم يجسرا على ترك الدار طوال وجودنا في المدينة! ووصل (بابكر آغا) في ساعات العصر الأولى يحف به فرسان الپشدر المغاوير حوالى مائة منهم في أبهى حللهم وأكرم خيولهم وبكل سلاحهم. وراح (پاولس) يراقب بنظره هذه المظاهرة العسكرية الجميلة فعلق ساخراً بقوله: "أهذا هو الرجل الذي خُدع به المراقب التركي وأظهره له خبيره على غير حقيقته؟".

وبدا وكأن جواد پاشا فقد الثقة بمقدرة (فتاح) على معاونته ورجاني شخصياً أن أطلب عنه من رضا بگ (صديقنا المخلص لعام ١٩١٩، الذي يذكر أن الأبناء قالت عنه إنّه تزعم الحزب الموالي للترك في إضطرابات ١٩٢٣-١٩٢٤) أن يأتي لزيارته حتى

ينوره بالتكوين الإثنوغرافي للواء. وكنا قد تحدينا المراقب التركي بأن يقدم للجنة الـ (٣٢٠٠٠) تركي الذين ورد ذكر وجودهم هنا في مذكرة رسمية قدمها للحكومة البريطانية. إلا أن (رضا بك) رفض رفضاً باتاً مقابلة الباشا إلا أن أكون ثالثهما. فأجبتُه هذا مخالف لأصول اللياقة ورجوته أن يعتبرها منة شخصية عليّ فوافق على مقابلته بمفرده أو على الأقل بحضور من أحد المندوبين الحياديين وله ملء الحرية في الادلاء بأي رأي يختار. وأكدت له أن هذه المقابلة لن تعتبر نقطة سيئة له. وانه اذا كان قد ندم على صلته السابقة (كما يظهر من مسلكه الحالي) فهو يقدم خدمة كبيرة بقيامه دليلاً على أن الوفد التركي لم يمنع من مقابلة رجل كان يعتمد على مساعدته. إلا أنه بقي مصرّاً رغم رجائي وتوسلي وعندما ابلغت (جواداً) بفشل مهمتي طلب مني ألا أهتم بالمسألة أكثر من هذا.

إن مسألة (التكوين القومي) لسكان لواء السليمانيه كانت مثلاً حسناً على سخط معظم جوانب القضية التي عرضتها الحكومة التركية وعقم المهمة التي انيطت بالمسكين (جواد باشا) وكان الرد البريطاني الرسمي على هذا الزعم، انه لا يوجد في السليمانيه مواطن تركي واحد. ولما وصلنا الى السليمانيه سرّينا عن أنفسنا بتقديم مذكرة خطية للجنة معذرين عن ورود خطأ في ردود الحكومة البريطانية المنوه بها آنفاً ولذلك فنحن نستدرك فنقول إننا وجدنا تركيا واحداً في السليمانيه وهو من خدام معسكرات الحامية التركية قبل الحرب، إستوطن المدينة بعد زواجه بإمرأة كردية وهو الآن عامل تنظيفات في البلدية.

وإستمرت التحقيقات في السليمانيه ثلاثة أيام ولحق فيرسن بپاولس وحضر تحقيقات اليوم الثاني والثالث وبقي كل الشهود البارزين على كلمتهم وعهدهم ولم يخفوا شيئاً من مشاعرهم في الجلسات العلنية مثلما تعهدوا. فشجبوا فساد الحكم التركي، وسوءه وذكروا بسرور المختال مناسبات عديدة منها انسحاب ١٩١٨ عندما هزم الكُرد كل الحملات التي ارسلت لقمع إنتفاضتهم، فعروا جنودها من ثيابهم وأطلقوهم بهذه الحالة المزرية. وعرضوا ايضاً حادث مقتل (الشيخ سعيد) والد (الشيخ محمود) في الموصل ١٩٠٨ دليلاً على الحقد الدنيوي بين القوميتين ودعمت هذه الشهادات بإفادات الشهود الذين يلون الأولين بالأهمية، مثل أصدقائي الملاكين الثابتي العزم (سعيد آغا جافران،

وكويخا نجم سيوسينان) فقد كان لها أثرها هي الأخرى بأجوبتها الصريحة المعقولة المعللة عن كل الأسئلة.

تعمدت ابعاد نفسي أثناء هذه الإجراءات. إلا أن (بابكر آغا) وبكزاده الجاف وآخرين اصروا على حضورى لأقوم بالترجمة في الجلسة العامة الوحيدة ولاحظت أعضاء اللجنة ذاهلين مشدوهين للأجوبة التركيبية التي كانوا يتلقونها عن اسئلتهم، ولاسيما اجوبة (بابكر آغا) إقتصادية كانت أم سياسية أم الموضوع الحرج المحير لمسألة الشيخ محمود على ضوء هذا الموقف الشاذ من الاحداث^(٥).

إن يشائر النصر الفاصل في السليمانيه بدت واضحة في فقرات عديدة من تقرير (فيسين) عند ذكره اللواء:

"ويستثنا لواء السليمانيه، لا يوجد منطقة واحدة مؤلفة من عدة نواح، إلا وكانت أغلبيتها النسبية تصوت لصالح احد الطرفين. وهو ما لاحظناه... وفي لواء السليمانيه وحده ظفرنا بأدق تعبير لوجهات النظر وكان بها القول الفصل... والاشخاص الذين قابلناهم اعلنوا تفضيلهم الحكومة العراقية بإستثناءات نادرة... إن اللجنة اقتنعت بشكل لامرد له بأن الاهالي عبّروا عن رغبتهم تعبيراً كاملاً حراً... ووجدنا الشعور القومي الكردي هو الشعور الغلاب والمعقول وان كان بعد فتياً ومع أن القوم صرحوا برغبتهم النهائية الجازمة في الإستقلال التام الناجز، فإنهم ادركوا فوائد (وصاية) حريصة ذات تفكير واسع وكياسة. وليس من شك في أن كفاءة الإداريين البريطانيين واصابة قراراتهم في هذه البلاد كان لها تأثير واسع شديد على إتجاه تفكير الاهالي".

وهكذا، مرت الأيام فاذا بكسرة الخبز التي ألقاها (نويل) في اليمّ أولاً عندما جاء بمهمة الترجمة للعام ١٩١٨، وتعهدها (سون) خلال فترة حكمه الحاذقة العادلة، عادت

٥- كان الشيخ محمود أذكى وأبعد نظراً من أن يظهر نفسه اثناء زيارة اللجنة وبقي بعيداً. وقررت اللجنة من تلقاء نفسها انه ليس من حسن اللياقة استقدامه بأمر علني ليقدم شهادته. وانتظر حتى عادوا فواصل تاكتيكيه الحربي. الا أن تثبيت اقدام الإدارة بشكل مطرد جعل منه اخيراً شخصاً مطارداً خارجاً على القانون ينتقل غدوةً ورواحاً ما بين الحدود حتى اعلن الخضوع سنة ١٩٢٧. (المؤلف)

الينا بمرود مضاعف من الرغفان^(٦)! في هذه اللحظة العصيبة من حياة دولة العراق الفتية.

وعدنا الى كركوك في ٣ أيار، وسرني إقتراح الرئيس مشاطرته السيارة، فالى تلك اللحظة كانت صلتى به أقل بكثير من صلتى بأي عضو حيادي في اللجنة. ووجدته مشدوهاً ومهتاجاً لكل ماشاهده في السليمانيه. وقال لي: لما ادرك (جواد) كم ساءت الأمور بالنسبة له زعم أن الأهالي وقعوا تحت التهديد أو إرتشوا، وهذا غير معقول أبداً فبإمكانك شراء شخص أو اثنين في مجتمع ما ولكنك لاتستطيع شراء أهالي الاقليم قاطبة. وربما أظهر شاهد أو اثنان شيئاً من التخوف والعصبية أثناء الإستجواب في اماكن اخرى، لكن الاهالي هنا في السليمانيه اندفعوا الى الامام من غير تهديد أو وعيد للادلاء بأرائهم.

وبعد ليلة لـ(پاولس) في كركوك قام خلالها بمقابلة اخيرة لانصار الترك مجتمعاً، خرجنا قاصدين أربيل وتوقفنا ساعتين في (آلتون كوپرو) لاكمال التحقيق الذي تركه (پاولس) ناقصاً، قبل ثلاثة اسابيع. وهنا لحقت بنا هزيمة صغيرة إذ لم يستقبل وصولنا بمظاهر عدم الاكتراث التي كانت طابع معظم جولات اللجنة في الألية الثلاثة. فقد وجدنا صفاً من الشباب التركماني، مالبت أن أحاط بالمراقب التركي وهو في سيارته فخطب فيهم كالأب الذي جاء يتفقد أبناءه الضالين. وانفجر احدهم باكياً ليبدو مظهراً معبراً عن عواطفهم، ويقول تقرير (فيرسن) أن أعضاء اللجنة كثيراً ما وجدوها لدى الطبقات المعذمة (التي مازالت طبعاً تخلط بين تركيا مصطفى كمال، وتركيا الخلافة العثمانية) ولاسيما بين الاهالي العرب. وتحسست أن آل نفظجي زاده كانوا قد نشطوا جداً، ولعلمهم إستخدموا سلاحهم المألوف وهو أن القرار منته لصالح تركيا. لقد حصل هذا كله في فترة الارتياح والثقة التي اصابت سلطاتنا المحلية من نتائج الزيارة السابقة الطيبة ويسبب تراخي الإدارة في بعض اجزاء من اللواء.

وبلغنا أربيل اول العصر ودعاني (جواد پاشا) الى نزهة في ارجاء المدينة، وبدأ حديثه بقول كنت متهيئاً لسماعه ومنتوقعاً له. قال إن وفده كان بعيداً كل البعد عن الانسجام والتجانس وانه ألح ليُعفى من هذه المهمة فلم يُجب طلبه. وهو يشعر بأشد

٦- ربّما قصد تشبيه ذلك بمعجزة تكثير أرغفة الخبز التي روتها الأناجيل على يد السيد المسيح.

الأسف لأننا لم نسو موضوع النزاع بيننا مباشرة وآثرنا الرجوع الى عصابة الأمم. وقال إن الحكومة البريطانية ضيعت فرصة عظيمة بعدم دعوة تركيا والعراق الى طاولة مؤتمر تقوم هي فيه بدور الحكم بشكل يحفظ حقوق تركيا ويحقق أماني العراق ويعزز مكانة بريطانيا. ولاشك في انه كان بالإمكان احداث خطأ يجعل الاهالي الترك لتركيا واتخاذ تدابير معينة يتطلبها الشعور القومي الكردي. إلا أننا إشتطنا ومقادينا، وطالبنا بجزء من ولاية (حكاري) فقضينا على كل امل بتسوية ودية. واستطرد يقول انه كان قد وُضع تحت امرته قبل ١٨ شهراً فرقتان من المشاة ولواءان من الخيالة في الجزيرة، وكان الشعب التركي متحمساً للحرب. ربما تمكنت قوتنا الجوية من إلحاق بعض الضرر به إلا أنه لن يجد مايعترض سبيله الى بغداد نفسها، غير أن حكومته فضلت التسوية الودية. ثم وقعت حادثة أسر والي (حكاري) وقتل قائد الدرك بأيدي الآشوريين. صحيح أن الوالي اطلق سراحه وأعيد، لكن مرتكبي هذه الأعمال لم يقدموا عليها إلا مؤملين أن تلقى دعماً منا. ورغم هذا الإستفزاز فإنه قصر عمله على تأديب القبائل الجانحة وهو مايحتمه الواجب في مثل هذه القضايا.

واستطرد الزميل التركي قائلاً، ليس ثم ما يدعى بعداوة تركية بريطانية جديدة متوارثة. وذكر حادثة وقعت إبان ثورة (جون ترك) في العام ١٩٠٩، هي قيام الجموع المتظاهرة بحلّ رباط خيول عربة السفير البريطاني والسير بها بدلاً من حيواناتها في الشوارع بحماسة. وقال إن الدبلوماسية البريطانية فشلت في تفهم الموقف واجبرت تركيا على إلقاء نفسها في أحضان ألمانيا. وبعد الحرب أُجبر هو نفسه بضغط من البريطانيين على الإستقالة من وزارة الحربية. ثم جرى إعتقاله بكل مظاهر التشهير والتحقيق وأبعد الى (مالطه). على أنه ظل مع ذلك مقتنعاً بأن الصداقة والتعاون هما السياستان الصحيحتان والطبيعتان لبلدنا. وانه ليستطلع ككثير من أبناء وطنه الى ذلك اليوم الذي تعود العلاقات التقليدية القديمة فيما بيننا لتقوم على أسس الإحترام والإخلاص المتبادل.

وفي الخامس من آذار عادت اللجنة الى الموصل لتقوم منها بآخر فصل من فصول التحقيقات. ولما لم يكن لديّ مايشغلني خلال هذه الفترة القصيرة فقد سافرت الى بغداد جواً ونزلت ضيفاً على المندوب السامي ونعمت بصحبة (تيليكلي) الذي كان

ضيفاً أيضاً وقضيت فترة طيبة أنعم بمستوى عالٍ من العيش تضمن نزهة نهريّة (كان الربيع في الجنوب قد تقدم كثيراً) وحفلة رقص في النادي. وولائم عشاء وغداء عديدة انتهت بخاتمة مفاجئة. وهو القيام بالواجب المحزن، واجب تشييع جثمان الرائد (ه.س. پوللي H.S. Polly) معاون مستشار وزارة الداخلية. وهو زميل محترم وإن كان أكبر عمراً بعض الشيء من سائرنا. ومن لقاءاتي العديدة بـ(تيليكى) الذي لم أجده كثير الإنبساط لي، تبينت أنه يؤيد الفكرة التي توصلنا إليها وهي أنه وزملاءه قاموا بعمل زهيد القيمة لأنهم لم يبدأوه بفهم البلاد ودراساتها. وكان قلقاً للغاية بسبب غيابه الطويل عن ميدان عمله، وعرض عليّ مسودة برقية كتبها للرئيس يعرض فيها إستقالته من اللجنة. على أنه صرح بعد قليل بأنه قادر على السفر. وفي ١١ منه طار الى الموصل في رحلة شاقة عانى منها كثيراً.

لقد حفظ كل إمريء عبر الماضي ودروس الأيام الأولى، فلم يظهر شرطي واحد في "القصر الملكي" وكان المناخ منعشاً، وجو اللجنة لايشوبه كدرة والأعضاء بلهفة منهم لإكمال اعمالهم في الاقضية الجبلية بأسرع مايمكن، قرروا أن يقصروا زياراتهم على (زاخو ودهوك). وان يطلبوا من شهود العمدادية والزيبار الحضور الى دهوك لسماعهم. لذلك تركت الموصل قبلهم بيومين لتأكد من حسن التدابير المتخذة لإستقبال اللجنة. ولأزود الموظفين بالارشاد حول ما سيتبع من إجراءات. لقد وقعت في غرام جو (زاخو) حالما دخلتها. ويسكن هذه البلدة زهاء (٤٠٠٠) نفس نصفهم من اليهود وربعهم نصارى والباقي مسلمون كُرد ويقع القسم العتيق منها في جزيرة على نهر الخابور الشرقي، شمال إتجاهه وقُبيل مصبه في دجلة بمسافة سبعة أميال، ويبلغ ارتفاعها عن سطح البحر (١٤٥٠) قدماً تقريباً. وتقع الحدود الحالية (الرسمية) على بعد خمسة أميال منها. ويصل الجزيرة بالضفة اليمنى جسر أحذب قديم، من الطراز الذي يعزى عادة في إيران الى الشاه عباس الصفوي، ويصلها بالضفة اليسرى جسر معلق لا يخلو من جمال، أقامته مديرية أشغالنا العامة قبل سنتين. وثم رصيف جميل يمتد عبر مرج منبس حتى الجسر المعلق، بدا لي ضاحكاً بأشجار اللوز ذات الزهر المتفتح، وأشجار الزان الخضراء الفضية ببراعمها. وكان اليوم السبت والعائلات قد خرجت للنزهة في ضفاف النهر المعشوشبة اليانعة مسيحييها ومسلميها مختلطة بالعدد الأكبر من

اليهود. الفتيات في أزهى ثيابهن وحليهن والشباب في أجمل حلل الجوخه والرانك المسلمة والمسيحية ذات الخطوط الملونة التي إشتهرت زاخو بحياكتها. والتقيت بالقائمقام "محمود فخري"^(٧) وهو شاب موصلبي جيد الثقافة إرتقى سلم المناصب حتى بلغ وظيفة مدير تحرير متصرفية الموصل ثم رفع لمنصب قائمقام القضاء.

وتعرفت كذلك بمعاون مدير الشرطة (يونس) وأدركت لأول وهلة انهما موظفان ممتازان وثبت لي جديتهما في عمليهما، وعلاقتهما الطيبة- إن لم اقل الودودة- بمختلف وجهاء البلدة الذين جاؤوا للسلام عليّ بمختلف اديانهم.

إن (زاخو) مركز هام تجاري وقد اقتصت بعمل الأكلاك. في الطرف الشمالي من الجزيرة كانت الضفة المقابلة تزرخ بالأكلاك ويعمل صناعهم في تركيبها كانهم خلية نحل. حتى لقد شاهدت عشرة منها كاملة نُفخت جربانها وحُمّلت خشب وقود لتنحدر به الى الموصل. الى جانب عدد كبير في مراحل متفاوتة من صنعها. وهذا كله قرائن مفيدة على العلاقات التجارية والإقتصادية بالجنوب. وكانت الاخبار قد سبقت بإندلاع ثورة كُردية كبيرة بقيادة الشيخ سعيد في منطقة (خربوط) واعلنت الاحكام العرفية في الولايات الجنوبية الشرقية من تركيا وارتفعت عقائر زعماء الكرد تنديداً بمضطهدي شعبيهم هناك واطهروا عدائهم الشديد. لقد كانت أصوات المسيحيين والموسويين هنا مضمونة لنا بطبيعة الحال، إلا أن أكبر قبيلتين في القضاء وهما (السندي والگلي) كانتا في وضع محرج للغاية، لأنّ مراعي الصيف التي تعتمد عليها حياتهم الإقتصادية هي في تركيا. وخوفهم من حكومتها يفوق خوفهم منا، وقد كان ثمّ احتمال بذهاب أصواتهم الى الجانب الآخر. إلا إذا اقتنعوا بأنّ القضية ستكون سرية للغاية. وأمّا الباقون الذين كان خوفهم متأثراً من وجودهم قرب الحدود فقد اظهروا إستعدادهم للقول انهم إقتصادياً مرتبطون بالموصل، وسياسياً يرغبون في مشاطرة اخوانهم كُرد السليمانيه، وعلى هذا رحلت أنتظر وبفارغ الصبر قدوم اللجنة.

٧- يبرز محمود فخري على أقرانه بسبب اتقانه اللغة العربية. وتلك ظاهرة نادرة بين موظفي تلك الفترة. فكلهم تقريباً تخرجوا في مدارس تركية. وبعد أن نقلت الى وزارة الداخلية كنت اتطلع دائماً الى تقاريره لهذا السبب وبلغ منصب المتصرف وهو ما يزال في مقتبل العمر إلا أنه أعتبط صغيراً بقاء السل فكانت خسارة الإدارة به عظيمة. (إدموندز). (يقصد بيونس وجيه يونس وهو موصلبي وقد إرتقت به المناصب ليغدو مديراً عاماً للشرطة في العهد الملكي).

ان زاخو هي كرسي اسقفية كلدانية، وليس فيها غير منزلين مناسبين لسكنى الزوار، أولهما منزل الأسقف وثانيهما منزل المعاون (يونس)، هذا وإن إخلاء صاحب البيت داره لإقامة ضيوف كبار بصورة مؤقتة، هو من العادات المألوفة في بلاد الشرق، وقد سلم (يونس) بضرورة إخلائه الدار نزولاً عند حكم الأمر الواقع إلا أن الأسقف الطاعن في السن والمصاب بالخرف لم يقبل إلا بعد لأي. ونجح محمود فخري بمساعدة القس. ونزل أعضاء اللجنة في مسكنين جميلين يشرفان على بساتين اللوز.

كان الهدوء يعم أزقة البلدة عند وصول الركب في اليوم التالي. ولم يضع (جواد باشا) لحظة واحدة في مباشرة أسلوبه الذي طبقه في سائر لواء الموصل. (وعجز عن تطبيقه في الألوية الأخرى الثلاثة) وخرج الى السوق محبباً هذا ومسلماً على ذلك. وكان يعود الى المنزل مسروراً أو مكتئباً حسب درجة نجاحه في الحصول على جواب لتحاياه وكان الغم الذي ركبته بعد العودة من أول جولة زار فيها الضفة الخلفية فألاً حسناً لنتيجة الإستجواب في هذه البلدة الصغيرة السعيدة.

كذلك سررنا بنتائج الزيارة التي قام بها (تيليكى وپاولس) نهار السبت الى بلدة الشيوخان شمال شرق الموصل فخلافاً لما زعمه الترك بأن هذا القضاء تركي خالص، تأكدا بنفسيهما انه يتألف من أغلبية ساحقة من النصارى والعرب والكرد والإيزيدية. ووقع في نفسيهما وقعاً شديداً مشاهدة فصائل أنيقة من الكشافة أخرجتها قرية (ألقوش) المسيحية لتستعرض أمامهما. كما أدھشتهم الروح العلمية التي وجدوها في رهبان الدير هناك حيث قضيا الليلة. وأخيراً غلبت عليهما العاطفة لتلك الصراحة البريئة التي يرجو بها الشهود ابقاءهم في العراق. ولعل اشارة الإنقلاب النهائي هي مجيء ثلاثتهم في تلك الليلة الى الدار الصغيرة التي أشغلها مع (جاردين) ليفضوا الينا بتجربة يومهم.

وعلى الضد من هذا، فقد علمنا أن الزيبار والعمادية ودهوك ستقف موقفاً صعباً. فهناك لا يوجد طبقة مثقفة من الضباط الكرّد أو الموظفين المدنيين يتوقعون أن يكون مناخ العراق افضل لأمانيتهم من مناخ تركيا، أمتطرفة كانت تلك الأمانى أم معتدلة. ومن جهة أخرى كان المستوطنون الآثوريون الجدد قد ضبطوا كثيراً من القرى الكرّدية التي هجرها أصحابها الشرعيون أثناء الحرب وراحوا بتشجيع من الإنكليز المتهورين

المتحمسين لقضيتهم في إنكلترا يقاومون كل الجهود المبذولة لإيجاد مواضع سكنى لهم في اماكن اخرى لىفسح المجال لأصحاب القرى الشرعيين في العودة الى موطنهم، وآخرون منهم كانوا قد وجدوا ملجأ لهم في قرى عامرة، أرادوا تطبيق حكاية الجمل الذي دخل خيمة البدوي فراحوا يهددون بطرد أصحابها الأصليين. وبسبب وجود هذه الأقلية القومية الدينية كانت الإدارة اشد صرامة على السكان من مناطق قبلية أخرى تحفل بالفلاقل والإضطرابات بل ربما أغرى خصمنا زعماء الإقطاع في (بهدينان) وكلهم مشاغبون معاندون، بأحلام العودة الى أيام العز القديمة في ظل الحكم العثماني الذي كان يرخي لهم الحبل. وفي يوم ١٦ وهو اليوم السابق لوصول اللجنة بيوم واحد عدت الى دهوك ووجدت خيامنا قد ضربت حول منزل معاون الضابط السياسي البريطاني سابقاً، وهو منزل صغير يبعد زهاء نصف ميل عن البلدة. وكان الموقف السياسي هنا سيئاً بقدر ماكان حسناً في زاخو. الظاهر أن الحكومة هنا ممقوتة وسلطتها تبدو على شفا جرف هار. كان القائممقام البدين جداً يدنو من سن التقاعد، وهو من الصنف الذي يجد كل من لايرتدي سراويل أوروبية ضيقة وياقة منشاة قدرة، أتفه من أن يستأهل الإحتقار. وكان طاغية دكتاتوراً بالنسبة الى المستوطنين الأشوريين. على انه استطاع كذلك أن يقود زعماء الكرد من آذانهم في محاولته إجبارهم على التصويت حسب تعليمات لجان الدفاع الوطني. وغص محل الإجتماع بشيوخ القبائل وأتباعهم من الفرسان المدججين بالسلاح. وفي عصر اليوم التالي واللجنة لم تكد تطأ أرض دهوك، إندفعت حشود كبيرة الى مجلس اللجنة بعد إرفضاض إجتماع عقده للتنديد بالقائمقام وأعماله وتقدموا بلا نظام على ظهور الخيل وكأنهم في غارة ثم دنا عدد كبير من الاغوات وهجموا على (جواد) يلثمون يده، وبعدها شرع الجميع يتلو آيات شائعة من القرآن بقيادة شيخ مشهور من آل النقشبندي! وتشاء الصدف الحسنة أن يحاول المراقب التركي بأوراقه لعب تهور وطيش، بإتخاذه موقفاً صلفاً من أعضاء اللجنة، إذ طالب بأن يسمح له هنا وفي الحال بتسولي السلطة الإدارية. ولم يكن انزعاجهم من ذلك بالقليل، لانهم ارادوا الاسراع في انهاة المقابلات والإستجوابات الروتينية باقل مايمكن من الوقت. كان (جاردين) قد عمل هنا رداً من الزمن بمنصب معاون الضابط السياسي وهو بطبيعة الحال معروف من زعماء المظاهرة قاطبة وعلى

معرفة بهم ايضاً، ولم يفت المندوبين أن يلاحظوا توجه معظم المتظاهرين اليه بعد تبدد الانفجار العاطفي الاول- وشروعهم بالشكوى من سلوك القائمقام ومدحه هو قائلين انه الوحيد الذي يتمكن من إعادة النظام والمساعدة في تصريف شؤونهم. ومهما يكن من أمر فإننا كنا واثقين بأن جواب (السؤال الصغير) الذي سي طرح عليهم هو الى جانب تركيا. ومن الممكن القول أن عمل اللجنة أصبح الآن في حكم المنتهي خلا استطلاع رأي القادمين من العمادية وقد تأجل إستجوابهم الى اليوم التالي. هذه آخر ليلة لنا في الحلبسة... إن رد فعل هذا اليوم الشاق الذي فاق ما قبله - خلا اول يوم للجنة في الموصل- كان عنيفاً كاسحاً اشبه بحفلة العشاء بمناسبة الغلبة في سباق التجديف. فقد قضينا وقتاً اطول من المعتاد في تناول المقبلات، ولما حل وقت العشاء كان الجميع على أحسن مايرام. وفي ساعات المساء الأولى بدت الكآبة على (صبيح) بسبب المشهد الذي حصل صباحاً وحقق فيه المراقب التركي نصراً كبيراً وانتابته نوبة من حمى الملاريا. ووصف له أحد الزملاء مزيجاً من الفيرمونت الفرنسي والكيينا بحسن نية وأكد له إنه (ترياق) شاف ذو نتائج مجرية اذا تناوله بمقادير كافية. واذا به يندفع هائجاً مائجاً يريد... أن يصفي حسابه مع احدهم... كائناً من كان، ويعمل به كيت وكيت ويكيل له صفة... و... ولم نفلح في تهدئته إلا بعد لأي. ثم سيطر على نفسه وعاد الى مرحه الطبيعي ليستأنف دوره كنجم الحفل الباسم، وهو الطبع الذي حببه الينا جميعاً أصدقاءً وخصوماً تخطى أعضاء اللجنة والمراقبون ممن أثار عنهم الاعتدال، كل الحدود وضربوا أرقاماً قياسية في المرح حتى (كرامرز) الهاديء الرزين فقد فاجأنا مفاجأة العمر بنكاته المستملحة وفكاهاته، ولاأذكر إلا واحدة وهي أقلها حدة وأذى وأبعث على البهجة لأنها لم تكن مقصودة كما تدل كل المظاهر الخارجية، كان مصدرها (جاردين) الذي ظلت فرنسيته المدروسة في معهد فرنسي معيناً لا ينضب للضحك. فقد وصف الحادثة التي وقعت (للسير هنري دويس) بمناسبة زيارته الموصل أثناء العاصفة الثلجية بالعبارة الفرنسية التالية:

Le Haut Commissionair a Craché et il a Coupé son levre

ولم تتكرر مشاهد الفوضى والإضطراب عندما وصل وفد العمادية الى المخيم صباحاً وكان القائمقام عبد الحميد عبد المجيد (الذي لم أعرفه من قبل، إلا أنه أصبح صديقاً

حميماً) رجلاً من الطراز الأول. وحكمنا أن تصويت العدد الأكبر من رؤساء العشائر البارزين سيكون عكس تصويت دهوك تماماً. مع أن معظم هؤلاء من الثائرين السابقين، أو ممن أثقلتهم أعمال شقاوة ارتكبوها بعد صدور العفو العام عنهم. هذا فضلاً عن وجود عدد من القرى الآثورية الأصلية إضافة إلى مستعمرات اللاجئين الجديدة. وهؤلاء بالطبع صوتوا للجانب العراقي.

وانا شخصياً كنت قليل الإهتمام بنتائج التحقيقات في المنطقة، لذلك منحت نفسي إجازة من الصباح الباكر لزيارة المنحوتات الآشورية الشهيرة بإسم (معلثاي) وهي ظاهرة فوق الوجه الشمالي من الجبل المشرف على وادي دهوك من جهة الجنوب. واقتضاني ما يزيد عن نصف ساعة للوصول إليها راجلاً من أقرب منطلق سالك ووجدت أربعة إطارات كبيرة طولها يقارب ١٨ قدماً وعرضها ٦ أقدام وليس فيها كتابات. لكنها تعزى إلى (سنحاريب ٧٥٠-٦٨١ ق.م) وأهميتها تكمن في انها لا تمثل مشاهد معركة أو حفلة صيد، كمعظم المنحوتات الآشورية، بل تصور موكباً دينياً لسبعة آلهة تقف منتصبه فوق مختلف الحيوانات بعضها خرافي - وبصورة الملك وهو يقوم بفروض العبادة في نهايتي كل اطار^(٨).

عادت اللجنة برمتها إلى الموصل في ١٨ منه وبقينا فيها خمسة أيام أخرى لمساعدة اعضائها في تدقيق إحصاءاتهم وتنسيقها وتبويب ملاحظاتهم، وكذلك لزيارة خرائب نينوى والشرقاط وغيرها من المواقع التاريخية، ولحضور دعوة نظمها السرب السادس قضينا بها ليلة رائعة لا تغيب عن الذاكرة، وحضرها (جواد). وفي ٢٣ منه تفارقنا بعد أخذنا عدة صور تذكارية وتبادلنا العناوين وعبر أحدنا للآخر عن تمنياته الطيبة ثم غادرنا وقد العصابة بقافلة سيارات إلى (دير الزور) ومنها إلى بيروت. وسافر الوفد التركي إلى نصيبين ومنها إلى أنقره.

٨- اول وصف لهذه النقوش عرضه لايارد، الذي كان اول انكليزي يراها سنة ١٨٤٦ ويصفها في (نينوى وخرائبها ١٨٥٠ - جزء ١ - الص ٢٣٠-٢٣١) ويعزى إليه اكتشافها عادة. إلا أن (ف. تورو. دانجان F. Thureau-Dangin) في "منحوتات معلثاي" (مجلة الآثار الآشورية، ج ٢١، ص ٤، سنة ١٩٢٤) يشير إلى أن نائب القنصل الفرنسي في الموصل (روي Rouet) كان اول زائر لها من الاوروبيين وقد دون وصفاً لها في ثلاث رسائل مؤرخة في تشرين الأول وتشرين الثاني ١٩٤٥ وقد نشرت هذه الرسائل في المجلة الآسيوية، ج ٧، ١٨٤٦. (إدموندز)

مههما كان شعور الصداقة التي نمت بيننا وتوثقت، فلاشك في اننا كنا جميعاً مسرورين لخلاص بعضنا من بعض ضمن دائرة هذه اللجنة بالذات، وليس ثم ما يترجم شعوري الخاص بابلغ مما دونت في يومياتي، قلت: "حين ارجع بالفكر الى ما حصل. لا يسعني إلا الإقرار بأن مرور تحقيقات اللجنة دون وقوع انفجار أو حادث خطير إنما هو شيء من قبيل المعجزات... فاذا وضعنا في حسابنا قابلية البلاد للالتهاب السريع. يكون مما لا يصدق أن يمر بنجاح، لو لم يقع ذلك فعلاً..."

أما بقية القصة، فسرعان ما عرفت: بعد ان حلل تقرير اللجنة المزاعم التي تقدم بها الطرفان وأورد اعضاؤها إستنتاجاتهم الشخصية في كل أسباب النزاع كانت توصيتهم تثبيت خط (بروكسل) نهائياً وإعتباره حدود العراق وتركيا الدولية على أن يكون ذلك خاضعاً لشرطين، الاول: يجب أن تبقى المنطقة موضوع النزاع أي ولاية الموصل تحت وصاية عصابة الأمم المباشرة لفترة يقترحون تحديدها بعشرين سنة؛ والثاني: يجب النزول الى الرغبات التي اعلنها الكرد. وهي تعيين الموظفين للمناصب الإدارية والقضائية والتعليمية منهم فقط وجعل اللغة الكردية لغة رسمية في هذه الإدارات والمعاهد. وكان يوجد في التقرير قيدٌ إحترازي وهو أنه في حالة ما لو إرتأى مجلس العصابة أنه من العدل إجراء تقسيم للمنطقة المتنازع عليها بين الطرفين فأفضل خط للتقسيم هو مجرى الزاب الصغير تقريباً.

وقدم التقرير الى مجلس العصابة في أيلول ١٩٢٥. وانكرت الحكومة التركية على المجلس سلطته في اتخاذ قرار ملزم للطرفين المتنازعين. فاحيلت هذه النقطة اولاً الى محكمة العدل الدولية الدائمة لإعطاء رأيها الاستشاري. وفي ٢١ تشرين الثاني اعلنت المحكمة عن رأيها وهو أن قراراً بالإجماع يتخذه المجلس (لايحتسب صوتا الطرفين المتنازعين بالتأكيد فيما لو وجد الإجماع) انما هو قرار ملزم للطرفين يتضمن بنفسه تثبيتاً رسمياً للحدود. ولما رفض الترك قبول رأي المحكمة ألفت لجنة ثلاثية برئاسة (سويدي) وبدا لها أن تداعب فكرة التساوم على خط الزاب الصغير أي التقسيم. لكن مجلس العصابة قرر أخيراً في ١٦ كانون الثاني تثبيت خط بروكسل رسمياً. وشاعت حكاية في ذلك الزمن لأدري كم هو نصيبها من الصحة، ومؤداها أن الفضل الأكبر في هذه النتيجة يعود الى (تيليكي) الذي لا يمكن إتهامه بالعمل ضد القضية التركية،

على انه كان يعارض بشدة اي إقتراح يرمي الى قطع (الطفل) نصفين إرضاء
للأميين^(٩).

ولم يضع وقت في تنفيذ الشروط المعلقة بهذه (الجائزة) فتمت مفاوضات سريعة لعقد
معاهدة جديدة وقعت في ١٣ كانون الأول ١٩٢٦ تضمنت إلغاء المدة الواردة في
البروتوكول الملحق بالمعاهدة الانكلو-عراقية للعام ١٩٢٣. وجعل مدة المعاهدة الجديدة
٢٥ سنة تبتديء بالسادس عشر من كانون الثاني للسنة ١٩٢٥ إلا اذا قبل العراق
عضواً في عصبة الأمم قبل إنتهاء مدة الانتداب^(١٠) وقبلت هذه المعاهدة الجديدة -
بعكس المعاهدة الأولى بأغلبية كبيرة في مجلس النواب العراقي بعد خمسة أيام من
التوقيع عليها ثم قدمت الى مجلس العصبة في آذار واعطيت هناك تأكيدات كافية
بخصوص المناطق الكردية وافقت عليها العصبة.

لم يكن الترك بطبيعة الحال طرفاً في هذه الإجراءات، لكن وبنتيجه لمفاوضات مباشرة
أدارها (السر رونالد ليندسي) السفير البريطاني في تركيا بأعظم ما يمكن من المهارة تم
تثبيت خط بروكسل بتغيير زهيد واحد، وصار حدوداً رسمية بين الدولتين بموجب المادة
الاولى من معاهدة ثلاثية بين المملكة المتحدة وتركيا والعراق وقعت في ٥ حزيران
١٩٢٦. وبهذا انتهت الفرقة غير الطبيعية بين تركيا وبريطانيا بعد أن دامت أحد عشر
عاماً وحل محلها التعاون التقليدي والاحترام المتبادل وهو ما يريده الطرفان معاً.

ان قرار السادس عشر من كانون الاول احدث صدى عميقاً في سائر ارجاء العراق
واثار أعظم المشاعر. فابرق الملك فيصل رسالة شكر رقيقة الى الملك جورج. وحذا حذوه
رئيس الوزراء عبدالمحسن بك السعدون الذي خلف (ياسين الهاشمي) بالابراق الى
(مستر بالدوين). وتقديراً للدفاع الشديد عن مصالح العراق أمام مجلس العصبة طلب
(عبدالعزیز القصاب) متصرف الموصل موافقة حكومته على تسمية حديقة البلدية
الجديدة في الموصل باسم (إيمري پارک: حديقة اللورد إيمري Amery Park) فُلبي طلبه.
اما نحن الذين خضنا المعركة في الخط الامامي. فإن هذا النصر النهائي لم يكن بالنسبة

٩- يشير الى القصة المشهورة التي وردت في التوراة. على سليمان الحكيم عندما ادعت أمان بينوة
طفل.

١٠- قبل العراق في عصبة الأمم عضواً في ٣ تشرين الأول ١٩٣٢. (إدموندز)

لنا قاصراً على ازاحة الكابوس الاسود الذي ظل يحوم فوق رؤوسنا طوال تلك السنين الحافلة بالقلق الممض، وانما جاء ليوثق روح الزمالة ويشد عراها بشكل لم يكن ليحلم به أحد قبل العام ١٩٤٥ لو كان ثم من يسمع اليوم نبوءة (إيرميا) النبي. (جاردين وصبيح)، (عبدالعزیز ولويد وعبدالحميد)، (أحمد عثمان ولاين ولينتلديل)، (مجيد اليعقوبي وميللر ومراد)، (عمر نظمي وكورنر)، (چاپمان وأحمدي توفيق) وكثير غيرهم لم تسنح الفرصة لذكرهم في الكتاب، من قائمقامين ومدراء نواح وضباط شرطة ومواطنين عاديين. وتشيع الحرارة في قلبي عندما يمر بصري بالقائمة متذكراً تلك الصداقات الخالدة التي وثقنا عراها.

كان يوماً كئيباً عندما وقعت مهنة التعليم في العراق بأيدي رجال لا علم لهم بكل هذه الأمور، مهاجرون سوريون وما اليهم يتملكهم تعصب حاقد على الأجانب. وفي خلال هذه الفترة نشأ جيل جديد يجهل تمام الجهل أن الدولة التي لُقِّنوا مبادئه الاخلاص لها مدينة بولادتها وبخلاصها من أكثر من ازمة خطيرة الى تعاون الحكومة البريطانية مع اول رئيس دولة لها ومع آباء بعض ابناء هذا الجيل على الأقل. جيل لقن بأن الإمبرياليين البريطانيين قد حالوا بين بلادهم وبين الوصول الى شيء غامض لا يمكن تحديده سموه بالألماني القومية. وها هم الامبرياليون اولاء يتربصون الفرص بلا انقطاع لهذا الإستقلال بغية تدميره ووقفوا هنا ولم يسألوا سؤالاً واحداً عن كيفية منشأ هذا الإستقلال وتطوره. ولم يمر طويل زمن حتى يعمد خلف (عبدالعزیز القصاب) الى تغيير الحديقة من (إيمري پارك) الى (حديقة الأمير) دون التأمل في عمله هذا، وهو كبير السن يعرف الكثير مما حصل. ويعمله هذا يظاً بقدمه دليلاً على فضل ومنة ذلك الذي قلد العراق شرفاً ومكانة لا يقلان عن الشرف والمكانة التي حازها ذلك السياسي الشهير بعمله. وكان يجب أن تخلد خدماته للبلاد بتذكار. واني لمؤمن ايماناً وطيداً بأنه مازال يوجد في العراق بقية من حسن النية تجاه بريطانيا ستنتقل بصورة ما من الآباء الى الأبناء وستبقى عاملاً مهماً من عوامل الرفاه والسلم في الشرق الاوسط^(١١).

١١- إن الدِّين الذي يشغل العراق للحكومة البريطانية، اوضحه بشكل جميل دقيق الوطني العربي (جورج انطونوس) في كتابه (يقظة العرب The Arab Awakening) لندن ١٩٣٨ الص ٣٦٣-٣٦٧- قال: "ان اسهام البريطانيين في بناء كيان العراق هو من اعظم احداث اعاداة البناء بعد الحرب... ويمكن القول دون مبالغة أن دولة العراق الحديشة تدين بوجودها على الاكثر الى"

وكان الكردي على العموم مرتاحين جداً للقيود التي وضعت على الجائزة. وقد ختمت رسالة (السير هنري دويس) التي بعثتُ بها اليه في ذلك الحين أصفُ له إستعداد السليمانيه الرائع لحوض المعركة وختمت رسالتي بالفقرة التالية: "إنَّ زيارة اللجنة أعطت زخماً شديداً للشعور الوطني الكردي الذي جرف في طريقه عدداً كبيراً من المستائين الذين كان أكثرنا تفاعلاً يتوقع وقوفهم الى جانب تركيا، فاذا بهذا الشعور يدفعهم الى المعسكر المعادي للترك. إنَّ الإستجابات الطويلة كادت كلها وعلى حد سواء تكون ذات إتجاه قومي غلاب لكنها لم تتخذ طابع الإنفصال بصورة عامة. وإنَّ كُرد السليمانيه وجهوا مايمكن وصفه بالضربة القاصمة في المعركة الدائرة للمحافظة على كيان العراق، وانهم لعلى ادراك تام بما فعلوه. أترى ستفتح الحكومة العراقية عينيهما بهذه المناسبة، وتتبنى سياسة كريمة بعيدة النظر إزاء الكُرد؟

ان تقرير لجنة العصبية جاء مؤيداً لأمني الكُرد. وبعد أن انقذوا العراق وفي لحظة من أخطر اللحظات مرت به بإتخاذ قرار تصديق المعاهدة الانگلو-عراقية في تلك الليلة التاريخية ليلة ١٠ حزيران ١٩٢٤، عادوا لينقذوا البلد من تجزئة قتالة بوقفتمهم الخالدة في السليمانيه اليوم. إنَّ قادة الرأي العام الكردي يحق لهم أن يختالوا على الملأ ويدلّوا بأنفسهم على دولة أبوا أن يكونوا لها مواطنين أذلة.

إنها والحق يقال فرصة عظيمة إلاَّ أنَّ محاولتي تعقيب نجاحها هنا مما تضيق له دفتنا هذا الكتاب.

في أثناء وجودي في دهوك تلقيت رسالة من (كورنواليس) يعرض عليّ ملحاً- قبول

=مجهودات الموظفين البريطانيين... لقد هيأت الاقدار للعراق فرصاً قيمة وحظوظاً سعيدة بموظفين بريطانيين ذوي كفاءات عالية وضمائر حية... ويتعاطم خطورة ما انجز في العراق عندما يعلم القاريء أن هذا البلد يسكانه القبليين الكثيرين، وطوائفه الدينية المتعددة وقلة خطوط مواصلاته نسبة الى مساحته مما يصعب جداً إدارته على خطوط الروتين البيروقراطي المركزي. وكان من حظ العراق ايضاً ان تتفق مصالح بريطانيا الخاصة مع مصالحه وتتماشياً جنباً الى جنب في أكثر الاحيان... فرغبة البريطانيين في وضع اليد على منابع النفط في ولاية الموصل نجم عنها ضم الولاية برمتها الى الدولة العربية الجديدة وصيرورتها اقليماً من اقليمها والفضل في هذا يرجع الى الدبلوماسية البريطانية. هذا فضلاً من كونه ادى الى تعاون فعال وثيق انگلو-عراقي بخصوص التصدي للمشكلة الكردية. (إدموندز)

منصب معاون مستشار وزارة الداخلية الذي كان قد شغل بوفاة (بوللي) وتراءى لي لأول وهلة أن اجيب بالرفض. فأنا ما اخفيت قط ما اشعر به من نفرة وضيق صدر بالإدارة المركزية ببغداد واربابها السادة فرسان الطاولة المستديرة كما يحلو لي تسميتهم وها إنني أدعى لأكون واحداً منهم. لقد صعب عليّ أن أرى نفسي أو اتمثل كيف يراني غيبري. مستقراً في جو من الأزيز المتواصل للروتين الكتابي خلف جبال من الاضابير تلعو كل مكتب من مكاتب الوزارات وقعت عليه عيني. كنت في اقصى درجات السعادة بالمسؤوليات الإدارية والمهديات الدبلوماسية وفرص الحل الترحال والتنقيبات الاثرية أو حتى استكشاف أي نوع من مظاهر الطبيعة بين ظهرائي شعب كريم بسيط. لقد نما في قلبي حب شديد لكل عصا وصخرة فيه. وحفظت وداً خالصاً لكل رجل وإمرأة وطفل من اللواتين. إلا الذين نزعت نفوسهم الى سفك الدماء. فمن النادر أن غفلت نفوسهم عن مزية جذابة وسجية حميدة تكفر اعمال العنف التي يمكن أن يعزى سببها الى المحيط المتخلف والحياة البدائية أكثر مما تعزى الى طبيعة شر متأصل حتى لدى أولئك الذين خلقوا اعظم المشاكل، وذلك بعد اخضاعهم.

بعد كثير من التفكير وتقليب وجوه الرأي وجدت اني سأكون احق إن ضربت صفحاً عن مستقبل في ميدان اختصاصي الاصيلي، فانبذ فرصة الترقية في دائرة اضيق ولكنها تنسجم وذوقي. وهكذا منيت النفس بأني سأكون مشرفاً على إدارة أربعة عشر لواءً بدلاً من اثنين وقررت قبول المنصب فكان هذا مبدأ عشر سنين طوال. لم ألقَ فيها غير العطف والسماحة من زمالة كورنواليس السعيدة مشوية بتحملة الكثير منى حتى خَلَفْتُهُ في ١٩٣٥ ولم يتطلب مني تسليم مهام منصبتي وقتاً فعهدت به الى (ميللر) الذي طالما ناب عني. ولما كان سفري قد وافق صيام رمضان فقد اختصرت مراسيم التوديع الى أدنى حد. وفي صباح ٢٧ آذار حشر (حمه علي) نفسه بين شدتين من حقائب السفر والأفرشة في المقعد الخلفي. وجلست انا في المقعد الامامي من سيارتي المهشمة واصدرت الامر الى خليل بقلب مشغلهماً أن يقتبل طريق الجنوب عبر جبل حميرين، نحو بغداد.



من اليسار: مصطفى باشا - شيخ قادر - إدموندز - صبيح نشأت



وجهاء كركوك (من اليمين): مجيد بگ، عزت باشا، فتاح باشا



عبدالعزیز القصاب
متصرف (محافظ) لواء الموصل

منتزعٌ من الكتاب الموسوم "من ذكرياتي" بقلمه وهي الصفائف ٢٤١،
٢٤٨-٢٤٩، و٢٥١-٢٧٠. طبع بيروت. ومن منشورات عويدات.

[لم نحاول إصلاحاً لغوياً فيه وأثبتناه كما جاء في الأصل]

صدرت الإرادة الملكية رقم (٥٣٤) وتاريخ ٣ كانون الأول سنة ١٩٢٣... بتعييني متصرفاً للواء الموصل. وينفس اليوم طلب إليّ الوزير تأجيل سفري إليها لحسم قضايا الخلاف الناشب بين عشيرتي العبيد والصايح. فأنهيت ذلك خلال أسبوعين وأصلحت بين العشيرتين... توجهت الى الموصل بقطار المساء بتاريخ ٢٢ كانون الثاني ١٩٢٤ وبرفقتي ولدي عبدالمجيد والطباخ مبروك وعندما وصلت الصيرمون شاهدت كثيراً من موظفي الموصل ومدراء الدوائر وبعض وجوه البلدة بانتظاري هناك مرحبين. فصافحتهم واحداً واحداً وشكرتهم على ذلك وتوجهت الى دار الحكومة وبقيت فيها مدة قصيرة. ثم ذهبت الى الدار المخصصة لسكنائي وهي دار الشريتي التي كان يسكنها سلفي جعفر باشا العسكري فوجدت فيها غرفة كبيرة واحدة صالحة. أما باقي الغرف الكثيرة فلا تصلح للسكنى، فقد كان زجاج أبوابها ونوافذها مهشماً والفصل فصل شتاء وكان شتاءً بارداً جداً حتى إنني لم أتمكن من البقاء في الدار الى الصباح. ومن جراء ذلك اصابتني نزلة صدرية شديدة اضطرتني في الصباح التالي ان اطلب من رئيس البلدية ان يفتش لي عن دار غيرها لسكنائي. فوجد لي داراً صغيرة مناسبة استحسنتها عبدالمجيد، فإنتقلنا اليها وبدأت أعمالي الرسمية.

وكان لواء الموصل يشتمل على عشر نواح ملحقمة بالمتصرفية رأساً وهي: الموصل وحمام العليل والشورة والشرقاط وتلكيف وألقوش وبرطلة وبعشيقية وقره قوش والحميدات. وتسعة أفضية وهي مركز اللواء وزاخو ودهوك والعمادية وعقرة والزيبار وتل عفر وسنجار والشيخان... لقد بدأت بأشغال الدائرة متوكلاً على الله تعالى في يوم ٢٣ كانون الثاني ١٩٢٤. وعلى هذا فإن خدمتي في هذا اللواء الكبير قد استغرقت تقريباً سنتين ونصف السنة. ان المدة التي قضيتها متصرفاً في لواء الموصل كانت متعبة جداً. وكنت اشتغل يومياً من الصباح الى الساعة الثانية بعد الظهر، فأستريح قليلاً ثم اعود الى العمل واستمر فيه احياناً الى ما بعد نصف الليل، واكثر اشغالي كانت منحصرة في قضية الموصل وامور لجنة عصبة الأمم. حيث بعد سفر هذه اللجنة جاءت الى الموصل لجنة أخرى أيضاً من قبل عصبة الأمم تحت رئاسة الكولونيل

(لايدنور) وعضوية شخصين آخرين وإشتغلنا معاً مدة شهر تقريباً...

... كان لزيارة الملك فيصل الأول للواء الموصل بتاريخ ١٣ كانون الأول ١٩٢٤ تأثير حسن جداً في نفوس أهالي اللواء ووجوه البلد ورجالاتها في تشجيع المترددين والخائفين. فوعده الكثيرون بانهم سيجاهدون في سبيل عروية الموصل. وانهم سينظمون مضابط ومذكرات يقدمونها الى اللجنة (لجنة العصابة) تتضمن شجبهم لمطالب الأتراك في تترك اللواء، وتنادي بإبقائه ضمن الوحدة العراقية وكان بين هؤلاء وفي مقدمتهم السادة مصطفى الصابونجي، وحبیب افندي العبيدي، وعبدالغني افندي النقيب وامين بك الجليلي. على ان جذوة الحماسة التي كانت تتوقد في نفوس بعضهم عند اجتماعهم بجلالة الملك بدأت تخدم قليلاً بعد مغادرة جلالته وكلما اقترب موعد وصول اللجنة. الأمر الذي اضطرني الى ان أذكّرهم بوعدهم كل يوم والى ان استدعي غيرهم من وجوه البلد ورؤساء الكتل فيها وتجارها ورجال الدين فيها واطلب اليهم ان يتشجعوا في ابداء رأيهم والجهر به. وكان من بين الذين استدعيتهم السادة أمين افندي المفتي ومحمد علي فاضل افندي. وضياء آل شريف بك وسعدالله توحلة. وكنت المس ان التردد في المجاهرة كان بادياً على البعض منهم إما لعدم اطمئنانهم الى النتيجة او لخوفهم من العناصر التركية الموجودة في الموصل أو لغير ذلك من الأسباب. وكل واحد منهم يرغب أن يتقدم غيره في العمل. ومما يجدر ذكره في هذا الباب. ما صرح لي به احدهم من انه وكثيرون غيره لا يرغبون في حل قضية الموصل حلاً جذرياً، لأن ذلك سيؤدي الى الاستقرار والإستقرار مضرّ في مصالحهم. هذا الشخص الذي صرح لي بهذا الكلام هو نفسه الذي هرب من بغداد يوم كان عضواً في مجلس الأعيان عندما عرضت المعاهدة العراقية البريطانية على المجلس ولم يشأ أن يصوت بالرفض ولا بالموافقة.

اننا عانينا من تردد الوجوه والرؤساء ماحدانا الى ان نتوجه الى افراد الشعب والمهنيين لتشجيعهم على المجاهرة بمبدأتهم والاعتزاز بأرائهم والجهر بها بحرية امام لجنة الاستفتاء. وقد أصبنا الهدف معهم اكثر مما اصبناه في مساعينا مع السادة السابقين. ان المذكرات التي نظمها السادة الوجوه والتجار والعلماء كان اغلبها قد اهمل نصاً مهماً منها وهو شجب حقوق القومية التركية في لواء الموصل والاقتصار على عروية اللواء ضمن الوحدة العراقية فقط. عدا مذكرة حزب الاستقلال، فإنها تضمنت النصين

معاً: شجب مزاعم الاتراك والتمسك بالوحدة العراقية.

ومما تجب الإشارة اليه ان امين بك الجليلي واحمد الفخري وناظم العمري وارشد العمري وعبدالله رفعت العمري وعلي الإمام وهبة الله المفتي. والبطريق يوسف غنيمه (يقصد المطران) والمطران (القس) كريكور (رئيس الطائفة الأرمنية) وضياء آل شريف بك من المستقلين. والسادة آصف قاسم آغا وسعيد ثابت وابراهيم عطار باشي ومحمد صدقي المحامي وشريف الصابونجي من حزب الإستقلال. ويونان فرنكول والدكتور جميل دلالي وفتح الله سرسم ورؤوف اللوس والدكتور عبدالاحد عبدالنور كانوا من المتحمسين الذين يجب ان يسجل لهم تاريخ العراق الحديث صفحة ناصعة البياض^(١).

١- سليمان فيضي: "مذكرات سليمان فيضي، دار الساقى، الطبعة الثالثة، لندن ١٩٩٨. باعتبارنا نجدت فتحي صفوت. الص ٣٦٦-٣٦٨. "برزت في تلك الآونة مشكلة خطيرة أقلت بال العراقيين تلك هي مطالبية الأتراك بالموصل... إلترزم أهل الموصل السكوت في هذا الخلاف فلم يرتفع صوت واحد للتعبير عن أمانيتهم ورغباتهم كأن الأمر لايعنيهم وكان بلادهم سلعة تُباع وتشترى. عز على بعض أبناء الموصل المقيمين في بغداد هذا السكوت فصموا على العمل وكنت قد جئت الى بغداد (من البصرة) للمرافعة أمام محكمة الإستئناف. فدعاني ثابت عبدالنور الى إجتماع يُعقد في داره. ذهبت فوجدت هناك أكثر الموصليين البارزين في بغداد، وألقي موضوع الموصل على بساط البحث. فقرر الحاضرون تحرير التعهد التالي:

« لقد إتفقت آرائنا (آراؤنا) نحن أصحاب التواقيع بالنظر الى وضعية الموصل الحاضرة الداخلية والخارجية على أن يحرر كل منّا الى أصدقائه وأقربائه منفرداً. وأن يكتب حضرة الأستاذ الفاضل الحاج سليمان فيضي أفندي بإسم جميع الموصليين القاطنين بغداد والى بعض الذوات في الموصل تتضمن تلك الكتاب التشويق لإنتخاب مندوبين بمضابط حاوية عن الموصل ليدافعوا عن قضيتها في الداخل والخارج دفاعاً قانونياً بالطرق المشروعة لدى الحكومة الحاضرة والدول والمؤتمرات التي يجب مراجعتها. »

١٥ كانون الثاني ١٩٢٣

وحملت صورة الإتفاق التي أثبتت في الكتاب إثني عشر توقيعاً عرفت بينهم أسماء: مولود مخلص وثابت عبدالنور وعبدالإله حافظ وشاكر سليم وتوفيق النائب ومحمد سليم الجراح ومحمد علي مصطفى ومحي الدين أبو الخطاب. (ويستطرد صاحب المذكرات قوله): "ثم وافقت على صورة الكتاب الذي كلفت بتوجيهه الى أهل الموصل نيابة عن المجتمعين.

« سيدي: بعد التحية والتبجيل. نظراً الى حرجة موقف الموصل في هذه الآونة كلفني فريق من الموصليين المقيمين في بغداد بأن أوجه اليكم هذا النداء لتذكيركم بواجبكم تجاه مدينتكم والدفاع عن مصالح أبنائها والمحافظة على حقوق أهلها. لذا فإني أقترح عليكم أن تسارعوا الى إنتخاب وفد يتراوح بين الثلاثة والخمسة ممن تشقون بقدرتهم ونواياهم وذلك ليكونوا في العاصمة على إتصال دائم بالحكومة الوطنية وليعبروا =

إستحضار المعلومات المطلوبة الى بعثة عصابة الأمم

- لقد استحضرتُ جداول مختلفة لتقديمها الى لجنة عصابة الأمم التي قَرُبَ مجيئها للموصل عند طلبهم لها وهي:
- ١- مقادير المعابد والمسقفات وارباب الحرف والصنائع الموجودة في الموصل على إنفراد والأقضية والنواحي.
 - ٢- جدول بأسماء القرى التابعة لناحية الموصل فقط.
 - ٣- أسماء العشائر الكُردية القاطنة على حدود الموصل.
 - ٤- المستشفيات والمستوصفات الموجودة في الموصل.
 - ٥- عدد النفوس للواء الموصل على إختلاف العناصر والأديان بصورة تفصيلية.
 - ٦- أسماء عدد اللاجئين الى العراق مع بيان جنسياتهم ومراكزهم.
 - ٧- أسماء أشرف وأعيان الموصل والأشخاص المعروفين والمشهورين في الاقضية من مسلمين وغير مسلمين.
 - ٨- أسماء الموظفين المدنيين في لواء الموصل مع بيان جنسياتهم وديانتهم.
 - ٩- قوائم احصاء النفوس لسنة ١٩٢٤ لجميع لواء الموصل والموصل نفسها مع بيان جنسياتهم

= عن أمانكم ورجباتكم وليقوموا بتمثيلكم في المؤتمرات الدولية اذا إقتضى الأمر وتفضلوا بقبول مزيد الإحترام»

أخذ ثابت عبدالنور النداء، فطبع منه مئات النسخ، بينما إشتغل أبو الخطاب في إعداد الغلافات وكتابة العناوين عليها. فلماً وقّعها ختمها وأخذها بنفسه الى الموصل حيث وزّعها على أصحابها.

أثارت هذه الرسائل إهتمام الموصليين فعدوا إجتماعات عديدة لإنتخاب ممثلهم ولست أدري لماذا أحاطوا إجتماعاتهم بالتكتم مما أثار شكوك الحكومة حولها فأصدرت أمراً بمنعها. وحاول المتصرف (المحافظ) رشيد الحوجه الحصول على نسخة واحدة من النداء فلم يفلح. فذهبت الظنون بالمسؤولين مذهباً بعيداً عن الواقع وإعتقدوا أن في الأمر سرّاً ولعب الحظ (السيء طبعاً!) دوره في المسألة فإكتشفت الحكومة في تلك الآونة أمر البرقية التي أرسلها فريق من الموصليين المتألمين من الإنكليز الى مؤتمر لوزان يطلبون فيها إنضمام الموصل الى تركيا فتولّد لدى الحكومة إعتقاد راسخ بأنّي المحرض على إرسالها... فدعاني عبدالمحسن السعدون (رئيس الوزراء) وبدأ يعاتبني...»

وطوائفهم من يزيديّة ويهود ومسيحيين ونساطرة وكوچر وتركمان واكراد وعرب.

١٠- مقدار الحاصلات التي نقلت من الموصل الى بغداد بخلال سنتي ١٩٢٣ و ١٩٢٤.

١١- اسماء التجار الموجودين في الموصل مع نوع تجارتهم ومقدار ثروتهم تقريباً.

في تاريخ ٢٥ كانون الثاني ١٩٢٥ اجتمع الرؤساء والوجوه في الموصل وقرروا تشكيل جمعية للدفاع عن الموصل وانتخبوا من بينهم اربعين شخصاً ك لجنة إدارية وهذه اللجنة انتخبت من بينها خمسة عشر شخصاً باسم هيئة تنفيذية. فهؤلاء هم السادة: احمد الفخري وحبیب العبيدي ومصطفى الصابونجي وأمين الجليلي وفتح الله سرسم وآصف قاسم آغا وعبدالغني النقيب وناظم العمري وأرشد العمري ورشيد العمري والدكتور عبدالأحد (عبدالنور) و ابراهيم كمال والمحامي محمد صدقي وعلي الإمام وضياء شريف. ثم شكلت الجمعية فروعاً لها في الملحقيات والأقضية وبعض القرى المهمة وقد استفدنا كثيراً من جهودهم. وعند مباشرة لجنة عصابة الأمم في عملها طلبت منّا استماع افادات الوجوه والعلماء فقد نظمنا منهاجاً خاصاً للذوات المطلوبين وجعلناهم ستة أقسام:

١- أعضاء المجلس الاداري والبلدي.

٢- أعضاء جمعية الدفاع.

٣- الحزبان الوطني والإستقلال.

٤- العلماء والرؤساء الروحانيون.

٥- الأشراف والتجار.

٦- الأطباء والمحامون.

واخذت هذه الوفود تزور البعثة، الواحدة تلو الأخرى في الاوقات المعينة لها. وقد خطب رئيس اللجنة أمام الهيئات وطلب عدم اجراء المظاهرات في البلد وعرقلة سير التحقيق. والقى ايضاً المونسنيور يوسف غنيمّة الذي كان مع الرؤساء الروحانيين خطبة بليغة باللغة الفرنسية أجاد فيها عن القضية العربية وقضية الموصل بحدودها الشمالية.

عثورنا على مكاتيب سرية تركية من جهة الجزيرة

لقد توفقتنا الى مسك مكاتيب تركية بدفعات مختلفة بتاريخ كانون الثاني ١٩٢٤ قبل وصول بعثة عصبة الأمم وبعد وصولها. وهذه المجموعات معنونة للحزب التركي في الموصل، ومعها كتب رمزية ايضاً فيها بعض التعليمات الى الاحزاب الاخرى الموجودة في أربيل وكركوك والسليمانية. وان اطلعنا على هذه الرسائل قبل وصولها لاصحابها كان خدمة عظيمة للعراق؛ وقد توفقتنا الى الاطلاع على التعليمات الواردة في هذه المكاتيب ومن جملتها ماورد في البريد الاول وهو ما يأتي:

- * إخبار الاحزاب بقدوم الترك الى الموصل.
- * ايفاد ناظم بك نائب كركوك وفتاح بك نائب السليمانية وبعض الموظفين من دائرة الخارجية برفقة وفد عصبة الأمم.
- * وجوب اتخاذ الوسائط اللازمة لتفهم اللجنة رغبتكم بالاتحاد مع الوطن (التركي).
- * يجب ان تكون جمعيتكم ناجحة بإخبار اللجنة بما تطلبون.
- * على الجمعية ان تنشر نفوذها في البلد وجميع النواحي والقرى.
- * يجب اخبار المركز بالاشخاص والهيئات والشيوخ الذين يميلون الينا لاعطائهم المكافآت اللازمة.
- * لزوم رفع أعلام كبيرة وصغيرة لتفهم لجنة عصبة الأمم رغباتكم بلزوم اجراء المظاهرات ضد العراق والانكليز.
- * لزوم تنظيم مضابط عديدة تطلبون فيها التحاقكم مع تركيا.
- * بما ان الانكليز تعهدوا بتأمين حرية السكان فلاتخافوا من السلطة ابداً.
- * سنرسل لكم نشرات باللغة التركية والكردية لتوزعوها على اهل الموصل وكركوك واربييل والسليمانية وكذلك نسخة من المذكرات التي قدمتها الحكومة الى عصبة الأمم لتطلعوا عليها.
- * بما ان الانكليز يعلمون ان عصبة الأمم ستوافق على مصالحها فيجب ان تجاهاوا

بطلب ذلك.

- * ان الشجاعة التي ستبدونها ستكون المفتاح الى النصر.
- * لقد اماناً تبليغ هذه المواد الى سعادة الشيخ محمود (الحفيد) ويجب عليكم إعلام كركوك واربييل بها وتوزيع المواد على الاقضية والنواحي.
- * اعلنوا بأننا سنعفي (سنعفو) عن جميع من خدموا الانكليز بهذه المدة للحصول على معيشتهم.
- * يلزم من ان تحذروا ان يقع الكتاب المربوط المعنون الى احسان افندي بيد دائرة الاستخبارات الانكليزية.
- * يرجى ارسال جوابكم بسرعة وتعلمونا بما يقتضي لكم بواسطة احد الجواسيس المعتمد عليهم.

التوقيع د ٩٢ تاريخ ١٩٢٥/١/٢

وفي البريد الثاني يقول:

- * ارسلنا اربعمائة واربعين نسخة من النشرة. يجب توزيع قسم منها على جميع من في طرفكم والقسم الثاني يرسل الى كركوك واربييل بواسطة مضمونة.
- * سوف تصل الموصل قريباً لجنة عصبة الأمم فأنصحكم ان تحثوا الاهالي على اجراء المظاهرات لجانب الاتراك واذا اجرىتم ذلك اني امين بان الله سوف يعاونكم.
- * قد حررنا لكم قبله بهذا الخصوص فلاتخافوا. يلزم علينا ان نسعى بكل عزم لتحرير الموصل. فالعلاقات الحاضرة بين حكومة روسيا وحكومتنا هي صميمية وستأخذ بمساعدتنا.

* اني منتظر الاخبار بسرعة.

* ان جواد باشا هو واحد منا وقد إلتحق باللجنة.

التاريخ ٢ كانون الثاني ١٣٤١ د ٩٢

وفي البريد الثالث يقول:

الى ق ٤٠

- * لقد تعينت مستشاراً للجنة وسوف ألتحق بها قريباً فان مهمتي خطيرة جداً وسوف تأتي بنتائج عظيمة وان الموصل هي مطمح انظاري وانا ذاهب اليها اذ اني اتشوق

لخدمة اخواني الطيبين المساكين.

* اننا اخذنا على عاتقنا الجهاد امام العالم.

* ان شاكر ومجيد افندي هما من رفقاتنا وهما الآن معنا فارجو ان ترسلو الجاسوس الذي تعتمدون عليه حالياً وعليكم ان تستلموا ما يسلمكم فالمرجو ان لاتقطعوا المخابرة واني اريد نجاحكم يارفاقي.

٣ كانون الثاني ١٣٤١. الامضاء د ٩٢

وفي البريد الرابع يقول:

من ق ٢٢١ الى صديقنا جاسم آغا

* وصلني تقريركم المؤرخ ١٩٢٤/١٢/٢٣ وقد تبلغ فحواه الى الدوائر المختصة.

* يجب ان يقوم جميع أهالي الموصل بالمظاهرات امام اللجنة لتخليص موصلنا.

* يجب رفع اعلام تركية كثيرة.

* تشكل الوفد من جواد باشا قائد حدود الجزيرة وناظم وفتاح.

* لقد أرسلنا هذه المرة دراهم كافية الى ابراهيم ورفيقه ولكن ليس لدينا سلاح لاعطائهم بهذه الدفعة وفي الآتي سنعطيهم. سلامنا الى الأصدقاء.

تاريخ ١٧ كانون الثاني ١٣٤١ الإمضاء

وفي البريد الخامس يقول:

من ق ٢٢١ الى م ١١١

* وصلتني تقاريركم المؤرخة ٢٣ و ٣٠ كانون الاول وبلغت محتوياتها الى الدوائر العائدة.

* سؤالكم عما يجب ان يفعله الاهالي قبل وصول لجنة العصابة. لقد أرسلنا لكم تعليمات ونشرات بهذا الخصوص وغيرها. اعملوا بموجبها.

* بعون الله سننجح. بارحت اللجنة دمشق في ١٠ كانون الثاني متوجهة الى بغداد. وهذه اللجنة ستحافظ على حقوقنا تجاه بريطانيا والعراق. فعليكم ان تفهموا الاهالي.

* ستبذل الحكومة الروسية المساعدة المعنوية لتأمين تحويل ارتباط الموصل.

* اخبارنا بان تعليماتنا نشرت في جميع الأهالي.

* اهتموا في المظاهرات بصورة شديدة.

* ستصلكم الهدايا الى الافراد والشيوخ.
* ستمنح الاكراميات لكل من يخدم قضيتنا.
* يجب ان تؤمنوا ارسال ساع الى الجزيرة كل عشرة ايام على الاقل اثناء اشتغال اللجنة في الموصل.

التاريخ ١٧ كانون الثاني ١٣٤١ ق ٢٢١

وفي احد المكاتيب السرية وجدنا فقرة تتضمن تكليف احزابهم باغتتيال رؤساء الدوائر الادارية والموظفين الإنكليز ليبرهنوا بذلك على عدم رضاهم بالحكم العراقي الإنكليزي، وغير ذلك من التعليمات والتوجيهات المخالفة لأصول الاستفتاء الحر النزيه.

حزب الاستقلال في الموصل

الرئيس (هو) آصف قاسم آغا. اما الاعضاء فهم الدكتور جميل دلالي والمحامي محمد صدقي وصلاح الدين الخطيب وابراهيم عطارباشي وعبدالله رفعت العمري وشريف قاسم الصابونجي وسعيد الحاج ثابت.

-٤-

مجلس عصابة الأمم وقضية الموصل

بناء على حصول الخلاف مع الحكومة التركية على الحدود العراقية التركية وتبعية ولاية الموصل، وبما ان الحكومتين لم يتوفقا الى ايجاد الحل المطلوب قررت عصابة الأمم بتاريخ ٣٠ أيلول ١٩٢٤ تعيين لجنة أممية من (الرئيس اف فرسين) سفير اسوج في بكرش وعضوية الكونت (تلكي -الثلعب-) الهنغاري رئيس وزارة مجارستان سابقاً، والكولونيل (باولس البلجيسيكي) وأربعة سكرتارين وهم الاول كونت (بورتاليس السويسري) والثاني السنيور (برودولو الايطالي) والثالث (المسيو كادير الافرنسي) والرابع المسيو (ديد السويسري). وقد وصلت هذه اللجنة الأممية الى بغداد في ١٦ كانون الثاني سنة ١٩٢٥ الموافق ٢٠ جمادى الثاني سنة ١٣٤٣ فكانت موضع رعاية العراقيين حكومة وشعباً وإلتحق اخيراً بهذه اللجنة (كرامرز) وهو مستشرق هولندي كمترجم. وكان مع هذه اللجنة الخبير التركي (جواد باشا) المفتش العام للجيش التركي

في جهة الجزيرة ومعه ناظم النفطجي الكركوكلي وفتاح بگ من اهالي السليمانية اقارب الشيخ محمود المشهور والرئيس الاول كامل بگ عن الموصل ومرافق باشا بدري بگ.

وقد عين لمنصب الخبير البريطاني المستر جاردين لكونه مطلعاً على المذاكرات السابقة التي جرت في الاستانة مع السير بيرسي كوكس. وعين السيد صبيح نشأت خبيراً ممثلاً عن الحكومة العراقية، حيث انه يعرف اللغة الافرنسية جيداً. وقد التحق بهذه البعثة كضابط ارتباط الميجر ادموندس معاون مستشار الداخلية ايضاً. وبعد استراحة البعثة قليلاً في بغداد تحركت الى الموصل بتاريخ ٢٧ كانون الثاني سنة ١٩٢٥.

عندما علمنا بحركة بعثة عصبة الأمم من بغداد، سافرتُ الى محطة الشرفاء ومعني المفتش الاداري المستر لويد وآصف قاسم آغا نيابة عن حزب الاستقلال في الموصل وعضو البلدية جميل الفخري نيابة عن البلدية وقاسم الصابونجي من الاشراف والتجار. وفي الوقت المعين وصل القطار الى المحطة وخرجت البعثة منه فاستقبلناها كما ينبغي وعندما سلمت خاصة على الخبير التركي جواد باشا سألني قائلاً: (انت فلان) قلت له نعم. وشعرت من سؤاله هذا انه قد استفسر عني قبلاً. فركب الوافدون والمستقبلون سياراتهم وكانت سيارتنا مع المفتش الإداري امام القافلة في الطريق المعين لسيير اللجنة. فوصلنا الى الموصل بتاريخ ٢٧ كانون الثاني سنة ١٩٢٥ يوم الثلاثاء بعد الظهر. دخل الضيوف دار الضيافة التي خصصت لهم قبلاً وهي الدار التي كانت مخصصة للملك. فأخذ كل منهم يرتب حوائجه. ثم ذهبت الى الدائرة لرؤية الاشغال الرسمية لذلك اليوم ولما اتممتها غادرت الدائرة الى دار الضيافة ماشياً وبرفقتي صدفة محرر جريدة الموصل يونان افندي (عبو اليونان) فقط^(٢). فعند وصولي الى ركن الثكنة العسكرية شاهدت عن كثب جماعة من الأهلين يربو عددهم على الخمسين وبينهم جواد باشا في بزته الرسمية ومعه عضو اللجنة الكونت (تيليكوي) وهم ينادون بالتركية (تحيا تركيا يحيا قائدنا الكبير) فاستغربت الوضع واخذت اسرع في المشي حتى وصلت الى القصر وشاهدت في البهو مدير الشرطة تحسين علي والخبير العراقي

٢- من أنسياننا. في ١٩٣٩ عين مدرساً للغة الفرنسية في كلية الحقوق العراقية وهي السنة الأولى لي في ذلك المعهد.

ادموندس وصبيح نشأت وأخبرتهم بما حصل من الخبير التركي والعضو (تيليكي) من الحركة الفجائية. فتعجبوا من ذلك حيث انهم لم يخرجوا من باب القصر على علمهم. فأخذ مدير الشرطة وأحد الخبراء يعقبون الحركة مع أفراد الشرطة لكل لا يحصل شيء يخلّ في الأمن لو يحدث تجاسر او اعتداء على اعضاء اللجنة الذين خرجوا بدون علم قوة الأمن^(٣).

فأخذ الباشا ورفيقه يتجولان في شارع السراي وباب الطوب والسوق^(٤) حتى وصلا الى رأس الجسر الجديد ثم رجعا من طريق نينوى فدائرة الشرطة ودائرة المعارف والسراي الى القصر الذي خرجا منه عند مغيب الشمس.

وفي يوم ٢٨ كانون الثاني تجمهر امام القصر اناس كثيرون وبعض طلاب المدارس وكانوا يصرخون بأعلى أصواتهم بحياة العراق وعروبة الموصل. وخرجت اللجنة من القصر واعقبهم المتظاهرون وهم يهتفون بالعراق، فلم تتمكن اللجنة من السير من شدة الازدحام فرجعت الى القصر.

بعد عودة الكونت (تيليكي) الى القصر شاهده يتكلم مع السيد صبيح نشأت ويحتج على مضايقة الناس من قبل الشرطة. فقلت له ان الشرطة تخاف من وقوع حوادث لا تحمد عقباها. حيث ان خروجكم من القصر بدون علم الشرطة ربما يحدث ما لا يُحمد. وبعد ذلك راجع الخبير البريطاني المستر جاردين اللجنة وأخبرهم عما دار بيننا وبين العضو الكونت (تيليكي).

وفي يوم ١٩٢٥/١/٢٩ تجمهر في اطراف القصر كثير من الطلبة والاهلين ايضاً واخذوا يهتفون باسم العراق والعرب. وفي هذه الاثناء خرج بعض اعضاء اللجنة

٣- لقد ذكر المستر ادموندس في كتابه (الكرد والترك والعرب) المطبوع في لندن تاريخ ١٩٥٠ انتقاداً عن مظاهرات المنتسبين للحزب الوطني والاستقلال وطلاب المدارس كانت خطأ، والحال ان البادي في المظاهرات في الموصل هو الممثل التركي جواد باشا وعضو البعثة الكونت تلكي في اليوم والساعة التي وصلوا فيها للموصل وفي الاخير الاجتماعات والمظاهرات التي اجروها في محلة باب البيض في بيوت الاغوات فكيف يجوز لي منع المنتسبين للاحزاب الوطنية وطلاب المدارس من اظهار شعورهم في قضية الموصل العربية، مع هذا كنت اشدد دائماً على الشرطة بعدم اعطاء المجال للتجمعات والمظاهرات التي تعرقل مهمة لجنة عصابة الأمم أو تؤخر سيرهم في المدينة او في الملحقات. (ملاحظة صاحب المذكرات).

٤- أسماء أحياء مشهورة في مدينة الموصل.

ليستجولوا في البلد فلم يتمكنوا من ازدحام المتظاهرين. وبعد الظهر من ذلك اليوم قابلت اللجنة مع المفتش الاداري وتكلمنا معهم عن خروج اعضاء اللجنة بدون علمنا وعلم الشرطة وما يتولد عن ذلك من محاذير وبالمخاطبة خروج الخبير التركي بلباسه الرسمي ورفاقه الخبراء بصورة سرية لايمنكنا ضبط الأمن والسكون الا اذا خرجوا مع الحرس لان المدينة هائجة والحماسة الوطنية شديدة. بعد المداولة الطويلة والاخذ والرد مع اللجنة المحترمة لم تقبل منا ذلك، بل ارسل لنا رئيسها كتاباً شديد اللهجة يتضمن:

١- ان يكون للخبير التركي ورفقائه الحرية التامة للتجوال في اي وقت شاءوا والى اي محل ارادوا.

٢- وان يكون ذلك بلا حرس ظاهري وعلى الحكومة ان تقوم بالمحافظة بدون ان يشعر الاهلون بذلك.

٣- وان تمنع الاجتماعات والدعايات وبالمخاطبة تجاه الخبراء الاتراك.

٤- وطلبوا من جواد باشا ايضاً عدم التجول باللبسة الرسمية إلا في الحفلات الرسمية. وختم كتابه بأن اللجنة لايمكنها ان تستمر بالاستفتاء إلا بعد ان تنفذ الادارة المحلية هذه الشروط. فتجاه هذا الطلب اخبرت الوزارة وطلبت الجواب منها بسرعة.

اما في يوم ١٩٢٥/١/٣٠ اراد بعض الاعضاء والخبير التركي وناظم النفطجي ان يتجولوا في المدينة فلم يتمكنوا لشدة الازدحام وهياج الشعب اكثر من اليوم السابق فرجعوا الى القصر. وقد طلبنا من اللجنة قبول زيارة بعض الهيئات المدنية والاشراف. فعينت لهم يوم ١٩٢٥/١/٣١. ورتبنا لكل هيئة شكلاً خاصاً ومعها ترجمان خاص وجعلناهم ستة أقسام: العلماء والرؤساء الروحانيون وموظفو البلدية والإدارة ورجال حزبي الاستقلال والوطني والاشراف والتجار والمحامون والاطباء.

-٥-

قسم من أعمال عصابة الأمم

في اليوم الأول من شهر شباط خرج من القصر جميع أعضاء اللجنة والسكرتارية عدا الخبير التركي وزملائه وطافوا في البلدة طول النهار بكل سكون، ولم يزعجهم أحد إلا أن المظاهرات الوطنية جرت بعد ظهر ذلك النهار بكل حماسة ترفرف عليها الاعلام

العربية يحملها المتظاهرون بأيديهم وعلى صدورهم. وزارت اللجنة في ذلك اليوم بطريك الكلدان والقاصد الرسولي والآباء الدومنيكان وبعض المحامين والأطباء واستمر الاتصال معهم ثلاث ساعات. وكانت نتيجة المباحثات جيدة جداً. وفي اليوم الثاني من شباط طلبت اللجنة مقابلة عشرين شخصاً من بينهم اولاد فيضي النقيب الاربع ورضا افندي المتقاعد وسألوهم عن الحالة والتجارة وغير ذلك. وفي اليوم الثالث زارت اللجنة دائرة المتصرفية وسألونا عن طريقة ادارة الملح وعن تجارة البلاد وسير الكلاك في نهر دجلة وعن احوال عشائر شمر وتحويلهم في اللواء والعراق. واعطيناهم الاجوبة اللازمة الحقيقية عن كل ذلك. وقلت لهم اننا سمعنا من الذوات الذين قابلتموهم بانكم سألتموهم عما اذا كانوا يطلبون الترك او الانكليز؟ والحال ان الموضوع لم يكن هذا، بل يجب ان يكون الاستيضاح عن الحكومة العراقية لا الحكومة الانكليزية، حيث ان البريطانيين هم حلفاء لنا لا غير. فأجابوني انه لم يصدر منه هكذا اسئلة فلربما حصل ذلك من المترجم. فطلبت منهم أن لا تتكرر مثل هذه الأسئلة ويحفظوا حقوق العرب في البلاد. ثم رجوت منهم ان لا يبدوا الى الاشخاص الذين يستجوبونهم بان البعثة غير مرتاحة من الادارة المحلية. فرجوتهم ان يحسنوا ذكر ذلك في تقاريرهم لان ذلك يزعج الشعب.

فاعتذروا بانه لم يصدر منهم ذلك ثم خرجوا من دائرة المتصرفية وذهبوا الى البلدية، والى بعض المحلات التجارية في السوق والجامع الكبير واخذوا رسمه، وبعد ذلك زاروا بيت فيضي النقيب وانطون زبوني والنقيب السيد عبدالغني ودائرة الكمارك ورجعوا. وبعد الظهر تجولوا في بعض ازقة الموصل ودخلوا بعض البيوت واعطوا بطاقات زيارة لبعض الناس وطلبوا زيارتهم.

وفي اليوم الخامس ارسلت اللجنة مكاتيب لبعض وجوه البلدة تدعوهم لمواجهة وهم سعدالله توحله وامين المفتي والحاج حسين الحديد وعبداللطيف عمادي ورؤوف شماس اللوز (اللوس) ومصطفى جلي صابونجي وحسن كشمولة واحمد الصافي. وخرجت مظاهرة كبيرة بعد الظهر. وفي اليوم السادس زار الكونت بورتاليس دائرة الطيران، وغادر القصر الكونت (تيليكى) وزار دار نجيب الجادر ومصطفى الصابونجي ودار محمد النجفي ورجعوا الى القصر. ثم قابلوا بعض الاشخاص في القصر من جملتهم

السادة داوود الدباغ ومحمد داوود القطان ومحمد احمد القطان وناظم العمري وضياء آل عبدالرحمن وحبیب العبيدي واحمد الفخري وأرشد العمري وعلى الامام وأصف قاسم آغا وفتح الله سرسم وستة عشر شخصاً آخرين. وفي اليوم السابع زار رئيس اللجنة والكونت تيليكي محمد النجفي وسرما خانم عمه مار شمعون وفي عين اليوم زاروا مصطفى علي واحمد الصافي كلاك وداوود الدباغ وحاج توفيق آل أحمد وصالح السلطان وأحمد الخضر والحاج عزيز جندرمه ويحيى عبدالرزاق ومحمود العلي وحسون العلي وعلي عبدالرحمن. وفي المساء زار تيليكي الرسالة الامريكية.

وفي اليوم الثامن خرج فتاح بك وبدري بك وهم رفقاء جواد باشا من القصر راكبين سيارة مقفلة وذهبوا الى محل حسو اخوان ومن هناك الى دار محمد النجفي وعند خروجهم منه أهينا من قبل اشخاص وطنيين كانوا واقفين تجاه الدار. وتجمهر عليهم اناس غيرهم واضطروا الى الرجوع الى القصر. وفي مساء ذلك اليوم حدث شغب امام دار محمد النجفي بينه وبين السيد ابراهيم كمال. وكان جمع غفير حاضرين هناك وكان الكونت تيليكي والكولونيل دي فرسن واقفين يراقبان حركة الشرطة ونتيجة الخصام. ففرقت الشرطة المتجمهرين والقت القبض على محمد النجفي وزجتها في التوقيف. وسبب الخصام هو السب والشتم بسبب اختلاف المبادي. وقد جرح ابراهيم كمال في كتفه بصورة خفيفة. وقد اطلق سراح الفريقين بتوسط بعض الاشخاص من الاشراف^(٥). وفي اليوم التاسع من شباط تضايق الخبير التركي فتاح بك من المتظاهرين فدخل حمام الصالحية ولم يتمكن بعد ذلك من الخروج منه. بل جاءت اليه ثلة من الشرطة واخرجته من الحمام وأوصلته الى القصر.

٥- كان إبراهيم كمال واحداً من لفييف من الدعاة الذين أرسلوا من بغداد لإذكاء الروح الوطنية في أهالي المدينة والقيام بتظاهرات ومسيرات مضادة وكان بين القادمين الصحافي الفكاهي نوري ثابت صاحب جريدة (حيزبوز) الشهيرة جداً فيما بعد. ويغلب على ظني أن المتصرف عبدالعزيز القصاب هو الذي استدعاه أو ربّما كان السبب في إنتقاله الى الموصل فهو صهره. فقام بتلحين قصيدة للشاعر الشاب الناشيء إسماعيل فرج بالمناسبة (أدركنه وهو مدرسٌ للعربية في ثانوية الموصل المركزية ١٩٣٨-١٩٣٩) وكنتُ أعرض عليه بعض المقطوعات الشعرية لتصحيحها) مطلعها:
لست يا موصل إلا دار عز وكرامة
أنت فردوس العراق حبداً فيك الإقامة
أصبحت من الأناشيد الوطنية وكنا نترنم بها في مراحل الدراسة الابتدائية.

-٦-

مجيء المندوب السامي من بغداد الى الموصل

في اليوم ٨ شباط ١٩٢٥ علمنا ان المندوب السامي السير پرسی كوكس^(٦) توجه الى الموصل في الطائرة. وبما ان الطقس في الموصل كان يومها قارساً ونزول الطائرة في المطار صعب جداً، لذلك طلبنا من بغداد ارجاع الطائرة الى بغداد. فأجابونا بأن الطائرة اجتازت تكرت، فلا يمكن ارجاعها. فإنتظرنا في المطار وصول الطائرة فلم تتمكن الطائرة من النزول في المطار لكثافة الغيوم وكثرة الثلوج. فعند ذلك هبطت الطائرة بعد مدة على ضوء القنابل الصفراء التي اطلقت من المطار. فكان هبوطها اضطرارياً فغرزت في الثلج الذي بلغت كثافته أربعة أقدام، فأخذت تتأرجح عليه فأسرع الجنود الى الطائرة وصعد بعضهم على البعض الآخر الى أن وصلوا الى المندوب فتعلق بهم ونزل سالمًا. وكان الدم ينزف من وجهه ويديه. فأخذناه الى الدار القريية من المطار وزودناه بأخبار اللجنة الأسمية بصورة تفصيلية. ثم تركناه وذهب الى محل اقامة اللجنة المركزي ولم يرجع الينا إلا بعد الساعة الحادية عشرة ليلاً. فأخبرنا بانه تبادل الرأي مع أعضاء اللجنة وبأنها قررت سفر بعض الهيئة الى أربيل وكركوك والسليمانية ثم تعود الى الموصل لإكمال مهمتها وسيبقى قسم من الأعضاء في الموصل لمتابعة الاستفتاء والتحقيق.

-٧-

رئيس البعثة يعلن تقسيم البعثة

كان يدور بين اعضاء اللجنة قضية استفتاء الشعب. غير أن ذلك لم يتقرر بينهم لإختلافهم في الرأي وقد اقترح العضو (تيليكى) ان ترفع الحاميات من المناطق لتتمكن البعثة من اجراء الإستقصاء والإستشارة. وظهر هذا الإقتراح غير عملي، حيث لايمكن تجريد المناطق من الحاميات. وفي النهاية أعلن رئيس اللجنة فجأة انه إعتباراً

٦- يلتبس الأمر على صاحب المذكرات، فالمندوب السامي الذي قام بالزيارة هو السير هنري دويس خلف السير پرسی كوكس الذي انهيت خدماته في نيسان ١٩٢٣.

من ٨ شباط تنقسم البعثة الى ثلاث لجان، تتوجه الى مناطق متفرقة لم تعلن قبل رؤيتها. فوافق جميع الأعضاء على ذلك.

وقد قامت اللجنة بالإستيضاح من خمسة وعشرين شخصاً من أهالي نواحي الشرقاط والشورة وحمام العليل والحميدات. والقسم الأعظم من الافادات كانت لصالح العراق عدا ثمانية أشخاص من عشيرة الجبور ضد العراق.

وقابلت اللجنة رؤساء اليزيدية في قرية باعذره وقضت تلك الليلة في دير السيدة بالقوش ومن هناك سافرت الى زاخو.

لقد حدثت ثورة في الولايات الشرقية من تركيا بتاريخ ٢ مارس ١٩٢٥ وتجاوزت القوات التركية على بعض قرى الآشوريين في شمالي زاخو والعمادية. فهاجمتها الطيارات وردتها على أعقابها. واعلنت الادارة العرفية في قضاءي زاخو والعمادية لمدة مؤقتة وقصيرة.

-٨-

القسم الآخر من أعمال بعثة عصابة الأمم

لقد تفرق اعضاء البعثة على أن يلتقوا مرة أخرى في الموصل في شهر مارت. وبقي في اللواء المسيو إيف ديفرسن ومعه جواد باشا والمستر جاردين. اما الكونت تيليكي، فذهب الى منطقة أربيل والكولونيل بولس ذهب الى منطقة كركوك والسليمانية ومن ثم عادت البعثة الى الموصل في ٨ آذار وأخذت تجلب القسم الثاني من اهالي الموصل. ففي ٣/١٠ قابلت إدريس الفاروقي ومصطفى آغا وسبعة عشر شخصاً من رفقائهم. وفي ٣/١١ قابلت إدريس كشموله ويونس سيالة وعبدالباقي حمو القدو وخمسة وعشرين رجلاً آخرين. ونتيجة إستيضاحهم ظهر ان تقريباً في المائة ثمانية ضد العراق. وبعد ذلك زارت اللجنة بعشيقمة وقضاء الشيخان وزاروا نواحي برطلة وكرمليس وقرقوش وتلكيف وتللسقف وجميع الأصوات كانت في حساب العراق.

وفي مساء اليوم نفسه ذهب الخبير التركي جواد باشا ورفيقه الضابط بدري بك الى بيت قاسم آغا آل داوود آغا في باب البيض وبقوا عندهم نصف ساعة. وقد اجتمع

هناك تقريباً مائتا شخص تظاهروا ضد العراق. وفي صباح اليوم الثاني نشر الجماعة علمين تركيين فوق مئذنتي النبي شيت وجامع شهر سوق والكل يعلم بأن آل كشموله وآل النجفي وآكاه أفندي وأمين آغا وقاسم آغا وباقي الأغوات لم يكونوا الى جانب الحكم العربي العراقي والوحدة العراقية. وفي اليوم ١٢ مارت استمعت البعثة الى افادة أربعة وثمانين شخصاً، ثمانون منهم الى جانب العراق. وفي يوم ١٣ مارت طلبت لجنة الأمم المنتخبين الثانويين لانتخاب المجلس التأسيسي. فحضرُوا امامهم فكان عددهم ثلاثة وثلاثين شخصاً فلم يصوت للحكم التركي منهم سوى سبعة أشخاص.

وفي يوم ١٤ مارت طلبت اللجنة الأحياء من الأشخاص الذين شغلوا عضوية المجلس البلدي بين سنتي ١٩٠٥ و١٩٢٤م. فأخذت افادتهم فكانت النتيجة ان ثلاثة منهم صوتوا الى جانب طلب الحكم التركي، وفي عين الوقت قابلت اللجنة السادة سليم النقشبندي وابراهيم الرومي وسليمان الجليلي وصلاح الدين الخطيب. وفي يوم ١٥ مارت جرى إستعراض الجيش العراقي بمناسبة اهداء العلم في الساحة امام دائرة الحكومة والثكنة وحضرها رئيس لجنة عصبة الأمم وجماهير غفيرة من الاهلين. وبهذه المناسبة حدثت مظاهرات سلمية ضخمة. وفي يوم ١٦ مارت غادرت اللجنة الى قضاء سنجار واخذوا يكلمون الاشخاص واحداً بعد آخر وكل الأصوات كانت الى جانب العراق عدا خمسة من الرؤساء قالوا "نحن مع من يحكم الموصل حيث أشغالنا معهم". فرجعت اللجنة من سنجار الى تلعفر. فتجمع الأهليون هناك واخذوا يهتفون للأتراك ويقبلون أيادي الخبير التركي جواد باشا. واجتمع الاغوات والمتنفذون في الجامع قرب القلعة تحت اشراف مندوبي جمعية الدفاع السادة آصف قاسم آغا وجميل الفخري وعبدالله آل رئيس العلماء. وبينما كان العالم محمد سعيد يلقي خطابه امام الهيئة، اذ قام بغتة السيد مطلب آغا بن السيد وهيب آغا التلعفري وهتف بحياة تركيا بأعلى صوته فإنحلّ الإجتماع وعقد ثانية في دائرة البلدية حيث صوت اهالي تلعفر الى جانب الاتراك. ثم رجعت البعثة الى الموصل.

وفي ١٨/٣/١٩٢٥ زارت اللجنة قضاء زاخو وقابلت الشيوخ والوجوه ورؤساء الطائفة المسيحية المقيمين فيها والمسيحيين المقيمين في الكويان والقوى المجاورة لها، وتجول جواد باشا مع سكرتيره يوسف كمال في المدينة ووزعوا دراهم لبعض الأشخاص.

ونتيجة التصويت ظهرت الاكثرية الى العراق، وبعد ذلك رجعت اللجنة الى قضاء دهوك فوصلوها في الساعة الواحدة بعد الظهر. فتجمع الناس امام قصر الضيافة واخذت اللجنة تستوضح منهم واحداً بعد آخر وطلب قسم من عشيرة الدوسكي والبريفكان الحكم التركي. واخذت اللجنة افادات الشهود الآخرين وبعد انتهائهم تقدمت اليهم وفود قضاء العمادية واطرافها. وكانت اللجنة قد طلبتهم في دهوك. فاستجوبتهم فظهر عدد المخالفين منهم ثمانية أشخاص فقط. فرجعت اللجنة الى الموصل.

سافرت اللجنة الى قضاء عقره واجتمعوا الى الاهلين. وقد أفاد اكثرهم بارتباطهم بالعراق عدا أربعة، وهم الشيخ عبيدالله السورجي وولده مظهر واخوه شفيق وخادمه. وبعد ذلك سافرت اللجنة الى ناحية عشائر السبعة قرية (برده رش) واستوضحوا من الأهلين طلبهم. فأفادوهم انهم يختارون الحكم العراقي.

لقد عاد المندوب السامي (السير پرسی كوكس^(٧)) الى بغداد بعد بقاءه في الموصل ثلاثة أيام فقط.

وفي تاريخ ٢٠ مارت استجوبت اللجنة بعض العلماء وأئمة المساجد في المحلات وكذلك اصحاب الاراضي في الموصل. وزارت القرى في اطراف الموصل وقابلت رئيس قبيلة شمر.

في تاريخ ٢٢ مارت ١٩٢٥ غادرت بعثة عصبة الأمم الموصل عن طريق تلعفر وسنجار والبيديع وخرجت مع المفتش الاداري المستر لويد لتوديعهم الى أراضي البيديع وأقيمت هناك حفلة شاي لها من قبل رئيس عشيرة شمر الشيخ عجيل الياور.

-٩-

توصيات اللجنة الأمية في آخر تقريرها

ان اللجنة الأمية في ختام تقريرها لفتت نظر مجلس العصبة الى ثلاث نقاط اقترحت اتباعها والاعتناء بها لتهيئة البلاد للحرية وإسعاد سكانها وتلك النقاط هي:

١- تأمين السلم داخل البلاد.

٧- السر هنري دويس.

٢- حماية الأقليات غير المسلمة.

٣- التدابير التجارية.

وقد قامت الحكومة العراقية بتأمين ذلك بعد صدور قرار مجلس عصبة الأمم مباشرة ومنحت العفو العام عن جميع الأعمال التي صدرت خلال مدة الإستفتاء.

وذكر آدموندس في كتابه عن الإستفتاء الذي أجرته لجنة عصبة الأمم، ان الألوية الشمالية الشرقية اي (أربيل، كركوك، السليمانية) يؤلف الاكراد اكثريتها ورؤساء الدوائر فيها غالباً من الاكراد. وقد انحازت هذه الالوية الى جانب العراق لأسباب كثيرة اهمها العلاقات الاقتصادية لأن اقتصادياتها اكثر ارتباطاً بالالوية العراقية منها بالاناضول، وفي هذا شيء كثير من الحقيقة لأن معاش السكان وموارد رزقهم وحياتهم مرتبطة بالمدن التي يتبادلون معها التجارة خاصة المنتج الزراعي والحيواني في مثل هذه البلاد. وهذا هو السبب الرئيسي والظاهري وربما تكون هناك أسباب اخرى ثانوية وخفية قد تمثل في رغبة الناس بالتطلع الى خير كثير يبتغونه من حكومة حديثة تساعدهم على تقدم بلادهم ورفع مستواهم الإجتماعي والثقافي والاقتصادي وانقاذهم مما عانوه من تأخر في ظل حكم قديم بال لم ينالوا في ظلهم سوى التأخر. وربما كانت عند بعض مفكري الاكراد القوميون المتحمسين اهدافاً اكثر من ذلك.

لقد كلفتنى وزارة الداخلية بكتابها السري المؤرخ ٤ شباط سنة ١٩٢٥ والمرقم بعدد س ٣٣١ ان اتصل بصورة مستمرة مع متصرفي ألوية كركوك وأربيل وأزودهم بالمعلومات التي أحصل عليها وأرشدهم الى كيفية التصرف مع لجنة عصبة الأمم. وقد علمت ان اللجنة تجولت في مدينة أربيل وعشائر الخوشناو وذهبت الى رواندوز رغم شدة البرد في تلك المناطق، وكذلك تجولت في مدينة كركوك وزارت آلتون كوپري وكان الناس مجتمعين في السراي وكان كل واحد منهم يسأل عن عرقه ودينه وشغله وعن طرق المواصلات وأسواق البيع والشراء وعن رأيه الأخير. فكان كل واحد منهم يجيب بحرية ويعطي صوته للعراق او تركيا. وكانت النتيجة ان اثنين من خمسة اشخاص فقط صوتا للاتراك، مع ان الحاضرين كانوا جميعاً تركماناً.

وقد زارت اللجنة كفري وجبل حميرين وقره تپه وعشائر زنگنه والداوده وطوزخورماتو وعشائر البيات والعبيد، ثم سافرت اللجنة في ١٧ شباط الى السليمانية وكان المستر

(چاپمان) هناك نائباً عن المتصرف، فتقدم الى اللجنة ثلاثة وهم احمد بك وشيخ قادر شقيق الشيخ محمود الحفيد وحما آغا عبدالرحمن، وكلهم طلبوا الحكم العراقي وكذلك باقي المواطنين اعطوا آراءهم بكل حرية الى العراق.

- ١٠ -

وصول وزيرين من وزراء بريطانيا الى الموصل

لقد وصل الى الموصل في سنة ١٩٢٤ المستر (إمري) وزير المستعمرات البريطاني مع وزير الطيران البريطاني. وبعد مكوثهما في الموصل ثلاثة أيام رجعا الى بغداد ومنها الى لندن.

وقد وصل الموصل أيضاً بعد مغادرة بعثة الأمم الكولونيل (لايدنور) ومعه ضابطان منتديان من قبل مجلس عصبة الأمم لرؤية الحدود وقضية التياراتين الذين طردتهم الحكومة التركية. وبعد أن بقوا في لواء الموصل خمسة عشر يوماً غادروها الى بغداد.

- ١١ -

الحدود التي تقررت من قبل مجلس عصبة الأمم

يبتدي خط (بروكسل) في نقطة اتصال نهر الخابور بنهر دجلة في شمال فيشخابور ومن هناك يمتد الى (الهيكل) فالحدود الشمالية من عشائر السندي والگلي الى جبل (بلاكيش) ثم يصل الى جبل (اشوتا)، ومن هناك يأخذ بالإنحدار الى جنوب (جل: چلي) حيث يمر على الحدود الشمالية لنواحي (نيروه وريكان) فحدود (مزوري بالا) فنهر (روباري حاجي بك) عند الحدود الإيرانية التي ينتهي بها خط بروكسل الفاصل بين العراق وتركيا.

ان القرى الواقعة على الحدود من جهة قضاء زاخو تبدأ من قرية فيشخابور الى الشمال الشرقي من زاخو وهذه أسماء القرى الداخلة ضمن ناحية (السليقاني) والواقعة على نهر الخابور (فيشخابور، ديريه بون، قره ووله، قوچان، هيت باد، باجوكه، ابراهيم الخليل، دورناق الواقعة على ملتقى نهر الخابور بنهر الهيكل). والقرى الداخلة ضمن

ناحية السندي والواقعة على نهر الهيزل وهي (هشتانه، ربنكه كزوان، هوريس، بهنونه عتيق، سينومر، دشت تخت، صناط، دير شيش) والقرى التابعة لناحية الكلي وهي (روس، سول، نزدور) ويكون المجموع تسعة قرى في السليقاني وستة عشر قرية في السندي وثلاث قرى في الكلي. اما ناحية سنجار فإن آخر قرية عائدة للعراق والواقعة في الجبل فهي (باره) وآخر قرية من حدود الحكومة السورية هي (الخانونية)، أما آخر مخفر للحكومة التركية على حدود تلعفر فهو (مخفر المصطفاوية).

عبدالعزیز القصاب

الكتاب الثالث

النص الكامل

لتقرير لجنة التحقيق الدولية التابعة لعصبة الأمم حول رسم الحدود بين تركيا والعراق

League of Nations

Question of the Frontier Between Turkey and Iraq, Report
Submitted To The Council by The Commission Instituted By
The Council Resolution of September 30, 1924.

[التعليقات والشروح من وضعنا وليسست في أصل التقرير]

القسم الأول

تقرير عن عمل اللجنة

إن مجلس عصبة الأمم بدورته الثلاثين قرر في جلسته المخصصة للنظر في مسألة الحدود العراقية التي عقدت بجنيف يوم الثلاثاء الموافق للثلاثين من ايلول ١٩٢٤، تشكيل لجنة خاصة تتألف من ثلاثة أعضاء « مهمتها جمع الحقائق والمعلومات الضرورية لإنجاز المهمة التي اوكلت إليها بموجب المادة الثالثة (فقرة ٢) من معاهدة [لوزان]. إن هذه اللجنة وبمنطوق هذا القرار الذي تم تبنيه:

"... ستضع أمام المجلس كل المعلومات وكل المقترحات التي ستمهد لقرار... وإنها ستولي التفهم الكامل وثائق الميسورة ووجهات النظر التي يدلي بها الطرفان صاحبا العلاقة، سواءً بخصوص أسلوب العمل، أو بخصوص المواد المتعلقة بالموضوع. وإنها (أي اللجنة) ستنال كل التسهيلات وتحقق الإتصالات التي يرغب الطرفان فيها. وأن يكون لها ملء الحق في مباشرة تحقيقاتها في موضع النزاع بالذات. وفي هذه الحالة لها أن تنتفع بخدمات المستشارين اللذين عينتهما كل من الحكومتين صاحبتين الشأن."

"وللجنة أن تتخير طريق عملها الخاص."

"وفي هذه القضية يعهد المجلس للرئيس وللمقرر، أمر تعيين أعضاء هذه اللجنة مقروناً بالموافقة العامة."

فسادر رئيس المجلس والمقرر إلى تعيين كل من "الكونت تيليكي"^(١) وهو رئيس

(١) تيليكي: سليل اسرة هنغارية عريقة. كان في بلاده احد قادة الحركة المعادية للثورة الشيوعية بقيادة بيلاكون (١٩١٩) وفي تموز (١٩٢٠) أختير رئيس حكومة بلاده وبقي حتى نيسان ١٩٢١ وكان اهتمامه من مسألة الموصل ينصب على المظهر الجغرافي والتكوين القومي وقد سبق مجيئه إلى العراق عضواً في هذه اللجنة. حكاية قد تكون مجرد إشاعة، وهي أنه كان عضواً بارزاً في جمعية هدفها توثيق عرى الصداقة مع تركيا لزعم وجود صلة عرقية بين الترك والهنغار. وكان =

وزراء سابق لحكومة المجر. و"م. آف فيرسن"^(٢) وهو وزير مفوض سويدي فوق العادة والعقيد پاولس البلجيكي^(٣) للقيام بهذه المهمة. فقبلوا واجتمعوا في الثالث عشر من تشرين الثاني ١٩٢٤ بجنييف لتشكيل اللجنة. وفيما يلي نبذة مختصرة عن نشاطها منذ هذا التاريخ.

قامت اللجنة فوراً بالاطلاع على كل الوثائق التي أعدتها سكرتارية عصبة الأمم حول خط الحدود بين تركيا والعراق، وألّت بها الإلمام الكافي.

وبعد دراستها دقائق ومحاضر مؤقر لوزان، ومحاضر جلسات مجلس العصبة ومذكرتي الحكومتين البريطانية والتركية، رسمت لعملها خطة عامة. واستقر رأيها على أن الإنتقال إلى موقع النزاع بالذات للقيام بالتحقيق وجمع المعلومات المطلوبة محلياً، أمر لا مناص منه. كما رأت ضرورةً لتقويم وتدقيق مسائل خاصة معينة، والحصول بسبب ذلك على معلومات وثائقية من الحكومتين ذاتي العلاقة بصورة مباشرة. فقررت أولاً الإتصال رأساً بهاتين الحكومتين في (لندن وأنقره)، ووجهت إليهما وهي ما تزال في (جنييف) قائمة بأسئلة وإستفسارات ليتسنى لها فور وصولها (لندن وأنقره) حيازة المعلومات الإضافية المنشودة دون أن تبدد شيئاً من وقتها، لمباشرة تحقيقاتها موقعياً.

وانتخب م. آف فيرسن رئيساً للجنة قبل مغادرتها جنييف. وكان في إستقبالها عند

= أيضاً ينتمي إلى بلاد انسلخت عن النمسا إحدى الدول الرئيسية الثلاثة التي خاضت الحرب ضد الحلفاء. ولهذا قوبل بنفور في بغداد وعند الحكومة العراقية. تولى رئاسة الوزارة في بلاده ثانية في ١٩٣٩، ولم يتحمل رؤية الجيوش النازية تحتل بلاده فأطلق النار على نفسه وهو في شرفة قصره في ٢٣ نيسان ١٩٤١ عندما عجز عن الحيلولة دون مشاركة بلاده في غزو يوغوسلافيا.

٢- كان (فيبرسين) وزيراً مفوضاً أقدم، من موظفي السلك الدبلوماسي السويدي، وقد اختاره زميله رئيساً للجنة ربما لأنه كان يمثل بلاداً بقيت على الحياد طوال فترة الحرب. قيل عنه أنه لم يكن ينتظر منه كبير اهتمام بتمحيص لب المسألة أكثر من محاولته إيجاد منافذ وحلول توفيقية، إلا أن هذا الانطباع عنه زال عندما وصل إلى الموقع بالذات واطلع على مدى الآثار العميقة التي سيخلفها قرار اللجنة في مستقبل اهالي الولاية. له مذكرات مطبوعة باللغة السويدية تتعلق بخدمته الدبلوماسية في المانيا وتركيا قبل الحرب.

٣- لا يعلم عن العقيد پاولس سوى انه ضابط متقاعد في الجيش البلجيكي خدم في الكونغو البلجيكية ثم انصرف هناك إلى الأعمال التجارية فأصبحت له خبرة في عالمي التجارة والأدارة وأثر عنه عاطفيته، واهتمامه بالدرجة الأولى مركز في الأمور الاقتصادية.

وصولها لندن وزيراً الخارجية والمستعمرات. فعقدت ثم عدة جلسات وأجرت عدداً من المقابلات حضرها خبراء من هاتين الوزارتين.

وفي إجتماع الخامس والعشرين من شهر تشرين الثاني ١٩٢٤، رحب [مستر داقيدن] من وزارة المستعمرات باللجنة وأعرب عن إرتياح حكومته لتفضيل مجلس العصبة فكرة تعيين لجنة وهو أسلوب عمل كانت الحكومة البريطانية تراه دائماً أجدى لحل هذا النزاع من طريقة الإستفتاء.

فردت اللجنة على هذه الملاحظة قائلة: انها تجد من الخير ان تبادر فوراً لتشير الى ان المجلس لم يحدد صلاحيتها في العمل ولم يفرض عليها اي أسلوب وستكون مطلقة الحرية في توصية المجلس بقبول مبدء الإستفتاء مثلما ستكون حرة في التوصية بقبول اية طريقة أخرى تستنسبها.

فشكر [مستر داقيدن] اللجنة على إيضاها وزاد قائلاً. ان الحكومة البريطانية اعترمت تقديم مذكرة تشرح فيها وجهة نظرها في المصاعب التي تكتنف الإستفتاء.

تم في هذه الجلسة والجلسات التي تلتها تدقيق مختلف النقاط التي اثارها اللجنة في قائمة اسئلتها الموجهة الى الحكومة البريطانية وفقاً للترتيب الذي وضعته.

واخيراً طلبت اللجنة من الحكومة البريطانية تعيين مستشار يرافقها ويساعدها في قيامها بمهتمها موقعياً تطبيقاً للقرار الذي اتخذته في جنيف.

وفي آخر ايام السنة سافرت اللجنة الى (أستانبول)، ثم الى (أنقره) في الثالث من كانون الثاني.

وفي أثناء تبادل وجهات النظر بين اللجنة وممثلي الجمهورية التركية، ولأمرٍ ما شبيه بما وقع في لندن، بدا من الضروري إيضاح طبيعة صلاحية اللجنة إيضاحاً لا يترك مجالاً للشك، تلك الصلاحية التي تجعلها حرة في الاختيار ما بين المقترحات البريطانية والتركية بخصوص النهج الذي سيتبع، أو حول اقتراحها اي خط حدود تجده مناسباً في القضية الأساسية موضوع البحث شريطة أن يمر هذا الخط في اي مكان بين أقصى خطي الحدود التي تدعيها الحكومتان.

ووجب ملاحظة قيام الحكومة التركية بوصف الاعتبارات التالية في رسالة مرفقة

باجوبتها على قائمة الإستفسارات التي تسلمتها من (جنيش) بعد تلخيصها الحجج الرئيسة التي تدعم وجهات نظرها.

جاء في الرسالة:

«إن الحكومة مقتنعة... بأن التعبير عن إرادة الشعب يجب ان يعد العامل الأساس في حل المشكلة. وهي تأمل في أن تأخذ اللجنة بعين الاعتبار رغبة الحكومة التركيبة المخلصة جداً وامنية الأهالي في أن تحل القضية على أساس التعبير الحر عن رغبات سكان ولاية الموصل. فلأول مرة منذ قيام عصب الأمم يُعرض على مجلس العصبة نزاع عظيم الخطر بين دولة غربية معظمة (القصد هنا بريطانيا بوصفها الدولة المنتدبة على العراق) وبين دولة من دول الشرق الأدنى، على المصير النهائي لشعب شرقي. إن مشاعر حسن النية والثقة المتبادلة بين الشرق والغرب وإيمان الشعوب الشرقية بالعهد الجديد الذي تمثله عصبة الأمم سيعتمد أكثر الاعتماد على الحل الذي سترتبه لجننتكم بعد تحقيق شامل في القضية. ان حكومة الجمهورية مقتنعة بأن لجننتكم تحدها الرغبة المخلصة في التعاون على خلق الثقة المتبادلة بين هذين الجزئين من العالم وهي النتيجة المنشودة جداً وإنها لتأمل في تحقيق انتصار العدالة عندما توصي لجننتكم المجلس بأن يسمح لأهالي ولاية الموصل بحرية تقرير مصيرهم.»

وبعد مناقشة طويلة أفلحت اللجنة في اقناع الحكومة التركية بقبول وجهة نظرها. وعادت لتطلب من الحكومة التركية التفضل عليها بتعيين مستشار لمساعدتها في عملها وتحقيقاتها. وأعلنت قبيل مغادرتها (انقرة) أن هذا المستشار سيكون الخبير [جواد پاشا] المفتش العام للجيش^(٤) في ولاية ديار بكر وأن عدداً من الخبراء سيرافقه لمساعدته في مهمته.

٤- كان مرشحاً لقيادة قوات منطقة الجزيرة عند بدء العمليات العسكرية ضد ولاية الموصل [انظر الباب الاول]. وهو أحد القادة الوطنيين الترك الذين اعتقلتهم لجنة الحلفاء العليا في استانبول [١٩٢٠] وابعدهم إلى جزيرة مالطه. وقد اطلق سراحه في العام ١٩٢١ وانضم إلى مصطفى كمال.

ثم انتقلت اللجنة إلى [قونيه] حيث تشرفت بمقابلة رسمية لفخامة (الغازي) مصطفى كمال باشا رئيس الجمهورية التركية ثم وصلت سفرها إلى بغداد عن طريق دمشق وبادية الشام حيث بلغتها نهار الجمعة الموافق للسادس عشر من كانون الثاني ١٩٢٥.

وقبلت اللجنة دعوةً للبقاء في [بغداد] بضعة أيام وكانت في الواقع دعوة مرغوبة إذ يتيح للجنة خلالها جمع المعلومات الخاصة بالعلاقات الاقتصادية التي تربط ولايتي بغداد والموصل السابقتين بعضهما ببعض، ودراسة أسلوب إدارة الدولة الحديثة ووضعها السياسي. وحلّ أعضاء اللجنة ضيوفاً على [سر هنري دويس]^(٥) المندوب السامي البريطاني الذي استضاف أيضاً المستشار التركي في داره، وإنزل الخبراء الأتراك موضعاً آخر من المدينة. وعرفنا المندوب السامي بمستر [جاردين]^(٦) الذي عينته الحكومة البريطانية مساعداً للجنة يرافقه [صبيح بك]^(٧) وزير الأشغال العامة السابق ممثلاً للحكومة العراقية.

وفي اليوم الذي تلا وصول اللجنة قام المندوب السامي بتقديم أعضائها إلى جلالة الملك فيصل فرحب بها وشرح آراءه وآراء حكومته في مسألة حدود بلاده. وسلّم جلالتها لها رسمياً نصّ خطبته الترحيبية بها مع مذكرة مكتوبة أشار فيها (بعد تبينانه عدالة دعوى العراق وقانونيتها) إلى حضارة الأمة العربية العريقة وعظمة حضارة الخلفاء الغابرة التي كانت يوماً ما مركز مدينة شهيرة. وعرض خلاصةً تاريخيةً للحركة القومية العربية وأوضح أن العرب لم يترددوا في انتهاز الفرصة التي عنّت لهم باندلاع الحرب

٥- وصل بغداد في نيسان ١٩٢٣ وتسلم المنصب من سربريس كوكس أول مندوب سام للعراق. وغادر العراق في الثاني من آذار ١٩٢٩ ليخلفه السر گلبرت كلايتون ثالث وآخر مندوب سام للعراق.

٦- كان النقيب [ر.ف. جاردين] في حينه معاوناً للمفتش الاداري في الموصل منذ ١٩١٩ وقد سبق له أن رافق سربرسي كوكس إلى مؤتمرات استانبول [انظر المقدمة]. وانيط به جمع وتنظيم كل المعلومات والحجج المتعلقة بولاية الموصل وعاون في كتابة وإعداد كل المذكرات المتعلقة بهذا الشأن إلى عصابة الأمم. [انظر إدموندز في الباب الثاني].

٧- صبيح نشأت ضابط سابق في الجيش العثماني، أربيلي المولد كوردّي النجار تولى وزارة الإشغال في ثاني وزارة عراقية وعاد ليتولاها ثانية وثالثة. وصار وزيراً للدفاع في وزارة جعفر العسكري الاولى كما تولى مرة وزارة المالية وكان عضواً في المجلس التأسيسي العراقي ونائباً لأربيل عدة مرات.

العظمى للانضمام إلى الحلفاء وطرد الغاصبين. ويبيّن أن الترك انسحبوا شمال الحدود العراقية عندما وقّعت الهدنة. وأنّ إحتلالاً عسكرياً بريطانياً شمل الولايات الثلاث: البصرة وبغداد والموصل. وبعد هذا الإحتلال بقليل من الزمن اعلمت الحكومة البريطانية برلمانها باعتمادها البرّ بوعدها الذي قطعتهُ للشعب العربي وتأسيس حكومة وطنية في العراق. وإن هذه الحكومة قائمة في العراق منذ أربع سنوات وأنّ التقدم الذي حقّقتهُ دفع بالحكومة البريطانية إلى استبدال الانتداب بمعاهدة تحالف... أو لم يصرح المندوب البريطاني في مجلس عصبة الأمم بأن العراق سيكون عما قريب في وضع يؤهله للإستقلال التام ويطالب بالعضوية في عصبة الأمم؟

وأعرب عن ثقته بأن اللجنة لن تلبث لتتبين الفرق بين حقيقة الوضع القائم وبين ما كان الوضع أيام الحكم التركي. ان مملكته التي أسست على مبادئ العدل والمساواة الدينية والمدنيّة لجميع رعاياه لا تصبو إلاّ للسلم الدائم الذي يتيح لها تجنيد كل طاقاتها الفتية لاستغلال مواردها الطبيعية بعد أن تُحطّط لها تلك الحدود التي ستضمن لها الاستقرار. ونوه هنا بمشاريع ري سهول ديالى والفرات، وهي مشاريع ستعيد إلى أكثر من ثلاثة ملايين إيكرا⁽⁸⁾ قدرتها الزراعية. وان خطّ السكة الحديد الممتد من بغداد إلى الموصل عن طريق كفري وكركوك يوشك على الختام وأخيراً فإن حكومته تكاد تنتهي من مفاوضات تضمن فيها إتفاقاً على استغلال حقول النفط العراقي.

وعرج على مستقبل العلاقات العراقية مع تركيا فقال: إن شعبه مفعّم بمشاعر الصداقة لجيرانه «نحن نحترم الشعب التركي ونتمنى له كل الخير. على إننا نريد أن نعيش بسلام وأمان لنؤدّي قسطنا من الخدمة في سبيل التقدم البشري كافة، باستغلال وتطوير مواردها. وللوصول إلى هذه الغاية ينبغي أن تبقى بلادنا موحدة غير مجزوءة ويجب أن تتمتع بحدود تضمن لنا السلامة والأمن من كل إعتداء. إن هذا بالنسبة لنا مسألة حياة أو موت».

وأعرب عن ثقته بأن اللجنة عند تحقيقها في المسألة من كلّ جوانبها القومية والجغرافية والاقتصادية والعسكرية، ستصل إلى قرار حاسم وهو أن سلب العراق

٨- تبلغ مساحة الإيكرا الواحد حوالي أربعة آلاف متر مربع - وهو قياس انكليزي.

حدوده الطبيعية يعني توجيه ضربة مميّنة لمستقبل البلاد. وُخّنت المذكرة بهذه العبارة: «إن إقامة وتوطيد دعائم حكومة مستقرة في العراق مرهونان بالمحافظة على الوضع الراهن. فأنا أرى من المحال عسكرياً واقتصادياً أن تعيش في بغداد حكومة فُصلت الموصل عنها واعطيت حكومة أخرى. وبدون [الموصل] لا يمكن أن تؤمّل للشعب العراقي حياة حقّة، لا بل إن عقيدتي وطول تجاربي لعقلية الشعب التركي (وهي حالة روحية متأصلة) ولمعرفتي التاريخية بشهوتهم إلى الفتوح والغزو، بعدم وجود خطّ حدودٍ آخر يضمن كيان بلادي، كل ذلك يجعلني أرى من المستحيل الوصول إلى حالة استقرار داخلي حتى في الاوقات الاعتيادية، إلا بإنشاء قوة عسكرية دائمية، تكوينها ليس في طاقة عراق مقطع الأوصال، لا في الحاضر ولا في المستقبل. كما استبعد أن يستثمر اي رأسمال أجنبي في العراق عندما يرى الرأسماليون الأجانب أن البلد معرض دوماً للأخطار، والفوضى والغزو. ولذلك أعتبر (الموصل) للعراق بمنزلة الرأس من بقية الجسد وإعتقادي الجازم إن القضية وإن كانت قضية تثبيت حدود بين العراق وتركيا أصلاً فهي في الواقع وعلى كل حال قضية مستقبل العراق ككل. إن سعادة وشقاء أربعة ملايين من البشر وديعة في ايدي أعضاء لجنّتكم الكريمة فإن رأيت لأي سبب كان ان توصي عصابة الامم بأي تغيير أو تعديل لحدود العراق، فعليها في الوقت عينه ايضاء العصابة باختيار وضع سياسي جديد لهذا البلد بكامله. وستقع عليها مسؤولية مصير هذه المجموعة الكبيرة من بني البشر»

وفي هذا اليوم بالذات عقدت اللجنة جلسةً في دار المندوب السامي حضرها المندوب السامي شخصياً وعرض خلالها تفاصيل حادث سبب تأخير المباشرة بالعمل مدة اسبوعين، اشار [سرّ هنري دويس] الى ان بين الخبراء الترك خبيرين هما [ناظم بگ] ^(٩) و[فتاح بگ] ^(١٠) هما مواطنان عراقيان قاما بنشاطٍ معادٍ لحكومتهم. هذان

٩- ناظم بك نفطجي زاده سليل اسرة النفطجي المعروفة جداً في كركوك. كان ضابطاً في الجيش العثماني. هرب من كركوك بسبب قيامه بنشاطٍ معادٍ لسلطة الاحتلال البريطانية وقاد حملة ضد إستفتاء ١٩١٩ و ١٩٢١ [انظر المقدمة] تقول المصادر البريطانية ان عداؤه للبريطانيين متأت عن طموحه الى متصرفية كركوك ورفض السلطة البريطانية ذلك وترشيحه لمتصرفية الحلة. =

الشخصان [وهناك أمرٌ بالقبض صادر بحق احدهما] اضطرا إلى ترك البلاد هرباً، فاستفادا من وجود اللجنة ليعودا إلى العراق ومن المحتمل أن يقوما بنشاط قد يؤدي إلى تعكير الأمن والإخلال بالنظام بفضل الحصانة الدبلوماسية التي يحتميان بها. وقد يتفاقم الخطب لأن الاحزاب القومية والوطنية بدأت توجه إليهما صنوف التهديد والوعيد. ومن السهل أن يفهم هياج هذه الاحزاب في الظروف الحالية. ثم طلب المندوب السامي سحب هذين الخبيرين.

لم يسع أعضاء اللجنة مشاركة [سِرّ هنري دويس] وجهة نظره هذه، وفي الوقت الذي ابدت اسفها لتعيين الحكومة التركية خبيرين هما موضع شبهة في اعين السلطات العراقية وجودهما يزيد من عمل اللجنة صعوبة، فقد جلبت الإنتباه إلى إنهما من مواطني ولاية الموصل ولا يمكن أن يعتبرا عراقيي الجنسية ما لم يبيت في مسألة الحدود بصورة نهائية.

واحاطت اللجنة المستشار التركي علماً بالموضوع ولم تخف استغرابها من اختيار الحكومة التركية هذين الخبيرين. وعلى أية حال، وللأسباب الذي ذكرت، تقرر أن لايمارس أي ضغط على الجنرال «جواد باشا» لاستبعادهما.

في عين الوقت أعلم المستشار التركي اللجنة أن خبراءه ومرافقه الخاص قد وُضِعوا في «معسكر تحيط به الخنادق والأسلاك الشائكة» وأنهم تحت الحراسة. فبادرت اللجنة فوراً إلى جلب إنتباه المندوب السامي في حول هذه المعاملة التي لايمكن تبريرها.

وشعرت اللجنة أن الواجب يلي عليها الإنتقال الى الموقع ولاحظت أن الوفد التركي قد وُضِع فعلاً في ثكنة عسكرية تحيط بها الأسلاك الشائكة وتبعد عن المدينة بضعة كيلومترات. وبنتيجة ما بذلته اللجنة من المساعي الفعالة جداً لدى المندوب السامي نجحت في التسبب بنقل الخبراء الترك الى منزل قريب من دار المندوب. وعادت لتؤكد

= كان احد المبرزين في حرب الدفاعية الباردة التي سبقت مجيء اللجنة. وتولى منصب الضابط السياسي للرتل التركي الذي دخل الاراضي العراقية (ولاية الموصل) من الجزيرة الى زاخو ثم الى چال في السنة ١٩٢٣ [انظر الباب الاول].

١٠- فتاح بك هو الآخر كان ضابطاً تركياً وهو من أهالي سليمانبية وأخو زوجة الشيخ محمود البرزنجي اختاره الترك في حينه عضواً كردياً في مجلسهم الوطني الكبير ممثلاً لولاية الموصل.

ثانيةً للسّرّ هنري دويس أن الخبراء الترك لن يتجولوا في المدينة وكانت تشعر بان مثل هذا التدبير مناسب ومقبول بسبب الأوضاع غير الطبيعية التي تسود مدينة بغداد. على أنها اوضحت بأنها ستصرّ على تمتع الوفد التركي بحرية التنقّل كاملةً. واختتم الجانب الأول لهذا الحادث في بغداد، بارسال المذكرة التالية لكل من المندوب السامي البريطاني والمستشار التركي:

«...إن ردّ فخامة المندوب السامي، والإحتجاج الذي قدمه سعادة الجنرال جواد باشا أَوْحيا للجنة بالملاحظات التالية:

(١) تعرب اللجنة مرّةً أخرى عن أسفها إذ تجد حكومة الجمهورية التركية تستنسب إرسال شخصين لمزاملة مستشارها الملحق بلجنة عصبية الأمم هما (وهذا أقلّ ما يمكن قوله عنهما) يكادان لا يكونان جديرين بمثل هذه المهمة الدقيقة بسبب نشاطهما السياسي الأخير. إن مجرد ذكر هذين السيدين بالأسماء في محاضر مؤتمر أستانبول كان يجب أن يُحمل على التكهّن بأن وجودهما مع اللجنة سيخلق لها مصاعب وتعقيدات تعرقل عملها.

(٢) وترى اللجنة أنها مادامت خارج المنطقة المنازع عليها فإنها لن تستطيع الإعتراض على إجراءات معينة تدعي السلطات المسؤولة عن النظام العام هنا، بأنها مضطرة إلى الأخذ بها ضماناً لسلامة المستشار التركي وخبرائه.

(٣) ومهما يكن من أمر، فاللجنة ترى وجوب تمتع المستشار التركي بالحرية التامة عند وصولها الموصل أو أية منطقة أخرى من البلاد موضع النزاع ليكون قادراً على دعم حجج حكومته التي تقدمها للجنة بأفضل شكل يجده مناسباً. ولهذا يجب أن يفسح له المجال للأفادة بكلّ حرية وفي كل وقت، من معونة خبرائه ومن كلّ شخص يرى إستخدامه. وواضح أيضاً أن تحقّق هذه الشروط يجب أن يصحبه تمتع الخبراء بحق الحركة بتمام الحرية؟ وتحتفظ اللجنة بعد مشاورتها مع [الجنرال جواد باشا] بحقّ التوصل إلى إتفاقٍ مع السلطات المحلية حول الإجراءات المتخذة لتأمين سلامة كلّ من يرافقها. ان لدى اللجنة القناعة الكافية بأن الطرفين سيدركان أن أية صعوبة ذات طابع داخلي أو ثانوي توضع في طريق إنجاز مهمتها، لن تفضي إلا إلى إعاقة التقدم المنشود في التحقيق الذي أوكل أمره



الكونت تيليكي

لها. وتأمل من الحكومتين، أن تبذلا كلّ ما بوسعهما لكي لا تلجأ اللجنة إلى اتخاذ قرارات قد تؤخر بدون شكّ تسوية سريعة للنزاع».

وقامت اللجنة أثناء وجودها في بغداد، وبناءً على دعوة من الحكومة العراقية بزيارة عدد من الوزارات، والكلية العسكرية والمستشفيات والمعاهد التعليمية ومدارس الزراعة، واستقبلت مختلف الوفود وقامت أيضاً بجولة في الاسواق ومخازن بيع القمح والأخشاب في مراكز المدينة التجارية لتكوّن لها فكرة صحيحة عن طبيعة التجارة بين بغداد والمناطق المجاورة والشمالية. وجاهدت في الحصول على أدلة مباشرة للاعتماد المتبادل بين ولايتي الموصل وبغداد اقتصادياً. ودرست الإحصاءات الكمرجية بعناية خاصّة

والتمست مضائها في تقارير قنصلية نظمت قبل الحرب وهكذا جمعت معلوماتها عن وضع البلاد الأقتصادي.

وسافرت اللجنة إلى الموصل بسكة حديد [شرقاً] التي كانت تمتد بعض مسافةٍ بموازة جبل حميرين، وهي الحدود التي اقترحتها الحكومة التركية.

وبلغت اللجنة [الموصل] بعد ظهر اليوم السابع والعشرين من شهر كانون الأول. واتخذت مقرها في دار كبيرة بالقرب من المدينة، خصصت من قِبَل لسكنى الملك فيصل عند زيارته المنطقة^(١١) بعد وصول اللجنة مباشرة نجم حادث مؤسف آخر، أثبتته [كونت

١١- عرفت بقصر آل الشريتي. وموقعها يبعد مئات قليلة من الأمتار عن ضفة دجلة اليمنى إلى الجنوب. وكانت شبه متداعية عندما حلت فيها اللجنة ولم تنلها يد الصيانة عندما اتخذت دوائر حكومية [للتسوية ولمحكمة الاستئناف في ١٩٤٧ حتى ١٩٤٩] ولست ادري ماذا حلّ بها بعد خروجي من الموصل في العام ١٩٦١ وقيل انها هدمت وكان من الأجدر بالسلطات المحلية استبقاؤها كأثر تاريخي لوقعةٍ فاصلة في تاريخ المدينة.

تيليكي] بذاكرة على الوجه الآتي:

« في ٢٧ كانون الثاني وهو يوم وصول اللجنة الموصل، خرجت ماشياً في المدينة مع السيدين رودولو^(١٢) وشارير^(١٣) وفيما «انا اهم بمغادرة دارنا، عرض [الجنرال جواد پاشا] الانضمام إلينا وكان في قيافته العسكرية، فأسرعت بقبول عرضه لأنني كنت أتطلع بشوق إلى مراقبة الأثر الذي ستخلفه بزته العسكرية في نفوس الأهالي وما كدنا نبليغ الشارع - لم تقم الشرطة بعد بتعقيبنا^(١٤) حتى احاط بالپاشا حوالي ثلاثين شخصاً اظنهم عرباً، وراحوا يلثمون يديه ويطلقون هتافات [عاشت تركيا!] وتزايد عدد الجمهور الذي كان يتبعنا حتى بلغ مائتي شخص على اقل تقدير وتعالت الهتافات. وفيما نحن نجتاز الثكنات. تدخل عدد قليل من رجال الشرطة وحاولوا تشتيت شمل المتظاهرين.

... وعند بلوغنا السوق انضم إلى ركبنا ثلاثة من ضباط الشرطة احدهم إنكليزي. وكان الجمهور الذي يحف بنا قد تضاعف بالكثير الذي انضم إليه من السوق. واصبح الپاشا محوراً للمزيد من الهتاف والمزيد من مظاهر العطف والتأييد وبدا لي الجمع مؤلفاً من مختلف الطبقات والعناصر. بعضهم كان بلا ريب من وجهاء القوم. وبدا لي آخرون من فئة الشحاذين وكان بينهم ايضاً عدد كبير من الأحداث وحصر ضباط الشرطة مجهودهم في تفريق المتجمهرين، فبدا وكأنهم اطاعوا الأمر. وهنا لاحظنا وجود شرطيين وراءنا يستخدمان هراوتيهما وانقض أحدهما على رجل في أواسط العمر ففر

١٢- ايطالي كان بوظيفة مستشار سفارة أو وزير صغير في السلك الدبلوماسي الإيطالي فاعيرت خدماته للعصبة. والحق باللجنة بوظيفة مقرر معين من قبل العصبة.

١٣- موظف سويسري الجنسية من موظفي عصبة الأمم.

١٤- أنظر [ادموندز] "إن الرقابة التي فرضت على اللجنة إنما كانت لحماية أشخاصها ولكنها كانت تسيء التصرف لأنها أشبه بالدرك منها إلى البوليس المدني. فلا تتقن فن التعقيب السري لا لغرض المراقبة ولا لغرض الحماية. وكانت تدابير السلطة سخيطة فقد ضربت الشرطة خيمة أمام الباب ونصبت فيها تلفوناً وكان كل حركة إلى خارج البناية كان يعقبها مكالمة تلفونية أو تقرير لأقرب مركز من مراكز الشرطة. ومما زاد في الطين بلة أن [فيرسين] وهو شخص خفيف النوم كثير الأرق صار يشكو سماعه احاديث هامسة مستمرة في خيمة الحرس طول الليل تحت نافذته مباشرة وأدعت الشرطة أن الأصوات التي سمعها كان مصدرها أحد موظفيه السويسريين عند عودته وهو في أقصى درجات السكر من أحد أحياء المدينة السيئة الصيت. وكان ثم شخص مجهول الهوية يحتل غرفة تحت درج الطابق الثاني ديدنه اعتراض سبيل كل شخص. ظن المسؤولون اولاً أنه حارس حتى اكتشفت هويته عندما ادركت الحاجة إلى الغرفة. وتم رفع الخيمة مع هذا الشرطي السري [كورد وترك وعرب: الفصل ٢٧] من ترجمتنا.

منه ولجأ إلى دكان فلحق به وانشأ يضربه ضرباً شديداً أمام أعيننا. وشعرت أن واجبي يدفعني إلى التدخل فناديت أحد الضباط وقلت له إنني أمنعك من ضرب الناس. بمحضر من عضو لجنة عصبة الأمم. وواصلنا سيرنا متجهين إلى دار البلدية يتبعنا جمهور متزايد باطراد والشرطة تجاهد في السيطرة عليه وعندما صرنا أمام النادي الوطني العراقي الذي يقع مقابل دار البلدية، قابلتنا مظاهرة مضادة يقودها طلاب متوشحون بشريط يمثل بألوانه العلم العراقي ويهتفون للملك فيصل. وعدنا إلى الدار والمتجمعون في اعقابنا والشرطة تحيط بنا. (١٥)

في صباح اليوم الذي تلا هذه الحادثة حظيت اللجنة بزيارة متصرف الموصل وميجر (لويد) (١٦) المفتش الإداري البريطاني وذكر ثانيهما بأنه مضطر إلى تطبيق نظام رقابة يضمن سلامة أعضاء الوفد التركي بسبب الهياج المتعاطم الذي تبديه عناصر من الأهالي الأكثر تطرفاً من غيرها واقترحا لذلك الإجراءات التالية:

(١) على المستشار التركي وخبرائه أن يخطروا السلطات الإدارية برغبتهم. في الخروج من محل إقامتهم قبل ساعة من الزمن وعليهم أن يعينوا المحل الذي يقصدونه وأن يتوجهوا إليه برفقة الشرطة.

(٢) يُطلب من [جواد باشا] أن لا يترك محل إقامته وهو في قيافته العسكرية.

(٣) من الضروري أن يُلجأ إلى تدابير وقائية لضمان عدم تعكير صفو الأمن العام بمناورات سياسية قد يحاولها أعضاء الوفد التركي.

لما كانت اللجنة حريصة على تأمين حرية العمل للخبراء الترك فقد كان ردّها على

١٥- يقول «ادموندز» انه لحق بالركب هو «وجاردين» عندما شكّا المتصرف عبد العزيز القصاب من خروجهما. فوجدا [تيليكى وجواداً] يسيران الهونا متجهين إلى القصر وقد احاط بهما جمهور من المصنفين الهتافين، بينما كان جمهور آخر يهتف بحياة العراق وفيصل ويهم بالانقضاض على الفريق الأول من الرصيف الأيمن وكان شرطيان أو ثلاثة يحاولان جهدهما المحافظة على النظام.

١٦- الرائد ه.ي لويد كان في أيام الثورة العراقية (آب ١٩٢٠) ضابطاً سياسياً في (دلتاوه) فأسرتة العشائر الثائرة وأنقذه وقوعه بيد الشيخ حبيب الخيزران شيخ العزة وقد حاول رشوته باربعين ألف روبية ليطلقه فأبى الشيخ ثم سلمه بعد انتهاء الأعمال العسكرية، فجزوي شر جزءاً على عمله الطيب كما يذكر ت.ي ويلسن: [تصادم الولاة ف١٢]. بقي (لويد) مدة طويلة في العراق بعد إنتهاء قضية الموصل وعين رئيساً لمحاكم البصرة فترةً من الزمن. ثم عين مديراً عاماً لجمعية التمور العراقية وتقاعد قبيل الحرب العالمية الثانية. وفي هذا الحادث الذي يذكره التقرير كان هو والمتصرف عبد العزيز القصاب قد تلقيا اوامرهما هذه من وزير الداخلية.

هذا إنها لا تستطيع قبول الشروط التي اقترحتها السلطة في الموصل ثم كتبت بهذا مذكرةً أرسلت فوراً إلى المفتش الإداري والمتصرف وهذا هو فحواها:

(١) نطلب أن يمنح المندوبون الترك حرية الحركة كاملة ومن دون حراسة پوليسية ظاهرة للعيان وان يسمح للمستشار التركي بتقديم شهوده للجنة وإذا شاؤا فأن يجري إستجوابهم في السر.

(٢) ان تأمين سلامة الوفد التركي هو من واجب السلطة المحلية، ونحن لا نسمح بإجراءات حماية وقائية من هذا النوع، إلا تلك التي لا تبدو للعيان.

(٣) ستمسك اللجنة عن فتح التحقيق في القضية التي انتدبت لها حتى تتسلم جواباً مرضياً عن هذه النقاط.

عند إبلاغ المتصرف والمفتش الإداري البريطاني بهذه المذكرة، أجابا أنهما لا يستطيعان الرد قبل إحالة الأمر إلى السلطات المركزية أولاً. واجاب المندوب السامي برقيياً بأنه يدرك عدالة مطالب اللجنة لكنّه لايسعه أن يقبل نيابة عن الحكومتين العراقية والبريطانية أي مسؤولية عن أيّ إعتداء قد يقع على أعضاء الوفد التركي.

وفي الوقت نفسه تسلمت اللجنة برقيةً من أنقره تتضمن احتجاجاً شديد اللهجة على موقف السلطات العراقية أكدت فيه أن سلطات الإحتلال هي المسؤولة عن سلامة أعضاء الوفد التركي. وقدمت الحكومة التركية احتجاجاً مشابهاً الى اللجنة عن طريق سكرتارية عصبة الامم فبعثت اللجنة إلى جنيف برقية مسهبة تشرح طبيعة الموقف الذي نجم عن سوء اختيار الخبراء الترك كما عادت تردّ على احتجاج (أنقره) بجواب لفتت فيه انظار الحكومة التركية بأنه ليس هناك ما يبرر لها قط، جعل الحكومة العراقية مسؤولة إن هي رفضت قبول الإجراءات الوقائية والأحتياطات التي اقترحتها.

وازداد موقف اللجنة في الموصل صعوبةً بشكل مطرد. وعلمت ان الأشخاص الذين تظاهروا لنصرة تركيا قد اعتقلوا وان أعضاء اللجنة أنفسهم وضعوا تحت رقابة مستمرة ورابطت دوريتا شرطة عند مدخل مقرّ اللجنة وزوّدتا بتعليمات تقضي بمراقبة دخول وخروج الأعضاء وامناء السرّ ونقل ما يجري إلى مركز شرطة المدينة العام هاتفياً وعلى الفور. ولم يسع اللجنة إلا ان تستنتج من هذه المواقف بأنها ستعجز عن القيام بتحقيقات حيادية واعلمت المساعدين بقرارها هذا ووضحت لهم انها لن تباشر اي عمل قبل وضع حدّ نهائي لهذا الموقف.

ثم جرى تبادل البرقيات مع حكومة أنقره. وعندما لم تتسلم اللجنة جواباً قاطعاً على مقترحاتها، اتفق أخيراً أن يأخذ الجنرال (جواد باشا) على عاتقه مسؤولية سلامة أعضاء وفده. وأن يرتضي احتياطات معينة مكتومة ان لم يكن من شأنها الإضرار بمكانة الوفد التركي أو جرح مشاعره، أو عرقلة حرية عمله إنتظاراً لجواب حكومته على مقترحات اللجنة. ان الجنرال جواد باشا ازاء هذه الظروف، عمل كل ما في طوقه لمساعدة اللجنة في مهمتها. وبعد يومين اثنين وصل ردٌ حول مسألة المسؤولية الا انه كان يفتقر إلى الوضوح الكافي. ولذلك ارسلنا البرقية التالية وبها وضع حدٌ للمراسلة:

الموصل ٨ شباط ١٩٢٥

وزارة الخارجية - أنقره. ت ٣٠-

تسلّمنا برقيتكم المؤرخة في السادس من شباط وفيها تذكرون أنّ الحكومة التركية تشارك [جواد باشا] وجهة نظره. ونحن نبلغكم ان الحكومة تقبل دون تحفظ التصريح الكتابي الذي قدمه [جواد باشا] بايعاز منّا في الخامس من شباط: «باسمي وباسم حكومتي وانتظاراً لجواب قطعي على إستفساركم الموجه إلى أنقره سأخذ على عاتقي مسؤولية السلامة الشخصية لأعضاء الوفد التركي في حالة وقوع أعمال عنف واني بهذا أقبل بالاحتياطات السرية التي اقترحها المندوب السامي لأنها لا تصيب مكانة ومشاعر أعضاء الوفد التركي بأي أذى إن طبقت تطبيقاً كيساً حصيفاً بل ستساعدنا في إنجاز عملها معكم».

التوقيع [جواد باشا]

«تشكراللجنة الحكومة التركية لموقفها التوفيقى الذي يساعدني في إستمرار التحقيق بمعاونة المستشارين»

التوقيع [دي فيرسن]

وصلت اللجنة بغداد في ١٦ كانون الثاني الا انها لم تتمكن من مباشرة عملها حتى هذا التاريخ الموافق للخامس من شباط لا بل الإستقرار على خطة عمل. وبعد ان أبلغت المستشارين أنها قررت ألا تستقبل أي وفد أو تستمع إلى أي شاهد حتى يسدل الستار النهائي على هذه الحادثة. وهكذا لم تزاوّل وهي -مضطرة- أي عمل رسمي. على ان أعضاء اللجنة تمكنوا في الوقت ذاته بصورة خاصة من ان يكوّنوا وهم

متنكرون (ان جاز هذا التعبير) فكرة عن وجهات نظر الأهالي. كما اتفقوا ايضاً على تفاصيل لجولاتهم في أنحاء الولاية، وكذلك على الأساليب التي ستتبع في التحقيق. وللتزود بالمعلومات العامة خرجوا إلى اسواق المدينة، كما ارتادوا مختلف أحيائها فضلاً عن قيامهم بزيارة للسجن. وقد قاموا دون ان يرافقهم احدُ بزيارة اشخاص معينين في المدينة عرفوا بتجاربهم وسعة اطلاعهم على أحوال البلاد وبذلك كونوا لأنفسهم فكرة عامة عن الوضع، في الوقت الذي تحاشوا احتمال الوقوع تحت ضغطٍ أو تأثير أي من الطرفين.

وما ان تيسر فتح التحقيق رسمياً حتى تولى امره أعضاء اللجنة الثلاثة مجتمعاً ولم تقصر اللجنة إستجواباتها على السلطة المحلية والجمعيات السياسية والنقابات المهنية [اطباءً ومحامينَ وتجاراً وغيرهم] ولكنها اتسعت لتشمل كل الطبقات. وطلب من المستشارين كذلك أن يقدم كل منهم قوائم بالشهود الذين يرغبون في ان تستجوبهم اللجنة. ووجدت نفسها في وضع القادر على مواصلة التحقيق بشكل يتيح المجال لكل طبقة من الأهالي ولكل الأفراد من ذوي المكانة والأهمية، التعبير عن رأيه. ولشرح الطريقة التي اتبعت في التحقيقات يجمل بنا هنا ان نقتبس فقرات من خطاب الافتتاح الذي القاه الرئيس بحضور ممثلين عن مختلف الجمعيات والنقابات في الموصل، قال:

«نحن نشكركم من اعماق القلب لزيارتكم هذه. ان اللجنة جاءت لتقوم بتحقيق في قضية الحدود يتسم بالحياة التام. وان رغبتها في ضمان الخير الحقيقي للأهالي هي التي تسدّد خطاها فحسب. واللجنة بدورها تأمل في ان تساعدوها في عملها. كما تتوقع ان تُنقل إليها رغبات جميع الأطراف بحرية. وهي تسترعي إنتباهكم إلى النتائج الخطيرة التي قد يسببها للبلد أيّ ضغط أو ملاحقة يقعان على الأشخاص الذين يدلون بشهادات تناقض رغبات السلطة المقبلة أيّا كانت تلك السلطة. ولنا الثقة في انكم سوف تبذلون كل ما في طوقكم للمحافظة على الهدوء بين الأهالي وان يمتنع الصغار والاحداث الذين لاشأن لهم بالسياسة عن التظاهرات غير المجدية، فهي على ما نعتقد لا تحقق الهدوء والسكينة المنشودتين.»

واستجوب أهم الشخصيات أمام اللجنة بكامل اعضائها بينما جرت مقابلة الآخرين كلُّ على حدة من قبل أعضاء اللجنة منفرداً وبهذه الطريقة جُمع مقدار كبير من

الشهادات. وليس من المبالغة في شيء القول ان اللجنة استطاعت في مدينة الموصل، التوصل الى اكمل ما يمكن الحصول عليه من آراء الأهالي. وبما ان الحكومة التركيبية بنت قضيتها على ضرورة إستفتاء السكان ذوي العلاقة وان الحكومة البريطانية بدورها قد اوضحت أهمية هذا الواقع فأن اللجنة لم تر مندوحة من السعي للحصول على أوسع وادق المعلومات عن رغبات السكان.

وادرک أعضاء اللجنة من البدء بأن شكل السؤال الذي لا مناص من توجيهه اعني: تركيا ام العراق؟ قد يثير مصاعب خطيرة ولاسيما عندما كان يستدرجهم الأشخاص الزائرون بالقاء اسئلة حول ادارة الانتداب والوضع الذي نشأ عن المعاهدة المعقودة بين بريطانيا العظمى والعراق.

وازدادت المصاعب وضوحاً عندما تسلمت اللجنة برقية من رئيس مجلس الوزراء العراقي^(١٧) يحتج فيها على صيغة بعض اسئلتها. فتمسكت اللجنة عندما صاغت ردها بحقها وواجبها في مواصلة العمل دون عائق أو عقبة ليكون تحقيقها شاملاً في كل ما يتعلق بمستقبل البلاد.

وترى اللجنة من الواجب ان تكرر هنا ثانية أن اساليب تحقيقها تستتبع حتماً هياجاً عاطفياً بين الأهالي الذين كانت ثقافتهم السياسية في مرحلة بدائية جداً كما كانت قد تعرضت لحملة دعاية مركزة.

ولاجل التعجيل بعمل اللجنة الذي سبقه ولحقه تأخير لامبرر له بالحوادث التي اشرفنا عليها سابقاً، أتفق ان تتم التحقيقات في الأجزاء البعيدة من المنطقة المتنازع عليها في آن واحد. وذلك بأن تنشعب اللجنة إلى خلايا فرعية. وكان هذا امراً طبيعياً لامفر منه بعد أن استجلينا أثناء العمل التمهيدي في الموصل بأن أعضاء اللجنة الثلاثة متفقون على العمل بطريقة القاء الاسئلة. زد على هذا فكثيراً ما لاحظوا ان الشهود الذين اظهروا بعض تخوف في اجوبتهم عندما جوبهوا بكل اللجنة، عادت ثقتهم اليهم في جو المحادثة الشخصية الاقل رهبة. كما ارتوى ان هذا الأسلوب قد يكون انفع واجدى في احباط اي عمل أهوج تلجأ اليه الشرطة. في الوقت الذي يمنع غياب اللجنة المؤقت فرصة لعودة الهدوء الى المدينة ولو شاءت اللجنة التحرك من موضع الى آخر برمتها فقد ترغمها مصاعب وسائل المواصلات السيئة والافتقار الى أسباب الراحة والبيتوتة،

١٧- كان اذ ذاك عبدالمحسن السعدون.

على البقاء في البلاد مدة اطول بكثير مما يجب عليها ان تبقى وسيتأخر التحقيق بل قد نجابه باستحالة زيارة مناطق معينة. واما بخصوص وجود المستشارين البريطانيين والترك في التحقيقات - وهو امر يعود البت فيه الى اللجنة التي كانت تملك مطلق هذا الحق لتستخدمه بالشكل الذي تراه مناسباً- فما كان يتصور ان تقوم اية صعوبة من هذه الجهة اذ رتب أمر توزيع الخبراء الترك الأربعة^(١٨) على اللجان الفرعية بحسب معرفتهم بمختلف المناطق. في حين كان يوجد للحكومتين البريطانية والعراقية مفتشون مقيمون وموظفون. وما ان أبلغ المستشارون بقرار اللجنة من هذه الجهة حتى تسلمت اللجنة من مستر [جاردين] المذكرة التالية:

«فهم المستشار البريطاني من محادثة له مع سعادة رئيس اللجنة أن فرقة منها ترغب في القيام نهار الاحد القادم بجولة تحقيق مع ممثلين عن الجانبين البريطاني والتركي الملحقين باللجنة. وهو يفهم ايضاً ان الوجهة التي يقصدها أعضاء اللجنة في هذه الجولة ستكون مكتومة. يشعر المستشار البريطاني بأن رحلات اللجنة (مجرد وجود اللجنة وحده كان سبباً في هياج سياسي عظيم كما لا يخفى) ورفقة ممثلين عن كل من الطرفين دون منهاج مسبق للحركة وللعمل، قد يكون له ابلغ التأثير في تدابير المحافظة على القانون والنظام عموماً، وهذه هي ضمن مسؤولية الحكومتين البريطانية والعراقية وبالتالي لا تدخل في نطاق صلاحيته كمستشار، فهو والحالة هذه لا يرى من سبيل غير ابلاغ فخامة المندوب السامي في العراق بهذا الامر، ثم يترتب انتظاراً للتعليمات».

واشار المستشار البريطاني في حديث خاص له مع اللجنة انه يرى من الضروري ان ترافق كل فرقة فرعية، قوة من الشرطة للمحافظة على سلامة اعضائها شخصياً وفي سبيل هذه الغاية يجب ان يعرف مسبقاً الموضوع الذي تقصده كل لجنة فرعية.

فاعترضت اللجنة مع هذه الحجة قائلة ان تطبيقها سيقضي على اي احتمال بالوصول الى تحقيق حيادي. فاجاب [مستر جاردين] انه شخصياً لا يستطيع تحمل مسؤولية

١٨- الى جانب ناظم بگ نبطجي زاده، وفتاح بگ ارسلت الحكومة التركية برفقة المستشار خيرين آخرين هما الملازم (بدري) والراند (كامل بگ) وقد وصف هذا الأخير بأنه من خيرة الضباط وانبههم واعرفهم باحوال كردستان.

ترك الفرق الفرعية تقوم بجولاتها من غير حماية كافية. وطلب من أعضاء اللجنة ان لايتخذوا اي قرار دون استشارة (سِرّ هنري دويس) الذي ينتظر وصوله في اليوم التالي. وفي الثامن من شباط وصل المندوب السامي قادماً من بغداد وجرت مقابلة له كان فيها أعضاء اللجنة وامناء سرهم حاضرين وطلب منه استدعي ايضاً المستشارون البريطانيون والترك اوضح [سِرّ هنري دويس] انه جاء الموصل مؤملاً بان في امكانه تذليل العقبات الناجمة عن الأسلوب الذي استقر عليه رأي اللجنة في التحقيق. وأمل بادئ ذي بدء ان تحدد واجبات المستشارين والخبراء تحديداً واضحاً واستفسر هل ان الخبراء يساعدون اللجنة بوصفهم مترجمين فحسب؟

فأجاب الرئيس ان من واجبات المستشارين ان يكونوا تحت تصرف اللجنة لتزويدها بأية معلومات قد تطلبها. واما وجود الخبراء فهو لمساعدة المستشارين. وعلى اية حال فإن من حق اللجنة إستخدامهم مباشرة لأنها تملك الصلاحية الكاملة في إستخدام كل وسيلة ترتئها للحصول على المعلومات. وليس هناك اي سبب يمنع اللجنة من إستخدام الخبراء للقيام بوظيفة الترجمة إلا ان ذلك لايستلزم ان ينظر إليه وكأنه واجبههم الأساس. وعندها انتقل المندوب السامي إلى مسألة حماية المستشار التركي ويطانته فقال ان المعلومات التي بلغته تشير إلى ان الحزب الموالي للترك يقوم بتنظيم حرس مسلح لمرافقة الجنرال جواد پاشا في غدواته وروحاته وسيكون من واجب الشرطة بطبيعة الحال إلقاء القبض على أفراد هذا الحرس الذي قد يؤدي تجواله الى حوادث شغب وفوضى فألع رئيس اللجنة وعضواها الى ان الشرطة لم تفرّق حتى الان اية تظاهرة قامت تأييداً للعراق ولم تستخدم سلطتها القمعية بصورة حيادية لكنها خلفت إنطباعاً مؤداه ان الشرطة ربما تسامحت ببعض التظاهرات التي شهدتها اللجنة بل ربما اوعزت بها وزاد [الكونت تيليكي] قائلاً يجب ان لايستنتج من اكتفائه بالاحتجاج على الوحشية التي شهدها بانه يقرّ إجراءات الشرطة الأخرى التي اتخذتها.

فأفاض المندوب السامي في شرح سرعة قابلية التهيّج التي اتصّف بها أهالي الموصل الاّ انه اعرب عن امله بأن اللجنة لن تُزعج بعد الآن باية تظاهرات اخرى من هذا القبيل، فأجاب الرئيس ان مثل هذه التظاهرات يؤسف لها لا لأنها مصدر إقلاق لراحة اللجنة بل لأنها سببت قدراً كبيراً من الهياج.

واعرب [سر هنري دويس] عن امله بان اللجنة ستدرك بأن الشكل الذي تابعت اللجنة به تحقيقاتها في الموصل سيؤدي إلى تهديد مقام سلطة الحكومتين البريطانية والعراقية في سائر المنطقة المنازع عليها تهديداً خطيراً. لقد ظهر من التقارير التي وصلت بغداد ان الأسئلة التي وجهتها اللجنة لمعظم الشهود كانت ذات طبيعة من شأنها ان تضعف مكانة هاتين الحكومتين بالإيحاء بأن اللجنة تجمع أدلة ضد الإدارة الحالية.

وسلم بأن وجود البلاد في قبضة إحتلال احد طرفي النزاع يمنع ذلك الطرف موقفاً اقوى من موقف الطرف الآخر ومن شأن هذا ارغام اللجنة على إستخدام كل الوسائل الميسورة للحصول على معلومات يركن اليها عن رغبات السكان الحقيقية.

واقترح ان تعمل اللجنة بتماس اقرب مع المستشارين وان الرأي العام يمكن استطلاعها من خلال السلطات المحلية. فقال الرئيس ان اللجنة ترغب جداً في الأخذ بمقترحات الجانبين إلا انها ستتابع تحقيقاتها بحرية تامة حسبما يمليه عليها واجبها، ومهما يكن من أمر فإن اصول العمل الذي تتبعه اللجنة سيوضع في تقرير يرفع إلى مجلس عصابة الأمم. وختم كلامه بالإشارة إلى ان عمل اللجنة قد عوق إلى حد ما بإجراءات الشرطة التي لا يمكن تبريرها لا أزاء الشهود المجلوبين وحدهم، وانما ضد اللجنة بالذات ايضاً. فعاد المندوب السامي يشير إلى صعوبة المحافظة على النظام وألع إلى واجب الحكومة صاحبة الأمر والنهي في تطبيق القوانين الوضعية على سائر المنطقة التي تخضع لادارتها وتكلم [الكونت تيليكي] بلغة القانون مشيراً إلى ان القوانين العراقية لا يمكن تطبيقها في الارض المنازع عليها إلا بالقدر الذي يتعلق بادارة البلاد والمحافظة على النظام إلا انها غير قابلة التطبيق من ناحية السيادة على البلد.

وأسف المندوب السامي لأية حماسة زائدة عن الحد اظهرتها الشرطة العراقية معتذراً بأنها مازالت في طور التكوين. وقال أنه ثم موضوعاً آخر كان يرى بحثه واجباً. وهو موضوع هام ذو طابع دقيق إلى الحد الذي خالجه تردد في التنويه به، إلا انه يعتقد بانه قد يكون سبباً لاحتجاج حكومته عند وضع التقرير على بساط البحث في مجلس عصابة الأمم: يخيل له ان الحكومة البريطانية قد لا توافق على اعتزام اللجنة القيام بتحقيقات منفصلة في مختلف أنحاء الولاية. فجنسيات أعضاء اللجنة قد توحى بان

مجلس العصابة حاول عند انتقائهم احلال "توازن تام" غير قابل للتجزئة. وكان يخشى ان يبلغ الأمر بحكومته وبالرأي العام الإنكليزي ان يتصورا بأن جنسية أفراد أعضاء اللجنة والمشاعر التي يفترض ان تنطوي عليها جوانحهم ليست خالية من بعض التأثير على إستنتاجاتهم الشخصية.

وشعر الرئيس وهو يتكلم عن نفسه وعن زملائه بأن الواجب يقضي عليه بجلب الإنتباه فوراً إلى ان هذه الملاحظة خارجة عن الصدد ليجيب قائلاً ان المسألة كانت مسألة ثقة وان المجلس اختار أعضاء اللجنة بالإجماع وترك لهم مطلق الحرية في اختيار أسلوب عملهم الخاص وانه في الوقت الذي لا مانع ثم يمنع ممثلي الدول ذات الشأن من توجيه الإنتقادات امام المجلس عند اصدار قراره، فمثل هذه الإنتقادات لا محل لها في المرحلة المحاضرة من عمل اللجنة. واذاف يقول: لو فوتح بهذا الأمر مرة اخرى فستترتب عليه آثار خطيرة!

وافتتحت الجلسة بقرار مفصل اتفق عليه أعضاء اللجنة حول برنامج التحقيق الذي سيتم واعلم المندوب السامي به فوعد بكل مساعدة ممكنة ضمن حدود سلطته.

وارجئت التحقيقات في الموصل مؤقتاً وانشعبت اللجنة فرقاً على ان تجتمع ثانية في كركوك يوم الخامس والعشرين من شباط. وبقي مسيو [آف فيرسن] في الموصل مع كل من [جواد پاشا] و[مستر جاردين] لتابعة التحقيقات في المناطق المتاخمة للمدينة فزاروا القرى حتى سنجار وتلعفر وقره قوش وعقره واستدعوا في المراكز التي توقفوا بها اعيان القرى المجاورة ووجههاها بموجب القوائم التي نظمها مستشاران.

كما قابل رؤساء القبائل العربية القاطنة غرب دجلة وخصهم بالذكر شيخ عشائر شمّر المهمة^(١٩) وياشر [الكونت تيليكوي] تحقيقاته في منطقة أربيل حتى شقلاوه ومخمور يرافقه كل من [ناظم بگ] والضابط السياسي البريطاني [لاين]^(٢٠) و مترجم اللجنة مستر [كرامرزا] قرار من القبائل الكردية: [الذريبي وخوشناو وكوره، وكردى، وشيخ

١٩- هو الشيخ عجيل الياور. توفي في الأربعينات.

٢٠- ميجر لاين: كان في وقته ضابط اربيل السياسي واشغل منصب المفتش الاداري في الحكومة العراقية امداً طويلاً. وكان له دور كبير في احداث كردية سياسية تالية ابقتته في العراق عدة سنوات بعد نهاية الحرب العظمى الثانية.

بزيني [وزار قبيلة طيء العربية وقرى الصارلية.

وباشر [العقيد پاوليس] تحقيقاته في منطقة (كركوك) حتى [چمچمال] يرافقه [صبيح بك] احد خبراء الحكومة العراقية و[كامل بك] احد خبراء الترك واتصل بممثلين عن قبائل العبيد والجبور والطالباني والداووده والكاكائي والهमाواند والپاشواند والسفاراواند وسرخاسه وشوان.

وفي جوار من [كفري] افترق عن [مسيودي پورتاليه] الذي واصل تحقيقاته بمساعدة [فتاح بك] وضابط بريطاني ملم بالمنطقة.

وتنقل [مسيودي پورتاليه] في ارجاء حميرين وزار القبائل الكردية هناك، كالجاف وزنگنه ودولو والطالباني. وزار عشيرة الكراوي العربية وكذلك زار عشيرة البيات. وقابلت اللجنة ممثلين عن ميريوسفي وعباس وسورچي وهركي وخیلاني وآكو وده شتي ديان.

ان الطرق التي سلكتها اللجنة مؤشرة على الخارطة الملحقة.

كانت التحقيقات في قرى والمناطق الريفية وبين القبائل البدوية أصعب منها في المدن حيث الأهالي اقل تجربة في السياسة وأكثر تاخراً في مضامير المدنية. ومن الواجب أن نزيد على هذا قولنا ان القرى وسكان الريف جهلوا القضية جهلاً مطبقاً.

ان أسلوب تحقيق اللجنة كان يتضمن شرح (الغرض) من مهمتها بتعابير بسيطة جداً بالنسبة الى الاشخاص الذين قصدها ومن ثم توجيه الأسئلة اليهم بعد انسحاب المستشارين. ولم يتبع أسلوب واحد في عرض القضية بل كان يستوحى من أحوال الشهود وذكائهم ودرجة ثقافتهم. وقد وثقوا وأكد لهم ان شهاداتهم الخطية ستبقى في سرية تامة. ووجدت اللجنة ان الثقة التي اشاعتها اساليبها زادت في تقدم التحقيق وتنشيطه.

واجتمع شمل أعضاء اللجنة والمستشارين في كركوك أخيراً ومنها توجهوا برمهمتم الى السليمانيه لإكمال التحقيق. وفي طريق العودة من [السليمانيه] الى [الموصل] توقفت اللجنة في كركوك والتون كوپري وأربيل لإكمال ما بدأت من تحقيق سابق قام به بعض اعضائها في هذه الأنحاء.

وفي هذه الأنحاء قابلت شهوداً لم يكن إستجوابهم ممكناً في أثناء الزيارات الاولى التي قام بها أعضاء اللجنة منفرداً.

واستبشرت اللجنة عند عودتها الى الموصل في ١٨ من آذار اذ لم تجد أثراً لرقابة الشرطة، مما ترك الوفد التركي حراً في التجوال وغشيان ارجاء المدينة والقيام بزيارات وقبول زيارات، وعلى الوفد ان يقرر - ولو لم يجن من تلك الحرية فائدة - بان السلطات المحلية لم تضع أية عقبة في سبيل انجاز الجزء الثاني من التحقيق. وتشعر اللجنة بواجب الاعتراف بأن القوائم التي زودتها بها السلطات البريطانية تحوي تفاصيل صادقة عن كل الشخصيات البارزة في مختلف الاماكن بغض النظر عما تعنته تلك الشخصيات من آراء، وإن كانت لصالح الجانب التركي.

وقد استجوبت اللجنة في الموصل خلال دور التحقيق الثاني، علماء المساجد الذين اختيروا من الاحياء الغنية والفقيرة في المدينة دون تفريق ومالكي القرى واصحاب المنازل وسائر المنتجين الثانويين الذين وردت اسمائهم في القوائم التركية القديمة وكل من ظل مقيماً في المدينة من تولى في وقت ما عضوية المجلس البلدي للسنوات العشرين المنصرمة. وبعد ان شارف العمل الختام في الموصل توجهت اللجنة الى زاخو مارة بقرى مسيحية كبيرة في منطقة (القوش) وقرى اليزيدية في منطقة [باغذري].

وفي [زاخو] استقبلت رؤساء ووجهاء المنطقة شمال الخط المتفق عليه في (بروكسل) وجنوبه. ولاسيما مسيحيي القرى في منطقة عشائر (الگويان والجندي) الكردية.

وغادرت زاخو الى دهوك لمواصلة تحقيقها فوجدت الأهالي هناك وقد بلغ هياجهم حداً عالياً فاستدعي الشهود الى مقر اللجنة الذي كان يقع خارج (٢١) المدينة.

وتجمهر خلق كثير هناك وانتشرت اشاعة مؤداها ان سلطات الحكومة انتقلت الى

٢١- يقول ادموندز في وصف الحالة: غصّ الاجتماع بشيوخ القبائل واتباعهم الفرسان المدججين بالسلاح. واندفعت حشود كبيرة الى مجلس اللجنة وتقدموا بلا نظام وهم على ظهور الخيل وكأنهم يشنون غارة. ثم دنا عدد كبير من الاغوات وهجموا على (جواد پاشا) يلثمون يديه ثم شرع الكل بتلاوة آيات مشهورة من القرآن الكريم بقيادة شيخ معروف هو (بهاء الدين) من آل النقشبندي. وتشاء الصدق ان يحاول الخبير التركي اللعب باوراقه لعب تهور وطيش باتخاذ موقفاً صلفاً من أعضاء اللجنة اذ طلب ان يسمح له في الحال ان يتولى السلطة الادارية فانزعجوا من ذلك كثيراً... وكان (جاردين) قد تولى هناك منصب المعاون للمضابط السياسي فترة فهو معروف من زعماء المظاهرة ولم تفت ملاحظة اللجنة توجه معظم المتظاهرين اليه بعد انفشاء الانفجار العاطفي الأول ليشكوا اليه سلوك القائممقام ويمتدحوه هو بقولهم انه الوحيد القادر على ضبط زمام الادارة هنا. [المرجع السالف]

اللجنة. على ان الهدؤ مالبت أن استتب بفضل يقظته الحكومة والإيضاحات التي نشرت. وكما كان الأمر في زاخو قابلت اللجنة في دهوك اشخاصاً من البلدة ومن انحاءها المجاورة أولئك الذين طلب المستشاران استقدامهم. واستجوب في البلدة وجهائها والوفود القادمة من العمادية والأنحاء الشمالية وقد استقدموا منها اختصاراً للوقت. ومن نافلة القول انّ اللجنة لم تحصر تحقيقها باستطلاع آراء الأهالي في موضوع السيادة السياسيّة على الإقليم. فقد كان التحقيق يتضمن في عين الوقت دراسة سايكولوجيته لهم.

وكانت الاسئلة تتصدى ايضاً للمشاكل الاقتصادية والتجارية، تلك التي سعت اللجنة الى مدارستها بشكل دقيق بزيارتها الأسواق والدكاكين ومخازن البضاعة وما اليها في مختلف الاماكن لاسيما اسواق مدينة الموصل وفي طريق رحلتها عنيت بملاحظة المظاهر العرقية والجغرافية والجيولوجية فحصلت على معلومات عن وسائل المواصلات والمحاصيل الزراعية وغيرها.

وفي أثناء اقامتها في الإقليم قامت بعدد من الرحلات الجوية لتكوين فكرة عامة عن البطاح والبوادي ومدى توزيعها السكاني. وحلقت بطائرة أثناء ذلك فوق سائر سلسلة جبال سنجار في حين قامت بدورات طيران ثلاث فوق الحدود الشمالية من زاخو حتى رواندوز وحلقت مرتين فوق جبال [حمرين].

وبعد عودة اللجنة الى الموصل في ١٨ آذار أمضت بضعة أيام في تضيف وتسيوب المعلومات المتجمعة وعندما اعتبرت التحقيق بحكم المنتهى تركت الموصل بالطريق التجارية الى دير الزور ثم الى دمشق^(٢٢) وفي ٢٠ نيسان -الاثنين اجتمعت في جنيف وبدأت بكتابة هذا التقرير.

*** **

ترغب اللجنة في إزجاء شكرها لمستر كرامرز^(٢٣) الاستاذ المحاضر في جامعة [ليدن]

٢٢- في ٢٣ آذار غادرت اللجنة وموظفوها بقافلة سيارات الى بيروت عن طريق دير الزور. وغادر الوفد التركي في عين اليوم الى نصيبين ومنها الى أنقره.

٢٣- الاستاذ جي. إ.ج. كرامرز مستشرق معروف ولد في هولندا ١٨٩١ ظل استاذاً للتركية والفارسية في جامعة ليدين حتى ١٩٣٩ وخلف المستشرق المعروف (ونسنك) استاذاً للعربية هناك اشتغل مترجماً للسفارة الهولندية في تركيا بين ١٩١٥ - ١٩٢١ وساهم في كتابة كثير من =

لخدماته في الترجمة، وللمساعدة القيمة التي قدمها أثناء إعداد الفصول الخاصة بالترك والكرد وطائفة الصارلي.

وفي مجرى عملها استنجدت ايضاً بالمعارف القيمة للذوات التالية اسماؤهم:

العقيد ل. مارتين - رئيس قسم الخرائط في مكتبة الكونغرس (واشنطن).

مستر و. ل. وسترمان - الأستاذ في جامعة كولومبيا (نيويورك).

مستر أ. س. كوليدج - الأستاذ في جامعة هارفرد (ماساشوتس).

مستر يو. اوبرهومر - الأستاذ في جامعة فيينا.

دكتور ف. بيتشمان - مشاور متحف التاريخ الطبيعي - (فيينا).

بروفسّر ج. باومان - مدير الجمعية الجغرافية الأميركية.

مستر ش. اوليگ - الأستاذ في جامعة توينغن.

مسيو كودفروي ديمونييه - الأستاذ في المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية (باريس).

مسيو ي. شيا - الأستاذ في جامعة باريس.

مسيو آ. ديماجيون - الأستاذ في جامعة باريس.

بروفسّر مورتمان - (برلين).

مسيو ج. نيميت - الأستاذ في جامعة بودابست.

مسيو أ. دافيد - الأستاذ المحاضر في جامعة بودابست.

السيد ز. خانزاديان - مدير الدراسات في مكتب الليفانت^(٢٤) التجاري والصناعي (باريس)

الشيخ محمد عبد الرسول - من القاهرة.

ترغب اللجنة في ان تتقدم بالشكر لكل هؤلاء السادة الذين كانوا من الطيبة بحيث

تلطفوا كثيراً فوضعوا كل معارفهم تحت تصرف اللجنة لمساعدتها في عملها. ذلك

الشكر الذي لا نشكّ في ان مجلس العصبة يشاركها فيه.

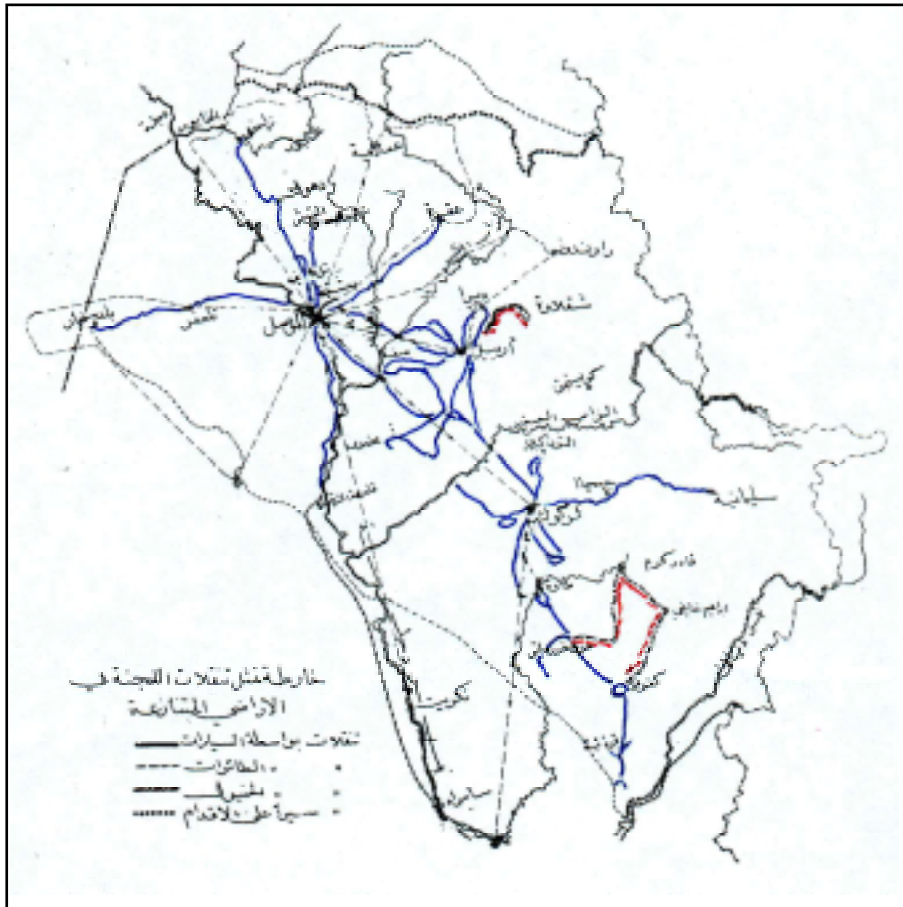
= الموضوعات في دائرة المعارف الاسلامية واعاد طبع كثير من الكتب الجغرافية الاسلامية

القديمة. عرفناه أثناء قيامنا بنقل كتاب (تراث الاسلام) الذي ساهم فيه بقسم (الجغرافية) كان

آخر تأليفه "فن التاريخ عند الترك - ١٩٤٤".

٢٤ - كلمة «ليفانت Levant» التاريخية الأوروبية النجار كانت تطلق على ساحل البحر الابيض

المتوسط الشرقي الذي يمتد من الاسكندرونه حتى غزة تقريباً.



القسم الثاني

دراسة نهج العمل الذي اقترحه الحكومتان

ان النزاع الذي انتدبت له اللجنة لتزويد مجلس العصابة بمعلومات مفصلة عنه، لا يتعلق بجوهر المسألة وحدها بل باختلافات وجهات النظر التي نشأت بين الطرفين حول الأسلوب الذي يجدر بها اتباعه لتسوية موضوع النزاع الرئيس.

كانت الحكومة التركية منذ مؤتمر لوزان تحبذ إجراء إستفتاء للأهالي ذوي العلاقة وتراه الوسيلة العادلة الوحيدة لتسوية النزاع. في حين بدا من الحكومة البريطانية ما يشير إلى انها تفضل تعيين لجنة لجمع كل ما تقوى على جمعه من معلومات تراها ضرورية. ولم ينزل الممثل التركي عن رأيه بتفضيل أسلوب الإستفتاء عندما قرر مجلس العصابة بتعيين لجنة التحقيق وإن كان الممثل قد قبل بأسلوب التحقيق المقترح. على أنه شدد بصورة خاصة على رغبة حكومته في ان تبدأ لجنة التحقيق المرسله، بدراسة افضلية الأسلوبين المقترحين في إيضاح آراء سكان ولاية الموصل السياسية.

وبعد ان طلب المجلس ان تؤخذ آراء الأطراف ذات العلاقة بعين الاعتبار حول الطريقة التي سيتم اتباعها، شعرت اللجنة ان الواجب يقضي بشرح الرأي الذي كونه لنفسها عن هذه المسألة قبل ان تتناول المسائل المتعلقة بالقضية الأساسية. وهي ترى على كل حال ان تمهد لعرض إستنتاجاتها بخلاصة لحجج الحكومتين:

- 1 -

خلاصة لأسانيد الحكومة التركية

« ليس من العدل في شيء ان تخضع قضية يمثل هذه الأهمية، أو يودع مصير عدد كبير من الأهلين إلى عملية تحكيم. ان اللجنة قادرة دون شك على تشييت عدد معين من الحقائق. إلا ان وجهة نظرها بخصوص رغبات السكان ستكون دائماً موضع شك ولن ترقى إلى قوة الإستفتاء القاطعة التي لا تقبل جدلاً. إن أي لجنة بالغ ما بلغت من

القدرة، لا تقوى إلا على استطلاع رأي قلة من الناس تمثل جانباً صغيراً من الرأي العام ولن تكون في وضع يؤهلها لاستكناه رغبات السكان الحقيقية ولن تكون نتائجها ناقصة فحسب بل من المحتمل ان تؤدي إلى إستنتاجات منافية لروح العدالة. إن تسوية النزاع سيؤثر حتماً على مصالح مئات الآلاف من الأهالي. فالعدل والحكمة السياسية معاً يلبان واجب اعطاء هذا العدد الكبير من الأهالي الفرصة في تقرير مستقبلهم بحرية. إذ لا يمكن ان ينتقل سكان اي بلد من سيطرة دولة إلى سيطرة اخرى ضدّ رغبتهم.

وفي حالات مماثلة أقرت طريقة الإستفتاء لتقرير مصير المنطقة المنازع عليها كما حدث لـ (سيليزيا العليا) و (حوض السّار) وأجزاء من بروسيا الشرقية ومقاطعتي (شلزفيك) و (كلاغنفورت) وغيرها. ان الشعوب الشرقية لن تدرك السبب في تمييزها بالمعاملة عن سائر شعوب أوروبا.

وإذا كان استشارة شعب العراق بخصوص إنتخاب الأمير فيصّل ممكناً فمن الصعب ان يفهم أية عقبة كأداء تلك التي تمنع استشارة مماثلة في مسألة تفوقها أهمية بما لا يقاس: مسألة إقحام شعب في جسم هذه الدولة أو تلك. ان رفض الحكومة البريطانية مبدأ الإستفتاء قد يكون معادلاً لاقرارها بضعف قضيتها وبطلان مزاعمها ودليلاً على موالاتة السكان لتركيا.

*** **

جاء في المذكرة التركية المرفوعة في ايلول ١٩٢٤: الوثيقة س ١٩٢٤/٤٩٤- (٧)... وهناك سبب آخر قد يثبت ان إستفتاء سكان ولاية الموصل هو امر أساسي، هذا السبب يمكن استخلاصه من التناقضات التي حفلت بها الوثائق البريطانية والمعلومات المتعلقة بالإستفتاءين الخاصين الذين أجريا في ١٩١٩ و ١٩٢١ في العراق: «أ- قال اللورد كرزن^(٢٥) في معرض الردّ على ملاحظة عصمت باشا^(٢٦) في لوزان

٢٥- جورج نثنائيل كرزن [١٨٥٩-١٩٢٥] من رجال السياسة البريطانيين المعدودين. رجل دولة عرف بخبرته في الشؤون الآسيوية. قلد منصب نائب الملك في الهند [١٨٩٨-١٩٠٥] ووزارة الخارجية أكثر من مرة بين [١٩١٩ و ١٩٢٤].

٢٦- عصمت اينونو [١٨٨٤-١٩٧٣] قائد عسكري ورجل دولة. رفيق لمصطفى كمال أتاتورك تقلد منصب وزارة الخارجية ورئاسة الحكومة ثم رئيس الجمهورية التركية (١٩٣٨-١٩٥٠).

بتأريخ ٢٣ كانون الثاني ١٩١٩: استفتت السلطات البريطانية أهالي ولايات بغداد والبصرة والموصل عن رغبتهم، أفي البقاء وحدة أم في الانفصال بعضهم عن بعض؟ فردّ سكان المناطق الثلاث بأنهم أعضاء في كل لايتجزأ، وشجبوا الانفصال. وفي الوقت عينه طلب منهم ان يحزموا أمرهم على إنتخاب شخص عربي ملكاً عليهم فلم يكن ثم إجماع. وعلى كل حال فعندما استفتي هؤلاء في إنتخاب الأمير فيصل بالذات ملكاً على العراق في العام ١٩٢١ أجمع سكان ولاية الموصل على قبوله ملكاً! كما ذكر المندوب السامي [محاضر مؤتمر لوزان: المجلد الأول، ص ٢٨٩].

«ب- وأشار اللورد كرزن في هذا الحديث بالذات إلى العنصر التركي في الولاية فقال [ان كل هؤلاء السكان بإستثناء لواء كركوك قد صوتوا محبذين انضمامهم إلى المملكة العراقية وقبول الأمير فيصل ملكاً] المحاضر نفسها: المجلد الأول، ص ٢٩٢.»

«ج- في مذكرة سلّمت إلى [عصمت پاشا] في ١٤ كانون الأول ١٩٢٢ أشار (اللورد كرزن) ثانية إلى الإستفتاء المتقدم ذكره وعرض التفاصيل الأخرى عنه بقوله [ان الإستفتاء شمل الولاية كلّها بإستثناء كرد لواء السليمانية ومناطق رانيه وراوندوز وهم يؤلفون كتلة متراسة من شعب يختلف إختلافاً تاماً عرقياً ولغوياً ويتطلب بدون شكّ معاملة خاصة وإنّ اصوات المناطق العربية والمناطق الكردية التي تجاورها والبلدان التركمانية كلها بإستثناء (كركوك) حبّدت الإنضمام إلى الدولة العراقية، ومبايعة فيصل على عرش العراق] الكتاب الأزرق «تركيا» ١٩٠٣، [ص ٣٦٧].

وفي الصفحة ٣٧١ من الوثيقة نفسها نجد أهالي الولاية قد صوتوا بالاجماع في العام ١٩١٩ محبذين (الإبقاء على وحدتهم مع بغداد والبصرة) ثمّ وفي العام ١٩٢١ عاد كل العرب وكرد المناطق المتاخمة، وسائر التركمان [باستثناء مدينة كركوك] ليصوتوا ثانية على الإنضمام إلى دولة العراق واختاروا الأمير فيصل ملكاً لهم.

من هذه الوثائق المختلفة يُفهم ان كل أهالي ولاية الموصل ويضمّنهم أهالي السليمانية قد صوتوا بالاجماع على الإتحاد ببغداد والبصرة وان العرب والكرد

قاطبةً (باستثناء كرد السليمانية كما هو واضح) وكل الترك (باستثناء منطقة كركوك كما هو واضح أيضاً) صوتوا إلى جانب ذلك الاتحاد وعلى تمليك الامير فيصل عليهم.

«د- وفي جواب عصمت پاشا على المذكرة المتقدمة، أكد ان سكان سنجق (لوائي) السليمانية وكركوك رفضوا التصويت حول إلحاقهم بالعراق وعندها بادره اللورد كرزن بالرد قائلاً ان أهالي منطقة السليمانية لم يرفضوا التصويت على ادخالهم في الدولة العراقية اذ لم يطلب منهم أساساً التصويت على إنتخاب الامير فيصل للأسباب التي تناولتها مذكرة ١٤ كانون الأول.»

«ه- ان التقرير الرسمي حول الادارة في العراق [تقرير حول الادارة العراقية: تشرين الأول ١٩٢٠- آذار ١٩٢٢، ص ١٢] يتضمن الفقرة التالية: "إن قسم السليمانية رفض بشبه إجماع كل شكل من اشكال الانضمام الى الحكومة العراقية. وبقي بمحض رغبته تحت الإشراف البريطاني المباشر المتمثل بضابط سياسي بريطاني يتولى ادارته..."

«و- ونجد في عين التقرير (ص ١٥) ان "لواء السليمانية قرر رفض المشاركة في إنتخاب ملك للعراق. ومن نتيجة الإستفتاء ظهر أن ٩٦٪ من الاصوات تجبذ إنتخاب الامير. فتكون نسبة الراضين ٤٪ من مدينة كركوك أتراكاً وكرداً بالدرجة الأولى، وفي الوقت الذي رفض لواء كركوك ترشيح الأمير لم يجمع رأيه على بديل».

«ز- الظاهر إن تغييراً طرأ على الحجج البريطانية منذ صدور هذا التقرير الرسمي. فالمذكرة التي قدمت الى المجلس في آب ١٩٤٤ توضح ان سنجق السليمانية استثني من كلا الإستفتاءين. وفي كركوك رفضت (المدينة وحدها) التصويت على الانضمام الى العراق تحت حكم الملك فيصل.

يستخلص من هذه الوثائق ان سنجق السليمانية رفض فعلاً كل شكل من اشكال الضم أو الإلحاق بالعراق، وان سنجق كركوك رفض رفضاً باتاً قبول حكومة الملك فيصل. وبعبارة اخرى ان هذين السنجقين اللذين يمثلان ثلث بل نصف مجموع أهالي الولاية الكلي بحسب الإحصاءات التركية، صوتت ضد الاتحاد مع العراق.

ونظراً الى ظروف بقية أهالي الولاية غير العادية في وقت الإستفتاء فمن المعقول الإستنتاج بأنه يصعب الزعم بان أهالي ولاية الموصل صوتوا كافةً لمصلحة اي شكل من الاتحاد بالعراق حتى من وجهة نظر الحكومة البريطانية. وكل هذه الإعتبارات توضح ضرورة اتخاذ طريقة الإستفتاء لمعرفة رأي اهل الولاية. «
واما عن اساليب إجراء مثل هذا الإستفتاء فإن المذكرة التركبية لم تقدم الا القليل من المقترحات وقد ضمنت تفاصيلها في معرض الردّ على اسئلة اللجنة:

وافتح الردّ بهذه المُحاجة: اذا أُريد للإستفتاء ان يكون حقيقياً وبالتالي شرعياً. فمن الواجب أن يتم باستبعاد أيّ ضغط خارجي ممكن على المستجوبين. ولهذه الغاية تقترح المذكرة التركبية على أية لجنة محايدة أن تتأكد اولاً من ان ولاية الموصل هي حقاً في "ايدي الأهالي أنفسهم" كما نوه اللورد كرزني في لوزان [المحاضر. المجلد الاول ص ٢٩٠] كما سيكون من واجب تلك اللجنة ان تدقق في كل منطقة نسب القوميات المختلفة الى مجموع السكان العام.

ويتحقق هذا ويتقديم الحكومة تعهداً بالاتساح لاية طائرة حكومية بالتحليق في سماء الولاية أثناء فترة الإستفتاء، قد يمكن الأخذ بالتصويت شريطة ان يُبادر بملء مناصب موظفي الحكومة العاملين مؤقتاً باشخاصٍ ينتخبهم الأهالي ويختارهم المجلس المحلي في كل موقع.

ليس هناك سبب للخوف من الفوضى واختلال النظام كما تتكهن به السلطات البريطانية فالنظام في كل عشيرة يحافظ عليه تنظيم عشائري خاص وفي البلدان والريف تجند لهذا الغرض قوات محلية مع مراعاة نسبة القوميات التي يتألف منها السكان وتوضع هذه القوة تحت تصرف المجالس المحلية.

ان الحكومة التركبية تفضل طريقة الإقتراع المباشر الفردي فهو أدق إعراباً عن رغبات الأهالي. واما الأسلوب العملي لهذا الإقتراع فهو ان يُعطى كل مقترح قطعيتين من الورق طبع العلم التركي على واحدة، وطبع على الأخرى العلم البريطاني ثم يطلب القاء أي ورقة يفضلها منهما مشيراً إلى الدولة التي يريدتها.

أما عن القبائل البدوية فالتمثيل المباشر قد يكون مقبولاً عندما لا يكون مندوحة منه. ويجب ان تمثل كل ناحية دائرة إنتخابية.

ويجب ان يكون لكل من الحكومتين التركية والبريطانية عدد مساو من الرقباء على اللجنة المشرفة.

ولاتفوت الحكومة التركية الاشارة الى ان أهالي ولاية الموصل كانوا دائماً ينتخبون مندوبين الى البرلمان التركي وقد اعتادوا الإقتراع منذ وقت بعيد.

- ٢ -

خلاصة لأسانيد الحكومة البريطانية

ننتقل الى حجج الحكومة في رفض الإستفتاء. وسنوردها بتفاصيلها التي وردت في معرض رد وزارة المستعمرات البريطانية على المذكرات التركية وقد وضع تحت تصرف اللجنة.

«أ- بإستثناء المجتمعات التي قطعت مرحلة عالية في مضمار الثقافة والمدنية، واستقامت في احسن تنظيم، فإن كل إستفتاء سيقع حتما تحت تأثير عوامل سياسية وقومية بالدرجة الأولى. أو ستحيد بها عن القصد إعتبرات أنية ومحلية كنزاع على اراضٍ أو كفرض ضريبة جديدة، أو حملة دعائية لايتسع الوقت لإخمادها. فاذا قرر اللجوء الى الإستفتاء لغرض تعيين الحدود بين تركيا والعراق فذلك يعني ان المستفتى الأمي لن يعير الإهتمام الكافي للعوامل السوقية والجغرافية والاقتصادية والإدارية.

«ب- لمثل هذه الأسباب لم تطالب الحكومة البريطانية بحدود تبعد مسافة كبيرة نوعاً ما عن شمال الخط الذي اقترح فعلاً ولذلك وفي حالة إعتبار الإستفتاء أفضل طريقة للوصول الى حل فإن الحكومة البريطانية تجدد نفسها ملزمة ان تطرح الأسباب التي الجأتها الى إستثناء مساحة كبيرة من الأرض شمال ولاية الموصل من دولة العراق لتطالب بإجراء إستفتاء في هذه المنطقة أيضاً وهذه المنطقة تشمل الجزء الاكبر من موطن الآثوريين الأصلي وستشمل كذلك البلاد المسكونة من بعض القبائل الكردية التي فاتحت الحكومة العراقية برغبتها هذه فضلاً عن قبائل اخرى عربية. ان قسماً من الآثوريين الذين كانوا يعيشون في هذا الأقليم سابقاً

استقروا في العراق. إلا أن كثيراً منهم في الوقت الحاضر مشتتون في أرجاء روسيا والقوقاس وغيرهما ولا مناص طبعاً من القيام بمحاولة استطلاع آرائهم. ومهما يكن من أمر فليس من الانصاف في شئ تبني الاقتراح التركي بقصر الإستفتاء على ولاية الموصل.

«ج- ان اية محاولة لضمان اقتراح يوثق به، يقتضي سحب كل القوات التركبية والعراقية والبريطانية المسؤولة الآن عن حفظ النظام خارج المنطقة. أما الاقتراح الذي ورد في الصحيفة الخامسة من المذكرة التركبية القاضي باناطة قيادة القوات المحلية بضباط محايدين وان تستخدم تلك القوات لحفظ الأمن وضمان جو حيادي، فهو اقتراح غير عملي، لأنه يستلزم استبدال كل القوات المرابطة الآن بقوات اخرى محايدة تماماً وليس من السهل العثور على تلك القوات المحايدة الكفيلة بالمحافظة على النظام حتى في الظروف الاعتيادية في مثل هذا الأقليم الجبلي الوعر. ولاشك في ان مباشرة عملية الإستفتاء ستواكب حملة دعائية تركبية قوية وقد يكون من الصعب ان لم نقل من المستحيل منع الحكومة العراقية من حق المقابلة بالمثل. ومن السهل جداً تصور الهياج الذي سينجم عن ذلك. فيتضح والحالة هذه أنه يقتضى عدد كبير جداً من القوات المحايدة للمحافظة على النظام.

«د- مهما أبلغ عدد هذه القوات وكيفما كانت فعاليتها ومجهوداتها في منع اية محاولة للتدخل، فمن المشكوك فيه الوصول الى تعبير صحيح يعتد به لآراء قبائل الحدود الشمالية من العراق في الوقت الحاضر، لأنها تدرك المخاطر التي ستعرض لها اذا ما صوتت ضد الانضمام الى تركيا.

"ان الآثار المدمرة التي ستنتج عن تسوية نزاع حدود بطريق الإستفتاء يمكن التكهن بها من واقع التجارب الماضية. فأقلية المقتربين ستقع حتماً تحت طائلة العقاب والملاحقة. اذ سيوضع ولاؤها للدولة التي ضمت اليها خلافاً لرغبتها موضع شك، وستعرض علاقاتها بالجماعات التي اقتدرت ضد وجهة نظرها الى أخطار لا يمكن الاستهانة بها. هذه محاذير يجب انه يحسب حسابها، لم تنج منها حتى تلك البلاد الأوروبية التي قامت عصبة الأمم بتشبيت حدودها بطريقة الإستفتاء؛ فاذا كان الخطر حالاً وواقعاً في أوروبا، فكم سيكون مبلغه في بلاد

بعيدة حيث يقل تأثير الرأي العام العالمي وتضعف قوته الكابحة بحكم موقع تلك البلاد؟

ولو سلمنا جدلاً بجدوي الإقتراع السري في القبائل الجاهلة فإن نفعه لا يوازي مضاره الخطيرة. اذ سيفترض دوما ان المقترعين من أفرادها انما صوتوا بوحى من آرائهم السياسية والقومية المعروفة جيداً.

«هـ- ان الإستفتاء قد يكون حلاً عملياً لمشاكل يمكن صوغها بشكل اسئلة بسيطة ليس إلا، أي بترك الاختيار للمقترح محصوراً في عدد محدود من الخيارات. ومن الجلي ان مشكلة كمشكلة حدود لا يمكن ان يعبر عنها بهذا الشكل. وبهذه الحقيقة وحدها يكون القضاء المبرم على الحجة التركبية القائلة: بما أن مسائل معينة طرحت للإقتراع العام في العراق فلا يعود للحكومة البريطانية حق في اصرارها على عدم جدوى الإستفتاء في القضية الراهنة. ان الاسئلة التي تضمنتها تلك الإستفتاءات كان يمكن صياغتها بشكل بسيط كما نوهنا. وقد تم ذلك فعلاً.

«و- في الإستفتاءين السابقين لم تُطلب الاجابة عن مجرد اسئلة بسيطة بل عن اسئلة لم تكن اراء اي طائفة من السكان ذوي العلاقة معروفة عنها مسبقاً وبشكل جازم. زد على هذا ان أهالي لواء سليمانيه الكرد كانوا قد استثنوا من الإستفتاء في كلتا المناسبتين. اما القضية الراهنة فإن اراء قسم كبير من الأهالي في مصير ولاية الموصل كما وصفتها الحكومة التركبية قد عرف جيداً، فالكرد هم نصف سكان الولاية. أما النصف الآخر: فالعرب فيه ثلاثة اسداس النصف الثاني فقط. ومن الصعب نكار رغبة العرب في البقاء داخل دولة عراقية. وهناك سدسا النصف الثاني ويشار اليهم بالاقليية غير المسلمة وهم اليزيدية واليهود والمسيحيون. وكثيراً ما اعرب اليزيدية بحماسة عن رغبتهم في البقاء ضمن العراق وهذا ما يصدق أيضاً على اليهود والكلدان المسيحيين. اما الآثوريون النساطرة فهم يفضلون ان لا يكونوا في تركيا أو في العراق. ولكنهم اعلنوا على كل حال اعتزامهم رفض العودة الى الحكم التركي. ولو انهم منحوا ضمانات كافية لفضلوا البقاء في دولة تكون على الاقل تحت الحماية أو الوصاية البريطانية لفترة محدودة من الزمن. واما السدس الباقي فيتألف من التركمان

القائمين بخفض عيشهم في ظل النظام الجديد. ولتفترض جدلاً ان الرغبة تجمعهم في العودة الى تركيا.

وهكذا يبدو ان رغبات نصف السكان معروفة جيداً. فالإستفتاء بالنسبة الى هذا النصف لاجدوى منه على الإطلاق. ويتأليف النصف الثاني من الكرد واغلبيتهم الساحقة قبائل بدائية يصعب عليها التعبير عن آرائها ووجهات نظرها تعبيراً واضحاً.

- ٣ -

القرار

علينا بالدرجة الأولى أن نقرر أساس موضوع النزاع ومن ثمّ نعين حدود المنطقة التي يراد ان يشملها الإستفتاء، وبعدها نأتي الى التأمل في طبيعة إستفتاءي السنة ١٩١٩ والسنة ١٩٢١ اللذين أجريا في ولاية الموصل السابقة.

ان الوثائق البريطانية ليست واضحة تماماً في هذه النقطة الأخيرة، فإستخدامها تعابير وصيغاً معينة قد تميل بالمرء الى الظن أن إستفتاءً من نوع ما، قد جرى فعلاً (استخدمت كلمة «إستفتاء» في وثيقة واحدة على الاقل). وانه لم يجر في سائر المنطقة لأسباب ما.

إذا كان الأمر كذلك فإن الإعتراضات على المقترحات التركيه تفقد قدراً كبيراً من مَضائها. إن امكن القيام بالإستفتاء قبل سنوات قليلة فما الذي يمنع تكرارها، واي سبب وجيه ذاك الذي يحول دونها والأحوال العامة اليوم افضل من أحوال أمس؟ بالعكس، يجب ان يعطى لحجج الحكومة التركيه إهتمام جدّي: اولاً لأن آراء الأهالي التي يُعلق عليها الطرفان أعظم الأهمية سيتم التوصل إليها بشكل أقرب إلى الصحة وأدعى إلى الثقة. وثانياً ان الإستفتاءين السالفين لم يشملا الأقليم كلّهُ. وفي اوضاع سياسيّة غير مستقرّة تدعو إلى بسط سيطرة إحتلال عسكري حازمة، لا يمكن ان يعتبر دليلاً قاطعاً على رغبات الأهالي كما لاحظت ذلك الحكومة التركيه بأصالة من رأيي. وعند هذه النقطة تشعر اللجنة بأنها ملزمة بالإقرار بعجزها وعدم امكانها مشاركة الوثائق البريطانية والخطابات المتبادلة وجهة النظر التي أكثرت من عرضها وهي

استحالة القيام بإستفتاء، لأن القضية مدار البحث هي مشكلة حدود لا مشكلة مصير ولاية الموصل. صحيحٌ جداً أن النزاع يرتبط في النهاية بقضية الحدود. لكن هناك عاملين آخرين لا يمكن اغفالهما. ففي المقام الأول: من الواضح أن الأراضي الواقعة بين الخطين اللذين اقترحتهما الحكومتان البريطانية والتركية على التوالي، تبلغ من السعة حداً لا يمكن معه القول ان القضية قضية تعيين حدودٍ ليس الأ.

هذه الترخوم تشتمل ارجاء تزيد عن مساحة ولاية الموصل ويسكنها أناس يبلغ مجموعهم ثمانمائة ألف نسمة. وفي المقام الثاني يقول الواقع ان كلا الطرفين طلب من عصبة الأمم تسوية النزاع وأقرراً للمجلس بمُطلق الحرية في اختيار أحد الأسلوبين المقترحين أو تقرير أي حلٍ وسط. ولما كان الأمر كذلك أفما هو من قبيل المماحكة إذا زعمنا ان المسألة لا تأثير لها على مستقبل عدد كبير من الناس؟ وان طبيعة القضية موضوع البحث تجعل أي إستفتاء ضريباً من المحال في إجراء أي إستفتاء يبدو من المعقول جداً الموازنة بين احتمالات شتى سواء أأجرت السلطة المحتلة إستفتاء سابقاً أم لم تجر.

وليس بوسع اللجنة كذلك، ان تسلّم بالحجة البريطانية القائلة بقصر الإستفتاء على منطقة معينة الحدود. ان الإقليم المنازع عليه مثبت الحدود ومعرف أحسن تعريف. ولا مندوحة من الاشارة إلى ان الطرفين قبلاً سلفاً بقرار المجلس، وكان من بين التعليمات التي زودت بها اللجنة ان الإستفتاء لا يمكن استبعاده بدهاء. ولهذا لا يمكن الاعتذار عن الحكومة البريطانية لادعائها بحق شمول النزاع أراضي لم يكن مصيرها داخلاً في موضوع المناقشات. ولأجل القاء المزيد من الضوء على طبيعة الإستفتاء السالف طلبت اللجنة من الحكومة البريطانية ومن سلطاتها في العراق المزيد من التفاصيل.

ويبدو من المعلومات التي بعثت بها انه لم يجر إستفتاء لا في السنة ١٩١٩ ولا في السنة ١٩٢١ وكان الأسلوب الذي اتبع عموماً في كليهما هو جمع الوجهاء ورؤساء القبائل ومثلي القرى ومن لف لفهم وأخذ آرائهم. الا انه لم يجر أي إقتراع أفردياً كان أم سرياً. ففي الإستفتاء الأول جمع المصوتون حسب الأفضية وطلب منهم الجواب عن الأسئلة الثلاثة التالية: (١) هل يفضلون حكم دولة عريضة موحدة تحت الوصاية البريطانية تمتد من الحدود الشمالية لولاية الموصل إلى الخليج الفارسي؟ (٢) وإذا كان

الأمر كذلك، هل يحبذون ان يناط حكم الدولة الجديدة بأمير عربي؟ (٣) فإذا كان الجواب بالإيجاب فمن يقترحون؟

ان نشرة «مجمع اعمال الادارة المدنية لبلاد ما بين النهرين» المطبوع في العام ١٩٢٠ ذكر ان القبول حصل بصدد السؤال الاول في حين انشعبت الآراء بصدد السؤالين الأخيرين وسلكت سبلاً شتى.

وفي الإستفتاء الثاني شارك زعماء العشائر المعترف بهم من أفراد عشائرتهم أو من الحكومة. وشارك الأعضاء الذين كانوا قد اشغلوا عضوية في المجالس الإدارية السابقة بالانتخاب وفق القوانين السارية، وأعضاء المجالس البلدية المعترف بها من قبل العموم، والمختارون والوكلاء المخصوصيون على ادارة القرى الذين اختارهم الملاكون. وفي المدن والمناطق والقصبات شارك الأفراد الذين اثبتتهم الحكومة في وظائفهم، فضلاً عن الوجهاء والرؤساء الروحانيين.

ثم طلب من هؤلاء الممثلين الإجابة عن السؤال الموجه إليهم والتوقيع على الوثيقة التالية:

«نحن الموقعين أدناه، سكان ناحية (او محلة، أو قضاء) مدينة
في لواء..... قد سمعنا ووعينا وتفهمنا تماماً قرار مجلس الدولة
المذكورة اعلاه. وكانت النتيجة ان (.....) اعلنوا موافقتهم على ما
جاء فيه ويعبرون عن ولائهم للأمير فيصل في حين أبدى (.....)
معارضتهم أو مخالفتهم لذلك.»

[التواقيع]

هذه التفاصيل اوضحت ان الشكل الذي جرى به الإستفتاء لم يكن من شأنه تأمين إستقلال الإقتراع وحرية.

واما حول إستنتاجات الحكومة التركية المستخلصة من موقف لوائي كركوك والسليمانيه فيبدو مؤكداً ان الأول منهما شارك في الإستفتاءين فاقترح في اولهما كتلة واحدة الى جانب الانضمام الى العراق وفي ثانيهما صوت لصالح اعتلاء الملك فيصل بإستثناء مدينة كركوك.

واما عن لواء السليمانيه فقد تاكدت اللجنة انه لم يشارك في كلا الإستفتاءين

لأسباب فائقة للعادة غير واضحة في الوثائق بخصوص إستفتاء العام ١٩٢١ سوى ماورد في الصحيفة (١٥) من كتاب [تقرير عن الادارة العراقية: من ١٠ تشرين الأول ١٩٢٠ حتى آذار ١٩٢٢] قوله «ان لواء السليمانيه قرر الأ يشارك في إنتخاب ملك للعراق» إلا ان الجواب البريطاني على المذكرة التركيه المسلم للجنة لم يؤيد هذا النصّ وعلل الأمر بان وضع السليمانيه وقت الإستفتاء الثاني كان محكوماً بالبند الرابع والسنتين من معاهدة [سيقر] التي نصت على تشكيل دولة كردية مستقلة في بعض المناطق المتجاورة. ونزولا عند هذا وجد من الأوفق اخراج هذا اللواء الكردي الخالص الكردية في القطر العراقي من عملية الإستفتاء. ويتضمن الجواب إيضاحاً للعبارة التالية من عين التقرير المتقدم ذكره [ص ١٢] «قسم السليمانيه أجمع تقريباً على رفض اي شكل من اشكال الضمّ الى الحكومة العراقية» وذكر الجواب ان هذه العبارة تشير الى حوادث تالية وقعت بعد نشر بيان المندوب السامي الذي عرض على الشعب الكردي فرصة الاعراب عن رغباته.

ومهما يكن من امر فالجدير بالملاحظة ان هذا البيان نشر في السادس من آذار ١٩٢١ اي قبل الإستفتاء الثاني. وعلى اية حال فينبغي لنا أن ندرك بان الموقف الذي اتخذه أهالي السليمانيه يرجع أساساً الى رغبتهم في الإستقلال أكثر مما يعزى الى ميلهم نحو الترك.

ما ان وصلت اللجنة منطقة النزاع، حتى شرعت في استطلاع كل الاحتمالات لإجراء إستفتاء وكانت عند تحقيقها مع ممثلي الأهالي قد وضعت نصب عينها الى حدّ ما التثبت من سلامة الفكرة. إن اللجنة لم تستطع قبول الحجج البريطانية - التي لا ترى ضرورة للإستفتاء - قبولاً لا تحفّظ فيه، لأن وجهات نظر نصف الأهالي كما زعمت - معروفة جيداً، والنصف الآخر - بقليل من الإستثناءات قاصر لا قدرة له على التعبير عن وجهات نظره تعبيراً واضحاً. إن اولى هذه الحجج هي تأكيد غير مدعم بأي دليل وثانيها لا يمكن تمحيصه الا موقعياً.

صحّ عزم اللجنة على إجراء إستفتاءات تجريبية في مركز أو أكثر من المراكز التي يتمّ اختيارها وطلبت من المندوب السامي البريطاني في بغداد ان يتخذ إجراءات معينة قامت هي بتخطيطها في سبيل انجاز هذه التجارب، لكل ما يؤمن حريتها وحيادها

وقيمتها واهليتها للثقة. لكن هذه التجارب فقدت قيمتها بعد الخبر التي اكتسبتها اللجنة أثناء قيامها بعملها.

في الواقع لم تلبث اللجنة حتى اقتنعت بقوة الحججة البريطانية التي اثبتت بصورة لامطن فيها المصاعب العملية التي يتعذر تذييلها لإجراء إستفتاء ومدى الشك الكبير الذي ستخلقه نتائجها في النفوس.

ليس هناك شك في ان ادارة البلاد التي تباشرها كلتا الدولتين ذات العلاقة قد يكون لها تأثير على الأهالي ولذلك كان من الواجب إقامة ادارة مؤقتة محايدة. على ان الإقتراح التركي الذي يقول باملاء المناصب الحكومية باشخاص يختارهم الأهالي أو تختارهم المجالس البلدية في كل منطقة قد لا يضمن حياد السلطات ولا يؤمن المحافظة على النظام في بلاد تسهل إثارة عواطف الجماهير بحملة دعاية نشطة لا يستبعد ان يساهم فيها الموظفون المشار إليهم وحيث يوجد هناك كثير من المصالح الخاصة المتضاربة، بل ان اختيار هؤلاء الموظفين سيؤدي بحد ذاته ودون شك إلى إشاعة حالة من الاضطراب والإخلال بالنظام.

ومن الواجب ان تُدعم السلطة المحايدة المقترحة بقوة كبيرة من الشرطة، هذه القوة لا يمكن استعارتها من الجيش البريطاني أو التركي أو العراقي أو من شرطتها وانما يجب ان يؤتى بقوات محايدة لا يكون عملها قاصراً على المرابطة في المدن الرئيسية بل ان تساق ارتالاً قوية الى الجبال الكردية حيث كل فرد هناك مدجج بالسلح حتى في زمن السلم وليس هناك جدوى في المحافظة على نظام بتشكيلات عشائرية أو بمعونة القوات المحلية التي تمثل مختلف قوميات الأهالي تمثيلاً يتناسب مع عددها كما تقترح الحكومة التركية. ان إجراء كهذا ربما جرّ الى حرب اهلية.

إن لم يتسن تحقيق هذه الشروط الجوهرية ونعني بها ادارة محايدة وقوات من الشرطة محايدة، فعلينا ان نتوقع حوادث شغب كثيرة ومحاولات ضغوط شتى تقوم بها الاحزاب السياسية. وقد يؤدي الأمر الى سفك دماء. ولو تكلفت عملية الإستفتاء بالنجاح مع كل الضمانات الممكنة لحرية التعبير عن الرأي، فلن يكون مردوده انعكاساً صائباً لميول السكان، هذا إن كانت لديهم اية ميول!

*** * * *

التعليم في مرحلة متخلفة بدائية، ونظام المجتمع إما أقطاعي، وأما بُني على غرار مجتمعات القرون الوسطى، ولذلك سيبني معظم السكان آراء زعمائهم القبليين أو اسيادهم الاقطاعيين وهم عماد حياتهم. ولو كانت لديهم آراؤهم الخاصة فهؤلاء الاسياد سيصدرون اوامرهم حول إتجاه الإقتراع الذي يريدونه. وسيتأثر الإقتراع ايضاً بالعداء الشخصي والثارات والمشاعر الآنية بمقدار متفاوت وبالتناحر القبلي وما إلى ذلك. ومن المحتمل جداً أن يكون العقاب الحكومي عاملاً على اضعاف قيمة النتائج.

لا نكران في ان البلاد لا تُعَدِّم رجالاً اذكياً مشقفين قادرين على الادلاء بأراء مستمدة رأساً من رغباتهم الحقيقية ومصالحهم الاكيدة. وان كل من سنحت لنا الفرصة باستشارته من أفراد هذه الطبقة وبينهم أعضاء بارزون من الحزب الموالي للترك، ايدوا إنطباعاتنا الخاصة بتعذر إجراء إستفتاء ذي قيمة ووزن يعكس رغبة السكان الحقيقية. ولذلك ترى اللجنة نفسها مضطرة إلى ان تنصح المجلس بالعدول عن هذه الطريقة في استطلاع رغبة الأهالي. وفي إعتقادنا أن طريقة العمل التي اقترحتها الحكومة البريطانية هي الطريقة المناسبة والصحيحة. فيها يمكن تزويد المجلس بالمعلومات التي يحتاجها لتسوية النزاع، فضلاً عن انه كان الأسلوب الذي عوّلت عليه اللجنة في قيامها بمهمتها. ومهما يكن من امر فقد اكدت في أجزاء اخرى من التقرير انها حاولت أثناء تحقيقها ان تضع نصب عينها رغبات الحكومة التركبية فلا تهمل اية وسيلة أو فرصة للتحقق من رغبات الأهالي.

القسم الثالث

الاهاطة: بموانب القضية موضع البحث

الفصل الأول

الاسانيد الجغرافية والعرقية

(1) تحليل الأسانيد الجغرافية:

كانت الحكومتان التركية والبريطانية قد عرضتا في عدة مناسبات حججاً مختلفة ادرجتها تحت هذا العنوان الشامل وسنبداً أولاً بتقسيمها الى فقرات ثلاث: الأولى: تلك التي تتعلق بوصف خطي الحدود المقترحين. الثانية: تلك التي تتعلق بالخصائص الجغرافية والجيولوجية والمناخية التي تربط الإقليم المنازع عليه بالمناطق المصاوبة شمالاً وجنوباً. الثالثة: تلك التي تتعلق بالطرق العامة.

الأولى: في وصف خطي الحدود المقترحين:

تبدو حجج الفقرة الأولى ممتزجةً بالحجج والآراء السوقية وغيرها. وسنقصر تحليلنا على الأسانيد الجغرافية البحتة.

١ - الحدود الشمالية التي تطالب بها الحكومة البريطانية:

تقدمت الحكومة البريطانية في معرض تفضيلها هذه الحدود بالأسانيد الجغرافية التالية: تصف واحدة من المذكرات البريطانية الجبال الممتدة على طول خط الحدود المقترح، بأنه جدار حاجز. وفي احد أجوبة المستشار البريطاني عن اسئلتنا نجد وصفاً مفصلاً لها، وهو يقسمها الى أربعة قطاعات:

١ - ما بين نهري الهيزل والخابور.

٢ - بلاد العشائر الآثورية ما بين نهر الخابور وجبال الجيلو.

٣ - الأرض الوعرة بين هذه المنطقة وبين نهر شمدينان.

٤ - من نهر شمدينان حتى الحدود الإيرانية.

وها نحن اولاً ندرج تفاصيل القطاعات الثاني والثالث والرابع.

القطاع الثاني: هذه بلاد أحفل من سواها بالجبال وأكثرها وعورة. ترتفع قممها الى ما يزيد عن عشرة آلاف قدم، ويشق الزاب الكبير مجراه خلال الجبال محدثاً خوانق ذات ضفاف عموديّة، ويغور أحياناً الى عمق خمسة آلاف قدم. والجبال بين الخابور والزاب هي سلاسل تمتد من الغرب الى الشرق وفيما وراء الزاب لا يكون إتجاه سلسلة الجبال واضحاً حتى بلوغها ذرى جبال (جيلو)، وهنا تمتد السلاسل إمتداداً واضحاً من الشمال الغربيّ الى الجنوب الشرقي وتقطع هذه المنظومة الجبلية مسالك وشعباً قليلة جداً. وبين [جراموس] و[ديري آزير] لا تجد غير ممر واحد تستخدمه قبيلة (آرتوشي) الرحالة عندما تصعد باغنامها الى المراعي الصيفيّة الجبلية. وثمّ ممر آخر يمتدّ من (آرشيستا) على طول مضيق الزاب حتى [ليوين] و[جوله ميرگ]، هذا الطريق غير مطروق كثيراً حتى من القبائل الرّحل. على أن هذه الطرق صعبة جداً حتى بالنسبة للمشاة فهي تكاد لا تستخدم إلا للمواصلات المحليّة بين القرى الواقعة على مضيق الزاب. وثم طريق آخر يرتاده أحياناً بطون من (آلارتوشي) الرّحل يمتدّ مخترقاً جبال (تياري السفلى) و(تخوما)^(١) حتى شرق الزاب. والمنطقة الواقعة جنوب [جوله ميرگ] وكل الطرق الأخرى لاتعدو ممرات جبلية تستخدم للمواصلات المحليّة فحسب.

القطاع الثالث: يقع هذا القطاع شرق القطاع الثاني، اعني شرق أنهار [أورامار، وروبار، وتشين] وغرب نهر [شمدينان]. ويتألف من جبال تنكفيء الى الورا حتى الجدار العظيم الذي تقيمه جبال [جيلو، وسات وچارجلي] وليس ثم طريق للرحل يخرق هذا القطاع. وممراته القليلة تنسلّ في مجاهل من الأصقاع يبلغ تحدرها من الحدة بحيث تمتنع عن مرور قطعان الغنم.

القطاع الرابع: ربع خال تماماً من السكان. يقطعه طريقان فحسب، يمتدان من [كاني رش] ويجتازان شعب [زينيابردى] حتى [نيري]. ومن [رواندوز] الى إيران خلال

١- قبيلتان آثوريتان.

شعب [گردي] الذي يمتد حتى الجزء الشرقي الأقصى من هذا القطاع. يؤلف هذا الجدار ولاسيما من جهة الشرق حدوداً اقتصادية وعرقية بين العراق والبلاد الواقعة الى شماله، وتزيد الحكومة البريطانية على هذا قولها انها قد تطالب بحدود أبعد شمالاً. لكن الدواعي السوقية هي اهم من الدواعي العرقية والاقتصادية. فتجيب الحكومة التركية على هذه الحجة بقولها:

١ - ان الخط ليس بالحدود المثالية « لأن هناك المبدء السوقيّ المعلوم وهو ان الجيوش المهاجمة لاتختار لمرورها ارضاً جبلية وعرة وانما تفضل التقدم في الوديان والسهول...».

ان الإقليم الذي تريد الحكومة البريطانية مرور خطّ الحدود فيه « لا يختلف عن مناطق الجبال الأخرى في ولاية الموصل، ولاسيما إقليم شمال [سليمانيه] الجبليّ. أضف الى هذا أن الخطّ المتقدم لا يؤلف سلسلة جبلية مستمرة تصلح حاجزاً على جانب من الأهمية لأن مجاري المياه الثلاثة الكبيرة [الهيزل والخابور والزاب] وعدداً كبيراً من روافدها تحزّها جزاً من الشمال الى الجنوب ... ولأن هذا الخطّ ليس حداً مائياً فاصلاً ولايحاداً اي حوض نهريّ، فاهميته الجغرافية معدومة فضلاً عن انه لايفصل سكاناً من قوميتين مختلفتين».

«وبناء على هذا فإن الحدود الشمالية التي تطالب بها الحكومة البريطانية ليست سلسلة غير منقطعة تمتد من الغرب الى الشرق، بل متاهة من العقّد الجبلية، فيها تلتقي منظومة جبال زاغروس ومنظومة سلاسل طوروس الأرمنية. لكن هذه المنظومات الجبلية التي يكسو الثلج ذراها على مسافة من الجنوب حيث تعلو بكثيرٍ على السلاسل الجنوبية، لوشوهدت من الطائرة لبدت فعلاً وكأنها جدار. ان مجموعات الجبال التي يمر فوق ذراها جزء من خطّ الحدود، هي اعلى الجبال التي تمتد من الشمال ومن الشمال الشرقي لتحتضن البلاد التي ترتفع من سهول ما بين النهرين إرتفاعاً متوالياً ولتصبح قدمات جبلية بسلاسل متوازية. والى أقصى الجنوب تغدو البلاد أليسية الخصائص^(٢) ولا ترتفع هذه الجبال لتجاوز المجموعة الجبلية الأولى وان كانت جزءاً منها.

٢- نسبة الى جبال الألب المعروفة في أواسط أوروبا.

يأتي الردّ البريطاني الذي اقتبسنا منه، الى وصف القطاعات الثلاثة الوسطى والشرقية ولم يكن بمقدورنا التحقق بشكل مفصّل عن صلاح الطرق والممرات التي اتينا إلى ذكرها. وعلى اية حال فإن وادي الزاب يعتبر صالحاً لمرور قطعان عسكرية جبلية كبيرة. والوادي نفسه مأهولٌ أو انه كان مأهولاً فيما مضى بمجموعات سكنية كثيفة السكان نسبياً في سلسلة من القرى والمستوطنات تكاد لا تنقطع ابتداءً من منطقة (جال) حتى (جوله ميرگ).

ان الجزء الغربي الذي لا يتطرق الردّ الإنكليزي إلى وصفه بتفصيل، يؤلفه مجرباً الهيزل والخابور والأول منهما نهير لا يمكن ان يكون أكثر من حدودٍ عاديةٍ قاصرة على مسافة محدودة. امّا الخابور في اعالي زاخو فهو يشق طريقه متلوياً بكثيير من المنعطفات والمجاري السريعة بين كتل صماء أو مكتلاتٍ جييرية. وفي زاخو يفتح الوادي ويتسع كثيراً ويزداد عرض مجرى النهر ويتفرع وتنساب فروعه بين جزيرات. انّ زاخو هي نقطة بدء سير الاكلاك التي تطفو على جرابٍ منفوخة.

وأطراف السلسلة المنحدرة انحداراً حاداً إلى الضفة الجنوبية تضيف عقبة أخرى إلى العقبات التي يصطنعها الخابور لكنهما مع ذلك يتركان فتحةً رحيبة جداً في الجزء الجنوبي من دجلة. واما ضفاف الخابور الشمالية فهي منخفضة.

والقسم الجبلي للحدود المقترحة ولاسيما القطاع الثاني والثالث والرابع فهو لا يختلف قطّ عن المناطق الجبلية الأخرى التي تفصل [ميسوپوتاميا] عن إيران بيد انه لا يمكن مقارنتها مثلاً بالجبال الممتدة إلى جنوب السليمانيه بإرتفاعاتها التي لا تتعدى ألفاً وستمئة متر. وباتجاه سلاسلها العام كافةً إلى المنظومة التي تتوج هذا الجزء من الحدود الفارسية بشكل منحرف. إن الحدود التي اقترحتها الحكومة البريطانية هي والحالة هذه خطّ جيد لتقسيم جغرافي وهي (ويعنى يختلف عن ذلك الذي اوردته لها المذكورة البريطانية) منطقة فصل اقتصادي. فالإلى الجنوب نجد بلاداً ذات وديان واسعة تتطامن بسرعة شيئاً فشيئاً نحو دائرة من المرتفعات، متجهة إلى سهول منطقة الموصل، وإلى الشمال نجد بلاداً أليّة المعالم.

وأما من الناحية العرقية فهذا الخطّ لا يمكن بأي حال ان يكون خطّ فصل، بله ان يكون حاجزاً. انّ خارطة القوميات التي نشرتها الجمعية الجغرافية الملكية في العام ١٩١٠ والخارطة التي قدمتها الحكومة البريطانية ملحقه بمذكرتها، تبرهنان على هذه

الحقيقة من اول نظرة. ففي المجموعات الجبلية الغربية والشرقية إلى الشمال والجنوب معاً كان السكان كرداً من عين القبائل أو من قبائل تتصل بها نسباً. هذا وإن الحدود التي تفصل أولئك الكرد عن كرد جبال طوروس الأرمنية وعن كرد شمال إيران هي أبعد بكثير. وبأدق عبارة: منابع دجلة التي لا يمكن عبورها خوضاً ومضيق [بدليس] وبحيرة (وان) وبحيرة (أورميه) والجبال التي تمتد بين النهايات الشمالية لهاتين البُحيرتين [سايكس: ص ٤٥٢ و ٦٧٣].

وفي جنوب وادي الزاب الكبير وشماله يسكن المسيحيون النساطرة المعروفون بالأشوريين مختلطين بالكرد. وفي كل سنة تعبر هذه الجبال قبائل رُحَل مختلفة من [الارتوشي] و[الهاجان] و[الهركي].

٢- الحدود الجنوبية التي تطالب بها الحكومة التركية:

تذكر الحكومة التركية: «من الناحيتين الطبوغرافية والمناخية، يكون خطّ الفصل بين بلاد الأناضول (أناضوليا) والعراق، هو خطّ نهر دياالى وجبل حميرين وجبل مكحول (جبل فحول) ووادي الثرثار وجبل [سنجار] ٠٠٠٠. وإلى شمال هذا الخطّ تكشف ولاية الموصل عن ظواهر مناخية ومعالم جغرافية وأحوال أخرى مطابقة لتلك التي تُرى في (أناضوليا) في حين تختلف ولاية بغداد إختلافاً بيننا عن ولاية الموصل وعن (الأناضول) وأن هذا الخطّ يؤمن كلّ الفوائد التي يفتقر إليها الخطّ الذي اقترحه ردّ الحكومة البريطانية.

ان المذكرة البريطانية والردود عليها تنتقد الحدود التي اقترحتها الحكومة التركية وتصف جبل حميرين وإمتداد جبل مكحول الذي يشبهه من كل وجه بما يأتي: «سلسلة من التلال لا أهمية لها ولا تصلح حاجزاً» و«ليست سلسلة من الجبال وإنما مُسلسل انحداري من التلال (كثبان رملية)».

فترد الحكومة التركية على هذا بقولها "ان السلاسل المذكورة هي ليست بكثبان رملية كما وصفتها المذكرة البريطانية. فهي بالعكس خطّ غير منقطع من المرتفعات في اراضٍ مستوية منحدره السفوح ومن ثمّ فهي عقبة يصعب اجتيازها ٠٠". وتضيف الحكومة التركية قائلة: " ان نهر دياالى هو مجرى واسع يصلح حدوداً فضلاً عن ان الخطّ الذي اقترحته تركيا فيه الفائدة الجلية، وهي انه يطابق في كلّ نقطة من

نقاطه تقريباً الخط الفاصل بين المناطق التي يسكنها مواطنون اغلبيهم كردٌ وترك، وبين تلك التي يسكنها مواطنون معظمهم عرب.

الحقيقة تكمن بين وجهتي النظر هاتين فضلاً عن أنّهما تفتقران إلى الدقة لو أخذنا كلاً منهما منفرداً.

وحرصاً منا على الدقة التامة التجأنا إلى افضل المراجع عن هذين الجبلين.

إن مسستر أ.هـ. باسكو [إم.دي، دي. إس. سي، إن. جي. إس] رئيس المسح الجيولوجي في الهند الذي قام بمسح هذه البلاد جيولوجياً بأمرٍ من الحكومة البريطانية في شتاء العامين ١٩١٨-١٩١٩ أتى إلى وصف هذه المرتفعات: « جبل حميرين هو سلسلة طويلة ضيقة تبرز من سهل غريني..... سلسلة يتفاوت عرضها ما بين ميلين وميلين ونصف ميل، ويبلغ إرتفاع اعلى نقطة فيها حوالي ستمائة قدم فوق مستوى النهر. في حين قد يبلغ إرتفاع جبل مكحول ثمانمائة قدم بإستثناء مضيق دجلة. وهذا المقطع من السلسلة متواصل لا كسر فيه فضلاً عن ان قمته تتعقب تعقيباً دقيقاً طبيّاته الحدباء إرتفاعاً وانحداراً مؤلفاً بذلك خطّ أفقٍ متواصلاً وارضه متعادية بعض الشيء تقطعها جداول كثيرة، والسير فيها متعب بسبب رخاوة القشرة إلاّ أنّه ليس شاقاً وصخوره تتألف من نواة مركزية ذات قاعدة تقوم على طبقات جصية (جبس ابيض حمراوي) . . . تخفها من كل جانب . . . متواليات تتألف من طين رملي هش حمراوي، وحجر رملي يرتفع ليمنزج بمكتلات صخرية وحجر رملي.

ان طبيّات جبليّ حميرين ومكحول الحدباء الشكل، غير متناسقة تمام تناسقٍ فالطرف الجنوبي الغربي اقلّ انحداراً من الطرف الشمالي الشرقي.

واما [لوفتوس]^(٣) وهو مرجع يتقدم على سالفه، على انه مازال من المراجع المعتمدة كثيراً، فانه يذكر في [جيولوجية أطراف من الحدود التركية والفارسية- المجلة الفصلية الجيولوجية-١٨٥٥م]

٣- و.ك. لوفتوس: عن كتابه رحلات وتنقيبات في بلاد الكلدان و(سوسه). ط.لندن ١٨٥٧. كان الكاتب احد أعضاء لجنة تحديد الحدود المنتدب عن بريطانيا. اثر معاهدة ارضروم بين إيران والدولة العثمانية في ١٨٤٩. وكتابه يتضمن وصفاً للموصل ورحلته منها الى بغداد نزولاً الى الفرات الاوسط فالبصرة فعربستان.

«ان خطّ المرتفعات الجبسي الذي يبدأ من إيران ممتداً من [مندلي] إلى الشرق ومرتفعاً ليكون سلسلة عالية تعرف بجبال حميرين أو بالكثبان الأحمر (ذي اللون الجيري) تعبر نهر ديالى ٠٠٠ وتتعدى دجلة عند درجة ٦، ٣٥ من خط العرض ٠٠٠ وتتلاشى على مدى معرفتي في البادية إلى جنوب غرب أطلال [الحضر]»^(٤)

وتمّ مرجع آخر قديم هو [چيرنيك] من دراسته العلميّة "عن دجلة والفرات - ١٨٧٥ ص ٤٤". يثبت ما يلي:

«إن هذه السلسلة الطويلة لا تنكسر في اعلى نقطة منها بنهري ديالى والعظيم. فضلاً عن انها تؤلف سلسلة واحدة تمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي حيث يؤلف هذان النهران في مسراهما تيارات هوجاء يصعب عبورها خوضاً الى حد ما... ومع ان هذه السلسلة الجبلية تعكس للرائي منظر جرف متواصل يرتفع إرتفاعاً حاداً اذا ما شوهدت من بعيد فقد لاحظنا من كل مرحلة من مراحل ارتقائها ارضاً تتقاطع فيها حُزون وتلاع ومضايق متوالية جانبية كثيرة طويلة، وتنتشر على أديمها الحصباء التي تغطي قشرة من الجير الأحمر، ذلكم هو المظهر الجيولوجي الرئيس للمنطقة. وقد صادفنا في عددٍ من المواضع طبقةً من الطين المزرّق... وعند الفحص الدقيق وجد ان هذه الجبال تتألف من خمسة متون قيم يتفاوت إرتفاعها ما بين ثمانية امتار وعشرة، وتفصل بينها مسافة تتراوح بين ١٥٠ و ٢٠٠ متر... وكل السفوح المتطامنة منها كاد أديمها يتقمتت من بعض الأطراف وبدأت المعالم الشمالية لهذه المرتفعات أكثر استدارة وكشفت رؤوسها عن طبقات ارضية مختلفة. ولا بد من الإشارة الى ان السفوح التي تنحدر منها نحو دجلة هي التي تخترقها اخاديد دون سواها، تلك الخصائص تؤكدها وحشتها وعريها عن التبت ونضوب الماء منها (السفح الشمالي الشرقي من جبل مكحول). في حين كانت السفوح علي الجانب الآخر قليلة التعادي بل هي متطامنة وفيها مراعي

٤- مجموعة خرائب مدينة [الحضر- حترا] وهي [المدينة - الدولة] التي كانت تقع بين الامبراطوريتين الرومانية والفارسية (القرن الثالث ق.م حتى القرن الثاني م) وقد خربها الزلزال. كشفت آثارها في ١٩٥٤ وتقع جنوب غربي الموصل على وادي الثرثار في البادية على بعد مائة كيلومتر منها.

جيدة (السفح الجنوبي الغربي من جبل مكحول) وقد لوحظ ان الارتفاع بالقرب من الممر يبلغ مائتين وستين متراً. ولهذه الأسباب لا يمكن ان يطلق على حميرين صفة الجبل بادق معنى الكلمة ولكنه اول القدمات كما ذكرت. وهو يخرج من الأرض التي ترتفع بالتدرج الى الاعلى فالأعلى نحو الشمال.

ويصف (بلانكنهورن) وهو كاتب أجزاء (سورية، جزيرة العرب، ميسوپوتاميا) في الموسوعة الجيولوجية الإقليمية الكبرى للسنة ١٩٠٠، جبل حميرين بقوله «عند قدمات السلسلة الإيرانية ذات الحزون والغضون تمتد سلاسل جبلية متعددة بزوايا مائل حادة نحو دجلة. وخصصها بالذكر جبل حميرين المتكون من الحجر الرملي والمكتلات الكونگلوموتية وطبقات جيسية مجمعة.»

وتم مطلع من خير الواقفين على أحوال البلاد، هو النقيب (اف.آر. ماونسل)^(٥) من سلاح المدفعية الملكي (مقاله: حقل بترول ماين النهرين - المجلة الجغرافية، ايار ١٨٩٧). كتب هذا مايلي:

« جبل حميرين هو علم بين المعالم التي لا تخطئها عين. يبدء من موضع غير بعيد عن شمال (مندلي) ويمتد نحو الشمال الغربي حتى تضيع آثاره في السهل وراء دجلة بالقرب من قلعة (شرقاط) ويرتفع حوالي ستمائة قدم فوق السهل ومعظم كتلته تتكون من الحجر الرملي، والكونگلوموريت.»

لقد اتيح لنا مشاهدة هذين الجبلين في فرصة واحدة ونحن داخل السيارة، واستطلعناهما مرتين بالطائرة. وحادت سيارتنا السفح الجنوبي الغربي لجبل مكحول وطفنا حول نهايته الشمالية الغربية وهكذا اصبح بوسعنا أن نشهد على دقة المعلومات التي اطلعنا عليها واقتسبنا منها ان كان ثم داع للشهادة. ويصدد الحجج التي اشارت الى اعتبار هذه الكتبان حدوداً مناخية وجيلوجية، فسنعود اليها عندما نأتي الى الوصف العام لولاية الموصل. اما هنا فلا نرانا بحاجة الا الى الاشارة بأن جبلي حميرين

٥- قام ماونسل برحلاته في العام ١٨٨٨. ونشر تفاصيلها في (سما) بالهند في العام ١٨٩٠ بعنوان «استطلاعات في بلاد ماين النهرين وكردستان وشمال غرب إيران ولورستان». وكتب عدة مقالات في الجمعية الجغرافية الملكية.

ومكحول لا يمكن بأي شكل من الأشكال أن يصلحاً حدوداً من الناحية الجيولوجية كما ادّعت الحكومة التركية. فالحجر الرملي في سفحيهما ينضوي تحت عين التشكيل الطبيعي، أي الطمي القديم لبلاد ما بين النهرين مخلوطاً بالجبس الذي يمتد بعين المنوال والسيما على ضفة واحدة وراء دجلة، وعلى الضفة الأخرى حتى أواسط سهل أربيل. كما لا يمكن من الناحية المناخية - أن تكون هذه السلسلة البالغة مائتي متر ارتفاعاً، والتي تفصل منطقتين على عين المستوى من الإرتفاع اعني مائة وسبعين متراً، أن تسمى حاجزاً. المظهر الفيزيوجرافي والسّمات الطبيعية والنبات الإقليمي (سهوب طينية جصية، ماتخرجه من نبات يمتاز بجذامير قاسية، وأشواك) تُرى على الجانبين. ثم ان مظهر الأرض لا يطرء عليه تبدلٌ إلا بدرجات بطيئة جداً عند الاقتراب من الجبال. لذا كان من الصعب تثبيته حدوداً طبيعية.

إن جبل حميرن لا يكون حدوداً طبيعية. فهو لا يزيد عن خطّ واضح المعالم في السهل، اعتبر أحياناً خطّ تقسيم لأصقاع بلاد ما بين النهرين العليا والسفلى تلك الأصقاع التي سنقوم بشرح اوجه الاختلاف فيما بينها وشيكاً. ان الحدود الطبيعية الجيولوجية أو المورفولوجية هي أبعد الى الجنوب بكثير، وتتضح جنوب (تكريت) بمسافة قصيرة. وإذا ما اخذنا بسبيل تثبيت حدود مناخية، فإنّ جبال «قره-جو-داغ» وهو سلسلة أكثر إرتفاعاً بكثير (يتراوح إرتفاع قممها ما بين ثمانمائة متر وثمانمائة وسبعين فوق مستوى البحر ومعدل الإرتفاع يتراوح بين أربعمائة وخمسين متراً وخمسمائة وخمسين فوق السول المحيطة به)، سيبدو حاجزاً واضحاً معالمً بكثير، وهو يقوم بين سهل الجزيرة الشبيه بالأباطح، وبين جبال كردستان بسهولها الزراعية التي تمتد على طول قدماتها. وثم حقيقة معروفة جيداً وهي إن معدل سقوط المطر شمال شرقي (قرجو-داغ) أكثر من معدله في جنوبه الشرقي.

أما من الناحية التاريخية فلم يكن لجبل حميرن وإستمراريته جبل مكحول، اية أهمية على ما يبدو، فضلاً عن اية خطرٍ من جهة كونه حدوداً إذ لم يرد لهما ذكرٌ في التأريخ الآشوري والبابلي بوصفهما حدوداً لبلاد آشور. هذه الحدود وان كانت مبهمّة كثيرة التغير فقد اتّبعّت بصورة عامة خطّ تكريت تقريباً، عندما كانت القوتان الشمالية والجنوبية متعادلتين.

وكذلك لا يمكن ان يؤلف الجبلان حدوداً قومية على ماسنشرحه فيما بعد عندما نأتي الى تحليل الحجج العرقية.

فجبالا حميرين ومكحول اذن يمكن ان يكونا حدوداً اصطلاحية جيدة في الصحراء التي تؤلف بنفسها (ولاسيما في الوقت الحاضر) خير حدودٍ طبيعيّة. انهما يؤلفان خطأً مستقيماً متواصلاً لكنهما أبعد من أن يمثلأ حدوداً واضحة المعالم.

*** **

وبالرجوع الى الخرائط التي عرضتها الحكومة التركية على مجلس العصبة، نجد خط الحدود الذي تطالب به يمتد على طوار الجانب الجنوبي لجبل مكحول دون القمة، ثم يعبر دجلة ويتبع قمة جبل حميرين حتى ديبالى تقريبا وهنا يمر وراء الحدود الجنوبية السابقة لولاية الموصل دائراً حول السفوح الجنوبية لتل آخر منفصل عن جبل حميرين في موضع ما، ثم يلتقي بنهر ديبالى فيعقب مجراه الى الشمال الشرقي.

أشّر هذا الخط في الجزء الخاص بخانقين من الخارطة التي قدمت لمجلس العصبة وعلى الجزء التالي (الخاص بالسليمانية) لم يرسم الخط بخطاً غير مقصود ولذلك لم يكن وضعه واضحاً. ومهما يكن فقد بقيت قطعة من الأرض عرضها يتراوح بين عشرة كيلومترات وعشرين وطولها يبلغ خمسة وثمانين كيلومتراً في خطّ مستقيم بين ديبالى والحدود الإيرانية. وهو جزء لا يمكن الوصول اليه من العراق (الخارطة - ٢). ان خطّ ديبالى لا يمكن ان يعتبر حدوداً جيدة، فضاف النهر تقطنها كثرة من الناس لا يستهان بها في أماكن معينة. واجزائه العليا وهي موضوع بحثنا لا يمكن ان توصف بالسعة وكبير الحجم، فهي قابلة العبور بالاقدام في نقاط كثيرة. الحدود الفارسية التركية السابقة التي يصعب القول بانها تصلح فعلاً حدوداً جغرافية جيدة هي على كلّ حال افضل من خطّ ديبالى المقترح عند إجراء المقارنة بينهما.

يتصلّ الخطّ من الجانب الثاني (الغربي) بوادي الثرثار، وهذا هو أعرض واضخم كلّ الوديان التي تنحدر من جبال سنجار. ولكونه كذلك فربما صحّ اتخاذه خطّ حدود اعتيادياً في صحراء. مع العلم ان الصحراء نفسها هي منطقة فصل كما لا يخفى. ان الخط لم يؤشّر على الجزء الخاص بسنجار من الخارطة المقدّمة. وعلينا التنويه بأنه اذا

اتباع الخط قمة هذا الجبل الذي يتألف من صخور كلسية بقشرة من الحجر البركاني (البازلت) فسوف يقسم نصفين المجتمع اليزيدي الذي يستغل زراعي السفوح السفلى على طرفي الجبل.

الثانية: الخصائص الجغرافية والجيولوجية والمناخية التي تربط الإقليم المنازع عليه بالأراضي المجاورة.

١ - الإعتبارات الجيولوجية والمناخية.

ان الإعتبارات الجغرافية التي صنفناها في المجموعة الثانية تتركز على طبيعة الإقليم المنازع عليه وعلى علاقتها مع البلاد المجاورة اعني [بلاد الرافدين السفلى] و[أناضوليا] وعلى وجه الشبه بينهما. و[أناضوليا] إسم تستخدمه الحكومة التركية بشكل خاطيء من وجهة النظر الجغرافية لتشير الى رقعة اراضي الجمهورية التركية برمتها.

سنعود فيما بعد الى حجة الحكومة التركية القائلة بأن للإقليم المنازع عليه عين أحوال أناضوليا المناخية والجيولوجية في حين تختلف الأحوال من كل ناحية عن تلك التي تسود ولاية بغداد.

لكي تبرهن الحكومة التركية على صحة هذه الحجة لم تعرض مجملاً يتضمن عدة دلائل وملاحظات وانما عرضت واقعاً يتعلق بالمناخ، وهو ان اشجار النخيل لاوجود لها بعد اجتياز خط تكريت - كفري.

ان الحجج الجيولوجية ليست ذات محل هنا لأن ولاية الموصل جيولوجياً هي ضمن المنظومة الجبلية التي تحد إيران من الجنوب الغربي وتلك منظومة جبلية يطلق عليها الإسم العمومي [زاگروس]. فالولاية تحتل جزءاً من السفوح الجنوبية الغربية من هذه السلسلة التي تتألف من صخور يعود تاريخها الى العصر الطباشيري، وبصورة خاصة تشكيلات من الحجر النوموليثي^(٦) ويرى على أجزاء من سفوحها تلك التشكيلة الجبسية المتميزة التي تبدأ من [جزيرة ابن عمر] وربما امتدت حتى اراضي بلوچستان

٦- هو التشكيل الطبيعي المعروف في منطقة واسعة من اوربا وآسيا وشمال افريقيا ويعود الى العصر الأيوسيني.

بل ابعدها منها؛ وهذا التشكيل يمتد نحو الغرب والجنوب الغربي، أو على اية حال حتى نهر الفرات لكنه مكسو هنا على الأغلب بالطين الذي اسلفنا الحديث عنه. ان التكوين الجيولوجي للجبال الشاهقة شمال الموصل معقد جداً، فهو صخور بركانية خضراوية ملتوية - طبقات من البلور الهش تستمر هكذا حتى مشارف السلاسل الآتية من الجنوب الغربي ولا علاقة لكل هذه بسهل الرافدين الحديث التكوين الذي يتألف من طبقة ارضية متعادلة بعض الشيء.

في المذكرة التركيبية تقترن الفروض قليلاً من الحقيقة بخصوص المناخ. فإذا كانت نية الحكومة التركيبية برجوعها الى المناخ ان تصف بشكل غير مباشر اوجه الشبه ووجه الخلاف بين أسلوب حياة السكان فستكون اقرب الى الحقيقة بل ستكون أكثر قريباً اذا اخذ مصطلح [أناضوليا] بمعنى سفوح الجبال التي تحد من الشمال السهول المرتفعة لبلاد الرافدين الشمالية، لكن لو كانت تلك هي نية الحكومة التركيبية الوجب عليها قول ذلك أو لاستعملت على اقل تقدير المصطلحات والأسماء التي تترجم عن قصدها بدقة. وليست لهذه الحجة قيمة اذا ما أخذت بحد ذاتها. فالأرصاء العلمية كانت بدرجة من القلة بحيث لا تمكّننا من بحث موضوع مناخ ولاية الموصل بأي درجة من الدقة. فما أخذ من ارساء لحد الآن على قلته يكاد يكون قاصراً على مدينة الموصل. والطياريون البريطانيون الذين عملوا خلال أربع سنوات على جمع تفاصيل الأرصاء لم ينشروا الأجزاء الصغيرة من تلك المعلومات، فضلاً عن كونها لا تمتد الى فترة من الزمن طويلة وكافية.

ان للإقليم بطبيعة الحال صلات مناخية عديدة بالبلاد المجاورة، فبرد الشتاء قارص والأمطار تسقط بشيء من الغزارة على كل جزء جبلي من البلاد وهذه أحوال تشبه تلك التي تسود أنحاء [جزيرة ابن عمر] و[ماردين] و[دياربكر] و[اورفه] اعني السفوح الجنوبية من جبال طوروس الأرمنية التي تنفتح كمرتفعات الموصل المدرجة نحو السهول السورية العربية شبه الصحراوية، لكن لديها أيضاً الكثير من الخصائص الجوية المشتركة مع العراق كقيظ الصيف الشديد. الصيف الذي يمتاز بطابعه القاري البارز كما هي الحال في البادية التي تكتنفها. ونحن هنا أعجز من ان نخوض في هذا الموضوع بأي تفصيل ومن الأفضل ان تحدد الطبيعة الانتقالية للبلاد بمقارنة معدل

المرواز السنوي بالدرجة المثوية: بغداد ٣, ٢٤ - الموصل ١, ٢٧ - اورفه ٨, ٢٧ - ديار بكر ٤, ٣١. إن النهايات العظمى التي ربما اكدتها ذروات الفترات الانتقالية في التغيرات المناخية كثيراً ماينجم عنها آثار مفاجئة مدمرة للمزروعات. واما بخصوص تدرع الحكومة التركية بالنخيل فبوسعنا استشارة العالم النباتي النمساوي (البارون هاندل مازيتي) وهو حجة في هذا العلم اذ كان قد قام بدراسة دقيقة لهذه المنطقة. يقول البارون (هاندل - مازيتي): "قبل بضع سنوات كان النخيل موجوداً ضمن مساحة شاسعة تمتد شمالاً حتى الموصل^(٧) الا ان موجة شاذة من برد الشتاء قضت عليه". وقد اتيح لنا أن نشهد بأنفسنا فافعلته موجة برد شتاء ١٩٢٤ - ١٩٢٥ القاسية جداً فقد اهلكت كل اشجار النخيل في كركوك وقضت على كل مااحتوته أربيل من اشجار البرتقال.

خلاصة القول ان إقليم الموصل بمراعيه شبه الصحراوية غرب دجلة، وبسهوله الطينية الاغزر ماءً ومن ثم الأكثر خصوبة شرقاً وضمن دائرة الكتبان والجبال المحيطة بها - هو منطقة انتقالية أو مزيج من المناطق المناخية لجبال زاغروس. وبلاد مابين النهرين السفلى والصحراء العربية السورية والسفوح الجنوبية من جبال طورس الأرمنية - هي منطقة واحدة تمتلك حتى خصائص معينة من مناخ البحر الابيض المتوسط، ومظهرها الرئيس هو تفاوت بين الموسم الشديد الجذب في الصيف والموسم الممطر البين في اواخر الشتاء والربيع. هذه المعالم تبدو أكثر وضوحاً في مظهر البلاد مما تبدو في التفاوت بين معدلات سقوط المطر.

على اية حال، إن الإقليم المنازع عليه هو أكثر شبيها بالسفوح الجنوبية من جبال طورس الأرمنية (النصبيين وماردين، بل وأورفه) من اي صقع مجاور له.

٧- حللت في اواخر صيف العالم ١٩٥٧ ضيفاً في قلعة الشوش على عبدالقادر الشوشي من زعماء قبيلة السورجي في نطاق اعمال قضائية تتعلق بنزاع حول اراض وجلسناً في ظل نخلتين باسقتين موقرتين بالرطب الناضج تسلق احدها تابع له وجلب لنا مقداراً من تمرها قال لي أن أباه أو جدّه جلب هاتين الفسيلتين من الحجاز عند عودته حاجاً. وقرية الشوش تقع على مسافة ١٥ كيلومتراً شرق عقره وبمستواها وقد ذكرها ياقوت الحموي في معجم البلدان: قال قلعة شهيرة.

٢ - مسألة إسم "العراق":

مسألة أخرى، كثيراً ما أثارها وبحثها الطرفان هي مسألة إسم القطر. وضع هذه النقطة (عصمت پاشا) على بساط البحث عندما قال "ان ولاية الموصل ليست من اراضي العراق العربي وانما هي جزء من أراضي (الجزيرة)". وفي مذكرة لاحقة زاد قائلاً: "ان الحكومة البريطانية الى زمن جدّ قريب لم تعتبر ولاية الموصل جزءاً من أجزاء العراق وانّ إتفاقية العام ١٩١٦ الانگلو فرنسية المعروفة بإتفاق سايكس بيكو" تفصل الموصل عن العراق وتضعها في المنطقة الفرنسية وقد فصلتها عن العراق ايضاً مطالبين كردستان" التي نظمها في ١٩١٩ "شريف پاشا" بدعوة من دول الحلفاء، فمذكرته تقول أن سكان الموصل ما اعتبروا أنفسهم يوماً ما من سكنة العراق وأهاليه. ودعماً لهذه الحجة اولاً. واثباتاً بان ولاية الموصل هي جزء من "أناضوليا" ثانياً، رجعت الحكومة التركية كذلك الى [دائرة المعارف البريطانية] و[دائرة المعارف الفرنسية الكبرى]. فقدمت الحكومة البريطانية الإيضاحات والتفاصيل التالية تفصيلاً لوجهة النظر تلك.

قال اللورد كرزن في لوزان: "امتّ الجيوش البريطانية إحتلال كلّ بلاد ما بين النهرين أثناء الحرب العظمى... وبعد مدة قليلة اختير لها إسم العراق بسبب انتشاره الواسع محلياً، فاطلق على ماكان يعرف حتى اليوم باسم "مسيوپوتاميا" وقدمت الحكومة البريطانية في معرض ردها على المذكرة التركية البيانات التالية الأخرى:

" لا مفر من الإشارة الى ان الإسم الجديد [العراق] مأخوذ من اسمين: هما [العراق العجمي] و[العراق العربي] اللذين درجا على الألسن في القرن الحادي عشر. والأول منهما كان يطلق على جزء كبير من إيران الحديثة ومن ولاية الموصل. ومن المفيد الإشارة الى نشرة مديرية الطابو التركية المؤرخة [٥ صفر ١٣١٠ هـ] الموافق للسادس عشر من تشرين الأول ١٩٠٨، التي تنصّ بصراحة على ان [شهرزور] تتألف من اقصية كركوك وارانیه وأربيل ورواندوز وكوي وكفري، وكلها ضمن ولاية الموصل".

وربما كانت اللجنة تجهل ان الخارطة التي عرضها المندوب العثماني على لجنة تشيبت الحدود التركية - الفارسية في مؤتمر أرضروم ١٨٤٨، اثبتت روادوز وأربيل وسليمانيه ضمن ولاية بغداد التي كانت في ذلك الوقت ذات حدود مشتركة مع ولاية [وان]".

هنا تعنّ لنا اسئلة رئيسة أربعة:
 أيّ من الاراضي عرفت في مختلف العصور التاريخية بأسماء: "العراق" و"العراق
 العربي" و"العراق العجمي"؟
 ماهي الأسماء التي اطلقت عموماً على الإقليم موضع النزاع، أو على جزءٍ منه؟
 هل كان إسم "العراق" دارجاً على الألسن محلياً؟
 اي منطقة يشملها إسم "ما بين النهرين" في الماضي والحاضر؟
 ولكي نجلو الغموض عن اولى النقطتين، رجعنا الى المؤرخين والجغرافيين العرب
 الأقدمين، والى عدد كبير من الخرائط العربيّة ومئات من الخرائط الاوروبية ابتداءً من
 القرن السادس عشر حتى قرننا العشرين. واستشرنا كتب السياحة لكلّ العهود،
 والمراجع الجغرافية المعتمدة، والكتب الجغرافية التدريسيّة المتداولة في مدراس مصر
 الثانوية العربيّة.

ففي خارطة كلّ من الجغرافي المجهول [مفرزما] للسنة ٨٤٥ م المعروفة بخريطة
 المأمونية [تابولا المامونيانيا]، وخارطة [بنيامين ابن يونا: ١١٦٠ - ١١٧٣م] وخارطة
 [ابي الحسن نورالدين ابن سعيد]^(٨) للسنة ١٢٧٤م، وجدنا إسم العراق مدوّناً فوق
 صقع يقع جنوب بغداد أكثر مَيْلاً الى شطّ العرب منه الى الشمال. "في حين أسمت
 شمال [ما بين النهرين] الشمالية الواقعة بين دجلة والفرات" بالجزيرة» ولا يظهر حدّ أو
 خط فاصل بين هاتين الرقعتين من الأرض. ولم نجد إسماً للإقليم المنازع عليه في
 خرائط [ابي الريحان البيروني:^(٩) ١٠٣٠م]
 وفي الخارطة المسمّاة «تابولا روجريانا»^(١٠) ١١٥٤م» وخرائط [اسماعيل ابو

٨- اسمه الكامل: نورالدين ابو الحسن علي الوزير ابن ابي عمران ابن سعيد المغربي الغرناطي
 الاندلسي (١٢١٣ - ١٢٨٨م) ويلقب بالكاتب صاحب كتاب «المغرب في حلى المغرب». أحد
 الجغرافيين والسيّاح العرب. [ملاحظة لاسبيل إلى الاغضاء عنها وهي ان واضعي التقرير توهموا
 أن هذا الشخص ومن ذكره فيما بعد باسم "ابي الحسن علي ابن عمر، ١٢٣٠م ليسا شخصاً
 واحداً، في حين إنهما كذلك. والخطأ يعزى كما هو مألوف في كتب العرب الاوائل إلى طول الاسم
 أو لإختلاف في ايراده بين مرجع وآخر).

٩- ابو الريحان محمد البيروني (٩٧٣ - ١٠٤٨م) احد النوابغ والعباقرة في كلّ زمان ومكان طبيب
 وفلكي ورياضي وطبيعيّ وجغرافي وكميائي ومؤرخ شهير، وسائح. والتقرير يشير الى خرائطه في
 كتابه «الأثار الباقية من القرون الخالية» المطبوع في لايبنتسك ١٨٣٨ .

١٠- يشير الى الخارطة التي عملها الجغرافيون العرب للملك الصقلي النورماني روجر الثاني ومنه جاء اسمها.

الفداء^(١١): ١٣٣١م] وخرائط [ابي الحسن علي بن عمر: ١٢٣٠م] و[ابن سعيد المغربي ١٢٧٤م، وخرائط "فارسي مجهول" من رجال القرن الثالث عشر الميلادي. [اعيد طبعها مع خرائط أخرى بمعرفة ليليويل، في هذه الخرائط اطلق اسم «العراق» على عين الأرض كما هو الحال عند واضعي الخرائط الثلاث الأولى، وظهر الإقليم المنازع عليه ضمن [الجزيرة] ايضاً. هنالك حدود مرسومة بين هاتين المنطقتين تقريباً على إمتداد خط هيت - سامراء، أو على إمتداد السور الميدي، وهو على اية حال يقع جنوب [تكريت]. ويظهر السور الميدي ايضاً بوصفه حدوداً بين المنطقتين على خارطة [نصيرالدين الطوسي: ١٢٦١م] التي نقّحها [اولغ بك] في العام ١٤٣٧^(١٣) وبموجبها كانت الموصل وأربيل داخلتين في [الجزيرة]. إلا أن الجزء الجبلي من الإقليم المنازع عليه ومنه [تكريت] سمي بد[أرمينيا]. وفي الخرائط المتقدمة على هذا التأريخ خرائط [ابي حسين علي ابن يونس المصري: ١٠٠٨م]^(١٤) و[أبي اسحق ابن ابراهيم الزقالي]^(١٥) سميت هذه المنطقة بد[الجبالي] ويوجد الإسمان [الجزيرة] و[العراق] في عين الامكنة التي ظهرت على الخرائط الأخرى. وفي خارطة العراق [للصطخري]

١١- عماد الدين اسماعيل المؤيد (١٢٧٣-١٣٣١) من امراء الأيوبيين. امير حماه وتوابعها. صاحب كتاب تاريخ «المختصر في اخبار البشر». وكتاب جغرافي «تقويم البلدان» وكلاهما مطبوع.
١٢- (١٢٠١ - ١٢٧٤) احد افذاذ الفلكيين. قام بانشاء مرصد [مراغه] الشهير وصحب هولاءكو المغولي في حملته على بغداد. ترجمت كتبه الجغرافية والفلكية الى امهات اللغات الحية. وأما مايدعى بالسور الميدي أو الحائط الميدي فهو سور مبني من اللبن يبلغ سمكه حوالي خمس اقدام ومعدل ارتفاعه كما يشاهد الآن ما بين ١٦ و١٣ قدماً ويبلغ في نقاط منه حوالي (٣٠) قدماً. ويبدأ من دجلة شمالي قصبه (بلد) ويمتد غرباً نحو الفرات حتى (الصقلاوية) ومن بغداد حتى سامراً بطول (٩٠) كيلومتراً اعتباراً من الكاظمية وتقطعه ابراج نصف دائرية. وهناك خندق على جهته اليسرى. ولا يعلم تاريخ بنائه وبانيه. ويرجح المؤرخون ان الملك البابلي نبوخذ نصر (٦٠٥-٥٦٢س ق.م) شيده خوفاً من الماديين. ويقول آخرون أن كورش هو الذي بناه بعد فتحه بابل في قرن تال محافظةً على امبراطوريته المادية. [يبعد ثلاثة اميال ونصف الميل عن جنوب شرق محطة اصطبيلات].

١٣- أمير من اسرة تيمورلنك. حاكم تركستان ثم خلف اياه في سلطنة هرات (١٣٩٣ - ١٤٤٩) كان احد العلماء الفلكيين الجغرافيين ومن حماة العلم وجماعي المعارف. فقد استقدم الى عاصمة ملكه (سمرقند) افذاذ العلماء والفلكيين والجغرافيين وبنى مرصداً شهيراً في معهده العلمي.

١٤- اسمه الكامل ابوالحسن علي ابن ابي سعيد عبدالرحمن ابن احمد ابن يونس المصري الجغرافي صاحب (الزيج) الحاكي. عني بنشره العلامة (دي پرسفال) وطبعه في باريس ١٨٠٤ وطبع القسم الجغرافي منه بعنوان [الاطوال والعروض لبعض مدن الجبال من كتاب الزيج الكبير].

١٥- كذلك يعرف بالزرقالسي (١٠٢٩ - ١٠٨٧م) احد كبار الفلكيين والجغرافيين العرب في =

الشهير: ١١٧٣م] ^(١٦) المحفوظة في [غوئا] نجد العراق يمتد نحو الشمال حتى يضم إليه [تكريت]. ويذكر الاصطخري في كتابه بكل وضوح ان العراق يمتد «من تخوم تكريت حتى عبادان على خليج فارس» ومع هذا فليس لنا ان نستنتج مأمراً بوضوح ودقة تامتين بأن كل المناطق في الإقليم المنازع عليه في سائر هذه الخرائط كان خارج العراق وان كان هذا ما يبدو في معظم الخرائط.

كان لإسم «العراق» على عهد الخلافة معنى آخر على ما يخيّل لنا [فالمقدسي ^(١٧): حوالي ٩٨٩م] يصف الطرق ويثبت قائمة بالمدن التي كانت تدين بالطاعة للعاصمة [سامراء] ^(١٨) وفيه نجد من ناحية الشمال [تكريت] و[السن] وهذه كانت في موقع قلعة [شرقاط] الحالية على وجه التقريب وكان [المسعودي] الشهير: ٩٥٦م ^(١٩) أكثر وضوحاً إذ قال في [التنبيه والإشراف: ص ٣٦] «والعراق ... وهي حيث تلتقي دجلة والفرات وما قرب من ذلك وهي من السواد، البقعة التي حدّها الزأبي [اي الزابين] فوق [سرّ من رأى = سامراء] مما يلي [السنّ وتكريت] وناحية [حلوان] مما يلي [الجبيل] و[هيت] مما يلي الفرات...» ^(٢٠)

= إسبانيا (طليطلة) ينسب اليه اختراع بعض الآلات الفلكية وقد ترجمت كتبه الى اللاتينية في العصور الوسطى.

١٦- إسمه الكامل ابو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي عاش في حدود ٩٥٠م وولد في اصطخر وعرف بالكرخي طبع كتابه [صورة الاقاليم] مع تسع عشرة خارطة وصورة بعناية [مولر] في ١٨٤١ اما كتابه [المسالك والممالك] فقد طبع ضمن المكتبة الجغرافية العربية الشهيرة بعناية [مسيو دي گويه] في [ليدن: ١٨٧٠ - ١٨٩٤].

١٧- اسمه الكامل: ابو عبدالله شمس الدين محمد المقدسي الحنفي المعروف بالبشاري عاش في حدود ٩٨٤م، وطبع كتابه «احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم» في ليدين مرتين: ١٨٧٧م و ١٩٠٦م مع ترجمة له لاتينية.

١٨- كانت في زمانه عاصمة للخلفاء العباسيين بدلاً من بغداد.

١٩- ابو الحسن علي [توفي في القاهرة ٩٥٧م] مؤرخ وجغرافي وسائح. صاحب [مروج الذهب] وهو من اهم المراجع التاريخية ومختصره [التنبيه والإشراف] وضع عشرات الكتب بما شاهد وسمع وقرأ لم يصلنا منها غير هذين.

٢٠- لإيضاح هذه العبارة التي نقلنا نصها العربي سأعمد الى تبسيطها لغوياً باستخدام التعابير العربية المألوفة: يشمل العراق البلاد التي يلتقي فيها نهرا دجلة والفرات وماجاورهما من اصقاع وينضم اليه السواد والبلاد التي يحدّها الزابان فوق سامراء الى مسافة قريبة من السنّ (شرقاط) وتكريت مع جزء من منطقة حلوان التي هي قريبة من الجبال الكردية وجزء آخر من هيت القريب من الفرات...».

إذن فنظراً الى هذا المؤرخ، العراق لايشمل البلاد الواقعة بين [تكريت] وخليج فارس وحدها، وانما يشمل كذلك شريطاً من الأرض يمثل الاراضي الزراعية الممتدة حتى بلاد الزابين بين البوادي الصحراوية والجبال الوعرة وهي ضمن الإقليم موضوع بحثنا. والسّواد من [الأسود] الذي كان اسما يطلق على المنطقتين المتباينتين [البلقاء] و[العراق] كان أعمّ مدلولاً إذ يستخدم للتمييز بين المناطق الزراعية [حيث ترث التربة باستمرار ولذلك تكون أكثر سواداً] وبين الاراضي غير الزراعية.

وبلدة [السنّ] وهي ماعرف عند [ياقوت] (٢١) نقلاً عن [الحازمي]. الا أن [الاصطخري] يضع [السنّ] في [الجزيرة]. وبثبتها كلّ من [ابن الفقيه] (٢٢) و[ابي الفداء] (٢٣) و[ابن رسته] (٢٤) في منطقة الموصل وهؤلاء الكتاب الثلاثة، كذلك يعتبرون [تكريت] من توابع الموصل. مما يجعلها داخلة في إقليم [الجزيرة]. ان الحدود التي تفصل [الجزيرة] عن العراق كما اثبتتها [ابو الفداء] واخذها عنه [القلقشندي] (٢٥) هي: نهر الاسحاق في اقصى شمال اقنية الرّي العظمى. ونحا

٢١- يعقوب الرومي المعروف بياقوت الحموي (١١٧٩ - ١٢٢٩م) اصله من بلاد الروم أسراً صغيراً وابتاعه تاجر بغدادي اسمه [عسكر الحموي] فثقفه واطلقه في مجال تجارته ثم اعتقه فجال في مدن العراق وإيران والشام ومصر والجزيرة وراجع المكاتب ولولاه لضاع علينا كثير من المعلومات الجغرافية. كتابه "معجم البلدان: في معرفة المدن والقرى والخراب والعمار والسهل والوعر في كل مكان" هو بمثابة دائرة معارف جغرافية كبرى لم يؤلف مثلها بالعربية حتى الآن. جاء في ياقوت: السن مدينة على دجلة فوق تكريت لها سور وجامع كبير وأهلها علماء وفيها كنائس وبيع للنصارى، وعند السن مصب الزاب الأسفل.

٢٢- اسمه الكامل: ابو بكر احمد بن الفقيه الهمداني (حوالي ٩٠٢م) جغرافي ولد في همدان وألف كتابه «كتاب البلدان» وصف فيه الأرض والبحر وبلاد الصين والهند والعرب ومصر والمغرب والشام وفلسطين وبيزنطة والعراق - طبع ضمن المكتبة الجغرافية العربية في ليدن.

٢٣- أبو الفداء عماد الدين اسماعيل المؤيد [١٢٧٣ - ١٣٣١م] من الأسرة الأيوبية الشهيرة امير حماة من علماء الجغرافية العرب له كتاب «تقديم البلدان» و «المختصر في تاريخ البشر» وادلهما جغرافي. الى فيه الى اصول الجغرافية والجداول ووصف البلاد الاسلامية.

٢٤- الحسن أبو علي ابن رسته (حوالي ٩٠٣م) فارسي الأصل، من علماء الجغرافية العرب له كتاب «الأعلاق النفيسة» وصف فيه المدن والبلاد وطبع ضمن المكتبة الجغرافية العربية في ليدن.

٢٥- احمد القلقشندي من علماء مصر وادبائها [١٣٥٥ - ١٤١٨م]، عرف بكتابه «صبح الاعشى في صناعة الإنشا» وهو مثل كشكول أو دائرة معارف صغيرة ضمنها كل ماكان يحتاجه مثقفو ذلك العصر من معارف تاريخية وجغرافية ولغوية وادبية وفلكية الخ....

[البكري] (٢٦) نحوهما فاعتبر الموصل وتكريت من أعمال [الجزيرة]. ويقول [ابو فضل الله] (٢٧) إن [بغداد] عاصمة العراق و[الموصل] عاصمة الجزيرة. ويذكر [القلقشندي]: ١٤١٨م [إن العراق يحدّه من الشرق: [الجبّال] ومن الشمال، [الجزيرة] ويمتد من [الحديثة] [شمال تكريت بمسافة قصيرة] حتى [عبادان].

وبالإضافة الى هذه المراجع الأصلية، سنسترشد كذلك بملاحظات لوسترانج (٢٨) في كتابه «ميسوپوتاميا وفارس تحت حكم المغول في القرن الرابع عشر» وقد طبع ضمن سلسلة رسائل الجمعية الآسيوية (المجلد الخامس: ١٩٠٣) قال:

«في مبدء الأمر كان إطلاق اسم (العراق) قاصراً على المدينتين العظيمتين [البصرة] و[الكوفة]. ولما اتخذ الأمراء السلاجقة لقب [سلطان العراقيين] صار الاسم يطلق على الإقليمين. على انها تسمية خاطئة عامية» كما يقول [ابو الفدا]، وهكذا كان اسم [العراقيين] منذ عهد السلاجقة يطلق على بلاد ميديا القديمة وميسوپوتاميا الجنوبية». وتباينت مواضع خطّ التقسيم بين العراقيين والجزيرة باختلاف العصور. ففي العصر العباسي كان الخطّ يمتدّ عموماً من (الأنبار) على الفرات حتى (تكريت) على دجلة. وفي القرن الرابع عشر وهو عصر [حمدالله] (٢٩) الذي كان كتابه [نزهة القلوب] موضع دراسة وتمحيص من [لوسترانج]، كانت الحدود قد ابتعدت شمالاً فصارت تمتدّ من موضع التقاء [الخابور] بالفرات، الى نقطة على دجلة تقع جنوب موضع التقائه بالزاب

٢٦- إسمه الكامل: ابو عبدالله ابن ابي مصعب البكري الوزير المرسي في اسبانيا (١٠٤١-١٠٩٦) صاحب كتاب «معجم ما استعجم» وهو قاموس جغرافي للبلاد التي ذكرتها اشعار العرب وكتاب «المسالك والممالك» وهو كتاب جغرافية طبع في الجزائر (١٨٥٧) باعثناء (دي سلان).

٢٧- يعتقد انه المعروف بابي فضل الله العمري. وهو شهاب الدين ابو العباس الكرمانى العمري كاتب سرّ الملك الناصر محمد بن قلاوون [١٣٠١ - ١٣٤٨م] كتابه الجغرافي «مسالك الابصار في ممالك الأمصار» طبع بدار الكتب المصرية في الأربعينيات.

٢٨- Guy Le Strange (١٨٥٤-١٩٣٣) ترجم له كتاب قيم عن الامبراطورية العربية جغرافياً في عهد الخلافة اسمه «بلدان الخلافة الشرقية» بعناية وتعليق الاستاذين بشير فرنسيس وگورگيس عواد وهو من مطبوعات المجمع العلمي العراقي.

٢٩- إسمه الكامل: حمدالله ابن ابي بكر بن نصر المستوفي القزويني الفارسي (توفي حوالي ١٣٤٠م) كتابه الجغرافي [نزهة القلوب في المسالك والممالك] طبع نصّه الفارسي في لندن: ١٩١٥ وطبعت ترجمته الانكليزية في ١٩١٩.

الأسفل مباشرةً وبهذه الكيفية يقع كل من [تكريت] و[حديثة] في العراق وهذه الفترة من الزمن انحصرت بين فتحين مغوليَّين^(٣٠).

وفي خارطة [لواسترانج] التي تثبت ما كان متعارفاً عليه في القرن الرابع عشر، نجد أربيل والموصل والعمادية وموش [ضمن] الجزيرة [و]عانه وتكريت وداقوقا [في] العراق. وكردستان قاصرة على السفوح الشرقية (الفارسية) للجبّال. وفي كتاب [لواسترانج] الثاني الذي يفوق سالفه أهمية وهو (بلدان الخلافة الشرقية: ١٩٠٥) يقدم لنا المجمل التالي لما كان عليه الحال في عصر الخلفاء وهو عصر العرب الذهبي في بلاد الرافدين.

« قسم العرب بلاد الرافدين الى إقليمين: الاسفل منهما - اراضي بابل الغربية القديمة وهي ما تسمى بالعراق فيما يلي الخط الذي يمرّ بالفرات ويدجلة قبيل التقائهما وأما السهول الصلبة الحجرية شمالاً فقد سميت [بالجزيرة]. وكانت الجبال المشرفة على هذه السهول تعرف باسم [الجبّال]. والقسم الغربي من هذه البلاد الجبلية كان يسمّى (كردستان) أيام تمتع الكرد بدرجة ما من المنعة والصيت. وفي نهاية العصور الوسيطة، خلع على منطقة [الجبّال] ذلك الإسم الخاطيء الدارج فيما بعد، [العراق العجمي] اي عراق الأجانب».

ان [الجزيرة] التي سمّاها [المقدّسي] بإقليم (عَقُور) كانت منقسمةً عموماً الى مناطق ثلاث هي [ديار ربيعة] و[ديار مضر] و[ديار بكر]، وعواصمها على التوالي [الموصل] والرقة وأمد المعروفة اليوم بديار بكر.

ويعرض الجنرال [أي. هوتّم شندلر] في كتيبته «شرق العراق العجمي» الذي طبعته الجمعية الجغرافية الملكية في العام ١٨٩٦، الصورة التاريخية التالية لأقاليم العراق العجمي:

«كان الجزء الأكبر من البلاد التي اطلق عليها فيما بعد إسم (العراق العجمي) يعرف قبل الفتح العربي باسم [فاهلواو] أو [پهلوا] اي البلاد الجبلية. وكان الكتاب المسلمون حتى القرن الحادي عشر يطلقون عليها عامّةً إسم [الجبّال] ولم يكن الإسم يطلق دوماً على المنطقة المحددة

٣٠- يعني بين فتح هولبيغوخان ١٢٥٨م وفتح تيمورلنك ١٤٠٢م.

نفسها. وماسرّ زمن طويل على الفتح العربي (أواسط القرن السادس)^(٣١) حتى وضعت بلاد فارس تحت حكم عامل [الكوفة]. وفي عهد الخليفة معاوية (٦٦١ - ٦٧٩) ربط الجزء الجنوبي بعامل البصرة في حين بقي سائر بلاد فارس التي تشمل تقريباً بلاد [ميديا] القديمة تحت إدارة [الكوفة] وعندئذ سمي الإقليم المتفرع، شرق [زاغروس] بـ(عراق العجم) اي عراق البرابرة تمييزاً له عن [عراق العرب]. وتبع ذلك ان فصلت أذربيجان وأقاليم قزوين عن العراق الذي بات قاصراً على مناطق [طهران وقزوين وزنجان وهمدان وكرمنشاه ولرستان واصفهان وقاشان وقم]. وفي عصر خانات المغول، كان العراق يشمل الجزء الشرقي من هذه البلاد بالاضافة الى أقاليم قزوين. واليوم طوى النسيان هذا الأسم. فاسم [العراق] الوحيد الخالي من صفة تلحق بآخره، هو إسم إقليم صغير يقع جنوب غرب [قم].»

وهكذا فبالنسبة الى فترة الحكم العربي، يمكن الإستنتاج أن الإقليم المنازع عليه لم يكن قط ضمن العراق بإستثناء قليل من المساحات الصغيرة، وهذه المساحات نفسها لم تكن تدخل فيه لافي كل وقت ولا عند كل الكتاب. وليس ثمّ اي دليل على ان جزءاً من الإقليم المنازع عليه كان داخلياً في [العراق العجمي] كما ورد في احدى مذكرات الحكومة البريطانية. واخيراً فليعلم أن الاسم الحديث [العراق] ليس مشتقاً من الإسمين القديمين [العراق العربي والعراق العجمي] وانما هو قديم قدمهما، ويطلق أحيانا على هذين الإقليمين كليهما كما يستعمل أحيانا بمثابة إسم مختصر [للعراق العربي] « ان التفاصيل التي سبق ذكرها تنطبق ايضاً على الفترة التي تلتها، واعني بها فترة ما بين الفتحين المغوليين.

اما عن الفتح العثماني والفترة التي عقبته، فالمصدر الأساس هو كاتب چلبّي^(٣٢) و(حاجي خليفة)^(٣٣) الذي تنقل مع الجيوش التركية الفاتحة في سورية وما بين النهرين.

٣١- في النصين الفرنسي والإنكليزي هكذا. والمقصود طبعاً القرن السابع الميلادي. وهذا ما يستفاد طبعاً من التواريخ العربية.

٣٢- ضابط تركي ورحالة (١٦١١ - ١٦٧٩) جاب انحاء الامبراطورية العثمانية وله كتاب في هذه الرحلات بعنوان «سياحتنامه».

٣٣- إسمه الكامل مصطفى امين عبدالله [١٦٠٨ - ١٦٧٠] ولد في استانبول. ويعتبر واحداً من =

وكتابه الذي دونه في حدود الألف والستمائة تمّ طبعه في العام [١٧٠٠] على وجه التقريب. يميز [حاجي خليفة] بين مناطق الجزيرة وبين كردستان وبين العراق. فالجزيرة عنده هي كل البلاد الواقعة غرب دجلة حتى الخط الذي يصل بين هذا النهر وبين الفرات حتى مشارف [هيت]. وكردستان هي البلاد التي تقع بين بحيرة (وان) شمالاً ودجلة غرباً حتى القمم الرئيسية الجبلية الى الشرق، أما من الجنوب فبمتابعة نهر ديالى من خانقين. وبهذا يترك (طوز خورماتو) ضمن (كردستان) إلا انه يخرج (كفري) ويضعها في العراق. والعراق نفسه يشمل عنده كل البلاد الجنوبية. وسمى كل إيران القريبة على إمتداد الحدود التركية بـ(عجمستان) واطلق إسم (العراق العجمي) على البلاد التي تقع جنوب طريق [خانقين - همدان] فحسب.

وتوجد خريطة رسمها دانثيل [١٧٧٢] قريبة الشبه بما أورده [كاتب چلبلي]. ولعلّ من المفيد أن ننوه أيضاً بالخرائط الثلاث للفترتين: [١٠٤٠ - ١٠٧٠م] و[١٥٥٩ - ١٧٠٠] في «الأطلس التاريخي للإمبراطورية العثمانية» الذي رسمه الرائد [محمد أشرف في ١٩١٣]. ولم يطبع منه سوى نسخ قليلة. إذ يظهر فيه عين الترتيب الجغرافي باختلاف بسيط واحد أو اثنين.

إن اولى [سالنامات]^(٣٤) الإمبراطورية العثمانية [١٧٠٠] تورد عين التقسيمات الرئيسية وفيها تنقسم إيالة [ديار بكر] الى متصرفيات [ديار بكر، الموصل، وأورفه]. وإيالة [العراق العربي] تنقسم الى متصرفيتي [بغداد والبصرة]. وتورد خارطة [سالنامه ١٨٤٠] ما يكاد يكون مطابقاً بالحرف للحدود التي رسمها چلبلي بإستثناء دفع حدود الجزيرة مسافة ابعده قليلاً الى الشمال الغربي. ويختفي إسم (عجمستان) ليحلّ محله إسم [إيران]. وهناك خارطة [أ. ليفاسير] من كتابه [آسيا العثمانية أو تركيا الاسيوية - ١٨٤٦] وهي نسخة فرنسية لتلك الخارطة.

= الموسوعيين. لقب بخليفة، بسبب وظيفته التي كان يتقلدها في وزارة المالية. اهم مؤلفاته «كشف الظنون في اسامي الكتبية والفنون» وهو معجم لأسماء المؤلفات العربية اورد فيه وصفاً لـ (١٤٥٠٠) كتاب.

٣٤- مجلة أو كتاب دأبت الحكومات العثمانية على نشره (بصورة غير منتظمة) يتضمن الوقائع والاحداث والاوامر السلطانية الرسمية المتعلقة بأحوال الإمبراطورية. فهو بمثابة ما يسمى اليوم بالجريدة الرسمية. والكلمة بالاصل فارسية.

ورجعنا الى سلسلة طويلة من الخرائط التي وضعها الخرائطيون الاوربيون إلا انها كانت اقل قيمة في مجال الطعن بالحجج التي قدمت.

هناك عدد كبير لا يحصى من جغرافيين القرنين السادس عشر والسابع عشر دأبوا على استمداد معلوماتهم من معين [بطليموس] (٣٥) فطبعات [اورتيلوس] وما استنسخ عنها تُميّز ثلاث مناطق من الشمال الى الجنوب، وهي [أرضوم « جبال شاهقة » وديار بكر « الهضاب » والعراق « السهول »] والخرائط التاريخية التي انتشرت ولاسيما في القرن الثامن عشر كلها تضع ميسوپوتاميا غرب دجلة وتضع [أشور] الى الشرق و[بابل] الى الجنوب [سانسون: ١٦٣٧، دي ليل: ١٧٠٥، فوگوندي: ١٧٥٢، بوش: ١٧٥٤] وخرائط هذا العصر ذاته تميز عين المناطق بالإسماء على التوالي «ديار بكر، كردستان، عراق» وفي أحيان كثيرة لا تجد حداً مرسوماً يفصل ما بين هذه المناطق [دي ليل: ١٧٢٣] و[أوتنسنز: مملكة فارس] و[بون: تركيا الآسيوية] وعندما ترسم حدود، تجد العراق عادةً ممتداً حتى شمال السور الميدي أو القنال الذي يمتد على طوله تقريباً دجلة الصغير، والى جانب هذا فهناك كثير من المتغيرات حتى لدى الرسامين أنفسهم وعلى هذا الأساس فإن ديار بكر أو الجزيرة تمتد جنوباً أحياناً حتى بابل [خارطة بابل] في حين تسمى الجزيرة أحياناً بلاد (أديسا)، وسابقاً تسمى ميسوپوتاميا السورية (سورية وفلسطين: ١٧٤٦] حسبما يقوله [دي ليل]. ونعود ثانية لنجد كردستان لا تمتد الى ابعد من طريق كرمشاه [١٧٢٤] [انظر أطلس الجيب: فوگوندي] ونرى أحياناً كردستان (مثلاً في خارطة أوروبا التي نقحها ديزوش: ١٧٨٩) تبدء من شمال العماديه فحسب. على اننا نجد الموصل ضمن ديار بكر في جميع الأحوال [انظر أيضاً سورية... ١٧٢٦].

وعن حدود دجلة ووضع الموصل، ربما وجدت في وصف [ماليه: ألكون ١٦٨٣] والخارطة الملحقه به ماينطوي على قيمة، فهو يضع الموصل في ديار بكر ويضع (نينوى) في كردستان.

وأما عند [قان در آآ: تركيا الآسيوية] فإن كردستان تمتد على طول جبال زاغروس

٣٥- الفلكي والجغرافي اليوناني الشهير [حوالي ٩٠ - ١٦٨ م] نشأ في الاسكندرية وعرفه العرب والعالم عن طريقهم بكتابي «المجسطي = ماجستوس» ولاسيما بكتابه الشهير «جغرافية بطليموس».

من اقصاها الى ادناها ويبدو من خرائط [هومان: ١٧٧٣] عن الإمبراطورية التركية و[شوكوندي: بلاد السلطان الأعظم ١٧٦٣] الترتيب الاعتيادي للمناطق الثلاثة باضافة ماسماه بـ(مملكة بوشدأثور) الى الشمال الشرقي من الموصل. ويقسم خرائطيون آخرون البلاد الى بگلريبيگيات: (٣٦) دياربكر والموصل والرقة وبغداد (او العراق) [دانكر: خارطة الإمبراطورية العثمانية، جاييو ١٦٨٩، سانسون - جاييو: بلاد السلطان الأعظم ١٦٩٤] وكانت خرائط [سانسون] الأولى مضطربة ففي احداها - بلاد السلطان الأعظم: ١٦٩٤، تجد أضرارو تمتد حتى ديالى. كما انه اطلق إسم [دياربكر] فقط. على المنطقتين الأخرين [ميسوپوتاميا وعراق] أو كلاهما معاً، في حين تجده يبقي العراق خارجاً في خارطة أخرى [بلاد الإمبراطور التركية ط. مارييت]. وفي خارطة [هاريسن] المبنية على خارطة [دانكيل: ١٧٨٨] وُضِعَ للمنطقة الواقعة بين دجلة وبين الزاب وديالى إسم جديد هو [گارم]. أما [اوليفيه: رحلات. إس ٩، خارطة سورية]، فيطلق إسم كردستان على منطقة الزاب الأعلى فقط، كما سمى الجزيرة والعراق بـ(ميسوپوتاميا). ويرى [بيل - دوري: مركز الحرب: ختام القرن الثامن عشر] أن الجزيرة تمتد حتى تكريت. ويظهر [ريشار: أوائل القرن التاسع عشر] في [خارطة بلاد آل عثمان] ولاية الموصل الصغيرة تحيط بها ولاية بغداد التي شملت البصرة فضلاً عن نصيبين وماردين كذلك تجده يضع إسم الجزيرة على شمال ميسوپوتاميا واسم العراق على جنوبها.

اننا نلحق بهذا التقرير خارطة [دي ليل] التي تبين الأسماء التاريخية القديمة فضلاً عن الأسماء المتداولة لها في القرنين السابع عشر والثامن عشر [الخارطة رقم ٣]. لقد اعاد طبع هذه الخارطة [م. ز. خانزاديان] وستظهر في أطلسه [أطلس أرمينيا التاريخي]. وقد تكرم فوضعها تحت تصرفنا.

كلّ هذه الخرائط الاورويّة بمصادرها المضطربة المتعددة هي أقل قيمةً عندنا من الخرائط والمسح الأرمني. فالخريطة التي عملها [اوسكان] قسّ الجالية الأرمنية في [امستردام: ١٦٧٠] اطلقت على كلّ البلاد إسم ميسوپوتاميا العراق (اي ميسوپوتاميا الجنوبية). وهناك خريطة كبيرة معروضة في المكتبة الوطنية بپاريس رُسم

٣٦- تقسيم إداري في الإمبراطورية لما عرف فيما بعد بالولاية أو الإيالة.

مخططها في دير (سان لازار) بمدينة [البندقية: ١٦٧٠]، تُبتّ فوق كلّ القسم الشمالي من ضفتي دجلة اسمُ [آشور]، والقسم الجنوبي اسمُ [عراق]. وهناك الخريطة التي طبعت في الدير الأرمني بالبندقية (١٧٨٧) تسمي كل البلاد الواقعة غرب دجلة بـ(سورية) على أنها لا تثبت اسماً للمنطقة المنازع عليها.

وليس بمقدورنا أن نظفر بالكثير من المعلومات بالرجوع الى السياح الأوائل. إلا أن ماتوفر لنا عنهم لا يختلف بكثير عما وجدناه في الخرائط. فوصف [دولفين: ١٥٥٣] لرحلات [آرامون] المبعوث الفرنسي الذي رافق السلطان الفاتح، يتعرض كذلك بالحديث أيضاً عن السور الميدي بوصفه حدوداً بين [ميسوپوتاميا] و[بابل]. ولاينوّه [تافرنبيه: ١٦٧٦] بشيء ما عن حدود مختلف البلاد ويقول فحسب ان مأتى شهرة الموصل الوحيد هو موقعها كمركز تجارة بين العرب وكرد بلاد [آشور]. وان خريطة خطّ رحلة [بيير دلاقاله] التي نشرها [دوقال] تبين الطريق من قزلباط الى همدان بوصفه الحدود الشمالية للعراق العجمي، والبلاد الواقعة شمال هذا الطريق تسمى كردستان.

وتظهر عين الحدود في رحلات (جاك موربيه) سكرتير السفارة (خرائط البلاد الواقعة بين شيراز والقسطنطينية). فالبلاد التي هي غرب دجلة سمّاها [الجزيرة] والتي هي جنوب [سامراء] سمّاها [العراق العربي] ويذكر الملائم [وليم هيود: ١٨٢٠] السليمانيه بوصفها عاصمة كردستان.

إذا جمعنا هذه المصادر معاً، وجدناها تكشف عن تقسيم واضح بما فيه الكفاية لثلاث مناطق. وبموجبها لا يمتدّ العراق العربي شمالاً الى أبعد من [هيت - تكريت] أو الى منطقة حميرين.

بعد تدقيق كلّ هذه المعطيات والمعلومات كان يصعب علينا أن نفهم من أين استمد [كارك ريترا] اصول المعلومات التي زودنا بها في كتابه [معجم الإحصاء الجغرافي] وهو معروف بدقته وبأنه احد الثقات المعتمدين. يقول [ريترا] "العراق العربي إقليم تركي يقع على إمتداد الجزء الأدنى من دجلة والفرات ويشمل بابل وكلده القديمتين أو ولايات البصرة وبغداد والموصل، ولا يقطعه (اي العراق) في أقصى شماله إلا خواصر جبال الكرد" إلا ان الجملة الأخيرة وعدم تطرقه الى بلاد آشور قد يوحي بأنه لا يشير الى الولاية كلها.

هناك خريطة أخرى تُطلق على الجزيرة إسم [العراق أو ميسوپوتاميا] وهذه وهي الخريطة المسماة (خريطة سورية) إتما عملت لإيضاح المذكرات التي أملاها [ناپوليون]. ونشرت في السنة ١٨٤٧. على انه لايمكن ان تعتبر هذه الخارطة التي لانجد فيها اي عمق، مصدرأ للمعلومات عن هذه البلاد فقد اشير اليها اشارة عابرة في زاوية من زوايا الخريطة.

ان كل المراجع الحديثة يأتي بالشرح التالي لإسمي العراق العربي [اي ميسوپوتاميا الجنوبية] والعراق العجمي ويقصد به منطقة همدان في إيران وكذلك في المراجع: [هوار: تاريخ العرب] و[هوغارت: الشرق الأدنى] (على ان هذين المؤلفين لايتقدمان بتعاريف دقيقة) و[جگرخوين: دائرة المعارف اللغات الإيرانية] و[فيليبسون: الدولة التركية ١٩١٥] و[بانز: تركيا ١٩١٩]. وهناك جملة من الأطالس مثل أطلس [وايلد: ١٨٦١] وأطلس [فيدال دي لابلانش] وأطلس [شبرونر] وأطلس [شتيلو] وغيرها.

ورجعت المذكرة التركية الى دائرة المعارف البريطانية، ودائرة المعارف الفرنسية الكبرى، فوجدت تعاريفها مدعمة بتعاريف متطابقة في كتب الجيب التي اعدت باشراف الدائرة التاريخية في وزارة الخارجية البريطانية ١٩٢٠- مجلد ١١، جزء ٦٣: ميسوپوتاميا- وفيها حدد العراق تحديداً نافياً للجهالة ونقصد ميسوپوتاميا - السفلى، لاميسوپوتاميا كلها، حيث فصلت ميسوپوتاميا السفلى عن اختها العليا فصلاً واضحاً وهذه الأخيرة فضلاً عن [الجزيرة] لاتدخل فيها الموصل وحدها بل كفري وكركوك وأربيل والسليمانيه ورانيه ايضاً (ص ٢-٤ و١٣، ١٤، ١٥) والتحديد نفسه ينطبق على إسم العراق في [تركيا الآسيوية مجلد ١٠، فصل ٥٨، ص ١٢] واذا رجعنا الى الكتب المدرسية المستعملة الآن في [مصر] أكثر البلاد العربية تقدماً نجد طبعات السنوات ١٩١٣ و ١٩٢٢-١٩٢٣ لاتختلف عما سبق اي إختلاف في حين أنها كما يبدو لاتجد فرقا بين (الجزيرة) و(العراق). في هذه الكتب فتسمى كل البلاد المنحصرة بين الفرات ودجلة، والممتدة من الجبال شمالاً الى الخليج الفارسي جنوباً بـ(الجزيرة أو العراق). ان الأطلس الاقتصادي العربي المستعمل في عين المدارس يُطلق إسم [الجزيرة] على البلاد التي تقع ما بين هذين النهرين في حين يطلق إسم العراق على الإقليم الذي يقع شرقها. وهذا التقسيم الإقليمي يظهر كذلك بشكل غير دقيق

في آثار مؤلفين قداماء من أمثال [ابو الفدا] و[ابن حوقل]^(٣٧). ولنا بناء على هذا ان نستنتج بأن كل الإقليم المنازع عليه لم يكن يعتبر أو يوصف أو يظهر بوصفه جزءاً من العراق في جميع الآثار الجغرافية منذ بداية فترة الحكم العربي الى يومنا هذا.

ولا يُتصوّر ان يكون إسم العراق مألوفاً لدى السكان في الماضي قدر ما كان إسم بلادهم الخاصة مألوفاً لديهم.

ومهما يكن، فلعل الإسم كان شائعاً على ألسنة العرب أكثر من شيوع إسم [ميسوپوتاميا] الإسم الأوروبي. وهو بطبيعة الحال مجهول عندهم.

اطلق العرب إسم [العراق] على البلاد المجاورة جنوباً واعتبروا إمتداد الإسم دليلاً على إمتداد سلطان بغداد عاصمة العراق ويمكن إجراء مقارنة بتاريخ الاسم [ميسوپوتاميا] في العهود الرومانية. فد(سترايو: ^(٣٨) ن ١٦ ص ٧٤٦م لايمده نحو الجنوب الى أكثر من [الخط الميدي] في حين يأخذه [پليني]^(٣٩) [٥, ٢٤ فقرة ٢١] حتى الخليج الفارسي [يختلف مدلول المصطلح اللاتيني وفقاً لإمتداد وانحسار السلطان الروماني بطبيعة الحال]: [دائرة المعارف البريطانية: ميسوپوتاميا ص ١٨٠] ولذلك فبالنسبة الى هذا الجزء من العالم ايضاً ربما يجدر بنا ان نرجع ثانية الى دائرة المعارف البريطانية لنوضح ان قيام إمبراطورية [سرجون]^(٤٠) كان بدون شك السبب في انتشار أسم (اكدي) عاصمة [سرجون الاكبر] وشمولها كل بابل الشمالية. ونكاد لانجد حاجة الى سرد امثلة أوروبية عن كيفية إمتداد أسماء فرنسا والنمسا وروسيا وغيرها الى

٣٧- إسمه الكامل: ابو القاسم محمد بن حوقل البغدادي الموصلني التاجر والسائح. نبع في حدود ٩٧٧م تجول في البلاد الاسلامية ودون أخبار رحلته في كتاب "المسالك والممالك والمفارز والمهالك" وطبع في ليدن ضمن المكتبة الجغرافية العربية.

٣٨- أو (سترايون: ٥٨ ق.م - ٢٠ م) جغرافي يوناني يوجد في كتابه (الجغرافية) معلومات حسنة عن البلاد العربية والشرق الاوسط لم يسبقه فيها احد.

٣٩- المقصود هنا پليني الاكبر [٢٣-٧٩م] احد علماء الطبيعة الرومان وجغرافيينهم له كتاب (التاريخ الطبيعي) الذي يتألف من (٣٧) مجلداً حوى جميع المعلومات الجغرافية الطبيعية التي كانت معروفة في ذلك الزمن وهو الكتاب الذي يعتمد التقرير.

٤٠- المقصود هنا سرجون الاكدي الذي وحد بلاد ما بين النهرين في إمبراطورية واسعة في حدود (٢١٠٠ ق.م) وليس سرجون الآشوري (٧٠٤ ق.م).

أقطار أخرى.

وفضلاً عن هذا، فخارطة السنة ١٨٤٨، ونشرة دائرة الطابو التركية اللتان استندت اليهما الحكومة البريطانية، توضحان هذا الإتجاه بعينه - أعني كيف اتسع إقليم بغداد الإداري يشمل كل البلاد حتى الزاب الكبير، ثم ليشمل اسم الإقليم الذي كانت بغداد عاصمة له، كل ذلك الإمتداد. ولايسعنا الا ان ننوه بصحة حجة الحكومة التركية حول إخراج ولاية الموصل عن العراق عند ابرام إتفاقية [سايكس- بيكوك] إلا أن هذه الصحة جزئية- فالحدود التي رسمت بناءً على هذه الإتفاقية قسمت الارض المتنازع عليها فعلياً تاركة منطقة كركوك والسليمانيه في العراق، ومنطقة الموصل وأربيل في سورية. وعلى العموم فهذه الحدود كانت تتعقب مجرى الزاب الاسفل.

هناك امر واحد فقط يجب التثبت منه. اي بلاد كانت، وظلت تدعى [ميسوپوتاميا؟] ان المنطقة التي يشملها الاسم ليست واحدة في كل آثار الجغرافيين. على ان اي إقليم جغرافي طبيعي لديه دائماً منطقة مركزية (نواة) هي عموماً ذات خصائص معينة مهما تغيرت حدودها بالزيادة والنقصان إذ نادراً ما يكون لها خط حدود. كانت النهاية الشرقية القصوى لما بين النهرين في حافة السهل على ضفة دجلة اليسرى ونهايتها من الشمال في قدمات خواصر الجبل مابين النهرين ونهايتها الغربية في حافة الاراضي المزروعة على الضفة اليمنى من الفرات. ويعتبر بعضهم ان الاسم يشمل قدمات الجبال بل سفوحها ولا تدخل الجبال نفسها.

ان اوسع واحداث أطلس إنكليزي وهو [أطلس التايمس المُسطَّح للعالم] الذي عمله [بارثولوميو: ١٩٢٠] يبين حدوداً تمتد من جزيرة ابن عمر على طول دجلة وتبتعد عنه في نقطة تقع جنوب غرب دهوك مارة بين [القوش] و[تلكيف] وبين [أربيل] و[قره جوق - داغ] حتى [آلتون كوپري] وغرب [كركوك] ويستمر حتى [طاووق] ثم ينعطف انعطافاً حاداً نحو الشرق تاركاً [كفري] للغرب. والبلاد التي تقع شرق هذه الحدود سميت [ميسوپوتاميا] وتلك التي تقع غربها سميت [كردستان الجنوبية]. فإذا استبدلنا اسم العراق بـ [ميسوپوتاميا] فالنصف الغربي فقط من الإقليم المنازع عليه يمكن ان يطلق عليه [العراق] وان كان يجب من جهة اخرى ان يسرى هذا الاسم على كل البلاد حتى الفرات.

ومن الخطأ كذلك الاخذ بما ادّعتته الحكومة التركية، اعني ان الإقليم المنازع عليه هو

جزء من أناضوليا، فهذه بعيدة جداً. وكلا الإقليمين تفصل بينهما سورية وكردستان الغربية التي تشمل تقريباً منظومة جبال طورس وان خطأ الحكومة التركية قد لا يكون كبيراً إذا اقتصر الامر على مجرد هفوة التعبير، اعني لو أُطلقَ إسم (أناضوليا) على مناطق [ديار بكر وماردين ونصيبين] ذلك لان الإقليم المنازعَ عليه يكاد دائماً يعرف بأسماء شائعة لهذه المناطق فالأجزاء الجبلية تكنى بالإسم نفسه في كلٍ من [كردستان] والسهول أيضاً وهما [ديار بكر] و[الجزيرة].

هناك ملاحظة واحدة فحسب لامندوحة لنا من ذكرها. فبعد الرجوع الى جميع المصادر التي نوهنا بها والى عدد كبير من مصادر أخرى، لم نجد اي دليل يثبت ان هذه البلاد او اي جزء منها اطلق عليه في زمن ما إسم [تترستان] كما ادعت الحكومة التركية. زد على هذا ان الحكومة التركية قصرت الاجابة عندما طلبنا معلوماتٍ مُثبتةً لهذا الإدعاء. إننا لنجد إسم [تركمانيا] يتردد أحيانا في البلدان المجاورة. على انه كان يطلق دوماً على الأجزاء الشمالية. وكان يستخدم في القرن السابع عشر بديلاً عن أرمينيا بصورة عامة.

في خارطة [قان در آآ] لتركيا الآسيوية [القرن الثامن عشر] أثبتَ إسم [التركمان] في شمال بحيرة [وان] وجنوب بحيرة [أورميه] وغرب الفرات وليس في الجزيرة ولا في الإقليم المنازع عليه.

ان مختلف ملاحظات وإدعاءات الحكومتين في مجرى مناظرتهم السياسية ارغمتنا على إستخدام كثير من المراجع ومن ثم استلزم كتابة دراسة هي في الحقيقة اطول بكثير مما يمكن ان تبرره مسألة إسم الإقليم بالإرتباط مع مصيره.

٣- الطرق والمواصلات:

تتداخل المجموعة الثالثة من الحجج الجغرافية الخاصة بالطرق، مع الحجج الاقتصادية. وسوف نعالجها بتفصيل أكثر من هذا عندما يأتي دور تحليل تلك الحجج، أما الآن فسوف نتصدى لها من وجهة نظر جغرافية بحتة.

تقول الحكومة التركية ان مدينة وولاية الموصل تقعان على تقاطع كل الطرق التي تربط أناضوليا وسورية وإيران وانهما «عظمتنا الأهمية» من ناحية المواصلات جنوب [أناضوليا] مع إيران وسورية. وتؤكد المذكرة التي قدمت في لوزان أيضاً أن إرتباط مناطق [سليمانيه وكر كوك] بالبلاد الأم سيكون متعزراً بدون الموصل. ورداً على

اسئلتنا، قدمت الحكومة التركية إيضاحات أخرى زادت في تفصيل الموضوع. مما جاء فيها قولها:

من المعروف عموماً ان ثمّ طريقين تجاريين رئيسيين بين أناضوليا وإيران. أولهما ذلك الذي يمرّ عبر شمال بحيرتي [أورميه ووان] وينتهي بـ[طرابزون]، وثانيهما يمرّ جنوب هاتين البحيرتين. وان الطريق الذي ينتهي بطرابزون هو طريق ترانسيت بين إيران والغرب بالدرجة الأولى. في حين يُستخدم الطريق الجنوبي غالباً للمواصلات بين غرب وجنوب أناضوليا وإيران. وهو يتعقب نهر دجلة حتى الموصل (وعندما يبلغ خط السكة الحديد تلك المدينة فانه سيستخدم لهذه المواصلات بطبيعة الحال) ومن هناك ينشعبُ الى فروعٍ ثلاثةٍ تمرّ على التوالي [برواندوز وكويسنجق والسليمانية].

ان الحدود التي اقترحتها الحكومة البريطانية تغفل كلّ هذه الطرق التجارية وأما طرق التجارة بين تركيا وإيران الواقعة أبعد منها الى الشمال فلن تكون صالحةً خلال القسم الأعظم من السنة بسبب وعورة الأرض والأحوال الجوية».

وفي جزء آخر من الردّ نفسه تُعدّد الحكومة التركية طرق التجارة الرئيسة بين منطقة الموصل والأجزاء التركية غير المنازع عليها بالشكل التالي:

- ١- طريق دجلة
- ٢- طريق الموصل - ماردين - دياربكر - خربوط - سيواس - سامسون.
- ٣- السكة الحديد من نصيبين الى أدنه.
- ٤- طريق الموصل - الجزيرة - سعد - بدليس - أرضروم - طرابزون.
- ٥- طريق الموصل - عمادية - جوله ميرگ - باشقله - وان.
- ٦- طريق الموصل - أربيل - رواندوز - باشقله - وان.
- ٧- طريق الموصل - فايدة - زاخو - بيت الشباب - باشقله - وان.

من الطبيعي جداً أن مواصلات كركوك وسليمانية ستقطع مع دياربكر وماردين أو أيّ بلد آخر في تلك الأنحاء أو ما يليها بإستثناء الطرق التي تمرّ بالموصل فهي الوحيدة الممكنة. وعند تحليلنا الحجج الاقتصادية سوف نشير الى حجم التجارة التي يستوعبها هذا الطريق. وعلى كلّ فمن الواجب ان نتذكر بان السليمانية وكركوك هما في المنطقة المنازع عليها ومن ثمّ فالحجة التي توضع بهذا الشكل تفقد قوتها.

وبخصوص الحجّة الأكثر شمولاً القائلة ان ولاية الموصل ومدينتها هما بحكم الواقع

مركز ترانسييت ومستودع لاعادة التصدير، فمن المبالغة القول بأن الموصل ضرورة الى هذه الدرجة القصوى للتجارة بين أناضوليا وسورية. ففي التجارة بين سورية وإيران استخدمت [الموصل] والمسالك الخارجة منها الى [رواندوز] و[السليمانيه] حتى إيران بمدى معين في اية من فترة من الزمن. وعلى كل فقد كان هذا الاستعمال غير كبير دائماً اذا قورن باستعمال طرق المرور بين العراق وإيران مثل الباب الميدي^(٤١) وطريق خانقين والطريق القديم الى [عيلام] خلال [سوسه] الغابرة أو [شوشتر] الحالية [د]. كارويتتر: ١٦٦-١٦٧]. ولتجارة شمال سورية وأناضوليا المتجهة جنوباً كانت [حلب] المركز الرئيس وهو ماساد معظم الفترات التاريخية بطبيعية الحال. وطريق التجارة الرئيس كان طريق الكروان العظيم الذي ذكره [تافرنييه] يقطع الصحراء الى البصرة على خط مواز لنهر الفرات ويخرج منه فرع الى بغداد، ومنه الى الطريقين الرئيسيين اللذين يخترقان سلاسل زاغروس الى إيران. وهذا الطريق فقد معظم أهميته بسبب شق قناة السويس. ان تناقص حجم التجارة في هذا الطريق جعل مقتضيات الأمن فيه غير مضمونة. ومنذ ذلك الوقت اصبحت التجارة تُعَقَّب الضفة اليمنى من النهر. فأول الطرق الأخرى التي ورد ذكرها اذن هو النهر الذي لا يمكن استعماله الا نزولاً مع مجراه. والثاني هو طريق لا بأس به لكن أجزاء منه لا تصلح لوسائل النقل الآلية. وهناك ثلاثة طرق بديلة تمتد من الموصل الى نصيبين. اما الطريق الثاني فهو السكة الحديد. ولم تكن في الواقع ذات فائدة عملية حتى آذار ١٩٢٥ عند اعادة بناء جسر الفرات. والرابع هو طريق شاق وعلى الخصوص عند قاطع [الجزيرة - سعرد - بدليس] والخامس هو ممر جبلي معظم اجزائه في منتهى الوعورة لاسيما بين دهوك والعماديه وما يليها. والسادس منها صالح لوسائل النقل الآلية حتى [ديره] وبعدها يغدو ممراً صعب المرتقى للغاية في بعض اجزائه وغير مطروقة البتة في الشتاء. والسابع منها جيد حتى زاخو وبعدها يصبح سبيلاً للمشاة.

ولاتشير الحكومة البريطانية الى اتجاه الطرق إلا من وجهة نظر اقتصادية بحتة، وسنعود الى ذلك فيما بعد.

فهي تتكلم عن هذه الطرق كوسيلة من وسائل الحضارة وتذكر عند وصف بعضها ان الموصل تربطها بـ [تلعفر وسنجان وشرقاط ودهوك وزاخو وعين سفني وعقره وأربيل]

٤١- إسم اصطلاحى يشير الى طريق الغزو أو زحف الجيش الميدي الى العراق وهو يقع على وجه التقريب جنوب خانقين. ويمتد باستقامة حتى دجلة.

طرق صالحة لوسائل النقل الآلية، تربط كذلك [أربيل] بـ[شرقاط] وبـ[سنجار] حتى [رأس العين] وهناك طريق حسن من أربيل الى [رواندوز]. وتستخدم الموصل وأربيل وآلتون كوبري انهارها للمواصلات مع الجنوب.

علينا ان ندلي بتعليقات ثلاثة حول هذا الموضوع. فبالأول نقول: إن البلاد لم تكن تستقر الى الطرق ايام الترك وان بعض هذه الطرق جيد. ويقول مسسيو [ادوارد زخاو]^(٤٢) المستشرق الشهير الذي قام برحلات كثيرة في هذه الأنحاء واصفاً الطريق من الموصل الى زاخو بأنه لم يكن قط سيئاً وان الطريق المنحدر من جبال [زاخو] الى البلدة بأنه ممتاز جداً. [ص ٣٧٢]

ومن الجهة الثانية علينا ان نتذكر قيام الجيوش الألمانية والتركية ومن بعدها الجيش البريطاني بإجراء اصلاحات كبيرة على هذه الطرق أثناء الحرب لأسباب سوقيّة. فمثلاً عبّد الألمان طريقاً من الموصل حتى شرقاط معظمه ممتاز اقيمت عليه جسر حسنة البناء.

أمّا الطرق الأخرى [من الموصل الى أربيل وكركوك، ومن هاتين البلديتين الى السليمانيه ورواندوز] فقد أعاد الجيش البريطاني تمهيدها أثناء الحرب والثورة ثم نقلت الادارة العسكرية شؤون هذه الطرق الى الادارة المدنية [التقرير الأول عن العراق ١٩٢٠]. ومن الجهة الثالثة يجب الإشارة الى ان الطرق مازالت ابعدها ما تكون عن الطرق بمفهوم الكلمة الأوروبي. فكثيراً منها لا يمكن إستخدامه أثناء موسم الأمطار وكلها بإستثناء طريق شرقاط - الموصل، وطريق الموصل - زاخو يصعب سلوكها جداً غبّ مطر. ومن الطرق التي ذكرتها الحكومة البريطانية، الطريق الممتد من أربيل الى روادوز هو الوحيد الذي يمكن أن تستخدمه وسائط النقل الآلية لمسافة قصيرة جداً [من أربيل الى ديره] ومن بعد ذلك لا يصلح الاً لسيارات خفيفة الوزن وفي طقس جيد بينما يتحتم على المسافرين من (ديره) الى (رواندوز) أن يواصلوا سفرهم على ظهور الخيل بطريق للحيوانات بعضه جيد وبعضه سيء.

والطريق الآخر الذي يبدأ من سنجار ويتجه أيضاً الى الفرات ويتفرع الى فرعين واحدً الى (رأس العين) والآخر الى (ديرالزور) يتعذر إستخدامه أحياناً بسبب السيول

٤٢- احد اعظم المتشرقين (١٨٣٥ - ١٩١٥) صنف ونشرَ عشرات اثر عشرات من الكتب والبحوث بالعربية والسريانية فضلاً عن الالمانية مؤسس المعهد الشهير المعروف بمعهد اللغات الشرقية في برلين (١٨٨٨). والتقرير ينوه هنا بكتابه «رحلة الى سورية وما بين النهرين وهو ثمرة وفادة من حكومة المانيا الى تلك الانحاء».

المنحدرة من سنجار.

اما الأنهار فهي لاتصلح للملاحة الا مع التيار بأرماث [اكلاك] هذه الأرماث تنحدر في مجرى دجلة من دياربكر وزاخو حتى الزاب الأسفل من [طقطق] و[التون كوپري]. وهناك بعض البواخر الصغيرة تصعد أحياناً حتى الموصل. إلا ان النهر لايسمح الا لملاحة متقطعة ولاتتيسر الملاحة ضدّ التيار إلا في أشهر قليلة من السنة. وقد أبلغنا رسمياً ان النهر قد أغلق بوجه البواخر في سنوات سابقة بسبب غرق مركب وان المجرى لم يُعمد الى اصلاحه وكرهه منذئذ.

(٢) تحليل الحجج العرقية:

بحث كلتا الحكومتين القضية العرقية بتفصيل، وهي بلاشك قضية على درجة عالية من الأهمية. ان القضايا التي تتفرع من هذا الموضوع قد يمكن تصنيفها الى مجموعات ثلاث: المجموعة الأولى: عدد السكان الكلي والنسبة المئوية لمختلف القوميات. المجموعة الثانية: التوزيع الإقليمي للقوميات ويتضمن هذا البحث مسألتين: (أ) الطابع القومي لمدينة الموصل.

(ب) مشكلة الهجرة وحالة البداوة والترحل.

الثالثة: خصائص وأصول مختلف القوميات:

بالاضافة الى هذا هناك نقاط معينة أخرى تتعلق بأحوال عيش هؤلاء السكان وموضوع الملكية الفردية والعامّة. ومهما يكن فهاتان المسألتان لاثيران كثيراً من النقاش.

المجموعة الأولى: عدد السكان الكلي والنسبة المئوية لمختلف القوميات.

١- الإحصاءات التي وردت مذكرتي الحكومتين:

ان الإحصاءات التركيبية والبريطانية المتعلقة بالتكوين العرقي للسكان في الإقليم المنازع عليه تختلف إختلافاً ملموساً كما يوضح الجدولان التاليان:

ولاية الموصل

آخر إحصاء للحكومة العراقية ١٩٢٤-١٩٢٢	تقرير عمله الضباط السياسيون البريطانيون في سنة ١٩٢١	تقرير عمله الضباط السياسيون البريطانيون في ١٩١٩	الإحصاء التركي [الإحصاءات قدمت في لوزان]	التقويم الرسمي لولاية الموصل	
٤٩٤٠٠٧	٤٢٤٧٢٠		٢٦٣٨٣٠	—	كرد
١٦٦٩٤١	١٨٥٧٦٣		٤٣٢١٠	—	عرب
٣٨٦٥٢	٦٥٨٩٥	هذا التقدير عمل على قاعدة الدين لا على قاعدة القومية	١٤٦٩٦٠	—	ترك
٦١٣٣٦	٦٢٢٢٥		٣١٠٠٠	—	نصارى
١١٨٩٧	١٦٨٦٥			—	يهود
٢٦٢٥٧	٣٠٠٠٠		١٨٠٠٠	—	يزيدية
—	—		٥٠٣٠٠٠		مجموع السكان المستقرين
—	—		١٧٠٠٠٠		مجموع السكان الرحل
٨٠١٠٩٠	٧٨٥٤٦٨	٧٠٣٣٧٨	٦٧٣٠٠٠	٨٢٨٠٠٠	المجموع

لواء الموصل

آخر إحصاء للحكومة العراقية من ١٩٢٤-١٩٢٢	تقدير قام به الضباط السياسيون البريطانيون في سنة ١٩٢١	تقدير قام به الضباط السياسيون البريطانيون في ١٩١٩	الإحصاء التركي إحصاءات قدمت في لوزان		
٨٧٩٠٠	١٤٩٨٢٠		١٠٤٠٠٠		كرد
١١٩٥٣٧	١٧٠٦٦٣		٢٨٠٠٠		عرب
٩٧٥٧	١٤٨٩٥	هذا التقدير عمل على قاعدة الدين لا على قاعدة القومية	٣٥٠٠٠		ترك
٥٤٩٣٤	٥٧٤٢٥		٣١٠٠٠		نصارى
٣٥٧٩	٩٦٦٥				يهود
٢٠٢٥٧	٣٠٠٠٠		١٨٠٠٠		يزيدية
	—		٢١٦٠٠٠		مجموع السكان المستقرين
	—		؟		البدو والرحل
٢٩٥٩٦٤	٤٣٢٤٦٨	٣٥٠٣٧٨	؟		المجموع

إن الإحصاءات المتعلقة بالألوية الأخرى ليست قابلة للمقارنة لأن التقسيمات الإدارية السابقة تحت الحكم التركي لا تطابق التقسيمات الحالية.

وبطبيعة الحال فإن كل حكومة من الحكومتين انكرت صحة الأرقام التي قدمها الطرف المقابل منتقدة الأسلوب الذي اتبعه كل فريق من جهته. فالحكومة البريطانية تدعى:

(١) لم يكون في الإمبراطورية التركية إحصاء على أساس القوميات وإنما كان الإحصاء يتم على أساس الأديان فحسب.

(٢) لا يوجد مطلقاً خارطة دقيقة للإمبراطورية التركية.

(٣) إن القوائم المنظمة لأغراض التجنيد لا يمكن أن يقطع بصحتها لأن عدداً كبيراً من الأشخاص لأبدّ نجحوا في إسقاط اسمائهم وأفلتوا من التسجيل.

(٤) ليس في الامكان الاعتماد على الإحصاءات التركية لأنها لم تمارس قطّ اشرافاً فعلاً خلا في مدن وقرى معينة.

وذكرت الحكومة البريطانية أيضاً أنّ قيمة الإحصاءات التي عرضتها الحكومة التركية مطعون فيها بصورة خاصة لأنها لا تقترن بتاريخ معين.

وتطعن الحكومة التركية بالإحصاءات البريطانية وأساليبها محتجة بان الرحلات القصيرة التي يقوم بها الضباط السياسيون ليست كافية لجمع المعلومات الواضحة الدقيقة. أضف الى هذا ان الضباط البريطانيين لم يتمكنوا من الوصول الى السليمانيه.

فأجابت الحكومة البريطانية على إنتقاد الحكومة التركية بان الضباط السياسيين البريطانيين زاروا كل موقع في البلاد بأعظم ما يمكن من المواظبة والتدقيق كما ان تواجد الضباط البريطانيين في [سليمانيه] يعود الى تشرين الأول وتشرين الثاني ١٩١٨ حتى ١٩٢١، وانهم عادوا اليها في السنة ١٩٢٢، أمّا الحكومة التركية فقد عجزت عن التوصل الى أي معلومات خلال تلك الفترة.

وتقدم الحكومة البريطانية بعد هذا تفسيراً للإختلاف بين الجداول الاحصائية التي «نظمت» في ١٩١٩ و ١٩٢١ [كان المجموع المقدر في السنة ١٩١٩ هو ٧٠٣٠٠٠ وفي السنة ١٩٢١ وهو يزيد سالفه دقةً - ٧٨٥٠٠٠] برد سبب الإختلاف الى:

(١) عودة عدد كبير من الرجال الذين خدموا في الجيشين العربي والتركي.

(٢) عودة الأسر التي تركت قراها أثناء الحرب وقبل الإحتلال البريطاني.

(٣) وصول عدد كبير من اللاجئين الآشوريين.

وردت الحكومة التركية على إنتقاد الحكومة البريطانية الأخير بقولها ان إحصاءاتها هي نتيجة تحقيقات دقيقة جداً جرى تنظيمها قبل الحرب وهي لهذا خالية من اي تحييز سياسي. وبما أن المطلوب هو معلومات دقيقة جداً عن تنقلات السكان لأغراض التجنيد لذلك كانت الأرقام صحيحة.

ومهما يكن فقد بدا لنا ان المعلومات الآتية مازالت غير كافية لإعانتنا على تقدير قيمة الإحصاءات المختلفة، فطلبنا تفاصيل أخرى.

وعندها علمتنا الحكومة التركية أن الاحصائين اجريا لولاية الموصل في العامين ١٩٠٦ و١٩١٦ وأبدت أسفها أن تكون اساليب الإحصاء عند الحكومة التركية هي غير القواعد التي رسمتها مؤتمرات الإحصاء الدولية ولذلك لا يوجد ثم اضابير إحصاء شخصية وعائلية في محفوظات الإمبراطورية. وان إحصاءات ولاية الموصل هي نتيجة تحقيقات وتقديرات نظمت لغرض جباية ضرائب معينة أو لأجل التجنيد.

وارسلت الحكومة التركية الينا ايضاً وصفاً مسهباً لتلك الضرائب على اننا لانعتقد بجدوى معلومات كهذه في تزويدنا بأية فكرة صحيحة عن حركات السكان. وهي نظراً لموضوع القومية ليست بذات قيمة.

وبعثت الحكومة البريطانية بالمعلومات التالية لنا:

ان الإحصاء، أو بالاحرى تقدير العام ١٩١٩، جرى في نهاية السنة أعني في موسم البرد وهو الوقت الذي يستقر فيه الرّحل عادةً ويلوذون بمرايعهم الشتوية وحين يكون بعض البدو العرب خارج حدود اراضيهم الا أن هؤلاء ادخلوا ضمن التقدير على أساس التقديرات التي جرت للسنوات السابقة. ويجب ان نلاحظ بصورة خاصة ان الأساليب التي اتبعت لم تكن اساليب إحصاء: وانما هو مجرد حصول على تقدير. وان البلاد قُسمت الى مناطق وقد عين لكل منطقة ضابط سياسي يعاونه عدد من المساعدين يتراوح بين اثنين وعشرة. وقد زار كل واحد منهم ما إتسع له من زيارات للقرى الأكثر سكاناً في المنطقة. وعلمنا شفوياً ان العدد الأقصى من القرى التي زارها كل موظف في حدود مهمته كان يتراوح بين الثلاثمائة والأربعمائة. وهؤلاء الموظفون كانوا يستجوبون السكان ويحصون البيوت ويراجعون وثائق الإحصاء التركية الرسمية. وفي حين يشير تقدير ١٩٢١ الى القوميات نجد تقدير ١٩١٩ قد جرى على أساس الدين.

إن تقدير [١٩٢١] لم يجر إلا في لواء الموصل. وأما الألووية الأخرى فقد ظلّ تقدير (١٩١٩) على حاله مع ان السلطات اقرت بان السكان زادوا.

وفي غضون السنتين أو الثلاث الأخيرة بدأت الحكومة العراقية بجمع ما يعتقد بأنّه أوّل سجلّ إحصاء حقيقي للسكان في العراق [بضمه الإقليم المنازع عليه] ولم تكمل هذه الإحصاءات بعد، كما أنها لا تشمل أساساً المناطق الصحراوية ودرى الجبال الشاهقة. على ان المعلومات التي تمّ جمعها من لوائي الموصل وكركوك هي خير تقدير جرى حتى الآن. وارقام [أربيل وسليمانيه]، وان لم تكن بمستوى اللوائين الأولين من الدقة، لا يمكن إستخدامها للخروج بتقدير أجمالي للسكان وللتوزيع العرقي. إن الأرقام الكلية بحسب هذه التقدير هي أعلى بكثير من الأرقام الخاصة بالسنة ١٩١٩ أو السنة ١٩٢١ وما من شكّ في ان السكان قد ازدادوا. إلا ان الحكومة البريطانية ترى ان تحقيقاً آخر قد يظهر ان عدد الكرد في [أربيل والسليمانيه] بولغ فيه. ومهما يكن فمجموع سكان ولاية هو افضل ما وصلنا حتى الآن. وفي بلاد كالعراق حيث السكان لم يأخذوا بعد بأسباب المدنية وتطورها، لا سبيل الى اي إحصاء أو تقدير سكاني إلا اذا كان تقريبياً. ولم تُسدّ الإحصاءات التركبية لموظفي الإحصاء العراقيين ايّ عون لأنّ قانون الإحصاء التركي يحتمّ ان تسجل [ديانة] الشخص لا [قوميته]. وقد ذكر المندوب التركي في لوزان ان هذه المعلومات تستند الى إحصاءات ما قبل الحرب. ان الإحصاءات التي عرضها المندوب اوضحت ان سكان سنجق (لواء) الموصل^(٤٣) يبلغون [٢١٦٠٠٠] نسمة في حين ان قوائم إحصاءات ما قبل الحرب التركبية تعطي رقم [٢١١٠٠٠] للذكور من السكان فحسب للسنجق نفسه.

من السهل ان ندرك سبب عجزنا عن التثبّت من صحة إحصاءات السكان هذه بمجموعها. ولم يتوفر لدينا وقت كافٍ في اي موقع من المواقع التي زرناها لنقوم بإحصاء سكان نواحيه على أساس عدد الرؤوس إلا اننا كُنّا مع هذا قادرين في بعض المواقع على تكوين فكرة إجمالية بدرجة من الدقة لا يستهان بها كلما وجدنا الوقت كافياً والظروف مواتية.

ولذلك لا يسعنا ان نتقدم إلا بمجمل للإنطباع الذي تخلف لدينا ولا أكثر. وبعد ذلك سننتقل الى دراسة تفاصيل خاصة معينة اشارت اليها الحكومتان. لاشك أن الإحصاء التركي والإحصاء الذي عمله الضباط البريطانيون وإحصاء الحكومة العراقية، لا يمكن
٤٣- هي الكلمة التركبية التي تقابل كلمة (لواء) العربية [هذه حاشية التقرير].

ان ترقى الى مستوى الإحصاء الحقيقي على أساس المبادئ المتبعة في دوائر الإحصاء الحديثة. والفروق العظيمة بين تقديرات ١٩١٩ و ١٩٢١، وتقديرات ١٩٢٢ و ١٩٢٤ هي برهان كاف بان جملة من الظروف اجتمعت لتجرد هذه الأرقام من اهلية الاعتماد عليها والثقة بها. فمن المعلوم جيداً مثلاً انه يصعب اقناع مجموع من السكان وان كانوا من سكان أوروبا بأن إحصاء ما يمكن ان يستخدم لأي غرض آخر عدا غرض فرض ضرائب جديدة، أو لغرض التجنيد، لذلك وحشما تم إجراء تقدير جديد، لأبد وان عدداً ما من الناس سيخفون وجودهم عنه ربّما بنطاق أضيق بكثير مما كانت الحالة عند إجراء الإحصاء التركي. وعلينا ان نضع امامنا هذه الحقيقة بصورة خاصة: ان الحكومة العراقية لم تصدر حتى الآن قانوناً بالتجنيد الإجباري.. في الواقع ان لدينا برهاناً دامغاً بان الإنتخابات العراقية التي قرر اجرائها في بداية هذه السنة ستكون مستحيلة عملياً لأن عدد الناخبين المسجلين في السجلات الرسمية يجعل مجموع سكان العراق [بضمه الإقليم المنازع عليه] عشرة ملايين نسمة وليس ثلاثة ملايين. وسبب هذا التفاوت ان الزعماء والرؤساء قدموا ارقاماً بعدد أفراد عشائرتهم بولغ فيها كثيراً ليزيدوا من نفوذهم السياسي.

طلبنا القاء نظرة على سجلات الإحصاء فكان الجواب: يظهر انهم لم يحتفظ بالتقديرات الرسمية على أسلوب الأحياء في المدن أو الوحدات الإدارية الصغيرة ولذلك ليس هناك شيء يمكن تقديمه للجنة. ولم يعثر موقعياً إلا على سجلات [طاووق وچمچمال]. وكانت سجلات [طاووق] دقيقة الى آخر ساعة. اما سجلات [چمچمال] التي نظمت في وقت متأخر فلا تحوى زائداً «الترك» زائداً «الکرد» في السنة ١٩٢١ وبناءً على هذا فإن إحصاءات ١٩٢١ لا يمكن ان تتخذ قاعدة لتقدير القوى النسبية لمختلف القوميات في الأرض موضع النزاع.

إلا ان هذه الملاحظات تنطبق أيضاً على الإحصاء التركي فإنه يظهر الرحل وكأنهم أكثر من ربع كل السكان بأرقام تقريبية بدون اي تميز بين العرب والکرد.

ان قيمة كل هذه الإحصاءات الذي وضعها الطرفان أمام [لوزان] هي والحالة هذه عرضة للمناقشة الواسعة ومن ثم فكل الحجج المستندة الى هذه الأرقام عرضة للطعن أيضاً بعين المستوى. فمن الجانب التركي تستند المعلومات المستخلصة على أسس أو هي لأن المندوب التركي في مناقشته حول الموضوع، استخدم لأجل المقارنة بين القوميات نسباً مئوية في الأرقام بخصوص السكان المستقرين ولقد كانت المذكرة البريطانية محقة في الاعتراض

على هذا. ان الحكومة التركية مثلاً تشير الى (٤٣٠٠٠) عربي بالمقارنة مع [١٦٤٩٦٠] تركي في حين ان اغلبية الرُّحل هم عرب. وليس هناك تركي واحد من البدو والحقيقة هي أن ارقام القوميتين بحسب الإحصاءات التركية يجب ان يكون متساوية عملاً.

وبالالتفات الى اعتراض رفعتة الحكومة البريطانية، كان من الغريب حقاً أن نجد في «سالنامه» ولاية الموصل للسنة (١٣٣٥هـ = ١٩١٧) رقم ١٩٣٨٤٨ للذكور من السكان في سنجق الموصل فحسب، في حين ذكرت في المذكرة المرفوعة الى مؤتمر «لوزان» ان المجموع الكلي لسكان السنجق المذكور هو ٢١٦٠٠٠!

ومجمل القول فمن بين كل الإحصاءات المتوفرة - كان الإحصاء الذي قام به العراق، اقرب من غيره الى الحقيقة، وان كانت قيمة هذه المعلومات نسبية. كما ان هذه المعلومات يجب ان تقارن وتضاهى بكل الأرقام السابقة. إلا قوائم بأسماء الناخبين. وليس في اي من سجلات معلومات ما عن الإناث من السكان.

لذلك كان من الصعب بعض الشيء، تكوين فكرة محددة عن درجة دقة هذه الإحصاءات. ومهما يكن فلم نجد مندوحة لنا من التسليم بان آخر إحصاء هو اقربها الى الحقيقة. ففيه وحده كانت التقديرات تتم على أساس القوميات في سائر المنطقة.

ان تقدير ١٩١٩ تمّ بعين الطريقة التي تمّت بها الإحصاءات التركية، اي على أساس الديانة. وإحصاء ١٩٢١ الذي جرى على أساس القومية لم يتمّ إلا في لواء الموصل. والارقام المتحصلة من الألوية الأخرى، إنما استُمدت من تقديرات ١٩١٩، واستعيض بكلمة «قوميات» عن كلمة «أديان» بأسلوب نراه يميل الى الاعتساف والجدول الآتي هو للمقارنة.

١٩٢١ - ١٩١٩

المجموع	يهود	نصارى	المجموع	كرد	ترك	عرب	اديان اخرى	شيعية	سُنّية	
١٠٦٠٠٠	٤٨٠٠	٤١٠٠	٩٧١٠٠				١٠٠٠	—	٩٦١٠٠	١٩١٩
١٠٦٠٠٠	٤٨٠٠	٤١٠٠	٩٧١٠٠	٧٧٠٠٠	١٥٠٠٠	٥١٠٠٠				١٩٢١
٩٢٠٠٠	١٤٠٠	٦٠٠	٩٠٠٠٠				—	٥٠٠٠	٨٥٠٠٠	١٩١٩
٩٢٠٠٠	١٤٠٠	٦٠٠	٩٠٠٠٠	٧٥٠٠٠	٣٥٠٠٠	١٠٠٠٠				١٩٢١
١٥٥٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠	١٥٣٩٠٠				—	—	١٥٣٩٠٠	١٩١٩
١٥٥٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠	١٥٣٩٠٠	١٥٢٩٠٠	١٠٠٠					١٩٢١

يتضح ان الأرقام التقريبية للسُّنية، زائداً « الشيعة » زائداً « الديانات الأخرى » تتفق الى آخر رقم مع الرقم الذي سُجل « للعرب ».

٢ - تفاصيل الإحصاءات المثبتة في المذكرتين:

قدم كل طرف حججاً معينة ليثبت الضلال في إحصاءات الطرف الآخر وقد استندنا معاً الى الإحصاءات المنشورة سابقاً.

رجعت الحكومة البريطانية الى الكتاب التركي السنوي الرسمي لولاية الموصل. في حين كثيراً ما اشارت الحكومة التركية الى الإحصاءات الواردة في المجلد [٦٣: بلاد الرافدين] من دليل وزارة الخارجية.

حاولنا تصنيف وجمع الملاحظات المبعثرة في مختلف المذكرات حول هذا الموضوع ونرى ان نحص كل قضية على حدة بتفصيل. وهذه النقاط هي ذات أهمية مباشرة أحياناً إلا انها في أحيان أخرى تزودنا بدليل على صحة أو ضلال المعلومات فحسب.

أ - العرب والترک في «السليمانيه»

للبرهان على فساد الإحصاءات التي قدمتها الحكومة التركية في [الوزان]، قامت الحكومة البريطانية بالفتات نظر المجلس^(٤٤) الى ان الإحصاءات التركية تذكر وجود (٧٠٠٠) عربي و(٣٢٩٠٠) تركي في لواء السليمانيه في حين انه (كما تقول الحكومة البريطانية) لا يوجد عربي واحد ولا تركي واحد في سائر اللواء.

قالت الحكومة التركية رداً الى سؤالنا بأن العرب في سنجق السلمانية ينتمون الى قبيلة (طيء) وهم يعنون بتربية الماشية في موقع يلتقي عنده نهر [تاجرو] بـ [ديالي]. وتذكر الحكومة التركية انه ان لم يعثر على هؤلاء العرب في تلك المنطقة فسبب ذلك هو عودتهم الى مريض القسم الاكبر من القبيلة الذي يقع في منطقة [نصيبين - ماردين]. هذا الاحتمال الأخير قد يمكن ان تثبته الحكومة التركية لأن (طيء) نصيبين هم في أرض تركية. كما أكد لنا رؤساء ذلك الجزء من قبيلة (طيء) الذي يعيش بالقرب من القيارة على ان هؤلاء الرؤساء فضلاً عن ذلك - لا علم لهم بتواجد اي جزء من القبيلة في منطقة السليمانيه وعندما كانت اللجنة في السليمانيه طلبت من المستشار التركي في رسالة مؤرخة ٢٨ شباط - ان يرينا العرب القاطنين في لواء

٤٤ - اي مجلس عصبة الأمم.

السليمانية فاجاب المستشار التركي قائلاً: يظهر ان المعلومات لم تكن صحيحة وقال لو أننا رجعنا الى التقاويم الرسمية للولاية فلعلنا نوفق في اكتشاف مصدر هذا الإدعاء. وفي مذكرة الحكومة التركية مصدر لم يتم اقتباسه بشكل صحيح في هذه القضية. ففي الصحيفة ٢٨٥ من تقويم ١٣٣٠هـ = ١٩١٢، نقرأ ان سكان لواء سليمانيه كلهم كرد باستثناء مجتمع عربي صغير يُعرف باسم [شميران] وليس بد(طيء) وقليل من اليهود والنصارى. ويرجعنا إلى خريطة المسح الهندية المرقمة [E٢: سليمانيه] نجد اسم هذه القبيلة فوق رسم منعطف من منعطفات نهر ديالى قرب [شيخ ميدان] في لواء السليمانية إلا انها خارج الأرض التي تدعيها الحكومة التركية. ولم نجد في السليمانية أكثر من تركي واحد أو اثنين. وقد استجوبنا كلاً وجهاء القوم في هذه المدينة وكل رؤساء العشائر تقريباً في اللواء فأيدوا انه لا يوجد في اللواء أو السنجق، إلا كرد.

ب - ترك [العشائر السبعة] و[الشيخان] وناحية الموصل:

ولفتت الحكومة البريطانية إنتباهنا الى قضية غريبة أخرى وهي قضية نواحي الشيخان والعشائر السبعة والموصل.

تقول الحكومة التركية ان هاتين الناحيتين تشتملان على ١٤٦ قرية وهي مسكونة بالترك على الإطلاق. في حين كانت غالبية سكان [ناحية] الموصل وتشمل ٧٧ قرية، من الترك.

تنكر الحكومة البريطانية هذا الإدعاء وتقول ان ناحية [الشيخان] تتألف من ٤٢ قرية: ثلاث وعشرون منها يزيدية، واحدى عشرة عربية، وست منها خليط يزيدي عربي، وقرتان كرديتان. وتشمل ناحية العشائر السبعة ٧٣ قرية معظمها قرى كردية. وهناك عشرون قرية غير مأهولة وعدة قرى استقر فيها اللاجئون الآشوريون، وتشمل ناحية الموصل تسعاً وعشرين قرية فقط، عشر منها عربي وثمان خليط من العرب والترك وأربع خليط من العرب والشبك وسبع مهجورة.

كنا قد لاحظنا وجود مائتي عربي في الشيخان فحسب ولم نجد تركيا واحداً. ولم يكن بمقدورنا زيارة الناحية شخصياً. إلا أن المستشار التركي اعلمنا بكتاب رسمي بان الناحية لايسكنها ترك. فزرنا ناحية العشائر السبعة. ونقدر بأن نسبة الكرد في هذه المنطقة يبلغ ٩٠٪ من مجموع السكان اعنى حوالي الفين. وان هناك عدداً من النصارى

يتراوح بين ٢٠٠ و ٢٥٠ نسمة.

واما بخصوص ناحية الموصل فإن عدد الترك والسكان الذين هم من أصل تركي هو كما يبدو في هذه المنطقة اكبر مما ادعته الحكومة البريطانية إلا أنه بعيد جداً عن ان يؤلف أغلبية السكان كما تؤكد الحكومة التركية. وذكرت الحكومة التركية أسماء ذات اصل تركي لبعض القرى. على ان هذا ليس في الواقع دليلاً على كون سكانها من اصل تركي ولانقول تركية خالصة. هذه الأسماء لاتصلح وحدها دليلاً. وقد رجعت الحكومة البريطانية الى التقويم التركي لسنة ١٣٣٠هـ = ١٩١٢ (الصحيفة ١٨٧) لتبرهن على طابع المعلومات التركية المخالفة للمنطق والمفتقرة الى الحجة. ففيه ذكر ان الجزء الغربي من قضاء الموصل يسكنه العرب مطلقاً باستثناء قليل من الكرد. وان الجزء الشرقي يسكنه عرب وترك وكرد وكلدان ويزيدية. وكل منهم يتكلم لغته فضلاً عن العربية. وتذكر قائمة النواحي ان في ناحية الشيخان ثمانين قرية. وفي ناحية العشائر السبعة ثمان وسبعون قرية وقد تحققنا بأنفسنا من صحة هذا المقتبس.

ج: ترك (تلعفر)

ان الحكومة التركية تولي اهتماماً كبيراً ببلدة تلعفر التي تقول انها تركية خالصة بسكانها العشرة آلاف.

وتدعي الحكومة البريطانية انه لا يوجد غير خمسة آلاف وخمسمائة تركي في ناحية تلعفر وبضمنهم سكان البلدة. والجميع يتكلمون العربية.

تحققنا بأنفسنا ان كثيراً من أهالي البلدة يفهمون العربية ويقول المواطنون البارزون منهم أنهم أتراك باستثناء القلة الذين ذكروا انهم ينحدرون من اصل تركي لكنهم في الوقت الحاضر عرب. ونحن لانعتقد ان هؤلاء الآخرين ذكروا ما ذكروا بملاء ارادتهم ومن دون تأثير خارجي.

٣- الإحصاءات السابقة:

أ- الإحصاءات الواردة في دليل وزارة الخارجية: لفتت الحكومة التركية إنتباهنا الى الكتيب المرقم ٦٣ [بلاد الرافدين] الذي نشرته وزارة الخارجية في ١٩٢٠، ومن الإحصاءات التي وردت في الصحيفة الثانية منه، نقتبس الأرقام التالية لسكان ميسوپوتاميا:

٣٨٠ . . .	كرد
١١٠ . . .	ترك و تركمان
١٠ . . .	آشوريون
٢١ . . .	يزيدية
١٠ . . .	شيك

وتضيف الحكومة التركية، من مقتبساتها عنه، ان السكان الأتراك منتشرون بصورة خاصة في شرق الموصل، في تلعفر والبلدان الواقعة على طول طريق أربيل كفري. وأن الآلاف العشرة الشيك يجب أن يعتبروا تركماناً أو تركاً لأنهم كذلك على حد قولها. وهذا ما يجعل مجموعهم بحسب ماورد في الكتيب البريطاني - مائة وعشرين ألفاً في الإقليم المنازع عليه أو ما يقارب المائة والعشرين ان شئنا الدقة لان عدة آلاف من الترك يسكنون بغداد ولذلك يثبت كتيب وزارة الخارجية أن مائة وعشرين ألفاً يسكنون الإقليم المنازع عليه في حين لا تثبت الإحصاءات المقدمة الى مؤتمر (لوزان) أكثر من ستة وخمسين الفا لهم.

ووجه إستفسار الى الحكومة البريطانية حول هذه النقطة فاشارت الى ان هذا الكتيب يبحث أمور قطر اوسع بكثير من ولايات الموصل وبغداد والبصرة السابقة كما يدل عليه عنوانه (ميسوپوتاميا) في الصحيفة الأولى منه. وكما هو مثبت في إحصاء مجموع السكان الكلي الذي يتضمن القوميات التالية اضافةً الى عدد القوميات والارقام التي اقتبستها الحكومة التركية.

١٠٠٠٤٥٠	عرب
٧٠ . . .	فرس
٦٠ . . .	يهود
٥٧ . . .	أرمن
٨٠٠٠	چركس
٢٠٠٠	صابئة
١٠ . . .	قوميات أخرى

ان ارقام الأرمن والچركس بصورة خاصة توضح ان حدود البلاد المقصودة تمتد مسافة ابعد بكثير نحو الشمال الغربي ونحو الشمال. ان الحجة البريطانية المقابلة معقولة جداً. وان لم يحدد الكتيب المشار اليه تخوم

الأرض تحديداً دقيقاً فالتحديد الوارد في الفقرة الأولى غامض جداً على ان ما يتضح من قائمة البلدان فيه، ان الحدود تمتد لتشمل (ديار بكر) و(ماردين) و(اورفة) ايضاً ولذلك كان متعذراً التحقيق من الارقام وإن كانت نتيجة إحصاء فهي الواقع تنطبق على منطقة اكبر من الإقليم المنازع عليه.

ب - الإحصاءات التي ورد ذكرها في الكتاب الرسمي السنوي لولاية الموصل:

استندت الحكومة البريطانية الى الكتاب الرسمي السنوي لولاية الموصل (١٣٣٠هـ = ١٩١٢) وهدفها الأساس من ذلك التدليل على الطابع العربي للبلاد لا الطابع التركي. وقد تحققنا من هذه المقتبسات ووجدناها صحيحة الا جانباً منها، فهو مقتبس من التقويم السنوي للعام ١٣٢٤هـ = ١٩٠٦، لا من التقويم السنوي. ١٣٣٠هـ = ١٩١٢. وستعود في موضع آخر الى هذه المعلومات العامة والمراجع التي استمدت منها الحكومة البريطانية.

المجموعة الثانية: التوزيع الإقليمي للقوميات

١- الخرائط

أ- الخرائط العرقية (الاثنوغرافية)

إحاطاً بالمذكرة المؤرخة في الرابع عشر من آب ١٩٢٤، قدمت الحكومة البريطانية الى مجلس عصبة الامم الخارطة الاثنوغرافية التي أعدت حصيصاً لتبسيط مفاهيم المذكرة (خارطة رقم ٤).

رسمت هذه الخارطة بالطريقة العتيقة التقليدية، طريق الأسطح الملونة. اعني ان راسمها لم يدخل في الحساب كثافة السكان. فهي تظهر مختلف المناطق ملونة بألوان متميزة بحسب مختلف الأغلبية الساكنة في البلاد سواء في الإقليم المنازع عليه أو المناطق التي تحيط به ولم يجر تلوين المنطقة التي كثر فيها التداخل العرقي، وهي شريط واسع رفيع يقطع الخارطة طولاً على إمتداد دجلة. رأينا من الضروري ان نسأل الحكومة البريطانية عن الأسس والمبادئ التي رسمت الخريطة بموجبها؟ هل ان التلوين استعمل حيث توجد أغلبية تقارب ١٠٠٪. نقط أم هل استخدم فيها المبدأ الذي أقره مؤتمر الصلح، اعني عدم الاعتداء بالاقلية التي لا تزيد عن ٢٠٪ أم أنهم اعدوا الخريطة بحسب مبدأ آخر. واستفسرنا كذلك هل أدخل فيها العرب البدو؟ لعلنا ان معظم قبيلة (شمر) يعيش خارج حدود الإقليم المنازع عليه شتاءً وللسبب عينه سألنا عن

السنة التي تشير اليها تلك المعلومات.

فأجابت الحكومة البريطانية بان الألوان المتميزة التي تمثل مختلف القوميات استخدمت حينما الفت القومية التي تمثلها ٨٠٪ أو أكثر من مجموع السكان وبضمن ذلك الرّحل والبدو الذين يعيشون معظم السنة في المنطقة.

وقد تركت الأرض دون تلوين في الموضع الذي لا تبلغ القومية ٨٠٪.

وقالت ان العرب البدو في الضفة اليمنى من دجلة قد دخلوا في الحساب وزادت الحكومة البريطانية في قولها انها لم تهيء الخارطة لأية فترة مخصوصة من السنة. وان حركة البدو العرب لن تؤثر على النسبة المئوية في هذه الأراضي ولاحظت الحكومة البريطانية ايضاً ان هجرات بعض القبائل الكردية الرحالة لا تأثير كبير لها على النسبة المئوية في مناطق معينة يسكنها أكثر من ٨٠٪ من اليزيدية المستقرين.

وبما ان الحكومة التركية لم تقدم في حينه اي خريطة إنثوغرافية، وجدنا من الضروري أن نطلع على رأيها في المعلومات الواردة في خارطة الحكومة البريطانية. فاجابت في معرض ردها ان التحيز ظاهر في خارطة الحكومة البريطانية. واوضحت إنها أعدت بنية ترجيح القومية العربية وتقليل حجم القومية الكردية وبالأخص تقليل نسبة التواجد التركي الى النزر اليسير.

وبخصوص الشريط الأبيض في الخارطة البريطانية اشارت الحكومة التركية أن البقع الصغيرة البنية اللون المبعثرة في هذا الشريط تشير الى سكان من الترك يبلغ عددهم ١٤٦٠٠٠ ولذلك كانت البقع صغيرة ولا تمثل الحجم الحقيقي. اما المراكز التركية الهامة امثال (طوزخورماتو وطاووق وقره تبه وتازه خورماتو) فهي لا تظهر باللون المخصص للقومية التركية وان كانت المذكورة البريطانية قد نوهت بها باعتبارها مسكونة بالترك. وقالت «لوان هذا الحذف صحح ولو صبغت المناطق أكثر إتجهاً الى الشمال التي يسكنها الترك باللون الصحيح وثبتت أسماء القرى فسيتضح ان ماسمي بشريط (كرد وعرب) الابيض هو مسكون بالترك مطلقاً هؤلاء الترك الذين استقروا هناك منذ اجيال يؤلفون كتلة متراسة. وتضيف الحكومة التركية قائلة ان الترك هم المنتجون الرئيسيون في هذه البلاد الغنية بقمحها. وان الكرد والعرب يأتون بمواشيهم الى هناك لمبادلتها بالقمح التركي وقد الحقت الحكومة التركية رسماً كروكياً لإيضاح وجهة النظر هذه.

عندما ارسلت الحكومة التركية ردها ارفقته بخارطة طبعتها الجمعية الجغرافية الملكية

بلندن في السنة ١٩١٠ (الخارطة رقم ٥) وهي تختلف كثيراً عن الخارطة التي قدمتها الحكومة البريطانية. ان الحكومة التركية تلفت الإنتباه بشدة الى ان عين اللون المستعمل لليزيدية في خارطة الجمعية الجغرافية الملكية مستعمل للكرد أيضاً في حين انه استعمل لون مختلف لكل منها في خارطة الحكومة البريطانية. ان هذه مسألة اخرى سنعود اليها فيما بعد اما الاختلافات الأخرى بين الخريطين فهي أكثر أهمية.

ولسهولة المقارنة بين الإختلافات في الخارطين قمنا بتعديل المقاييس فيهما فجعلنا الجزء الخاص بالإقليم المنازع عليه على مقياس واحد كما استعملنا عين اللون لكل قومية في كل جزء من الخريطين وبطبيعة الحال لم نغير في اي شئ منهما خلا اننا وجدنا من الضروري الاستعاضة عن الشريط الأبيض الذي يمثل الخليط العربي الكردي من السكان بخطوط عرضانية خضراء وصفراء اللون اي اللونين المخصصين لهاتين القوميتين، اذ وجدنا بياضاً في موضع من الخارطة يمثل ارضاً لايسكنها احد الأمر الذي يحدث التباساً بلا شك.

لقد رسمت خارطتنا الحكومتين على القاعدة القديمة اي قاعدة السطح الملون الذي لايعطي فكرة حقيقية. فمثلاً مثلت الـ (١٠٢٤٠٠) نسمة لمدينة الموصل وناحيتها، بقطعة ملونة مساحتها حوالي ١/١٤٠ مليمتر مربعاً تقريباً في حين مثالا الـ (٢٤٠٠٠) أو الـ ٢٥٠٠٠ عربي المستقر منهم والبدوي في جنوب خط (سنجار- تلعفر) ببقعة ملونة مساحتها حوالي (١٧/٦٠٠) مليمتر مربعاً. لذلك وجدنا من الضروري رسم خريطة ثالثة على الطريقة التي تبين كثافة السكان وتوزيع القوميات في آن واحد (الخارطة رقم ٦). ان التفسير التكنولوجي للنظام الذي اتبعنا موضع على الخريطة نفسها. وعند مقارنة هذه الخارطة بالخارطة الطبوغرافية المفصلة (مقياس ٠٠٠=٢٥٠) فسيبدو أن البقع الملونة على الخارطة تقابل المناطق المأهولة وتبقى الجبال والصحارى بيضاء خالية، وهي مناطق واسعة غير مأهولة، وكل ساكن متمثل هنا فكل مليمتر مربع من التلوين يمثل مجموعة قدرها مائة من السكان وعلى اية حال لم يكن هذا هو السبب الوحيد الذي استلزم رسم خارطة ثالثة جديدة. ان إنتقادات الإحصاءات المقدمة لمؤتمر (لوزان) ولعصبة الأمم برهنت بوضوح ان الخرائط المتعلقة بهذه الإحصاءات حتى لو كانت قد رسمت على خطوط أكثر علمية فلن تمثل ما يقارب الوضع الحقيقي^(٤٥).

٤٥- إرتأينا الإستغناء عن إيراد كل الخرائط التي تم إلحاقها بالتقرير لأنها إنما رُسمت من قبل الجانبين إثباتاً لوجهات نظرٍ وإدعاءات مؤقتة، مطعون بصحتها كما تبين للجنة.

ولما لم نكن نملك وسائل للقيام بإحصاء جديد فقد رسمنا هذه الخارطة بحسب المعلومات المبنية على آخر إحصاء قامت به السلطات العراقية وقد بدأ لنا اقرب الإحصاءات الى الحقيقة كما سبق بيانه.

ب- خارطة لكثافة السكان

ان الخرائط الاثنوغرافية المقدمة لاتظهر بوضوح كيفية توزيع سكان الإقليم المنازع عليه كل في ارجائه ولذلك وجدنا من الضروري رسم خارطة لكثافة السكان (خريطة رقم ٧) لاستعمالنا ان لم يكن لغرض آخر وبطبيعة الحال كان علينا ان نفسح في هذه الخريطة مجالاً لمنطقة واسعة تحيط بالإقليم المنازع عليه وقد ارفقناها بالتقرير. على أنه لايمكن إعتبارها قرهه عن العيوب لأن معلوماتنا التي استخدمت من مختلف المصادر لم تكن دوماً متساوية القيمة.

وربما كانت المعلومات الخاصة بالإقليم المنازع عليه أكثر إصابة وقد سبق لنا فأشرنا الى درجة دقة الإحصاءات التي تستند اليها هذه المعلومات.

واما عن (مملكة العراق) فإن حكومتها تفضلت فوضعت تحت تصرفنا مخططاً لحدود النواحي وقائمة بمساحاتها بالكيلومترات المربعة وعدد سكانها وعلينا ان نشير بأن ثم أغلاطاً واضحة، بل كبيرة جداً في المعلومات الخاصة بالمناطق بلغت حداً أعجزنا عن الاستفادة من القائمة. لكننا قسنا مساحة النواحي على ضوء الخارطة المذكورة وهذه الطريقة تلازمها بطبيعة الحال درجة معينة من الخطأ. واما عن الحدود المشتركة مع سورية الفرنسية فإن قائد المنطقة تلتطف كثيراً فوضع تحت تصرفنا المعلومات الضرورية. وتسلمنا من الحكومة التركية بوساطة المستشار التركي معلومات عن تخوم الجمهورية التركية الموضحة في الخارطة وتتألف هذه حتى من حدود الاقضية وقائمة بعدد السكان ولم يكن بوسعنا الحصول على خارطة تشير الى حدود النواحي ولم نحاول الحصول على معلومات مشابهة من إيران عن المناطق الإيرانية المجاورة الواقعة فيما وراء الجبال.

٢- فحص قضايا معينة حول توزيع السكان

ان التوزيع الإقليمي للسكان موضح في هذه الخرائط فضلاً عن بحثه بكثير من التفصيل في المذكرات.

أ- إمتداد المنطقة العربية:

كان إمتداد المنطقة العربية مسألة من المسائل التي أثيرت. وقد ظلت الحكومة

البريطانية مصرّة أبداً على ان العرب يؤلفون جمهورية السكان على طول الضفة دجلة اليمنى بإستثناء يزيدية سنجار وجارتهم (تلعفر) المدينة التركية ونواحيها ، ومدينة الموصل والضفة اليسرى من دجلة حتى طريق (أربيل- كركوك- كفري) فضلاً عن الأراضي الواقعة شمالاً الى قدامات الجبال.

اما الحجة التركية التي عرضت في عديد من المناسبات فهي أن ولاية الموصل تنحصر في اراض تقع ضمن الزاوية التي تحدّها الضفة اليمنى لدجلة وخط (قيارة - سنجار) بإستثناء شريط ضيق من الارض يبدأ من الفتحة ويصل حتى مشارف كركوك على الضفة اليسرى. وتضيف الحكومة التركية ان هذه المنطقة وان كانت واسعة مترامية فهي في الواقع خالية من السكان.

اننا سنعود الى قضية مدينة الموصل بالأخير. أما عن القضية الأخرى فإن الحقيقة كامنة في نقطة تقع في وسط هذين الإدعائين. تبين خريطتنا الاثنوغرافية بوضوح ان الحكومة البريطانية محقة بصورة عامة في القول بان معظم الضفة اليمنى لدجلة مسكون بالعرب واستثنت يزيدية سنجار وترك تلعفر وبضعة آلاف من الكرد والنصارى الذين لا تشير اليهم. وعلى كل فإن هؤلاء السكان العرب بإستثناء الموصل وضواحيها هم اقل مما تميل الخارطة الى ابرازه ويعد اسقاط مدينة الموصل من الحساب نجد في هذه الأنحاء بحسب آخر الإحصاءات العراقية ٣٦٠١٠ عربياً و١٦٣٧٤ يزيدياً و٩٦٣٥ كردياً و٥٩٧٩ تركياً و٤٤٧٧ مسيحياً والمجموع هو (٧٢٧٤٥) نسمة.

وعلى الضفة اليسرى من دجلة يبدأ التواجد العربي من آخر منطقة الجبال شمال الموصل نزولاً الى الحدود الجنوبية للإقليم المنازع عليه وبناءً على هذا تكون الحكومة التركية مخطئة في القول بأن السكنى العربية لا تبلغ (طريق أربيل - كفري) العام الا في موضع واحد أو اثنين. وفي لواء أربيل اقتصرت السكنى على الجوار المباشر لضفة النهر وان الكتلة المتراصة القومية للكرد تمتد من أربيل وطريق أربيل الى مايزيد عن أربعين كيلومتراً باتجاه مجرى دجلة وهكذا لا تخلو المذكرة البريطانية من المبالغة نفسها.

ب - توزيع السكان الترك وعددهم

هناك خلاف في وجهة نظر الحكومتين حول السكان الترك وطابعهم وغلبيتهم العددية ونسبتهم المئوية الى مجموع السكان في الإقليم المنازع عليه وسنعود فيما بعد الى النقطة الأولى وهي مدى الفرق العرقي الكائن بين التركمان والترك.

بالنسبة الى الغلبة العددية نرى الحكومة التركية محقة في قولها بأن الخارطة التي قدمتها الحكومة البريطانية لاتعطي فكرة كاملة عن هذه الغلبة. ولاتبين عدداً معقولاً للمجتمعات السكنية التركية لكن الخارطة الكروكية التي قدمت للجنة في انقرة بالغت كثيراً جداً من الجهة الأخرى فقد أظهرت كل الأرض الخصبة الواقعة جنوب الموصل وكأنها مسكونة باغلبية تركية في كتلة متراصة وفي هذا قلة دقة تثير الاستغراب.

تؤكد المذكرة البريطانية أن السكان الترك أو التركمان لايمثلون الا ١٢٪ من مجموع السكان العام للولاية وان هؤلاء التركمان أو الترك هم اقل عدداً من العرب حتى في مدينة الموصل وحدها.

سبق فبسطنا مجمل رأينا في الإحصاءات. وسيتضح أن آخر الإحصاءات تبين عدداً من الترك اقل مما سبق ولاحظنا كذلك ان الاشخاص الذين ينتسبون للعرب لاينكرون اصلهم التركي وهذا يزيد من صعوبة تكوين فكرة تقديرية عن القوميات في اراض مختلطة السكان لاسيما في وادي دجلة ومدينة الموصل وضواحيها مثلاً، حيث الهجرة والامتزاج العنصري ملحوظان الى درجة كبيرة. وحيث يكثر التزاوج بين اشخاص من عين الدين ولكن من قوميات مختلفة ويمكن أحياناً ان يدعي اي فرد بأي قومية تحلوه له دون اثاره الكثير من العجب وكثيراً ماتتحكم الانتهازية في هذا الانتقاء. لاسيما وان الشعور القومي لم يكن عظيماً. وفي الشرق حيث الإختلاف في الدين كان دوماً العامل الحاسم الغلاب، يصعب على الشعور القومي التطور والتنامي الى الحد الذي نراه عادةً في أوروبا. ونحن في الواقع لم نجد قط كذلك. بطبيعة الحال، كانت المؤثرات السياسية في مدينة الموصل وضواحيها أقوى من غيرها وقد بادرت الحكومة البريطانية في مذكرتها الى استرعاء الإهتمام بالحقيقة الواقعة وهي ان كثيراً من الاشخاص ادعوا انهم أتراك في ايام الحكم التركي اذ وجدوا في ذلك فائدة. وهذه الحجة لايمكن دحضها ونحن نرى هذه القاعدة سارية الآن على الوضع الراهن في الحكومة العراقية.

ويتأيد الأمر بمقارنة للأرقام في إحصاءات السنة ١٩٢١ المقدمة الى (مؤتمر لوزان) حيث يبدو عدد الترك ٥٦٨٩٥؛ وبارقام إحصاءات ١٩٢٢-١٩٢٤ المرفوعة الى اللجنة موقعياً حيث يبدو عددهم ٣٨٦٥٢.

ج - الطابع التركي لكركوك وغيرها من البلدان التي تقع على الطريق السلطانية:

لفتت الحكومة التركية النظر بنوع خاص الى أهمية بلدي كركوك وأربيل وغيرها

من البلدان الصغرى التي تقع على الطريق السلطانية المتجهة جنوباً. وأشارت الى ان الحكومة البريطانية نفسها اعترفت اعترافاً جازماً بالطابع التركي الذي تتسم به هذه المدن بنشرها بياناتها الرسمية فيها باللغة التركية.

فأجابت الحكومة البريطانية على هذه النقطة، ان البيانات صارت تزداد كلها باللغة العربية منذ العام ١٩١٩. وربما نشر بعض أوائل البيانات بالتركية الى جانب العربية في حالة توجيهاها إلى الموظفين الأتراك. ولنسلم جدلاً بان الواقع كان كذلك فقد حصل هذا في كركوك وأربيل لا غير وربما نشر في الموصل عدد من البيانات الأولى بالتركية مراعاة للموظفين السابقين.

لم يستطع ايّ من المستشارين ان يقدم لنا أيّاً من هذه البيانات الأولية ولم نستطع ان نثبت بشكل جازم هل نشر ايّ بيان باللغة التركية ام لا.

وأما عن طابع البلدان القومي فلم نستطع التحقق من النسبة المئوية للترك. لكن سبق فاوضحنا في موضع آخر كم هو مستحيل التعبير عن الوقائع بالارقام. وعلى كلّ فواضح بأن الأصل القديم لسكان هذه البلاد وعلى امتداد ما يدعى بالطريق السلطانية هو تركي. فوجهاء القوم هم أتراك. وامكنا أن نلاحظ في عدد من بيوتهم دون حاجة الى إستجوابهم أنهم يتخاطبون بالتركية مع أعضاء اسرتهم ولنا ان نوه بان مسيحيي كركوك أنفسهم يتحدثون بالتركية فيما بينهم وقد تساعد امثلة قليلة على شرح الوضع. ان بلدة أربيل منقسمة إلى سبعة احياء وقد قابلنا مختارها وسألناهم عن قومياتهم فأجاب خمسة منهم انهم أتراك وأجاب آخر انه تركي بقدر ما هو كردي وقال سابعهم انه يهودي.

وفي كركوك كانت الجريدة الوحيدة التي تصدر مرتين في الأسبوع بإشراف الحكومة تطبع بالتركية والتوجيهات الى الموظفين تطبع بالتركية والعربية، والضابط السياسي البريطاني يتكلم التركية ولا يفقه العربية أو الكردية. واللغة التركية هي لغة التخاطب على طول الطريق السلطانية في كل مجتمع سكني ذي أهمية.

وبلدة (آلتون كوپري) الصغيرة هي تركية بلا نزاع وأهالي (طوزخرماتو) هم ترك اوتركمان كافة، بإستثناء أسر يهودية قليلة. وبحسب مقال رئيس بلديتها فهناك خمس وثلاثون اسرة يهودية فقط من بين (٤٠٥) اسرة تمثل مجموع سكان المدينة كافة. ويقدر نسبة السكان في قره تبه بـ ٧٥٪ من الترك و ٢٢٪ من الكرد و ٣٪ من العرب.

و(تازه خرماتو) و(طاووق) يغلب عليها العنصر التركي.
اما بخصوص سكان القرى المجاورة لهذه البلدان فإن الترك لا يؤلفون الا اقلية مبعثرة،
ويغلب العنصر الكردي على التركي في المدن، كما يغلب على العنصر العربي، كلما
دنا من دجلة دنوا مصحوباً باتساع في الرقعة الزراعية.

د- القبائل التركية:

ذكرت الحكومة التركية (الزنكنه والبيات والدليف والتترال) عند تعدادها القبائل
الرحل بوصفها قبائل تركية الأصول. وسنعود فيما بعد لتثبيت هل انها مستوطنة ام
مترحلة عندما نبحث موضوع القبائل الرحل بشكل عام.

ان الرد الذي وصلنا من الحكومة البريطانية حول هذه العشائر يزودنا بالمعلومات التالية:

(الزنكنه) هي عشيرة كردية كما ورد ذكرها في الكتاب الرسمي السنوي لولاية
الموصل (١٣٣٠هـ = ١٩١٢). وهناك حديث يتناقله (البيات) وهو انهم انحدروا من
ارومة تركمانية هاجرت من خراسان. لكنهم صاروا من الناحية القومية عرباً اقحاحاً
بدوام تطعيمهم بالدم العربي. وقد جاء في الكتاب السنوي الرسمي التركي انهم
يتكلمون العربية والتركية.

اما عن القضاء الذي يعيشون فيه وهو (كفري) فالكتاب السنوي يذكر ان سكانه
خليط من العرب والكرد، وليس ثم عشيرة تصرف باسم (تترال) في ولاية الموصل،
والكاكائية هم كرد ينتسبون الى الأسرة البرزنجية وهي اسرة (الشيخ محمود) ولهم
مذهبهم الخاص الذي ربما كان قريباً من مذهب (الشبك) وهم كما تدعي المذكرة ترك وإن
كانت لغتهم قريبة من اللغة الكردية. وربما كانت الحكومة التركية تقصد (الديلو) عند
ذكرها (الدليف) وتلك قبيلة كردية تستوطن جوار كفري واصلها من (سنه).

كان في مقدورنا ان نتأكد بان الزنكنه والديلو (دليف) هم كرد أقحاح اذ ليس
لديهم تقاليد تركية النجار. ولم يكن بوسعنا أن نتحقق من وجود اية قبيلة باسم
(تترال). اما بخصوص (الزنكنه) فالكتاب السنوي للعام ١٣٢٤هـ = ١٩٠٦ يذكر
انهم يعيشون في ناحية (كل) وان كل سكان هذه الناحية هم من الكرد. و(البيات)
مزيج تركي - عربي، يقدرونه هم أنفسهم بـ ٦٥٪ تركي وبـ ٣٥٪ عربي. ويتكلمون
لغتي الشعبين عموماً، ويعيشون في قراهم متمازجين ويتزاجون دون تدقيق في
القومية، فتميل الفروق الى الاختفاء على انه مازال يوجد بينهم أفراد لا يتكلمون الا
لغة واحدة، فقد التقينا بزعيم قبيلة لا يفقه الا التركية.

والكاكائية أنفسهم يصرحون بانهم عنصر تركي. و(الصارلي) الذين يعيشون على ضفتي الزاب الأدينيين أخبرونا انهم من عين العنصر الذي ينتمي اليه الكاكائية. والکرد يسمونهم (صارلي) غير أنهم يعتبرون أنفسهم من الكاكائية. ولهؤلاء الصارلي دين ولغة خاصتان بهم كما يؤكد كل من له وقوف على أحوال البلاد. إلا أنهم يتكلمون في امرهما ولا يسوحوون باسرارهما ويدعون انهم مسلمون واما بخصوص لغتهم فقد قالوا انهم يتكلمون بلا إستثناء لغة السكان الذين يعيشون معهم. وهم لذلك يتكلمون الكردية الآن. وقد لفت نظرنا بينهم أفراد ذوو سيما تشبه سيما الحثيين شبيهاً قليلاً، غير اننا لم نشأ الخروج بأية نتائج من هذا الاستقراء السطحي. وبإستثناء [البيات] كما ذكرنا، لم نجد عشائر تركية مستوطنة أكانت ام مترحلة. ويزداد عدد الترك في المدن كثيراً، وهم يتواجدون بلا شك في الأراضي الزراعية على طول الطريق السلطانية، تلك الأراضي التي يملكها غالباً وجهاء الترك. لكن يتعذر في الوقت الحاضر تقدير نسبتهم وتتبع اصول لقوم لاتقاليد لديهم ولا عنعنات فعلاً. وبما ان العنصرين مرتبطان إرتباطاً جدّ وثيق بهذه الأرض فإن "استكرادهم" ظاهرة طبيعية تتم بسرعة لا يستهان بها على مانعتقد. وقد سبق لنا القول ان وجهاء الترك في المدن كثيراً ما يتخذون النساء الكرديات زوجات لهم. وقد لاحظنا كذلك أن خدم بيوتهم من الكرد غالباً.

ه - السكان على إمتداد الحدود الشمالية:

تقدمت الحكومتان ايضاً بآراء متضاربة حول اثنوغرافية المنطقة الشمالية (الحدود التي تطالب بها بريطانيا العظمى) وخط الوضع الراهن الذي رسمه مجلس العصابة في بروكسل. شددت الحكومة التركية على القول بان الحدود الشمالية لاتفصل سكانا مختلفي القوميات بعضهم عن بعض واتخذت من الخارطة التي قدمتها الحكومة البريطانية نفسها دليلاً على هذا الزعم. إن زدتنا بوصف مفصل للمنطقة الشمالية التي سبقت لنا الاشارة الى جغرافيتها وبخصوص القطاعات الأربعة التي ذكرت [انظر بحث " تحليل الإعتبارات الجغرافية"].

القطاع الأول: يسكنه الكرد والمسيحيون وكلهم يقولون انهم من قبيلة [السندي] وقد نزحوا الى حد ما عن اراضيهم الى ما قبل الحرب بسبب غارات [الغويان] عليهم. وفي أثناء الحرب لحق بهم المزيد من الاستئصال والآن لا يعدون أكثر من (١٥٠) نفساً نصفهم مسيحيون يعيشون تحت ضغط الكرد الأبوي. القطاع الثاني: هذه الأرض كانت مسكونة كلها تقريباً بالآشوريين قبل الحرب. وبنشوبها

هجرُوا المنطقة تماماً وبفرارهم خلت الآ من ثلاث عشائر كردية تعيش فيها الآن. والحكومة البريطانية تقدم قائمة بأسماء القرى المسيحية فيها. القطاع الثالث: في هذه المنطقة يوجد عدد كبير من قرى المسيحيين هجرت أثناء الحرب. وهذه الأرض يشغلها الكرد من قبائل (الدوسكي والهركي والكردية). القطاع الرابع: هو منطقة مهجورة. كانت الحكومة التركية قد سلمتنا ثبنا بأسماء العشائر التي تسكن منطقة حكارى التي تدعيها الحكومة البريطانية ذكرت فيه مناطق سكناهم وعدد أفراد كل عشيرة.

إسم العشيرة	المنطقة التي تعيش فيها	عدد أفرادها
گلي گويان	جنوب غرب [بيت الشباب]	١٢٠٠٠
كرگي	جنوب [بيت الشباب]	٢٠٠٠
پونياني	منطقة [چال]	٢٥٠٠
برواري بالا	شمال غرب [عمادية]	١٥٠٠٠
اورامار	بين [چولماک] و [شمدينان]	٢٠٠٠
توفي	بين [چولماک] و [شمدينان]	٢٠٠٠
هركي	غرب [شمدينان]	١٥٠٠
دستكي	شمال [زيبار]	٨٠٠
گردي	جنوب [شمدينان]	—

وهذه القائمة لا تشمل الرّحل منهم.

ولم نزر من منطقة زاخو الآ مركزها والسفر اليها شاق ولم يكن من السهل التحقق من المعلومات بالقاء استئلة لان أسماء القرى على الخرائط لايتفق مع تلك التي اثبتت في القوائم.

وعلى اية حال فمن المؤكد من الناحية العرقية بأن الجانيين من الحدود الشمالية المقترحة هو واحد.

ان مناطق الآشوريين ولاسيما ذلك الجزء الذي كان أكثرها كثافة بالسكان (چال، تباري السفلى، تباري العليا، تخوما) قد قُطعت نصفين بالحدود المقترحة. إن مسألة اعادتهم جزئياً الى وطنهم هي مسألة سياسية ولذلك فسوف نتصدى لها في موضع آخر. ولقد

اعتاد الكرد الرُّحل عبور الحدود وسنشير الآن الى تلك الرحلات. ان الكرد المستوطنين ينتمون الى عين العشائر التي ينتمي اليها الرجل منهم وهم كذلك يتصلون نسباً بالعشائر الساكنة على الجانب الآخر من الحدود. ولو رجعنا الى الخارطة الطبوغرافية التي تثبت أسماء العشائر للاحظنا أن البلاد الواقعة شمال وجنوب الحدود لا يسكنها الكرد وخدم بل يسكنها ايضاً كرد يتصلون نسباً بعين تلك العشائر أو المجموعات.

٣- طابع مدينة الموصل:

كان كلّ مذكرات الطرفين حافلاً بمناقشات حامية حول الطابع القومي لمدينة الموصل فالحكومة التركية تقول إن اللغات التركية والكردية والعربية هي كلّها لغات التخاطب وهؤلاء السكان الذين يتكلمون العربية في الوقت الحاضر ويعتبرون عرباً مع أسرهم وذويهم هم في الحقيقة ترك كانوا على صلة بالكرد والعرب منذ امدٍ طويل فتعلموا لغتيهما. وتورد الحكومة التركية هذا الإدعاء في احدى مذكراتها ثم تضيف قائلة ان سكان الموصل لم يعتبروا أنفسهم عرباً، بل جزءاً من سكان العراق، حتى ان الحكومة التركية قالت في المذكرة التي قدمتها لمجلس العصبة ان غالبية سكان مدينة الموصل هم كرد وترك ثم زادت تقول ان الاغلبية الساحقة هم من أصل تركي لاريب فيه وان كلّ شخص هناك ملّم بالتركية.

وترد الحكومة البريطانية على هذه المزاعم بقولها: دعك من المعرفة الشاملة التي اكتسبها الضباط البريطانيون خلال السنوات القلائل الأخيرة بخصوص السكان فإن الرحالة عرفوا الموصل دوماً بأنها من المدن العربية الكبيرة «انها مدينة عربية بناها العرب ولم تفقد طابعها العربي خلال قرون من الحكم التركي» وتقدر الحكومة البريطانية معدلاً لسكان المدينة يزيد عن سبعين ألفاً (آخر إحصاء كان الرقم ٧٤٠٠٠) وهو رقم تقول الحكومة البريطانية انه أعلى من اي رقم للسكان الترك في كلّ الولاية.

تردّ الحكومة التركية على طائفة من اعتراضات الحكومة البريطانية قائلة: اذا كانت هذه الحكومة تعزو استعمال اللغة التركية في الموصل الى ان اللغة التركية هي اللغة الرسمية - وهو زعم غير صحيح- واذا كانت تعزو استعمال اللغة الكردية الى قرب القرى الكردية التي كانت تعتبر الموصل سوقها التجارية، فإن الحجة نفسها يمكن أن تستخدم لتفسير كيفية إمام أترك الموصل باللغة العربية.

نرغب في المبادرة الى القول بأنّ إنطباعنا الشخصي هو إنطباع مؤكّد للغاية. ان

مدينة الموصل هي عربية الطابع بدون شك، لكن علينا ان نضيف فوراً بأننا لانستطيع ان نعتبر آخر إحصاء قامت به الحكومة العراقية صحيحاً وفيه ان الموصل يسكنها أربعة وسبعون ألف عربي وعشرون ألف مسيحي وأربعة آلاف يهودي.

مبدئياً، لا يمكن قطّ ان تخلو المدينة من تركي على الأقل، وهي التي ظلّت هذه المدة الطويلة تحت السيطرة التركية، حيث كانت أسر الموظفين الترك وضباطهم تعيش فيها وتستقرّ لتمتزج بسكانها وفي الضواحي التي تحوي عدداً لا يستهان به من قرى الترك والترکمان، بل يوجد لذلك بليدة تركية خالصة.

وربما جازت لنا الإشارة دعماً لهذا القول- الى الرأي الذي كونه رحالة شهير مثل (اوليفيه) الذي زار الموصل في العام ١٨٠٩، وهو الوقت الذي لم يبن بعد اثر للمشكلة القومية. يقدم (اوليفيه) الثبت التالي لسكان هذه المدينة:

من ٧٠٠٠ الى ٨٠٠٠	مسيحيون (نساطرة- يعاقية)
١٠٠٠	يهود
٢٥٠٠٠	عرب
من ١٥٠٠٠ الى ١٦٠٠٠	كرد
من ١٥٠٠٠ الى ١٦٠٠٠	ترك
لا يوجد	يزيدي
٦٤٠٠٠	المجموع التقريبي:

ولانجد في أي وصف آخر لرحالة متأخر إحصاءً كاملاً.

ووجدنا في الموصل عدداً من الاشخاص اصلهم تركي يفهمون اللغة التركية إلا ان تأكيد الحكومة التركية بأن كل فرد فيها يفهم هذه اللغة هو بعيد عن الواقع. اننا في الحقيقة لم نسمع اللسان التركي خلال زيارتنا ولكن بالنظر الى الاضطراب السياسي الفعال النشط، لم يسعنا تكوين فكرة واضحة. وقد كان على المستشار التركي في أحيان كثيرة ان يستخدم مترجماً.

كان من المستحيل تقدير النسبة المئوية لمختلف القوميات في المدينة حتى وان افلحنا في استبعاد كل التأثير السياسي وتبديد جميع الشكوك. وقد يكون تقدير نسبة اصول السكان العرقية أكثر صعوبة في مدينة يشيع فيها التزاوج بين القوميات كثيراً وحيث الانتهازية قوية، والاختلاط هو أكثر من أي اختلاط آخر في البلاد.

٤- البدو والرُّحَّل:

ان قضية البدو لم يشر اليها إلا في مناقشات مؤتمر لوزان وفي المذكرات التي قدمت لعصبة الأمم بخصوص الإحصاء وقد سبق لنا التنويه بذلك.

ومهما يكن فقد وجدت اللجنة من الضروري ان تأخذ بعض فكرة تقريبية عن عدد البدو ومشاتيهم ومصايفهم والطرق التي يسلكونها وطبيعة هجرتهم بعد ان بلغنا أن كلاً من بدو الصحراء العرب ورُحَّل الجبال الكرد يجتازون الحدود. وان لبعضهم مصاهرات وصلات رحم مع القبائل المستقرة التي تعيش على طرفي الحدود ووجدنا من الضروري ايضاً التثبيت من المراكز التجارية التي تزورها تلك العشائر، ولذلك فإن اللجنة استفسرت من الحكومتين عن هذه النقاط.

فوافتنا الحكومة البريطانية بجواب في غاية التفصيل حول الموضوع كله فضلاً عن معلومات خاصة لمختلف العشائر وسنقتصر على بيان خلاصة للنقاط الجوهرية.

يعتبر الكرد أرض مخيمهم الشتوي الذي يقضون فيه معظم أيام السنة (ثلثيها تقريباً) مقراً ثابتاً لهم. وهجرتهم إنما هي مجرد سفرات للبحث عن مراعى أكثر ارتفاعاً واخضراراً خلال أشهر أيار وحزيران وتموز وآب.

ويسلك الكرد الرحل طرقات منتظمة ثابتة وهم في هذا يختلفون عن البدو العرب الذين لا تتبع هجراتهم قاعدة ثابتة. ان الكرد الرحل لا يختلفون عن الكرد المستقرين إلا بأن لديهم مقرين احدهما في السهول أو الوديان الكبرى بين احضان الجبال يكثون فيها من ايلول حتى نيسان، والثاني على سفوح الجبال الشاهقة ولاسيما الهضبات العالية حيث يقضون فصل الصيف ولقد استقر عدد كبير من هذه العشائر بعد تشجيع الحكومة العراقية لهم على فلاحه الأرض في مراتعهم الشتوية أو انهم على وشك الاستقرار بابتياح الاراضي وبناء القرى. إلا ان اخذاً منهم معينة ظلت مقيمة على هجرتها الدورية. وبصورة عامة فإن أولئك الذين يقضون شتاءهم غرب الزاب الكبير يقصدون صيفاً الجبال التي اقترحتها الحكومة البريطانية حدوداً ومنهم من يجتاز تلك الحدود الى الاراضي التركية. اما أولئك الذين يعيشون شرق الزاب الكبير شتاءً فإنهم يقصدون إيران.

ان عبور بطون معينة الحدود المقترحة لا يستلزم قيام اى صعوبة مهما كانت بالنسبة الى العراق أو تركيا. وعندما كان يجري تحديد الحدود التركية الفارسية، وضعت مادة خاصة في البروتوكول لتنظيم كل المشاكل التي قد تنشأ نتيجة هذه التنقلات، ونص هذه

المادة هو هذا:

« من المعلوم ان القبائل التركية التي اعتادت قضاء الصيف في هذه الولايات عند منابع نهري (كدير) و(لائين) تستمر في التمتع باستخدام هذه المراعي كما اعتادت قبلاً» ان الكرد الرحل الذين يسلكون كل سنة عين الطريق فيصعدون الى المراعي ذاتها وينزلون منها، تكون الرقابة والإشراف عليهم أسهل بكثير من مراقبة العرب الذين ينذر ان يضربوا خيامهم في بقعة واحدة خلال سنتين متواليتين.

واما بخصوص الوضع في الحدود العراقية-السورية فقد لوحظ كم من الخلافات كانت تنشأ نتيجة وجود خطأ الحدود عبر البادية العربية، مع وضوحها. ولهذا السبب فإن الخط الذي اقترحتة الحكومة التركية عبر الصحراء ماراً بمنطقة تغشاها القبائل العربية هو خطأ غير عملي. والكرد يستخدمون عدداً من الممرات المعروفة جيداً لذلك كانت الرقابة عليهم من السهولة بمكان.

تزعّم الحكومة التركية بادئ ذي بدء انه لا توجد قبيلة كردية واحدة من قبائل ولاية الموصل تترك الجزء الجبلي وتقصد سهل الرافدين. أو تترك المنطقة التركية-الكردية في الخريطة الملحقة (خريطة الجمعية الجغرافية الملكية) لتأتي المنطقة العربية الواقعة الى الجنوب.

بعد ان أدلت الحكومة التركية بتفاصيل عن المراكز التجارية التي اعتاد معظم القبائل زيارتها، قالت ان كل القبائل الكردية أصبحت مستوطنة عملياً باستثناء (الجاف والزيدكي والارتوشي والهركي والهاجان) الذين هم نصف رحّل. في حين بقيت القبائل العربية في حالة البداوة.

لقد امدّتنا كلتا الحكومتين بمعلومات كاملة حول مشاتي ومصائف مختلف القبائل مع الطرق التي تسلكها في رحلاتها فوجدنا من الأسهل وضع هذه المعلومات في خرائط مقارنة (الخريطة رقم- ٨) واطراف خارطة تالفة تبين المعلومات التي تمكنا من جمعها موقعياً بدلاً من الأخذ بوصف طويل لعدد كبير من الأسماء كثيراً ما يصعب الاهتداء اليها في الخرائط الطبوغرافية (الخارطة رقم ٨)، ويكفي بياننا ان الحكومة البريطانية نوهت بالعشائر الرحالة الكردية التالية (شرفان، زيدك، كافدان، آرتوشي، مهمدان، سيدان، غرافي، ژيركي، قشوري، هاجان- كلها ينتمي الى الاتحاد الارتوشي- هركي، خيلاني، پيران، پشدر، أكو، بولي، اسماعيلي، عوزيري، بلباس، جاف).

وتنوه الحكومة التركية بأن القبائل التالية هي قبائل رحالة:

١- من الكرد: أرتوشي، هاجان، ژيركي، هرّكي، جاف.

٢- من العرب: شمر، العبيد، قصبّة.

٣- من الترك: كاكائي، زنگنه، دليث، ديلو، بيات، تترال.

من الخرائط المرفقة يتبين ان المعلومات المتعلقة بالمقرات ومسالك الهجرة التي قدمتها الحكومتان تتناقض تناقضاً حاداً في التفاصيل. وهي كذلك تختلف عن المعلومات الأخرى التي استطعنا نحن أنفسنا جمعها موقعياً ولكن مهما بدت هذه الاختلافات كبيرة فهي ليست بذات أهمية أساسية لسببين اولهما أنّ كلا الطرفين متفقان على ان الكرد الرحل يعبرون الحدود الجبليّة كما رُسمت مع إيران وكما تقتصر الحكومة البريطانيّة رسمها مع تركيا. والسبب الثاني هو ان عدد الرّحل قد تقلص مؤخراً وخصوصاً في السنوات القلائل السابقة بحيث ان عدد الرحل الكرد لا يؤلفون الا نسبة مئوية قليلة من مجموع السكان.

ان مستوطنات الكرد البدوية تختلف إختلافاً جذرياً عن مستوطنات عرب الصحراء. فالعرب هم مربو خيول وجمال وأغنام وليسوا اصحاب فلاحه وزراعة. انهم يجوبون الصحراء بحسب أحوال الطقس الذي يختلف من سنة الى أخرى في البقاع نفسها والمراعي ذاتها. وحياة البدوي العربي تعتمد اعتماداً كلياً على مظاهر الطبيعة فيكيف حياته تبعاً لها. إلا أنه لا يدري اين سيكون في الفصل التالي حاملا معه مضاربه وكلّ مقتناه.

ان للكرد الرحل مراتب شتوية ومراعي محددة تحديداً جيداً. وللقبائل العربية أيضاً حقوق في مناطق رعي مثلهم الا انها اوسع رقعة وهم لا يؤمونها بانتظام ولم تكن المذكورة البريطانيّة دقيقة بالقدر الكافي عند بيانها بان الفرق الوحيد بين الرحالة الكردي، والمستوطن الكردي هو ان للاول مقرين في حين لايملك الثاني غير مقر واحد. في المقام الأول لايمكن ان نضع تعريفا جامعاً مانعاً لحالة البداوة الكردية يمكن إطلاقه على كل العشائر وكل الازمان اذ انها ظاهرة متنوع وتختلف وهناك تطور متدرج نحو التوطن وهذا الميل الى الاستقرار هو ظاهرة طبيعية من جهة، وهو مستحدث من جهة أخرى لأنه يلقي التشجيع من الحكومة ويتمّ بمجهوداتها. وقد علمنا ان الحكومة التركية بذلت مجهودات من هذه الناحية لضعاف النظام العشائري حتى تكون سيطرة الحكومة مباشرة على رعاياها ولتؤمن زراعة المزيد من الأراضي. وقد ثبتت الحكومة العراقية

الخطة نفسها لعين الأسباب السياسية.

ان استيطان العشائر يتم بالشكل الآتي:

يبتاع الرّحل الأرض التي تقع فيها مضاربهم الصيفية، كما يبتاعون الأراضي التي تقع فيها مشاتهم، وإن كان لديهم اراضي مخيماتهم التي يمكن تحديدها بشكل تقريبي على الخارطة ونقصد انهم يكونون في عين المنطقة على الدوام ان لم يكونوا الى جوار فيها في أكثر الأحيان- وهم لا يستاجرون عموماً إلا مراعيهم، وقد تكون أحياناً من املاك رئيس العشيرة المترحلة. وبحسب قانون مراحل التطور يغدو قسم من العشيرة في أحوال معينة مستقراً في حين يقضي القسم الآخر شتاءه مع القسم المستوطن لكن طبيعة التنقل لا تفارقه. وهناك عشائر استوطنت بكاملها في منطقة معينة وفي حالات أخرى استوطنت العشيرة مشاتها القديمة في حين استوطن قسم آخر من عين العشيرة في اراضي مخيمها الصيفي. ثم تأتي المرحلة الأخيرة وفيها يتقلص حجم الجزء المترحل من العشيرة شيئاً فشيئاً حتى يصعب تسميته بالقسم المترحل عندما يغدو فهو لا أكثر من جماعة من الرعاة يتنقلون بحثاً عن مراعي للماشية. هؤلاء الرعاة يسرحون قبل كل شيء بأغنام أفراد قبيلتهم المستوطنين وبعدها يتولون مسؤولية رعي اغنام القرويين الذين يعيشون قرب المشتى القديم أو المنتشرين في الجوار وأخيراً يضمون اليها اغنام الملاكين الكبار في المدن التي يرون بها. ان الكردي المترحل وان كان رحالة خالصاً، يختلف عن البدوي العربي إختلافاً كبيراً ففي اختيار « البدوي » الجبلي مسالك تنقله، تتحكم فيه طبيعة الارض الوعرة التي يجب عليه ان يمرّ بها. وينبغي له ان يدرس معالم طريقه ويلم الماماً جيداً بأرض مسكنه الصيفي والشتوي لان الجبال تحفل بالأخطار والمشاق وهو يرحل وليس معه إلا القليل من المتاع لانه يعود في كل سنة الى عين المقرّ الشتوي ويترك خيامه الثقيلة عند ذوي قرباه المستوطنين أو اصدقائه من عين القبيلة أو عند القرويين الجيران وبالنسبة الى الصيف فإنه يأخذ خيماً خفيفة وأحياناً لا ترى إلا خيمة واحدة هي للرئيس. هناك بعض قبائل تملك مواضع تجمع خاصة مركزية وقرى صغيرة في كل من مشاتها ومصائفها، وبنتيجة عملية التوطن هذه تقلص عدد الرحل كثيراً. انها عملية ما ان تبدأ حتى تزيد موقف المترحلين صعوبة باطراد ولاسيما اذا لقيت تشجيعاً.

وبوجود حالة البداوة والرعي الى جنب الزراعة يتخذ الكفاح صفة الإستمرار. والأساليب ليست سلمية دائماً ففي السنوات السيئة يرى المترحل نفسه مضطراً الى

سوق قطعانه مسافات بعيدة مستعيضاً عن الكمّ بالكيف في موضوع إنتقاء المراعي. ويحدث الشيء عينه في المناطق المحددة. انه ليتجاوز على ملكية الفلاح (اي على زراعته في ارضه التي يملكها) واذا كان المعتدى عليه هو الساكن المستقرّ الذي تحميه الادارة، فالمسؤولية ستقع على المترحل بطبيعة الحال.

وليست هذه هي الأسباب الوحيدة التي ادت الى تناقص عدد الرّحل في الإقليم المنازع عليه. فالحرب العظمى كانت عامل تصفية وفيها القضاء المبرم على حالة الترحل عند الكرد الذين يعيشون في الجوار مثلما كانت عامل دمار للمستوطنين منهم في تلك الأنحاء نفسها.

في أثناء الحرب عندما انحدرت الجيوش الروسية الى (جوله ميرگ) و(نيروه) و(فرشين) وعندما اشعلت النار في (اورامار)^(٤٦) ووصلت (هاريك)^(٤٧) باتجاه العمادية، اندفع الكثير من الكرد هارين من امامهم ولاسيما (الشرفان والسيدان ومرگور والشكاك) وانحدروا عبر (زاخو) و(رواندوز) الى مرتفعات وسهول دهوك والموصل وأربيل. حدث هذا في شتاء قاس لم تعرف له البلاد مثيلاً ولما كانوا يفتقرون الى خيم كافية فقد لقوا عنتاً وويلاً وقيل أن ثلاثة أرباعهم راحوا ضحية البرد والمرض. ولم يكن ثم مراعي ففطست قطعانهم وخسروا الغنائم التي استلبوها من مسيحيي الجبال. ومقابرهم المترامية تُرى على طول الطريق الممتدة من أربيل الى رواندوز في (ديره).

كذلك علمنا من (ميسن: كردستان الوسطى، المجلة الجغرافية ١٩١٩) بأن الجنود الأرمن الذين كانوا برفقة الروس في خريف ١٩١٦ قضوا على حوالي خمسة آلاف كردي رجالاً ونساءً وأطفالاً دفعاً برؤوس الحراب من فوق اجراف مضيق رواندوز^(٤٨).

وما سبق لنا بيانه يساعدنا على تفسير كيفية توصلنا الى معلومات تختلف إختلافاً بيناً عن معلومات ما قبل الحرب حول عدد الكرد الرحل. فمثلاً يشبت (سر مارك سايكس) رقم (٣٠٠٠) أسرة للشرفانية الأرتوشي في قائمته عن العشائر الكردية (مجلة المعهد الانثروبولوجي الملكي: ١٩٠٨، وهي أوثق المراجع عن هذه العشائر).

٤٦- ضمن الحدود التركية. (حاشية التقرير)

٤٧- هناك قريتان متجاورتان بهذا الإسم احدهما تعرف بـ(هاريك آغا) والاخرى تسمى (هاريك شيخا) الى غرب الأولى وكتناهما تقع غرب الزاب الكبير وشرق العمادية. (حاشية التقرير).

٤٨- في النص الإنكليزي نقص جوهرى هنا. وترجمته الحرفية «دفعاً من فوق جرف رواندوز» وهو مالا يستقيم معه المعنى ولذلك اغفلناه واعتمدنا النص الفرنسي.

كذلك اعلنا هو شفاهياً أن العشيرة المشار إليها ليس فيها أكثر من (٢٠٠) أسرة مترحلة. وبخصوص عشيرة (سيدان) اوردت القائمة رقمي (٢٠٠) و(٥٠) واوردت للگوران (٣٠٠ ثم ٦٠) وللهاجان (٥٠٠ ثم ٣٠٠). ويثبت (سايكس) للهركي رقم (٣٠٠٠) أسرة في حين ذكر لنا عن وجود (٢٠٠) أسرة مترحلة فحسب. إلا أن هذه المعلومات ليست بالدقة المطلوبة لترقى الى مرتبة الثقة. ويتحدث (هاي)^(٤٩) في كتابه الصادر بعد الحرب عن (٢٠٠٠٠) نسمة من الرحل، اتخذ (٨٠٠٠) منهم أرض مشنتاهم بالقرب من (ديره). وتختلف قضية الجاف عن سائر من ذكر إختلافاً بيناً. وهي القبيلة شبه المترحلة التي تسكن جنوباً. فهي لم تعان احوال الحرب وتنظيمها القبلي كان دوماً اقوى وأكثر تماسكاً من معظم القبائل الكردية الأخرى وقد قدرهم (سايكس) بعشرة آلاف أسرة وذكر انهم كانوا يستطيعون تجريد اثني عشر الف مقاتل. لذلك فإن هذه الأرقام تتقارب نوعاً ما فيما بينها.

خلاصة القول ان الكرد الرحل يتناقصون عددياً بسرعة وبحيث لايسبب ايّ تخطيط للحدود مصاعب يتعذر تذييلها نظراً لأن مسالك الهجرة الكردية ثابتة. ولذلك كانت قضية الكرد الرحل بقدر مايتعلق الامر بالتنقل، قضية ثانوية جداً لا تؤثر في موضوع النزاع.

وأمّا عن البدو العرب فنعتقد ان الحكومة البريطانية تغالي إذ ترى صعوبة رسم حدود دولية عبر الأنحاء التي يتجولون في ارجائها بحثاً عن المراعي ففي آخر «تقرير عن الادارة في العراق: ١٩٢٣-١٩٢٤» نقرأ انه يمكن التوصل الى إتفاق حتى بخصوص الحدود العراقية السورية، إتفاق سيكون من شأنه اشاعة الاستقرار في الأنحاء بقدر مايمكن احلال الهدوء في بلاد تسكنها قبائل الصحراء (الصحائف ٣٩-٤١).

وعلينا ان نلاحظ هذه الحدود فهي خط مستقيم لا يأخذ في حسابه حدوداً طبيعية أو تفاوتاً في الإرتفاعات بأي شكل من الأشكال زد على هذا ان الخط غير مؤكد ابداً ولا يمكن تشبيته بتفصيل ومعظمه غامض جداً ومن ثم فليس في وسع القبائل ولا السلطات تمييز الحدود موقعياً. ومع هذا فبعد مفاوضات معقدة نوعاً ما سادها حسن النية وروح التفاهم، نجح المندوبان في سورية وفي العراق (شباط ١٩٢١) في انشاء

٤٩- الكايتن (النقيب) دبليو. آر. هاي الضابط السياسي في أربيل حتى العام ١٩٢٠ وكتابه سنتان في كردستان الذي طبعه في لندن ١٩٢١- صدر مترجماً الى العربية بجزئين بقلم فؤاد جميل في ١٩٧٢.

مجلس تحكيم مكون من ممثلين عن الإدارتين وعن مختلف العشائر على جانبي الحدود. وقد اصدر قرارات هامة قبلها كل القبائل وطبقها. وهذه نقطة جوهرية جداً.

لذلك فإن قضية العرب البدو ليست أيضاً بالتي تستدعي تثبيت شكل خاص من الحدود، زد على هذا إن غاية ما ينشده العرب البدو هو التسوية التامة لكل القضايا وتثبيت حدود ما بين تركيا والعراق وسورية، لأنه يساعد شمرًا وعشائر اخرى على الحل والتحال كما كانوا سابقاً، وقطع مسافات أبعد كثيراً الى الشمال في نواحي (نصيبين). وربما كان القول التركي ان (شمر) ليست من هذه البلاد مبعثه خطأ. ان اصل (شمر) هو من (نجد). واذا كانت معلوماتنا صحيحة فإن هذه العشائر التي اعتادت قضاء الجزء الأخير من السنة في الإقليم المنازع عليه كانت قد هجرت ارض (نجد) قبل قرنين من الزمن تقريباً وهي لا تبتعد شتاءً الى الجنوب الى أكثر من مناطق البطائح العراقية، أو بكلمة ادق لا تتعدى حدود ولاية بغداد السابقة.

مازال هناك موضوع الترك الرحل يستدعي منا الإيضاح. كانت الحكومة البريطانية قد ذكرت في آخر رد من ردودها ان الترك الرحل لا وجود لهم وان العشائر التي اثبتت الحكومة التركية أسماءها: (زنگنه، دليث، بيات، تترال، كاكائي) ليسوا بالترك ولا بالرحل.

سبق لنا بحث مسألة الأصول العرقية لهؤلاء. أما عن أحوالهم البدوية فقد وجدنا الزنگنه والبيات والدليو (دليث) مستوطنين وعلى الأكثر هم يضربون خياماً في الربيع لكنهم لا يبتعدون أكثر من كيلومترين أو ثلاثة عن قراهم. وهناك عدد كبير من العشائر الكردية تترك قراها في الربيع وتأخذ قطعان مواشيها معها لتحول بينها وبين الإضرار بحقول القمح والشعير. والكاكائية هم مستقرون وقد جمعتهم في لواء كركوك قرى ست يتراوح عدد بيوتها بين العشرة والأربعين. ولايزيد مجموعهم الكلي عن ألف نسمة. وعند زيارتنا ديارهم وجدناهم يعملون كلهم تقريباً في سكة حديد (كفري- كركوك) وهم اصحاب اراضٍ زراعية حسنة الخصوبة تجاور قراهم، ولديهم قطعانهم من الماشية. ولم نلاحظ وجوداً لقبيلة (تترال). وعجز المستشار التركي عن اراءتنا طائفة منهم.

(٣) طابع مختلف القوميات واصولها

١- الكرد:

مامن شك في أن الجزء الأكبر من السكان في الإقليم المنازع عليه هم كُرد (خمسة أثمان تقريباً)، لذلك كان الكرد عددياً أهم عامل فضلاً عن كونه أدعى الى الرعاية لأنهم ليسوا بعرب ولا بترك. وقضية اصولهم العرقية وتاريخهم وعلاقاتهم الإثنية بالقوميات الاخرى التي تحيط بهم هي بطبيعة الحال على اعظم جانب من الخطورة.

تقول المذكرة البريطانية ان الكرد هم إيرانيون وليست دماؤهم هي الدماء التي تجري في العروق التركية وضالة نسبتهم الى الترك قدر ضالة نسبتهم الى اهل الصين! وهم يتكلمون لغة إيرانية ذات وشائج وثيقة باللغة الفارسية، أو قد تكون لغتهم لهجة من لهجاتها. ويختلفون عن الترك في كل عاداتهم وتقاليدهم لاسيما في منزلة المرأة فهي عندهم تختلف كثيراً عما هو عند غيرهم. وأشارت احدى المذكرات البريطانية الى الإختلاف في المظهر الجسدي بين الكرد والترك بقولها انه كبير جداً، بحيث يسهل على الأجنبي التمييز بين الاثنين من اول نظرة. وتضيف المذكرة ان كُرد الإقليم المنازع عليه أكثر ميلاً نحو أبناء قومهم في إيران، من ميلهم الى أبناء جلدتهم في القسم التركي.

وتقول المذكرة التركية ان الكرد لايمتسون الى العنصر الإيراني وانما هم من اصل (توراني). وتستند المذكرة الى (دائرة المعارف البريطانية) التي تذكر ان (الگودو) الذين سكنوا جبال آشور منذ قرون سحيقة هم شعب (توراني). وتذكر ايضاً انه لا توجد فروق عرقية أو دينية أو ثقافية بين الترك والكرد. وان كلا الشعبين يؤلفان وحدة لا تتجزأ وان إختلفت لغتاها.

فأجابت المذكرة البريطانية مبدئياً ان (دائرة المعارف البريطانية) ليست معصومة من الزلل، وهي تمثل رأياً فردياً لمرجع فرد لاغير. وللمراجع الأخرى آراء تختلف عن رأيها. وورد في احد ردود الحكومة البريطانية القريبة، مقتبساً من موضوع «كُردستان» في (دائرة المعارف البريطانية) هذا هو:

«بعد سقوط (نينوى) اندمج (الگودو) بالميديين وانقلبوا تدريجياً الى إيرانيين مثل سائر الشعوب التي سكنت هضبة آسيا الصغرى الشاهقة وأرمينيا وبلاد فارس، بعامل هجرة القبائل في تلك الحقبة من التاريخ

وبأعداد ضخمة، تلك القبائل التي لا مندوحة قط من نسبتها الى المجموعة العرقية الآرية بصرف النظر عن الاصقاع التي نبطت منها».

ولهذا فما جاء في هذه الفقرة من (دائرة المعارف البريطانية) يدحض الحجج التركية بدلاً من ان يدعمها. وان قولها باشتقاق لفظة «كرد» من «كاردو» أو «كاردو» لا يثبت شيئاً لأن هذه الكلمات تعني باللغة الآشورية «ساكن الجبال» ويبدو ان الكرد الإيرانيين ورثوا الاسم الذي خلعه الآشوريون على سكان الجبال قبل ان يظهر الكرد على التاريخ. نحن لانستطيع ان نثبت رأياً دقيقاً جازماً في اصل الكرد. وهذه المشكلة لا تبدو لنا بالمشكلة السهلة أو الواضحة.

مما لامراء فيه ان الاقوام الاصلية التي سكنت منذ فجر التاريخ تلك الجبال المشرفة على بلاد آشور وبابل والهضبة الإيرانية كانت اسلاف الكرد وبعبارة اخرى فإن الاصل العرقي أو (المركب العرقي) كان يحتوي هذا العنصر ايضاً. والرّمق المسمارية الآشورية والبابلية نفسها تشير الى الجبليين الذين قد يكونون سكان الجبال الأوائل، حيث «گوتو» و«گوتي» تعنيان بصورة عامة سكان المناطق المعروفة اليوم (بخانقين وكفري وكركوك) وما يحيط بها من بلاد. وشن الملوك الآشوريون حرباً طويلة على هذه القبائل الجبلية كما علمنا ان غاراتها هي نفسها امتدت حتى بلغت بابل قبل حمورابي^(٥٠).

ان كلاً من (دائرة المعارف البريطانية) والدليل الذي نشره القسم التاريخي في وزارة الخارجية البريطانية (١٩٢٠ رقم ٦٢: أرمينيا وكردستان ص ٤) يذكر هذا الشعب «الگودو» بأنه من اصل (توراني) لكنه انقلب في زمن متأخر الى شعب إيراني. ونحن لا نملك ادلة قاطعة على الاصل (التوراني) لهذا الشعب. في الواقع ليس بوسعنا تكوين اية فكرة ثابتة عن اصلهم.

اوضح (سر هنري هاووث: المجلة الجغرافية: شباط ١٩٢٤ ص ٩٣) في مناظرة علمية اقامتها الجمعية الجغرافية الملكية في لندن، رأيه الخاص بالسكان الجبليين الذين يشغلون البلاد الواقعة حوالى (تفليس) حتى الأصقاع الجبلية للجزء الجنوبي الذي يُعرف الآن بكردستان. فقال انهم كانوا عنصراً واحداً منذ بدء العصور التاريخية. ربما كانت لغته عين لغة كتابات (وان) التي فكّ طلاسمها الأستاذ [سايكس]، وربما استبدل الجنوب لغته بعد هذا بلغة آرية تحت تأثير السيطرة الأجنبية؛ ولقد طغت

٥٠ - في القرنين الثامن عشر والسابع عشر قبل الميلاد. (حاشية التقرير)

القبائل الأرمنية على مركز المنطقة ولم يحافظ على لسانه غير القسم الشمالي. ويقدرّون انها اللغة الجيورجية الحالية. فالرأي الغالب والأحفل بالقبول يبدو وكأنه يرجح نظرية إستقلال المجموعة الجيورجية إستقلالاً تاماً. وبعد هذا فليس صحيحاً إن نتكلم عن اصولها التورانية ومن المتعذر على أية حال التوصل الى برهان يقطع بوحدة اقوام الجبال الذين ينتشرون على رقعة من الأرض بين (تفليس) وبحيرة (وان) من جهة وبين منطقة (خانقين) من جهة أخرى.

ويميل [سر سايكس]^(٥١) على ما يبدو الى اعتناق فكرة إعتبار الكرد الذين يعيشون في البلاد الواقعة بين بحيرتي وان وأورميه ودجلة وسهول العراق، منحدرين من عين السلّف اعني من «كاردوشي» [كزيفون]^(٥٢) هؤلاء (الكاردوشي) وهم «گردوي» [سترابو] وغيره من الكتاب الاقدمين، سكنوا الجبال الواقعة شمال الموصل، وهم الذين هاجموا مشاة كزيفون العشرة الآف" في مضيق زاخو.

وبامكاننا الافتراض ان هذا الأسم (كاردوشي) انما يقصد به الشعب الذي عرفه الآشوريون باسمي «گوتو» و«گوتي» وان تعذر علينا اثبات هذا^(٥٣).

وقبل زمن قريب ظهرت أسانيد وحجج، أثارات شكاً كبيراً في أنّ الكرد هم عين أولئك «الكاردوشي» (نولدكه في: اصول حروف الكتابة له. كيسپرت) وفي دائرة معارف العلوم الاثرية) وقد يميل الظن الى ان اسم «الكاردوشي» اطلق على ذاك الشعب الذي عرفه الآشوريون باسم (گوتو). وربما كان «الكاردوشي» هم عين أولئك الذين كان الأرمن يطلقونه على سكان البلاد المسماة «كردوك» وهي «کردو»^(٥٤) عند الآشوريين. وبالعودة الى موضوع لغة السكان البدائيين الاصلية نجد دائرة معارف الفيلولوجي

٥١- احد مشاهير الرواد الإنكليز: ضمن جولته الواسعة في انحاء كردستان والعراق كتابه [دار الاسلام ط. لندن ١٩٠٢]. اهتم فيه بالادارة العثمانية وتضمن معلومات كثيرة عن القبائل.

عاداتها اماكنها ثوراتها... الخ... [وهذا غير سايكس الذي وقّع الإتفاق المعروف]
٥٢- القائد والمؤرخ اليوناني (القرن ٤ و ٥ ق.م) الذي قاد انسحاب القطعات اليونانية المرتزقة التي شاركت في الحرب الاهلية الفرثية بين الأخوين كورش وارتخششتا واضطرت الى الانسحاب على طول مجرى دجلة حتى البحر الأسود.

٥٣- هذه العبارة برمتها ساقطة من النصّ الإنكليزي.

٥٤- مازال مسيحيو كردستان يطلقون اسم قردايا او قردايا على الكرد باللغة السريانية التي يتخاطبون بها. والسريانية كما هو معلوم احدى فروع الارامية القديمة التي تؤلف اللغة الآشورية فرعاً قديماً لها.

الإيرانية (جگرخوين: موجز اصول اللغات الإيرانية ١٨٩٥-١٩٠٤)، تبدي كذلك شكاً حول تفشّي لغة من اللغات الإيرانية بين الـ«گردوييني». ويعتقد (ا.سوسان) مؤلف هذا القسم، انه ربما هاجر نصف القبائل الإيرانية نحو الغرب في أثناء تسلط الميديين والفرس ولعل هذه القبائل التي كانت خاضعةً للحكم الأجنبيّ الميديّ والفارسيّ صبغت السكان الاصليين بصبغتهم الإيرانية.

ان (فون لوشان) الحجّة الباقعة في انثروپولوجية آسيا الصغرى (شعوب وكتابات ولغات -١٩٢٢). قام بعمل دراسة للكرد لاسيما كرد الغرب واستنتج انهم (آريون) انحدر اسلافهم من شمال أوروبا وهي البلاد التي حصل إجماع على انها منبت العنصر الاشقر ذي العيون الزرق والرأس الطويل. ويدعم تأكده هذا بالتحقيقات والقياسات الانثروپولوجية التي قام بها هو نفسه. وكانت تلك الدراسة تميل الى اثبات وجود نسبة من الشقرة وزرقة العيون في اقصى المناطق الكردية مثل (قره قوش ونمرود) تزيد كثيراً على نسبتها في مناطق أخرى اصبح سكانها سمر البشرية، قصار الرؤوس نتيجة امتزاجهم بالترك والفرس والأرمن.

ان غرضنا الوحيد من ايرادنا هذه المراجع هو ان نهتك الستر عن الغموض الكبير الذي يحف بالمسألة. ومن المناسب إكمالاً لجولتنا هذه ان نضيف: ان بعض المؤرخين الأرمن حسبما اورده (شانتر في: الكرد - جمعية ليون الانثروپولوجية ١٨٩٧) يعتبرون الكرد أحفاد الميديين في حين يؤكد بعضهم الآخر انهم فرع من الامة الأرمنية، اذ انهم ظلوا متمسكين بأسماء أرمنية عديدة. وأخيراً هناك رأي واسع الانتشار وهو أن الكرد هم كلدان انحدروا قبل عصور سحيقة من هضاب إيران نحو دجلة. ويعتقد (المسعودي) انهم فرع عربي تغير لسانه.

ومهما يكن فالتكوين الانثولوجي للشعب الكردي غامض كتاريخه.

ظهر (الگوتو) في فجر تاريخنا (الاوراسي) لكن آثارهم ضاعت في ثنايا التاريخ قبل أن يعرف شيء عن (الكردوچي) وهذا الشعب اختفى بدوره وربما كان ظهور الكرد بعد زمن متأخر جداً يتفق وسقوط مملكة (طرايزون) الذي جعلهم تحت الحكم التركي.

وواضح جداً من وجهة النظر الانثروپولوجية ان التواجد القومي للجبلين الذين لانعرف اصولهم العرقية حتى الآن. كان خاضعاً لكثير من المؤثرات ولقدر عظيم من التزاوج قبل ان تتكون القومية الكردية. هذه المؤثرات والزيادات تبدو كثيرة التنوع اذا

ما ادخلنا في الحساب مختلف مناطق سكن الكرد الحالية الواسعة والمتباعدة كثيراً بعضها عن بعض.

ومن الممكن بل من المحتمل أن نبلاءهم أو الطبقة العليا منهم قد طرأ عليها تغيير يزيد كثيراً عما طرأ على سواد السكان. فثمّ من المؤلفين من يميز فيهم طبقتين أو درجتين إجتماعيتين: المحاربين والرعاة: «عَشِيرَتُ» و«گوران = مزارعين» (ميسير: ١٩٠٥ ص ٨٥٦). وليس بوسعنا التأكيد أن أول الإسمين عرف في البلاد التي يجري فيها تحقيقنا وربما كان المصطلح الثاني قاصراً على عشيرة معينة.

ويضع (سايكس) أيضاً حداً فاصلاً بين الرعاة والمحاربين كالبابان الذين يتميزون بمظهر جسدي مختلف في سائر كردستان الجنوبية. ونحن لانعتقد بأن هذا الفرق كبير الظهور. فمنذ أن أخذت العشائر تستقر تدريجياً وراحت الحكومتان التركية والعراقية تستحثان عملية تفكيك نظامهم القبلي اخذ التمييز بين الطبقتين ولاسيما في السهول يزداد صعوبة على أكثر الإحتمال. ولنذكر أيضاً أن فترة لبثنا مع هذه العشائر كانت قصيرة الى الحد الذي لم يمكننا من الغوص في أعماق المشكلة.

قد يوجد بين ظهرائي العشائر الكردية عناصر لا يصعب على المرء استكناه اصولها الأجنبية، ولا التكهّن بتقاليد لها ذات اصول أجنبية ومن المحتمل جداً انه حصل تزاوج وامتزاج دماء مع الإيرانيين في الشرق ومع العرب في الجنوب كما كانت الحال في الشمال مع الأرمن بدرجة رئيسة، ومع الترك في الغرب بالدرجة نفسها. ويورد (سايكس) امثلة من امراء كرد كان اسلافهم عرباً ولم نلتق شخصياً إلا بواحد من هؤلاء، وهو زعيم من (دزئي) أمّه عربية من قبيلة (طيء). هناك بعض العشائر يعقد زيجات مع قبائل عربية مجاورة فالدزئي مثلاً يتزاوجون مع (الجبور وطيء). وكذلك الحال عند قبائل بابانية، وتأبى ذلك قبائل اخرى مع انها تضرب خيامها مع (طيء) كعشيرة (شيخان) (ليست شيخان اليزيدية). وثم قبائل السهول التي تسكن في الإقليم المنازع عليه (كالهموند)، فهي أحياناً تميل الى ازياء نصف عربية في حين يزداد الطابع الكردي في الزي وضوحاً في الجبال، ويميل الى الزي الكردي في نواح معينة في الجزء الشمالي، في حين يبدو ثم بعض شبه بالزي الإيراني في الأنحاء الجنوبية الشرقية. ودبواخانه (مضيف) الزعماء هي على الطراز العربي في السهل. وعلى طراز البنية الإيرانية في الجبال الشرقية.

على ان كل هذه المظاهر يمكن تفسيرها بالاحتكاك المستمر فيما بين هذه القوميات المختلفة. ويبدو انه وجد في الازمان الغابرة مثلما وجد في أيامنا هذه تحرك سكاني متواصل من الشرق الى الغرب، من الجبال الى السهول. وهذا يؤدي الى التزاوج مع عناصر قومية اخرى عربية وتركية، وهو بالتأكيد لا يلحق أي ضرر بالعنصر الكردي. إن بعض العشائر الكردية مثل (الگردي والزاري) انحدر منذ قرنين حتى أربعة قرون خلت، من الهضبة العليا على الحدود الإيرانية الى مشارف سهل أربيل ولم يحتل (الذرّي) السهل غرب أربيل إلا في القرن الماضي حيث كان عرب طيء وغيرها من القبائل يتجولون في تلك المراع لرعى قطعانهم وقد تحولوا نوعاً ما الى الفلاحة. فقبل ربع قرن من الزمن لأكثر عبروا (قره چو داغ) لزراعة السهل الممتد على طول دجلة. ويضيف مؤلف فصل «تركيا الآسيوية» من كتيب وزارة الخارجية (المجلد ٥٧- ص ١٠٤) أثناء كلامه عن كرد هذه المنطقة قوله: «إلا أن مستقبل الكرد هو اقل حظاً في أرمينيا (تحت ظل أي نظام يشيع فيها) من حظه في أرض الرافدين الشمالية التي هي الآن على عتبة تطور اقتصادي. إن أرض السهوب بين حلب والموصل طالما بقيت بوراً فهي مجال عربي... ولكن في الوقت الذي ينصرف الكرد والبدو الى زراعة الارض تجد الكردي أفضل الاثنين. لذلك فاذا تحقق التطور الاقتصادي في البلاد بالتدريج واذا لم يطغ على السكان المحليين احتياطي من القوى البشرية الخارجية فالظواهر تشير الى أن ميسوپوتاميا الشمالية ستغدو أرضاً كردية وقد اثبت كتاب آخرون هذه الملاحظة طبق الاصل. وفي رأينا إن قدرنا كبيراً من الحقيقة يكمن في هذا القول.

وبعودتنا الى الحجج المعروضة - فليس هناك من يجادل في أن اللغة الكردية هي إيرانية. ومن بين كل اللغات الإيرانية، كانت الفارسية اقرب صلة بها. ولكننا نركب متن الشطط اذا قلنا انها لهجة إقليمية، أو لهجة مشتقة من الفارسية، إن (دائرة معارف اللغات الإيرانية) التي نوّنها بها سابقاً تقول بان اللغة الكردية هي ليست «لهجة شقيقة» للفارسية الحديثة وليس للفارسية الوسيطة. وانما تختلف إختلافاً عظيماً. بل انها غير مستمدة من الفارسية القديمة مباشرة. ففيها كلمات عديدة لاوجود لها في أية لغة إيرانية أخرى والكثير من الكلمات الإيرانية التي تحتويها إنما دخلها في زمن متأخر. أما العدد الكبير الذي استعارته من اللغة العربية وتمثلته جزئياً فمن الطريف أن يلاحظ قول دائرة المعارف المذكورة عنه: تقول إن معظم هذه الكلمات قد مر أولاً من خلال اللغتين الفارسية أو التركية قبل ان يدخل جسم اللغة الكردية.

جگرخوين: ص ٢٥١).

ان مترجمنا وخبيرنا اللغوي قدم لنا المعلومات التالية حول الخصائص المميزة للغة الكرد: «من الناحية النوعية، تدنو اللغة الكردية من اللغة الفارسية بما يكفي لجمع هاتين اللغتين تحت الاسم الواحد: الإيرانية المركزية. وهذان الشكلان من اللغة الإيرانية قد تطورا في سبل مختلفة منذ ان افلحت القبائل الإيرانية بفرض نفسها في آسيا الغربية. فمثلاً هناك متغيرات صوتية معينة ظهرت في اللغة الفارسية ولم تظهر في اللغة الكردية. وقد حصل العكس ايضاً. إلا أن هذا لايقوم برهاناً على إستقلال اللغة الكردية عن اللغة الفارسية. إذ في هذه الحالة قد يمكن ان تعتبر اللغة الكردية لهجة فارسية شديدة التصحيف. وهناك مثل يلفت النظر بشدة مستمد من (الصرف) الفالكردية لاتعبّر عن ماضي الافعال المتعدية بإستخدام صيغة مبينة للمجهول. في حين طورت اللغة الفارسية شكلاً للماضي من كل الافعال. هذه الميزة الأخيرة تلاحظ خصوصاً في اللهجات الكردية السائدة شمال غرب البلاد. اما تلك اللهجات التي تشيع في المناطق الاقرب الى البلاد الفارسية كلهجة اهل السليمانيه - فيظهر فيها صيغ أفعال متعدية تبدو على كل حال إختراعاً كردياً أكثر منه استعارة من الفارسية»

ان اللغة الكردية كما اوضحنا، تضم سلسلة طويلة من اللهجات. وتميز طائفة من اللغويين: مجموعة شمالية أو شمالية غربية (كرمانجيه) عن مجموعة جنوبية. وطائفة تعود لتقسم المجموعة الجنوبية الى مجموعة شرقية (السليمانيه وسنه) ومجموعة جنوبية (كرمانشاه والبختبارية الذين ماعادوا يسمون أنفسهم كرداً). وإن المجموعة الشمالية هي أبعد المجموعات عن هضبة إيران موقعياً وتمتلك أظهر طابع لغوي نقي. وفي ولاية الموصل تساير الحدود الجنوبية للمجموعة الشمالية مجرى الزاب الكبير بشكل واضح جداً. ولذا ترتبط لهجات زاخو وعمادية ودهوك إرتباطاً وثيقاً باللهجات السائدة في تركيا حتى الى جنوب الزاب الكبير، فإن تأثير المجموعة الشمالية أكثر وضوحاً مثلاً في رواندوز، زد على هذا فإن العشائر الرحالة كالهركي التي تعبر هذا النهر شتاء تنقل معها لهجتها الخاصة الى الجنوب وهي لهجة أكثر ميلاً الى المجموعة الشمالية وتلتقي جنوب الزاب بالمجموعة الجنوبية الشرقية التي اخذت في زمن قريب جداً تظهر ميلاً الى

اتخاذ (السليمانيه) مركزاً ثقافياً لها. وهو لا يمنع الكرد في اية منطقة ذات أهمية تقريباً من إعتبار لهجتهم أنقى اللهجات واصفاها. وهذا ما لوحظ في مناسبات عدة. وقد سمعنا عين الملاحظة من اشخاص قدموا من كويسنجق والسليمانيه. إن القبائل على إختلافها تملك ميزات اللغوية المتميزة الخاصة. مثل (خوشناو ودرزكي) ويمكن القول ان كل هذه اللهجات المنتشرة جنوب الزاب الكبير متشابهة الى حد ما. ولو أن لهجة السليمانيه مثلاً تتميز بإغفال بعض الاحرف الصامتة في حالات كلامية معينة. ومن الممتع أن نلاحظ أن اللغة المكتوبة التي نشأت حالياً في السليمانيه تستند الى لهجة لا تكشف عن هذه الخصائص كلهجة كويسنجق».

أما حول إجتاهات الكرد وعاداتهم وتقاليدهم حين تُقارن بتلك التي تسود الترك والعرب، فالأمر يحتاج الى دراسة للعوامل الإثنوغرافية أكثر إسهاباً وشمولاً قبل أن يمكننا الحكم على صحة معروضات المذكرات البريطانية والتركية.

من الطبيعي جداً أن نجد قبائل الجبال الشرقية أكثر إرتباطاً بإخوان القبائل الأخرى في إيران من إرتباطها بكرد طوروس الأرمنية وأناضوليا. واتيح لنا التثبيت من هذا. فكثير من العشائر الرحالة تجتاز الحدود الى مراعيها الصيفية. لذا فهناك عدة طرق تجارية تقطع الحدود وتعبر وديان السليمانيه المنفتحة الى إيران. إن العطف والميل مسألتيان أكثر حماسية واشق على الادراك قدرما هما متغيرتان. فالعشائر في الجزء الشمالي من المنطقة موضع النزاع لا صلات لها مع إيران في الواقع، وعلاقتها وثيقة بالمناطق المجاورة على الجانب الشمالي. وفي تلك المنطقة أيضاً اعتاد الرحل عبور خط الفصل (خط بروكسل) والعشائر الساكنة على جانبي هذا الخط تتصل مصاهرة ونسباً الى حد ما.

هذا جلّ ما يمكن استخلاصه من الوثائق.

وعندما زرنا مناطق الحدود دهشنا حين وجدنا كم كانت معروفة السكان قليلة بالثورة الكردية التي بلغت أقصى حدتها في المناطق الواقعة على الجانب الآخر من خط الحدود المؤقت^(٥٥) ويحتمل أن يعود هذا الى الإجراءات الإستثنائية التي اتخذت لاغلاق الحدود. تشدد المذكرة البريطانية على الفروق بين عادات الترك والكرد وتوضح القدر الكبير من الحرية التي تنعم بها المرأة الكردية نسبةً الى المرأة التركية.

٥٥- ثورة الشيخ محمود البرزنجي في جنوب كردستان.

ما من شك في أن هذه الفروق موجودة وملموسة. إلا أن إدعاءً كهذا لا يُسند الى اية تفاصيل أو إيضاحات قد يؤدي الى توليد إنطباع زائف. وعلينا ألا نتغاضى عن حقيقة تغيير وضع المرأة في البلاد الاسلامية في فترات مختلفة [أمير علي: تأريخ العالم الاسلامي ١٩٢١ ص ١٩٩-٤٤٥].

كانت هناك ومازالت فروق بين القرى والمدن في هذه المسألة وكذلك كانت الفروق بين الرّحلّ والمتوطنين ولا حاجة بنا هنا الى توسيع دائرة بحثنا بالتعدي الى أسبابه وما علينا إلا أن نقارن مكانة المرأة في مدن العراق بمكانتها عند الرّحلّ والبدو في السهول المجاورة. ومن بين الشعوب المجاورة المسلمة الثلاثة الكبيرة التي تحيط بالكرد (الترك والعرب والإيرانيين) نجد الأخيرين أقرب الى الكرد من غيره والمرأة عند الإيرانيين لا يمكن أن تعدّ حرة على اية حال.

هناك ظروف أخرى كان في وسعنا التحقق منها شخصياً تضعف من قوة هذه الحجّة، أعني اننا نجد طبقة الوجهاء الترك في المدن كأربيل وكركوك وغيرها يتزوجون نساء كرديات. وأحياناً نجدهم يتزوجون نساءً من القبائل المترحلة وإن لم يكن من السهل على هاته النسوة ان يكيفن أنفسهن لحياة المدن بقدر مايسهل على الأوليات منهن. ويكاد كل الأسر التركية البارزة في المدن تصاهر زعماء الكرد المحليين.

محصل القول ان أصل الكرد غامض. إلا انهم مع كل هذا هم من مجموعة الشعوب الإيرانية. ومهما كانت نسبة الدم الإيراني قليلة فيهم، فهو قوي بدرجة جعلتهم يتخذون جميعاً لغة إيرانية. كان ثم تأثيرات متعددة متأخرة، وكان ثم تزاوج بينهم وبين العرب والترك وقوميات أخرى لكن العنصر الاصيل ظلّ غالباً وحافظ على سلطانه وقوته ومازالت دائرته تتسع.

ان الكرد ليسوا عرباً ولا تركاً ولا إيرانيين وإن كانوا أقرب بكثير الى الإيرانيين وهم يختلفون عنهم ويتميزون بوضوح كما انهم أبعد عن العرب منهم عن الترك.

الكرد قوم محاربون اشداء لا يخفضون جناح الذل لأحد مفترقو الكلمة لا وحدة تجمعهم. مع ذلك استطاعوا أن يتعايشوا بوثام وحسن جوار مع الاقوام الأخرى التي تقطن بلادهم. وقد كان بوسعنا التأكد من هذه الحقيقة ايضاً وهي: إن الكرد هم من بين جميع الاقوام المسلمة يعيشون مع المسيحيين على أحسن مايمكن من الودّ والصفاء.

٢- الترك:

لم يكن التواجد العددي للترك في ولاية الموصل المسألة الوحيدة التي اختلفت عندها وجهة نظر الحكومتين. فقد اختلفتا كذلك على التعريف القومي لهذا القسم من السكان. الحكومة التركية تسميهم (تركاً) والحكومة البريطانية تسميهم (تركماناً) وتقول انهم قومية تختلف إختلافاً تاماً عن القومية التركية.

تقول الحكومة البريطانية إن هؤلاء الترك ليسوا عثمانيين، بل عرفوا بالتركمان. واللغة التركمانية التي يتكلمونها اقرب الى اللهجة الأذربيجانية منها الى لهجة أستانبول وأناضوليا التركية. وهم أحفاد التركمان الذين قدموا من إيران قبل قيام الإمبراطورية العثمانية بزمان بعيد، وربما كانوا من أولئك المرتزقة الذين استخدمهم الخلفاء العباسيون. وتوزيعهم يعزز النظرية القائلة بأنهم إنحدروا من أصلاب حاميات عسكرية مرتزقة عتيقة. [فتلعفر] وهي بلدة تركمانية تقف حارسة على عتبة الصحراء في حين يعيش كل التركمان الآخرين في البلدان التي تحاذي ما اشتهر «بالطريق السلطانية».

وتعرض الحكومة البريطانية أيضاً أن لهجة الموصل التركية ليست مثل لهجة أنقره فتجيب الحكومة التركية رداً على هذا: لامبرر قط لرسم حد فاصل بين ترك ولاية الموصل وترك أناضوليا. ولا مبرر هناك لتسمية الأوائل بالتركمان: «تقول الحكومة البريطانية ان اللغة التركية الشائعة في الموصل ليست كذلك الشائعة في أستانبول. أفتوجد بقعة في كل أناضوليا لهجة الكلام فيها مثل لهجة أستانبول؟ وفضلاً عن هذا فلهجة ترك الموصل هي التي يتكلمها ترك أناضوليا، لا تختلف عنها أكثر مما تختلف لهجة الريف [لانكدوك] عن لهجة المدينة [لانكدوي] في فرنسا^(٥٦).

وبطبيعة الحال هناك لهجات في مختلف أنحاء كل بلاد يتباين بعضها عن بعض الى حد ما وإن ترك أناضوليا هم أيضاً تركمان. وإن الكلمتين هما لمسمى واحد.

ان إسم [ترك] يطلق على كل الأقوام التي تتكلم اللغات التركية أو لهجاتها في آسيا وأوروبا. وهو إسم عتيق جداً وجد قبل القرن السادس في التواريخ الصينية بشكل [توكيوي] ووجد في أقدم الكتابات التركية وهي كتابات [ارخون] التي يعود تاريخها الى القرن الثامن الميلادي. ولكن في الوقت الذي أطلقت كلمة «تركي» على

٥٦ - Languedoc إقليم تاريخي في جنوب فرنسا غرب نهر الرون وإسمه مشتق من الكلمتين Lang و d'oc أي لغة الأوك وهي لغة الثقافة البروفانسية.

كلّ الفروع اللغوية لهذه الاسرة دائماً، فإنّ إستخدامها نعتاً لسكان بالذات أخذ يتضاءل بالتدرّج. وكان ثمّ إتجاه لإطلاق الإسم على الطبقات الدنيا من الأمّة التي آثرت طبقاتها العليا أن تطلق على نفسها أسماء أخرى.

ومنذ القرن الحادي عشر وسائر الأتراك الذين عبروا نهر جيحون^(٥٧) واعتنقوا الإسلام يعرفون بالتركمان أو التوركمان. وبما أنّ جميعهم كانوا من قبيلة [اوغوز] أو [غزا] فمن المعقول القول إنّ إسم التركمان حلّ محلّ [اوغوز]. ان المدلول الأصيل لإسم التركمان غير واضح. إلاّ أنّه إسم تعريف لاشائبة فيه يشمل كل الترك الذين استقروا في إيران وأذربيجان والعراق وآسيا الصغرى وسورية ومصر. وبه عرف اسلاف الترك العثمانيين. كما عرف به سائر الأقوام التركية في آسيا الصغرى التي كانت جزءاً من إمبراطورية آل سلجوق في (قونيه) وعرف كلهم في القرن الثالث عشر بهذا الإسم. وانشعب التركمان هؤلاء بالتدرّج الى شعب اتخذت أسماء قومية أخرى مشتقة من وضعها السياسي أو الجغرافي. فمن سكن أذربيجان أمسك منذ أمد طويل عن تسمية نفسه بالتركمان وهو الآن يعرف بالأذربيجاني أو الآذري. ومن سكن آسيا الصغرى اتخذ إسم عثمانيين عندما دخلوا تحت سيطرة الإمبراطورية العثمانية - ولاسيما السكان المستقرين. إذ أنّ بعض القبائل الرحالة وشبه الرحالة في آسيا الصغرى مازال يعرف بالتركمان. واحتفظت المجموعات التي لم تتخذ لها أسماء أخرى بإسم التركمان لاسيما أولئك الذين سكنوا البلاد الواقعة شرق بحر قزوين، وعلى هذا الأساس لم يتخذ ترك العراق ايضاً اي إسم آخر وظلّوا مقيمين عليه حتى خضعوا للحكم العثماني. فمن الجائز والحالة هذه أنّ يطلق عليهم الإسم وان كانوا لغوياً وعرقاً بعيدين بعض الشيء عن تركمان آسيا الوسطى. ولم يكن بمقدورنا أن نتأكد هل يعتبرون أنفسهم تركاً أم تركماناً. في عهود الإمبراطورية العثمانية كان إسم [ترك] صنواً لكلمة بربري ودليلاً على الإفتقار الى المدنية وبقي كذلك الى العام ١٩٠٠ حين شرف وكرم بتأثير حركة الاتحاد والترقي التركي. ومنذ إلغاء السلطنة اصبح إسم «تركيا» إسم البلاد الرسمي. وبما أنّ لفظة «ترك» نسخت لفظة «عثمانيين» فلا يمكن والحالة هذه إطلاقه على السكان العراقيين الترك.

ومع هذا وبما أنّ علاقاتهم التاريخية واللغوية بل الأدبية - وثيقة بأهالي آسيا

٥٧- وهو اموداريا أو نهر أوكسوس (كما ذكر في كتب الجغرافية القديمة).

الصغرى وبما أنهم يعيشون حياة مستقرة بدون إستثناء فلا مندوحة لنا من الإستنتاج أنّ ترك العراق يجب أن لا يُطلق عليهم إسم التركمان تمييزاً لهم عن ترك تركيا الاصلية. بما أنّ جميع التركمان (بمفهوم القرون الوسطى للكلمة) انحدروا من قبيلة واحدة، فلاشكّ أنهم كانوا اصلاً يتكلمون لغة واحدة. ومن هذه اللغة المفردة التي يمكن تسميتها بالتركية الغربية انبثقت اللهجات التركية التي ينطق بها أترك أوروبا وآسيا الصغرى والقفقاس وأذربيجان والعراق فضلاً عن لغة القوم الذين سمّوا بالتركمان شرق بحر قزوين، إلا أن اللهجات اختلفت فيما بينها بدرجات متفاوتة، وهذه المتغيّرات تعود على الاغلب الى الإحتكاك مع سكان البلاد الاصيلين القدماء والى تقلبات السلطة السياسية. هذه الفروق اللغوية لم تصل على كل حال الى الدرجة التي تحول دون تفاهم مختلف المجموعات بعضها مع بعض.

ومنذ القرن الثالث عشر تميزت مجموعتان من اللهجات التركية الغربية وبرزتا، وربما امكن تسميتهما بالعثمانية والآذرية [تركية أذربيجان] وأصبح الإنشعاب واضحاً منذ فترة الفتوحات المغولية. اما البلاد الشبيهة بأذربيجان والطرق التي ظلت تحت الحكم المغولي عدة قرون فقد حافظت استناداً الى هذا الواقع على رابطة مع ترك آسيا الوسطى اوثق من رابطتها مع ترك اناضوليا وتُركت لنفسها حيث استهدفت للمؤثرات الخارجية. وبعد السيطرة المغولية عانت اللهجات الآذرية تأثيرات فارسية وزادت شقة الخلاف بينها وبين لهجة العثمانلي. وقد كان السبب ان القسم الشرقي من التركية الغربية لم يقع في القرون الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر تحت تأثير مراكز السلطة السياسية في اناضوليا، أو يخضع لنفوذ أستانبول، ولكنه خضع لأسر حاكمة محلية صغيرة اعقبتها دولة [القره قوينلو] ثم دولة الصفويين الفرس وكلها كانت فضلاً عن هذا - شيعية المذهب. وبعامل هذه المؤثرات تطورت لغة الأدب الآذرية في الشرق بينما نمت لغة الأدب العثمانية في الغرب.

ان مجال انتشار اللهجة الآذرية يشمل (أ) جنوب القفقاس وأذربيجان (ب) ترك أقاليم همدان وفارسستان وخراسان وطهران الإيرانية (ج) العراق وناضوليا الشرقية. وصحيح جداً ما قيل ان لغة كتابة هذه البلاد التي اوردنا أسماءها، كانت قد وقعت تحت تأثير "العثمانلي". على ان لهجات التخاطب يجب ان توضع في الصنف الأذري. ولم تكن هاتان المجموعتان في اي وقت تفترقان كثيراً، بدليل الحفاوة التي استقبل

بها الوسط الأدبي في الإمبراطورية العثمانية، الشاعر التركي [فضولي] الذي قدم من العراق وهو من سكان بغداد التي وقعت بيد العثمانيين في القرن السادس عشر ومن أبناء عشيرة البيات التي تسكن غرب [كفري].

يتكلم [البيات] اليوم التركية والعربية وقد اثيرت مسألة وجوب إعتبارهم عرباً طغى عليهم التأثير التركي. وعلى كل حال فالراجح انهم من اصل تركي خالص لأن [البيات] كان اسماً لإحدى قبائل [الغز] الغابرة. و[فضولي] (٥٨) وإن كان قد ترك العراق فقد نظم شعره باللهجة [الأذرية] وتبوأ على مر الزمان مكانته بين اشهر شعراء الآداب العثمانية وما يزال حتى الآن داوي الصيت في العراق.

يقول [ثامبري: الشعب التركي ص ٤٠٧] إن اللهجة التركمانية هي اقرب اللهجات صلة باللهجة أناضوليا العثمانية. ويفرق [كوپرلو زاده محمد فؤاد] الاستاذ الشهير بالأدب التركي في جامعة أستانبول بين مناطق لغوية ثلاث (١) المنطقة التركمانية (٢) المنطقة الأذربيجانية (٣) منطقة أناضوليا والروملي [انظر: إليك متظفر لر ص ١٩٦] وهناك فرق اقل بين اللهجات الشائعة في أستانبول واخواتها الشائعة في أناضوليا وبين اية لهجة محلية واختها، واللهجة التركمانية.

ويقدم لنا [مستر كرامرز] (٥٩) مترجمنا وخبيرنا اللغوي التفاصيل التالية من ملاحظاته الشخصية: لم استطع القيام باستطلاعات كثيرة عن اللهجة التركية الشائعة في ولاية الموصل. ويكاد المتعلمون كلهم سيتكلمون تركية أستانبول بدرجة جيدة. لكنني تمكنت من التفاهم مع أولئك الذين لم يقفوا تحت تأثير أستانبول بنفس السهولة تقريباً وإن كان الأختلاف عند بعض المسنين أظهر. ان لغة الكتابة عند السكان - كالعبارات الجارحة المخطوطة على الجدران في أربيل - تختلف إختلافاً يكاد لا يذكر عن اللغة التركية الرسمية. وعلى اية حال فقد أيدت لي تجربتي في لغة التخاطب أن

٥٨- محمد ابن سليمان (١٤٩٤؟ - ١٥٥٦) واحد من أشهر شعراء الترك. ولد ببغداد. ونظم بالتركية والعربية يعد من اكبر الشعراء الفنانين. له قصائد في المدح السلطان سليمان القانوني.
٥٩- ج، هـ كرامرز (١٨٩١ - ١٩٥٦) مستشرق هولندي. استاذ اللغة التركية والفارسية في جامعة ليدن. خلف المستشرق فنسك على كرسي العربية فيها بعد العام ١٩٢٩ انتدب للعمل في لجنة التحقيق من قبل عصبة الأمم. احد المساهمين بكثير من الموضوعات في دائرة المعارف الاسلامية. كما ساهم بكتابة فصل "الجغرافية والتجارة" في كتاب تراث الاسلام الذي نقلناه الى العربية في العام ١٩٥٣.

هذه اللهجة يجب أن تنظر بانها اقرب للمجموعة الآذرية.

وهناك ضابط تركي يفرق عند كتابته عن ترك العراق في مجلة تركية [١٩١٥]، بين مجموعتين من اللهجات تختلفان إختلافاً طفيفاً عن البقية وهما لهجة [تلعفر وأهالي قرية النبي يونس]^(٦٠) ولهجة أربيل وألتون كوپرو وكرکوک وكفري. ويرى تشابهاً ملحوظاً بنوع خاص بين أربيل وكرکوک. ففي كلا الموقعين تشيع عين الاغاني الشعبية. على أن ترك كركوك كانوا أقل تأثراً بالعناصر الدخيلة.

ويذكر الكاتب نفسه تقليدين محليين غربيين أولهما ما اثر عن ترك تلعفر قولهم بأنهم احفاد جنود [تيمورلنگ] والثاني إن هناك رابطة عتيقة بين ترك ضواحي [اورفه] وترك [كرکوک] ويضيف قائلاً إنه يوجد فعلاً أوجه شبه بين لهجات هاتين المنطقتين واغانيهما الشعبية.

وقد لاحظنا المستشار التركي وخبراءه يحادثون الترك المحليين دون صعوبة، ويذكر التقويم الرسمي لولاية الموصل [١٣٣٠هـ = ١٩١٢] أن سكان [تلعفر] يتكلمون لغةً تشبه لغة [الجغطاي].

واما عن اصل الترك أو التركمان فنرى الحكومة البريطانية محقة في القول ان معظمهم هم احفاد محاربي [طوغلول] وخلفائه مرتزقة الخلفاء العباسيين، وجنود الاتابكة. إلا أن عملية الهجرة العسكرية هذه والاستقرار لم تقف عند ذلك الحد. فقد كان بعضهم من نسل الجنود والضباط والموظفين التابعين لسلطين آل عثمان.

وبناء على ذلك فالسكان هنا تركو - تركمان، ذوو اصول كثيرة التنوع يتألفون من أنسال مختلف أجزاء الشعب التركي إلا أنهم ترك غربيون جميعاً وليسوا الأقرباء الأقربين لترك أستانبول أو ترك أنقره. انهم يرتبطون واثق الارتباط بالجمهورية التركية بحيث يمكن إعتبارهم من الشعب التركي نفسه.

٣ - اليزيدية:

في موضوع اليزيدية تقدمت الحكومتان كذلك بإدعاءات واضحة التناقض ومع أن اليزيدية قبائل قليلة العدد [ما بين ٢١٠٠٠ و ٣٠٠٠٠ بحسب الإحصاءات البريطانية العراقية، وقل من ١٨٠٠٠ بحسب التقدير التركي] فهم يتطلبون مناً بعض الإهتمام

٦٠- قرية تقع على الجانب الايسر من دجلة بمسافة كيلومترين مقابل المدينة الموصل.

على كلّ حال. ومن بين أسباب هذا الإهتمام سبب واحد هو ما تحظى به من إلتفات عام هذه الأمة الغريبة التي عرفت بإسم [عبدة الشيطان]. فضلاً عن كونهم عنصراً متميزاً عن بقية السكان دون شك. مجتمع موحد، وجهاز منغلق على نفسه مهم بالنسبة الى موضوع بحثنا لانهم كتلة منظمة متجمعة، ولعلمهم المستوطنون الوحيدون في البطاح الغربية.

وعن الناحية القومية فالمذكرة البريطانية لاتزيد عن قولها انهم قد يكونون كرداً أصلاء. لكنهم ليسوا بمسلمين - في الواقع انهم يعتبرون الإسلام ديناً نجساً وهم يظهرون في الخارطة الاثنوغرافية التي قدمتها الحكومة البريطانية بلون يختلف عن اللون الذي اختارته للكرد. ويظهر لون الكرد واليزيدية بلون واحد في الخارطة التي طبعتها الجمعية الجغرافية الملكية (١٩١٠) وقدمتها الحكومة التركية.

واذ ذاك طلبنا من المستشار البريطاني ان يشرح لنا هذا التباين إلا أن رده لم يكن فيه ما يروي الصدى وكل ما قال ان التلون يختلف في الخارطين.

واكدت الحكومة التركية بأن اليزيدية هم عنصر كردي أصيل واخلقهم وعاداتهم كتلك التي يتحلى بها الكرد. والإختلاف الوحيد هو المذهب اي انهم على مذهب إسلامي خاص. ووضحت الحكومة التركية الأمر بقولها «ان مجرد إتباعهم مذهباً متميزاً لا يكون سبباً لتفريقهم عن الكرد» ثم تستتلي الحكومة التركية لتقارن الفرق بين الدين الاسلامي واليزيدي، بالفرق بين المذهب الكاثوليكي والپروتستانتى في العالم المسيحي.

يحفّ الغموض بأصول هذا الشعب الغريب أكثر بكثير من الغموض الذي يحفّ باصل الكرد، وهم أنفسهم يقرون بإختلافهم عن سائر الأمم الأخرى في العالم. ويدّعون أن اصلهم أعرق من كلّ الأصول العرقية للشعوب الأخرى وتقول اسطورتهم انهم الأحفاد الرأسيون لأدم ابي البشر. في حين كانت الشعوب الأخرى من سلالة آدم وحواء معاً. وسئل احدهم عن الطوفان فقال انهم خرجوا من صلب [نوح] في حين انحدرت الأقوام الأخرى من اولاده. والشيعية المسلمون يعتبرون اليزيدية من سلالة [يزيد] الخليفة الذي أثر عنه فتكه بالحسن والحسين لاغتصاب الخلافة منهما. وفي الآداب الإسلامية مثال ذلك ما كتبه [الشهرستاني]^(٦١) «هم اصحاب [يزيد بن أنيسة]» وبذلك يؤلفون مع

٦١- إسمه الكامل محمد عبدالكريم بن احمد ابو الفتح الشافعي الشهرستاني الخراساني (١٠٧٦ - ١١٥٣م) عرف بكتابه الشهير [الملل والنحل]. في هذا الكتاب يذكر الشهرستاني اليزيدية =

مجموعتين آخرين المذهب [الإباضي] أو المدرسة المذهبية التي تتبع ما يعرف بالفرقة الشواردية. ولا ينفرد اليزيدية بإنكار هذا الزعم عن أصلهم، بل يشاركون فيه كتاب كثر آخرون، منهم [مصطفى نوري باشا] والي الموصل السابق الذي توفر لديه كلّ الفرص لدراساتهم فكتب بحثاً من امتع البحوث عنهم. وهو يرى كمعظم كتاب العصر والرحالة الأوروبيين أنّ اليزيدية هم كرد، ويعتقد كتاب آخرون مثل مسيو [بورتاليان] ان أصلهم من إقليم (يزد) في إيران.

يتكلم اليزيدية الكردية لاغير، ومع ان كتبهم المقدسة القليلة مدونة بالعربية فلا سبيل الى الإغضاء عن أنّ عباداتهم وصلواتهم الأساسية تنلى بالكردية، والصيغة المقررة للتعميد التي يتلوها الشيخ هي كردية والتراتيل كردية، ويعتقدون أنّ الله يتكلم الكردية. وقد زعم بعضهم انهم من اصل عربي لكن التأثير الكردي طغى عليهم منذ زمن سحيق وقد بنيت هذه النظرية على كون كتبهم مدونة بالعربية وهو دليلهم الوحيد، في حين كلّ الدلائل الأخرى تشير الى عكس ذلك الزعم وتدحضه. ربما استخدمت اللغة العربية لكتابة هذه الكتب لأن اللغة الكردية لم تكن قد وصلت بعد الى مرتبة اللغة المكتوبة. فضلاً عن ذلك فليس بين رجال دينهم من يفقه العربية أو يتمكن من قراءتها إلا قلة قليلة. ولا تستخدم العربية إلا لأغراض لاهوتية، ولم تكن قط لغة العبادة والصلاة.

بقي اليزيدية منفصلين تماماً دينياً، متميزين بالمظهر الجسمي؛ فهم [على الأقل سكان منطقة باعذرا وشيخ آدي] يختلفون عن المظهر الجسمي للكرد إختلافاً بيناً. ويتعذر علينا تكوين نظرية علمية مبنية على أسس راسخة من لمحة اولية قصيرة. إلا اننا لانستطيع ان نمسك أنفسنا عن اظهار دهشتنا البالغة للشبه الواضح بين اليزيدية في [باعذرا وشيخ آدي] ولاسيما رؤساؤهم، وبين النقوش التي تشاهد في اشهر الانصاب والالواح الآشورية المصوّرة.

عاش اليزيدية منذ اقدم العصور في عزلة تامة، وبحسب إعتقادهم لا يستطيع المرء أن يكون يزدياً إلا بالولادة. ولذا لا يحاولون التيشير بدينهم، فأمنوا من تسرب دم أجنبي في عروقهم. وكان التزاوج مع اصحاب الديانات الأخرى محظوراً حتى الزيجات بين مختلف طبقاتهم الإجتماعية المنفصلة إنفصلاً متمتماً فهي ممنوعة. وطبقاتهم دينية،

= بوصفهم فرقة من الاباضية الثالثة. «وهم مع [الحفصية] [والحارثية] اتباع عبدالله بن إباض الذي خرج على مروان بن محمد (الثالث) آخر خلفاء بني أمية» وقد حكم عليهم بالشرك.

اولها طبقة الشيوخ ثم الپيران، ثم الفقراء، ثم القوالون، ثم الأوان، ثم سدنة مزار الشيخ آدي. والمير [الأمير] هو الفرد الوحيد الذي يحق له ان يتخذ عدة زوجات. وبوسعه اختيارهن دون التقيد بالحظر الطبقي.

ودينهم هذا الذي جعلهم في معزلٍ عن كلِّ الأقسام الأخرى ورطهم في مآزق وجلب لهم نكبات جسماء واضطهادات عديدة، فلأجله كانوا يقتبلون الموت بأعظم مظاهر البطولة. وهو دين مركب نجد فيه كل شكل من عناصر جمعت بفوضى عجيبة، لم يفلح احد حتى الآن في الكشف عن كل اسراره. والاحاطة بوصفه من كل جوانبه. فهو يستمد من الفرس مفهوم مبدأَي الخير والشر، وربما استمد منهم كذلك عقيدة التناسخ. ولعلّ التضحية السنوية بالثور الابيض في مزار [شمس الدين = الشمس] تعود اصولها الى عملٍ مماثل في الديانة المثرائية^(٦٢). ولعلمهم أخذوا عن اليهودية عقيدة الشيطان الذي يمثل [أهرمين: مبدأ الشر] وهم ينزلون التوراة والعهد الجديد [الانجيل] والقرآن عين المنزلة من الاحترام، ويمارسون عادة الختان وهي عادة ربما استمدوها من اليهودية أو الإسلام أو ربما كما يرى [ويگرام]^(٦٣) من مصدر آخر معروف للجميع. ويجب أن لا يعزب عن البال على اية حال - أن الختان وإن كان عادة سامية عريقة فقد كان الآشوريون والبابليون إستثناءً من القاعدة ولم يمارسوها. ويقدم اليزيدية [المسيح] وعلامة الصليب. ولكن من المعروف أن الصليب ليس رمزاً تختص به الديانة المسيحية، فقد وجد في تاريخ يعود الى ما قبلها وهم يشاركون المسلمين إجلالهم لمحمد (ص) والاماكن المقدسة في [مكة]. ويمكن قراءة آيات قرآنية حفرت على جدران مزارهم. وينبوع الماء الذي يصدر من عين مجاورة لمزار [شمس] يطلقون عليه إسم «ماء زمزم». وهو إسم بئر مكة المقدس. وتقول واحدة من اساطيرهم ان [الشيخ آدي] حول هذا الماء الى هذا الموقع من مكة بمعجزة، على ان ماء النبع المقدس يستخدمه شيوخهم لعماد

٦٢- آلهة فارسية قديمة صارت ترمز الى الشمس في دين جديد شاع في غربي فارس وبلاد الرافدين وانتشر في اليونان حتى وصل روما وقضى عليه في حدود القرن الثالث الميلادي وكان من مظاهره نحر الثيران كتقدمة للآلهة. وتبناه الجيش الروماني الهأ خاصاً حيناً من الزمن.

٦٣- قس انكليكاني زار شرقي كردستان وبقي سنوات في العقود الاولى من هذا القرن وقد الف ثلاثة كتب عن الكرد والنساطرة منها «مهد البشرية: الحياة في شرق كردستان، قمنا بترجمته الى العربية [ط بغداد ١٩٧٠ وشيكاغو ١٩٩٩ وأربيل ٢٠٠١] ولديه ايضاً «تاريخ الآثوريين» وأظنه المقصود هنا.

الأطفال. ويرى على جدران هيكل [شمس] أيضاً النجوم والقمر ويشاهد على ركن المدخل الكبير صورة أفعى سوداء ضخمة وهم يعبدون النار كذلك، وهذه لاشك الرابطة التي تربطهم الى حد ما بالزرادشتية.

هذه العناصر كلها دخيلة. لكن ثم عناصر قومية ايضاً. فاليزيدية يؤمنون بالكائن الاسمي [العليّ الاعلى] ويسمونه [يزدان] وربما كان هذا مصدراً لاسمهم وهو على كل حال يغلب على احتمال اشتقاقه من اسم (يزيد) الغاصب. أو من إقليم (يزد) في إيران ومهما يكن فالكائن الأسمى هو ارفع بكثير من أن يتوصل اليه البشر لعبادته مباشرة فهو في السماء وليست الأرض مما يهتم به ومنه انبثقت سبع ارواح عظيمة أو لاهها واخطرها [ملك طاووس] وهو ابليس نفسه، وثانيها [ملك عيسى] وهو المسيح، وبوساطة [ملك طاووس] خلق الله العالم وأجرها له لمدة عشرة آلاف سنة انقضى منها حتى الآن ستة آلاف.

ويعبد [ملك طاووس] على هيئة طاووس برونزي. والظاهر أنه توجد نسخ عدة منه يحملها القوألون [الطبقة الدينية الرابعة] وينتقلون بها من قرية الى أخرى ليقيم لها الأهلون فروض التعبد.

لم يقيم بزيارة يزيدية سنجار عين أعضاء اللجنة الذين زاروا يزيدية باعذرا. ومن ثم لم يكن في وسعنا التثبت من صحة اقوال [سر مارك سايكس] بأن هاتين المجموعتين لا ترابط فيما بينهما إلا علاقة الدين ولا يعطي [سر مارك] اي رأي عن أصل يزيدية باعذرا وشيخ آدي. اما عن يزيدية سنجار فيقول انهم كرد لاشك فيهم، ليس من جهة اللغة وحدها بل بالاوصاف الجسدية. وهو يقارنهم بكرد [درسيم]. وفي رأيه انهم لجأوا الى جبال سنجار بعد غزوة [تيمورلنك]. ويزيدية اليوم أنفسهم على كل حال يؤكدون ان سكان منطقتهم الأوائل كانوا دوماً يمارسون شعائر الدين اليزيدي.

وهكذا يتضح اذن ان دين هذه القبائل الغريبة واصولها وقوميتها يحفّ بها الغموض الى ابعد حد. وما من شك في انهم لا يمتنون للإسلام بصلة. وواضح كذلك أن لا جامع يجمعهم بالعرب أو الترك. على أنهم يتصلون نسباً بالكرد ومن المحتمل أن اصل الأمتين واحد.

يواجه اليزيدية باستمرار مواقف صعبة. فقد حرم عليهم أن ينطقوا باسم الشيطان أو يسمعوا به أو بمقاطع منه. وحرم عليهم لبس الأزرق من الثياب. هذه الغرائب فضلاً عن

السرية التي تواكب ممارستهم دينهم، صبّت على رؤوسهم ألواناً من المصائب، مثال ذلك ما نجم عن فرض الخدمة العسكرية. وفي روسيا القفقاس مثلاً أعفوا من الخدمة لفترةٍ ما. أمّا في تركيا فلم يصار الى ذلك لإعتبارهم طائفة من الطوائف الاسلامية. وللسبب عينه كثيراً ما اضطهدهم رجال الدين المسلمون والمجتمعات المتزمتة دينياً. وكانوا في الزمن الغابر اوفر عدداً بكثير مما يعدون الآن. وفي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر استؤصلت شأفتهم تقريباً في خضمّ النزاع بين الترك والعرب بمذابح عظيمة تلت ذلك. ولقد وجدنا في مجرى تحقيقاتنا ما نرى من المفيد التنويه به. وهو على ما نعتقد الخارطة الوحيدة التي تبين سعة رقعة الأرض التي كان اليزيدية يشغلونها في الماضي. وهي كما بدا لنا تزيد كثيراً عما يشغلونه الآن واسم الخارطة «أرمينيا الكبرى بالإستناد الى كتاب أرمني» رسمها المجمع العلمي الفرنسي [اكاديمي فرانسيزا] في العام ١٧٦٥ وتظهر حدود كلّ أجزاء أرمينيا المختلفة. وتتبع الحدود الجنوبية للبلاد تقريباً (جبال الجزيرة والعماديه ونهري) وتستمر شرقاً في عين الإتجاه. الى جنوب هذا الخط يوجد شريط من الأرض لا تظهر له حدود جنوبية تمتدّ على طول مجموعة زاغروس الجبلية ويسمى بلاد الكرد. وثم جزء من هذا الشريط ممتور في نهايته الغربية اثبت فوقه إسم (موگيك) أو [بلاد المجوس] وهذه هي المنطقة التي يمكن أن تحدّ تقريباً بالموصل ودجلة والعماديه وعقره، أو بعبارة أخرى هي الصقع الذي يضمّ معابد اليزيدية ذلك الشعب الوحيد في تلك الأنحاء الذي يمارس طقوس ديانة ذات صلة بديانة المجوس [سينشر السيد خانزاديان قريباً هذه الخارطة ضمن السلسلة الموسومة «خرائط أرمينيا التاريخية»]

٤ - العرب والبدو المستوطنون:

هناك كتّاب مثل (كينيه) يفرقون بين العرب البدو وبين العرب السوريين في حين أنّ المذكرة البريطانية تشير فحسب الى [عرب اقحاح] في ولاية الموصل وكانت الحكومة البريطانية قد اجابت على سؤال حول هذه النقطة بقولها إنّ وجود إختلافات معينة بين عرب البدو وعرب المدن ليس كافياً لتبرير الإستنتاج بأنهم من اصول متباينة، فهم على كلّ حال، مشاركون في التقاليد والعادات والرأي السياسي. ولم يكن في وسعنا أن نلاحظ ايّ فرقٍ خلا ما هو معروف بين عرب البادية وعرب

المدينة. اصف الى هذا ليس من السهل اكتشاف مثل هذه الظلال الخفيفة من الاختلاف في مجموع كبير من السكان أو سنحتاج الى تحقيقات انثربولوجية وتاريخية واثنوغرافية طويلة لنستطيع تقرير الأصول العرقية أو وحدة الرابطة القومية. ومامن شك في ان السكان ينتظمون في سلالات أخرى قومية سامية غير العرب. وينوه [سر مارك سايكس] ايضاً بسكان الموصل العرب - الآراميين. وهو العنصر الذي امتزج مع العرب وتأثر بهم كثيراً. وفقد كل خصائصه وتقاليده الأصلية.

٥ - الصارلي والشبكي:

زودنا مستر كرامرز المترجم الرسمي والخبير اللغوي الملتحق باللجنة بالمعلومات التالية قال إن الاب [أنستاسيوس]^(٦٤) المعروف جيداً بتحقيقاته الخاصة عن اليزيدية يقدم لنا معلومات لا يستهان بها عن طوائف [الصارلي والباجوران والشبكي] الذين شاهدتهم في ضواحي الموصل [مجلة المشرق، عن كلية اليسوعيين في بيروت - المجلد الخامس ١٩٠٢ الصفحة ٥٧٧ وما بعدها].

يعد الأب [أنستاسيوس] مايعتبره قرى الصارلي الرئيسة وهي: [تل اللبن، بساطلية، كيرلي، خربة سلطان] ولم تذكر هذه القرى للجنة لأن قرية [وردك] بحسب معلوماتنا الخاصة هي مركزها. كذلك هي مقر زعيمهم الديني «موللا (ملاً) طه» أو «طه قوجه (خوجه)» وبحسب ما ذكره الأب [أنستاسيوس] ان لغة الصارلي هي مركب مزجي من الكردية والتركية والفارسية. والقول نفسه ينطبق على لغتي الباجوران والشبكي. لكنه يضيف قائلاً إن هذه اللغات غير متشابهة. ولو ضاهينا رأيه هذا بالمعلومات التي توصلت اليها اللجنة في [السيافيه] - ٢٠ شباط ١٩٢٥، (وترى ان لغتهم الوحيدة هي الكردية)، فربما جاز لنا ان نستخلص ان ما يدعى باللغة السرية، ليست إلا الكردية التي دخلتها تعابير تركية وفارسية قليلة. ولغة كتابهم المقدس هي الفارسية على ما يبدو.

وفضلاً عن هذا فالاب [أنستاسيوس] يرى في ختام بحثه إن الطوائف الثلاث التي

٦٤- المقصود انستاس ماري الكرملي [١٨٦٦-١٩٤٧] العراقي السعدي احد أئمة اللغة العربية والمحققين المعروفين. وصاحب مجلة (لغة العرب) الشهير. نقول وهناك بحث هام مشابه للدكتور داود الجبلي منشور في مجلة النجم الموصلية.

يصفها هي كردية الأصل ويدعم وجهة نظره بالمظاهر الأنثروبولوجية فأفرادها كالکرد متينو الالواح ممثلو الجسم طوال القامة حنطيّو البشرة مستقيمو الأنوف سود الشعر ذوو عيون بنية غامقة «لا يؤمن جانبهم ويتصفون بالشراسة والغدر». ولم تتصل اللجنة بطائفة الباجوران. وهم يمارسون من العبادة ما يمارسه غلاة الشيعة ومنتزمتوهم.

ويورد الأب [انستاسيوس] أسماء لبعض قرى الشبك وهي [علي رَش، ينگه جي، فرنه، فلاره^(٦٥)] وتقع بالقرب من جبل سنجار [يجب أن يكون هذا زلّة قلم فهذه القرى في الواقع أقرب إلى جبل مقلوب منها إلى جبل سنجار. والشبك يجلون الإمام (علياً) غاية الاجلال على انهم يشاركون في معظم مناسبات اليزيدية الدينية واحتفالاتهم].

٦- المسيحيون:

أبدى كل من الحكومتين إهتماماً خاصاً بالوجه السياسي لمشكلة المسيحيين لاسيما الآشوريين النساطرة الذين كانوا يسكنون اصلاً في الجزء الشمالي من الإقليم المنازع عليه والمناطق المصاغبة لها. وقد تطرقت المذكرات بالدرجة الاولى الى تأريخ هؤلاء المسيحيين القريب وإلى كفاحهم واضطهادهم أثناء الحرب الأخيرة وإلى مسألة اللاجئين واخيراً إلى إعادة توطينهم في اراضٍ قريبة من الأراضى التي أُجلّوا عنها. وليس بحثنا هنا بالمكان المناسب لندلي برأي في هذه المواضيع. لم تذكر الحكومتان في مذكراتهما شيئاً عن هؤلاء المسيحيين حتى في مذكرة الحكومة البريطانية الخاصة بالأرمن والآشوريين اللاجئين في مخيم بعقوبة وانما اشارت فحسب إلى تأريخهم القريب. على اننا نرى ونحن في سبيل البحث عن اصل مختلف اقوام الإقليم المنازع عليه - من الضروري إضافة كلمات قليلة حول مجموعتين كبيرتين من المسيحيين تعيش في هذه البلاد وهما الكلدان والنساطرة حرصاً منا على إيفاء الموضوع حقّه من الشمول. اما المسيحيون الآخرون وهم اليعاقبة واللاتين والسريان الكاثوليك والارثودكس والأرمن والپروتستانت فهم قلة.

إن غالبية مسيحيي وادي دجلة هم من نسل السكان الآراميين الذين كانوا اغلبية سكان القطر العراقي في زمن الارشاقيين والساسانيين عندما بدأت العقيدة

٦٥- لعلها (فاضلية) أو فرارة. اذ لا توجد قرية بهذا الإسم اصلاً.

[الغنوصية] ^(٦٦) ثم المسيحية بالانتشار. ولعل الآثوريين النساطرة في جبال العماديه والتيارى والمناطق المجاورة لم يكونوا من الاصل ذاته تماماً. انهم يتكلمون عين اللسان السرياني- الآرامي الذي دخله بعض العناصر الأجنبية وكلاهما يستخدم عين اللغة في طقوسهم الدينية- اعني السريانية القديمة. إلا ان بعض الكتّاب يعتقد انهم خرجوا من عين المجموعة السكنية الجبلية للکرد وان مسيحيي سهل دجلة عندما باشر الإسلام فتوحاته وتوسيع رقعة نفوذه، لجأوا إلى حى الجبليين الذين ربما كانوا قد سبق اهتداؤهم إلى الدين المسيحي فنقلوا اليهم مدينة رفيعة متقدمة ولقنّوهم لغةً جديدة.

واماً عن المذهب النسطوري فإنّ الإنشقاق يعود إلى عصر التناحر اللاهوتي الذي نجمت عنه الهرطقة المونوفيزية والهرطقة المونوتيلية ^(٦٧) وأدين البطريرك نسطورس في (أفسس) في القرن الثالث. وتتلخص تعاليمه بأنّ [العذراء مريم] ولدت [يسوعاً] الإنسان] وليس [يسوعاً الله]. وقد أضطهد هو واشياعه في القسطنطينية إلا أنّ الساسانيين احسنوا إستقباله لأنهم كانوا أعداء الإمبراطورية الشرقية. كما اكرم العباسيون وفادة اهل عقيدته. وكان مأتى التكريم الأعلى لهم انهم حملوا العلوم اليونانية الى هذه الأنحاء. وقلدوا اعلى المراتب في بغداد بالذات وصار كل مسيحيي الإمبراطوريتين الفارسية والعباسية تقريباً نساطرة المذهب. وما مرت فترة قصيرة حتى اصبح لهذه الكنيسة خمس وعشرون أسقفية.

وتغير الموقف بسقوط الخلافة وغزو المغول وتفجرت براكين التعصب الإسلامي الذي تذهب جذوره الى الشيخ (الهاشمي) عبد القادر الكيلاني.

وفي القرن الثالث عشر كان النساطرة المستهدفون للإضطهاد ينسحبون تدريجاً الى الجبال. إلا أنّ الطامة الكبرى وقعت بالفتح المغولي الثاني الذي قاده [تيمورلنك] فقد تركت الغارة التيمورية النساطرة بالعدد القليل الذي نجده اليوم. وفي تلك الفترة هاجر

٦٦- من كلمة گنوستيك اليونانية اي المعرفة: مذهب ديني فلسفي زعم اتباعه ان المادة أشبه بسجن للروح. وأنّ إلهاً مخلصاً يهبط إلى هذه المادة ليخلص الروح الحبيسة فترتفع تدريجياً إلى العالم السماوي. وذهبوا في وصف هذا الإرتفاع مذاهب خيالية.

٦٧- المونوفيزية أو اصحاب الطبيعة الواحدة عقيدة مسيحية ظهرت في القرن الخامس حرّمها المجمع المسكوني الخلقيدوني (خلقيدونيا مدينة يونانية) الديني في السنة ٤٥١م والمونوتيلية هي بدعة اصحاب المشيئة الواحدة وقد ظهرت في القرن السابع وحرّمها المجمع القسطنطيني في السنة ٦٨١م.

بطبريركهم من بغداد إلى [القوش] (٦٨) واستقر في دير نُقِر في جرف صخريّ شمال سهل الموصل كان قد انشأه الراهب الشهير (الريان هورمزد).

في القرن السادس عشر جرت محاولات لاجتذاب النساطرة إلى المذهب الكاثوليكي، وقد سهّل هذا الأمر انشطارهم إلى فرقتين. فانفصلت المجموعة الشمالية تحت زعامة بطبريرك مستقلّ [عُرِف منذ ذلك الزمن بإسم مار شمعون] والتحقّت به مراكز أسقفية ثمانية، اثنان منها بإيران.

وشعر النساطرة الذين هم في الاراضي المنخفضة بتزايد الحاجة إلى الحماية فبادروا في العام ١٧٧٨ إلى الاتحاد بروما ليخرج من هذا الإتحاد الكنيسة [الكلدانية] وهي تتألف من سبع أسقفيات يرأسها بطبريرك [بابل] الذي جعل كرسيه أولاً بالقرب من دياربكر ثم نقله إلى مدينة الموصل.

إن تقرير القنصل العام لدولة النمسا والمجر في بغداد الذي أتخفنا بدراسة واسعة لقضية النساطرة والكلدان في ١٩٠١، يزودنا بالإحصاءات التالية:

عدد الأسر	للساطرة:
٢٢٧٤	١- مجموعة قبيلة التياري برئاسة مار شمعون
١٦٥٠	٢- مجموعة قبائل تخوما برئاسة أسقف
٢١٠٣	٣- مجموعة عشائر كهوهر برئاسة أسقف كهوهر
١٠٦٧	أ- اسقفية المركز (متروبولتيان)
٩٧٢	ب- اسقفية مار يوحنا
٩٢٠	ج- اسقفية مار يونا
٥٢١٧	د- اسقفية مار غوريال
المجموع: ١٣٥٧٣	

ويقدم عن الكلدان الإحصاءات التالية:

٢٧٠٥	أ- كرسي بابل البطريركي [الموصل وضواحيها مع بغداد]
٣٥٠	ب- اسقفية كركوك
١١٦٥	ج- اسقفية العماديه وعقره
٨٢٥	د- اسقفية الجزيرة

٦٨- يقع دير الريان هرمز في صدر جبل ألقوش اما القرية فهي في السهل عند قدمات الجبل.

٩١٥	هـ- اسقفية سعرد
٧٠	و- اسقفية ماردين
٢٠٠	ز- اسقفية دياربكر
المجموع: ٦٢٣٠	

بموجب هذه الإحصاءات نقدر عدد المسيحيين بما يتراوح بين ثمانين ألفاً وتسعين ألفاً نسطوري واربعين الف كلداني استناداً الى قاعدة تقدير ستة اشخاص لكل أسرة. وبلوح لنا هذا التقرير بعيداً عن الحيدة لانه يستند الى معلومات قدّمها الممثلون البيطاركة. وتقدر المذكرة البريطانية المرفوعة عن اللاجئين أن عدد النساطرة الجبليين كان يبلغ قبل الحرب مائة الف.

ان الحكم الذاتي الذي كانت تتمتع به المجموعات النسطورية الثلاث المؤلفة من القبائل الخمسة المستقلة كانت مهددة بالتناحر الداخلي فيما بينها، وبعنوان السلطات العثمانية. على ان الدولة العثمانية أظهرت بعض الرعاية للبطريك كي تقطع عليه طريق اللجوء إلى حمى روما، أو نقل كرسيه إلى إيران، لأنه ترك البلاد بصورة مؤقتة أثناء المذبحة الأولى التي اقدم عليها بدرخان باشا في العام ١٨٤٠.

وسمح للقبائل الخمس بدرجة كبيرة من الإستقلال الذاتي وبحكم البطريك على النساطرة ضمن الإمبراطورية العثمانية. فكانت تدفع له ضرائبها فيقوم هو بدفع مقدار ثابت منها ضرائب للسلطات. ولقد ظلّوا يحافظون على كنائسهم ويحرصون على كتبهم المقدسة الطقسية عدة قرون حتى ضاعت في أثناء الحرب الماضية. ووجدوا في الجبال افضل حماية حيث لا سلطان يُذكر للإدارة. كما كانت الحال في الجبال التي تسكنها القبائل الكرديّة. وفي الحالات القليلة التي تحاول تلك الإدارة ممارسة السلطة ذاتها عادةً لاتتسم بالسماحة والكرم. ويبدو انه كان ثم إختلاف كبير بين طريقة معاملة الحكومة للبطريك وبين الطريقة التي كان الپاشوات يعاملون رعيته. ويتبع النساطرة الجبليون عين الأسلوب الذي يتبعه الكرد الجبليون في حياتهم: يربون الأغنام وينتقلون من مرعى إلى مرعى، لكنهم يولون عناية كبيرة بزراعة تلك المساحات القليلة من الارض التي إستطاعوا تسخيرها للمحراث في الوديان وعلى سفوح الجبال الشديدة التحدّر، وهم يزاولون زراعة المدرجات على نطاق واسع وبأسلوب ريّ محليّ. وزيهم شبيهه بالزبيّ

الكردي إلا أنه ليس مثله تماماً. فهم يعتنمون غطاء رأس صغير مخروطيّ غريب الشكل كالذي يرتديه الألبان وليس هناك صلة تربط بين الاثنين. وهم محاربون أشداء كالكردي لا يفارقهم خنجرهم ويدسّونه في طيات احزمتهم، وتلازمهم بندقية حديثة الطراز يتنكبونها أبداً.

أما الكلدان الذين يسكنون الأراضي المنخفضة وهم أكثر تحضراً لأنهم أقرب صلة وأكثر احتكاكاً بسكان المدن المتعلمين. ولهم مدارسهم التي نشرف عيلها أساساً فرنسا وروما ويتلقى معظم رجال الدين الكلدان علومهم في مدرسة اللاهوت (السيمينير) الفرنسية الدومنيكانية بالموصل.

ويسهل جداً التفريق بين قرى السهل الكلدانية والقرى العربية والتركية والكردية بتوفير راحة مقبولة لنظافتها. كانت بيوت تليق والقرى المجاورة حجرية البناء مثلاً. هؤلاء المسيحيون يعيشون بوتام مع الكرد وعلاقاتهم طيبة. وقد كان هذا إنطباعنا عموماً في المناطق التي تسكنها القبائل الكردية والمسيحية. وقد نشطت هجرة الكلدان بأعداد كبيرة خارج بلاد الرافدين قبيل الحرب. وسنعود لبحث اوضاعهم الحالية في مكان آخر من التقرير.

(٣)

الوصف الجغرافي والاثنوغرافي للأرض المنازع عليها

تقع آسيا الصغرى وأرمينيا وإيران بكاملها ضمن منطقة التضاريس اليوراسية العظمى. وسورية وجزيرة العرب هما جزء من البطحاء الواسعة القديمة التي تكاد تحتضن كل أفريقيا والقسم الجنوبي من الهند وجزر الهند الشرقية وأستراليا.

وإذا اخذنا بلاد الرافدين بمفهومها الواسع - ونقصد بها كل البلاد التي تقع بين دجلة والفرات والبلاد الممتدة على ضفاف هذين النهرين بطولهما من منبعهما في سلاسل الجبال العالية، فهي منطقة انتقالية.

والإقليم المنازع عليه يقع ضمن هذه المنطقة وتمتد جبال امانوس حتى الخليج الفارسي. ان الجبال التي تعلو سهل سورية وارض الرافدين كالملمع المدرج، تؤلف جزءاً من منظومتها جبال. فمن الشرق تمتد منظومة [زاغروس] التي تبدأ سلاسلها المتوازية المتعددة من الجنوب الشرقي حتى الشمال الغربي. ومن الشمال تمتد منظومة طوروس التي تبدأ سلاسلها من الغرب إلى الشرق وتبدو مثل قوس يميل إحدداً إلى الجنوب. هاتان المجموعتان تلتقيان لتلتحما في الزاوية الشمالية الشرقية، بعقدة مازالت غير معروفة كثيراً من الناحية الجيولوجية والتشكيلية [المورفولوجية]. وإلى ناحية السهل من هذه السلاسل الجبلية تقوم على مجنبتيهما عدة سلاسل من المرتفعات والهضاب الجبلية. وتقع الأرض المنازع عليها في أقصى زاوية من الارض المستوية حيث تندغم سلاسل المنظومتين وقدماتهما الجبلية بعضهما ببعض.

وإلى الجنوب الشرقي هناك منخفض عظيم هو الخليج الفارسي وبلاد الرافدين السفلى، من شأنه أن يفصل سلاسل زاغروس عن الهضبة العربية كان الخليج الفارسي في السابق يمتد حتى خط [هيت - بلد] وقدمات الطرف الجنوبي لجبل حميرين. ولقد ملأ الفرات ودجلة جزءاً كبيراً من الخليج الفارسي برواسب غرينية سميكة، هذه الرواسب الغرينية ذات الخصوبة العالية في العراق تمتد حتى مشارف [بلد] لتؤلف الأرض المنخفضة. في منطقة [بلد - تكريت] ترتفع الأرض من [٥٠ حتى ١٠٠] متر ثم يطرد إرتفاعها تدريجاً شمال تكريت ليبلغ (٩٠٠) متر عند قدمات الجبال الشمالية.

والإقليم الذي يمتدّ شمال تكريت - وهو جزءٌ من الإقليم المنازع عليه- يدعى بالأرض العليا عادةً. ومن هذه النقطة على وجه التقريب تأخذ قدمات الجبال التي كانت حتى ذلك الحين متقاربة جداً- بالإتجاه نحو الجنوب على خطوط متوازية منعطفة إلى الداخل واحداً إثر الآخر، وتنقطع سلاسل صغيرة من منظومة [زاغروس] في زاوية حادة وتنحني بقوسٍ نحو الغرب، وأول هذه السلاسل الصغيرة هو جبل حميرين، وتتخللها أحواض انهار متفاوتة السعة تتراعى أحياناً وتنداح لتكون سهولاً رحبية.

إنّ الأرض المنازع عليها هي جزءٌ من الأرض المستوية التي تنفذ بعيداً بين المنظومتين الجبلتين وهي البقعة التي كانت هذه السمات أظهر فيها مما عداها. وكلّ مجاري المياه المنحدرة من المدرج الجبلي والأرض العليا في الشمال تصبّ مياهها في الفرات ودجلة. وقد احتفرت لنفسها في الأرض العليا لمنطقة السهل أخايد عميقة على شكل حرف (U). وفي البلاد الغربية السفلى اتبعت مجرى متعرجاً ماراً بمستوى مائي مطابق تماماً لمستوى السهل المنبسط، وقد يعلو هذا المستوى عن سطح السهل أحياناً فتصنع له سداد على الضفاف. وعند [هيت وتكريت] يطرأ تغيير على طبيعة دجلة والفرات. إن جميع الأرض المنازع عليها تقع ضمن الأرض العالية. وهنا يحفر النهران مجريين عميقين صخريين سريعين التيار ويحملان معهما فئات الصخور والحصى.

ويصبّ في هذين النهرين العظيمين قرب الهضبات السامقة الشمالية معظم روافدهما، وقليل منها يشق مجراه شقاً في سلاسل الجبال ليصبّ في منطقة سفلية من الفرات. ولا يصبّ رافد لدجلة من ضفته اليمنى المستوية. أما في ضفته اليسرى فإنّ المجاري التي تنحدر من سلسلة [زاغروس] والعقدة الجبلية تتحول إلى انهار سريعة التيار. والمنطقة التي يتجمع فيها معظم تلك الروافد هي الإقليم موضوع النزاع. أشرنا في مناسبة سابقة وبتفصيل إلى العوامل والعلاقات المناخية للأرض موضوع النزاع، وإلى طابعها القاري الواضح (بسبب وقوعها في الزاوية القصوى من الأرض المنبسطة) وقد نوّهنا بالتفاوت الكبير في درجات الحرارة ومعدلها السنوي العظيم الاختلاف، والجفاف الذي يصيبها صيفاً، وأمطارها الشتوية. يتألف موضوع النزاع من أرض مستوية ومرتفعات وجبال شاهقة ولذلك كانت تشبه من ناحية المناخ كلّ الأراضي التي تحيط بها. إلا أنّ صلتها الكبرى كما سبق إيضاحه، هي بالمنطقة الانتقالية المرتفعة التي تمتد من المنطقة المتنازع عليها حتى [أمانوس]. وهذا الجبل الذي يفصل [بادية الشام] عن حوض البحر الأبيض المتوسط لم يكن يبلغ ذلك الإرتفاع الذي يحول بين

مؤثرات البحر الأبيض المتوسط لم يكن يبلغ ذلك الإرتفاع الذي يحول بين مؤثرات البحر الأبيض المتوسط وبين الشرق والأرض موضوع النزاع.

وكما سبق بيانه، تتألف الأراضي المنخفضة من سهول شاسعة يغطيها الطين الغريني الذي يتحول في موسم الجفاف الى غبار ولكنه ذو خصوبة لاتدانيها خصوبة إذا سُقي. ان الأرض المرتفعة تتألف من طبقة افقية من الجبس والكونغولوموريت وصخور كلسية صلصالية يغطيها بمقادير متفاوتة طمي قديم، جزئياً. فالعراق والحالة هذه هو أرض غرينية في حين كانت تربة المنطقة المتنازع عليها صخرية وفي كلا الإقليمين لا يوجد إلا قليل من زراعة الخضراوات، وراضي الكلاً في البطحاء، وليس في الامكان الإفادة منها في الشمال والجنوب إلا اشهرأ معدودة من السنة. اما الجزء الأسفل من العراق فهو منطقة اهورار ومستنقعات تسرح فيها مجاري الأنهار وتمرح ولايعترضها عائق.

وبهذا الإعتبار تكون الارض المنازع عليها من الجهة الأخرى منطقة انتقالية ايضاً بين السهل والجبال والوديان، وتُرى قمم الجبال فهي مكسوة بالغابات وينمو شجر (الاسپندار) على طول ضفاف الانهار ولاتخطى العين اشجار البلوط الدائمة الخضرة، تراها منتشرة هنا وهناك فوق مُتون الجبال العريضة.

ان الارض المنازع عليها هي إقليم انتقالي بين السُهوب والبطاح المعشبية. ويمكننا القول إن دجلة هو الحدّ بين هاتين التشكيلتين المناخيتين. وأن الموصل تقع في منطقة ري. إذا كان ممكناً إعتبار [دجلة] حدوداً طبيعية للإقليم، فإن تخوم المنطقة المنازع عليها التي تقع على ضفته اليسرى وتمتد ماوراءه، لاتتألف من منطقة موحدة الأوصاف بشكل كامل. فالى جنوب الزاب الأسفل ترى قدمات الجبال ذات طابع ظاهر التمايز. وطبقة الجبس الميوسينية التي تتألف منها، هي أكثر تغضنا وتعرجاً. وهناك ثلاث سلاسل رئيسة من القدمات يمكن تمييزها وإن لم تكن سامقة فهي موحشة وعرة. وتتألف من مكتلات [كونغولوموريت] مختلفة الأشكال ومن تشكيلات كلسية وصخر وطين تعرض ألواناً صارخة، تتفاوت بين الأرمد والاحمر. هذه السلاسل جرداء إلا وديانها ففيها رقع صالحة للزراعة. وجبل حميرين هو آخر هذه السلاسل الصغيرة المتجهة نحو الغرب إذ ينفصل عنها ويندفع الى قُدام. ويمتد السهل الرتيب نحو الشرق وعند مشارف السلسلة الثانية تخرج السنة من اراضي السُهب مندفعاً نحو الشرق، تتناوب الإطراد مع اراضٍ محروثة أكثر خصوبة منها. وهنا ايضاً يتناوب العرب والترک والکرد

بالتعاقب سكنى السُّهْب والارض الخصبة. والمنطقة الجنوبية أكثر جفافاً واشدّ حرارة. وتزداد أهمية ري جنوب الزاب الأسفل ازدياداً مطرداً.

ان مظهر البلاد الشمالية أكثر هدوءاً. فخط القمم الجنوبي ومجرى دجلة يقتربان معاً وسلاسل [زاغروس] العظمى تندغم بسلاسل طوروس فتؤلف مُدرجاً كاملاً وأول قدمات جبال على طول السلاسل العظمى تؤلف في بعض الاماكن أول صفوف المدرج. على إن تلك السلاسل الأقرب إلى السهل تميل بالأكثر والأكثر إلى الإنشطار لتغدو تلالاً منعزلة. وهذا هو الانتقال من القدمات إلى السهل المتموج. هذا السهل الذي يتقطع في اماكن منه اذ تخترقه سلاسل قليلة من الجبال منعزلة عن اخواتها. تلك هي في الحقيقة بلاد آشور القديمة، بلاد اشتهرت بثروتها وبعاصمتها [نينوى = الموصل] و[نمرود] و[أربيل = أربيل]. بلاد تمتدّ حتى [ألقوش] و[عقره]. وفي وسط هذا المدرج شبه المستدير تقع بالضبط مدينة الموصل التي هي مدينة مركز ومدينة حدود في الوقت عينه. هي مدينة مركز لأن كل الطرق من زاخو وعمادية ودهوك وعقره وأربيل ورواندوز والمناطق المحيطة المعتمدة عليها، تلتقي فيها.

وهي مدينة حدود لأنها تقع على حافة السُّهْب الصحراوية، وبلاد البدو مع مستوطنات للجنود المرتزقة الغابرين المندفعين نحو الغرب دفاعاً عن الارض الزراعية. وهي مدينة سوق للمحصولات المحلية وللمنتجات التي تمر عبرها، إذ تقع في نقطة إلتقاء طرق برية كبيرة، كطريق دجلة المائي ومسالك الصحراء.

وما من شك في أن [الموصل] هي جزء من ارض الرافدين. على اننا نخلف ارض الرافدين وراءنا عندما نتعدى ضفة دجلة لنمرّ في سهل متموج يكاد كله يكون مزروعاً حتى قدمات الجبال، وإن صعب تعيين النقطة التي تنتهي إليها ارض الرافدين. والبلاد الجبلية هي ذات طابع مختلف تمام إختلاف وبين سلاسل الجبال التي تأخذ بالإرتفاع على التوالي وثمّ وديان طولانية كثيراً ما تتسع لتغدو سلسلة متواليية من الأحواض المستعرضة. هذه الاحواض هي واحات خضراء أهلة بالسكان. ان خريطتنا الأثنوغرافية التي تبين كثافة السكان وتوزيعهم [الخارطة رقم ٦] تبين بوضوح تام تراصفهم المنتظم. ويشاهد كذلك ان منطقة الجبال هي في الواقع أكثر تحاشداً بالسكان من السهل ولاسيما اذا اخرجنا المدن التجارية من السهل. ويردّ هذا الى أن توزيع الماء في المناطق الجبلية أكثر غزارة، وعدالةً.

ان المدن التي تقع على حافة السهل أو على حدود مراكزها أو على إمتداد [الطريق السلطانية] بمحاذاة دجلة، هي المراكز التجارية لا للسهل وحده بل للجبال التي تحيط بالسهل كذلك. ولهذا نجد اعتماداً وتواكلاً متبادلاً بين السهل والجبل. هذا الإتكال هو ابرز عامل في تاريخ البلاد.

سبق فقلنا ان هناك سيلين من السكان، سيل ينحدر من الجبل وآخر ينحدر من الصحراء، ليصبّ في الأرض الخصبة على طول دجلة. وقد عرضنا امثلة لهذا في قضية انحدار القبائل الكردية ووفود عرب شمر من أرض [نجد] قبل حوالي قرنين من الزمن. في الواقع إن كل سكان بلاد الرافدين تكوّنوا على هذا المنوال. فمنذ اقدم العصور كانت واحات الصحارى والوديان الجبلية الخصبة مصادر البشرية، أو محاضن حقيقية حيث يتكاثر السكان ويصيبون حظوظهم من التمدّن. ومنها يحاولون شق طريقهم اذا شعروا بالقوة الكافية - نحو ارض أكثر خصوبةً. وكثيراً ما تكررت قصة اعتداءات الفاتحين الذين اضطروا لزيادة عددهم الى محاولة توسيع مدى سلطانهم على السهل فاقدموا على عمليات زحف متعاقبة.

وبتوالي القرون. سجّل التاريخ هجرة تالثة متواصلة. تلك هي هجرة الفاتحين من الخارج، كالأشوريين والبابليين والآراميين والمسلمين والسلاجقة والفرس والمغول والعثمانيين الذين انحدروا سالكين الطريق السلطانية الكبرى بإمتداد دجلة.

في هذا الجزء من البلاد وهو أخصبها وبالتالي أعزّها منالاً، التقى كل الموجات البشرية العظيمة الثلاثة فاندمجت أحياناً فيما بينها. في أحيان يتم ذلك بسلام، وفي أحيان كان يؤدي الي صراع عنيف، فتختفي قبائل ومدن وشعوب. وما يتبقى من السكان، إمّا تمتصه الأقوام المستظهرة. وإمّا تلوذ بالجبال. وقد تواصل هذه البقايا أحياناً حياتها منطوية على نفسها بسرية في حين تظهر ممارسة عادات جيرانها وأسلوب حياتهم.

وعلى طول الطرق الخارجة التي تقطع السهول الخصبة، يصادف المرء مزيجاً من السكان. وتبرز أقوام وتندمج وتخضع لقوانين التعايش التعاوني. وتستسلم لأسلوب جديد في الحياة كالکرد، فهم ينحدرون من الجبال بعد أن استحوذت الزراعة على إهتمامهم واصبحت علاقاتهم القبلية ضعيفة بسبب ذلك التغيير في حياتهم، وما إن يحتويهم السهل أو يختلط الفرد منهم بالسكان الآخرين لايعود منعزلاً ولا متواريا في وديانه واحواضه الجبلية الموحشة، فيزداد اقترابه من دائرة نفوذ الادارة المركزية التي

تميل الى كسر نظامه القبلي ليغدو فلاحاً. وتصبح عملية الفكّ كاملةً عندما يتمّ القضاء على الأسرة القبلية المتزعمة بفقدانها نفوذها. ومع هذا فالكرد مازالوا العنصر الأقوى في البلاد كما قلنا آنفاً، يواصلون الاستيلاء على الأراضي الزراعية ويقومون بتكريد عدد من المدن.

وكذلك كان العرب فقد انشأوا يزحفون منذ قرون، ليستقروا على طول ضفتي النهر ليفلحوا الأرض ويقيموا المدن ويتعاطوا التجارة. وانك لترى كبار تجار الموصل عرباً. ان الخلفاء الذين قدموا فاتحين من الجنوب هم الذين اقاموا صرح الموصل وكان اثرهم في كساء الموصل طابعها العربي يفوق أثر بدو الصحراء العرب.

والحروب هي التي دفعت بالترك الى المنطقة. فقد جندوا أنفسهم لخدمة الخلفاء ليصبحوا بعدها اسبداً عليهم. ومرّ زمن ارغموا معه على إخلاء الميدان للمغول والفرس لكنهم عادوا فيما بعد ليكونوا سادة البلاد. ولم تجتذبهم التجارة وظلوا ابداً إداريين وسيطروا على الطريق السلطانية التي كانت شريانا من أعظم شرايين الإمبراطورية. وقامت فيهم طبقة أرستقراطية من الجنود والإداريين، وبرز بينهم أحياناً ملاك اراضٍ يستخدمون الكرد والعرب لاستغلال الأرض.

كنا قد اوضحنا في القسم التحليلي من هذا التقرير، كيفية امتزاج القوميات الثلاث، وكيف يتم الاختلاط السكاني بتدرج. إستقرّ المسيحيون في البلاد قبل استقرار الترك والعرب. والإسلام منذ ظهوره اعتمد تصفية العديد منهم، وهداية العديد، ودفح بالعديد الى الجبال.

واليزيدية تلك الطائفة التي تمتاز بدينها العجيب بمجموعتيهم الرئيسيتين اللتين ربما انحدرتا من اصول عرقية مختلفة، ارغموا كذلك على الانسحاب الى مناطق جبلية عاصية تقريباً. في كل بقعة نجد بقايا سكان وأديان، مبعثرة على شكل جماعات صغيرة فوق اديم السهل كالشبكة والكاكائية والصارلي أولئك الذين يكتمون عن الغريب وجود لغاتهم السريّة ومعتقداتهم الغامضة.

تلك هي حصيلة أربعة آلاف سنة من الصدام والامتزاج العرقي.

في الجبال مراعى ممتازة ووديان خصبة، والسكان يعيشون في القرى ويزاولون نظام ريّ محليّ في الوديان، وقنوات الريّ تستخدم ايضاً لإدارة الرّحى المائية، ويملك الجبليون فوق هذا كله أشجار فاكهة لاحتياج الى الكثير من الماء. وهم يربون الماشية التي تسعى

الى اراضي الكلاً المجاورة، مع كثير من الاغنام التي تُساق من مرعى الى آخر. اشرنا الى اوجه الخلاف بين الكرد الرحّل والعرب البدو. في الجبل يمكن للقبائل الرحل أن تستوطن وفي الواقع يكاد كلّ الكرد الآن يملكون بيوتاً ثابتة. وقد استقر كثير من القبائل منذ قرون. والصحراء بمراعيها غير المؤكدة والمتأثرة بتقلبات المناخ، تبقى الأرض التقليدية للبدو ولا يمكن للسكان ايجاد موطن ثابت الا على طول ضفاف النهر وعند سفوح جبل سنجار.

والزراعة في جنوب السهل تتمّ بالارواء أساساً، الا أنّ هذه الطريقة ليست ضرورية في الشمال. والاساليب السائدة والادوات الزراعية لاسيما المحراث، بدائية جداً. وليس على السكان الا أن يحدثوا في سطح الأرض خدشاً بسيطاً. وهذه الطريقة اجدى واقرب الى المنطق مما قد تبدو لأول وهلة فإنّ ما تحت التربة من طبقات جيسية وملحية قريبة جداً من القشرة لا تسمح بغير ذلك.

كذلك في السهول، فالمواطنون ينشدون الأمن والسلامة بالدرجة الأولى حين يعيشون في القرى هنا، لاسيما في سهل أربيل حيث يرى عدد من الكشبان بعضه طبيعي - وقوامها صخور أو طبقات صلبة ترتفع فوق مستوى الأرض وأحياناً ترى تلالاً صناعية كلياً أو جزئياً. فوق هذه التلال بنى البشر بيوتهم منذ ازمان ما قبل التاريخ وعلى رؤوسها شيدت دواوين الزعماء وقلاعهم. وتحيط بتلك القلاع بيوت السكان المبنية على سفوح التلّ أو حوله. والقرى قائمة على الأغلب ضمن مسافة من الطريق السلطانية. ليتجنب الفلاحون والعشائر عمليات السلب والنهب التي تقدم عليها الوحدات العسكرية.

سبق فتعرضنا لقضية مواقع المدن. فزاخو تقع في محلّ تقاطع وادي الخابور الكبير بالطريق الذي يتابع من الجنوب مر [كزيفون] حيث تعرض جنده العشرة الآف الى هجومٍ. والعماديه تقع كذلك في وادي الخابور حيث الطريق الوحيد المتجه شمالاً يزداد صعوبة الا أنه يظلّ صالحاً على كلّ حال. وشم طريق آخر يبدأ من هذه النقطة ليتجه جنوباً. ودهوك تقع في غور من الأرض اشبه بالوادي. وهي حلقة إتصال بين الطريق المار ذكره والطريق السلطانية. وعلى طول خطّ نهايات السفوح تقوم قلاع قديمة عديدة مثل (ديره) وقرى كبيرة مثل (ألقوش) التي تلتصق بيوتها الحجرية المريدة بالجرف الجبلية الكلسية الرمداء. وقد تشاهد بلدان صغيرة ك(عقره). وتقع [أربيل] في وسط

السهل المركزي لبلاد آشور الغابرة. بنيت على تلّ مهيب المنظر مخروطي الشكل. تضمّ احشاه - وهي عدة طبقات سكنية الواحدة تعلو الأخرى - ما يجب أن يكون بقايا أربعة آلاف عام من مختلف الحضارات. وإلى الجنوب تمتدّ سلسلة متوالية من البلدان مازال طابعها الاثنولوجي موضع أخذٍ وردّ شديدين.

وفي موضعٍ ما من الطريق يقطع فرعي الزاب الاسفل، تقوم [آلتون كوپرو] على جزيرة من الحجر الأصم مرتفعةً عن المجرى إرتفاعاً ملحوظاً. وفي موضعٍ تخرج منه الطريق السلطانية من مضيق تحفّ به مرتفعات موحشة جنوب الزاب الأسفل تجثم بلدة كركوك وهي أكبر ما في المجموعة. وإلى جنوبها تتعاقب البلدان الصغيرة [تازه خرمتو، طاووق، طوزخرمتو، كفري] في أخصب أجزاء هذه المنطقة حيث شرائط من الأراضي الزراعية تمتد لتنفذ عميقاً في احشاه السّهوب.

وفي الأرض الجبلية تقع بلدان [سليمانيه ورواندوز وكويسنجق ورائيه]. وهناك طريق من [الموصل] إلى إيران يمرّ بـ[السليمانيه] التي تعتبر هي الأخرى بلدة رئيسة لمنطقة زراعية شاسعة. وتدنو هذه البلدة لتكون بسبب موقعها المركز الثقافي للکرد الذين يسكنون جنوب المنطقة المنازع عليها. وكل من [رواندوز، وكويسنجق، ورائيه] بدورها، مركز لمنطقة سكنية واضحة المعالم لا يستهان بكثافة سكانها - وهي لها بمثابة اسواق. وهناك طريق أخرى إلى إيران ليست مطروقة كثيراً تمرّ عبر (رواندوز).

نوّهنا سابقاً بأهمية [الموصل]. فهي البلدة الكبرى في المنطقة المنازع عليها. ويسكانها المائة ألف تفوق أهميتها بما لا يقاس، أهمية مختلف البلدان التي أشرنا إليها، حيث كانت كركوك - أكبرها بسكانها الذين يربون على عشرين الفاً بقليل؛ وكل البلدان الأخرى هي اسواق محلية فحسب ترسل محصولات مناطقها إلى اسواق أكثر مركزية لأجل التوزيع.

والموصل وهي السوق الأكثر قصاداً من السهل الخصب الذي يحيط بها، تنازع بغداد امتيازها في كونها مستودع البلاد الرئيس.

ان التأثير الاقتصادي للموصل في الشمال، ليفسح السبيل إلى تأثير بغداد كلّما اقتربنا من الجنوب.

(٤)

إستنتاجات جغرافية

أ: مسائل عامة:

إنّ الأرض المنازع عليها التي تقع جنوب خط [بروكسل] تبلغ مساحتها حوالي ٨٧٨٩٠ كيلومتراً مربعاً ويزيد عدد سكانها على ثمانمائة ألف نسمة وتبلغ مساحة الأرض الواقعة بين [خط بروكسل] والحدود الشمالية القصى التي تدعيها الحكومة البريطانية ما يناهز [٣٥٠٠] كيلومتر مربع. إنّ حدود المنطقة المنازع عليها هي عين حدود ولاية الموصل السابقة تقريباً والنزاع حول البت النهائي بملكية هذه الولاية يرتكز كما تدعي الحكومة التركية على أنّ الحدود التي تدعيها هي، تقع في مكان ما وراء حدود الولاية السابقة.

يفيد القول إنّ المسألة التي يجب الفصل فيها ليست مجرد تثبيت خط حدود كما تفترضها الحكومة البريطانية، وإنما هو تقرير مصير بلاد واسعة الأرجاء وعدد كبير من السكان.

ب: من وجهة نظر طبوغرافية الحدود:

إنّ الحدود التي تدعيها الحكومة البريطانية هي حدود جيدة جداً من الناحية الطبوغرافية وإنّ جزءاً من الحدود التي تدعيها الحكومة التركية هي أيضاً جيدة جداً حيث يكون وادي [الثرثار] في البادية بمثابة حدود ذات معالم جيدة. في حين قد يؤلف جبلا مكحول وحميرين خط فصل غير منقطع واضح المعالم. وأبعد من ذلك الى الجنوب حيث يفصل جبل (حميرين) منطقة (كفري) الخصبة عن منطقة (بعقوية) لا يكون حدوداً جيدة. وقد يبدو نهر [ديالى] خطأً للحدود لا بأس به. وإلى الشمال لانرى الحدود التي اقترحتها الحكومة البريطانية هي الحدود الجيدة الوحيدة. فكلّ سلسلة تليها من الجبال قد تصلح حدوداً. وهكذا يكون [خط بروكسل] والسلاسل الممتدة جنوب خط [زاخو - عماديه - نيري] هي أيضاً مناسبة وبالانحدار الى الجنوب في امكاننا تثبيت حدود على إمتداد كل خط من القمم يليه. وآخر ما يمكن إستخدامه حدوداً من السلاسل قد يكون قدمات الجبال التي تمتد من الغرب الى الشرق تاركة [دهوك] على الجانب

الشمالي و[ألقوش] و[عقره] على الجانب الجنوبي. إلا أن هذا الخط سيقطع عدة طرق مواصلات وبذلك يفصل كل البلاد المرتفعة. وإلى الجنوب الغربي يمكن كذلك أن تدفع حدود جبل حميرين إلى الورا عند أي خط عبر السهوب إلى ما يناهز خمسين كيلومتراً جنوب الموصل حيث تبدأ الأرض المزروعة. في داخلية البلاد يمكن استخدام الأنهار الكبيرة الثلاثة (دجلة والزاب الكبير والزاب الصغير) كخط فصل عمومي الصفة.

ج: من وجهة النظر الجغرافية الإقليمية:

إن لم تكن الأرض المنازع عليها تؤلف إقليماً طبيعياً متميزاً، فهي تؤلف وحدة على كل حال. وطابعها الفريد لا يرد إلى أي اختلاف بين أحوالها المناخية والجغرافية وبين تلك الأحوال التي تتصف بها المناطق المجاورة أو بالأحرى إلى القيمة الجغرافية لحدودها وإلى تضاريسها حيث أن بناء الأرض يشبه المدرج: [سهل ثم تلال ثم جبال]. إنه إقليم انتقالي، حيث يلتقي السهب (العربي) المنبسط الجاف بالجبال الكردية الأغزر ماء والاكثف زراعة.

يلاحظ هذا الاختلاف في كل شريط الأرض عند نقطة التقاء السهل بالجبال التي ترسم قوساً من شمال سورية (جبال امانوس) حتى الخليج الفارسي.

إن الأرض المنازع عليها تستغرق الجزء المركزي من هذا الشريط ولا يمكن تمييزها عن المناطق المجاورة بسهولة لا من الغرب ولا من الجنوب فللقسم الشمالي الذي احتلت الموصل مركزه صلات مشابهة بمناطق [نصيبين وماردين وديار بكر وأورفه] في حين أنه في الجنوب أقرب شبيهاً بالعراق ولورستان الإيرانية.

فالأرض المنازع عليها والحالة هذه، هي إقليم انتقالي بمفهوم مزدوج فهناك تندغم الجبال بالسهول وتلتحم المنطقة الغربية [سورية وأرمينيا] بالمنطقة الجنوبية الغربية [العراق ولورستان].

ربما كانت دجلة أفضل حدود بين الجبال والسهول إلا أن حدوداً على طول دجلة قد تقضي على الاعتماد المتبادل بين الموصل والمناطق الخصبة المجاورة وبين الشمال الغربي والجنوب الشرقي وقد يرسم خط التقسيم بين منطقتي أربيل وكركوك. ولا شك في أن الزاب الأسفل هو أفضل الخطوط. كما كان فضلاً عن ذلك الخط الذي رسم في إتفاق

[سايكس - بيكو]. وليس في الزاب الكبير عين هذه الميزات لأنه لا يؤلف خط التقسيم بين أراضٍ متميزة. بالعكس فهو ينفذ من أخصب واكثف جزءٍ من الأرض بالسكان. ومع انه يمكن تقسيم الأرض. فهي تؤلف كما بدا آنفاً وحدةً كاملةً اذ تكتنف معظم جوانبها حدودٌ طبيعيةً.

وليس هناك غير وادي دجلة في الشمال الغربي وسهول ديبالى الخصبة في الجنوب مما يربطه بالمناطق المأهولة فعلاً [الخارطة رقم ٧]
هناك مظهر بارز لوحدة المنطقة وهو إلتقاء كل الطرق في الموصل وعلى الخصوص طرق الجزء الشمالي من البلاد وكلما ابتعدنا جنوباً كلما لاحظنا ميل الموصلات الى الالتقاء في بغداد.

هذه الفروق الجغرافية هي التي قررت تأريخ البلاد. لم يكن لتلك البلاد إسمٌ خاصٌ بها إلا في عصور سحيقة جداً عندما كانت مركزاً للإمبراطورية الآشورية، ولانجد لها اسماً قط في كثير من الخرائط. كانت هذه الأرض قد ألحقت جزءاً أو كلاً بواحدة أو أخرى من البلاد المجاورة لدواعٍ إداريةٍ فهي أحياناً ملحققة بديار بكر وهي أحياناً تابعة لبغداد. ويظهر جلياً من الوثائق المختلفة التي رجعنا اليها انها كثيراً ما ضمت الى منطقة الجزيرة أو ضمت جزئياً الى كردستان، أو الى العراق. وهكذا يلاحظ من مجرى التأريخ الغابر انه يمكن إلحاقها ببلد ما مجاور، وانه يمكن تجزئتها.

(٥)

الإستنتاجات الاثنوغرافية

إن الإحصاءات والخرائط التي عرضتها الأطراف العالية المتعاقدة في لوزان على مجلس العصبة ليست دقيقة أبداً. ولانستثنى منها آخر إحصاءات قامت بها السلطات العراقية وإن كانت أفضلها بدون شك لذلك وجب إستخدامها بقدر معين من الحذر وتعتبر الحكومة البريطانية أن عدد الكرد في القسم الشرقي من البلاد قد بولغ فيه الى حد ما. ونحن من جهتنا نعتبر أن عدد العرب قد بولغ في تقديره بعض الشيء. (بمعدل يتراوح بين خمسة بالمائة وعشرة بالمائة تقريباً) وبمعكس ذلك يبدو لنا أن عدد الترك أقل مما يجب. نتيجة الظروف السياسية العامة وأسباب تعود الى الأشخاص.

يؤلف الكرد اغلبية السكان وهم ليسوا بترك ولا يعرب ولغتهم لغة آرية ويعكسهم الترك فهم من قومية سكان الجمهورية التركية. واليزيدية ليسوا بمسلمين وهم يمتون للكرد، لكنهم طائفة متميزة تماماً لعزلتهم وبسبب دينهم. والكتل المجتمعة الوحيدة التي تسكن مناطق مترامية هي الكرد والعرب العنصران الوحيدان اللذان يمكن أن تؤخذ افضلية توزيعهم بنظر الإعتبار لغرض تثبيت خطّ قد يفصل مابين قوميتين مختلفين. وهذا الخطّ قد يتبع دجلة نزولاً حتى إلتقائه بالزاب الأسفل، فاصلاً الموصل من المداخل - عن البلاد الخصبة الكثيفة السكان. ثمّ طريق [كركوك - كفري] جنوب الزاب. وكل القوميات الأخرى مبعثرة في أنحاء البلاد.

وليس ثم ما يؤلف حدوداً قوميّة، لا الحدود السياسية التي تقع بين الأرض المنازع عليها وبين إيران وسورية، ولا الحدود الحالية - أو الحدود المدعى بها - مابين الإقليم المنازع عليه وبين تركيا والعراق.

ولو أنّ الحجة القومية اخذت في الحساب لوحدها، فإنّ الإستنتاج الذي ليس هناك غيره يحتمّ خلق دولة كردية مستقلة مادام الكرد يؤلفون خمسة أثمان السكان، أضف الى ذلك لو اخذ بحلّ كهذا فإن اليزيدية الشبيهيين بالكرد اعظم شبيه من الناحية العرقية، والترك الذين يسهل على الكرد التعايش معهم، يجب ادخالهم في تقدير عدد الكرد وعندئذ سيؤلف الجميع سبعة أعشار المجموع الكليّ للسكان.

إنّ أغلبية الشعب الكردي [أكثر من مليون ونصف مليون من مجموع كليّ تقريبي يبلغ ثلاثة ملايين] يعيش في تركيا، وسبعمئة ألف في إيران وخمسمئة ألف في الإقليم المنازع عليه وثمان مئة منهم في سورية وفي العراق (بأضيق ماتدل عليه الكلمة) يكاد عددهم لا يذكر نسبةً الى مجموع السكان الكليّ. ومن الكرد الذين يعيشون في الأرض المنازع عليها. نجد الذين يقطنون شمال الزاب الكبير أكثر ارتباطاً بكرد ولايتيّ [حكاري وماردين] في تركيا من جهة اللهجة وصلة القربى والعلاقات الاقتصادية والشخصية. في حين كان الذين يقطنون جنوب الزاب الأسفل أقرب صلة بكرد إيران. ومن الصعب رسم حدود ارضية بين هذين النهرين.

ويمكن اجمال المصاعب الاثنوغرافية بما يأتي:

أ - ان المدن التي تسكنها اغلبيات تركية أو أقليات تركية كبيرة، تقع في القسم الجنوبي من المنطقة اعني انها اقرب الى العراق. في حين تقع الموصل وهي مدينة عربية في وسط القسم الشمالي.

ب - ان همزة الوصل الوحيدة بين مدينة الموصل والأراضي العربية الأخرى التي يشغلها العرب، هي ارض كردية بالدرجة الأولى، فضلاً عن طريق تنتشر على جانبيه بلدان تركية - كردية.

ج - المسيحيون متفرقون لكنهم يعيشون أساساً في شمال الموصل.

د - ان البلاد الكردية، بأشدّ ما يميله واقع الحال [اي الجزء الشرقي من البلاد] لا ترتبط بالشمال إلا بواسطة دجلة. ومنطقة [رواندوز] لا يمكن الوصول اليها الاً من خلال أربيل. ومنطقة السليمانيه لا يمكن الوصول اليها إلا عن طريق كركوك.

الفصل الثاني الحجج التاريخية

١- الحجج البريطانية والتركية:

كانت الإعتبارات التاريخية موضوع المفاوضات والمناقشات بين المندوبين في (لوزان) حتى قبل تبادل المذكرات الأولى.

« قال المندوب البريطاني في مذكرته ان الزعم التركي في كون الموصل جزءاً من الإمبراطورية العثمانية في فترة تاريخية طويلة، لا دليل يعززه وهذا القول يمكن أن ينصرف الى بغداد بعين القوة، فكلتا المدينتين عربي، بناهما العرب، وكلتاها حافظتا على طابعهما العربي وإن طالت فترة ضمهما الى الإمبراطورية التركية. والإرتباط الوثيق بين الموصل وبغداد يعترف به الترك الى المدى الذي يقرر أن ولاية الموصل كانت فيما سلف جزءاً من باشوية (پشالغ) بغداد. ان جعل الموصل ولاية منفصلة مرتبطة بأستانبول كان إجراءً أملتته مقتضيات الادارة فحسب. وتستتلي الحكومة البريطانية قائلة ان هذه الحججة المنتزعة من التاريخ يمكن ان تنصرف الى أي جزء من أجزاء الإمبراطورية التركية السابقة.»

فردت الحكومة التركية بأن الأسباب التاريخية التي يمكن تقديمها تعزيراً لاعادة ضم ولاية الموصل الى تركيا لاتعتمد فحسب على فترة الحكم العثماني فيها. ولو كان القصد هذا فإن الحججة التركية قد تنطبق بعين القوة على ولاية بغداد كما ان ولاية الموصل والمناطق الممتدة شمال حدود بغداد كانت في ايدي الترك لأكثر من احد عشر قرناً وقالت المذكرة التركية ان هذه البلاد منذ عهد الخلفاء العباسيين كانت في ايدي الحكام الترك وتحت سيطرة جيوشهم وفي ايدي سكان أترك لقد تمتع هؤلاء الحكام الترك بإستقلال وسيادة وكان اولهم (إيتاخ: ٢٢٩هـ = ٨٣٦م^(١)) ومن خلفائهم (عماد ١- زيادة السنة الميلادية من عندنا. وجه الغرابة هنا أن تُفرد الوثيقة التركية (إيتاخاً) بالذكر من =

الدين زنگي ابن آق سنقر) مؤسس دولة الاتابكة التركية في الموصل. وهناك أيضاً دول تركية حكمها أفراد من هذه الأسرة المالكة في سنجار والجزيرة وبعد هذا انشأت الاسرة الأرتقية^(٢) دولاً تركية كانت عواصمها (الموصل والجزيرة وخربوط وماردين). وهزم (غازي خان) وهو من عين الاسرة حجاجل الصليبيين في تلعفر. وكانت بلدة (تلكيف) قلعةً من قلاع الارتقيين وفي تلك البلاد ما لا يحصى عده من آثار الفن والبنيات العامة التي خلفها هؤلاء الملوك. ثم احتل الموصل الأتراك السلاجقة وجعلوها مركز حضارة راقية وبعد الأتراك السلاجقة مباشرةً حكم الترك العثمانيون هذه البلاد. إن الارض التي تقع بين بغداد وجنوب ولاية الموصل الحالية وصفت في كتب التاريخ القديمة باسم (تترستان) مما يدل على أن قبيلة تركية كانت قد استقرت فيها وإن اسم وادي (الثرثار) يشير الى هذا الاسم».

وتقول المذكرة البريطانية إن ولاية الموصل في عهد (مدحت باشا) ألحقت بولاية بغداد إلا أن هذا ليس دليلاً يدعم وجهة النظر البريطانية فقد تم ذلك لإعتبارات إدارية وخاصة. أضف الى ذلك ان (اورفه وديار بكر كانتا أيضاً تحت ادارة (مدحت باشا) والي بغداد.

= دون طائفة أخرى كبيرة من الموظفين والقادة الأتراك الكبار الذين لقوا حظوة لدى الخلفاء العباسيين فأمرهم الجيوش وأقطعهم الأيالات. يذكر ابن الأثير في (الكامل) وغيره من المراجع أن إيتاخ هذا كان طباحاً في مطبخ الخليفة المعتصم (٨٣٣-٨٤٢م) قرّبهُ كثيراً وأوكل اليه الأمور الكبرى منها توليته قيادة الجيش الذي سيّره لقمع ثورة الكرد في جبل داسن. يقول ابن الأثير: "أوقع إيتاخ بالأكراد وأكثر القتل فيهم وإستباح أموالهم وحشر الأسرى والنساء والأطفال والأموال الى تكريت" - كان ذلك في العام ٨٣٨- أمر المتوكل على الله بقتله صبراً فقطع عنه الماء ومات عطشاً في ٨٥١م.

٢- الاتابك عمادالدين زنكي (ت ١١٤٦) مؤسس السلالة الزنكية. احد عظام امراء آل سلجوق صاحب الموصل (١١٢٧) ولي حكم واسط والبصرة وجزيرة ابن عمر ونصيبين وسنجان وحران وفتح حلب وحماه (١١٢٩) وقتل في حملة له على قلعة جعبر بالعراق. والارتقيون سلالة تركمانية حكمت ديار بكر بين القرون الثاني عشر والخامس عشر الميلاديين واولهم مؤسس السلالة ارتق حكم القدس. ومن ابرزهم نورالدين محمد ارتق احد حلفاء صلاح الدين الايوبي. والمقصود هنا هو ايلغازي نجم الدين ابن ارتق(ت١١٥١) صاحب ماردين حيناً وحاكم بغداد حيناً. وكانت القدس ملكاً له مع اخيه سگمان اخرجهما المصريون منها في ١٠٩٥ م.

٢- الإعتبارات التاريخية:

الحجة التركية لا يمكن أن تقبل برمتها ففي قولها أن الموصل خضعت للترك احد عشر قرناً مبالغاً وغلّو. على إن الحكومة البريطانية مخطئة عندما تؤكد أن الموصل لم تكن تحت السيطرة التركية قبل أن تدخل في حوزة العثمانيين الترك.

إن للبلاد التي يطلق عليها الآن «العراق»، تاريخاً كثير التقلبات بتعاقب القرون ولا يمكن متابعة هذا التاريخ بصورة منتظمة إلاّ إعتباراً من القرن السادس عشر وما يليه.

ففي الزمن الغابر كان مسرحاً للنزاع بين إمبراطوريتي الميديين والفرس ثم بين الفرس والاعريق. وفي السهول الممتدة بين الموصل وأربيل حقق الاسكندر الكبير نصره الساحق على (داريوس) وقد علمنا ان إمبراطوريته قسمت عند موته بين قواده فحكم السلوقيون البلاد حتى حلت محله الأسرة الفرثية من الارشاقين وكان سكان السهول الذين يرجعون أصلاً الى الآشوريين الغابرين والآراميين والمهاجرين الفرس، ينحازون خلال فترة الصراع التالي بين روما و فارس، تارة الى هذه الجهة وطوراً الى تلك. وكانت القبائل التركية التي تعيش في الجبال مستقلة تماماً.

وعندما ظهر المبشرون في البلاد عند فجر عصر النصرانية، أسسوا كنيسة أرمينيا و فارس وبسط حكام الفرس حمايتهم على هؤلاء النصارى حتى اهتداء الأباطرة الرومان الى الدين المسيحي وعندها شكّ في أن النصارى هؤلاء يميلون الى روما فاضطهدوا.

وفي القرن الخامس نجم الانشقاق في الكنيسة الكاثوليكية الشرقية بين المونوفيزيين (اليعاوية) وبين الديافيزيين (النساطرة) هذه الانشقاقات التي دامت عدة قرون، آلت بكثير من الناس الى اعتناق الدين الاسلامي.

وعندما طغت موجة الاسلام المنتصرة على هذه البلاد كان عرب قبيلة (بني ربيعة) هم الذين سبقوا فثبتوا اقدمهم في الموصل فاطلق اسمهم هذا (ديار ربيعة) على المنطقة كلها. ومثل آخر على هذا مدينة (آمد) التي عرفت بعد نزوح قبيلة (بكر) اليها باسم (دياربكر).

وفي حدود ٨٣٠ - ٨٤٠ م بدأ مرتزقة الترك دورهم الهام في إمبراطورية الخلفاء العباسيين ولكن الحظ لم يوات هؤلاء المرتزقة إلاّ بعد قرنين من الزمن، ليمارسوا قدراً لا يستهان به من السلطان في أنحاء الموصل ولم يحتلوا المدينة نفسها قبل العام ١٠٥٦

ابداً ففي هذه السنة دخلها (طغرل بك) حفيد (سلجوق).

وفي القرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر ظلت الموصل إسمياً تحت سيطرة الحمدانيين العرب (٩٠٩-٩٩٠) والعقيليين (٩٩٠-١٠٩٧) ثم البويهيين لكن الجنود الترك احتلوا دور الصدارة في أثناء النزاعات القتالية بين تلك الأسرة، ومارس قوادهم السلطة الفعلية أحياناً. وفي أيام (موسى) احد زعمائهم العسكريين انتقلت السلطة الى الأرتقيين (ديگوبنييه - تاريخ الهون) وشهد النصف الأول من القرن الثاني عشر انحلال الدولة الأرتقية التي حل محلها الاتابكة (ومعناها الأوصياء). وكانوا تركاً ايضاً وحكموا من ١١٣٧ حتى ١٢٣٢.

في تلك الحقبة نجم (منگو خان هولیگو) حفيد (جنگیز خان) مؤسس الدولة الايلوخانية. فاحتل الموصل وعات فيها سلباً ونهباً.

وتفككت عرى الإمبراطورية الايلوخانية في النصف الأول من القرن الرابع عشر وغدت البلاد فهي بلق يباب بالنزاع الدائم بين الفرس والترك، والعرب، وكان الجزء الأكبر من هذه البلاد طوال الفترة كلها تقريباً تحت سيطرة الدولتين التركمانيتين (قره قوينلو= الخروف الأسود) و(آق قوينلو= الخروف الابيض) اللتين حكمتا هذا الجزء من بلاد فارس بعد أن طردتا الايلوخانيين منها.

وفي نهاية القرن الرابع عشر استولى المغول على الموصل ثانية بقيادة (تيمورلنگ) هذه المرة (بلغت المدينة قبله اعلى درجة من الازدهار والاستقرار في عهد الاتابك «بدرالدين لؤلؤ» حوالي ٦٣٠هـ = ١٢٣٢م) لتتحدر بهذا الغزو الى احط درك بلغته في سائر تاريخها فقد نهبت مرة اخرى وخربت وفقدت اهميتها الاقتصادية. ثم وقعت على التوالي تحت رحمة مختلف الدويلات العربية أحياناً والتركية غالباً.

أخيراً وضع السلطان (سليمان) يده على الموصل في العام ١٥٣٤ وضمها لأول مرة الى الدولة العثمانية. لكن لم يتم إلحاقها بشكل نهائي الا في السنة ١٦٣٨ اذ دخلها السلطان (مراد الرابع) وقسم البلاد الى ولايات ثلاث هي الموصل وبغداد وكركوك (عرفت كركوك حينذاك باسم شهرزور).

مامرت سنوات قليلة حتى ضمت البصرة ايضاً الى الإمبراطورية العثمانية بعد ان انقرضت سلالة حاكمة محلية فيها.

وفي مفتح القرن الثامن عشر كانت كركوك والبصرة والموصل محميات لپاشوية

بغداد الوراثية باشكال متفاوتة. وكانت باشوية بغداد هذه مرتبطة بالسلطان لكن علاقة الپاشا بأستانبول كانت نظرية أكثر منها عملية. وكانت الدويلات شبه المستقلة في العماديه وكويسنجق ورواندوز وغيرها تحت سلطة پاشا بغداد باقدار متفاوتة. ومنذ السنة ١٧٢٦ حُكمت الموصل وضواحيها بپاشا مستقل عن بغداد، وكان كبير اسرة (الجليلي) العربية^(٣) التي ماتزال موجودة في الموصل وكان دليل وجود سلطة السلطان الوحيدة هو المصادقة على نقل السلطة من الأب الى الابن بفرمان. وفي السنة ١٨٣١ دالت دولة پاشا بغداد الوراثية، وازاحه جند السلطان ليتولى الأمر حاكم تركي تمتد صلاحياته لتشمل البلاد كلها. وفي السنة ١٨٣٥ ضمت الموصل بدورها الى مجال نفوذ پاشا بغداد وصارت سنجقاً من سناجق الولاية وكانت تضم البلاد المعروفة الآن بالعراق وفي مبدء الأمر لم يمارس پاشا بغداد الا سلطة اسمية على رؤساء القبائل الكردية الصغار، على ان الفترة المنحصرة بين العامين ١٨٣٧ و ١٨٥٤ شهدت تجريد هؤلاء من كياناتهم المستقلة على مراحل متدرجة واصبحت بلدانهم ملحقة بسنجقي الموصل وكركوك وارتفعت الموصل الى درجة الولاية فترة وجيزة من ١٨٣٥ حتى ١٨٥٠ وبعدها عادت سنجقاً من سناجق بغداد. وفي السنة ١٨٧٩ عادت ولاية تضم سنجقي كركوك وسليمانيه.

٣- الإستنتاجات:

قدمنا هذه الخلاصة التاريخية إجتنباً لضرورة التعرض الى حجّتين متضاربتين نقطة فنقطة. ومما سبق يمكن الإستنتاج أنّ الترك في الواقع كان لهم الدور البارز في الموصل وإن بالغت الحكومة التركية في قولها إنّ المدينة بقيت تحت سيطرة الترك أحد عشر قرناً من الزمن.

ويقول (ارنولد: الخلافة)^(٣) ان سلطة الخلفاء العباسيين في القرن العاشر لم تمتد وراء

٣- المستعربة بالأحرى. فمؤسس الأسرة عبدالجليل كان بحسب مأثور القول مملوكاً جيورجياً: كرجياً من حاشية وال تركي في اواخر القرن السابع عشر.

٤- سر توماس ارنولد من كبار المستشرقين (١٨٦٤-١٩٣٠) اول استاذ في قسم الدراسات العربية في قسم اللغات الشرقية بلندن ويشير التقرير الى مؤلفه القيم «الخلافة» وقد ترجم الى العربية. تم بإشرافه تأليف واحد من اهم الكتب الحضارية الاسلامية (تراث الاسلام) الذي نقلناه الى العربية في ١٩٥٣-١٩٥٤ وأعيد طبعه عدة مرات.

حدود مدينة بغداد وكان الخلفاء أنفسهم تحت رحمة قوادهم العسكريين، وهم جنود مرتزفة أقاموا اسراً حاكمة خاصة بهم، في العام ١٠٥٥م عندما دخل الأمير السلجوقي (طغرل) بغداد، اتخذ لقب سلطان (الشرق والغرب) ومارس نفوذه على الخليفة العربي الذي كان قبل مجيء (طغرل) تحت وصاية أسرة حاكمة فارسية صغيرة هي الأسرة البويهية.

وكانت الحالة مشابهة في مصر وقد درست بمزيد من الدقة والإحكام فقد وضع سلاطين الماليك في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الخلفاء العباسيين في مطلق قبضتهم. وواضح انه يصعب جداً تقرير وجود السلطة الفعلية. أكانت في ايدي الخلفاء الفاقدين كل حول وطول لا يملكون غير اللقب؟ أم كانت في ايدي من هم اسياذ الخلفاء في الحقيقة؟ ليس في وسعنا الدخول في مناقشة امور دقيقة كهذه ومن الثابت الجازم انه ليس للعرب ولا للفرس ولا للترك ولا للمغول الإدعاء بالسلطة المطلقة على الموصل. ولكن من المؤكد أنها كبغداد وكعدد آخر من الأقاليم كانت من املاك السلاطين العثمانيين في القرون الأربعة الماضية. على ان هذه السيادة نفسها لم تكن قطّ فعليّة في جميع الفترات. وكان الپاشوات مستقلين تماماً في حين قلما خضعت القبائل الكردية والعربية لتلك السيطرة ولم يكن حكم السلطان نفسه ظاهراً الا في المدن وفي شريط من الأرض يمتد على طول طريق (الموصل - أربيل - كفري - بغداد) وهي طريق تحميمها قلاع عديدة وهذه السيطرة نفسها كانت تزيد وتنقص تبعاً للظروف.

الفصل الثالث الحجج الاقتصادية

بما أن الحكومتين التركية والبريطانية تقدمتا بحجج اقتصادية دعماً لقضيتهما فقد قمنا بدرس تلك الحجج ولهذا قسمنا تحقيقاتنا الاقتصادية الى فروع ثلاثة:
في الفرع التحليلي عرضنا المعلومات التي زودتنا بها الدولتان في أثناء المؤتمرات وفي الردود عن الاسئلة التي وجهناها. فقمنا بمناقشتها الموقعية حيثما وجدنا ضرورة لذلك.
وفي الفرع التوفيقى عرضنا نتائج ملاحظتنا الموقعية وضاهيناها بالمواد الاحصائية المستمدة من وثائق ما قبل الحرب.
وها نحن في الفرع الثالث نلخص القضية ونبسط إستنتاجاتنا.

١ - تحليل:

(أ) المذكرة البريطانية

« عرض لورد كرزن في مؤتمر (الوزان) ان منفذ تجارة التصدير في ولاية الموصل الى العراق وعبر اراضيه، والى سورية بمدى اقل من الأول. وان التجارة بين سورية والموصل غير ذات أهمية».

هذا الإدعاء صحيح فالاستيراد من تركيا قاصر غالباً على الاخشاب والخضروات والحبوب والحبال والفاكهة المجففة ومواد الدباغة. ويكاد كل هذه السلع يمر عبر الموصل بالترانسيت الى بغداد ومنها الى الخارج وثم أيضاً تجارة في الاغنام لا يستهان بها بين الإقليم المتنازع عليه وتركيا. ترسل هذه الاغنام الى الموصل فيأتي الوسطاء السوريون لا يتبايعها. وقد إقتصرت صادرات الموصل الى تركيا على المنسوجات والادوات الحديد والسلع الأوروبية التي ترد عن طريق البصرة أو حلب فترسل هذه البضاعة الى المدن التركية غرب خط الحدود. والقول إن وسط العراق وجنوبه يعتمدان اعتماداً أساسياً على محاصيل المنطقة الشمالية في هذا القول تعميم مفرط. والأرض المنازع عليها وان

زودت العراق وجنوبه بمواد غذائية ضرورية إلا أن قرب هذه البلاد من البحر يؤمن حاجاتها من السلع الخارجية. وندرة المواد الغذائية في جنوب العراق أثناء الإحتلال كان نتيجة وضع غير طبيعي بسبب وجود عدد كبير من الجنود وفي أثناء هذه الحرب انقطعت المواصلات بين الأراضي المتنازع عليها وجنوب العراق، فعانى الأول منها لاسيما الموصل وكركوك مجاعةً أدت الى هلاك كثير من الأنفس. وأنداك، ماكان في الإمكان تصدير المواد الغذائية من هذا الإقليم الى الجنوب وعلى العكس فقد كان من المفيد جداً لو امكن استيراد مواد غذائية من الخارج عن طريق بغداد. وكان اقرب الى الطبع القول ان الأرض المنازع عليها بحاجة الى العراق الأوسط والجنوبي كسوق لانتاجها الزراعي لأن طريق دجلة المائي يسهل التجارة ويجعل النقل ممكناً وبغداد هي السوق الوحيد التي يستطيع سكان الأرض المنازع عليها بيع فائضهم من المنتج الزراعي.

« ذكر (عصمت باشا) في لوزان إن كل الحبوب التي ترسل الى الجنوب

تصدر اصلاً من (ديار بكر) وتمر مرور ترانزيت فحسب»

«والتبغ كله يؤخذ الى بغداد»

صحيح ان كل التبغ الذي لا يستهلك محلياً يرسل الى بغداد إلا أن كميات صغيرة تؤخذ الى إيران عن طريق السليمانية.

« نظراً الى الحدود الفعلية المقترحة اعطيت أهمية لمبدء ضمان الإبقاء

على هذا الاتحاد الكونفدرالي. وعدم قطع المجتمعات الأخرى عن مراكز

تسويقها»

هناك سوقان كبيران لمنتجات الأراضي المتنازع عليها وهما بغداد والموصل. أما لواء سليمانيه وكركوك. وكفري والقسم الجنوبي من لواء أربيل فتعتمد على سوق بغداد. والأجزاء الوسطى والشمالية من لواء أربيل تعتمد على الموصل قدرما تعتمد على بغداد. ويعتمد لواء الموصل على مدينته اعتماداً كلياً ومع ان المدينة هي سوق اللواء فعلياً ان نتذكر ان فائض المحصول الذي يتعذر استهلاكه محلياً، يرسل الى بغداد بطريق النهر. امثال هذه الصادرات قد تستمر فاذا فصلت الموصل سياسياً عن بغداد فقد يكفي لإستمرارها إتفاق اقتصادي يعقد بين البلدين ومثل هذه الإتفاقات تفيد بغداد حيث استيراد المحصول من الشمال سينقص من تكاليف المعيشة كما تفيد الموصل لأن بغداد سوق لها.

«ان خط الحدود المقترح يمتد بأبعد ما يمكن على طول المعالم الجغرافية التي تفصل الإقليم الذي يسكنه أولئك المتسوقون من الموصل عن أقاليم أولئك الذين يتسوقون من البلدان التركية»

ان الغلة التي تنتجها المناطق القليلة السكان والكثيرة الجبال الواقعة بين الحدود كما اثبتتها (اتفاق بروكسل) والحدود التي اقترحتها الحكومة البريطانية تستهلك محلياً كلها تقريباً وسكان هذه البلاد الجبلية القليلون يجدون عندما يقصدون سوق الموصل عين السهولة والصعوبة اللتين يلاقونهما عندما يقصدون البلدان التركية. وليس للمناطق الواقعة شمال (رواندوز) علاقة تجارية بالموصل أو بتركيا. فاعلم تجارتها هي مع إيران واهلها يستخدمون عين الممرات الجبلية التي تسلكها قبائل الكرد الرحالة. «ان الحدود الشمالية ستؤمّن للعراق بعض اراضي الكلاً الصيفي للرحل من الاتحاد القبائلي الكردي الذي يقضي شتاءه في سهل الموصل»

ولاتتأثر هجرة الرحل بخطوط الحدود كثيراً فكثيراً من هذه القبائل الرحالة لاسيما الجاف والهركي والپشدر لهم مراعيهم الخاصة في إيران.

ان بروتوكول تثبيت الحدود التركية - الإيرانية يتضمن بنداً خاصاً أدخل لأجل تسوية أي مشكلة قد تنجم عن هذه الرحلات الموسمية ومن الممكن عقد إتفاقات ماثلة بين تركيا والعراق.

(ب) تحليل المذكرة التركية:

«لما كانت مدينة الموصل وولاية الموصل تقعان عند نقطة تقاطع كل الطرق المرتبطة بأناضوليا وسورية وإيران، فأهميتها عظيمة جداً لمواصلات جنوب أناضوليا مع إيران وسورية وتزداد أهمية الأرض للمواصلات بين مختلف أجزاء أناضوليا الجنوبية فيها هنا تتقاطع الطرق التي تربط ما بين السليمانيه وكوكوك من جهة وبين دياربكر واورفه وبدليس وسعرت وغيرها من جهة أخرى»

يخيل لنا أن الحكومة التركية تقصد مناطق اورفه وبدليس وسعرت وغيرها عندما تتكلم عن أناضوليا الجنوبية.

ان المواصلات بين أناضوليا الجنوبية وإيران الشمالية لا تمر من الأرض المتنازع عليها. كما أن الأرض المتنازع عليها لا تنفرد وحدها بطرق مؤدية الى إيران الجنوبية من

أناضوليا الجنوبية بل تشاركها في ذلك، الأراضي التي هي ليست موضوع النزاع. والمواصلات بين اناضوليا وسورية لا تمر عبر الأرض المنازع عليها.

وليس للحكومة التركية أن تعرض الحجج الخاصة بالمواصلات مع سورية الفرنسية وإيران، لأن الطرق التي تربط ما بين هذين القطرين تمر فعلاً عبر الأرض المتنازع عليها أو إلى الجنوب منها عبر الأراضي التركية وبالنسبة إلى المواصلات بين مختلف أنحاء أناضوليا الشمالية يجب أن نتذكر بأن السليمانيه وكركوك هما بلدتان من ست بلدات نوهت بها المذكرة التركية تقع في الأرض المتنازع عليها ومسألة المواصلات بين هاتين البلدتين لا يمكن والحالة هذه أن تدخل في نطاق المناقشة والطرق التي تربط مدن (دياربكر واورفه وبدليس وسعرد) بعضها ببعض لا تمر عبر الأرض المتنازع عليها فأقربها يقع على مسافة مائة كيلومتر بخط مستقيم من أقرب جزء من حدود ولاية الموصل السابقة.

وقد عولجت مشكلة طرق المواصلات بإسهاب أكثر من هذا في أحد فصول التقرير وهو الفصل الخاص بالتحليل الجغرافي لموضوع النزاع.

«نجم عامل جديد لتعزيز وحدة الموصل الاقتصادية مع تركيا. فبنتيجة مدّ السكة الحديد التي تربط الموصل بموانيء البحر الأبيض المتوسط باتت المدينة فهي اوثق صلة بكثير مع أناضوليا. فالبحر الأبيض المتوسط هو اسرع واسهل طريق بين الموصل والبلاد الصناعية في أوروبا التي تحتاجها بوصفها منفذاً لموادها الخام ومصدراً لتصريف المنتجات الصناعية ومنذ مدّ السكة الحديد هذه صار طريق الخليج الفارسي بالنسبة للمدينة طريقاً ثانوياً»

إنّ صياغة هذه الجملة قد يؤدي إلى شيء من التوهم: فخط السكة الحديد من البحر الأبيض المتوسط لم يبلغ الموصل بعد. ورأس تلك السكة مازال في نصيبين التي تبعد مائتي كيلومتر عن الموصل بخط مستقيم لذا فالقول بأنّ طريق الخليج الفارسي في الوقت الحاضر ثانوي بالنسبة للمدينة، قول فيه مبالغة. من المحتمل أن يكون كذلك في المستقبل من جهة الاستيراد على أكثر تقدير عند مدّ خط السكة عبر الارض التي انتدبت عليها فرنسا وعند وصوله الموصل. لكن التصدير الذي يتكون في الغالب من الحبوب سيظل تصديره بطريق النهر من الموصل إلى بغداد هو الأقل كلفةً.

ج - إستفسارات وجهتها اللجنة الى الحكومة البريطانية:
السؤال الأول:

ذكر لورد كرزن في لوزان عن الإحصاءات الكمركية للحكومة العراقية ما يوضح أنّ منفذ تجارة التصدير لولاية الموصل كان الى العراق وعبره. وما هو الى سورية اقل حجماً ولكون اللجنة تمتلك التقارير الخاصة بالسنتين ١٩٢١ و ١٩٢٢ (مديرية الكمارك والمكوس - تقارير إدارية) فقد سألت الحكومة البريطانية هل تملك وثائق أخرى عن الإحصاءات والكمارك؟ وإن كان الأمر كذلك فاللجنة ترى أنّ تبعث لها بنسخ من تلك الوثائق.

إنّ في وثائق العراق الرسمية التي ارسلتها الحكومة البريطانية للجنة، الاحصاءات التالية للسنوات ١٩٢١، ١٩٢٢، ١٩٢٣ وللأشهر التسعة الأولى للسنة ١٩٢٤. المبلغ:

٨٥٠٠٠٠٠٠٠ روبية قيمة السلعة المصدرة من ولاية الموصل السابقة

الى سورية وتركيا (المنتوج المحلي، وبضائع الترانزيت).

١٨٦٠٠٠٠٠٠٠ روبية قيمة جزءٍ من البضائع (ماعداء الحبوب)

مصدّر من لواء الموصل وحده الى بغداد.

أو ٢٢٠٠٠٠٠٠٠٠ روبية أو ٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠ روبية على التوالي

من الصعب تكوين فكرة تقديرية عن كميات الحبوب التي نقلت من الموصل وأربيل وكركوك الى بغداد إذ لم يحتفظ بأية احصاءات رسمية لحركة التجارة بين العراق الجنوبي وبين الأرض المنازع عليها.

ترسل الحبوب بعضها بالسكة الحديد شرقاً - جنوب الموصل وخط حديد كنگربان - جنوب كركوك. وبعضها بالاكلاك منحدره مع دجلة والزابن وبعضها أيضاً بقوافل الجمال. ويوسعنا على كلّ أنّ نحاول وضع تقدير تقريبي. إنّ قيمة الحبوب المرسله الى بغداد بالسكة الحديد وحدها يمكن تقديرها بثلاثة ملايين روبية (٧٥٪ منها قمح ٢٥٪ منها شعير) أضف الى ذلك أنّ بلدية بغداد سجلت خلال السنتين ١٩٢٢، ١٩٢٣ وصول ٤٥٠٠ كلك صغير و ١٦٠٠ كلك متوسط الحجم ١١٠٠ كلك كبير^(١) وهذا يمثل

١- من وسائل النقل الرئيسة وقتذاك. ويعمل بنفخ عددٍ من الأجرية وشد بعضها الى بعض بشكل =

معدل ١٤٠٠٠٠ طن لسنتين أو ٧٠٠٠٠ طن من الحبوب قيمتها ٧٠٠٠٠٠٠٠ روبية سنوياً. وفضلاً عن ذلك فإن إحصاءات مديرية السكة الحديد تكشف لنا انه في الوقت الذي نقلت حوالي ثلاثة آلاف طن من التمور من الجنوب الى شرقايط (الموصل) في سنة واحدة. لم يصدر فعلاً اي كمية من التمر بالسكة الحديد الى كنگريان (كركوك) فالتمور ترسل الى كركوك بالجمال التي تعود حاملة الحبوب منها. ولو أخذنا بنظر الإعتبار طريقي النقل الاولين فحسب فقد نتسامح فنقول إن الارض المتنازع عليها تصدر الى بغداد حبوباً بقيمة عشرة ملايين روبية سنوياً على أقل تقدير، ومقارنة الأرقام الكلية للصادرات السنوية الى بغداد من جهة، والى سورية وتركيا من جهة أخرى هي اذن مع وجه التقريب:

الى سورية وتركيا ٢٢٠٠٠٠٠٠ روبية
الى بغداد ١٥٠٠٠٠٠٠٠ روبية

السؤال الثاني:

« سيسر اللجنة لو اعلمتها الحكومة البريطانية عما اذا كانت تملك وثائق ذات علاقة بالتجارة الداخلية بين أجزاء العراق (اراضيه الحالية والإقليم المتنازع عليه) » اجابت الحكومة البريطانية كما مر، انه لا يوجد إحصاء بالتجارة المتبادلة بين مختلف جهات العراق. في الفقرة السالفة قمنا بتقدير كميات الحبوب المصدرة الى بغداد بطريق النهر والسكة الحديد من الإقليم المتنازع عليه. أما عن التجارة الأخرى فإن إحصاءات السكة الحديد تزودنا بالمعلومات التالية للعام ١٩٢٤ حول قيمة البضائع المرسله من بغداد الى شرقايط (الموصل) من جهة، والى طوز وكنگريان (كركوك) من جهة أخرى:

الى شرقايط (الموصل) ١٠٢٠٠٠٠٠٠ روبية^(٢)

الى كنگريان وطوز (كركوك) ٤٠٠٠٠٠٠٠ روبية

= مربع أو مستطيل يفرش فوقه الواح خشبية مشدودة بعضها الى بعض مسطحاً مستويماً مكوّم فوقه البضاعة ويعلوه المسافرون. لينحدر مع التيار الى مقصده. بعد ذلك تفكك الاخشاب وتفرغ الأجرية من الهواء وتحمل برّاً الى نقطة شروع الكلك.

٢- الروبية هي عملة هندية وضعها الاحتلال الإنكليزي قيد التداول بدلاً من العملة العثمانية وكسورها الأنة والپيسه وقد تم استبدالها بالعملة العراقية في ١ نيسان ١٩٣١. بقاعدتها الدينار وهو الف فلس. والدرهم وهو خمسون فلساً يقابل الروبية إلا أن سعر صرفها عشر آتات والروبية خمس عشرة آنة. والآنة الواحدة أربع پيسات. والپيسه تقابل الفللس الواحد على وجه التقريب.

ان المواد الرئيسية المستوردة: هي السكر والقهوة والادوات المعدنية والفاكهة المجففة والتمور والزيت والنحاس والشاي والصابون والمشروبات الكحولية والبذور وغيرها.

*** **

ولأن دائرة انحصار التبغ تنشر إحصاءات فمن الممكن تعيين كميات التبغ التي تنتج في الأرض المتنازع عليها بشكل دقيق:

سليمانيه (باستثناء منطقة رانيه)	٢٠٠٠ طن
محصول منطقة رانيه	٥٠٠ طن
محصول منطقة رواندوز	٢٥٠ طناً
محصول عمادية وعقره ودهوك	٢٥٠ طناً

وتقدر الحكومة العراقية ان (٦٠٠ طن) من التبغ يستهلك محلياً و(٢٤٠٠) طن يصدر الى سوق بغداد.

السؤال الثالث:

هل يوجد في حوزة الحكومة البريطانية اية وثائق تتعلق بحالة العلاقات التجارية بين العراق وكردستان؟

الجواب:

تشير الحكومة البريطانية الى أنّ الحاجز الجبلي بين الارض المنازع عليها وبين كردستان يجعل الروابط التجارية بين البلدين صعبة جداً وبالتالي غير مهمة. والسليمانيه هو اللواء الوحيد الذي يمكنه ببعض السهولة مواصلة التجارة مع كردستان إيران في السنة ١٩٢٢ عندما كان يوجد في السليمانيه ادارة مستقلة عن حكومة العراق نشرت تلك الادارة إحصاءات گمركية تنطوي على بعض أهمية نثبتها أدناه.

قيمة التبغ المصدر الى العراق	١٧٠٠٠٠٠٠ روبية
قيمة محصولات اخرى مصدرة الى العراق	٣٠٠٠٠٠٠ روبية
قيمة كل منتوجات البلاد المصدرة لإيران وبضمنها التبغ	٣١٤٠٠٠٠ روبية
قيمة منتوجات العراق (الترانزيت) الى إيران	٦٠٠٠٠٠٠ روبية

السؤال الرابع:

«هل في امكان الحكومة البريطانية تزويدنا بإحصاءٍ ما حول محصول القمح في

مختلف أجزاء العراق (بضمها الأرض المنازع عليها؟)

الجواب:

لم يحفظ اي إحصاء في هذا الباب.

السؤال الخامس:

«يسر اللجنة الحصول على معلومات حول المنشأ للبضائع والمنسوجات وصادرات المستعمرات واصلة الموصل أو مارةً بالترانزيت من الموصل الى تركيا.

هل ان هذه البضائع المرسله الى الموصل عن طريقها تمر في الظروف الاعتيادية من البحر الابيض المتوسط أو من الخليج الفارسي؟»

الجواب:

كل البضائع الجاهزة والمستوردة من منتوجات المستعمرات واصلة الموصل تأتي عن طريق الخليج الفارسي من ميناء البصرة وهذا ما تكشف عنه إحصاءات الكمبارك للسنوات ١٩٢١، ١٩٢٢، ١٩٢٣ والاشهر التسعة الأولى من السنة ١٩٢٤. خلال هذه الفترة استورد لكل العراق ما قيمته ٢٨١٠٠٠٠٠٠٠٠٠ روبية من السلع القطنية مَرَّ كلّه خلا ما قيمته مليون واحد عبر البصرة - بغداد.

اذا اعتبرنا مجموع سكان الإقليم المنازع عليه (٨٠٠٠٠٠٠) نسمة واعتبرنا باقي العراق (٢٠٠٠٠٠٠٠) نسمة وقسمنا معدل استهلاك السلع في العراق على هذه النسبة فسنصل الى النتائج التالية:

٣٨٢٠٠٠٠٠٠٠٠ روبية يستهلك في الموصل

٩٥٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠ روبية يستهلك في بقية العراق

في خلال هذه الفترة نفسها البالغة (٤٥) شهراً بلغت قيمة ما استورد من سورية وتركيا الى الموصل رأساً (٦٠٠٠٠٠٠٠) روبية فقط

إنّ البلاد المصدرة لهذه البضائع القطنية هي بريطانيا العظمى والهند وإنّ البلاد المصدرة لمختلف انواع منتجات المستعمرات هي كما يأتي:

من الهند	الشاي
من أوروبا والهند وبلادٍ أخرى	السكر
من الهند وجزيرة العرب والبرازيل والمملكة المتحدة	القهوة

السؤال السادس

« تشير المذكرة التركية الى أهمية مدينة الموصل وولاية الموصل للمواصلات بين تركيا وإيران. فلو ضمت الموصل الى العراق فكيف تؤمن العلاقات التجارية والمواصلات بين هذين البلدين المسلمين في رأي الحكومة البريطانية؟ »

الجواب:

إذا كان مما لامندوحة أن تمر البضائع المصدرة من تركيا الى إيران بالأراضي العراقية فستكون الحكومة العراقية ملزمة بتطبيق قرارات مؤتمر (برشلونة) حول حرية المرور وتأمين كل تسهيلات النقل. ولن تجبى اية رسوم على البضائع.

إستفسارات وجهتها اللجنة الى الحكومة التركية:

السؤال الأول:

« ترغب اللجنة في الحصول على معلومات عن:

أ - (لا يوجد شيء في النص).

ب - مراكز التسويق والتجارة في المنطقة المنازع عليها - للكرد والعرب الحضرم، وللكرد والعرب الرحل.

ج - طرق التجارة بين منطقة الموصل والمنطقة غير المنازع عليها في تركيا.

الجواب:

حول (ب) إن مراكز التجارة والتسويق هي عموماً البلدان الرئيسة في الأفضية والسناجق حيث يحل هؤلاء البدو والرحل.

حول (ج) ان طرق التجارة الرئيسة بين منطقة الموصل والأراضي التركية غير المنازع عليها:

(١) نهر دجلة (٢) طريق الموصل - مساردين - ديار بكر - خربوط - سواس - سمسون.

(٣) سكة حديد نصيبين - أدنه (٤) طريق الموصل - الجزيرة - بدليس - أرضروم -

طرابزون (٥) طريق الموصل - عماديه - جوله ميرگ - وان (٦) طريق الموصل -

أربيل - رواندوز - وان (٧) طريق الموصل - زاخو - وان.

ملاحظة: ان طريق دجلة يستعمل فحسب للبضائع التي تأتي من تركيا الى الموصل.

السؤال الثاني:

لما كان قد زعم ان مقادير كبيرة من القمح المصدر الى بغداد تأتي من منطقة الموصل أو تمر بالترانزيت عبر الموصل، فهل في امكان الحكومة التركية ان تفيد اللجنة بالكميات التي تغلّها مدينة الموصل وولاية الموصل لسنوات ما قبل الحرب. والكميات التي تمر عبر تلك البلاد بالترانزيت (مع ذكر بلاد المنشأ).
الجواب:

لم يكن بالامكان الحصول على إحصاءات تتعلق بكميات القمح المصدرة من هذه الأقاليم الى بغداد لانه لم تجر العادة بتنظيم إحصاءات حول التجارة بين مختلف الولايات قبل الحرب.

السؤال الثالث:

في البند الثامن للصحيفة التاسعة من المذكرة التركية، تعرض الحكومة التركية ان لمدينة الموصل وولاية الموصل أهمية كبيرة للمواصلات بين تركيا وإيران. فهل في وسع الحكومة التركية تزويدنا بمعلومات مستندة الى إحصاءات لما قبل الحرب من شأنها تعزيز هذا الإدعاء؟
الجواب:

لسوء الحظ نقول ان إحصاءات الكمارك حول تجارة ما قبل الحرب بين تركيا وإيران قد أتى عليها حريق ١٩١٤ الذي دمّر جزءاً من بنايات ادارة الكمارك المركزية في أستانبول.

السؤال الرابع:

لو فرضنا ان الحدود سيتم تشيبتها الى جنوب الموصل. وانها ستقوم سداً محكماً في وجه العلاقات التجارية. فماذا تقترح الحكومة التركية من تدبير لضمان تصدير محاصيل ولاية الموصل والمنتوج الذي يمر عبر الموصل بالترانزيت؟
هل سيكون بمقدور سكان شمال الحدود أن يصدروا محصولهم الزراعي؟ واذا كان الأمر كذلك فالى اي جهة يمكن تصديره؟
الجواب:

الى جانب طرق التجارة التي أشرنا اليها (في السؤال الأول فرع - ج) هناك طريقتان

تجاريان هامان آخران وهما: (١) طريق الموصل- رواندوز- همدان- كرمنشاه. (٢) طريق بغداد- البصرة- بومبي.

ان الحكومة التركية في ردها تثبت صادرات الموصل الرئيسية بالجاموس، والغنم، والمعز، والخيل ومختلف المحاصيل التي ترسل الى أناضوليا وسورية وأوروبا والهند. وأما عن الواردات، فالمذكرة تنوه بمواد مختلفة مستوردة من أوروبا واناضوليا وإيران وتقول بأن معظم هذه المواد إن لم يكن كلها يمر من موانيء البحر الابيض المتوسط أو من أناضوليا أو من إيران، في حين ان عدداً قليلاً فحسب من المواد يستورد عن طريق بغداد والبصرة.

ملاحظة- لم يتضمن الرد التركي الحبوب في قائمة المحصولات المصدرة من الموصل وهي على كل الجزء الاكبر من صادرات الموصل. وقد لاحظنا ان كل المنتجات الزراعية ومعظم المنتجات الأخرى (باستثناء الماشية) ترسل الى بغداد، وتأتي الواردات الى الموصل عن طريق بغداد أو عبر بادية الشام وليس هناك إلا اليسير من التجارة مع أناضوليا واقل من ذلك مع إيران.

السؤال الخامس:

لما كانت المذكرة التركية (الصحيفة ١٠- الفقرة ٢) تشير الى إحصاءات ما قبل الحرب فيسّر اللجنة أن ترى في إحصاءات ما قبل الحرب هذه ما يثبت إن حركة التجارة من الموصل تميل الى دياربكر أكثر منها الى بغداد.

الجواب:

تشير الحكومة التركية الى الإحصاءات الخاصة بتجارة الموصل (الصحيفة ٩٢-٩٣) من كتيب وزارة الخارجية رقم ٦٣ عن ميسسوپوتاميا للسنة ١٩١٠ وهي تقتبس الإحصاءات المنشورة فيه:

الواردات:

من المملكة المتحدة ما قيمته	٣٧٨٥٠ پاوناً استرلينياً من السلع
من الهند: ما قيمته	٣٥٨٠٠ پاون استرليني من السلع
من بلاد أخرى: ما قيمته	٤٣٨٩٠ پاوناً استرلينياً من السلع

الصادرات:

الى المملكة المتحدة: ما قيمته ١٧٦٥٠٠ پاون استرليني من السلع

الى الهند: ماقيمته ٣٥٨٠٠ پاون استرليني من السلع
الى بلاد اخرى: ماقيمته ٤٩٩٨٠ پاوناً استرلينياً من السلع
الى أجزاء اخرى من تركيا: ماقيمته ٣٥٢٩٥٠ پاوناً استرلينياً من السلع

ويضيف الجواب التركي قوله إن تلك السلع الواردة من المملكة المتحدة أو الصادرة إليها لا تمر دائماً من موانئ البحر الأبيض المتوسط.

ملحوظة: ان الإحصاءات التي عرضت هنا لا تمتاز بالدقة. فكما بينا في ما سلف إن الصادرات الرئيسية للبلاد هي اولاً الحبوب بالدرجة الاولى تليها الاغنام. إن هذا المبلغ الكبير (٣٥٢٩٥٠) پاوناً استرلينياً الذي اعتبر قيمة للصادرات الى تركيا يفسره أن معظم هذه الصادرات إنما تسلك سبيلها من الموصل الى بغداد التي هي الآن في الاراضي العراقية، والى سورية التي هي الآن تحت الإنتداب الفرنسي. وفي السنة ١٩١٠ كانا معاً جزءاً من تركيا.

اشرنا في موضع آخر الى انه من الخطأ القول بان البضائع التي تصل الموصل أو تخرج منها تمر دائماً من البحر الأبيض المتوسط. بالعكس فطريق بغداد أكثر استخداماً من هذا الطريق بما لا يقاس خلا في مسألة نقل الأغنام. إن الإحصاءات الواردة في التقويم التركي الرسمي للموصل (١٩١٢) التي وردت في الجزء المقارن من التقرير الاقتصادي تؤيد هذه المعلومات.

٢- استخلاص الحقائق

إن الأرض المتنازع عليها - اعني الصقع الممتد بين الحدود القصوى التي اقترحتها الحكومتان هي بالدرجة الأولى بلد زراعي يربي الغنم والماعز وربما سيقدر لها أن تصبح بلاداً صناعية عندما تكشف تنقيبات مبرمجة عن الثروات الكامنة تحت تربتها ولاسيما النفط.

هذه الأرض التي تقع بأسرها في دائرة حوض دجلة، يحدها من الشمال والشرق نطاق جبال يبلغ عرضه في الأرض المتنازع عليها ما بين ٧٠ و ٨٠ كيلو متراً. وان الأرض المرتفعة المحيطة به ترتفع أحياناً الى عشرة آلاف قدم والبلاد تنحدر متطامنة نحو المركز لتؤلف حوضاً جباراً تمتد في قعره البادية التي تفصل البلاد عن سورية. وفي الجزء الجبلي ولاسيما في الشمال والشمال الشرقي المكسو بعضه

بالغابات، ينتج السكان وهم قليلون نسبياً، المواد الغذائية لاستهلاكهم المحلي أساساً ولم يكن لهذه المناطق البعيدة مفر من الاعتماد على قوافل البغال والحمير للنقل. فالشكل العملي الوحيد لإستمرار التجارة الوحيدة هو أنهم يستطيعون تحمل تكاليف النقل العالية نسبياً بواسطة القوافل للمنتوجات العالية القيمة كالتبغ والعفص ومنسوجات المرعز والصوف والزبيب وجلد السنسار وترسل هذه المناطق الجبلية أيضاً بواسطة الأنهار التي يمكن تطويف الخشب عليها، خشب البناء وخشب المحروقات الذي يفتقر اليه السهل.

هذه المناطق الجبلية تضم المساكن الصيفية للقبائل الكردية الرحالة الراعية التي تسوق قطعانها عائدة الى السهل في الشتاء فهناك أيضاً يوجد سكان مستقرون من الكرد والنصارى واليهود واليزيدية.

ان الجزء الذي عرف بإسم الصحراء ليس هو صحراء في الواقع. اذ ان العشب الخشن والحسك يكسوه وهو يصلح مرعى للجمال والأغنام التي تمتلكها العشائر العربية مدة أربعة اشهر من السنة. هذه العشائر تتجه جنوباً في الشتاء وتعود الى الشمال في الموسم الجيد.

وبين الصقع الجبلي والصحراء توجد اراضٍ في غاية الخصوبة، كثافة سكانها عالية نسبياً يروها دجلة وروافده (كالزاب الكبير والزاب الصغير) الصالحة للملاحة وعمقها الكافي لتطويف الارماث (الاكلاك) فمجارياها في الأرض المتنازع عليها منفذ طبيعي للمحاصيل كالقمح والشعير اللذين يعتبران غلة البلاد الأساسية.

* * * * * * * *

يمكن تقسيم الأرض المتنازع عليها من الناحية الاقتصادية الى ثلاثة قطاعات تتفق حدودها كثيراً مع التقسيمات الإدارية الحالية.

القطاع الأول: البلاد التي تقع غرب الزاب الأعلى (لواء الموصل).

القطاع الثاني: الاراضي المنحصرة بين الزاب الاعلى والزاب الاسفل (لواء أربيل).

القطاع الثالث: الاراضي التي تقع جنوب الزاب الاسفل (لواء كركوك والسليمانية).

القطاع الأول: هذا القطاع الذي تحده منطقة البادية من الجنوب الغربي والغرب سدود من الشمال بالجبال التي يصعب نوعاً ما اجتيازها في الصيف ويتعذر في

الشتاء. وهناك طريق طوله ٨٠٠ كيلومتر يبدأ من (دمشق) و(حلب) وينتهي بالموصل فيربط البلاد بالبحر الابيض المتوسط. والمنفذ المباشر الوحيد نحو تركيا هو ثغرة بعرض عشرين كيلومتراً عند التقاء نهري دجلة والخابور دق كالاسفين بين الجبل وبادية الشام الفرنسية - وهي التي تربط الأرض المنازع عليها بسهل (جزيرة ابن عمر) والمواصلات مع بغداد والخليج الفارسي تتم في الوقت الحاضر عن طريق (الضفة اليسرى من دجلة) يمرّ خلال منطقة بعضها صحراوي حتى شرقاوط وهي رأس سكة حديد الخليج الفارسي. وتؤمن المواصلات ايضاً بطريق تجاري عسكريّ ينتهي عن طريق (أربيل وألتون كوبرو) بخط السكة الحديد في ضواحي (كركوك) المتوجه من الخليج الفارسي عن طريق (بغداد - كفري).

ان الموصل هي العاصمة الاقتصادية لهذا القطاع حيث يلتقي كل الطرق ويجلب اليها كل محاصيل المنطقة.

يؤتى للموصل بالقمح والشعير وخشب الوقود بالاكلاك من مناطق قريبة من الخابور ودجلة في حين تجلب للموصل المواد الأكثر تعرضاً للتلف كالصوف ومنسوجات المرعز والعفص والزبيب والتبغ وغيرها، بقوافل من البغال أو الحمير لتعود بالمصنوعات الأوروبية والهندية وبعض المواد الغذائية كالقهوة والسكر والملح الذي يجمع من الصحراء وتساق قطعان الغنم بعدد من المراحل من داخلية البلاد الى الموصل ويأتي تجار سورية والوسطاء لشرائها والمناطق التي لا ترتبط بالموصل نهرياً في هذا القطاع (سنجار- عمادية- دهوك- عقره- الخ...) تنحصر تجارتها بالموصل ايضاً. فتنقل اليها البضائع بقوافل (كروان) إلا ان السيارات بدأت الآن تحتل مركزاً في عملية النقل. مما سبق يلاحظ ان ايّ خط حدود يفصل مدينة الموصل عن داخلية بلادها الطبيعية، سيخلّ بالحياة الاقتصادية للقطاع، ويسبب ضرراً بالغاً لسكان المدينة نفسها لا يقلّ عن الضرر الذي ستسببه لسكان داخلية البلاد.

وعلى اية حال فلو فصلت زاخو والعماديه وربما دهوك، عن الموصل بحدود دولية فإنها تستطيع التعويض بتوجيه تجارتها الى تركيا وهي البلاد التي مازالت تتجر معها من فتحة زاخو وممرها. ومن الناحية الأخرى فإنّ تجارة اهل السهل العظيم الممتد من دجلة الى (عقره) الذي يتجه خط تجارته الى تركيا عبر الموصل ستصاب بنكسة كبيرة لو ضم السكان الى تركيا وفي حالة بقاء الموصل جزءاً من العراق. اما عن أهالي

(سنجار) فليس ثم مجال لتجارتهم الا مع تركيا اما عن طريق الموصل واما عبر الاراضي الفرنسية في سورية.

ان كثيراً من الأهالي المستجوبين الذين كانوا يجذبون إعادة بلادهم الى تركيا لاسيما اهل زاخو والعماديه ودهوك ابدى شيئاً من التخوف لفكرة انفصاله عن الموصل بحدود دولية.

باقرارنا ان كل القطاع الأول يعتمد اقتصادياً ولو بدرجات متفاوتة على مدينة الموصل. علينا ان نفضّل الآن في مسألة إتجاه التجارة العمومي لمدينة الموصل والبلاد التي تتجر معها. وعما اذا كان يجب أن تضم الى تركيا أو أن تلحق بالعراق من الوجهة الاقتصادية.

الموصل من الناحية الجغرافية الصرفة أقرب الى البحر الأبيض المتوسط منها الى الخليج الفارسي، واذا كانت مواصلاتها مع البحر المتوسط تمر الآن عبر صحراء فليس هناك أي شك في انه لو حوّل طريق التجارة الى الشمال قليلاً - مثلاً الى نصيبين (النهاية الحالية للسكة الحديد المبتدئة من البحر الابيض المتوسط) فليسوف تمرّ خلال إقليم مسكون حيث تكون عملية الترانزيت اسهل واقلّ مخاطراً. ومن الناحية الثانية لامندوحة لهذا الطريق التجاري الشمالي من المرور عبر اراضٍ هي تحت الانتداب الفرنسي بسبب شكل الحدود الفرنسية لشمال شرق سورية.

واما عن طرق التجارة بين الموصل والخليج الفارسي سواء منها تلك التي تقطع الصحراء او تلك التي تمر (بكركوك) و(بكفري) فلا مفرّ لها من المرور عبر بغداد وسيهمل طريق الصحراء عندما ينتهي العمل في مدّ السكة الحديد من البصرة وبغداد الى كركوك (وهي قيد الإنشاء). كما اعدت تصاميم مدها الى الموصل) هذا الطريق الذي بلغ الآن ضواحي (كركوك) سيعود بالمنفعة على إقليم غني بالمحاصيل الزراعية وسيمر عبر ما يفترض انه حقل بترولي.

وبدراسة طرق الموصل التجارية يجب ان نولي اهتماماً عظيماً بنهر دجلة. هذا النهر كان يستخدم منذ ازمان موعلة في القدم لنقل محاصيل البلاد ولاسيما الحبوب وخشب البناء وخشب المحروقات وهو في الواقع ارض خص وآمن الطرق.

ويتصدير المحاصيل الزراعية وفي مقدمتها المواد الرخيصة الثمن نسبياً يكون دجلة عاملاً اقتصادياً على اقصى درجة من الأهمية وان بقي اي ظل من الشك بالقيمة

النسبية للطريقين - الى سورية والى الخليج الفارسي - فإن احتمال إستخدام دجلة يجب حتماً أن يقلب الميزان لصالح طريق بغداد .

ان البضائع المستوردة كالحرائر المنسوجة وما اليها - اعني المواد النفيسة بالنسبة الى وزنها ومصدرها أوروبا - تصل الموصل إمّا عن طريق بادية الشام أو بطريق بغداد . ويرد من بغداد كل البضائع الثقيلة كالسلع المعدنية والحديد والخردوات وغيرها .

إنّ التجارة مع تركيا الاصلية مقصورة على مبيعات قليلة من الغنم عبر الحدود جوار (جزيرة ابن عمر) و(جوله ميرك) يتولاها أناس أغراب قادمون من مناطق بعيدة. واما بيع جاموس الجرّ في أناضوليا فهي تجارة ضيقة النطاق الى آخر درجة وهناك ايضاً تجارة ترانزيت بالمواد المصنعة الى تركيا حجمها لا يستهان به، تمر عبر الموصل.

لو بقيت سورية تحت الحكم التركي فلاسبيل إلا للاقرار بأن نسبة معينة من التجارة ستتم مع تركيا وكان هذا قبل الحرب حقيقة واقعة. أما الآن فتجارة الموصل وبالتالي تجارة كل القطاع الأول تسلك طريقين متفاوتي الأهمية، الأول والأهم هو طريق بغداد والثاني هو طريق سورية و ثم تجارة صغيرة جداً مع تركيا قاصرة على الأجزاء الشمالية من القطاع الأول.

القطاع الثاني: هذا القطاع مركزان اقتصاديان: هما (أربيل و آلتون كوپرو) وهناك ايضاً منطقة صغيرة قليلة السكان متوارية في حزون الجبال الى شمال رواندوز حيث يمكن مباشرة تجارة بهذا الصغر مع إيران. اما محاصيل الأجزاء الشمالية والشرقية والوسطى من القطاع الثاني فتؤخذ بالقوافل الى أربيل في حين كانت (آلتون كوپرو) هي مركز المحاصيل لحوض الزاب الأسفل، ولاسيما لقضاء كويسنجق.

اما المحاصيل الرئيسية للقطاع الثاني فهي الحبوب والتبغ والزبيب والعفص والغنم والصوف وجلد السنسار وخشب البناء وخشب المحروقات وكل هذه المواد يمر من المراكزين (أربيل و آلتون كوپرو) إلا الخشب فهو يمر من المركز الاخير فحسب.

ومدينة أربيل التي تقع على الطريق التجارية الرئيسية من الموصل الى بغداد ترسل بالدرجة الأولى الى الموصل، ومن هذه المدينة الاخيرة تساق القطعان الى سورية وترسل المحاصيل الزراعية أحياناً الى الموصل وأحياناً الى بغداد وفقاً لشدة الطلب والاسعار. ويصل بعض المواد المصنعة أربيل من الموصل بطريق الترانزيت من سورية وبغداد

وبعضها يأتي مباشرة من بغداد وعندما تمر السكة الحديد من بغداد بالقرب من أربيل، سيقل التأثير الاقتصادي للموصل بدرجة كبيرة وإن كانت ستنقلب الآية لو مدت السكة الحديد من البحر الأبيض المتوسط حتى الموصل.

من العدل أن نقر وفي الوضع الراهن، بأن تطور اقتصاد أربيل يعتمد على الموصل قدر ما يعتمد على بغداد وإن حدوداً تفصل منطقة أربيل عن بغداد لن يكون لها أثر مدمر على المنطقة. ربما يصيب تجارتها باذى كبير لكنه لن يقضي عليها. ووضع (آلتون كوپرو) يختلف. فتسجارتها ولاسيما تلك التي تمر من (طقطق وكويسنجق) وهما في داخلية البلاد تتم مع بغداد وحدها تقريباً إما بالأكلاك في الزاب الأسفل ودجلة وأما بالقوافل براً، وسيكون القطار في متناول اليد بعد فترة قليلة. فلو فصلت هذه المنطقة عن بغداد فانها تطورها الإقتصادي سيصاب بنكسة خطيرة.

* * * * *

ان المنظومات الجبلية وهي الحدود الشمالية التي اقترحتها الحكومة البريطانية ستكون عقبة كأداء بوجه علاقات تجارية مباشرة بين القطاع الثاني وبين تركيا، وفي الواقع لاجود لمثل هذه التجارة قط. هذا وان التجارة بين هاتين المنطقتين لا يمكن ان تتم الا عبر الموصل.

* * * * *

فاستنتاجنا حول القطاع الأول هو هذا: مع ان الأجزاء الشمالية والوسطى والشرقية يمكن من الناحية الاقتصادية ان تشارك الموصل مصيرها، فإن المناطق التي تحيط (بطقطق وكويسنجق) ومنفذاها (آلتون كوپرو) ستكون في وضع اقتصادي سيء اذا فصلت عن بغداد.

القطاع الثالث: هذا القطاع ثلاثة مراكز اقتصادية وهي كركوك وكفري والسليمانية. والتجارة بين كركوك والموصل محدودة جداً ومعظمها مع بغداد وليس للبلدين الآخرين علاقات اقتصادية الا مع بغداد لكن للسليمانية تجارة محدودة مع إيران وليس هناك تبادل تجاري مباشر بين تركيا واي موضع في هذا القطاع.

مشكلة الري:

يتضمن حل مشكلة الري إعتبرات اقتصادية. وإذا كانت غير ذات تأثير مباشر على ازدهار القطاع الثالث وبالتالي الأرض المنازع عليها فهي عظيمة الأهمية لازدهار منطقة بغداد ولو بوشر بالمشروع المعروف (بمشروع ري ديالي) فإن مليوني إيكروا بين جبل حميرن ومنطقة الكوت ستروى وستكون صالحة للزراعة وسيروى هذا المشروع نصف مليون إيكروا لزراعة القطن، ونصف مليون ثانية لزراعة القمح ونصف مليون ثالثة لزراعة الشعير في حين سيخصص الباقي من المساحة لزراعة الخضروات واشجار الفاكهة. مشروع ديالى هذا، في غاية البساطة فكل ما يحتاج اليه اقامة سد على النهر عند اتحاده بـ(نارين) الذي يمر بـ(كفري)^(٣) إن طبيعة الأرض الممتدة بين جبل حميرن وتلال قره تپه تسمح ببناء حوض يستوعب أكثر من ستمائة ألف مليون قدم مكعبة من الماء ويفترش من الأرض ما مساحته ثلاثمائة ميل مربع. لقد تقرر القيام بالمشروع مبدئياً. وازدهار القسم الأدنى من البلاد يعتمد اعتماداً كلياً على تنفيذه. ولو فصل الخزان عن الأرض التي سيروىها بحدود دولية لقضى على المشروع. أو لأصبح تنفيذه من أصعب الأمور.

مسألة النفط:

دفعت مسألة النفط الى الخلفية أثناء المفاوضات بين الطرفين. وفي الواجب ان تولى إهتماماً إن شركة البترول التركية المتألفة الآن من شركة النفط الانگلو- إيرانية ومجموعة الشركات الهولندية الملكية والمجموعة الفرنسية والمجموعة الأمريكية، فتحت مجدداً باب المفاوضات مع الحكومة العراقية تلك المفاوضات التي بدأت مع الحكومة

٣- ويعرف المشروع بمشروع (أصفر) نسبةً إلى نجيب أصفر أحد اصحاب الإمتياز. وهو جزء من مشروع يشمل اراضي الدليم. وكان من الشركاء ثابت عبد النور وحمدى الباجچي وعقدت إتفاقية في ١٠ تموز ١٩٢٤، تتضمن انشاء سدة عند قرية (تويله) على الحدود العراقية الإيرانية في نهر ديالى اضافة الى ما ذكر في المتن وان يتسلم أصحاب الإتفاق أرضاً مساحتها ١٥ ألف هكتار ويشغل المشروع لمدة (٦٠) سنة وتستوفي الحكومة ١١٪ ضريبة على المحاصيل على ان يكون المشروع كله ملكاً لها بعد انقضاء المدة. وقد ظهر أن أصحاب الامتياز مجرد سماسرة لشركات بريطانية. وقامت الشركة باعمال تجريبية زراعية فلم تنجح. واثرت فضيحة برلمانية حول الامتياز واستدعت إجراء تحقيق وزارى. ثم عدل عن المشروع نهائياً إثر ذلك.

التركية قبل الحرب فأسفرت عن منح امتياز شمل كل المملكة العراقية بإستثناء منطقة البصرة. وسيكون لأصحاب الامتياز حق اختيار (١٩٢) ميلاً مربعاً مقسمة الى (٢٤) قطعة مستطيلة مساحة كل واحدة منها (٨) اميال مربعة.

ستتطلب اعمال الاستثمار وقتاً مالياً ونفقات باهضة. اذ يجب ان لا يغيب عن البال أن حقول النفط في هذه البلاد ستكون غزيرة كما ايدت التكهنات.

هناك بند في صك الامتياز هام جداً من الناحية الدولية. وهو أن كل المنطقة المشمولة بالامتياز الا القطع الأربع والعشرين، معروضة على الشركات والأفراد من كل الجنسيات. وقد سمحت الحكومة العراقية بفترة امدها ثلاث سنوات لدراسة كاملة يتم بموجبها اختيار القطع الأربع والعشرين، تبدأ في ١٤ ايلول من ١٩٢٥. وينبغي أن توضع كل النتائج والمعلومات الجيولوجية تحت تصرف كل من يطلب امتيازاً. وبعد مرور سنة واحدة، يفسح المجال لاي فرد أو شركة لطلب امتياز استثمار أي قطعة ضمن المنطقة والمناطق التي ستوضع في المزاد الدولي كل سنة.

ان اعظم الاحتمالات لكشوف هامة في الأرض المتنازع عليها تتركز في ثلاث بقاع متوازية تمتد من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي كما هي مبينة في الخارطة رقم (٩). والبقعة الجنوبية تمر من (مندلي) بأرض خارج حدود النزاع وتتبع خط جبل حمرين والبقعة الوسطى تمر قريباً من (كفري وطوزخرماتو) والبقعة الشمالية تمر من كركوك والموصل. والى شمال هذه البقعة الأخيرة عند مشارف (ألقوش) و(زاخو) تشير الصخور الكلسية الظاهرة على القشرة أن هناك احتمالاً بوجود النفط في تلك الأنحاء ويرجح أن أفضل الفرص لكشوف هامة توجد جوار (كفري وطوزخرماتو وكركوك) والسكة الحديد التي يجري الآن مدها من بغداد الى الموصل تمر بهذه المواقع الثلاثة وهي تمتد من الجنوب الى الشمال وقد اسلفنا انه بلغ مشارف كركوك في آذار الماضي.

اذا ما صارت هذه البلاد مركزاً نفطياً هاماً، فستواجه بطبيعة الحال ثورةً ونهضةً شاملة في أوضاعها الاقتصادية وسيطلب مقدار كبير من العمل لفتح الآبار وتشغيلها وسيحتتم زيادة انتاج المواد الغذائية. وربما لا يبقى في هذه الحالة فائض من الحبوب واللحوم للتصدير اذ سيجري استهلاكها في الداخل. وعندئذ سيدخل الفلاحون والرعاة عهداً من الازدهار والرخاء لامثيل له.

* * * * * * * *

الى هنا كنا قد قصرنا حديثنا على الوقائع الميسورة. ولإيضاح الغموض في موضوع الطرق التجارية في الأرض المنازع عليها بشكل يرتفع معه اي شك، رجعنا الى بعض الكتب التي نشرت قبل الحرب وهو ضمان حياؤها التام.

وتوجد مصادر المعلومات الأساسية في تقارير القنصلية الالمانية عن ولاية الموصل للسنوات (١٩٠٥ و ١٩٠٦ و ١٩٠٧) وسنورد منها تقارير السنة الأخيرة لأنها اكمل من أختيها. وتوجد تلك المصادر ايضاً في التقويم التركي الرسمي للعام ١٩١٢ وفي كتاب (فيتال كينييه: تركيا الآسيوية ط-١٨٩٢).

التقرير القنصلي الالمني للسنة ١٩٠٧ (مع طائفة من ارقام ١٩٠٥)

الصادرات

من الموصل الى-

الجهة	ليرات تركية
بريطانيا العظمى (العفص وغيره)	١٠٦٥٠٠
الهند (خيول وغيرها)	٤٢٥٠٠
فرنسا (صوف وغيره)	٧٣١٠٠
تريستا (متنوعات)	١٤٠٠٠
إيران (متنوعات)	٧٢٠٠
حلب ودمشق (اغنام وجمال)	١٠٦٠٠٠
طرابزون (براقع نسائية)	٢٠٠٠
ديار بكر وماردين وطرابزون (اصواف وحرائر)	١١٠٠٠
بغداد (قمح، شعير، خشب، عفص، وغيره)	١٣٦٠٠٠
سعد وبيدليس (متنوعات)	٥٠٠٠
سليمانيه (متنوعات)	٥٠٠٠
كر كوك (متنوعات)	٩٠٠٠
أستانبول (متنوعات)	٩٥٠٠
داخلية ولاية الموصل (ادوات مصنعة وغيرها)	١٠٠٠٠٠

الوارد الى الموصل من -

ليرات تركية	الجهة
٨٨٠٠٠	بريطانيا العظمى (منسوجات صوفية، ادوات حديدية، اثاث، أدوات معدنية، قهوة أمريكية، متنوعات)
٥٣٠٠٠	الهند (منسوجات و متنوعات)
٨٥٠٠	فرنسا (متنوعات)
٦٦٠٠	المانيا (متنوعات)
١٥٠٠٠	النمسا والمجر (طرابيش و متنوعات)
٢١٠٠٠	حلب ودمشق (صابون و متنوعات)
لا يوجد رقم	روسيا (نפט)
٣٦٠٠	إيران (سجاد و متنوعات)
٩٨٠٠	بغداد (تمر و حرائر و متنوعات)
١٧٥٠٠٠	ديار بكر و الجزيرة (خشب و عقص و متنوعات)
١٥٠٠	طرابزون (كتان)
١١٠٠٠	سعد و بل شقله (عقص و متنوعات)
٦٥٠٠٠	كر كوك و السليمانيه و انحاءها الداخلية (غنم و صوف و جلود)
٥٧٠٠	أستانبول (متنوعات للسنة ١٩٠٥ و لا يوجد للسنة ١٩٠٧) داخلية الموصل (غنم، صوف، حبوب، شعير، سمن) (ملح، متنوعات للسنة ١٩٠٥ و لا يوجد للسنة ١٩٠٧)

إن تدقيقاً للتقرير القنصلي الألماني هذا يوحى بعين ماتوصلنا اليه سابقاً من إستنتاجات:

- ١- من المستحيل اقتصاديا فصل مدينة الموصل عن منطقتها الداخلية الطبيعية.
- ٢- ليس هناك تجارة مباشرة مع تركيا الحديثة فعلاً.
- ٣- ان طريقي التجارة هما بغداد- الخليج الفارسي (بالدرجة الاولى) و سورية (وهو طريق اقل استعمالاً).

التقويم الرسمي للتركي للعام ١٩١٢
الصادرات من الموصل الى:

الكميات المصدرة	المادة المصدرة	البلد المستورد
٢٠٠٠٠٠٠٠ أقه (الأقه كيلو واحد و٢٨٣ غرام) لاتذكر الكمية لاتذكر الكمية	صوف قطن متنوعات	أوروبا اناضوليا
٤٠٠٠ رأس ١٥٠٠ رأس ٢٠٠٠ رأس	جمال جاموس بغال	سورية (حلب، دمشق، بيروت) ديار بكر وبيدليس وأرضروم
٢٥٠٠٠٠ رأس لاتذكر الكميات	اغنام فواكه واقمشة ورز وقطن	بغداد والبصرة
١٠٠٠٠٠ طغار (الطغار ٢٥٦ كيلو غراماً) ٦٠٠٠ طغار كثير (المقدار الحقيقي غير معروف) غير معلومة	قمح شعير تبغ خراف وجلود وثعالب وسنسار وزيتون ومتنوعات	الهند والسليمانيه
٢٠٠٠ رأس	خيول	إيران
الكمية غير معلومة	تبغ وجلود	

الوارد الى الموصل

الكميات المستوردة	المادة المستوردة	الجهة المصدرّة
؟	بضائع مصنعة	أستانبول (عن سورية)
؟	بضائع مصنعة	أوروبا (عن البصرة)
؟	شاي، توابل هندية، سجاد، شال	بومبي (عن البصرة)
؟	سجاد، شال، عباءات، الواح خشب	إيران (عن السلিমانيه)
؟	حرائر وپراقع	بغداد
؟	فواكه	ديار بكر
	قمح، شعير، رز، قطن، بطاطا، فاصوليا، قنب	قضاء (لواء) كركوك
	قمح، شعير، رز، ذرة، قنب، زبيب عدس	قضاء كفري [الى بغداد]
	قمح، شعير، رز، تبغ، عدس، قطن، قنب، [الى بغداد والموصل]	قضاء أربيل [يمتاز برخاء زراعي ويعرف بأنه مستودع حبوب بغداد]
	بضائع مصنوعة، سجاد، لُجُم خيل	سلیمانيه [ان تجارة هذه البلدة نظراً لموقعها الجغرافي ناشطة على طريق بغداد - إيران]

*** **

لا تزودنا الوثيقة التركیة بارقام عن التجارة مع أناضولیا الا عن الجمال والجاموس والبغال. يظهر من الثبیت المدون أنّفاً ان الاعنّام تصدّر الى سورية في حين يذهب معظم البضائع الأخرى الى بغداد ومايلیها.

وعن اقضية كفري وكركوك والسلیمانيه، تؤید الوثيقة التركیة إنحصار تجارتها ببغداد وقضاء أربيل يتجر مع بغداد والموصل وسيتضح ان مشاهداتنا الخاصة تتفق عاماً والسجلات التركیة الرسمية لما قبل الحرب.

فیتال كینیة: تركيا الآسیویة- ۱۸۹۲ هذا نص مقتبس من المؤلف نترجمه حرفياً:

«لولاية الموصل تجارة تصدير واسعة، وتأتي الحبوب وغيرها من الابزار الصالحة للغذاء بالدرجة الأولى كالقمح والشعير والفاصولياء والعدس الخ...»

ثم البلوط (وهو جوزة بلوطة هشة، تستعمل في أوروبا بعد ان تمر بعملية خاصة- لتركيب بعض انواع النشأ المقوي كالركّهوت) والفاكهة المجففة والعفص وغيره من مواد الصباغة والماشية والصوف والجلود التي تصدر ايضاً كذلك الخشب والمرمر والحجر الرملي الى آخه. وترسل الفاكهة المجففة والجص والحجر والمرمر والخشب الى بغداد. كما ترسل اليها الحبوب والابزار الصالحة للتغذية لتستهلك هناك موقعياً. وتجلب من الموصل نهراً بالكلك. وتستخدم عين الطريقة في نقل الجلود التي ترسل من بغداد الى أستانبول ثم الى الخارج عن طريق الموصل، فضلا عن غيرها من البضائع التي تقصد (مارسيليا) و(ليفربول).

وتظهر الصادرات السنوية عن ولاية الموصل في الجدول التالي المصنف بحسب طبيعة البضائع وزنتها وعددها. ولا يعزب عن البال ان بعض هذه السلع كالحبوب والاغنام والصوف والفاكهة وغيرها يأتي بعضها من ولايتي دياربكر وبدليس بالترانزيت عبر

العدد	الوزن بالكيلو	إسم البضاعة المصدرّة
	١٩٥٠ . . .	الصوف الخام (جُزَز)
	١٦٠٠ . . .	العفص
	٨٠٠ . . .	القطن الخام
	٥٠٠ . . .	شعر الماعز (تفتك)
	٨٠	صمغ الكثيراء
	٢٢	زيت
	٢٨٠٠٠	صابون
	٣٠٠٠	شمع
	٤٥٠	أفيون
٦٠٠		أغنام حية
٦٠		بقر وجاموس
٢٨٠٠٠		جمال
٩٠٠٠		بغال
٢٠٠٠		حمير
١٠٠٠		خيول مدرية
٢٠٠		جلود معز

العدد	الوزن بالكيلو	إسم البضاعة المصدرّة
١٦٠٠٠		جلود بقر وجاموس
٢٠٠٠		جلود سنسار
٣٠٠٠		جلود خراف
١٦٠٠٠٠		جلود معز مديبوغة زرقاء حمراء
٣٠٠٠		جلود غنم مديبوغة حمراء
٢٠٠٠٠		جلود غنم مديبوغة بيضاء
٢٠٠٠٠		قطع اقمشة قطنية مختلفة الالوان
١٥٠٠٠٠		قطع اقمشة قطنية زرقاء لبراقع النساء
	١٢٠٠٠٠٠	حنطة
	٦٠٠٠٠٠٠	شعير
	٦٠٠٠٠٠٠	رز
	١٥٠٠٠٠٠	ذرة
	١٨٠٠٠٠٠	سمسم
	١٦٠٠٠٠٠	عدس
	٧٥٠٠٠٠٠	فاصوليا ناعمة
	٦٥٠٠٠٠٠	فاصوليا خشنة
	٣٠٠٠٠٠٠	بطاطا
	١٣٠٠٠٠٠	جاودار (صمغ يؤخذ من الشجر)
	٢٥٠٠٠٠٠	ماش (حب اخضر)
	٣٠٠٠٠٠٠	بازلاء
	٤٥٠٠٠٠٠	فاكهة مجففة

الموصل بطريق دجلة. ومعظم هذه السلع يرسل الى بغداد والخليج الفارسي.
ان العدد والكميات المثبتة في الجدول تمثل المعدل التقريبي للسنوات الخمس الأخيرة.
وقيمة البضائع المصدرّة كما مثبت في الجدول قد تبلغ أربعمائة ليرة ذهب عثمانية تقريباً.

المستوردات: تتألف تجارة الإستيراد لولاية الموصل أساساً من المواد المصنوعة كالأقمشة القطنية والساتان والشال والقريز والكتان والمركبات الكيماوية والمعلبات الخ... وتأتي الاجواخ والالبسة الجاهزة غالباً من أستانبول وإنجلترا والنمسا وألمانيا، وفرنسا هي الدول التي تأتي منها البضاعة المستوردة أساساً.

القيمة بالليرات التركبية	بلاد المنشأ	المواد المستوردة
١٤٠٠٠	أستانبول- إيران	خيوط قطن وغزل قطن
٦٠٠٠	تريستا- بلجيكا	قضبان حديدية وحديد مصنوع
٢٠٠	السويد	فولاذ
٦٠٠	فرنسا- أستانبول	منتجات كيماوية
٤٠٠	فرنسا	جلد مدبوغ ومصقول
٢٠٠٠	النمسا - ألمانيا	البسة جاهزة
٣٠٠٠	إنجلترا - ألمانيا	اصواف مختلفة
٣٠٠٠٠	إنجلترا	سلع قطنية مختلفة
٤٠٠٠	أستانبول	طرابيش
٢٠٠٠٠	فرنسا- حلب	اقمشة حريرية وقطنية وغيرها
١٠٠٠٠	تريستا	ورق
٥٠٠	أستانبول	معجنات نشوية
١٢٠٠٠	أستانبول - أرضروم	ادوات منزلية وزجاجية
١٥٠	مارسيليا - تريستا	شموع
٦٠٠	روسيا	بتترول
٢٠٠٠	أستانبول	اصباغ
٦٤٠٠	فرنسا - إنجلترا	نحاس مطروق والواح قصدير وزنك
٢٢٠٠	بغداد	سكر
٢٠٠٠	بغداد	قهوة
٨٠٠	أستانبول	شوكولاته ومواد صيدلانية
٨٠٠٠	مختلف الدول	متفرقات

المجموع: ١١٠٤٥٠

ويسد المواطنون حاجاتهم بالمنتجات المحلية قدر المستطاع. ولذلك كانت المستوردات قاصرة على ماورد في السالف مع تقدير تقريبي لقيمتها بالليرات في العام (١٨٩٠).

(٣) الخلاصة والنتائج

الخلاصة:

- هذه المعلومات السابقة للحرب تؤدي بنا مع ملاحظتنا الخاصة لإستنتاج التالي:
- ١- تتبع التجارة العامة في الإقليم المنازع عليه سبيلين رئيسين اولهما وهو أكثرهما أهمية يؤدي الى بغداد والآخر الى سورية. وهناك تجارة مباشرة زهيدة جداً بين المنطقة المنازع عليها وتركيا الآسيوية بإستثناء مقدار معين من التجارة مع ولايات (ماردين وديار بكر وحكاري).
 - ٢- من الخطأ فصل الموصل عن بلادها الداخلية الطبيعية إلا أن قضائي زاخو والعمادية المجاورين للحدود سيعانيان اقل مما سيعاني الباقي في حالة فصلهما عن الموصل. ان الخطأ الاقتصادي الذي سيرتكب بحق دهوك عند فصله ستكون له عواقب وخيمة. ستبقى اوضاع هذه الأفضية الثلاثة مثلما هي تقريباً ان تحولت الى بلدان تركية متاخمة للحدود وقد سبق لها فكانت في اطار المجال الاقتصادي للموصل فلم يقض عليها عندما فصلت عنها.
 - ٣- ان مدينة الموصل بوصفها مركز التجارة العام للمناطق التي تكتنفها، تضار كثيراً بفصلها عن العراق كما ستضار بلدان اخرى مثل كركوك وكفري وسليمانيه التي كانت بغداد مركزها العام.
 - ٤- ان تجارة ألوية سليمانيه وكركوك وكفري، تكاد تكون كلها مع بغداد لانها سوقها الرئيسة وسيصعب جداً فصلها عن بغداد الا اذا ألقت مع الأجزاء الأخرى لولاية الموصل السابقة وحدة منفردة وارتبطت هذه الوحدة ببقية العراق (بغداد) بإتفاق خاص.
 - ٥- سيضار الجزء الشمالي من لواء أربيل الى حد ما بفصله اقتصادياً عن بغداد لكنه سيواصل تجارته مع الموصل. اما الجزء الجنوبي فله موصلاتته الاقتصادية الرئيسة مع بغداد.
 - ٦- لن تعاني الاقسام الجبلية الشمالية القليلة السكان من الإقليم المنازع عليه اذا

انفصلت عن العراق. فتجارتهما ستستمر دون اي عقبة مع العراق او مع تركيا او مع إيران.

النتائج:

من وجهة النظر الاقتصادية الصرفة، ترى اللجنة بأن التسوية الأكثر فائدة للإقليم المنازع عليه هو ربطه بالعراق. ان المناطق الجبلية شمال الخط الذي اتفق عليه في (بروكسل) يمكن ان يفصل عن بقية الإقليم بدون صعوبة تذكر. واذا دعا داعي الضرورة فبالإمكان فصل قضائي زاخو وعماديه وربما دهوك ايضاً.

اما اذا ارتوي لأسباب غير الأسباب التي شرحت في هذا الفصل بأن الاوفق تقسيم الإقليم المنازع عليه بين تركيا وبين العراق فإن التسوية التي قد تكون أكثر قبولاً من الواجهة الاقتصادية هي رسم خط الحدود شمال الزاب الأسفل بترك اقضية (كويسنجق وطقق وآلتون كوپرو) للعراق والإستمرار غرباً على طول خط ما لايهم التحرز والتدقيق في مكانه.

الفصل الرابع الحجج السوقية

تقول الحكومة البريطانية في مذكرتها التي تشرح الحجج السوقية والجغرافية:
إن خط الحدود الشمالي المقترح قد اختير بعد اخذ المتطلبات والدواعي السوقية بنظر الإعتبار وليس ثم خط آخر مثل هذا الخط بمعالمه الجغرافية يفصل بشكل حاسم دولة العراق الجديدة عن تركيا. إن خط التقسيم بإستثناء جزء صغير في الغرب، يمتد على طول الضفة اليمنى لنهري الهيزل والخابور، ويتألف من خط مستمر لقمم الجبال العالية تقوم بمثابة جدار حاجز لا يمكن اجتيازه عملاً في الشتاء بسبب الثلوج. ويتعذر ذلك الا من ممرات قليلة صعبة. هذا الجدار ولاسيما قسمه الشمالي يمثل خط تقسيم اثنولوجي واقتصادي بين الأصقاع التي تعتمد على العراق وبين تلك التي هي أقرب الى الشمال...
إن حماية الحدود المقترحة لو رسم خطها قريباً جداً من سهول العراق ستحتاج الى وحدات عسكرية كثيرة لاتحملها موارد الدولة العراقية الجديدة وقدراتها العسكرية. وفائدتها لا يتم تقديرها بحرمان بلاد عدوة قوية ارضاً هي بقدر ما يتعلق الامر بجيوش كثيفة (أرض حرام) وستبقى دائماً ارضاً خصبة للتأمر والاضطرابات العشائرية التي تنجم منها اذا وقعت بيد حكومات معادية.
ولما كانت ولايتا بغداد والبصرة تعتمدان على قمح الموصل فستظلان تحت رحمة الجيش التركي في ولاية الموصل ويكون بمقدوره فضلاً عن حرمان بغداد كل مواردها التموينية من الشمال - ان يختار ما يحلو له من عديد من الخطط الهجومية. وسيستطيع دونما صعوبة قطع الطريق الوحيد من بغداد الى إيران. إن جيشاً هذا شأنه يحتل جبال حميرين نفسها، في امكانه الحيلولة دون قيام دولة عربية بصورة مطلقة.

الإعتبرارات الأخرى متساوية متوازنة فخط حدود يصعب اختراقه إلا من طرق قليلة محددة المعالم سيكون لفائدة الطرفين حتماً»

وقد ورد الجزء الخاص بالحجج السوقية في المذكرة التركية على النحو التالي:

«ان الخط الذي اقترحتته الحكومة التركية حدوداً بين الأناضول وبين العراق في الوقت الذي كان تحصيل حاصل لحقوق تركيا الثابتة الموغلة في القدم والمؤيدة بإرادة السكان قدر ماهي مؤيدة بالإعتبرارات المختلفة التي سردناها سابقاً تتعلق ايضاً بإعتبرارات سوقية. انها قسمة طبيعية واضحة بين قطرين». والحجة القائلة بأن هذه الحدود قد تهدد بغداد ومواصلاتها مع إيران حجة ليس لها كبير وزن. ولا حاجة تدعو الى ايراد امثلة عن عواصم ومدن هامة تقع على الحدود أو بالقرب منها وتكفي الاشارة الى ان الخط الذي اقترحتته الحكومة التركية لايعرض بغداد الى خطر اكبر من اي خطر قد تتعرض اليه بسبب قربها من الحدود الإيرانية. والزعم بوجود تهديد للعراق اقل تبريراً على ضوء القول بأن تاريخ القرنين الأخيرين قد اثبت حقيقة الرأي المعاكس. ليس لتركيا اي مطمح في البلدان المجاورة باي شكل كان وقد حاولت دوماً ان لاتلجأ الى سياسة الفتوح وان تقصر مجهودها على الدفاع عما ورثته وهو الميراث الذي كان محط اطماع الآخرين. ونكاد لانجد ضرورة للقول بأن الجمهورية التركية وهي دولة قومية تتألف من الترك والكرد لم تفكر بمهاجمة بلاد سكانها عرب فكيف بفتحها.

«ان الحكومة التركية لاترغب في فتح باب مناقشة ما يسمى بالفوائد السوقية لحدود ترمي الى حرمان تركيا ولاية الموصل، غير آخذة في الحساب حقها الصريح في تلكم الولاية. وعلى اية حال فتركيا لايسعها ان تتغاضى بصمت عن كل الإعتبرارات العامة التي تلقي ضوءاً كاشفاً على مدلولات أسباب الحكومة البريطانية الحقيقية التي وردت في مذكرتها».

«إن هذه الحكومة تزعم بأن الخط المدعى به هو حدود مثالية لانه يتألف من قتل جبال شاهقة تقوم بالفعل حاجزاً لايقتمح في الشتاء بسبب الثلوج، ولايكن عبوره صيفاً الا من ممرات معدودة صعبة المسالك. وان

هذا الحاجز سيؤمن للعراق افضل الفرص للأمن والتقدم السلمي. وعلى كل حال فثم المبدء السوقي المعروف وهو ان الجيوش كقاعدة عامة لاتختار خط زحف شديد الوعورة صعب الاجتياز فهي على الأغلب تختار الوديان والسهول.

«ولنسلمّ جدلاً بان جبال حكاري قد تصلح حدوداً بصرف النظر عن كل الأسباب التي جندت لتفضيل الخط الذي اقترحتة الحكومة التركية، فإن الدفاع عن العراق لن يسهل به، لأنّ القوات العسكرية التي قد تعتمد الدولة العراقية الى وضعها في تلك المناطق لاتستطيع منع جيوش العدو من غزو العراق على إمتداد الوديان والسهول. كما ان المنافع التي تنطوي عليها حدود هذه صفتها لدولة أجنبية تملك تلك المنطقة الجبلية لغرض اثاره قلائل يحتمل اثارها بين السكان الشماليين هي منافع لايمكن نكرانها أو اغفال أمرها.

ولاشك في ان الحدود المثالية بين تركيا والعراق من الواجهة السوقية ستكون في هذه الأحوال حدوداً يتحتم ان تأخذ بنظر الإعتبار حقوق سكان الولاية الشرعية.

الملاحظات:

من الثابت ان الخط الذي اقترحتة الحكومة البريطانية هو حدود سوقية ممتازة فنظراً الى شكل الحدود السورية هناك شريط من الأرض يكاد لايبليغ عرضه عشرين كيلومتراً هو الطريق الوحيدة التي يمكن ان يسلكها اي جيش يهاجم العراق من أناضوليا أو بالعكس. ان المنطقة الأكثر كثافة بالجبال الكائنة بين الحدود المقترحة وبين بحيرتي (وان وأورميه) لاتفسح مكاناً لحشد الجيوش، والمسالك الممتدة من هذا الصقع الى الإقليم المنازع عليه تتألف كلياً من طرق أو ممرات صعبة في الصيف وممتنعة في الشتاء. ان جيشاً تركياً يعتزم غزو العراق لن يعتمد الى حشد وحداته في هذا الصقع حيث المواصل صعبة جداً ولامفر له من اختيار منطقة تحشده في (ديار بكر وبدليس وماردين) قرب السكة الحديد التي تنتهي الآن بنصيبين.

ومن الواجب على كل حال ان يلاحظ وجود صقع جبلي يتراوح عرضه ما بين سبعين كيلومتراً وثمانين بين الحدود الشمالية التي اقترحتها الحكومة البريطانية وبين سهل

الموصل وستكون غلطة سوقية يرتكبها اي مدافع عن هذا السهل اذا تقدم الى داخل هذه المنطقة الجبلية التي لاتصلح للعمليات العسكرية بسبب تضاريسها الأرضية واستحالة تأمين مواصلات جانبية لها.

ولنا والحالة هذه ان نقر بان لخط (بروكسل) عين المنافع السوقية تقريباً كالحودد الشمالية التي اقترحتها الحكومة البريطانية وان كل الخطوط التي ترسم على طول السلاسل الجبلية المتوازية كما وصفت في القسم الجغرافي من هذا التقرير، قد تعد كذلك حدوداً سوقية مقبولة وان قلّت قيمتها كلما ابتعدت جنوباً.

واما عن الحدود التي اقترحتها الحكومة التركية فهي تقع في قطاعين: قطاع يتجه الى غرب دجلة عابراً الصحراء حيث يكاد يكون توج الأرض ملحوظاً. وقطاع بين دجلة والحدود الإيرانية في منطقة مأهولة بعدد لا بأس به من السكان ذات موارد محلية.

والصحراء تؤلف حدوداً سوقية ممتازة بطبيعة الحال كما اكدت وقائع الحرب العظمى. اما القسم الشرقي من دجلة فقيمتها السوقية لاتذكر والطريق الرئيس الذي يخترقه سبق ان استخدمه (كزينفون) وآلافه العشرة كما استخدمته جيوش الاسكندر الكبير، كان قد استخدم في سائر العصور لجميع العمليات العسكرية في هذه البلاد.

ان سلاسل الجبال التي تنقطع بعضها عن بعض بوديان واسعة في كثير من الأحيان ولاسيما في جنوب الإقليم المنازع عليه تتجه من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي. ويجري في هذه الوديان انهار ذات قيعان منخفضة ليس فيها ما يقوم عقبه جدية فالواضح والحالة هذه ان اي حدود ترسم جنوب الموصل معقبة المياه اعني متجهة عموماً الى سلاسل الجبال، ستكون حدوداً سوقية ضعيفة.

الفصل الخامس الحجج السياسيّة

(١) آراء الأهالي:

أولت الحكومة التركية وزناً كبيراً لأهمية رغبات الأهالي في الإقليم المنازع عليه وكانت حجتها الكبرى التي وضع فيها أكثر ثقلها هي ان الإقليم يجب ان يبقى في حيازتها لأن ذلك هو رغبة السكان واكدت بأن الكرد الذين يؤلفون مع الترك اغلبية سكان الإقليم المنازع عليه يفضلون جداً العيش في تركيا كما كان شأنهم منذ أجيال عديدة ومن المحتمل ان يميل العرب ايضاً نحو تركيا، وعلى أية حال فلو جمعوا مع الطوائف غير المسلمة فسيكونون اقلية ولذلك ليس من العدل في شيء ضم الموصل الى العراق بسبب وجود هذه الاقلية في الإقليم.

وتسند الحكومة البريطانية حججها السياسية كذلك الى وجهات نظر الأهالي بمدى واسع كما تتصورها هي مؤكدة بأن العرب يفضلون كثيراً الانضمام الى دولة العراق العربية كتلة واحدة وان اليزيدية واليهود يشاركونهم هذه الرغبة في حين يمتلك المسيحيين العرب من فكرة تسليمهم الى (أنقره) (لورد كرز في لوزان - ٢٣ كانون الثاني ١٩٢٣) وأما عن الكرد فتؤكد الحكومة البريطانية انهم لا يرغبون في العيش ضمن تركيا كما دلت على ذلك ثوراتهم المتعاقبة وكما كشف عنه إستفتاء العامين ١٩١٩ و ١٩٢١.

في فصل سابق من هذا التقرير برهنت اللجنة على استحالة إجراء الإقتراع الذي تفضله الحكومة التركية ومع هذا فقد بذلت اقصى ما في طوقها للتأكد من آراء الأهالي المعنيين ولهذا الغرض استجوبت عدداً كبيراً من الاشخاص معظمهم جرى انتقاؤهم من القوائم التي قدمها المستشاران البريطاني والتركي وجاهدت في المراكز الرئيسة للمناطق الأكثر اتساعاً من البلاد ولاسيما في مدينة الموصل لأجل التأكد من آراء الاشخاص الذين هم على درجة ما من الشقافة والنفوذ كالوجهاء والرؤساء

الروحانيين والمنتخبين الثانويين (في ايام الحكم التركي كانت تجري الإنتخابات على الطريقة غير المباشرة) وملاكي البيوت والقرى ومن لف لفهم. وواجهت ايضاً عدداً من الشهود قدمت اسمائهم بوصفهم وجهاء وذوي مكانة وعنيت اللجنة باتخاذ كل وسائل الحيلة لضمان سرية الآراء التي أدليَ بها لاشاعة الثقة والاطمئنان في نفوس الشهود. وبلغ مجموع ما استجوب من الاشخاص على انفراد حوالي ثمانمائة.

وجابهت اللجنة في بداية عملها صعاباً جديّة يعزى قسم منها الى إحجام كثير من الشهود عن الافصاح عما يجول في أنفسهم. ومنها يعزى الى ان عدداً كبيراً من التصريحات قد تأثرت في الواقع بمختلف العوامل التي أثارت بعض الشكوك في اصالة الأجوبة.

وبصرف النظر عن تشجيع أعضاء اللجنة الشهود ومحاولتهم اشاعة الاطمئنان في نفوس المستجوبين بالتأكيد لهم بأن كل اقوالهم ستظل مكتومة. فإن الخوف من العقاب كان كبيراً جد واسع ولوحظ بنوع خاص وجود خوف من عقاب السلطة الحالية في البلاد. ووجد أكثر من مرة ان الشاهد يحبذ تركيا في السر مفصلاً عن رأيه همساً ليرفع صوته بعدئذ محبذاً الحكومة العراقية كي يبلغ صوته أذان الواقفين في الخارج. ولاشك ايضاً في ان هذا التردد في اعطاء رأي يعود أحياناً الى الخوف من عقوبات قد ينزلها الترك فيما لو عادوا الى البلاد على ان هذا الخوف لم يمنع اي شاهد مسيحي من الإعراب عن رأيه بصراحة. ثم اخذ هذا الخوف يتبدد ويزول شيئاً فشيئاً حتى بات غير ملحوظ. وسرعان ماكسبت اللجنة التي شك أحياناً بانها لجنة حكومية متنكرة - ثقة السكان ولذا اقبل الشهود على ابداء ارائهم الا القليل - في الفترة الأخيرة من التحقيق.

ما من شك في ان المصالح الشخصية كانت ذات اثر عظيم في الآراء أحياناً. فمن كان يعتبر نفسه من ذوي الخطوة عند السلطة أيد العراق في حين اظهر ميلاً الى تركيا أولئك الذين حاولوا عبثاً الحصول على وظائف عامة أو نيل اية مكاسب أخرى. وأثر على الآراء ايضاً الحزازات بين زعماء القبائل وفي بعض الحالات كان الشهود يسألون عضواً من اللجنة عما قاله الشخص الفلاني ليعطوا رأياً مخالفاً لما أدلي به نكايه وثأراً. وفي مناطق معينة كان واضحاً ان أخلاق الموظفين الشخصية أو إجراءات إدارية معينة (كتعيين موظفين عرب او كرد في مناطق كردية) كانت تقرر انحياز الأهالي الى

صفّ العراق والدولة المنتدبة.

وكان لبناء البلاد الإجتماعي أثره البالغ على مسلك كثير من الفلاحين ورجال العشائر. ففي عدد كبير من الحالات لم يكونوا يفعلون أكثر من إحالتنا الى زعمائهم القبليين أو الى مالكي قراهم. ولذا اضطررنا في أغلب الأحيان الى التوجه باستئتنا الى هؤلاء الأشخاص لأنهم كانوا يمثلون عدداً كبيراً من الأهالي. لكننا لم نستطع التأكيد دائماً فيما إذا كان نقلُ الزعماء وملاك الأراضي آراء القبليين والفلاحين أميناً. وعجز عدد من الشهود عن فهم السؤال الذي ما كان يعرفُ عنه شيئاً ولا عن الدافع اليه. وأجاب شخص سألناه، قائلاً أنه أراد الإدلاء بمثل ما أدلى به شخصان آخران ذكرهما. مع أن هذين الشخصين أدليا في الواقع برأي يخالف رأيه. وفي حالات أخرى كان تأثير دعاية سلطات معينة واضحاً الى الحد الذي ماعاد للآراء المستحصلة أية أهمية. وفي بعض المناسبات كان أعضاء الوفود الذين قدموا للإعراب عن رغبتهم الشديدة في الإنضمام الى العراق يصرحون في الخفاء أنهم من أشدّ أنصار الترك، لذلك قررنا أن لانعير إهتماماً للوفود أو للعرائض.

هناك شهود أستجوبوا مرتين فانقلبوا في الإستجواب الثاني على الرأي الذي أدلوا به في السابق. وكثيراً ما وجدنا الفلاحين يقولون أنهم يريدون أن يكونوا ضمن الدولة التي ستكون فيها عاصمة اللواء (يقصدون الموصل).

ومجمل القول كان من الصعب تقدير أهمية مختلف الشهود وقيمة شهاداتهم. وكقاعدة عامة كُنّا نطلب من الشهود الإدلاء بالأسباب التي تحملهم على قول ما يقولون وكثيراً ما كانت هذه الأسباب ذات ميزة خاصة إذ تعطي بعض الفكرة عن المستوى الثقافي للشاهد وعن أصالة رأيه.

وكسبب لرأي أدلى به كثير من الشهود لتفضيلهم العراق، هو أن الأمن والنظام مستتبان بشكل لم يكن معهوداً أيام الحكم التركي وأن التعليم قد تطور كثيراً وزادوا على هذا قولهم أن الفضل في تحسن الأوضاع الحالية يعود الى السلطات البريطانية.

وأفاد شاهدان أو ثلاثة، أن السبب في تأييدهم العراق يعود الى إلغاء التجنيد الإجباري. وإنحاز آخرون الى العراق معللين انحيازهم بافتراض كون الحكومة العراقية أقوى الحكومتين لأنها نجحت في إحتلال البلاد، وإنه لمن المستحسن أن ينتمي المرء الى الدولة القوية.

وأدرکنا فوراً أن بعض شیوخ العشائر في مناطق قصیة فضّلوا الحكومة التركية لأنهم كانوا يتمتعون بقدر من الإستقلال یزید عما يتمتعون به الآن.

وكتیراً ما ألمح الى الأسباب الأقتصادية أشخاص على حظ من الثقافة عادةً وكان معظم أسباب الميل الى العراق یستند الى أهمية العلاقات التجارية مع بغداد ویجب أن نضيف على كل أن إخلاص هذا الصنف من الحجج لم یكن بنجوة عن الشك دوماً. كانت الحجج الإقتصادية التي قدّمتها الحكومة البريطانية معروفة جيداً في المنطقة وكانت أحياناً تذكر لإضافة وزن الى رأي الشاهد. وفي حالة واحدة رفض الزعماء الجواب عن سؤال إقتصادي بحت یتعلق بالطرق التي تمرّ بها صادرات الأغنام - زاعماً أن السؤال سیاسی.

ووقع الترك وكثیر من الكرد والعرب تحت تأثير المشاعر الوطنية أو بالأحرى أيقظتهم المشاعر القومية المتعاطمة وكان تفضيلهم مبعثه الإخلاص وإن لم یكن دوماً حصيلة تفكير ناضج. أخيراً علينا أن نضيف: في حالات متفرقة قليلة كان الخوف من الحكومة سبب التفضيل. ولاحظنا أن فلاحی منطقة واحدة أظهروا أعظم السرور لفرصة مقابلتهم المستشار التركي التي أتاحتها لهم اللجنة وكان ممثلوهم قد إقترحوا إجماعاً الى جانب العراق.

*** **

فلنجد الآن نتائج التحقیقات في مختلف الألوية وبعدها نتصدى الى النتائج العامة التي یجب إتخلاصها من التصريحات.

لقد عبّر لواء السليمانیه عن أدق الآراء وأقطعها. فالتكوين القومي فيه حسب آخر أحصاء هو بأرقام تقريبيّة كما يلي:

٧٥	عرب
١٨٩٩٠٠	كرد
١٥٥٠	ترك
١٩١٥٢٥	المجموع

من قابلناه في هذا اللواء أعلن عن ميله الى الحكومة العراقية بإستثناءات قليلة ولم تنقسم الآراء إلا في قضاء [چمچمال] الذي یحد لواء كركوك ويرتبط به إدارياً.

اقتنعت اللجنة بشكل جازم أن رغبات الأهالي قد عرضت بحرية. ومع

ذلك لم تجد فيهم أي ميل خاص نحو الحكومة العربية. لقد رفضوا الإتحاد بتركيا وأعلنوا عن رغبتهم في وحدة اقتصادية فحسب ضمن الإطار العراقي. إن فيهم ميلاً واندفاعاً قوياً للحكم الذاتي والمطالبة بإستعمال اللغة الكردية في التعليم والإدارة والمحاكم.

وكان ثم الشعور أيضاً بضرورة الإحتفاظ بمعاونة المستشارين البريطانيين فترة مليية من الزمن ورفضوا رفضاً باتاً إحتمال قيام حكومة محلية دون المساعدة الأوروبية. وجدنا في هذا الإقليم شعوراً وطنياً كردياً وإن كان بعد فتياً فهو معتدل ومعقول. وإن أعرب الأهالي عن رغبتهم في الإستقلال التام بوصفه اسماً غاية فقد كانوا من الجهة الأخرى مدركين فوائد الوصاية الواعية الحصيفة.

وما من شك في أن كفاءة الإداريين البريطانيين في هذا الإقليم وحسن تبريرهم كان لهما الأثر الكبير في حالة الأهالي الفكرية. في لواء كركوك كان الإجماع أقل. ولكن الآراء كانت أصعب على التحليل بما لا يقاس. إن التكوين القومي لهذا اللواء هو كما يلي:

٣٥٦٥٠	عرب
٤٧٥٠٠	كرد
٢٦١٠٠	ترك
٢٤٠٠	مسيحيون
١١١٦٥٠	المجموع

أعلن المسيحيون كإخوانهم في المناطق الأخرى تفضيل العراق [بشروط معينة سنشير إليها فيما بعد] والترك الذين يعيش معظمهم في مركز اللواء وفي الأماكن القريبة من الطريق الذي يصل [آلتون كوپرو بكفري] أعلن معظمهم تفضيلهم تركيا. وإن آثرت أقلية منهم العراق لأسباب اقتصادية.

وإنقسمت الآراء بين الشهود العرب والكرد. قد يكون متوقفاً أن يفضل معظم العرب الإنضمام الى العراق لكن الواقع هو أن عدداً كبيراً من آرائهم، كانت الى جانب تركيا.

ولو أحصينا الآراء الكردية مجرد أحصاء بدون تحليل فسنجد أغلبية يُعتدّ بها،

تركية الميل ومن الناحية الثانية تشير آراء زُعماء الكرد الكبار الى انهم أكثر ميلاً الى العراق. وعلينا أن نستدرك فنقول أن عدة شيوخ من هؤلاء ذكروا أنهم يتسلمون إعانات مالية من الحكومة العراقية لحراسة الطرق.

وكقاعدة عامة ظهروا وكأن الأصوات أعطيت بحرية ونفود السلطة لم يكن محسوساً جداً. ويكشف لنا لواء أربيل عن الأرقام التقريبية التالية:

١١٧٠٠	عرب
١٧٠٦٥٠	كرد
٢٧٨٠	ترك
٣٩٠٠	مسيحيون
٢٧٥٠	يهود
١٩١٧٨٠	المجموع

من هذا اللواء كانت وجهات النظر السياسية لمعظم قضاء كويسنجق تلفت النظر. فأغلبية أهاليه تتبنى عين المطامح التي وجدناها عند أهالي السليمانيه. وكان فيه عدد لا يستهان به من الرؤساء المتعلمين. ويسكن القضاء نحو ستين ألف نسمة أغليبيتهم الساحقة من الكرد. وفي قضاء أربيل (المركز). فضل تركيا كلُّ الترك من سكان المدينة وكل السكان الذين هم من أصل تركي على العموم. وهو رأي يشاركهم فيه عدد كبير من الكرد والعرب. على أن زعماء القبائل الكردية لم يكونوا ليرضوا بديلاً عن دولة كردية حرة تحت الوصاية الأوروبية وهم يفضلون بريطانيا.

وكان ثمَّ بعض من رغب في الضم الى العراق شريطة إبقاء الإنتداب البريطاني فإن لم يتحقق الشرط، فهم يفضلون حكومة تركية على اية حكومة عربيّة. وإن نحن أخذنا آراء هذا القضاء ككل فقد أظهرت أغليبيته رغبة تركية.

وكان سكان قضاء [رواندوزا] القريب من الحدود التركية أكثر تأخراً من سكان الأقضية الأخرى وفضل معظمُ الشهود العراق ولكن يصعب جداً تقدير مدى ما كانت درجة فهمهم للسؤال. وعلى كلِّ فليسبب موقع هذا القضاء الجغرافي نرى أنه يجب أن يكون مصيره مثل مصير قضاء المركز.

وفضل اليهود وغالبية المسيحيين في أنحاء اللواء كافة حكومة عراقية تحت

الانتداب. ان التكوين القومي للواء الموصل أكثر تمازجاً واختلاطاً وهو كما يلي:

عرب	١١٩٥٠٠ [منهم ٤٧٠٠٠ في المدينة]
كرد	٨٨٠٠٠
ترك	٩٧٥٠
مسيحيون	٥٥٠٠٠ [منهم ٤٠٠٠ في المدينة]
يهود	٧٥٥٠ [منهم ٤٠٠٠ في المدينة]
المجموع	٣٠٦٠٠٠ [منهم ٩٦٢٥٠ في المدينة]

اظهرت اولى نتائج التحقيقات ان لوجود ثم لشعور وطني عراقي في الإقليم المنازع عليه الأ عند فئة من العرب أتوا حظاً من الثقافة محدود. هذا الشعور العربي نفسه كانت تشوبه ميول شوقينية، وروح تعصب ضد الأجانب. ووجدنا عند الكرد وعياً قومياً متنامياً، شعور كردي بأدق ما في هذه الكلمة من معنى لايميل الى العراق وهو شعور أكثر تطوراً واقوى عوداً في الجنوب. يتناقض كلما ابتعد المرء شمالاً حتى يتلاشى في سهل الموصل وعند قدمات [عقره]. ان مثل هذا الوعي قوي نوعاً ما عند ترك الولاية ايضاً.

إن الافتقار الى شعور عراقي وطني على أي مستوى يفسر العدد الكبير من تلك الآراء التي لا تفضل البقاء مع العراق إلا بشروط. وكما سبق فأوضحنا أن أشد القوميين العرب تعصباً يفضلون تركيا على عراق تحت الحماية الأجنبية. ومن الناحية الأخرى يقول عدد كبير من زعماء المسيحيين ان شكهم بحكومة تركية اقل من شكهم بحكومة عراقية غير خاضعة لحماية اوروية. وقد وجدنا عين الميول عند اليزيدية وطلب كرد السليمانيه حكماً ذاتياً محلياً واسع الحدود بمساعدة مستشارين بريطانيين. وبالاجمال فالآراء التي فضلت العراق كانت مدفوعة بالمصلحة الخاصة أو بمصلحة المجموع أكثر مما دفعتها جامعة الوطنية.

ومع ان الانصاف يقضي بالقول أن المشاعر التي انتصرت للعراق كانت فاترة بعض الفتور وأنه لم يكن هناك شك في عدم صحة تأكيد الحكومة التركية على رغبة السكان فيها. فالرأي عند الكرد منقسم ومجموعة السليمانيه وما جاورها التي رغبت في الحكم الذاتي ضمن الدولة العراقية، تتألف تقريباً من نصف المجموع الكلي لسكان

الولاية، وقد وجدنا حتى بين الترك أنصاراً لبغداد. وهكذا فخلافاً لإدعاء الحكومة البريطانية، لم تكن اللغة ولا القومية دليلاً يوثق به دوماً على وجهات النظر السياسية وكثير من الطبقات العربية الفقيرة إنحازت الى الترك. وكان التصريح بهذا الولاء يقترن عادة بتعابير عاطفية حارة.

هنالك نقطة أخرى وهي انه يكاد لا يوجد منطقة واحدة تحتوي على عدة نواحٍ متجاورة (عدا لواء السليمانية) وفيها ما يقرب من الإجماع على تفضيل أحد طرفي النزاع. ومع أن الغموض يشوب النتائج النهائية فإنه مع هذا يكشف بوضوح ضعف الحججة التركية عندما تريد أن تتعلل بها بخصوص الولاية كلها. لكن لو أخذنا القوميات والمناطق كلاً على حدة، فلن نجد لها توييد وجهة النظر البريطانية تأييداً مطلقاً.

(٢) المسألة الآشورية

١- خلاصة الحجج: لم تُثر في [لوزان] قضية إعادة الآشوريين النساطرة الى وطنهم شمال حدود ولاية الموصل، وإنما صدر من [لورد كرزن] مجرد تنويه بهم في «مذكرة حول الموصل» موجهة الى [عصمت پاشا] مؤرخة في ١٤ كانون الأول ١٩٢٤. قال: «إن النساطرة الذين طردتهم العساكر التركية من منطقتي [جوله ميرگ] والحدود الإيرانية أثناء الحرب ومات منهم ألوف أثناء هربهم الى العراق مقرهم الحالي، سيقاتلون حتى الموت ليحولوا دون ضمّ مناطق سكناهم الى أناس هم بالنسبة لهم رمز الإضطهاد» فردّ [عصمت] قائلاً «إن النساطرة أساؤوا التصرف عندما أغارت جيوش روسيا القيصريّة على ولاية [وان] إزاء المسلمين شركائهم في الوطن، أولئك الذين عاشوا معهم بوتام وأمن تام قرونًا عديدة. لقد اتسم تصرفهم هذا بالوحشية والغدر، مما أضطروا معه الى ترك البلاد صحبة الروس عند تقهقرهم [مذكرة عصمت پاشا الى لورد كرزن بتاريخ ٢٣ كانون الثاني ١٩٢٢، والمحاضر - المجلد الأول: الصحيفة ٢٨٢].

ولم تثر الحكومة البريطانية المسألة إلا في مؤتمر القسطنطينية المنعقد في شهر أيار ١٩٢٤ عندما إتخذتها حجة لتوسيع الحدود العراقية.

وفي بداية شهر نيسان ١٩٢٤ أبلغت الحكومة البريطانية حكومة العراق بإعتزامها طلب اقتطاع جزءٍ من الأراضي الآشورية وإلحاقه بالعراق. وفي عين الوقت شرحت الفوائد التي سيجنيها العراق من وجود شعبٍ محاربٍ متحدٍ بالعرب بروابط من الصداقة والشعور بالجميل على حدوده الشمالية. وسألت هل أن حكومة بغداد مستعدة

لتؤمن بعض الأراضي المتروكة في المناطق الشمالية للآشوريين الذين لم يتم إستقرارهم إذا تطلب الأمر ذلك بشروط حسنة؟ وسألت الحكومة البريطانية أيضاً. هل إن الحكومة العراقية مستعدة لمنح كل الآشوريين عين الإستقلال المحلي الذي تمتعوا به قبل الحرب في الظلّ الحكم التركي؟ فردت الحكومة العراقية في ٣٠ نيسان بالايجاب.

وشرح [سر پرسی كوكس] الاقتراح البريطاني الجديد في [مؤتمر القسطنطينية، ١٩ أيار ١٩٢٤] بالعبارة التالية:

«... إضافة الى ماتقدم وما دامت المفاوضات في لوزان قد انقطعت. فإن مشكلة واحدة تزايدت أهميتها في عين حكومة جلالته. واعني بها مستقبل الآشوريين بإستثناء من كان في البلاد الإيرانية. ترى حكومة جلالته بأقوى دافع من الشعور بالمسؤولية أمر ضمان إستقرارهم بشكل يحقق لهم أمانهم القومية ومطالبهم المعقولة قضيةً واجبةً، فإن حكومة جلالته لاتستطيع التغاضي عن ندائهم الحار بطلب استقرارهم في وطنهم السابق تحت الحماية البريطانية. وبالغ ما بلغ وقع هذا الحلّ الطيب على العالم المسيحي كافةً فإن حكومة جلالته لاتتمكن لأسباب مختلفة من التفكير بتوسيع نطاق مسؤولياتها الى هذا الحدّ الخطير، في الوقت الذي لاتبدي أي أستعداد للأستجابة الى كامل مطالبهم. لهذا قررت حكومة جلالته وبهذه المفاوضات أن تحاول تأمين حدودٍ تحقق من جهة المتطلبات معترف بها لمعاهدة حدودٍ جيّدة، وتسمح من جهة أخرى بتوطين الآشوريين في مجتمع واحدٍ ضمن حدود الأراضي التي ستتولى حكومة جلالته الإنتداب عليها تحت إشراف عصبة الأمم. وإن لم يتسنّ تأمين هذا الوطن في مساكن اسلافهم فليكن في مناطق مجاورة على كل حال. إن هذه السياسة المرسومة لإستقرار الآشوريين تحظى بموافقة الحكومة العراقية وتعاونها الكامل. وهي من جهتها مستعدة لتقديم المساعدة الضرورية لتحقيق هذه الغاية. لذلك فقد تسلمت تعليمات للإدعاء بحدودٍ مؤشرة على الخريطة التي أبسطها الآن أمامكم».

وواصل [سر پرسی كوكس] كلامه قائلاً أنه يميل الى الإعتقاد بأن الحكومة التركية مستعدة للموافقة على إقتراح الحكومة البريطانية، لأن الإدارة والسيطرة على هذا الصقع المشحون بالعداء والإضطرابات، بالمجتمعات التي تعيش فيه كان مصدر احراج

دائم للحكومة التركية في الماضي ومصدراً لا ينضب معينه للاحتكاك مع الدولة العربية. وأمع بأن هذا الاقتراح لا يمثل أقصى إدعاء يمكن تقديمه نيابة عن الأقليات المسيحية، فالواقع إن الخطّ كان قد رسم بدافع رغبة قوية لمواجهة رغبات الحكومة التركية بقدر الإمكان. فإن لم يتم التوصل الى إتفاق على خطوط الاقتراح المقدم الآن الى الحكومة التركية، فسوف تحتفظ الحكومة البريطانية بكامل حريتها في العمل بخصوص الحدود التي قد تطالب بها أمام عصبة الأمم.

وفي جلسة ١١ آيار ١٩٢٤ تضمن خطاب [فتحي بك] الرد التالي حول المسألة الآشورية:

بعد افصاح فخامتكم عن الرغبة في مواصلة المفاوضات عند النقطة التي تركها [لورد كرزن] في [لوزان] أجدكم الآن تتركون هذا الموقف لتثيروا مسألة جديدة هي مسألة مستقبل الآشوريين. وضماناً لمستقبلهم طلبتم إلحاق اراضٍ معينة يرفرف عليها الآن علم الجمهورية التركية، بالاراضي التي هي تحت الحماية البريطانية. فإن قلتُ أنّ طلبكم هذا لم يسلمني الى الدهشة فإنني أخالف الحقيقة. »

ذكر رئيس الوفد البريطاني في لوزان الرغبة التي تخالج حكومة جلالته بمنح الحكم الذاتي للشعب الكردي. وفخامتكم الآن تعرض مطالب للآشوريين. فلعلك تسمح لي بالإشارة على كلّ حال الى إنك لم تلحظ عند بسط هذه المطالب أنّ الآشوريين يؤلفون أقلية تكاد لاتذكر في الولاية الموصل. وأنكم بدفاعكم عن مصالح هذه الأقلية لم تولوا مثل هذه العناية الشديدة التي تطلبها المسألة لأمانى أغلبية كبيرة جداً واعني بها الترك والکرد.

ان الوفد التركي لا يجد سبباً معقولاً لاقتطاع مئات الألوف من الترك والکرد وفصلهم عن بلادهم الأمّ لاجل وضع عشرات قليلة من الألوف بعضها مهاجر من إيران - تحت الحماية البريطانية

ان الآشوريين مسيحيون ولذلك لايفوتني فهم الدافع الذي يحمل الحكومة البريطانية على معاملتهم بهذا الشكل الخاص. مع هذا فإن الوفد التركي سيسير الى أنّ المواطنين جميعاً وبغض النظر عن الدين والقومية يتمتعون بحقوق متساوية وان امانى الشعوب الوطنية التي لايمكن خنقها يجب في رأي الوفد توضع فوق كل الإعتبارات الأخرى. فهو في الوقت

الذي يقدر تلك النوايا الانسانية التي ابدتها الحكومة البريطانية لحماية المسيحيين يشعر أن من واجبه القول بأنه لا يستطيع ان يفهم كيف تريد تلك الحكومة التضحية بمصالح المسلمين لهذه الغاية. لقد تكرمت فذكرت ان الادارة والسيطرة في تلك الاصقاع الوعرة كانت دائماً مصدر حرج ومتاعب للحكومة التركية، وليس في وسعي ان أتذكر أي مصاعب خطيرة واجهتها الادارة التركية التي أقامت قروناً في ذلك الإقليم. ويصعب جداً ان أتذكر اي مناسبة عومل بها موظف تركي معاملة بعيدة عن الإحترام والأعتبار. وعلى كل حال لو كان الغرض الإداري سبباً للتنازل عن الأراضي، فلي الحق أن اذكركم بدوري بما تعرضت له الإدارة البريطانية من العصيان المسلح والاعتداءات خلال السنوات الأربع أو الخمس الأخيرة في العراق. واني لأرغب أيضاً في القول أن النسيطة سيزلون يجدون في الأراضي التركية ذلك السلام وتلك الطمأنينة اللذين تمتعوا بهما قروناً عديدة، شريطة أن لا يكرروا الأخطاء التي ارتكبوها بتحريض من الأجنبي في مبداء الحرب.

وفي جلسة ٢٤ آيار ١٩٢٤ علق [سر پرسی كوكس] على أقوال [فتحي بگ] حول المسألة الجديدة فقال:

أذكر أن معاليكم أشار الى أن الحجج التي ادلى بها [لورد كرزن] في [لوزان] لا يمكن الركون اليها لدعم خط الحدود المقترح الآن واني لأرغب في تذكيركم بأن [لورد كرزن] لم يحاول وصف خط معين للحدود الشمالية في الوقت الذي كان مصراً على موقفه من ولاية الموصل. وقد ترك هذه المهمة عمداً لخبراء الطرفين. إن الوضع الذي حدده [لورد كرزن] في [لوزان] عدل بحكم الضرورة نوعاً ما، نتيجةً لمعلومات طبوغرافية أكثر تفصيلاً مما تيسر قبلاً، وبسبب الشعور بالحاجة الماسة الى تأمين مستقبل الآشوريين، قررت الحكومة البريطانية الآن المطالبة بالخط المؤشر على الخرائط التي حملتها لكم في أطلس الثانية. »

ثم ذكر [سر پرسی كوكس] أن المسألة لا تستبطن نية ضم الأراضي المطالب بها - الى الحماية البريطانية أو اخضاع مصالح العدد الكبير من السكان الكرد لمصالح الأقلية المسيحية في الولاية. إن الشعب الكردي قانع تماماً بالحكم الذاتي المحلي الذي

منح له وان مسألة الآشوريين انما وضعت على بساط البحث لعلاقتها بالحجج الطبوغرافية والسوقية المُنقعة دَعماً لإدعاء الحكومة البريطانية بخطّ حدود ابعده قليلاً عن الخطّ الذي اقترح مبدئياً مما يجعل من الممكن توطينهم في مجتمع واحد قد يكون عين مسوطنهم الأول وقد يكون مجاوراً له في الأراضي التي خول صاحب الجلالة البريطانية وضعها تحت انتداب عصبة الأمم. ووجهة نظر النساطرة لاتطابق وجهة نظر [فتحي بگ] في انهم سيجدون الأراضي التركية موطن السلام والرخاء اللذين تمتعوا بهما في الماضي شريطة أن يعدلوا عن نشاطهم الذي مارسوه أثناء الحرب. فمازالت ذكرياتهم حية جداً وهي تختلف تماماً عن اقوال [فتحي بگ] حول المعاملة التي لقوها على يد الترك في الماضي.

ان مناقشات اليوم الأخير من المؤتمر تنطوي على أهمية من نواحٍ مختلفة:

أكد [فتحي بگ] ان هذا المؤتمر انعقد بموجب المادة الثالثة من معاهدة [لوزان] للتوصل الى اتفاق وديّ حول الحدود بين تركيا والعراق. لكنه بدأ بالاشارة الى ان حدود العراق الشمالية كانت عموماً وكما هو معروف مطابقة للخط الذي عُرض أمام المؤتمر، واسند قوله هذا الى ماورد في دائرة المعارف البريطانية. ثم نوّه بان ولاية الموصل هي جزءٌ من تركيا قانونياً الى أن تبرم إتفاقية تثبيت الحدود - ولايغير وجودها تحت الإحتلال البريطاني المؤقت شيئاً من الحقيقة. وفي حين لم يفعل المندوب التركي أكثر من عرضه المسألة التي ينبغي حلها بموجب المعاهدة، خلق المندوب البريطاني مسألة جديدة بطلبه اقتطاع أرض اضافية تعود الى ولاية حكاري التركية. وهي مسألة لم يفكر احد باثارها في مفاوضات [لوزان] وليس من الممكن اثارها من جهة المعاهدة لا روحاً ولا نصاً. فإن اصرت الحكومة البريطانية على الخروج عن موضوع المؤتمر بصياغة مطالب جديدة حول ولاية حكاري فليس له إلا الإستنتاج بأنها تريد لهذه المفاوضات الإخفاق.

ان اعراب الحكومة البريطانية عن حقها في تقديم إدعاء اوسع، نيابة عن العراق عندما عرض النزاع على مجلس عصبة الأمم لايمكن ان يشمل اي شيء خارج حدود النزاع موضوع البحث. فمثل هذا الإدعاء هو مخالف لنص المادة الثالثة من المعاهدة. وعندما وافقت تركيا على عرض النزاع لتحكيم عصبة الأمم لم تكن مستعدة لمواجهتها بإدعاءات حدود غير محدودة ولذلك لاتستطيع الموافقة على بحث اية مسألة لم

تتضمنها المادة الثالثة من المعاهدة. في الواقع ان تنازل تركيا بحسب المادة (١٦) عن حقوقها وملكيتهما في العراق لا يمكن ان يعتبر ثابتاً ومبرماً بمعاهدة ما، الى ان تثبت الحدود بين العراق وتركيا. اذ لا يمكن أن تنشأ قضية تنازل عن أرض في الجزء الجنوبي من حدود لم يتم تثبيتها بعد.

فواضح اذن، أن المندوب البريطاني اثار قضية جديدة لم تكن مدار بحث قط لذلك لا يمكن ان تتعلق بالقضية التي ستعرض على عصبة الأمم بأي شكل كان. وفي أثناء المناقشة التي تلت ذلك أجاب [سر پرسي كوكس] على ردّ [فتحي بگ] بقوله: ألا فليفكر اي من يشاء بأن حدود العراق الشمالية يجب أن تتبع الحدود الشمالية لولاية بغداد تقريباً فتفكيره هذا لن يؤخذ مأخذاً جدياً. «إن العراق الذي نقصده هو الأرض التي قبل صاحب الجلالة البريطانية بعد الحرب مسؤوليته عنها امام عصبة الأمم والحدود التي بحثت في [لوزان] خاضعة لتعديلات محلية ثانوية اصبحت حكومة جلالته مقتنعة بضرورتها على ضوء التحقيقات التي اجرتها والخبر التي اکتسبتها مؤخراً» وعلى اية حال لم يكن الموضوع يدور حول اعادة ولاية الموصل الى تركيا.

وفي رأي [فتحي بگ] ان الإدعاء باراض تعود الى ولاية [حكاري] مخالف لمعاهدة [لوزان] نصاً وروحاً، ولكن [سر پرسي كوكس] سبق وذکر [فتحي بگ] بأن [لورد كرزن] لم يقترح اي حدود معينة في [لوزان] لذلك ادعى ان الخط الذي اقترحه على المندوب التركي يتفق نصاً وروحاً مع المعاهدة.

وخلص الى القول ان خط الحدود الشمالية لولاية الموصل على قدر معلوماته لم يكن قد ثبت تثبيتاً نهائياً. ان الأوضاع السياسية والقبائلية جعلت هذا الخط الفاصل خطأ مائعاً قابلاً للتحوير بحكم الضرورة. وقد اعتمد هذا الخط على مقدار نفوذ الولاية وعلى شكل الإدارات وعلى إعتبارات أخرى وقتية. زد على هذا إن تقسيم إدارياً بين الأقليمين لعين البلاد كان يختلف إختلافاً جوهرياً عن حدود دولية بين بلدين. وكرر قوله بأنه لم يكن ثم وجود لاية حدود نهائية ثابتة ولهذا السبب وحده تعذر قبول وجهة النظر التي أجملها [فتحي بگ] بقوله أن ما يعتبره جزء من ولاية حكاري لا يدخل في نطاق بحث المادة الثالثة من معاهدة [لوزان].

فأجاب [فتحي بگ] أنه لا يستطيع قبول حجج [سر پرسي كوكس] حول التغيير الذي طرأ على حدود ولاية الموصل واطاف ان ما لديه من معلومات لا تؤيد قيام أحوال

كهذه على قدر معرفته.

وأثارت الحكومتان ذات العلاقة القضية الآشورية مرةً أخرى عند عرض النزاع على مجلس عصبة الأمم.

وتحت عنوان الحجج السياسية قدمت المذكرة البريطانية المؤرخة في ١٤ آب ١٩٢٤ الأسباب التالية دعماً لوجهة نظرها في ضم الآشوريين الى العراق، على قدر الإمكان: «قرر الشعب الآشوري الصغير في أول أيام الحرب العظمى تبني قضية الحلفاء مع انعزال موقعه في قلب بلاد يسيطر عليها الحكم التركي. وانتهز هذا الشعب الفرصة لقطع صلته بحكم أولئك الذين عرضوهم لسنوف الاضطهاد المتواصل في تأريخهم السابق. وتحملوا النكبات العظيمة جرأاً قرارهم هذا فطردوا من اوطانهم، وهلكت آلاف الأنفس منهم أثناء هجرتهم الى العراق»..... «ولقد وفق الآشوريون الى الاستقرار فسكن بعضهم في الجزء الجنوبي من بلادهم الأصلية، وسكن بعضهم مع كرد البلاد ومسيحييها المحليين جنوب وطنهم الأول مباشرة». «ان الحكومة البريطانية تشعر بأقوى الإلتزام والمسؤولية في ضمان توطينهم تأكيداً وإنجازاً لمطالب شعبهم العادلة وأمانهم. ولقد طالبوا بالاستقرار في جميع أراضيهم السابقة مشفوعة بالحماية البريطانية».

«عجزت الحكومة البريطانية لأسباب مختلفة عن الإستجابة الى أمانهم كاملةً إلا إنها عملت جهدها لتأمين حدودٍ قد تحقق بعض الشروط. وهي الآن ترجو مجلس عصبة الأمم تثبيت تلك الحدود. إن مجلس العصبة حين يحقق متطلبات معاهدة حدود جيدة، يجب ان يسمح في عين الوقت بإسكان الآشوريين بشكل مجتمع مُنضم الى نفسه ضمن الحدود التي انتدبت عليها الحكومة البريطانية تحت إشراف عصبة الأمم. وإن لم يتسن ذلك في أرض اجدادهم، فلا بأس أن يتم اسكانهم في مناطق مجاورة لها.»

ان رسم الخط الى مسافة ابعد نحو الجنوب سيثير ذعراً كبيراً بين الآشوريين بحيث يضعهم امام أمرين لا ثالث لهما: أما الهجرة الجماعية، أو القتال حتى النفس الأخير دفاعاً عن مطالبهم، دعك من الأضرار

الاقتصادية والسوقية لهذا الخط الجديد المقترح. إن حصل ذلك فسيكون السلام والاستقرار في هذا الجزء من الحدود في خير كان.»

ومن بين الحجج الجغرافية والسوقية التي وردت في المذكرة. حجة أخرى تدعم طلب الأخذ بالحدود المقترحة وهي أن الشعب الآشوري المحارب راغب في تقديم الولاء للعراق بشروط. وسيكونون مجتمع حدودٍ ثميناً للدولة العراقية.

عرضت المذكرة التركية المؤرخة في [٥ ايلول ١٩٢٤] ان المطالب البريطانية الخاصة بأرض تقع فيمايلي حدود ولاية الموصل التركية تتعدى بشكل صارخ مستفز حدود القضية التي اتفق الجانبان على عرضها امام مجلس عصبة الأمم لذلك لم يجد المجلس مندوحة من اصدار قرارٍ لمصلحة الإدعاء البريطاني بمقدار ما يخص القضية التي هي قيد النظر.

ودعماً لهذا الرأي تقتبس المذكرة مختلف التعابير التي استخدمها [لورد كرزن] مثبتة - كما قالت- ان النزاع بين الطرفين يتعلق بولاية الموصل ولايتعدها.

وبالرجوع الى الحجج التي تقدمت بها الحكومة البريطانية تلاحظ المذكرة أنه مهما كان العطف الذي تشعربه الحكومة لهؤلاء سكان الولاية غير المسلمين الذين تبنا قضية الحلفاء أثناء الحرب، فلا يمكن لهذا العطف أن يبرر إقتطاع إقليم كبير من تركيا لاتزيد نسبتهم فيه الى السكان عن السبع. أضيف الى هذا ان الآشوريين النساطرة لم يكونوا من سكان ولاية الموصل المقيمين وإن كانوا قد ارغموا على ترك بلادهم الأم أثناء الحرب فالسبب هو انهم رفعوا السلاح ضد المسلمين شركائهم في الوطن الواحد. وهم على اية حال قليلو العدد، عاشوا قروناً عدة في أمان ودعة بين اخوانهم المسلمين.

ان اقتراح الحكومة البريطانية جمع الآشوريين في كتلة منضمة على الحدود التركية - العراقية يدعو الى التساؤل عما اذا كان الأمر منسجماً مع رغباتهم حقاً. أم هناك إعتبرات أخرى أوجبهته، بغض النظر عن رغبات هذه الطائفة الحقيقية، ان تجميعاً مصطنعاً للآشوريين على الحدود يحمل في طياته نية إستخدامهم ضد الكرد، وتدفعه روح العداة لتركيا، لا يمكن ان ينتظر منه تحقيق تلك النتائج التي تأمل الحكومة البريطانية الوصول اليها واعني بها اقامة عهد سلام دائم في هذه الأنحاء وانشاء علاقات جوار طيبة بين تركيا والعراق وتوفير الحياة الآمنة للآشوريين.

ب - الإعتبارات والإستنتاجات:

تمّ تقويم اوضاع الآشوريين في الإمبراطورية العثمانية سابقاً في جزءٍ من هذا التقرير. وسنعيد القول هنا فحسب انهم تمتعوا بدرجة كبيرة من الإستقلال بزعامة بطريركهم. وقليلاً ما دخلت السلطة التركية بلادهم. على ان اشتباكات بين الكرد والآشوريين كانت كما يبدو عديدة.

في السنة التي سبقت الحرب بدأت الدعاية الروسية التي ستتخذ اتجاه دينياً تلمس لمساً. وفي ربيع العام ١٩١٥ حققت الجيوش الروسية الزاحفة نحو [جوله ميرگ] إتصالها بالآشوريين الذين شرعوا بمهاجمة الترك بتحريض من القائد الروسي. وعندما انسحب الروس بعد فترة قصيرة انكشفت مواقع الآشوريين امام هجمات قامت بها قوات تركية كبيرة وتعذّر الدفاع عنها فاضطروا الى الانسحاب مع عائلاتهم الى البلاد الإيرانية بعد قتال عنيف دام ستة اشهر.

وعند وصولهم إيران استمروا في معاونة الروس الذين شكلوا عدة كتائب من الجنود الآشوريين، قاتلت تحت قيادة روسية حتى انهيار الجيش القيصري. على ان فوجاً واحداً كان بأمره البطريرك الآشوري المباشرة. وفي الاشهر الأولى من العام ١٩١٨ التحقت التشكيلات الآشورية بالوحدات غير النظامية التي بقيت في إيران بقيادة ضباط روس تدافع عن سهول [أورميه وسلماس] بوجه الترك. وازداد وضعهم حرجاً بسبب اشتباكاتهم مع الكرد من جانب، وبنتيجة تدخل السلطات الإيرانية التي كانت تودّ تجريد هذه القوات العاملة في الأرض الإيرانية من السلاح. وبنهاية تموز تقريباً وجد الآشوريون أنفسهم مضطرين الى التراجع أمام هجمات الترك والكرد الإيرانيين وعند ذلك إلتجأوا الى الاراضي التي تحتلها القوات البريطانية.

ساهم الآشوريون الذين كانوا قد استقروا في إيران في الحرب ضدّ تركيا من المبدء كالمنظمات الأرمنية فعانوا عين المصير الذي لقيه آشوريو تركيا.

وتعرض الآشوريون أثناء تفهقرهم الى أهوال وانصبت على رؤوسهم الويلات فقتل منهم الكثير في ساحة القتال وقضى آخرون نجبتهم جوعاً ومات فريق بالنوازل والآفات الطبيعية. على أن مايقارب الخمسين ألفاً منهم نجح في الوصول الى همدان في أواسط آب ١٩١٨ فأرسلوا من هذه المدينة بقوافل الى مخيم (بعقوبة) على نهر ديالى وهي بلدة تبعد خمسين كيلومتراً من بغداد.

وبعد الهدنة مباشرةً، أُقترح مشروعٌ لإعادة توطين الآشوريين ولكن الاضطرابات التي حصلت في المناطق الكردية جعلت المشروع غير ممكن. وعلى اثر اضطرابات العماديه في تموز ١٩١٩ اقترح الحاكم الملكي العام على السلطات العسكرية إجلاء كلّ الكرد المسلمين من منطقة العماديه وإعداد مساحة من الأراضي للآشوريين الذين جمعوا في مخيمات بعقوبة ليتمّ توطينهم جميعاً على هذه الشاكلة في لواء الموصل. على أن الحكومة البريطانية وقتذاك لم تكن ترغب في اتخاذ قرار قاطع في هذا الشأن. وكان عدد الآشوريين في بعقوبة يناهز خمسة وثلاثين ألفاً في أواخر عام ١٩١٩ وهم على مجموعتين تتألفان على التوالي من آشوريي حكاري و آشوريي [أورميه] في إيران.

وفي ربيع العام ١٩٢٠ اختمرت فكرة في ذهن المدعو (أغا بطروس) وهو آشوري جبلي من قبيلة الباز قام بدورٍ كبيرٍ في قيادة الجيش الآشوري أثناء الحرب. ومجمل فكرته يتلخص في خلق دولة آشورية عازلة على الحدود التركية الإيرانية في الوقت الذي تترك الحرية لمن يفضل العودة الى دياره في جبال ولاية حكاري. وتأخر تنفيذ هذا المشروع بسبب الثورة العربية الكبرى في العام ١٩٢٠ ومُني بالفشل التام في تشرين الأول من تلك السنة بسبب ضعف كفاءة [أغا بطروس] ومقاومة الكرد في المناطق الواقعة شمال عقره. وفي مجرى القتال الذي حصل نهب الآشوريون عدة مناطق يسكنها كرد لم يشاركوا في الاعمال العدائية ضدّهم.

بعد هذا لجأت الحكومة البريطانية الى تجربة خطة جديدة، فقررت توطين الآشوريين عشيرةً عشيرةً بصورة تهدف الى توسيع حدودهم نحو الشمال وما ان جاءت السنة ١٩٢١ حتى كان [٧٥٠٠] شخصٍ منهم قد استقر بهذه الطريقة. بعضهم في أنحاء زاخو ودهوك والعماديه وبعضهم الآخر في المناطق [برواري بالا] و[تياياري العليا] و[تياياري السفلى] التي تقع شمال المناطق الأولى بمسافة قليلة والتحق عدد كبيرٌ منهم بالليفي.

ووزعت الحكومة البريطانية أكثر من (١٩٠٠) بندقية وكميات من العتاد على القبائل الآشورية التي عادت الى مناطقها الاصلية شمال حدود ولاية الموصل. وفي نيسان ١٩٢٤ استوطن عددٌ من الآشوريين في الأراضي الواقعة تحت ادارة العراق. وفي المنطقة الواقعة شمالاً. وهي الأرض المطالب بها وقدرّ عددهم بما يلي:

٥٠٠٠	من إيران
١٤٠٠٠	من المنطقة المطالب بها بعدئذ
٦٠٠٠	من الأرض التركية شمال المنطقة المذكورة
٢٥٠٠٠	المجموع

وقد استوطن (٥٧٠٠) من المجموعة الثانية في الأرض التي طوِّب بها في مؤتمر أستانبول وعادوا الى جنوب خط المعاهدة على اثر الحوادث التي وقعت في العام ١٩٢٤. لقد كانت نية الحكومة البريطانية اتخاذ الخطوات التي تساعد على عودة الآشوريين الذين قَدِموا من إيران الى أوطانهم. إنَّ العلاقات بين الآشوريين وبين الأهالي المسلمين لم تكن حسنة دائماً وبالشكل المنشود، وترى السلطات أنَّ مردِّ ذلك افتقار الآشوريين أنفسهم الى المرونة والكياسة فهم ذوو أمزجة نارية قتالية وطباع خشنة غير مصقولة. وفي آب من السنة ١٩٢٣ جرت ملاحاة في سوق الموصل بين فريق من العرب وجنود آشوريين وفي الشهر عينه وقعت تظاهرات عدائية هناك ضدَّ مجموعة من الآشوريين قوامها ثمانمائة شخصٍ قذفت بهم أستانبول خارج حدودها. وفاق هاتين خطورة عصيان سريتين آثورتين من حامية كركوك. هذه الحادثة اثارت نزاعاً بين جنود آشوريين وتجار مسلمين فانطلقوا في ارجاء المدينة يطلقون النار على كلِّ مسلمٍ يصادفونه وينهبون ويحطمون المنازل والمخازن رغم الجهود التي بذلها ضباطهم وضباط صفهم. ووقعت إصابات بعضها قاتل. فلم تجد السلطة بُدأً من إرسال وحدات عسكرية بريطانية بطريق الجوِّ للمحافظة على النظام.

من الحريات التي تمتع بها الآشوريون في العراق، انَّ نزاعاتهم كانت بواسطة محكمين من بني جلدتهم. وكان لرؤسائهم منصب رسمي أو شبه رسمي ولهم ان يجبوا الأعرار وضريبة الماشية بمساعدة شرطة يختارونها من بين أفراد قبائلهم نفسها. هذه الحالة كان مقدراً لها أن تتغير بسبب رحيل عدد كبيرٍ منهم نتيجة حوادث الحدود التي وقعت في خريف العام ١٩٢٤ إنَّ الأسرة التي تنحصر فيها السلالة البطريركية هي السلطة الوحيدة الآشورية التي تعترف بها السلطات العراقية والبريطانية.

لقد ابلغ المندوب السامي البريطاني في بغداد اللجنة عن نوايا حكومية في حالة ما لو سلّم للعراق بالحدود المدعى بها. فقال إنَّ المنطقة التي تقع جنوب الحدود مباشرة ستعاود السكن فيها تلك القبائل الآشورية التي كانت تعيش فيها سابقاً ولايسكن هذه

المنطقة في الوقت الحاضر غير عشرة آلاف وخمسمائة نسمة، منهم سبعمائة وخمسون من المسيحيين. وأما الآشوريون الذين كانت ديارهم تقع شمال الحدود المقترحة فسوف يتم توطينهم في جوار [دهوك] و[العمادية] في مواضع لا تبعد كثيراً عن الحدود. وبذلك لن يكونوا معرضين لإغراءات العودة إلى ديارهم الأصلية في الأراضي التركية مسببين مشاكل حدود أخرى.

إن المجموع الكلي للآشوريين الذين سيتم توطينهم لن يزيد عن عشرين ألفاً بعد عودة آشوريي إيران إلى أوطانهم. وبحسب المعلومات المتأخرة يوجد في روسيا عدد كبير قد يبلغ ثلاثين ألفاً تقريباً من الآشوريين الترك الذين يرغبون في العودة إلى ديارهم شريطة أن لا تكون تلك الديار تحت السيطرة التركية.

وقد اعلمت السلطات البريطانية اللجنة أن معاملة الآشوريين في المستقبل تتوقف أساساً على القرار الذي سيتخذ بخصوص الحدود فإن لم تضمّ الأراضي التي كان الآشوريون يشغلونها إلى دولة العراق فلا مجال من منحهم أي نوع من الإستقلال الذاتي. إن لن يتم في هذه الحالة توطينهم في مجتمعات آشورية بحتة. وإذا سحبت الحدود إلى الجنوب بالشكل الذي يلحق بالعراق جزءاً صغيراً فحسب من الوطن الآشوري السابق فسيكون من المتعذر إيجاد مقاطعات لهم في العراق، وإن خطة توطينهم مرهونة بقبول الحدود التي اقترحتها الحكومة البريطانية. ولا يستطيع الآشوريون العيش في السهول حتى لو وفّرت لهم الأراضي بسبب الأحوال المناخية. وستنجم مصاعب أخرى لإختلاف الطبع العربي والآشوري مما يؤثر على العلاقات بينهما في حين أن الطبع الآشوري والكردي متشابه.

تدرك اللجنة ضرورة حماية الشعب الآشوري ومساعدتهم على العيش بأفضل ما يمكن تأمينه لهم من أحوال معاشية.

ولا تشعر اللجنة على كل، بأن التسوية التي اقترحتها الحكومة البريطانية تتفق ومبادئ العدل التي يجب أن تحكم التوطين المطلوب.

في الموضع الأول: إن اعتراض الحكومة التركية على تقديم الحكومة البريطانية مطالبات إقليمية جديدة [بعد مؤتمر لوزان] هو اعتراض وجيه وليس دون أساس. إذ يظهر من وثائق ذلك المؤتمر أن المندوب البريطاني طالب منذ البداية بالحدود الشمالية لولاية الموصل حدوداً للعراق. فأى تعديلات كانت قد ذكرت؛ هي تعديلات معاهدة

(سيقر) لكن مواد تلك المعاهدة كانت تقضي بإعادة قضاء العماديه الى تركيا. وفي رسالة أخرى مؤرخة في ٢٦ كانون الأول ١٩٢٢ اقترح [لورد كرزن] على [عصمت پاشا] تعيين خبراء لمناقشة تفاصيل الخط الثابت لحدود ولاية الموصل الشمالية التي ستضمها المعاهدة المقبلة حول الحدود بين تركيا والعراق. ويلوح من هذا ان التفكير لم يكن منصرفاً الى ابعاد من تعديل طفيف لا يمكن ان تتصدى له لجنة تعيين حدود. على ان مقترحات الحكومة البريطانية كما تقدمت بها في أستانبول هي أكثر بكثير من مجرد تعديل بسيط. ولذلك يبدو ان ثم ما يدعو الى الظن بأن الإقتراح المُقدّم في أستانبول يتضمن فتح قضية جديدة وان الحكومة التركية لديها كل المبررات لرفض البحث فيها.

وهناك اعتراض آخر على الحل الذي اقترحتة الحكومة البريطانية يتمثل في الظروف التي دعت الآشوريين الى رفع السلاح على وجه تركيا. ما من شك في ان هذا الشعب قام بانتفاضة مسلحة ضد حكومته الشرعية بتحريض من الأجانب وبدون اي استفزاز من الحكومة التركية. وثابت ايضاً ان الأحوال المعاشية التي يتمتع بها الآشوريون ضمن الإمبراطورية العثمانية هي افضل من أحوال المسيحيين الآخرين، حيث انهم يتمتعون بمدى واسع نوعاً ما من الحكم الذاتي المحلي تحت سلطة البيت البطريركي.

في هذه الظروف لن يكون من العدل في شيء ان يقتطع من تركيا جزء يعود اليها بلا نزاع كي يوطن فيه شعب عمد بصورة مقصودة الى رفع السلاح ضد سيادتها. ولم يسع اللجنة الا ان تستنتج بان أفضل حلّ لمسألة الآشوريين هو قبول العرض الذي قدّمه المندوب التركي في المؤتمر أستانبول. اعني السماح لهم بالعودة الى ديارهم الأصلية. وفي هذه الحالة نضيف الى ما أوردناه قولنا بوجوب إستمرار الآشوريين في التمتع بعين الإستقلال الذاتي كالسابق وأن تضمن سلامتهم بصدور عفو عام عنهم.

(٣) حجج سياسية أخرى:

اضافةً الى الحجّة الأساس المستندة الى رغبات السكان، تقدم الطرفان بإعتبارات سياسية اخرى كلُّ دعماً لوجهة نظره.

عرضت الحكومة البريطانية انها ملتزمة بوعده ثلاثي، مصدره إتفاقاتها مع الشعب العربي والملك فيصل من جهة، وحكم الإنتداب من جهة أخرى. وفي الإمكان إجمال هذه

الحجج كما قدمها ممثلو الحكومة البريطانية:
في أثناء الحرب عقدت الحكومة البريطانية إتفاقاً مع عرب المناطق المعنية يتضمن وعداً
بالأ يعادوا الى الحكم التركي.

وفي [سان ريمو] قبلت الحكومة البريطانية في نيسان ١٩٢٠ الانتداب على العراق من
عصبة الأمم وفي خريف العام ١٩٢١ طلبت عصبة الأمم من الحكومة البريطانية
قبل ان تتم تسوية الشروط الأخيرة للانتداب الإستمرار في تولي الإدارة تمشياً مع
روح مسودة الانتداب التي تم اعدادها انتظاراً لقرار المجلس النهائي.
وفي شهر تشرين الأول من العام ١٩٢٢ ابرمت الحكومة البريطانية معاهدة مع ملك
العراق فيها تعهد الطرفان بعدم اقتطاع أو تأجير اي جزءٍ من العراق لاي بلادٍ
ثالثة أو وضع اي أرض من هذا القبيل تحت سيطرتها.

وعلى هذا الأساس إرتبطت الحكومة البريطانية بالوعد الثلاثي. فإن فصلت الموصل
عن بقية الأراضي المشمولة بالانتداب وأعطتها للترك تكون قد نكثت بوعداها.

اعترض [فتحي بك] على هذه الحجج في إجتماع مجلس عصبة الأمم في ٢٥ ايلول
١٩٢٤ قائلاً ان التعهد الثلاثي الذي اعطته الحكومة البريطانية لايمكن ان ينهض حجة
ضدّ تركيا لأنّ تركيا لم تتنازل بموجب أية وثيقة دولية عن حقوقها في الولاية. وانه
سيكون معادلاً للتنازل عن أراضي فريق آخر لمصلحة فريق ثالث بدون رضی المالك
الشرعي. واما التعهد الذي اعطي لعصبة الأمم فيكاد لا يكون ضرورياً إيضاحنا بان
حدود الأراضي المنتدبة لم تثبتتها العصبة. بالعكس فإن بريطانيا العظمى قررت من
تلقاء نفسها مدى سعة تلك الأراضي من النهاية الشمالية للعراق.

«إن هذا هو عمل من طرف واحد لاغير، ولذلك هو باطل قانوناً من
أساسه وان تفوق الحجة التركية واضح الى الحد الذي لانرى حاجة تدعو
الى تحليل الحجج الطرفين».

والإقرار بأن «تركيا تنازلت عن حقوقها» في ولاية الموصل غير ممكن أيضاً لأنها
أعلنت في عدة مناسبات عن استعدادها للنزول عن الأراضي التي يسكنها عرب
لاغير. وبصرف النظر عن كون ولاية الموصل هي أقليم كردي عند إدخال مسألة
الأغلبية في المسألة، فواضح أن الحكومة التركية تمسكت دائماً بقولها ان ولاية
الموصل هي جزء لايتجزأ من تركيا. ولم تتنازل عن حقوقها لا شرعياً ولا أدبياً لمصلحة

اية دولة، وإن افاد بيان الحكومة التركية بانها لا تطالب الا بتلك المناطق التي ترغب في العودة اليها قد يوحي بما هو أقرب الى التنازل الأدبي.

فواضح والحالة هذه ان الأراضي التي تحتلها السلطة البريطانية والعراقية مازالت تعود قانوناً الى تركيا حتى تتنازل عن حقوقها فيها.

وهناك حجة أخرى تقدمت بها الحكومة البريطانية وهي حق الفتح ويمكن اجمالها بما يلي: مما لا نزاع فيه أن دول الحلفاء قد أرغمت على حرب تركيا دون اي استفزاز من جانبها فربحت الحرب، وطردت الجيوش البريطانية الترك من بلاد الرافدين. إنه لما يدعوا الى العجب أن تملّي دولة مغلوبة على الغالبين الأسلوب الذي سيتمّ بموجبه التصرف بالأراضي التي تمّ احتلالها عسكرياً. لقد كان ردّ الحكومة التركية على هذه الحجج ان حق الفتح لم يعد معترفاً به في القرن العشرين وهو على كلّ حال لا يمكن تطبيقه على ولاية الموصل التي تمّ احتلالها عنوةً بعد الهدنة وبخرق شروطها كما كانت الحالة ايضاً بالنسبة الى أستانبول وأزمير وأدنه.

ورداً على هذه الحجة الأخيرة أشارت الحكومة البريطانية اولاً الى أن خطّ الهدنة لا مكان له في التسوية السلمية الختامية وثانياً أن شروط الهدنة خولت جيوش الحلفاء حق احتلال نقاط سوقية تقع وراء خطّ الهدنة في حالة ما لو نجم موقف يهدّد سلامة الحلفاء. وقد احتلت مدينة الموصل طبقاً لهذه الشروط.

لانجد ضرورة لفحص هذه الآراء المتعارضة فيما يتعلق بالخرق المزعوم لشروط الهدنة وتكفي الإشارة الى أن احتلال مدينة الموصل وكلّ مدن بلاد الرافدين التي كانت فيها حاميات تركية مسموح به بموجب المادة السادسة عشرة من إتفاق الهدنة.

وأما الحجة المستندة الى حق الفتح فهي على اية حال عرضة للأخذ والردّ والنقاش لأنّ الوضع السياسي بعد معاهدة [سيثرا] بمدة، عانى تغييراً مفاجئاً حتى قامت ضرورة لعقد مؤتمر جديد لإعادة صياغة كل ما تمّ إنجازه في (سيثرا) مجدداً، هذا التغيير في الموقف هو نتيجة النجاح العسكري التركي الذي خلق وضعاً عسكرياً جديداً لكلّ المناطق التي عادت أو كانت تعود الى تركيا مع انه انجز في ميادين حرب متعددة وهذا واضح تماماً من طبيعة القضايا التي بحثت في لوزان.

وتعرض تركيا في مجال اعتراضها على حجة حق الفتح تحقيق السلم «الوطيد» وقد

عرضت هذه الحجة في لوزان وردّها [فتحي بگ] في مؤتمر أستانبول معرباً عن امله في عين الوقت بإيجاد تسوية لقضية الموصل التي ستمهدّ الطريق الى سلم ثابت وطيد بين تركيا وبريطانيا العظمى، وصرّح «ان فوائد سلم وطيد في الشرق تنطوي على اعظم الأهمية.»

واضح أنّ الفوائد التي ستنتجم عن سلم وطيد تنطوي على أهمية عظيمة وإذا أريد للسلم ان يكون دائماً وان يمهدّ لعلاقات طيبة فمن الجوهرى ان لا يشعر اي طرف بالاضطغان للطرف الآخر أو بأنّ حقه مهضوم. فانطلاقاً من هذه الأهمية يجب ان لا تحرم دولة العراق التي اعترفت تركيا بوجودها اعترافاً واقعيّاً من الموارد الضرورية لتطورها. ولو أقتطع جزء من ولاية حكاري التركية فإن حقوق الولاية ستنتهك وتهضم ولو أعطي لواء ديالى لتركيا فسوف يحيق الخطر باستقلال العراق. ولو سلّمنا بأنّ نظرية السلم الوطيد كما عرضتها تركيا يجب أن تملي تسوية ما، فالنتيجة هي أن تركيا ستُحرم العراق مما هو أساسي لا لإنتاج مزروعاته وحده بل لتطوير موارده أيضاً.

(٤) إعتبرات وإستنتاجات:

لاجدال في ان الحكومة التركية ستظلّ تتمتع بسيادتها القانونية على الإقليم المنازع عليه طالما لم تنزل عن حقوقها فيه.

وليس للعراق حق قانوني ولا حق فتح على الإقليم المنازع عليه. إذ لم تكن دولته قد رأت نور النهار عند إنتهاء الأعمال العدوانية. وكما قال [الورد پارمور] في جنيف [١٩٢٤] «إن العراق بوجوده الواقعي لا يمكن ان يشمل الأجزاء غير المنازع عليه من البلاد. ومهما يكن من أمر، فله الحقّ الأدبيّ مادام وُجد من العدم - ان يطلب اعطاءه حدوداً آمنة تفسح له سبل العيش سياسياً وإقتصادياً وهذا عند التطبيق يفرض إلتزامات على تركيا التي صرّحت في عدة مناسبات، بانها ترغب في ان تترك للعرب حرية تقرير مستقبلهم السياسيّ.»

العراق الآن يدير بمعونة بريطانيا العظمى ولاية الموصل السابقة. وبين هاتين الدولتين معاهدة تحالف اتخذ لها الانتداب زياً وقيافه بحسب قرار مجلس عصبة الأمم المؤرخ في السابع والعشرين من ايلول ١٩٢٤ إن هذه المعاهدة ستظلّ قائمة مدة أربع سنوات بعد عقد معاهدة السلام مع تركيا. فإن لم يُقبل العراق عضواً في عصبة الأمم عند

إنهاء مفعول المعاهدة، فسيكون لمجلس العصابة أن يقرّ الخطوات الأخرى بموجب المادة الثانية والعشرين من ميثاق العصابة. ومن الواجب أن نضيف هنا ان المجلس التأسيسي العراقي عندما صدق المعاهدة، أقرّ شرطاً تكون المعاهدة بموجبه لاغيةً باطلة إن فشلت الحكومة البريطانية في المحافظة على مصالح العراق في كل ولاية الموصل.

ذكرنا هذه الحقائق لأنّ وجود الانتداب قد يؤثر على تسوية القضية بسبب تأثيره الهام على أحوال العراق الداخلية.

لاشك في أنّ قدراً كبيراً من التقدم قد تحقق في الولاية بالمقارنة بأحوال ما قبل الحرب من الناحية السياسة الداخلية. فالأمن العام أكثر استتباباً بكثير والاصلاحات الجزرية في الخدمات الصحية والتعليم بيّنة واضحة. ولنورد مثلاً واحداً فيه الكفاية والغنى: إن عدد المدارس الابتدائية في ولاية الموصل قد تضاعف. وعدد الطلاب الذين يؤمونها أصبح أربعة أضعاف منذ خروج الولاية عن الإدارة التركية. ومن دون انتقاصنا شيئاً من كفاءة الموظفين العراقيين ولاسيما في ميدان التعليم لايسعنا الا القول بان الفضل في النجاح يعود الى المجهود البريطاني.

على ان الحالة الداخلية في دولة العراق لاتبدو مستقرة، لاشك في أنّ أولئك الذين يدرون دفة الحكم يضمرون أطيب النوايا، الا انهم يفتقرون الى التجربة والحكمة السياسية. ويجابه الحكم مصاعب خطيرة بسبب التوتر القائم بين أهل السنة والشيعة والأخيرة هم أقل انفتاحاً على الأفكار العصرية والاصلاح. ومما يجب ذكره ان الشيعة هم أغلبية في ولاية بغداد والبصرة في حين كان معظم سكان ولاية الموصل السابقة من الطائفة السنية. والعلاقات بين الكرد والعرب ليست على مايرام. ففي فترة زيارة اللجنة البلاد لم تكن الحكومة العراقية تجرأ على اقامة ادارة لواء السليمانيه وظلّ يدير شؤونه ضباط بريطانيون. وكان الإنطباع الذي تخلف في ضمير اللجنة ان الانتداب المتسريل بثوب المعاهدة الحالية يجب ان يبقى جيلاً من الزمان على الأقل لترصين بناء الدولة الجديدة وتطويرها. وفي رأي كثير من الذين استشرناهم أنّ وجود الدولة بحد ذاته قد يهدد الحماية والرعاية اللذين يوقرهما الآن انتداب عصابة الأمم اذا ما رُفع عن البلاد بعد سنوات قلائل.

توضح الحالة هذه ان الفوائد الاقتصادية وغيرها مما ستجنيه ولاية الموصل برمتها من الاتحاد مع العراق سيحلّ محلها متاعب سياسية خطيرة جداً إذا ارتفع الانتداب. قد

يمكن إعتبار العراق ذا اهليّة لحكم نفسه دون معونة عصابة الأمم. وفي هذه الحالة يكون من الخير لولاية الموصل ان تبقى تحت سيادة تركيا. مادام الوضع السياسي الداخلي والخارجي في تركيا أكثر استقراراً بما لا يقاس، بما يمكن أن يكونه العراق لو ترك له الحبل على الغارب.

ان الشعور العام في المنطقة المنازع عليها يصلح دليلاً أيضاً لاتخاذ تسوية لاتلحق ضرراً بحقوق أي من الطرفين. هذه المشاعر ترجح كفة العراق نوعاً ما لو اخذت الآراء المعطاة في سائر الإقليم مجتمعةً. على ان هذه الآراء كانت على درجة كبيرة من التنوع والتأثير بالظروف الآنية بحيث لا يمكن ان تؤخذ كقاعدة أساسية للحكم على مايجب أن يكونه الاطار السياسي المقبل. وعلينا ان نذكر بصورة خاصة موقف تلك المناطق التي كان رأيها العام يميل الى العراق، فإنه لم يتقرر بالتفصيل الحقيقي الذي قررتة الإعتبارات الاقتصادية والرغبة في البقاء المساعدة الأجنبية الممثلة الآن في الانتداب. ذكر عدد كبير من انصار العراق انهم يفضلون تركيا عليه اذا توجهت النية الى الغاء نظام الانتداب بعد فترة قصيرة.

اما الحجج الأخرى التي تقدم بها الطرفان فليست بذات وزن كبير، خلا الحجة التي بنيت على أهمية السلم الوطيد وعلاقات الصداقة بين البلاد المتجاورة. فقد ذكرنا في الفصل السابق إن هذه الحجة توجب حلاً مبنياً على اعطاء العراق الاراضي التي تلزمه لادامة حياته وضمان تقدمه. واللجنة تشعر على كل حال أنها ليست مؤهلة لابتداء اي رأي عن مدى الإهتمام والوزن الذي يجب ايلاء هذه الحجة نسبةً الى الحجج الأخرى. وقصارى قولنا هو انه لو اعطيت هذه الحجة الاولوية، ولو وجد بعد ذلك ان تقسيم هذه البلاد المتنازع عليها امرٌ لا مفرّ منه فلن ينجم عن ذلك التقسيم اية صعوبة سياسية.

الفصل السابع

استنتاجات عمومية

إن اللجنة التي عُيِّنت لجمع المعلومات والآراء، لتيسّر لمجلس عصبة الأمم كل المقترحات والحقائق التي ستساعد على التوصل الى قرار، تتشرف بإجمال نتائج تحقيقاتها وتصنيف نتائجها بما يلي:

أ- الإستنتاجات الجغرافية

أ- طبوغرافية الحدود

ان الحدود التي تدعيها الحكومة البريطانية، هي حدود جيدة جداً. فإلى الجنوب تصلح اية سلسلة من سلاسل الجبال المتوالية خطأً للحدود. وخطّ [بروكسل] مناسب لهذه الغاية كحدود اقترحتها الحكومة البريطانية. كما ان للسلسلة الممتدة جنوب زاخو وعماديه ونيروه [نيري] عين الميزات. وعند الضرورة فكلّ خطّ متوالٍ من القمم يمكن ان يتخذ حدوداً. والسلسلة الأخيرة الصالحة هي قدمات الجبال الممتدة من الغرب الى الشرق تاركة [دهوك] الى الشمال وألقوش وعقره الى الجنوب. إلا أنّ هذا الخطّ فيه وجه سيء هو مروره بعدد كبير من الطرق وفصله مناطق قدمات الجبال عن منطقة السهل.

ان الحدود التي طالبت بها الحكومة التركية هي حدود جيدة في الجزء الغربي الذي يقطع الصحراء، إلا انه ليس جيداً في الجزء الشرقي منها. ويمكن تثبيت الحدود الصحراوية على طول اي خطّ يقطع البادية الى ما يناهز خمسين كيلومتراً جنوب الموصل حيث تبدأ الأراضي الزراعية المحيطة بالمدينة وفي داخل الولاية يمكن اتخاذ الأنهار الكبيرة الثلاثة: دجلة والزاب الأعلى والزاب الأسفل كخطّ حدود جغرافي ثابت.

ب - الجغرافية الإقليمية

ان الإقليم المنازع عليه هو منطقة انتقالية من وجهين: انها تقع بين الجبال الكردية والسهول العربية. وبين المنطقة الجنوبية [سورية وأرمينيا]. والمنطقة الجنوبية الشرقية (العراق وكرستان). والقسم الشمالي من البلاد حيث الموصل تقع في المركز يرتبط

جغرافياً بمناطق نصيبين وماردين وديار بكر وأورفه. في حين كان الجزء الجنوبي أوثق صلةً بالعراق وبلرستان في إيران. إن الخطَّ الفاصل بين هذين القطعين يمتد بين كركوك وأربيل ربما كان الزاب الأسفل وهو أفضل خطَّ لهذه الغاية.

٢ - الإستنتاجات العرقية

البلاد يسكنها الكرد والعرب والمسيحيون والترك واليزيدية واليهود. ذكرناهم بترتيب كثرتهم العددية.

ان الإحصاءات والخرائط التي عرضها الجانبان كان يعوزها الضبط والدقة. وآخر الإحصاءات التي قامت بها السلطات العراقية أفضلها بلا شك ولكن يجب ان لا يركن اليها الا بحذر.

ان اغلبية السكان هم (كرد)، وهؤلاء ماهم بترك ولا بعرب ولغتهم آرية. و(ترك) البلاد هم من عين العرق الذي ينتمي اليه سكان الجمهورية التركية. واليزيدية ليسوا بمسلمين ونسبتهم هي للكرد إلا أن دينهم ووضعهم الانعزالي جعلهم طائفة بشرية متميزة تماماً. واغلبية النصارى الساحقة هم كلدان ونساطرة.

والكرد والعرب هما القوميتان الوحيدتان اللتان تعيشان في كتلٍ منضمة ومناطق واسعة. وبينهما وحدهما فقط يمكن إحداث أو رسم خط فصل قومي يسير بمحاذاة دجلة حتى مصب الزاب الأسفل. وهكذا يفصل الموصل عن أراضيها الداخلية الخصبة الكثيفة السكان، ويستمر الخط جنوب الزاب على طول الطريق الرئيسة بين كركوك وكفري. وقد توصلنا الى القناعة الكافية بأن خطأ كهذا لا يمكن التوصية به لما ينطوي عليه من الأضرار الاقتصادية والاجتماعية.

والحدود السياسية للإقليم المنازع عليه مع إيران وسورية هي حدود قومية وكذلك شأن الحدود الراهنة وكذلك شأن الحدود التي تدعيها تركيا والتي يدعيها العراق.

ان البلدان التي يسكنها الترك تقع في الجزء الجنوبي من الإقليم المتنازع عليه فهي اقرب الى العراق. في حين تقع الموصل. وهي بلدة عربية - في مركز الجزء الشمالي من الإقليم.

ان طريق المواصلات الوحيدة بين مدينة الموصل وبين السكان العرب المتحضرين يمتد عبر منطقة تسكنها اغلبية كردية.

والمسيحيون اشتات مبعثرة. إلا أن أغليبتهم العظمى تقطن شمال الموصل. ومن اصل المجموع العام للكرد البالغ ثلاثة ملايين. من المعقول تقديرنا أن نصفهم يعيش في تركيا وسبعمئة الف يعيشون في إيران وخمسمئة الف يعيشون في الإقليم المنازع عليه. وهناك مقدار منهم في سورية، إلا أن العدد الذي يعيش منهم في ارجاء العراق قليل. وللكرد الذين يعيشون في الجزء الشمالي من الزاب الاعلى في الإقليم المنازع عليه لهجتهم الخاصة، وصلاتهم العنصرية وعلاقاتهم الإجتماعية والاقتصادية هي مع كرد ولايتي حكاري وماردين في تركيا. واما أولئك الذين يعيشون جنوب الزاب الأسفل فهم اقرب صلة الى كرد إيران منهم الى أولئك.

بلغت الفوضى القومية في الإقليم المنازع عليه مبلغاً عظيماً، بحيث يتعذر مطلقاً التعويل على الإعتبارات القومية عند تثبيت الحدود.

٣ - الإستنتاجات التاريخية

في الوقت الذي لايشك ان الإقليم المنازع عليه ظلّ تحت الحكم التركي قروناً عدة. فإنّ هذا الحكم كان يمارسه فعلياً باشوات بغداد.

ولما كان الإقليم المنازع عليه تحت سيطرة الحكومة ذاتها عدة قرون. وكاد تأريخها يكون شبيهاً بصنوه في بغداد، فإنّ الحجة التاريخية قد توجي بحلّ ليس من شأنه فصم الوحدة التاريخية للبلاد إلاّ لقيام هذه الحقيقة وهي ان [ماردين والجزيرة وديار بكر] هي في عداد الاراضي التركية وان شاركت [بغداد] تأريخها.

وربما امكن التسليم بأنّ اية حدود سواء منها تلك التي اقترحتها الحكومة البريطانية أو التي اقترحتها الحكومة التركية أو ايّ خطّ يتوسط بينهما، ستقطع حبل تلك الصلات التاريخية لامحالة.

٤ - الإستنتاجات الاقتصادية:

تقف الإعتبارات الاقتصادية لصالح ضمّ الإقليم المنازع عليه الى العراق وإن كان ممكناً فصل المناطق الجبلية جنوب [خط بروكسل] عنه دون حصول ضرر أو قيام اية عقبة.

ولو أرتؤي - لسبب غير الأسباب الاقتصادية تقسيم الارض المتنازع عليها، فهناك عدة حلول كلّ منها مقبول. وان لم يبدُ أيّ رأيٍ منها مقبولاً من جهة وحدة البلاد الاقتصادية قدوماً هو مقبول من وجهة نظر وحدة البلاد البحتة.

(أ) قد يمكن فصل اقصية دھوك وزاخو والعماديہ من الموصل، وعندئذ تصیح هذه المناطق في وضع مشابه لوضع الجزيرة التي كانت في السابق أيضاً بلاداً داخلية للموصل.

(ب) وربما يمكن اقتراح حدودٍ تمتد الى شمال الزاب الأسفل، تاركَةً نواحي [كوي وطقق، ورائيه] في العراق، وبالمضي غرباً على خطٍ يُرسم جنوبَ الموصل بمسافة خمسين كيلومتراً تقريباً. ثمَّ يتجه الى جنوب قُرى سنجار وارااضيها الزراعية. في الواقع ان الموصل بوصفها مدينةً كبيرةً ومركز التجارة العام لمحاويل المنطقة الشمالية هي أكثر إستقلالاً عن بغداد من الأجزاء الجنوبية من تلك البلاد التي كانت بغداد مركز تجارتها العام.

(ج) إن قضي على الإقليم المتنازع عليه بالتقسيم وفق حدود تميل الى الجنوب، فمن المستحسن ترك وسط مجرى نهر ديالى الى الجانب العراقي. فهو مما لاغنى لتلك الدولة عنه لأمر تتعلق بحلّ مشاكل الري. وقد يمكن رسم الحدود ابتداءً من جبل حمرين على طول نهر (آق صو) حتى نقطة انقطاعه بخط العرض [٣٥ - شمالاً] ومنه الى الحدود الفارسية بأقصر الطرق.

٥ - الإعتبارات السوقية:

ان الحدود التي اقترحتها الحكومة البريطانية هي خطٌ سوقي ممتاز ويمتاز [خط بروكسل] بعين الميزة تقريباً.

واي خطوط يتمّ تشبيتها على طول سلاسل الجبال المتوازية كما وُصفت في الفصل الجغرافي يمكن أيضاً ان تعدّ حدوداً سوقية إلا أنّ قيمتها من هذه الناحية تتناقص كلما انحدرتنا جنوباً.

والحدود التي اقترحتها الحكومة التركية هي أيضاً جيدة، من جهتها الغربية حيث تقطع الصحراء لكنها سيئة في جزئها الشرقي.

ولاتقوم الانهار عقبات خطيرة. ومن ثم فإن أية حدودٍ تمتد على مجاريها أو بعبارة أخرى تمتد حتى سلاسل الجبال ستكون حدوداً سوقية سيئة كقاعدة عامة.

٦- الإستنتاجات السياسية:

(أ) من الناحية القانونية:

ترى اللجنة ان الإقليم المتنازع عليه يجب ان يعتبر من الناحية القانونية جزءاً لا يتجزأ من الأراضي التركية حتى تنزل عنه تلك الدولة.

وليس بوسع العراق الإدعاء بالإقليم المتنازع عليه لا استناداً الى حقّ الفتح ولا الى أيّ حق شرعيّ آخر. وهي كذلك لا تستطيع التقدم الأ بحجج أدبية فحواها أنه مادامت الدولة العراقية قد وُجدت فطبيعة بلادها يجب أن تكون بالشكل الذي يسمح لها بالتطور المتعارف عليه.

وتشعر اللجنة بأنها عاجزة عن اعطاء اي مقدار من الوزن لتلك الإعتبارات القانونية لأنها من صميم صلاحيات المجلس، ولذلك لم تدخلها في حساب إستنتاجاتها النهائية.

(ب) سياسة ملكة العراق في الداخل:

مع ان تقدماً ملحوظاً لا ينكر، قد حققته الحكومة العراقية نسبة الى ماكان الوضع قبل الحرب بفضل المشورة البريطانية، لاسيما في مجال الأمن والصحة العامة والتعليم، فما من شكّ في ان أحوال المملكة مازالت غير مستقرة مطلقاً بغضّ النظر عن النوايا الطيبة التي يضمورها ساسة العراق المفتقرين الى الحنكة السياسية. لذلك يخشى من مصاعب خطيرة جراء الخلافات التي تتواجد في بعض المواقف، فيما يتعلق بالأراء السياسية بين الشيعة في الجنوب والسنية في الشمال. وكالخلافات العنصرية بين الكرد والعرب وكضرورة ابقاء القبائل الثائرة تحت السيطرة. هذه المصاعب قد تكون القاضية على كيان الدولة نفسها اذا تركت بلاعون وهداية. واللجنة تشعر أن البلاد يجب ان تظلّ تحت انتداب عصبة الأمم لمدة (٢٥) سنة تقريباً، ضمناً لازدهارها وتقدمها.

(ج) رغبات الأهالي:

مع التحفظات التي اوردناها في التقرير حول الآراء المستحصلة، فقد تأكد لدينا ان الرغبات التي ابداهها السكان على نطاق الأقليم كلة تفضل العراق على تركيا. وينبغي مع هذا ان ندرك بأن موقف معظم الأهالي قد تأثر برغبتهم في المزايا التي يقدمها [الانتداب] لهم، وبالإعتبارات الاقتصادية أكثر مما كان متأثراً باي شعور من التعاضد والتلاحم مع الحكومة العربية. ولو لم يكن لهذين العاملين وزنهما عند الاشخاص الذين استشيروا، فربما كانت اغليبتهم تفضل العودة الى تركيا على الانضمام الى العراق.

(د) القضية الآشورية:

نظراً إلى أنّ الحكومة البريطانية لم تدفع بقضية الوطن الآشوري إلى موضوع النزاع الحالي حتى انعقاد مؤتمر القسطنطينية. وبما أنها لم تنوه به في المفاوضات السابقة أو في معاهدة لوزان، ولما كانت القضية الآشورية الحجة الرئيسية التي قدمتها الحكومة البريطانية دعماً لإدعائها بحدود تشمل جزءاً من ولاية حكاري، فإن اللجنة تعتبر إدعاء الحكومة البريطانية بخصوص القضية الآشورية خارجاً عن الصدد.

(هـ) العلاقات بين الطرفين:

مهما كان الحال الذي سيقترن بالنزاع فمن الواجب بطبيعة الحال أن يكون نابعاً من ضرورة تحقيق سلم دائم في هذا الجزء من آسيا. واللجنة لا تشعر بأنها مؤهلة لتقرير قيمة هذه الحجة والوزن الذي يجب أن يُعطى لها بمضاهاتها مع العوامل الأخرى وبذلك نرى وجوب ترك الموضوع لمجلس عصبة الأمم.

فاذا قرر المجلس بعد اخذ هذه الاعتبارات السياسية بنظر الاعتبار تقسيم الإقليم موضع النزاع بين تركيا والعراق فلن ينجم عن ذلك مشكلٌ سياسي.

٧ - إستنتاجات ختامية:

إذا نظرت اللجنة إلى القضية من ناحية مصلحة السكان ذوي العلاقة بصورة بحتة فستجد فائدة لهم من ابقاء الأرض المتنازع عليها دون تجزئة. وترى اللجنة على هذا الأساس ويعد أن أولت قيمةً متناسبة لكل الحقائق المثبتة، ان الحجج الهامة ولاسيما الحجج ذات الطابع الجغرافي والاقتصادي ومشاعر غالبية سكان البلاد تتجه كلها لمصلحة ضمّ كلّ الإقليم الكائن جنوب خط [بروكسل] إلى العراق، مع كل التحفظات التي ابديناها هنا، وعلى ان تكون مقيدة بالشروط التالية:

أ - يجب ان تبقى الأرض المتنازع عليها تحت وصاية عصبة الأمم لفترة نحددها بخمس وعشرين سنة.

ب - يجب النزول عند رغبات الكرد. وذلك بتعيين موظفين منهم لإدارة بلادهم ولتولي أمور القضاء فيها وللتدريس في معاهدها. وان تكون اللغة الكردية هي اللغة الرسمية. في كل هذه الفروع من الإدارة. واللجنة مقتنعة بأن أغلبية السكان كانت تفضل السيادة التركية على السيادة العربية لو علمت

بأن عصبية الامم تزعم انها اشرفها عند إنقضاء السنوات الأربع المشروطة في المعاهدة النافذة الآن بين بريطانيا العظمى والعراق ولو علم الكرد بأنهم لم يعطوا ضمانات معينة في الادارة الذاتية.

واللجنة مقتنعة أيضاً بأن فوائد اتحاد الإقليم المنازع عليه، بالعراق ستندم بقيام المتاعب السياسية الخطيرة الناجمة عن الغاء الوصاية وعدم تحقق الشروط. وترى من الأفضل للبلاد في هذه الحالة ان تبقى تحت السيطرة التركية التي كان وضعها السياسي الخارجي وأحوالها الداخلية أكثر استقراراً بما لا يقاس عن تلك الأحوال التي تسود العراق. وأياً كان القرار الذي سترسي عليه العصبية، فمن الضروري ان يستبقي العراق منطقة دبالى الحيوية ليحل بها مشاكل ربه. وتشعر اللجنة انها ملزمة بايداع موضوع تقييم الحجج القانونية وغيرها من الحجج السياسية التي عنت في التقرير، الى مجلس عصبية الأمم ليقرر الوزن المناسب لها بمقارنتها مع الحجج الأخرى. وان اعتبر المجلس بعد الحجج ان العدل يقضي بتقسيم الإقليم المتنازع عليه، فاللجنة تقترح ان يكون الخط الذي يتابع مجرى الزاب الأسفل تقريباً وهو أفضلها، وقد وصفناه في موضع آخر من التقرير بإسهاب.

(٨) توصيات خاصة:

لايسع اللجنة ان تختم تقريرها هذا دون ان تلفت إنتباه المجلس الى ثلاث مسائل في غاية من الأهمية لأجل اشاعة الاستقرار في البلاد وللخير العام، وان لم تكن ضمن صلاحيتها على اغلب الإحتمال. هذه المسائل الثلاث هي:

١ - إجراءات لاستتباب السلام في الداخل.

٢ - حماية الأقليات غير المسلمة.

٣ - تدابير تجارية.

المسألة الأولى: إجراءات لاستتباب السلام في الداخل:

منذ ابرام معاهدة [لوزان] ظل أهالي الإقليم المتنازع عليه من ذوي المزاج السريع الإثارة والهيياج وهم في قلق وشك حول وضعهم القانوني في العهد المقبل. وكان من

الطبيعي. أن تُترجم العواطف الشعبوية شعورها الى درجةٍ ما بمظاهر العنف. وقد صلحت طبيعتهم هذه لظروف تواجد اللجنة وتحقيقاتها لتساعد على اذكاء نيران الثورة في عقول الأهالي التي كانت مرتعاً خصباً لدعاية الطرفين.

ونجم عن ذلك تكوين شيعٍ واحزابٍ تخاصم بعضها بعضاً. نمت وتعاظمت لتشمل كلَّ ارجاء البلاد مما ادى بكثيرٍ من الناس الى التعرض للشبهات أو الظن بانهم عرضةٌ لها من قبل اعين الدولة التي سيوضعون وشيكاً تحت سيادتها، أياً كانت تلك الدولة.

على كل حال، نعتقد ان الأهالي قد ادركوا ان أعضاء اللجنة حاولوا جهدهم القيام بتحقيق حيادي مطلق يحدددهم في ذلك الخير لمستقبلهم لاغير. ونحن واثقون ان اغلبية السكان الساحقة سيقبلون باي قرار قد يتخذ في شأنهم.

يجب ان تعني الدولة التي ستمارس سيادتها على البلاد بتهدئة روع الأهالي، بان يتخذ موظفوها موقف الاغضاء والتسامح وعليها أن تمنح اوسع عفو ممكن لما سبق من اعمال.

ولأجل ازالة سوء الظن الذي يساور ضحايا الشك بنوع خاص أو الذين يعتقدون بأنهم ضحايا له، قد يكون من الفائدة ان تعين عصابة الأمم ممثلاً دائماً في البلاد لوضع سنوات يكون من واجباته سماع شكاوى المتظلمين أو المضطهدين. فربما نجح في تسوية كثير من المشاكل.

ونرى كذلك أن تذلل كل عقبة في سبيل كل من يرغب من ذوي الآراء الخاصة الذين لا يريدون النزول عن ارائهم تلك - اذا ماشاءوا ترك البلاد. وان تبذل لهم كلَّ التسهيلات.

واجتناباً لأي عملٍ مبتسرٍ تحت تأثير العاطفة والاندفاع قد يأسف له فيما بعد ذوو العلاقة، يجب اتخاذ التدابير بحيث لا يعلن اي تصريح بتنفيذ اي قرار يتوصل اليه في غضون أقل من ستة اشهر على صدوره بخصوص مصير الإقليم المنازع عليه. ويجب ان يفسح للأهالي فترة أمدها أربع سنوات بعد اعلان القرار لاستعمال حقهم في اختيار الجنسية التي يفضلونها. وان تخصص سنة واحدة اخرى للمهاجرين منهم، لتصفية املاكهم. وان لا يرغم اي شخصٍ استنقر رأيه على جنسية دولة مجاورة على مغادرة البلاد قبل انتهاء السنوات الخمس، في اي وقت من هذه الفترة.

نرى من الضروري اقتراح هذه الفترة الطويلة لحماية مصالح الأشخاص الراغبين في الهجرة، لئلا يضطروا الى التخلّص من ممتلكاتهم العقارية بسرعة، فينالوا اسعاراً منخفضة عنها وهو ما يتوقع حصوله في الفترات القصيرة التي ستفتح باباً للإستمّحان والاستغلال. وليس بأقلها شأنًا افانين الإزعاج والمتاعب التي يسببها الجيران الطامعون بحيازة املاك المهاجرين باثمانٍ بخسة.

المسألة الثانية: حماية الأقليات غير المسلمة:

بما ان الإقليم المنازع عليه سيكون في كلتا الحالتين ضمن سيادة دولة مسلمة. فإرضاءً لأماني الأقليات لاسيما المسيحيين وكذلك اليهود واليزيدية من الضروري ان تتخذ إجراءات معينة لحمايتهم.

وليس في نطاق قابليتنا حصر كل الشروط التي يجب ان تفرض على الدولة ذات السيادة لضمان الحماية المنشودة. على اننا نشعر بواجبنا في الإشارة الى وجوب تمتع الآشوريين بامتيازاتهم الأولى التي كانوا يتمتعون بها عملاً ان لم يكن رسماً - قبل الحرب. وعلى الدولة صاحبة السيادة ايّاً كانت ان تمنح هؤلاء الآشوريين مقداراً معيناً من الحكم الذاتي المحلي وان تعترف بحقوقهم في تعيين موظفين وتقنع من الضرائب والرسوم مما يدفع لها عن الطريق بطريقتهم.

ويجب ان يضمن لكلّ المسيحيين واليزيدية الحرية الدينية والحق في فتح مدارسهم. ان وضع الأقليات يجب بحكم الواقع ان يكيّف وفق أحوال البلاد الخاصّة ونحن على اية حال نعتقد بان التدابير المتخذة لمصلحة الأقليات ستبقى خالية من كل معنى أو تأثير إن لم يصاحبها إشراف موقعي فعّال ويمكن ان يناط مثل هذا الإشراف موقعياً بممثلي عصبة الأمم.

المسألة الثالثة: التدابير التجارية

وكما قلنا ان الأرض المنازع عليها هي أرض ترانزيت بين تركيا وسورية من ناحية وبين العراق وإيران من ناحية أخرى. فإيّ دولة ستحظى بالسيادة على هذا الإقليم يجب ان تؤمن المنافذ التجارية لتلك الدولة ان وقعت الأرض المنازع عليها لتركيا، فعلى هذه

الدولة أن توافق، ما دامت بغداد المنفذ الوحيد للغلة الفائضة. مثل هذا الإتفاق سيكون لمصلحة السكان وحدهم.

وإذا ضمت الأرض المنازع عليها الى العراق فيجب ان يمنح سكانها حرية تجارية كاملة مع تركيا وسورية. وفضلاً عن هذا يجب ان تؤمن تسهيلات لمدن الحدود التركية بأن تستخدم طريق الموصل لتصدير محاصيلها واستيراد المواد المصنوعة. كما يجب ان تعقد إتفاقات بهذا المأل اذا ما قسمت الأرض المنازع عليها بين تركيا والعراق.

جنيث ١٦ تموز ١٩٢٥

أ - پاوليس
(توقيع)

الكونت تيليكي
(توقيع)

ي. آف فيرسين
(توقيع)

خلاصة لما تم بعد تقديم التقرير لمجلس العصبة

في الثالث من أيلول ١٩٢٥، اجتمع مجلس العصبة لدراسة تقرير لجنة التحقيق. في البداية اقترح مقرر المجلس السيد (أوستن اوندون) أن يطلب من ممثل الحكومة البريطانية وممثل الحكومة التركية إبداء ملاحظتهما حول محتويات التقرير أو أي نقطة أخرى ذات علاقة بموضوع النزاع. وراح اللورد إيمري (ممثل بريطانيا) يدعم وجهات النظر التي تؤيد مدعاه مستوحاة من التقرير ذاته.

وعقبه توفيق رشدي بگ (ممثل تركيا) يستشهد أيضاً بفقرات من التقرير نفسه مما وجد أنه يؤيد إدعاء بلاده بالولاية.

واستشهد الجانبان أيضاً بما كتب له ممثل حكومته من ملاحظات وإنطباعات عن عمل اللجنة. ولم يكن فيها شيء جديد يزيد عما جاء في التقرير ذاته وما ورد في مذكرات الشخصيات التي كُتبت حول إنطباعاتها. وقد أثبتناها في الباب الثاني. إلا أن الممثل التركي إقتبس الوصف الذي كتبه (جواد پاشا) عن كيفية إجراء التحقيق في لواء السلسيمايه بالشكل الذي أراد أن يبدو وكأته وكأته جرى تحت الإرهاب وإستعراض القوة البريطانية - وليس كما إدعت اللجنة وكما جرى فعلاً. والقصد هو إثارة الشك في الأثر الحاسم الذي خلّفته في اللجنة نتيجة التحقيق هناك. نقل توفيق رشدي الصورة على ضوء التقرير هكذا:

«إن القوات البريطانية إحتلت مدينة السليمانية وإنسحبت منها مرات عدة. إلا أنها عجزت عن إحتلال أي جزء من أجزاء اللواء. وإن الأهالي كانوا دوماً يحملون السلاح ضد الإحتلال البريطاني... وعندما سافرت اللجنة من كركوك الى السليمانية كانت بحراسة شديدة من القوات البريطانية والشرطة العراقية. وكانت طائرات خمس للقوة الجوية البريطانية تحلق فوقهم على طول السفارة. والقوات البريطانية تمسك كل

الطرق والمواقع... والجنود البريطانيون والشرطة يملأون المدينة^(١)...»
ثمّ دافع عن التهمة التي وجهها الممثل البريطاني حول إضطهاد الكرّدي في تركيا ومما قاله:
«إنّ للأكراد في تركيا كلّ الحقوق التي يتمتع بها الأتراك. وأعتقد أنّ
المندوب البريطاني لا يوافق على موقف الشيخ سعيد الكرّدي (بيران)
وأتباعه في ثورتهم ضدّ النظام التركي المستند على السيادة الشعبية
وحرية الضمير. إنّه يعجز عن فهم الغاية من تجزئة الكرّدي بحجة
حمايتهم. إنّي لا أتساءل: هل تريد بريطانيا أن تبقى تحت سيطرتها جزءاً
من الكرد لإستخدامهم ضدّ تركيا التي تضمّ أكبر مجموع لنفوس
الأكراد؟»^(٢)

بعد إنتهاء الممثلين من التعليق على التقرير. إقترح مقرر مجلس العصبة تأليف لجنة
فرعية لدراسة التقرير ومجمل النزاع وتقديم تقرير عنها. وأنّ يطلب من اللجنة تقديم
إقتراح خطّ حدود مؤقت ريثما تنتهي معالجة المشكلة. وعيّن المجلس لجنة ثلاثية في
بروكسل تتألّف من سويدي وإسباني وأرغوايي. ووافق طرفا النزاع على ذلك.
في ١٩ أيلول ١٩٢٥. إجتمع مجلس العصبة وقريء تقرير اللجنة الفرعية وقد
تضمّن الجواب على فقرتين:

أ- ما هي صفة القرار الذي سيصدره المجلس بموجب الفقرة الثانية من المادة الثالثة من
معاهدة لوزان؟^(٣) أهو قرار تحكيم؟ أو توصية؟ أم مجرد وساطة؟
ب- هل يجب أن يكون القرار الذي سيتخذه مجلس العصبة إجماعياً أم بالأكثرية؟
وهل يحقّ لممثلي الطرفين المشاركة في التصويت؟
وبما أنّ لهذين السؤالين طابعاً قانونياً. فقد رأت اللجنة أنّ واجبها يلي عليها
الإقتراح على مجلس العصبة إحالة الموضوع الى محكمة العدل الدولية الدائمة في

١- محاضر العصبة The Official Journal الص ١٣٢٣-١٣٢٤.

٢- المرجع عينه، ص ١٣٣٦.

٣- نص المادة: "إنّ الحدود بين تركيا والعراق سيجري تشيبتها بإتفاق ودّي يتمّ إبرامه بين تركيا
وبريطانيا العظمى خلال تسعة أشهر. وفي حال عدم التوصل الى إتفاق بين الحكومتين خلال
الفترة المذكورة يُحال النزاع الى عصبة الأمم. وتتعهّد الحكومتان التركية والبريطانية بأن لا تقوما
بأية تحركات عسكرية أو غير عسكرية من شأنها إحداث أيّ تغيير بأيّ كيفية كانت في وضع
الحدود الحالي. تلك الحدود التي سيتقرر مصيرها النهائي بموجب ذلك القرار.

لاهاي، للحصول على رأيها الإستشاري.

أخذ مجلس العصبة بالإقتراح. وأحال الأمر مع التقرير والأوراق والمستندات والمدعيات المتبادلة والردود المتقابلة الى محكمة العدل الدولية طالباً رأيها تطبيقاً للمادة الرابعة من ميثاق العصبة.

وفي ٢٦ من تشرين الأول ١٩٢٥. أصدرت المحكمة قرارها حول السؤالين. وجاء فيه: إن القرار الذي يصدره مجلس العصبة بموجب الفقرة الثانية من المادة الثالثة من معاهدة لوزان هو قرار ملزم للطرفين، ويكون تحديداً باتاً لخط الحدود بين تركيا والعراق. وإن القرار يجب أن يتخذ بإجماع الآراء لا بالأكثرية. وإن للطرفين حق المشاركة إلا أن صوتيهما لا يُحسبان لغرض الحصول على الإجماع.

وفي الثامن من كانون الأول من السنة عينها. إجتمع مجلس العصبة بكامل أعضائه وقرىء قرار محكمة العدل الدولية. وجرت مناقشات طويلة. أخيراً تمّت الموافقة بالإجماع على رأي لجنة التحقيق الذي فضّل إلحاق كل المنطقة الواقعة جنوب خط بروكسل بالعراق - على التقسيم.

وبعدها طلب المجلس دراسة مسألة النظام المتفق عليه في معاهدة التحالف بين بريطانيا والعراق لمدة ٢٥ سنة تحت ظلّ الإنتداب. وأوصى المجلس تحقيقاً للغاية وعلى ضوء توجيهات لجنة التحقيق في تقريرها. بوجود عقد معاهدة جديدة بين الحكومتين البريطانية والعراقية وتقديمها لمجلس العصبة خلال ستة أشهر من تاريخه. وأنه يطلب من الحكومة البريطانية أن تخبره عن التدابير التي ستتخذها في سبيل تحقيق التوصيات الخاصة الواردة في التقرير وهي:

١- خط بروكسل سيكون خطّ حدود بين العراق وتركيا.

٢- معاهدة جديدة تقدم للمجلس تضمن بريطانيا فيها إستمرار نظام الإنتداب لمدة خمسة وعشرين عاماً. ما لم يقبل العراق عضواً في العصبة في أي وقت قبل إنتهاء الأجل.

٣- الطلب من الحكومة البريطانية تقديم التدابير الإدارية التي ستتخذها لتأمين الضمانات للأكراد على ضوء تقرير اللجنة.

٤- دعوة الحكومة البريطانية لتطبيق توصيات اللجنة
أخذت الأصوات بقراءة الأسماء فوافق المجلس على التقرير بالإجماع.

